KY

BAIDAWI
Commentary on Koran

£1/16/-

M. R. Finley, Jr.   December 1964
Ann Arbor, Michigan

النصف الأول

(من)

القرآن الكريم

(وبهامشه التفسير المسمى)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

(تأليف)

امام المحققين وقدوة المدققين القاضى ناصر الدين
أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى
وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفى رحمه الله سنة احدى وتسعين وسبعمائة هجرية

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

(صفر — ١٣٤٤ هجرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان و بلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس مانزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب تذكيرا فكشف لهم قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا و تفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا و مهد لهم قواعد الاحكام وأوضاعها من نصوص الآيات والماعها ليذهب عنهم الرجس و يطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو فى الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما و يصل سعيرا فياواجب الوجود و يافائض الجود و ياغاية كل مقصود صل عليه صلاة توازى غناءه وتجازى عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا (وبعد) فان أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذى هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لايليق لتعاطيه والتصدى للتكلم فيه الا من برع فى العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق فى الصناعات العربية والفنون الادبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسى بأن أصنف فى هذا الفن كتابا يحتوى على صفوة مابلغنى من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين و ينطوى على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلى من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين و يعرب عن وجوه القراآت المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا أن قصور بضاعتى يثبطنى عن الاقدام و يمنعنى عن الانتصاب فى هذا المقام حتى سنح لى بعد الاستخارة ماصمم به عزمى على الشروع فيما أردته والاتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممه (بانوار التنزيل وأسرار التأويل) فها أنا الآن أشرع و بحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطى كل مسؤل

﴿ سورة فاتحة الكتاب مكية وآيها سبع آيات ﴾

وتسمى أم القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أولانها تشتمل على مافيه من الثناء على الله سبحانه و تعالى والتعبد بأمره ونهيه و بيان وعده ووعيده أوعلى جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز * والوافية * والكافية لذلك * وسورة الحمد * والشكر * والدعاء * وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها * والصلاة لوجوب قراءتها أواستحبابها فيها * والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هى شفاء من كل داء والسبع المثانى لانها سبع آيات بالاتفاق الا أن منهم من عد التسمية دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى فى الصلاة أو الانزال ان صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهو مكى بالنص ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعى وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعى ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشئ فظن أنها ليست من السورة عنده * وسئل محمد بن الحسن عنها فقال مابين الدفتين كلام الله تعالى (ولنا أحاديث كثيرة) منها ماروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم * وقول أم سلمة رضى الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن أجلهما اختلف فى أنها آية برأسها أم بما بعدها والاجماع على أن مابين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها فى المصاحف مع المبالغة فى تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين * والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لان الذى يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل مايجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم مايطابقه و يدل عليه أوابتدائى لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا أوقع كما فى قوله بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل فى التعظيم وأوفق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لاوقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لايتم ولا يعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه و يحمد على نعمه و يسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما و بين لام الابتداء * والاسم عند أصحابنا البصريين من الاسماء التى حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال و بنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك و يقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامى وسمى وسميت ومجىء سمى كهدى لغة فيه قال

والله أسماك سمى مباركا * آثرك الله به ايثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له * ومن السمة عند الكوفيين وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ماحذف صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسم قال * بسم الذى فى كل سورة سمه * والاسم ان أريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من أصوات متقطعة غير قارة و يختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لايكون كذلك وان أريد به ذات الشىء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب أوالاسم فيه مقحم كما فى قول الشاعر * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * وان أريد به الصفة كما هو رأى الشيخ أبى الحسن الاشعرى انقسم انقسام الصفة عنده الى ماهو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ماليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه أوللفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ماهو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله أصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا أنه مختص بالمعبود بالحق والاله فى الاصل لكل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من أله الهة والوهة وألوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستاله وقيل من أله اذا تحير لان العقول تتحير فى معرفته أو من ألهت الى فلان أى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته أومن أله اذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره أجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه أومن أله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه فى الشدائد أومن وله اذا تحير وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة غليها استثقال الضمة فى وجوه فقيل اله كاعاء واشاح و يرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شىء وعما لايليق به و يشهد له قول الشاعر

كحلفة من أبى رباح * يشهدها لاهه الكبار

وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لابدله من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق

عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لااله الاالله توحيدا مثل لااله الاالرحمن فانه لايمنع الشركة والاظهر انه وصف فى أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لايستعمل فى غيره وصار له كالعلم مثل الثريا والصعق أجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقى أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما أفاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى وهو الله فى السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ماقبله أو انضم سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

ألا لابارك الله فى سهيل * اذا ماالله بارك فى الرجال والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على مافيها وأسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى أفعال دون المبادى التى تكون انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يارحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضى الترقى من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لايوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتها وذلك لايصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيح رقة الجنسية أو حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة فى ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التى بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لايقدر عليها أحد غيره أو لان الرحمن لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ماخرج منها فيكون كالتتمة والرديف له أو للمحافظة على رؤس الآى والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله تعالى أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة الحاقا له بما هو الغالب فى بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف أن المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره ﴿الحمد لله﴾ الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا فهو أعم منهما من وجه وأخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد ومافى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر وماشكر الله من لم يحمده * والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرىء به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التى تنصب بأفعال مضمرة لاتكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى مايعرف كل أحد أن الحمد ماهو أو للاستغراق اذ الحمد فى الحقيقة كله له اذ مامن خير الا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حى قادر مريد عالم اذ الحمد لايستحقه الا من كان هذا شأنه وقرىء الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة ﴿رب العالمين﴾ الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء الى كماله شيأ فشيأ ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمى به المالك لانه يحفظ مايملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله * ارجع الى ربك * والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى وهو كل ماسواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ماتحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم وقيل اسم وضع لذوى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر مافى العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما أبدعه فى العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى * وفى أنفسكم أفلا تبصرون * وقرىء رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذى دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات كما هى مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة الى المبقى حال بقائها ﴿الرحمن الرحيم﴾ كرره للتعليل على ماسنذكره ﴿مالك يوم الدين﴾ قراءة عاصم والكسائى ويعقوب ويعضده قوله تعالى * يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله * وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة أهل الحرمين ولقوله تعالى * لمن الملك اليوم * ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهى فى المأمورين من الملك وقرىء ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا أضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم ياسارق الليلة أهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة * ونادى أصحاب الجنة * أوله الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لايستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لايستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على مابعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لايقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى أول الكلام على ماهو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره وهو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين للعين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من أسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى * حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم * وقوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرىء القيس تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذى العائر الارمد وذلك من نبأ جاءنى * وخبرته عن أبى الاسود واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لامحل لها من الاعراب كالتاء فى أنت والكاف فى أرايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وهو شاذ لايعتمد عليه وقيل هى الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرىء أياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لاتستعمل الا فى الخضوع لله تعالى * والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية أو غير ضرورية والضرورية مالايتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل مايتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لايتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات كلها أو فى أداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارىء ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ماهو مقدم فى الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغى أن يكون نظره الى المعبود أولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة سنية بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لايلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ماحكى الله عن حبيبه حين قال لاتحزن ان الله معنا على ماحكاه عن كليمه

سورة فاتحة الكتاب مكية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين ۞ الرحمن الرحيم ۞ ملك يوم الدين ۞ اياك نعبد واياك نستعين ۞ اهدنا الصراط المستقيم ۞ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۞

لا يمسه الا المطهرون

حين قال ان معى ربى سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على أنه المستعان به لاغير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة وأقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على أن العبادة أيضا مما لايتم ولا يستتب له الابمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرىء بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم مابعدها ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ بيان المعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا أو افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهداية وهوادى الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى وأصله أن يعدى باللام أو الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى ٭ واختار موسى قومه ٭ وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لايحصيها عد كما قال تعالى ٭ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ولكنها تنحصر في أجناس مترتبة ٭ الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة ٭ والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه أشار حيث قال وهديناه النجدين وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ٭ والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ٭ والرابع أن يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى أو الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة مامنحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط غواشى أبداننا لنستضىء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة ٭ والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعته فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاى ليكون أقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذى لاخفاء فيه ان الطريق المستقيم مايكون طريق المؤمنين ٭ وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء وقيل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل أصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرىء صراط من أنعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى في الاصل الحالة التى يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهى اللين ونعم الله وان كانت لاتحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها تنحصر في جنسين دنيوى وأخروى والاول قسمان وهبى وكسبى والوهبى قسمان روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل ومايتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضا والكسبى تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثانى أن يغفر له مافرط منه ويرضى عنه ويبوأه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من الآخر فان ماعدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح بأحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ٭ ولقد أمر على اللئيم يسبني ٭ وقولهم انى لامر على الرجل مثلك فيكرمني أو جعل غير معرفة بالاضافة لانه أضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل أنعمت أو باضمار أعنى أو بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا أسند الى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على مامر وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد مافي غير من معنى النفى فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيدا لاضارب وان امتنع أنا زيدا مثل ضارب وقرىء وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوى عمدا أو خطأ وله عرض عريض والتفاوت مابين أدناه وأقصاه كثير ٭ قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرىء ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ﴿ آمين ﴾ اسم الفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد ألفه وقصرها قال ٭ ويرحم الله عبدا قال آمينا ٭ وقال ٭ أمين فزاد الله مابيننا بعدا ٭ وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمنى جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روى عن وائل بن حجر أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قال قلت بلى يارسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته وعن ابن عباس رضى الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ أتاه ملك فقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا أعطيته وعن حذيفة بن اليمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

﴿ سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم (الم) وسائر الالفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التى ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار مايخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحوذلك عليها وبه صرح الخليل وأبوعلى وماروى ابن مسعود رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفامن كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشرأمثالها لاأقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غيرالمعني الذى اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعني اللغوى ولعله سماه باسم مدلوله ☆ ولما كانت مسمياتها حروفاوحدانا وهى مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى أول مايقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذرالابتداء بها وهى مالم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص و ق مجموعافيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة أين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على أن أصل المتلو عليهم كلام منظوم مماينظمون منه كلامهم فلوكان من عند غيرالله لماعجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون أول مايقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فامامن الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيماوقدراعى في ذلك مايعجزعنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهوانه أورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسماهى نصف أسامى حروف المعجم ان لم يعدفيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذاعدفيها الالف الاصلية مشتملة على انصاف أنواعها فذكر من المهموسة وهى مايضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها • ستشحثك خصفه • نصفها الحاء والهاء والصاد

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞

تنزيل من رب العالمين

والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه • لن يقطع أمر • ومن الشديدة الثمانية المجموعة في أجدت طبقك أربعة يجمعها أقطك ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها أقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى أحدعشر على ماذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها أحد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة أخرى وهى اللام في أصيلال والصاد والزاى في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في أعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقدذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولايدغم في المقارب وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاى والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لمافي الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لاتدغم فيمايقاربها ويدغم فيها مقاربها وهى الميم والزاى والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها رب منفل والحلقية التى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لاتتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى يجمعها اليوم تنساه سبعة أحرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التى أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف وأربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلاحذف كبل وفي الفعل بحذف كقل كقل وفي الاسم بغيرحذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة أوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف من وان ومذ على لغة من جربها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشر سورة تنبيها على أن أصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على أن لكل منهما أصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد بأجمعها في أول القرآن لهذه الفائدة مع مافيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعني ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف أو المؤلف منها كذا وقيل هى أسماء للسور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بأنها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى

ولما أمكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما أن يراد بها السور التى هى مستهلها على أنها ألقاب بها أو غير ذلك والثانى باطل لانه اما أن يكون المراد ماوضعت له في لغة العرب فظاهر أنه ليس كذلك أو غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربى مبين فلا يحمل على ماليس في لغتهم ☆ لا يقال لم لايجوز أن تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كماقاله قطرب أو اشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله ☆ قلت لها قفى فقالت قاف ☆ كماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله أعلم ونحوذلك في سائر الفواتح ☆ وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أى القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام أو الى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كماقال أبو العالية متمسكا بماروى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلاندرى بأيها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة والسجيل والقسطاس أو دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط أسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها أسماء السور يخرجها الى ماليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث

انها فواتح السور ولا يقتضى ذلك أن لا يكون لها معني في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم أما الشعر فشاذ وأما قول ابن عباس فتنبيه على أن هذه الحروف
منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل بأمثلة حسنة ألا ترى أنه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعانى دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعني ولا بحساب
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز أنه عليه السلام تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار أشياء لا دليل عليها والتسمية
بثلاثة أسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر أسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من أسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته مؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور لاختلاف الجهتين والوجه الاول أقرب الى
التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ماهو مقصود بالعلمية وقيل انها أسماء القرآن ولذلك
أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها أسماء الله تعالى ويدل عليه أن عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص و ياحمعسق ولعله أراد يامنزلهما وقيل الالف من أقصى الحلق وهو
مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو أوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى أن العبد ينبغى أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل
انه سر استأثر الله بعلمه وقد روى عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة مايقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ
يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها أسماء الله تعالى أو القرآن أو السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء أو الخبر أو النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله
لافعلن بالنصب أو غيره كما ذكر أو الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة أو موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الافيما
عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان أبقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء أو الخبر على مامر وان جعلتها
مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا أو مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها أبعاض كلمات أو أصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه
لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى مابعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين وأما
عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم آية وحمعسق آيتان والبواقى ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ﴿ذلك الكتاب﴾
ذلك اشارة الى الم ان أول بالمؤلف من هذه الحروف أوفسر بالسورة أو القران فانه لما تكلم به وتقضى أو وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا أشير اليه بما يشار
به الى البعيد وتذكيره متى أريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره أو صفته الذى هو هو أو الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى
انا سنلقى عليك قولا ثقيلا أو فى الكتب المتقدمة وهو مصدر سمى به المفعول للمبالغة وقيل فعال بمعني المفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه مما يكتب
وأصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة ﴿لاريب فيه﴾ معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان أحدا
لا يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما أبعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو أن يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه
و يبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لاريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه
الظرف الواقع صفة للمنفى والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس و يزيل الطمأنينة وفي
الحديث دع ما يريبك الى مالا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه ﴿هدى للمتقين﴾ يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى
والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب
واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر و بهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس أو لانه لا ينتفع بالتأمل فيه
الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه أشار
بقوله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح مافيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه
والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه مما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى من العذاب المخلد
بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو
المعني بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق و يتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة واعلم أن الآية تحتمل أوجها من الاعراب أن يكون الم مبتدأ على انه اسم للقرآن أو السورة
أو مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان أخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة
ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أو بدلا والكتاب صفته ولاريب في المشهورة مبني لتضمنه معني من منصوب المحل
على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها تقتضيها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة أبى الشعثاء مرفوع بلا التى بمعني ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى
لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف
على لاريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لاريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معني انه الكتاب الكامل الذى يستأهل ان
يسمى كتابا أو صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان
المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى ولاريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه الكتاب المنعوت بغاية
الكمال اذ لا كمال أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدا جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع السابقة منها
اللاحقة استتباع الدليل للمدلول و بيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد
الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا أنقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففى
الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة
وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ اما موصول بالمتقين على انه صفة
مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك مالا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيآت لاشتماله
على ماهو اصل الاعمال وأساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصى
غالبا ألا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام أو مسوقة للمدح بما تضمنه المتقين
وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر مايدخل تحت اسم التقوى أو على انه مدح منصوب أو مرفوع بتقدير أعني أو هم الذين واما
مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره أولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من الامن كأن المصدق آمن المصدق من
التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معني الاعتراف وقد يطلق بمعني الوثوق من حيث ان الواثق بالشيء صار ذا أمن منه ومنه ما آمنت أن أجد صحابة وكلا الوجهين حسن
في يؤمنون بالغيب وأما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار
به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فكافر ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج
وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذى يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى أضاف الايمان الى القلب فقال أولئك كتب في قلوبهم الايمان وقلبه

مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصى فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه أقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في أن مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود أم لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند أكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع أن يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمى المطمئن من الارض والخمصة التى تلى الكلية غيبا أو فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذى لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا اذا جعلته صلة الايمان وأوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعني الغيبة والخفاء والمعني انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن أو عن المؤمن به لما روى أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال والذى لا اله غيره ما آمن أحد أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعني يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة (ويقيمون الصلاة) أى يعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها من أقام العود اذا قومه أو يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت وأقمتها اذا جعلتها نافقة قال

أقامت غزالة سوق الضراب ☆ لاهل العراقين حولا قميطا

فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه أو يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر وأقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد أو يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول أظهر لانه أشهر والى الحقيقة أقرب وأفيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعني الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمى الداعى مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد (ومما رزقناهم ينفقون) الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه وأما المعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق ألا ترى انه تعالى أسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بأنهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأنفق الشيء وأنفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معني الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والاصل فيه أو خصصه به لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه لمنع المكلف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل أن يراد به الانفاق من جميع المعاون التى آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون ﴿ والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول أخصين تحت أعم اذ المراد بأولئك الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما أو على المتقين وكأنه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من أهل الملل ويحتمل أن يراد بهم الاولون بأعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ☆ وليث الكتيبة فى المزدحم

وقوله

يالهف ذئابة للحارث الـ ☆ صابح فالغانم فالآيب

على معني انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين أو طائفة منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول والمراد بما أنزل اليك القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما أنزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل أحد يوجب الحرج وفساد المعاش ﴿ وبالآخرة هم يوقنون ﴾ أى يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من أن الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارا وان النار لن تمسهم الا أياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن عداهم من أهل الكتاب وبأن اعتقادهم في أمر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفى الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم البارى تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرىء يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره

لحب المؤقدان الى مؤسى • وجعدة اذا ضاءهما الوقود

﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ الجملة في محل الرفع ان جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فأجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكأنها نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة أو جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره أحسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو أبلغ من أن يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعني الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه أريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلى

فلا وأبى الطير المربة بالضحى ☆ على خالد لقد وقعت على لحم

وأكد تعظيمه بأن الله تعالى مانحه والموفق له وقد أدغمت النون فى الراء بغنة وبغير غنة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون فى الآخرة أو الاشارة الى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم ﴿ تنبيه ﴾ تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله كل أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء أثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون فى الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا

﴿ ان الذين كفروا ﴾ لما ذكر خاصة عباده وخلاصة أوليائه بصفاتهم التى أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة المردة الذين لاينفع فيهم الهدى ولاتغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم لتباينهما فى الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهما كهم فى الضلال وان من الحروف التى تشابه الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدى خاصة فى دخولها على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعى وهو نصب الجزء الاول ورفع الثانى ايذانا بأنه فرع فى العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهى بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها فى خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر فى معرض الشك مثل قوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليهم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما معهود والمراد به ناس بأعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند اليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع انكار ماعلم بالضرورة مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لايجترىء عليها ظاهرا لا لانها كفر فى أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء فى القرآن بلفظ الماضى على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لايستلزم حدوث الكلام كما فى العلم ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ خبران وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ
۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ
مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ
الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ
النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ
وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا
آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا
نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۞

تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا أريد به تمام ماوضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم • تسمع بالمعيدى خير من أن تراه • وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والانذار التخويف أريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع فى القلب وأشد تأثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضر أهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى وقرىء أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها ألفا وهو لحن لان المتحركة لاتقلب ولانه يؤدى الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها ﴿ لايؤمنون ﴾ جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل عنه أو خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف مالايطاق فانه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لايؤمنون وأمرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بأنهم لايؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لاتستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشىء أو عدمه لاينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بأنه لاينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على ماهو به ان أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه والختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشىء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى أنه آخر فعل يفعل فى احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشىء كالعصابة والعمامة ولاختم ولاتغشيه على الحقيقة وانما المراد بهما أن يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لاينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لاتجتلى الآيات المنصوبة لهم فى الانفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وبالاغفال فى قوله تعالى ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات بأسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثانى أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث أن ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه أسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان أعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادى أمرهم فى الغى وتناهى انهماكهم فى الضلال والبغى الخامس أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين الآية السادس ان ذلك فى الآخرة وانما أخبر عنه بالماضى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع

الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ماهو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرىء بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة أو على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرىء بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشيء ونكل عنه اذا أمسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فأطلق على كل ألم قادح وان لم يكن نكالا أى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على أبصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾ لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ
ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۞ صُمٌّ
بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۞ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ
وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ
الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا
وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞
وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞
فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۞

المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للقسم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بأفعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وأنزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس أصله أناس لقولهم انسان وأنس وأناسى فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعـ * ن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في أبنية الجمع مأخوذ من أنس لانهم يستأنسون بأمثالهم أو آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال ومن الناس ناس يقولون أو للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن أبى وأصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها أبعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بأنهم احتازوا الايمان من جانبيه وأحاطوا بقطريه وايذان بأنهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لا تمسهم الا أياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ماقالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرار الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى أو الى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة ﴿ وماهم بمؤمنين ﴾ انكار ما ادعوه ونفى ما انتحلوا اثباته وكان أصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا أو مبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الايمان عنهم في ماضى الزمان ولذلك أكد النفى بالباء وأطلق الايمان على معنى أنهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل أن يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على أن من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثانى فلا ينهض حجة عليهم ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ﴾ الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا أوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء أحكام المسلمين عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين أمر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد يخادعون يخدعون لانه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا أنه أخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد ﴿ ومايخدعون الا أنفسهم ﴾ قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو والمعنى أن دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم أنفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون ومايخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرىء ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح أو متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها أو يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم ﴿ ومايشعرون ﴾ لا يحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ
رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً
فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا
مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ
إِلَّا الْفَاسِقِينَ ۞ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ كَيْفَ تَكْفُرُونَ
بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَ
لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞

وإذ

﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ﴾ المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة من نيل الفضائل أو مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على مافات عنهم من الرياسة وحسدا على مايرون من ثبات أمر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء أمره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله سبحانه وتعالى ذلك بالطبع أو بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل أن يراد بالمرض ماتداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ أى مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله * تحية بينهم ضرب وجيع * على طريقة قولهم جد جده ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم أو من كذب الذى هو للمبالغة أو للتكثير مثل بين الشىء وموتت البهائم أو من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ماوراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشىء على خلاف ماهو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه ومارووى أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمى به ﴿ واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض ﴾ عطف على يكذبون أو يقول * ومارووى عن سلمان رضى الله عنه أن أهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله أراد به أن أهلها ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشىء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع * وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد مافي الارض من الناس والدواب والحرث * ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعض المؤمنين * وقرأ الكسائى وهشام قيل باشمام الضم الاول ﴿ قالوا انما نحن مصلحون ﴾ جواب لاذا رد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى أنه لايصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر مادخلت عليه على مابعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴿ ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ﴾ رد لما ادعوه أبلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقيق مابعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى أفادت تحقيقا ونظيره أليس ذلك بقادر ولذلك لاتكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم وأختها أما التى هى من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد مافي قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون ﴿ واذا قيل لهم آمنوا ﴾ من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لاينبغى وهو المقصود بقوله لاتفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا ﴿ كما آمن الناس ﴾ في حيز النصب على المصدر وما مصدرية أو كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمى ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله * اذ الناس ناس والزمان زمان * أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وأن الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد ﴿ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس أو الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم أو لتحقير شأنهم فان أكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام وأشياعه والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله ﴿ ألا انهم هم السفهاء ولكن لايعلمون ﴾ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ماهو الواقع أعظم ضلالة وأتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لانه أكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على أمر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر وأما النفاق ومافيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من أقوالهم وأفعالهم ﴿ واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ بيان لمعاملتهم المؤمنين والكفار وماصدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير * روى ان ابن أبى وأصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر رضى الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدى الفاروق القوى في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى ﴿ واذا خلوا الى شياطينهم ﴾ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه أو من خلاك ذم أى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية أو من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة على أنه من شاط اذا بطل ومن أسمائه الباطل ﴿ قالوا انا معكم ﴾ أى في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ماقالوه مع الكفار ﴿ انما نحن مستهزؤن ﴾ تأكيد لما قبله لان المستهزىء بالشىء المستخف به مصر على خلافه أو بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فأجابوا بذلك والاستهزاء

السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كأجبت واستجبت وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به أى تسرع وتخف ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ أو لكونه مماثلا له فى القدر أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء أو الغرض منه أو يعاملهم معاملة المستهزئ أما فى الدنيا فباجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان وأما في الآخرة فبأن يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على أن الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى أن يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة مايفعل الله تعالى بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أومرتين ﴿ ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ من مد الجيش وأمده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى ألطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا وأمكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا أسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب مجازا وأضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم أن اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك أنه لما أسند المد الى الشياطين أطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم في الغى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ۞ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ۞ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظّٰلِمِينَ ۞ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۞ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞

أو أصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء لا منار بها قال * أعمى الهدى بالجاهلين العمه * ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان أحد العوضين ناضاتعين من حيث انه لا يطلب لعينه أن يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فأى العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعانى أو الاعيان ومنه قول الشاعر

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا جيذرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم أخلوا بالهدى الذى جعله الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا اليها أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمى شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل أو لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ﴾ لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه أوقع فى القلب وأقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما أكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضر به بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أوقصة أوصفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها لانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لا تجمع أخواتها ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذى استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعى في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا ﴿ فلما أضاءت ما حوله ﴾ أى النار ماحول المستوقد ان جعلتها متعدية والا أمكن أن تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما حوله أشياء وأماكن أو الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف أومزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ جواب لما والضمير للذى وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أوبدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وأمن الالتباس واسناد الذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله أو لان الاطفاء حصل بسبب خفى أو أمر سماوى كريح أومطر أو للمبالغة ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا أخذه وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله ﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ فذكر الظلمة التى هى عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها

ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لايتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه * يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ماظلمك أن تفعل كذا أى مامنعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمدى أو ظلمة شديدة كأنها ظلمة متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم أضاعوا مانطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أوارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له أحوال الارادة فادعى أحوال المحبة فاذهب الله عنه ماأشرق عليه من أنوار الارادة أومثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها ﴿صم بكم عمى﴾ لماسدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم و يتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله

صم اذاسمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا وكقوله أصم عن الشيء الذى لاأريده * وأسمع خلق الله حين أريد

واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذمن شرطها أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام الطائى

و يصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السماء

وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره

أسد على وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذاجعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى على حقيقتها والمعني انهم لما أوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع لان سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لاتجويف فيه فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة ﴿فهم لايرجعون﴾ لايعودون الى الهدى الذى باعوه وضيعوه أوعن الضلالة التى اشتروها أوفهم متحيرون لايدرون أيتقدمون أم يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم ﴿أو كصيب من السماء﴾ عطف على الذى استوقد أى كمثل ذوى صيب لقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وأو في الاصل للتساوى في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوى من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولاتطع منهم آثما أوكفورا فانها تفيد التساوى في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أوكصيب *ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ * وأسحم دان صادق الرعد صيب * وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء وقال

* ومن بعد أرض بيننا وسماء * أمدبه مافي الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية ﴿فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ ان أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وان أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق مايلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر الضمير لان المعني ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لماذكر مايؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما أطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة ﴿من الصواعق﴾ متعلق بيجعلون أى من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لاتمر بشيء الاأتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع أومشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته بالاحراق أوشدة الصوت وقرىء من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهى في الاصل اما صفة لقصفة الرعد أوللرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أومصدر كالعافية والكاذبة ﴿حذر الموت﴾ نصب على العلة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره * واصفح عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعني التقدير والاعدام مقدرة ﴿والله محيط بالكافرين﴾ لايفوتونه كما لايفوت المحاط به المحيط لايخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لامحل لها ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ماحالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط أولوجود مانع وعسى موضوعة لرجائه فهى خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معني المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرىء يخطف بكسر الطاء و يخطف على أنه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم أدغمت في الطاء و يخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويخطف ويتخطف ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا﴾ استئناف ثالث كأنه قيل مايفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك وأضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعني كلما نور لهم ممشى أخذوه

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ
وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ
وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ
فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ
الرَّاكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
۝ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا
شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝

أولازم بمعني كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل و يشهدله قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام
هما أظلما حالى ثمة أجليا ۞ ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنا قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ﴿ ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ﴾ اى ولوشاء الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لايكاد يذكر الافي الشيء المستغرب كقوله ۞ فلوشئت ان أبكي دما لبكيته ۞ ولومن حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرىء لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة ۞ وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام مايقتضيه والتنبيه على أن تأثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته وقوله ﴿ ان الله على كل شيء قدير ﴾ كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء أطلق بمعني شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيء أخرى أى مشيء وجوده وماشاء الله وجوده فهو موجود فى الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلامثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء مايصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أومايصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضا لزمهم التخصيص بالممكن فى الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ
فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ
لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ ثُمَّ
عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذْ ءَاتَيْنَا
مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ
فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ
بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ
يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ
ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞

لما يشاء على مايشاء ولذلك قلمايوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ماتقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور لله تعالى والظاهر أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيأ واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بمامعهم من التوراة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفأت ناره بعد ايقادها فى ظلمة أو بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرىء القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ۞ لدى وكرها العناب والحشف البالى بأن يشبه فى الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ماحول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم فى الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفى الثانى أنفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا فى نفسه لكنه لما وجد فى هذه الصورة عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين ومايطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لايرد من قدر الله تعالى شيأ ولايخلص ممايريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلماصادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف أن تخطف أبصارهم فخطوا خطايسيرة ثم اذاخفى وفتر لمعانه بقوا متقيدين لاحراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ماأوتى الانسان من المعارف التى هى سبب الحياة الابدية بالصيب الذى به حياة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشككة بالظلمات وشبه مافيهامن الوعد والوعيد بالرعد ومافيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنيه عنها مع أنه لاخلاص لهم منها وهو معني قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد تطمح اليه أبصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم فى الامر حين تعرض لهم شبهة أو تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا أظلم عليهم ونبه سبحانه بقوله ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم على أنه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولوشاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها لانفسهم فانه على مايشاء قدير

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ لماعدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة وياحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يارب ويا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعوله وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل وأى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفى التعريف فانهما كمثلين وأعطى حكم المنادى وأجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه أى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة فى القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل مانادى الله له عباده من حيث انها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الابلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لاعهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ماخصه الدليل وماروى عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكى ويا أيها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلايوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فان المأمور به هو القدر المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بمايجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب مالايتم الا به وكما أن الحدث لايمنع وجوب الصلاة فالكفر لايمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هى الربية ﴿ الذى خلقكم ﴾ صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التى يسمونها أربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير

واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس ﴿ والذين من قبلكم ﴾ متناول كل مايتقدم الانسان بالذات أو بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرىء من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير فى قوله ❊ ياتيم تيم عدى لا أبا لكمو ❊ تيما الثانى بين الاول وما أضيف اليه ﴿ لعلكم تتقون ﴾ حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شىء سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق أى خلقكم لكى تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على أن الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بأفعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الاجر قبل العمل ﴿ الذى جعل لكم الارض فراشا ﴾ صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجىء على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله

فقد جعلت قلوص بنى سهيل ❊ من الاكوار مرتعها قريب

وبمعنى أوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول أو العقد أخرى ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا ظاهرا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها ﴿ والسماء بناء ﴾ قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ﴾ عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان أجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما أو أودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على أن يوجد الاشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء أو الفلك فان المطر يبتدىء من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر أو من أسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من أعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له أعنى ماء ورزقا كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه أراد بالثمرات جماعة الثمرة التى في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد أو لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء أو لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان أريد به المرزوق ومفعوله ان أريد به المصدر كأنه قال رزقا اياكم ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ متعلق باعبدوا على انه نهى معطوف عليه أو نفى منصوب باضمار ان جواب له أو بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله أندادا أو بالذى جعل ان استأنفت به على أنه نهى وقع خبرا على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغى أن لا يشرك به والند المثل المناوىء قال جرير

أتيما تجعلون الى ندا ❊ وما تيم لذى حسب نديد

من ند يند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوى بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

أربا واحدا أم ألف رب ❊ أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا ❊ كذلك يفعل الرجل البصير

﴿ وأنتم تعلمون ﴾ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أى وحالكم انكم من أهل العلم والنظر واصابة الراى فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوى وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله سبحانه وتعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله سبحانه وتعالى والنهى عن الاشراك به تعالى والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه أنه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بأنها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق أصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة أعم من المطعوم والرزق أعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه أراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما أفاض عليه من المعانى والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما أفاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ
مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۞ فَجَعَلْنَٰهَا
نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ
۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ
بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ
مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا
مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ۞

الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حدمطلعا ﴿ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنافأتوا بسورة ﴾ لما قرر وحدانيته تعالى وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ماهوالحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق والخامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف مايتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كمايدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ماترى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهم كماحكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة وأضاف العبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرىء عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على مافيها أومن السورة التى هى الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة ✻ في المجد ليس غرابها بمطار

لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارىء أولها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشىء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارىء وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم أنه قطع ميلا أوطوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه أخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غيرذلك من الفوائد ﴿من مثله﴾ صفة سورة أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الاخفش أى بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة وحسن النظم أولعبدنا ومن للابتداء أى بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا أميالم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أوصلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل أوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدى ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أوتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدى من أن يقال لهم ليأت بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾ فانه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أوالقائم بالشهادة أو الناصر أو الامام وكأنه سمى به لانه يحضر النوادى وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول فى سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه أوالملائكة حضروه ومعني دون أدنى مكان من الشىء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا أى خذه من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو أى فى الشرف ومنه الشىء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى أمر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أى لايتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين قال أمية ✻ يانفس مالك دون الله من واق ✻ أى اذا تجاوزت وقاية الله فلايقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى فانه لايقدر على أن يأتى بمثله الا الله أو وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة أو بشهدائكم أى الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء وآلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدى الله تعالى على زعمكم من قول الاعشى ✻ تريك القذى من دونها وهى دونه ✻ ليعينوكم وفى أمرهم أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله أى من دون أوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله فان العاقل لايرضى لنفسه أن يشهد بصحة مااتضح فساده وبان اختلاله ﴿ان كنتم صادقين﴾ أنه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ماقبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة أو امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به ﴿فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة﴾ لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ماهو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكأنه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى أصله لا أن وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نونا والوقود بالفتح ماتوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرىء به والظاهر أن المراد به الاسم وان أريد به المصدر فعلى حذف مضاف أى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه أو بنقيض ماكانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير

دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لايتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله عني به أن الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد مانزل بمكة قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة بازائها فانها يجب أن تكون قصة معلومة ﴿ أعدت للكافرين ﴾ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرىء أعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف أوحال باضمار قد من النار لا الضمير الذى في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين مايدل على النبوة من وجوه الاول مافيهما من التحدى والتحريض على الجدو بذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجؤا الى جلاء الوطن و بذل المهج والثانى أنهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ماهو به فانهم لو عارضوه بشىء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه صلى الله عليه وسلم لوشك في أمره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى أعدت للكافرين دل على أن النار مخلوقة معدة الآن لهم ﴿ و بشر الذين آمنو وعملوا الصالحات أن لهم جنات ﴾ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ماجرت به العادة الالهية من أن يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ماينجى وتثبيطا عن اقتراف مايردى لاعطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطاب له مايشاكله من أمر أونهى فيعطف عليه أوعلى فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعى أن يخوف هؤلاء و يبشر هؤلاء وانما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أوعالم كل عصر او كل أحد يقدر على البشارة بان يبشرهم

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا
بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۞ قَالُوا ادْعُ
لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ
اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۞ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا
قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ۞
وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي
اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ
مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ
فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ
اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞

ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بأنهم أحقاء بأن يبشروا و يهنؤا بما أعد لهم وقرىء و بشر على البناء للمفعول عطفا على أعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر أثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو حر فاخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرنى عتقوا جميعا وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم أوعلى طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة

كيف الهجاء وماتنفك صالحة * من آل لام بظهر الغيب تأتيني

وهى من الاعمال ماسوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة أوالخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس والعمل الصالح كالبناء عليه ولاغناء باس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل أن الشىء لايعطف على نفسه ولاعلى ماهو داخل فيه أن لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه أو مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمى بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ماتحته سترة واحدة قال زهير

كأن عيني في غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا

أى نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ماأعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ماذكره ابن عباس رضى الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام في لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ماترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لالذاته فانه لا يكافىء النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولاعلى الاطلاق بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها ﴿ تجرى من تحتها الانهار ﴾ أى من تحت أشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق أنهار الجنة تجرى في غير أخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى أوللعهد والمعهود هى الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار أوالمجاز أوالمجارى أنفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما في قوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها الآية ﴿ كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا ﴾ صفة ثانية لجنات أوخبر مبتدأ محذوف أوجملة مستأنفة كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أوأجناس أخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال وأصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتدؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال و يحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك أسدا وهذا اشارة الى نوع مارزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لاينقطع فانك لاتعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعني هذا مثل الذى رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك أبو يوسف أبو حنيفة ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه أول مايرى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره و يتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لايكون الا كذلك أوفي الجنة لان طعامها متشابه في الصورة كما حكى ابن كثير عن الحسن رضى الله عنهما أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أوكما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول أظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة ﴿ وأتوا به متشابها ﴾ اعتراض يقرر ذلك والضمير

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا
أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا
تعقلون ۞ أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
۞ ومنهم أميون لا يعلمون الكتب إلا أماني وإن هم إلا
يظنون ۞ فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت
أيديهم وويل لهم مما يكسبون ۞ وقالوا لن تمسنا النار إلا
أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده
أم تقولون على الله ما لا تعلمون ۞ بلى من كسب سيئة وأحاطت
به خطيئته فأولئك أصحب النار هم فيها خلدون ۞
والذين آمنوا وعملوا الصلحت أولئك أصحب الجنة هم فيها
خلدون ۞ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون
إلا الله وبالولدين إحسانا وذي القربى واليتمى
والمسكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ۞

على الاول راجع الى ما رزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله عز من قائل ـ هذا الذى رزقنا من قبل ـ ونظيره قوله عز وجل ـ ان يكن غنيا أوفقيرا فالله أولى بهما ـ أى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس فى الجنة من أطعمة الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة محملا اخر وهو ان مستلذات أهل الجنة في مقابلة مارزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذى رزقنا أنه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ﴿ ولهم فيها أزواج مطهرة ﴾ مما يستقذر من النساء ويذم من أحوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرىء مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهى فاعلة وفواعل * قال وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة ومطهرة للاشعار بأن مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عزوجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف *فان قيل فائدة المطعوم هوالتغذى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغني عنها فى الجنة *قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولاتشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع مايلزمها وتفيد عين فائدتها ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام أم لم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله تعالى ـ خالدين فيها أبدا ـ لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا أومجازا والاصل ينفيهما بخلاف مالو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى ـ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ـ لكن المراد به ههنا الدوام عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن *فان قيل الابدان مركبة من أجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان *قلت انه تعالى يعيدها بحيث لايعتورها الاستحالة بان يجعل أجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية فى القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لاينفك بعضها عن بعض كما يشاهد فى بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم وأحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة *واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء كان ملاك ذلك كله الدوام والثبات فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما أعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وأزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ﴿ ان الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة ﴾ لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وماهوالحق له والشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل أعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدور بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين وأصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها أقل من الذباب وأخس قدرا منه الله سبحانه وتعالى أعلى وأجل من أن يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وأيضا لما أرشدهم الى ما يدل على أن المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع في جواب ماطعنوا به فيه فقال تعالى ـ ان الله لايستحي ـ أى لايترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسى وحشى اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحي من ذى الشيبة المسلم أن يعذبه ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد

وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة أن يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم وأصله وقع شيء على آخر وأن بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد لقولك اعطني كتابا ما أى أى كتاب كان أومزيدة للتأكيد كالتى في قوله تعالى ـ فبما رحمة من الله ـ ولانعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل مالم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا أومفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة أوهما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وعلى هذا يحتمل ما وجوها أخر أن تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذى أحسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هى المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لايضرب به المثل بل له أن يمثل بما هو أحقر من ذلك ونظيره فلان لايبالى مما يهب ماديناراو ديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع

والعضب غلب على هذا النوع كالخموش ﴿ فما فوقها ﴾ عطف على بعوضة أو ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به
رد ما استنكروه والمعنى انه لايستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أوفي المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام
ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ماروى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن مسلم يشاك شوكة فما
فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ماتجاوز الشوكة في الالم كالخرور ومازاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة ﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ أما حرف تفصيل يفصل ما أجمل ويؤكد مابه صدر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه امازيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب أى هو ذاهب لامحالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن
كرهوا ايلاءها حرف الشرط فأدخلوها على الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم
والضمير في أنه للمثل أولان يضرب والحق الثابت الذى لايسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق
أى محكم النسج ﴿ وأما الذين كفروا فيقولون ﴾ كان من حقه وأما الذين كفروا فلايعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال
جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ يحتمل وجهين أن تكون ما استفهامية وذا بمعنى الذى وما بعده صلته والمجموع خبر
ما وأن تكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى أى شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال
والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه وتقال للقوة التى هى مبدأ النزوع
والاول مع الفعل والثانى قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف البارى تعالى به ولذلك
اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولامكره ولافعال غيره أمره بها فعلى
هذا لم تكن المعاصى بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح
فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه
دون وجه أومعنى يوجب هذا الترجيح وهى أعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا
استحقار واسترذال ومثلا نصب على التميز أو الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية
﴿ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ﴾ جواب ماذا أى اضلال كثير واهداء كثير ووضع
الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل
بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال
وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى أنفسهم لابالقياس الى مقابليهم فان المهديين
قليلون بالاضافة الى أهل الضلال كما قال تعالى وقليل ماهم وقليل من عبادى الشكور ويحتمل
أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال
* قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا * وقال

ان الكرام كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

﴿ وما يضل به الا الفاسقين ﴾ أى الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت وأصل الفسق الخروج عن
القصد قال رؤبة * فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق في الشرع الخارج عن أمر
الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابى وهو أن يرتكبها أحيانا مستقبحا
اياها والثانية الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو أن يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس
الكفر ومادام هو في درجة التغابى أو الانهماك فلايسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذى هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا
الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه
قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام
وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على أنه الذى أعدهم للاضلال وأدى بهم
الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم
عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه
واستهزؤا به وقرئ يضل بالبناء للمفعول والفاسقون بالرفع ﴿ الذين ينقضون عهد الله ﴾
صفة للفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب وأصله في طاقات الحبل واستعماله
في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر فان
أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ماهو من روادفه وهو أن العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم
يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها
تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه أول قوله
تعالى وأشهدهم على أنفسهم أو المأخوذ بالرسل على الامم بأنهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا حكمه واليه أشار بقوله
واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد أخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد أخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا
يتفرقوا فيه وعهد أخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولايكتموه ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام والمراد به ماوثق الله به عهده
من الآيات والكتب أو ماوثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ﴾
يحتمل كل قطيعة لايرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
مافيه رفض خير أو تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه
سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وأن يوصل يحتمل النصب
والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثانى أحسن لفظا ومعنى ﴿ ويفسدون في الارض ﴾ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۞
ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ
مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ
يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ
أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ
مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۞ وَلَقَدْ
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا
جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۞ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ۞

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞
بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ
عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
۞ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞

﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص مايفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من أنوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ﴿ كيف تكفرون بالله ﴾ استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى فان صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو أبلغ وأقوى فى انكار الكفر من أتكفرون وأوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات وو بخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى أخبرونى على أى حال تكفرون ﴿ وكنتم أمواتا ﴾ أى أجساما لاحياة لها عناصر وأغذية وأخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة ﴿ فأحيا كم ﴾ بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ﴿ ثم يميتكم ﴾ عند تقضى آجالكم ﴿ ثم يحييكم ﴾ بالنشور يوم ينفخ فى الصور أو للسؤال فى القبور ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم أو تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الآية تنبيه على مايدل على صحتهما وهو أنه تعالى لما قدر على أحيائهم أولا قدر على أن يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته أو الخطاب مع القبيلين فانه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان وأوعدهم على الكفر أكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية النعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض و بعضها مستقبل وكلاهما لا يصح أن يقع حالا أو مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم أمواتا جهالا فاحياكم بما أفادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة أو مايقتضيها و بها سمى الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على مايقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها وقال أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن ﴿ هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ﴾ بيان نعمة أخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى وهذه خلق مايتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح أبدانكم بوسط أو بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على أنه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولايمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على أن الكل للكل لا أن كل واحد لكل واحد ومايعم كل مافي الارض الا اذا أريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شىء وأصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولايمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى أى استولى وملك قال

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

والاول أوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية أو جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخى في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق مافيها عن خلق السماء وتسويتها الا أن تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم أشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر أمرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر ﴿ فسواهن ﴾ عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع أو هو فى معنى الجمع والا فمبهم يفسره مابعده كقولهم ربه رجلا ﴿ سبع سموات ﴾ بدل أو تفسير فان قيل أليس ان أصحاب الارصاد أثبتوا تسعة أفلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفى الزائد مع أنه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف ﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ماخلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لايتصور الامن عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من أن الابدان بعد ماتبددت وتفتتت أجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع أجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لايشذ شىء منها ولاينضم اليها مالم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين أما الاولى فهى أن مواد الابدان قابلة للجمع والحياة وأشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى أن يزول و يتغير وأما الثانية والثالثة فانه عز وجل عالم بها و بمواقعها قادر على جمعها واحيائها وأشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائها وابداء ماهو أعظم خلقا وأعجب صنعا فكان أقدر على اعادتهم وأحيائهم وأنه تعالى خلق ماخلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وأبو عمرو والكسائى الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد ** ﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة ﴾ تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان أمرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان

نسبة ماضية وقع فيه أخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه أخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث فى المكان و بنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازاة ومحلهما النصب أبدابالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لماذكرناه وأما قوله تعالى واذكر أخا عاد اذأنذر قومه بالاحقاف ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث
اذكان كذا فحذف الحادث وأقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا أواذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحافى القرآن كثيرا أومضمردل عليه مضمون الآية
المتقدمة مثل و بدأخلقكم اذقال وعلى هذافالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمرأنه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء
لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى و بين الناس فهم رسل الله أوكالرسل اليهم واختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على
أنها ذوات موجودة قائمة بنفسها فذهب أكثر المسلمين الى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من
النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء أنهم جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة
الحق جل جلاله والتنزه عن الاشتغال بغيره كماوصفهم فى محكم تنزيله فقال تعالى يسبحون اليل والنهار لايفترون وهم العلويون والملائكة المقربون وقسم يدبرالامر من السماء الى
الارض على ماسبق به القضاء وجرى به القلم الالهى لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وهم المدبرات أمرا فمنهم سماوية ومنهم أرضية على تفصيل أثبته فى كتاب
الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى أسكنهم فى الارض أولا فافسدوا
فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما في الارض خليفة أعمل فيهما لانه بمعنى المستقبل ومعتمد على

قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ۞ ولن يتمنوه
أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ۞
ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا
يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه
من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ۞ قل من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ۞
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال فان الله عدو للكافرين ۞ ولقد أنزلنا
اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ۞
أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم
لا يؤمنون ۞ ولما جاءهم رسول من عند الله
مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ۞

مسند اليه ويجوز أن يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه
للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي
استخلفهم الله في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذأمره فيهم لا لحاجة
به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغير وسط
ولذلك لم يستنبيء ملكا كما قال الله تعالى ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا ألا ترى أن الانبياء
لمافاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار أرسل اليهم
الملائكة ومن كان منهم أعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات
ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة أن العظم لما عجز عن قبول الغذاء
من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما
ليأخذ من هذا و يعطى ذلك أوخليفة من سكن الارض قبله أوهو وذريته لانهم يخلفون
من قبلهم أو يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما
استغني بذكر أبى القبيلة فى قولهم مضروهاشم أوعلى تأويل من يخلفكم أوخلقا يخلفكم
وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بأن بشر عزوجل
بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على مافيه من المفاسد
بسؤالهم وجوابه و بيان ان الحكمة تقتضي ايجاد مايغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل
الشر القليل شر كثير الى غير ذلك ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ تعجب
من أن يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الطاعة
أهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد وألغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في صدره وليس باعتراض
على الله تعالى جلت قدرته ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فانهم أعلى من أن يظن بهم
ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وانما عرفوا
ذلك باخبار من الله تعالى أوتلق من اللوح أواستنباط عما ركز فى عقولهم ان العصمة من
خواصهم أوقياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن أنواع من
الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح في الصب من أعلى
والشن في الصب من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرىء يسفك على البناء للمفعول
فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا أوموصوفا محذوفا أى يسفك الدماء فيهم
﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ حال مقررة لجهة الاشكال كقولك أتحسن الى أعدائك
وأنا الصديق المحتاج القديم والمعني أتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود
منه الاستفسار عما رجحهم مع ماهو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف
لا العجب والتفاخر وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذوثلاث قوى عليها مدار أمره شهوية
وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها
مفردة وقالوا ماالحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم مايتوقع منها سليما عن معارضة تلك
المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد مايقصر
عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى هوالمقصود من الاستخلاف واليه أشار تعالى اجمالا بقوله ﴿قال انى أعلم ما
لا تعلمون﴾ والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد له عن
الاقذار وبحمدك فى موضع الحال أى ملتبسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم اسناد التسبيح الى أنفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هوأعظم الافعال الذميمة بتطهير النفوس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة ﴿وعلم
آدم الاسماء كلها﴾ امابخلق علم ضرورى بهافيه أوالقاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم أعجمى
كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة أوالادمة بالفتح بمعنى الاسوة أومن أديم الارض لما روى عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم
فلذلك يأتى بنوه أخيافا أومن الادم أوالادمة بمعني الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق مايكون علامة
للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أومفردا مخبرا عنه أوخبرا أورابطة بينهما واصطلاحا فى
المفرد الدال على معنى في نفسه غيرمقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول أوالثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى أنه

تعالى خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعد الادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى - واشتعل الرأس شيبا - لان العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان أريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء أو مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرىء عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن أو مسمياتها ﴿ فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ﴾ تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف والتدبير اقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لايليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بفرض مايلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت ﴿ قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ﴾ اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ماخفى عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد أجرى علماً للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله
* سبحان من علقمة الفاخر * وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام - سبحانك تبت اليك -

الجزء الأول ١٧

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا
وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞

وقال يونس - سبحانك اني كنت من الظالمين ﴿ انك أنت العليم ﴾ الذى لايخفى عليه خافية ﴿ الحكيم ﴾ المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الا مافيه حكمة بالغة وأنت فصل وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك أنت وان لم يجز مررت بأنت اذ التابع يسوغ فيه مالا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبران ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ أى أعلمهم وقرىء بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما ﴿ فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ استحضار لقوله تعالى - اني أعلم ما لا تعلمون - لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور السموات والارض وما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لايعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لايخلق خلقا أفضل منهم وقيل ما أظهروا من الطاعة وأسر ابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم أن هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص أو عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفي أن يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله - انك أنت العليم الحكيم - وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى - وما منا الا له مقام معلوم - وان آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لانه أعلم منهم والاعلم أفضل لقوله تعالى - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وأنه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافا بفضله وأداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل أمرهم به قبل أن يسوى خلقه لقوله تعالى - فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين - امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة بأسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر

* ترى الاكم فيها سجداً للحوافر * وقال آخر * وقلن له اسجد لليلى فاسجدا *

يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمورية أما المعنى الشرعى فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه أو سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون نموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات بأسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ماقدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ماتباينوا فيه من المراتب والدرجات أمرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما أنعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان رضى الله تعالى عنه

أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن

أو في قوله تعالى - أقم الصلاة لدلوك الشمس - وأما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له أو التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ماينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في أن المأمورين بالسجود الملائكة كلهم أو طائفة منهم ما سبق ﴿ فسجدوا الا ابليس أبي واستكبر ﴾ امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذه وصلة في عبادة ربه أو يعظمه ويتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع ﴿ وكان من الكافرين ﴾ أى في علم الله تعالى أو صار منهم باستقباحه أمر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بأنه أفضل منه والافضل لايحسن أن يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما أشعر به قوله - أنا خير منه - جوابا لقوله - مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين - لا بترك الواجب وحده والآية تدل على أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وأن ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى الا ابليس كان من الجن لجواز أن يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما روى أن من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ
مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَقِيمُوا
الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَقَالُوا
لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصٰرَى
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ
۞ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞

وقالت

يقول انه كان جنيا نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه أوالجن أيضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم أن الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم أن الاصاغر أيضا مأمورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين كأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما أن من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما أشار اليه بقوله عز وعلا ـ الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ـ لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضىء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب مايصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولاتزال تتزايد حتى ينطفىء نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا أشبه بالصواب وأوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله سبحانه وتعالى • ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضى بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله تعالى من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا أبى الحسن الاشعرى رحمه الله تعالى ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وأنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما أولا تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولامعهود غيرها ومن زعم أنها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا ﴿ وكلا منها رغدا ﴾ واسعارافها صفة مصدر محذوف ﴿ حيث شئتما ﴾ أى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على أن القرب من الشىء يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشىء يعمى ويصم فينبغى أن لايحوما حول ماحرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى أوبنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهى أوالجواب له والشجرة هى الحنطة أوالكرمة أوالتينة أوشجرة من أكل منها أحدث والاولى أن لاتعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرىء بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه في قوله تعالى ـ وما فعلته عن أمرى ـ أوأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ويعضده قراءة حمزة فأزالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان أزل يقتضى عثرة مع الزوال وازلاله قوله ـ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ـ وقوله ـ ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ـ ومقاسمته اياهما بقوله ـ انى لكما لمن الناصحين ـ واختلف في أنه تمثل لهما فقاولهما بذلك أوالقاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له ـ اخرج منها فانك رجيم ـ فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل أرسل بعض أتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه وتعالى ﴿ فأخرجهما مما كانا فيه ﴾ أى من الكرامة والنعيم ﴿ وقلنا اهبطوا ﴾ خطاب لآدم عليه الصلاة والسلام وحواء لقوله سبحانه وتعالى ـ قال اهبطا منها جميعا ـ وجمع الضمير لانهما أصلا الجنس فكأنهما الانس كلهم أوهما وابليس أخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة أودخلها مسارقة أو من السماء ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله ﴿ ولكم في الارض مستقر ﴾ موضع استقرار أواستقرار ﴿ ومتاع ﴾ تمتع ﴿ الى حين ﴾ يريد به وقت الموت أو القيامة ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهى قوله تعالى ـ ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لااله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال نعم وأصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة ﴿ فتاب عليه ﴾ رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على أن لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنن ﴿ انه هو التواب ﴾ الرجاع على عباده بالمغفرة أوالذى يكثر اعانتهم على التوبة وأصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى أريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة ﴿ الرحيم ﴾ المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو ✲✲ ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا ﴾ كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود فان الاول دل على أن هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولايخلدون والثانى أشعر بأنهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على أن مخافة الاهباط المقترن بأحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لايستدعى اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ
الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ
أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَقَالُوا
اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۞ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۞

﴿فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول ومامزيدة أكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعني ان يأتينكم منى هدى بانزال أو ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانماجيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لامحالة لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه أراد بالثانى أعم من الاول وهوماأتى به الرسل واقتضاه العقل أى فمن تبع ماأتاه مراعيا فيه مايشهد به العقل فلاخوف عليهم فضلا عن أن يحل بهم مكروه ولاهم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرىء هدى على لغة هذيل ولاخوف بالفتح ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون﴾ عطف على فمن تبع الى آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أى لانها تبين أيامن أى أومن أوى اليه وأصلها أية أوأوية كتمرة فابدلت عينها ألفا على غير قياس أوأيية أوأوية كرمكة فاعلت أوآئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أومايعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى أسند اليه العصيان والغى فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ماجرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعى مطالب بالبيان والثانى ان النهى للتنزيه وانماسمى ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له وأما اسناد الغى والعصيان اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء الله تعالى وانما أمر بالتوبة تلافيا لمافات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء بماقاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله سبحانه وتعالى فنسى ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة والسلام أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل أوأدى فعله الى ماجرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة على تناوله كتناول السم على الجاهل بشأنه لايقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الآيتين لانه ليس فيهما مايدل على ان تناوله حين ماقال له ابليس فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى أن نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فانه ظن أن النهى للتنزيه أو الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه الصلاة والسلام أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور أمتى حل لاناثها وانما جرى عليه ماجرى تفظيعا لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وانها فى جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم وأن الكافر فيه مخلد وان غيره لايخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لماذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لاشريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ماهو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيأ منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان وأصوله وماهو أعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله تعالى عليهم ويوفوا بعهده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وماأنزل عليه فقال ﴿يابني اسرائيل﴾ أى أولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت الفكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبدالله وقرىء اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء ﴿اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم﴾ أى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ماأنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر وقيل أراد بها ماأنعم الله به على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم وقرىء اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتى باسكان الياء وقفا واسقاطها درجا هو مذهب من لايحرك الياء المكسور ماقبلها ﴿وأوفوا بعهدى﴾ بالايمان والطاعة ﴿أوف بعهدكم﴾ بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أوفوا بعهدى فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أوف بعهدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره أوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أو أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى أوفوا بماعاهدتمونى من الايمان والتزام الطاعة أوف بماعاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين فى سورة المائدة فى قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار وقرىء أوف بالتشديد للمبالغة ﴿واياى فارهبون﴾ فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لمافيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى أن لايخاف أحدا الا الله تعالى ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم﴾ افراد الايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لمامعهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها أو مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهى

عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لونزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لماوسعه الااتباعي تنبيه على ان اتباعها لاينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ﴿ ولاتكونوا أول كافر به ﴾ بان الواجب أن يكونوا أول من آمن به ولانهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه وأول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أوفوج أو بتأويل لايكن كل واحد منكم أول كافر به لقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لاالدلالة على مانطق به الظاهر كقولك أما أنا فلست بجاهل أو ولاتكونوا أول كافر به من أهل الكتاب أوممن كفر بمامعه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بمايصدقه أومثل من كفر من مشركي مكة وأول أفعل لافعل له وقيل أصله أوأل من وأل فأبدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي أو أأول من آل فقلبت همزته واوا وأدغمت ﴿ ولاتشتروا بآياتي ثمنا قليلا ﴾ ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لهاحظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى مايفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لواتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه ﴿ واياى فاتقون ﴾ بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ماهو كالمبادى لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه ﴿ ولاتلبسوا الحق بالباطل ﴾ عطف على ماقبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل عليكم بالباطل الذي تخترعونه وتكتمونه حتى لايميز بينهما أوولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله ﴿ وتكتموا الحق ﴾ جزم داخل تحت حكم النهي كانهم أمروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه أونصب باضمار أن على ان الواو للجمع بمعني مع أى لاتجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون أى وأنتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه أقبح اذ الجاهل قد يعذر ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولازكاة أمرهم بفروع الاسلام بعد ما أمرهم بأصوله وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم أومن الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل ﴿ واركعوا مع الراكعين ﴾ أى في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى

لاتذل الضعيف علك ان تر * كع يوما والدهر قد رفعه

﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب ﴿ وتنسون أنفسكم ﴾ وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولايتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولايتصدقون ﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ تبكيت كقوله وأنتم تعلمون أى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل ﴿ أفلا تعقلون ﴾ قبح صنيعكم فيصدكم عنه أو أفلاعقل لكم يمنعكم عما تعملون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمى به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على مايحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولايتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع أو الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فيقيم غيره لامنع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال بأحد الامرين المأمور بهما لايوجب الاخلال بالآخر ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ متصل بما قبله كانهم لما أمروا بمايشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعني استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله أوبالصوم الذى هوصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ويجوز أن يراد بها الدعاء ﴿ وانها ﴾ أى وان الاستعانة بهما أوالصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر أوجملة ما أمروا بها ونهوا عنها ﴿ لكبيرة ﴾ لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ﴿ الاعلى الخاشعين ﴾ أى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون ﴾ أى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ماعنده أو يتيقنون أنهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لماشابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمن معني التوقع قال أوس بن حجر شعر

فأرسلته مستيقن الظن انه * مخالط مابين الشراسيف جائف

وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بأمثالها متوقعة في مقابلتها مايستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة ﴿ يابني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ﴾ كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو أجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها وأخل بحقوقها ﴿ وأنى فضلتكم ﴾ عطف على نعمتى ﴿ على العالمين ﴾ أى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده قبل أن يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف ﴿ واتقوا يوما ﴾

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى
ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ
مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ
يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى
فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ
شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى
ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟
مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا
بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۞ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ
مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا
ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞

أى مافيه من الحساب والعذاب ﴿لاتجزى نفس عن نفس شيأ﴾ لاتقضى عنها شيأ من الحقوق أوشيأ من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرىء لاتجزىء من أجزأعنه اذا أغنى وعلى هذا تعين أن يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لاتجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار وأجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله أم مال أصابوا ﴿ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل﴾ أى من النفس الثانية العاصية أومن الاولى وكأنه أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فانه اما أن يكون قهرا أوغيره والاول النصرة والثانى اما أن يكون مجانا أوغيره والاول أن يشفع له والثانى اما باداء ماكان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولاتقبل بالتاء ﴿ولاهم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد أو الاناسى والنصر أخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده أن الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم ﴿واذ نجيناكم من آل فرعون﴾ تفصيل لما أجمله في قوله اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرىء أنجيتكم وأصل آل أهل لان تصغيره أهيل وخص بالاضافة الى أولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما

الجزء الاول ٢١

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ
وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ
إِبْرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۞ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞

أكثر من أربعمائة سنة ﴿يسومونكم﴾ يبغونكم من سامه خسفا اذا أولاه ظلما وأصل السوم الذهاب فى طلب الشىء ﴿سوء العذاب﴾ أفظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم أومن آل فرعون أومنهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرىء يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام أوقال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيأ ﴿وفي ذلكم بلاء﴾ محنة ان أشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان أشير به الى الانجاء وأصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما ويجوز أن يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما ﴿من ربكم﴾ بتسليطهم عليكم أو ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم أوبهما ﴿عظيم﴾ صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن مايصيب العبد من خير أوشر اختبار من الله تعالى فعليه أن يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين ﴿واذ فرقنا بكم البحر﴾ فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه أو بسبب انجائكم أوملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * وقرىء فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون﴾ أراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان أولى به وقيل شخصه كما روى أن الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد أى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر أتباعه ﴿وأنتم تنظرون﴾ ذلك أى غرقهم واطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة أوجثثهم التى قذفها البحر الى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا وروى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطىء البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا ياموسى نخاف أن يغرق بعضنا ولانعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين * واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ماتواتر من معجزاته أمور نظرية مثل القرآن والتحدى به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم دقيقة تدركها الاذكياء واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على مامر تقريره ﴿واذ وعدنا موسى أربعين ليلة﴾ لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعدالله موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى عليه السلام المجىء للميقات الى الطور ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الها أومعبودا ﴿من بعده﴾ من بعد موسى عليه السلام أومضيه ﴿وأنتم ظالمون﴾ باشراككم ﴿ثم عفونا عنكم﴾ حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس ﴿من بعد ذلك﴾ أى الاتخاذ ﴿لعلكم تشكرون﴾ أى لكى تشكروا عفوه ﴿واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان﴾ يعنى التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى أو بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أوالنصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الآيات ﴿واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم﴾ فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم برآء من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشىء عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برىء المريض من مرضه والمديون من دينه أو الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أوفتوبوا ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ اتماما لتوبتكم بالبخع أوقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن يقتل العبدة * روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لايتباصرون فاخذوا يقتتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الاولى للتسبب والثانية للتعقيب ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية ﴿فتاب عليكم﴾ متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه

السلام لهم تقديره ان فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم أو عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة والنباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن لم يسترد منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب ﴿ انه هو التواب الرحيم ﴾ الذى يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك ﴾ أى لاجل قولك أو لن نقر لك ﴿ حتى نرى الله جهرة ﴾ عيانا وهى في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة أو جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا من الفاعل قطعا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذى أعطاك التوراة وكلمك أو انك نبى ﴿ فأخذتكم الصاعقة ﴾ لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا أنه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة ولأفراد من الانبياء في بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة ﴿ وأنتم تنظرون ﴾ ما أصابكم بنفسه أو أثره ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾ بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء أونوم كقوله تعالى ثم بعثناهم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة ﴿ وظللنا عليكم الغمام ﴾ سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه ﴿ وأنزلنا عليكم المن والسلوى ﴾ الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ على ارادة القول ﴿ وماظلمونا ﴾ فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وماظلمونا ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره ۞ ﴿ واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ يعنى بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه ﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدا ﴾ واسعا ونصبه على المصدر أو الحال من الواو ﴿ وادخلوا الباب ﴾ أى باب القرية أو القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ سجدا ﴾ متطامنين مخبتين أوساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه ﴿ وقولوا حطة ﴾ أى مسألتنا أو أمرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أوعلى انه مفعول قولوا أى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها ﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر ﴿ وسنزيد المحسنين ﴾ ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بأن المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وأنه تعالى يفعل لامحالة ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم ﴾ بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا ﴾ كرره مبالغة في تقبيح أمرهم واشعارا بأن الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها ﴿ رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون ۞ روى أنه مات فى ساعة أربعة وعشرون الفا ﴿ واذ استسقى موسى لقومه ﴾ لما عطشوا في التيه ﴿ فقلنا اضرب بعصاك الحجر ﴾ اللام فيه للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فأعطاه لموسى مع العصا أو الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فأشار اليه جبريل عليه السلام بحمله أو للجنس وهذا أظهر في الحجة قيل لم يأمره بأن يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا الى أرض لاحجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله اليه لاتقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر في قوله تعالى ـ فتاب عليكم ـ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه ﴿ قد علم كل أناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم ﴾ عينهم التى يشربون منها ﴿ كلوا واشربوا ﴾ على تقدير القول ﴿ من رزق الله ﴾ يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ﴿ ولا تعثوا في الارض مفسدين ﴾ لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما أمكن أن يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر عن الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك ﴿ واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ﴾ يريدون به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون أنه لا تتغير ألوانه ولذلك أجموا أو ضرب واحد لانهما معا طعام أهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما ألفوه ﴿ فادع لنا ربك ﴾ سله لنا بدعائك اياه ﴿ يخرج لنا ﴾ يظهر ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة ﴿ مما تنبت الارض ﴾ من الاسناد المجازى واقامة القابل مقام الفاعل ومن

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ
آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ صِبْغَةَ
اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۞
قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۞ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ
مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞

للتبعيض ﴿ من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما أنبتته الارض من الخضر والمراد به أطايبه التى تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرىء قثائها بالضم وهو لغة فيه ﴿ قال ﴾ أى الله أو موسى عليه السلام ﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى ﴾ أقرب منزلة وأدون قدرا وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرىء أدنأ من الدناءة ﴿ بالذى هو خير ﴾ يريد به المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى ﴿ اهبطوا مصرا ﴾ انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرىء بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل أصله مصرائم فعرب ﴿ فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾ أحيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الامر أذلاء مساكين اما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ رجعوا به أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به وأصل البوء المساواة ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماسبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ماعد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعياء وزكرياء ويحيي وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم مايعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما أشار اليه بقوله ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ أى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما أن صغار الطاعات أسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على أن مالحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعني مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ماذكر أو تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة شعر

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

والذى حسن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعني الجمع ** ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة ﴿ والذين هادوا ﴾ تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام ﴿ والنصارى ﴾ جمع نصران كندامى وندمان والياء في نصرانى للمبالغة كما في أحمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام أو لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها أو من اسمها ﴿ والصابئين ﴾ قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة وأبدلها ياء أو لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم أو من الحق الى الباطل ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ﴾ من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ الذى وعد لهم على ايمانهم وعملهم ﴿ ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم أجرهم والجملة خبر ان أو بدل من اسم ان وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معني الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لاتدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ـ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴿ واذ أخذنا ميثاقكم ﴾ باتباع موسى والعمل بالتوراة ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ حتى أعطيتم الميثاق روى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا مافيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا ﴿ خذوا ﴾ على ارادة القول ﴿ ما آتيناكم ﴾ من الكتاب ﴿ بقوة ﴾ بجد وعزيمة ﴿ واذكروا مافيه ﴾ أدرسوه ولاتنسوه أو تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب أو اعملوا به ﴿ لعلكم تتقون ﴾ لكى تتقوا المعاصى أو رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول المحذوف أى قلنا خذ واذكروا ارادة أن تتقوا ﴿ ثم توليتم من بعد ذلك ﴾ اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه ﴿ فلو لافضل الله عليكم ورحمته ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه ﴿ لكنتم من الخاسرين ﴾ المغبونين بالانهماك في المعاصى أو بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشىء لامتناع غيره فاذا دخل على لا أفاد اثباتا وهو امتناع الشىء لثبوت غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ﴾ اللام موطئة لقسم والسبت مصدر قولك سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية على ساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك وأخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد مامسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار فى قوله تعالى ـ كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله كونوا ليس بأمر اذ لاقدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما أراد بهم وقرىء قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة ﴿ فجعلناها ﴾ أى المسخة أو العقوبة ﴿ نكالا ﴾ عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه ومنه النكل للقيد ﴿ لما بين يديها وماخلفها ﴾ لما قبلها ومابعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم فى الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لاهل تلك القرية وماحواليها أو لاجل ماتقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ من قومهم أو لكل متق سمعها ﴿ واذ قال موسى

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا اِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَاِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً اِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِيعَ اِيمَانَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ ۞ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضٰيهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَاِنَّ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰبَ لَيَعْلَمُونَ اَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَئِنْ اَتَيْتَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰبَ بِكُلِّ اٰيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا اَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ اِنَّكَ اِذًا لَمِنَ الظّٰلِمِينَ ۞

لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ أول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلالها بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء
بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال * وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه
فامرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبر بقاتله ﴿قالوا أتتخذنا هزؤا﴾ أى مكان هزؤ أو أهله ومهزوأ بنا أو الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا
به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا ﴿قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه
مارمى به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له * ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى﴾ أى ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا أى بقرة هى أو كيف
هى لان مايسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه أجروه مجرى مالم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿قال انه يقول انها بقرة لافارض
ولا بكر﴾ لامسنة ولافتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومن البكرة والباكورة ﴿عوان﴾ نصف * قال شعر
* نواعم بين أبكار وعون * ﴿بين ذلك﴾ أى بين ماذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف اليه بين فانه لايضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن أنكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم
ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلاة والسلام لو ذبحوا أى بقرة
أرادوا لاجزاتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله ﴿فافعلوا ماتؤمرون﴾ أى ماتؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قولهم
أمرتك الخير فافعل ما أمرت به أو أمركم بمعنى مأموركم ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها
قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها﴾ الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال
أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل
تأكيد كأنه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلى منه وتلك ركابى * هن صفر أولادها كالزبيب

ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته أو لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر
لان الصفرة بهذا المعني لاتؤكد بالفقوع ﴿تسر الناظرين﴾ أى تعجبهم والسرور أصله لذة
في القلب عند حصول نفع أو توقعه من السر ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى﴾ تكرير
للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ﴿ان البقر تشابه علينا﴾ اعتذار عنه أى ان
البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرىء ان الباقر وهو اسم لجماعة
البقر والاباقر والبواقر ويتشابه وتتشابه بالياء والتاء وتشابه ويشابه وتشابه بطرح التاء
وادغامها في الشين على التذكير والتأنيث وتشابهت وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعني
تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة ﴿وانا ان شاء الله لمهتدون﴾
الى المراد ذبحها أو الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به أصحابنا
على ان الحوادث بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن
للشرط بعد الامر معني والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة وأجيب بان التعليق باعتبار
التعلق ﴿قال انه يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولاتسقى الحرث﴾ أى لم تذلل لكراب
الارض وسقى الحرث ولاذلول صفة لبقرة بمعني غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى
والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية وقرىء لاذلول بالفتح أى حيث هى
كقولك مررت برجل لابخيل ولاجبان أى حيث هو وتسقى من أسقى ﴿مسلمة﴾ سلمها
الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو أخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له ﴿لاشية
فيها﴾ لالون فيها يخالف لون جلدها وهى في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر ﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ أى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرىء
آلآن بالمد على الاستفهام ولان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ﴿فذبحوها﴾
فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها ﴿وما كادوا يفعلون﴾ لتطويلهم
وكثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها * اذ روى أن شيخا صالحا
منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت
وحيدة بتلك الصفات فساوموها من اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه
النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولاينافى قوله
وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعني أنهم ماقاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعلالاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل ﴿واذ قتلتم نفسا﴾
خطابا للجمع لوجود القتل فيهم ﴿فادارأتم فيها﴾ اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا أو تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه وأصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ مظهره لامحالة وأعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما أعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية ﴿فقلنا
اضربوه﴾ عطف على ادارأتم ومابينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص أو القتيل ﴿ببعضها﴾ أى بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها
اليمني وقيل بالاذن وقيل بالعجب ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ يدل على ماحذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل أو نزول الآية ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله
على كمال قدرته ﴿لعلكم تعقلون﴾ لكي يكمل عقلكم وتعلموا أن من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها أو تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء
وشرط فيه ماشرط لمافيه من التقرب وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وأن من حق الطالب أن يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن
ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى
عدوه الساعى في امانته الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التي هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في
طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لاسمة بها من مقابحها بحيث يصل أثره الى نفسه فتحيا حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع مابين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع
﴿ثم قست قلوبكم﴾ القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة ﴿من بعد ذلك﴾ يعنى احياء القتيل أو جميع ماعدد

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان
فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ۞ الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين ۞ ولكل وجهة
هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم
الله جميعا ان الله على كل شئ قدير ۞ ومن حيث خرجت
فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك
وما الله بغافل عما تعملون ۞ ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون ۞ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا
عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ۞ فاذكروني أذكركم
واشكروا لي ولا تكفرون ۞ يا أيها الذين آمنوا استعينوا
بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ۞

ولا

من الآيات فانها مما توجب لين القلب ﴿ فهى كالحجارة ﴾ في قسوتها ﴿ أو أشد قسوة ﴾ منها والمعنى أنها في القساوة مثل الحجارة أوأزيد عليهاأوأنها مثلها أومثل ماهو أشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل أقسى لما في أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى منها ﴿ وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله ﴾ تعليل للتفضيل والمعنى أن الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لاتتأثر ولا تنفعل عن أمره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرىء ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ وعيدعلى ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء ﴿ أفتطمعون ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ أن يؤمنوا لكم ﴾ أن يصدقوكم أو يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود ﴿ وقد كان فريق منهم ﴾ طائفة من أسلافهم ﴿ يسمعون كلام الله ﴾ يعنى التوراة ﴿ ثم يحرفونه ﴾ كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره ان استطعتم أن تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلاتفعلوا ﴿ من بعد ماعقلوه ﴾ أى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة ﴿ وهم يعلمون ﴾ انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية أن أحبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك ﴿ واذا لقوا الذين آمنوا ﴾ يعنى منافقيهم ﴿ قالوا آمنا ﴾ بأنكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في التوراة ﴿ واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا ﴾ أى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق ﴿ أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ﴾ بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أوالذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا فى كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثانى انكار ونهى ﴿ ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه جاء فى كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بين يدى رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه ﴿ أفلا تعقلون ﴾ اما من تمام كلام اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم أوخطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لامطمع لكم فى ايمانهم ﴿ أولا يعلمون ﴾ يعنى هؤلاء المنافقين أواللائمين أوكليهما أو اياهم والمحرفين ﴿ أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون ﴾ ومن جملتهما اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب ﴾ جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها أو التوراة ﴿ الا أمانى ﴾ استثناء منقطع والامانى جمع أمنية وهى في الاصل ما يقدره الانسان فى نفسه من منى اذا قدر ولذلك تطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدا من المحرفين أومواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لايدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا أياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله

تمنى كتاب الله أول ليله ❊ تمنى داود الزبور على رسل

وهو لايناسب وصفهم بأنهم أميون ﴿ وان هم الا يظنون ﴾ ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة ﴿ فويل ﴾ أى تحسر وهلك ومن قال انه واد أو جبل في جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو فى الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء ﴿ للذين يكتبون الكتاب ﴾ يعنى المحرفين ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة ﴿ بأيديهم ﴾ تأكيد كقولك كتبته بيميني ﴿ ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ﴾ كي يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم ﴾ يعني المحرف ﴿ وويل لهم مما يكسبون ﴾ يريد به الرشى ﴿ وقالوا لن تمسنا النار ﴾ المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا أجده ﴿ الا أياما معدودة ﴾ محصورة قليلة ❊ روى أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل ألف سنة يوما ﴿ قل أتخذتم عند الله عهدا ﴾ خبرا أو وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه ﴿ فلن يخلف الله عهده ﴾ جواب شرط مقدر أى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال ﴿ أم تقولون على الله مالا تعلمون ﴾ أم معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أومنقطعة بمعنى بل أتقولون على التقرير والتقريع ﴿ بلى ﴾ اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى ﴿ من كسب سيئة ﴾ قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة أنها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانه من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله ـ فبشرهم بعذاب اليم ـ ﴿ وأحاطت به خطيئته ﴾ أى استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لايخلو عنها شىء من جوانبه وهذا انما يصح في شأن الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ماهو أكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ـ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى أن كذبوا بآيات الله ـ وقرأ نافع خطياته وقرىء خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما ﴿ فأولئك أصحاب النار ﴾ ملازموها في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها فى الدنيا ﴿ هم فيها خالدون ﴾ دائمون او لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ جرت

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ
لَا تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ
مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ
حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ
تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ
فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۞ إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
۞ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞
وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞

عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه ﴿ واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لايعبدون
الا الله ﴾ اخبار في معني النهى كقوله تعالى ـ ولايضار كاتب ولاشهيد ـ وهو أبلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة
لاتعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره أن لا يعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله
الا أيهذا الزاجرى احضر الوغى * وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى ويدل عليه قراءة أن لاتعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل انه
جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال وحلفناهم لايعبدون وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب ﴿ وبالوالدين
احسانا ﴾ متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا ﴿ وذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين
مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ أى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين
وهو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به مافيه تخلق وارشاد ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ يريد بهما مافرض عليهم في ملتهم ﴿ ثم توليتم ﴾ على
طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أى أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه ﴿ الا قليلا منكم ﴾
يريد به من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم ﴿ وأنتم معرضون ﴾ قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى
جهة العرض ﴿ واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ﴾ على نحو ماسبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا أو لانه يوجبه قصاصا وقيل
معناه لاترتكبوا مايبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم أو لاتفعلوا مايرديكم
ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولاتقترفوا ماتمنعون به عن الجنة التى
هى داركم فانه الجلاء الحقيق ﴿ ثم أقررتم ﴾ بالميثاق واعترفتم بلزومه ﴿ وأنتم تشهدون ﴾
توكيد كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على اقرار
أسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ﴿ ثم أنتم هؤلاء ﴾ استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك
هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات
وعدهم باعتبار ما أسند اليهم حضورا وباعتبار ماسيحكى عنهم غيبا وقوله تعالى ﴿ تقتلون
أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ﴾ اما حال والعامل فيها معنى الاشارة أو بيان
لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعني الذين والجملة صلته والمجموع
هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير ﴿ تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ﴾ حال من
فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة
والكسائي بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارها وتظهرون بمعني تتظهرون ﴿ وان
يأتوكم أسارى تفادوهم ﴾ روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء أهلها واذا أسر أحد
من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدوا
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله تعالى ـ أتأمرون الناس بالبر
وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى
وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم ﴿ وهو محرم عليكم اخراجهم ﴾ متعلق بقوله
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم ويفسره
اخراجهم أو راجع الى مادل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم بدل أو بيان ﴿ أفتؤمنون
ببعض الكتاب ﴾ يعني الفداء ﴿ وتكفرون ببعض ﴾ يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء
﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحياة الدنيا ﴾ كقتل قريظة وسبيهم
واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزى ذل يستحيا منه ولذلك يستعمل
في كل منهما ﴿ ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ﴾ لان عصيانهم أشد ﴿ وما الله
بغافل عما تعملون ﴾ تأكيد للوعيد أى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لايغفل عن أفعالهم
وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في
رواية أبى بكر وخلف ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن ﴿ أولئك الذين اشتروا
الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿ فلا يخفف عنهم العذاب ﴾
بنقض الجزية فى الدنيا والتعذيب في الآخرة ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ بدفعهما عنهم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ أى التوراة ﴿ وقفينا من بعده بالرسل ﴾ أى أرسلنا
على أثره الرسل كقوله سبحانه وتعالى ـ ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا تبعه وقفاه به اذا أتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴾
المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات أو الانجيل وعيسى بالعبرية أيشوع ومريم بمعني الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من
الرجال قال رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل ﴿ وأيدناه ﴾ وقويناه وقرئ آيدناه بالمد ﴿ بروح القدس ﴾ بالروح المقدسة كقولك
حاتم الجود ورجل صدق وأراد به جبريل وقيل روح عيسي عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله سبحانه وتعالى ولذلك أضافه الى
نفسه تعالى أو لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث أو الانجيل أو اسم الله الاعظم الذى كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن ﴿ أفكلما
جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم ﴾ بما لاتحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وماتعلقت به توبيخا لهم
على تعقبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر ﴿ استكبرتم ﴾ عن الايمان واتباع الرسل ﴿ ففريقا كذبتم ﴾ كموسى
وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية أو للتفصيل ﴿ وفريقا تقتلون ﴾ كزكريا ويحيي عليهما السلام وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها
فى النفوس فان الامر فظيع أو مراعاة للفواصل أو للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا انى أعصمه منكم ولذلك سحرتموه
وسممتم له الشاة ﴿ وقالوا قلوبنا غلف ﴾ مغشاة بأغطية خلقية لايصل اليها ماجئت به ولاتفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعني أنها أوعية للعلم لاتسمع علما الا وعته ولا تعى ماتقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ رد لما قالوه

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل
الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ۞ ومن الناس
من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين
آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب
أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب ۞ إذ
تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت
بهم الأسباب ۞ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة
فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم
حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ۞ يا أيها
الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ۞ إنما يأمركم
بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ۞

وإذا

والمعني انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم أوانها لم تأب قبول ماتقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى أبصارهم أوهم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك ﴿فقليلا مايؤمنون﴾ فايمانا قليلا يؤمنون ومامزيدة للمبالغة في التقليل وهوايمانهم ببعض الكتاب وقيل أراد بالقلة العدم ﴿ولما جاءهم كتاب من عندالله﴾ يعني القرآن ﴿مصدق لما معهم﴾ من كتابهم وقرىء بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ أى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة أويفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبيا يبعث منهم وقدقرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه ﴿فلماجاءهم ماعرفوا﴾ من الحق ﴿كفروابه﴾ حسدا وخوفا على الرياسة ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾ أى عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا أوليا لان الكلام فيهم ﴿بئس ما اشتروابه أنفسهم﴾ مانكرة بمعني شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أواشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بمافعلوا ﴿أن يكفروا بما أنزل الله﴾ هو المخصوص بالذم ﴿بغيا﴾ طلبا لماليس لهم وحسدا وهو علة أن يكفروا دون اشتروا للفصل ﴿أن ينزل الله﴾ لان ينزل أى حسدوه على أن ينزل الله وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وسهل ويعقوب بالتخفيف ﴿من فضله﴾ يعني الوحى ﴿على من يشاء من عباده﴾ على من اختاره للرسالة ﴿فباؤا بغضب على غضب﴾ للكفر والحسد على من هوأفضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام أوبعد قولهم عزير ابن الله ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ يرادبه اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه ﴿واذاقيل لهم آمنوا بما أنزل الله﴾ يعم

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ۞ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا
أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا
إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ
فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۞

الكتب المنزلة بأسرها ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ أى بالتوراة ﴿ويكفرون بماوراءه﴾ حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيرادبه مايتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيرادبه مايواريه وهو قدامه ولذلك عدمن الاضداد ﴿وهو الحق﴾ الضمير لما وراءه والمراد به القرآن ﴿مصدقا لما معهم﴾ حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بمايوافق التوراة فقد كفروابها ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين﴾ اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لاتسوغه وانما أسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده أنبئاء الله مهموزا في جميع القرآن ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ أى الها ﴿من بعده﴾ بعد مجيء موسى أوذهابه الى الطور ﴿وأنتم ظالمون﴾ حال بمعني اتخذتم العجل ظالمين بعبادته أوبالاخلال بآيات الله تعالى أواعتراض بمعني وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضا لابطال قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى عليهما الصلاة والسلام لالتكرير القصة وكذامابعدها ﴿واذأخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ أى قلنا لهم خذوا ماأمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة ﴿قالواسمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا ﴿بكفرهم﴾ بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة أوحلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ماسول لهم السامرى ﴿قل بئسما يأمركم به ايمانكم﴾ أى بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر أومايعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الآيات الثلاث الزاما عليهم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولايرخص لكم فيها ايمانكم بها أوان كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى أن لايتعاطى الا مايقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لايأمر به فاذا لستم بمؤمنين ❊ ﴿قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة﴾ خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الامن كان هودا ونصبها على الحال من الدار ﴿من دون الناس﴾ سائرهم واللام للجنس أوالمسلمين واللام للعهد ﴿فتمنوا الموت ان كنتم صادقين﴾ لان من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال على رضى الله تعالى عنه لاأبالى سقطت على الموت أوسقط الموت على وقال عمار رضى الله تعالى عنه بصفين الآن ألاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة رضى الله عنه حين احتضر جاء حبيب على فاقة لاأفلح من ندم أى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لايشاركه فيها غيره ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لوتمنوا لنقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لى كذا ولوكان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لوتمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ومابقى على وجه الارض يهودى ﴿والله عليم بالظالمين﴾ تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ماليس لهم ونفيه عمن هو لهم ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم وأحرص الناس وتنكير حياة لانه أريد بها فرد من أفرادها وهى الحياة المتطاولة وقرىء باللام ﴿ومن الذين أشركوا﴾ محمول على المعنى وكأنه قال أحرص من الناس على الحياة ومن الذين أشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذلم يعرفوا الاالحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانهم لمازاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون الى النار ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف أحرص لدلالة الاول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿يود أحدهم﴾ على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله أى ومنهم ناس يود أحدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف ﴿لويعمر ألف سنة﴾ حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان أصله لوأعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن ﴿وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ الضمير لاحدهم وأن يعمر فاعل مزحزحه أى وماأحدهم بمن يزحزحه من العذاب تعميره أولمادل عليه يعمر وأن يعمر بدل منه أومبهم وأن يعمر موضحه وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا أتت عليها السنون والزحزحة التبعيد ﴿والله بصير بما يعملون﴾ فيجازيهم ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ نزل فى عبد الله بن

صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا وأشدها انه أنزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والافبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله تعالى عنه مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال ومامنزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم أكفر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك ربك ياعمر وفي جبريل ثمان لغات قرىء بهن أربع في المشهور جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية أبي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين وأربع في الشواذ جبرائل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله ﴿فانه نزله﴾ البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره ﴿على قلبك﴾ فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كأنه قال قل ماتكلمت به ﴿باذن الله﴾ بامره أو تيسيره حال من فاعل نزله ﴿مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ أحوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعني من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب وأقيم علته مقامه أو من عاداه فالسبب في عداوته انه نزله عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا أو فهو عدولي وأنا عدوه كما قال ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين﴾ أراد بعداوة الله مخالفته عنادا أو معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وأفرد الملكين بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وأن من عادى أحدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وأبو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرىء ميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل وميكايل ﴿ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون﴾ أى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كأنه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك ﴿أوكلما عاهدوا عهدا﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرىء بسكون الواو على أن التقدير الا الذين فسقوا أوكلما عاهدوا وقرىء عوهدوا وعهدوا ﴿نبذه فريق منهم﴾ نقضه وأصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ رد لما يتوهم من أن الفريق هم الاقلون أو أن من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون به خفاء ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾ كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله﴾ يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن ﴿وراء ظهورهم﴾ مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أنه كتاب الله يعني أن علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على أن جيل اليهود أربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني أهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله - بل أكثرهم لا يؤمنون - وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذ فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغياً وعنادا وهم المتجاهلون ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ عطف على نبذ أى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها أو تتبعها الشياطين من الجن أو الانس أو منهما ﴿على ملك سليمان﴾ أى عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا أكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وأن ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له ﴿وما كفر سليمان﴾ تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر وان من كان نبياً كان معصوما منه ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين ﴿يعلمون الناس السحر﴾ اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية أو يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز أو لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه ﴿وما أنزل على الملكين﴾ عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو المراد به نوع أقوى منه أو على ما تتلو وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روى أنهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما أنزل نفي معطوف على ما كفر سليمان تكذيب لليهود في هذه القصة ﴿ببابل﴾ ظرف أو حال من الملكين أو الضمير في أنزل والمشهور أنه بلد من سواد الكوفة ﴿هاروت وماروت﴾ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية أبدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرىء بالرفع على هما هاروت وماروت ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر﴾ فمعناه على الاول ما يعلمان أحدا حتى

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى
بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ
فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞

ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله لمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على أن تعلم السحر ومالايجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى مايعلمانه حتى يقولا انما نحن مفتونان فلا تكن مثلنا ﴿ فيتعلمون منهما ﴾ الضمير لما دل عليه من أحد ﴿ ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ أى من السحر مايكون سبب تفريقهما ﴿ وماهم بضارين به من أحد الاباذن الله ﴾ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى وجعله وقرىء بضارى على الاضافة الى أحد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف ﴿ ويتعلمون مايضرهم ﴾ لانهم يقصدون به العمل أو لان العلم يجر الى العمل غالبا ﴿ ولا ينفعهم ﴾ اذ مجرد العلم به غير مقصود ولانافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه أولى ﴿ ولقد علموا ﴾ أى اليهود ﴿ لمن اشتراه ﴾ أى استبدل ماتتلوا الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر أن اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ﴿ ماله في الآخرة من خلاق ﴾ نصيب ﴿ ولبئس ماشروا به أنفسهم ﴾ يحتمل المعنيين على مامر ﴿ لوكانوايعلمون ﴾ يتفكرون فيه أويعلمون قبحه على التعيين أوحقية مايتبعه من العذاب والمثبت لهم أولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى أو العلم الاجمالى بقبح الفعل أوترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لوكانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ﴿ ولو أنهم آمنوا ﴾ بالرسول والكتاب ﴿ واتقوا ﴾ بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر ﴿ لمثوبة من عند الله خير ﴾ جواب لو وأصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من أن ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشىء من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرىء لمثوبة كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ ان ثواب الله خير مما

الجزء الثاني ٢٩

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ
خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
۞ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ
مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا
يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلَى
مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۞

هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر أو العمل بالعلم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا ﴾ الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه السلام راعنا أى راقبنا وتأن بنا فيماتلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن أوسبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بهاوهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولايقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا أو انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرىء أنظرنا من الانظار أى أمهلنا لنحفظ وقرىء راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين أى قولا ذارعن نسبه الى الرعن وهوالهوج لما شابه قولهم راعيناوتسبب للسب ﴿ واسمعوا ﴾ وأحسنوا الاستماع حتى لاتفتقروا الى طلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود أو واسمعوا ماأمرتم به بجد حتى لاتعودوا الى مانهيتم عنه ﴿ وللكافرين عذاب أليم ﴾ يعني الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه ﴿ مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ﴾ نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم الخير والود محبة الشىء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ﴿ أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعني أنهم يحسدونكم به ومايحبون أن ينزل عليكم شىء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به مايعم ذلك ﴿ والله يختص برحمته من يشاء ﴾ يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لايجب عليه شىء وليس لاحد عليه حق ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ اشعار بان النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ١٨
﴿ ماننسخ من آية أو ننسها ﴾ نزلت لما قال المشركون أو اليهود ألاترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشىء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أوالحكم المستفاد منها أو بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وماشرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ماننسخ من أنسخ أى نأمرك أوجبريل بنسخها أونجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو وننسأها أى نؤخرها من النسء وقرىء ننسها أى ننس أحدا اياها وننسها أى أنت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باضمار المفعولين ﴿ نأت بخير منها أومثلها ﴾ أى بما هو خير للعباد في النفع والثواب أومثلها في الثواب وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة ألفا ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ أو بما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر في عصر غيره واحتج بها من منع النسخ بلابدل أو ببدل أثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم أوالاثقل أصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما أتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل مايكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه وأجيب بأنهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعني القائم بالذات القديم ﴿ ألم تعلم ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته لقوله ومالكم وانما أفرده لانه أعلمهم ومبدأ علمهم ﴿ أن الله له ملك السموات والارض ﴾ يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شىء قدير أوعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف ﴿ ومالكم من دون الله من ولى ولانصير ﴾ وانما هو الذى يملك أموركم ويجريها على مايصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أى ألم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام أو منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه *قيل نزلت في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتابا من السماء *وقيل فى المشركين لما قالوا ـ لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ـ ﴿ ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ ومن ترك الثقة بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعني الآية لاتقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرىء يبدل من أبدل ﴿ ود كثير من أهل الكتاب ﴾ يعني أحبارهم ﴿ لو يردونكم ﴾

أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس
لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم
فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا
الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد
تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون ۞ ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها
الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون
۞ يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس
البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت
من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ۞ وقاتلوا في سبيل الله
الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ۞
واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة
اشد من القتل ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم
فيه فان قتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكفرين ۞

ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ ﴿من بعد ايمانكم كفارا﴾ مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين ﴿حسدا﴾ علة ود ﴿من عند أنفسهم﴾ يجوز أن يتعلق بود أى تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق أو بحسدا أى حسدا بالغا منبعثا من أصل نفوسهم ﴿من بعد ماتبين لهم الحق﴾ بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التوراة ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه ﴿حتى يأتى الله بأمره﴾ الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم أوقتل بنى قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ﴿ان الله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الانتقام منهم ﴿وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة والملجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير﴾ كصلاة وصدقة وقرىء تقدموا من أقدم ﴿تجدوه عند الله﴾ أى ثوابه ﴿ان الله بما تعملون بصير﴾ لا يضيع عنده عمل وقرىء بالياء فيكون وعيدا ﴿وقالوا﴾ عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿لن يدخل الجنة الا من كان هودا أونصارى﴾ لف بين قولى الفريقين كما في قوله تعالى ـ وقالوا كونوا هودا أونصارى ـ ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعوذ وعائذ وتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى ﴿تلك أمانيهم﴾ اشارة الى الامانى المذكورة وهى أن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وأن لايدخل الجنة غيرهم أو الى مافي الآية على حذف المضاف أى أمثال تلك الامنية أمانيهم والجملة اعتراض والامنية أفعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ على اختصاصكم بدخول الجنة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى دعواكم فان كل قول لادليل عليه غير ثابت ﴿بلى﴾ اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة ﴿من أسلم وجهه لله﴾ أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو ﴿وهو محسن﴾ فى عمله ﴿فله أجره﴾ الذى وعد له على عمله ﴿عند ربه﴾ ثابتا عند ربه لايضيع ولاينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ في الآخرة ١٩ ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ أى على أمر يصح ويعتد به ❊ نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ الواو للحال والكتاب للجنس أى قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب ﴿كذلك﴾ مثل ذلك ﴿قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال ❊ فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء ❊ قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به ﴿فالله يحكم﴾ يفصل ﴿بينهم﴾ بين الفريقين ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ بما يقسم لكل فريق مايليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ عام لكل من خرب مسجدا أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا أهله أو في المشركين لما منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ﴿أن يذكر فيها اسمه﴾ ثانى مفعولى منع ﴿وسعى في خرابها﴾ بالهدم أو التعطيل ﴿أولئك﴾ أى المانعون ﴿ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين﴾ ما كان ينبغى لهم أن يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا عن أن يجترؤا على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها الا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا عن أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم فى علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره ﴿لهم في الدنيا خزى﴾ قتل وسبي أوذلة بضرب الجزية ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ بكفرهم وظلمهم ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ يريد بهما ناحيتى الارض أى له الارض كلها لايختص به مكان دون مكان فان منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا ﴿فأينما تولوا﴾ ففى أى مكان فعلتم التولية شطر القبلة ﴿فثم وجه الله﴾ أى جهته التى أمر بها فان امكان التولية لايختص بمسجد أومكان أو فثم ذاته أى هو عالم مطلع بما يفعل فيه ﴿ان الله واسع﴾ باحاطته بالاشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده ﴿عليم﴾ بمصالحهم وأعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لوأخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا﴾ نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم قوله تعالى ومن أظلم وقرأ ابن عامر بغير واو ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألاترى أن الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ مايكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا أوطبعا ﴿بل له مافى السموات والارض﴾ رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى أنه تعالى خالق مافى السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح ﴿كل له قانتون﴾ منقادون لايمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ماكان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلايكون له ولدا لان من حق الولد أن يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير أولى العلم وقال قانتون على تغليب أولى العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه أى كل مافيهما ويجوز أن يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ماقالوه من ثلاثة أوجه واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما ﴿بديع السموات والارض﴾ مبدعهما ونظيره السميع في قوله أمن ريحانة الداعى السميع ❊ يؤرقنى وأصحابى هجوع أو بديع سمواته وأرضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلايكون والدا والابداع اختراع الشيء لاعن الشيء دفعة وهو أليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرىء بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له وبديع منصوبا على المدح ﴿واذا قضى أمرا﴾ أى أراد شيأ وأصل القضاء اتمام الشيء قولا

كقوله تعالى وقضى ربك أوفعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات وأطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ من كان التامة بمعنى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ماتعلقت به ارادته بلامهلة بطاعة المأمور المطيع بلاتوقف وفيه تقرير لمعني الابداع وايماء الى حجة خامسة وهى أن اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى مستغن عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الا كبر ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد ﴿وقال الذين لايعلمون﴾ أى جهلة المشركين أو المتجاهلون من أهل الكتاب ﴿لولا يكلمنا الله﴾ هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة أو يوحى الينا بأنك رسوله ﴿أو تأتينا آية﴾ حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود لان ماأتاهم آيات الله استهانة به وعنادا ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ من الامم الماضية ﴿مثل قولهم﴾ فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ﴿تشابهت قلوبهم﴾ قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرىء بتشديد الشين ﴿قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ أى يطلبون اليقين أو يوقنون الحقائق لايعتريهم شبهة ولاعناد وفيه اشارة الى أنهم ماقالوا ذلك لخفاء فى الآيات أو لطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا ﴿انا أرسلناك بالحق﴾ متلبسا مؤيدا به ﴿بشيرا ونذيرا﴾ فلاعليك ان أصروا وكابروا ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ مالهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب لاتسأل على انه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال أبويه أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لايقدر أن يخبر عنها أو السامع لايصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ٢٠ ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ مبالغة

فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ۝ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ
مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ قف فَمَنْ تَمَتَّعَ
بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ
كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ع ۝

فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال ﴿قل﴾ تعليما للجواب ﴿ان هدى الله هو الهدى﴾ أى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لاماتدعون اليه ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ آراءهم الزائغة والملة ماشرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه من أمللت الكتاب اذا أمليته والهوى رأى يتبع الشهوة ﴿بعد الذى جاءك من العلم﴾ أى الوحى أو الدين المعلوم صحته ﴿مالك من الله من ولى ولا نصير﴾ يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يريد به مؤمنى أهل الكتاب ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر مابعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب ﴿أولئك يؤمنون به﴾ بكتابهم دون المحرفين ﴿ومن يكفر به﴾ بالتحريف والكفر بما يصدقه ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿يابني اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيأ ولايقبل منها عدل ولاتنفعها شفاعة ولاهم ينصرون﴾ لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة ﴿واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات﴾ كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآية وقوله قد أفلح المؤمنون الى قوله أولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين والختان وذبح الولد والنار والهجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الآيات التى بعدها وقرىء ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل أرنى كيف تحيي الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جميع مافى هذه السورة ﴿فأتمهن﴾ فاداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابراهيم الذى وفى وفى القراءة الاخيرة الضمير لربه أى أعطاه جميع مادعاه ﴿قال انى جاعلك للناس اماما﴾ استئناف ان أضمرت ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فاجيب بذلك أو بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ماذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ماقبلها وجاعل من جعل الذى له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مامورا باتباعه ﴿قال ومن ذريتى﴾ عطف على الكاف أى و بعض ذريتى كما تقول وزيدا فى جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية أو فعولة قلبت راؤها الثانية ياء كما فى تقضيت من الذر بمعنى التفريق أو فعولة أو فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرىء ذريتى بالكسر وهى لغة ﴿قال لاينال عهدى الظالمين﴾ اجابة الى ملتمسه وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لاينالون الامامة لانها أمانة من الله تعالى وعهد والظالم لايصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لايصلح للامامة وقرىء الظالمون والمعني واحد اذ كل مانالك فقد نلته ﴿واذ جعلنا البيت﴾ أى الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا ﴿مثابة للناس﴾ مرجعا يثوب اليه أعيان الزوار أو أمثالهم أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرىء مثابات أى لانه مثابة كل أحد ﴿وأمنا﴾ وموضع أمن لايتعرض لاهله كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أو يأمن حاجة من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ماقبله أو لا يؤاخذ الجانى الملتجىء اليه حتى يخرج وهو مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ على ارادة القول أو عطف على المقدر عاملا لاذ أو اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمر استحباب ومقام ابراهيم هو الحجر الذى فيه أثر قدمه أو الموضع الذى كان فيه الحجر حين قام عليه ودعا الناس الى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روى أنه عليه الصلاة والسلام أخذ بيد عمر رضى الله تعالى عنه وقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتى الطواف لماروى جابر أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعى رحمه الله تعالى فى وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضى عطفا على جعلنا أى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعنى

الكعبة قبلة يصلون اليها ﴿وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل﴾ أمرناهما ﴿أن طهرا بيتي﴾ ويجوز أن تكون أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
ومالايليق به أوأخلصاه ﴿للطائفين﴾ حوله ﴿والعاكفين﴾ المقيمين عنده أوالمعتكفين فيه ﴿والركع السجود﴾ أى المصلين جمع راكع وساجد ﴿واذقال ابراهيم رب اجعل
هذا﴾ يريد به البلد أوالمكان ﴿بلدا آمنا﴾ ذا أمن كقوله تعالى في عيشة راضية أوآمنا أهله كقولك ليل نائم ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾
أبدل من من آمن أهله بدل البعض للتخصيص ﴿قال ومن كفر﴾ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة فنبه
سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين أومبتدأ متضمن معنى الشرط ﴿فامتعه قليلا﴾ خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع
لكنه سبب لتقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ﴿ثم أضطره الى عذاب النار﴾ أى ألزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه
مامتعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر أوالظرف وقرىء بلفظ الامر فيهما على أنه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من أمتع وقرىء فنمتعه ثم
نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأضطره بادغام الضاد وهوضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها مايجاورها دون العكس ﴿وبئس المصير﴾
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب ٢١ ﴿واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت﴾ حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله
مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة مايوضع
فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها ﴿واسمعيل﴾ كان يناوله الحجارة ولكنه
لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين أوعلى التناوب ﴿ربنا
تقبل منا﴾ أى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرىء به والجملة حال منهما ﴿انك أنت السميع
لدعائنا ﴿العليم﴾ بنياتنا ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ مخلصين لك من أسلم وجهه
أومستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان
أوالثبات عليه وقرىء مسلمين على ان المراد أنفسهما وهاجر أوان التثنية من مراتب الجمع
﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ أى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم
أحق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة
وعلما أن الحكمة الالهية لاتقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى
فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أرادا بالامة أمة محمد
صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم
قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن
الارض مثلهن ﴿وأرنا﴾ من رأى بمعنى أبصر أوعرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ﴿مناسكنا﴾
متعبداتنا في الحج أومذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسى عن أبى عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ
في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدورى عن
أبى عمرو بالاختلاس ﴿وتب علينا﴾ استتابة لذريتهما أوعما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما
لانفسهما وارشادا لذريتهما ﴿انك أنت التواب الرحيم﴾ لمن تاب ﴿ربنا وابعث فيهم﴾
في الامة المسلمة ﴿رسولا منهم﴾ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب
به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى
﴿يتلو عليهم آياتك﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ماتوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿ويعلمهم
الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ماتكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ﴿ويزكيهم﴾
عن الشرك والمعاصى ﴿انك أنت العزيز﴾ الذى لايقهر ولايغلب على مايريد ﴿الحكيم﴾
المحكم له ﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم﴾ استبعاد وانكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته
الواضحة الغراء أى لايرغب أحد عن ملته ﴿الامن سفه نفسه﴾ الامن استمهنها وأذلها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ماجاء في الحديث
الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو
غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش ✲ أجب الظهر ليس له سنام

أوسفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في
يرغب لانه فى معنى النفى ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ حجة
وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة
كان حقيقا بالاتباع له لايرغب عنه الاسفيه أومتسفه أذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر ﴿اذقال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ ظرف لاصطفيناه أو تعليل له أومنصوب
باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال مانال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله
المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام ✲ روى أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وأبى مهاجر ﴿ووصى بها ابراهيم بنيه﴾ التوصية
هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الموصى والضمير فى بها للملة أولقوله أسلمت على تأويل
الكلمة أوالجملة وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والاول أبلغ ﴿ويعقوب﴾ عطف على ابراهيم أى ووصى هو أيضا بها بنيه وقرىء بالنصب على أنه ممن وصاه ابراهيم ﴿يابني﴾
على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره

رجلان من ضبة أخبرانا ✲ انا رأينا رجلا عريانا

بالكسر وبنو ابراهيم كانوا
أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وبولون وتفتونى ودون وكوذا
وأوشير وبنيامين ويوسف ﴿ان الله اصطفى لكم الدين﴾ دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى ﴿فلاتموتن الاوأنتم مسلمون﴾ ظاهره النهى عن الموت على خلاف
حال الاسلام والمقصود هو النهى عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال اذاماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لاتصل الاوأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لاعلى
الاسلام موت لاخير فيه وان من حقه أن لايحل بهم ونظيره في الامر مت وأنت شهيد وروى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه
باليهودية يوم مات فنزلت ﴿أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ماكنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ
وَٱتَّقُونِ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ ۞ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ عِنْدَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلضَّالِّينَ ۞ ثُمَّ أَفِيضُوا
مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۞ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۞ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۞

وَاذْكُرُوا اللّٰهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ
فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ
أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ رَؤُفٌ
بِالْعِبَادِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ فَإِنْ
زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
۞ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلٰئِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ سَلْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞

ماقال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماشاهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحى وقرىء حضر بالكسر ﴿ اذ قال لبنيه ﴾ بدل من اذ حضر ﴿ ماتعبدون من بعدى ﴾ أى أى شىء تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شىء مالم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب ﴿ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ﴾ المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد أو لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه الصلاة والسلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرىء اله أبيك على انه جمع بالواو والنون كما قال

ولما تبين أصواتنا ❊ بكين وفديننا بالابينا

أومفرد وابراهيم وحده عطف بيان ﴿ الها واحدا ﴾ بدل من اله آبائك كقوله تعالى ـ بالناصية ناصية كاذبة ـ وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشىء من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أو نصب على الاختصاص ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾ يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها ﴿ لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم اليهم لايوجب انتفاعكم بأعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لايأتيني الناس بأعمالهم وتأتونى بانسابكم ﴿ ولاتسألون عما كانوا يعملون ﴾ أى لاتؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ٢٢ ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى ﴾ الضمير الغائب لاهل الكتاب وأو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿ تهتدوا ﴾ جواب الامر ﴿ قل بل ملة ابراهيم ﴾ أى بل نكون ملة ابراهيم أى أهل ملته أو بل نتبع ملة ابراهيم وقرىء بالرفع أى ملته ملتنا أوعكسه أونحن ملته بمعنى نحن أهل ملته ﴿ حنيفا ﴾ مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف أوالمضاف اليه كقوله تعالى ـ ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا ـ ﴿ وماكان من المشركين ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى ـ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ـ ﴿ وماأنزل الينا ﴾ القرآن قدم ذكره لانه أول بالاضافة الينا أو سبب الايمان بغيره ﴿ وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ﴾ الصحف وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها فهى أيضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق ﴿ وما أوتى موسى وعيسى ﴾ التوراة والانجيل أفردهما بالذكر بحكم أبلغ لان أمرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما ﴿ وما أوتى النبيون ﴾ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين ﴿ من ربهم ﴾ منزلا عليهم من ربهم ﴿ لانفرق بين أحد منهم ﴾ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وأحد لوقوعه في سياق النفى عام فساغ أن يضاف اليه بين ﴿ ونحن له ﴾ أى لله ﴿ مسلمون ﴾ مذعنون مخلصون ﴿ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى ـ فأتوا بسورة من مثله اذ لامثل لما آمن به المسلمون ولادين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى أن تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لاتأبى تعدد الطرق أو مزيدة للتأكيد كقوله تعالى ـ جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به أو المثل مقحم كما في قوله ـ وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ـ أى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به أو بالذى آمنتم به ﴿ وان تولوا فانما هم في شقاق ﴾ أى ان أعرضوا عن الايمان أو عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة أو وعيد للمعرضين بمعني انه يسمع مايبدون ويعلم مايخفون وهو معاقبهم عليه ﴿ صبغة الله ﴾ أى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ أو هدانا الله هدايته وأرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تتحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ لاصبغة أحسن من صبغته ﴿ ونحن له عابدون ﴾ تعريض بهم أى لانشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن ينصبها على الاغراء أو البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لايلزم فك النظم وسوء الترتيب ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ أتجادلوننا ﴿ فى الله ﴾ في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان أهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ لااختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ فلايبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اماتفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص وكما ان لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا أيضا أعمال ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ موحدون نخصه بالايمان والطاعة دونكم ﴿ أم يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أونصارى ﴾ أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل أن تكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعني أى الامرين تأتون المحاجة أوادعاء اليهودية أو النصرانية على الانبياء ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ـ ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا واحتج عليه بقوله ـ وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ـ وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعني لاأحد أظلم من أهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة أومنا لوكتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض

الكعبة قبلة يصلون اليها ﴿وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل﴾ أمرناهما ﴿أن طهرا بيتى﴾ ويجوز أن تكون أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس ومالايليق به أو أخلصاه ﴿للطائفين﴾ حوله ﴿والعاكفين﴾ المقيمين عنده أو المعتكفين فيه ﴿والركع السجود﴾ أى المصلين جمع راكع وساجد ﴿واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا﴾ يريد به البلد أو المكان ﴿بلدا آمنا﴾ ذا أمن كقوله تعالى في عيشة راضية أو آمنا أهله كقولك ليل نائم ﴿وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ أبدل من من آمن أهله بدل البعض للتخصيص ﴿قال ومن كفر﴾ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم عليه الصلاة والسلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين أو مبتدأ متضمن معنى الشرط ﴿فأمتعه قليلا﴾ خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب لتقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ﴿ثم أضطره الى عذاب النار﴾ أى ألزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ماامتعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر أو الظرف وقرىء بلفظ الامر فيهما على أنه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فأمتعه من أمتع وقرىء فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة وأطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها مايجاورها دون العكس ﴿وبئس المصير﴾ المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب ١٢١ ﴿واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت﴾ حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعني الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة مايوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها ﴿واسمعيل﴾ كان يناوله الحجارة ولكنه

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ۞ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ۞ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ۞ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ۞ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ۞ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ۞

واذكروا

لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين أو على التناوب ﴿ربنا تقبل منا﴾ أى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرىء به والجملة حال منهما ﴿انك أنت السميع﴾ لدعائنا ﴿العليم﴾ بنياتنا ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ مخلصين لك من أسلم وجهه أو مستسلمين من أسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان أو الثبات عليه وقرىء مسلمين على ان المراد أنفسهما وهاجر أو ان التثنية من مراتب الجمع ﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ أى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم أحق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الالهية لاتقتضى الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلى على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل أرادا بالامة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ﴿وأرنا﴾ من رأى بمعني أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ﴿مناسكنا﴾ متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير والسوسى عن أبى عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدورى عن أبى عمرو بالاختلاس ﴿وتب علينا﴾ استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما ﴿انك أنت التواب الرحيم﴾ لمن تاب ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ في الامة المسلمة ﴿رسولا منهم﴾ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبى ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى ﴿يتلو عليهم آياتك﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ماتوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ماتكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ﴿ويزكيهم﴾ عن الشرك والمعاصى ﴿انك أنت العزيز﴾ الذى لايقهر ولايغلب على مايريد ﴿الحكيم﴾ المحكم له ﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم﴾ استبعاد وانكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء أى لايرغب أحد عن ملته ﴿الا من سفه نفسه﴾ الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم و يشهد له ماجاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش ۞ أجب الظهر ليس له سنام

أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى فى محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه فى معني النفى ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع له لايرغب عنه الا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر ﴿اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ ظرف لاصطفيناه أو تعليل له أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال مانال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام ۞ روى أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وأبى مهاجر ﴿ووصى بها ابراهيم بنيه﴾ التوصية هى التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الموصى والضمير فى بها للملة أو لقوله أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والاول أبلغ ﴿ويعقوب﴾ عطف على ابراهيم أى ووصى هو أيضا بها بنيه وقرىء بالنصب على أنه ممن وصاه ابراهيم ﴿يابني﴾ على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة أخبرانا ۞ انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا أربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وبولون وتفتونى ودون وكوذا وأوشير وبنيامين ويوسف ﴿ان الله اصطفى لكم الدين﴾ دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله تعالى ﴿فلا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ ظاهره النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لاتصل الا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الاسلام موت لاخير فيه وان من حقه أن لايحل بهم ونظيره في الامر مت وأنت شهيد وروى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ﴿أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ماكنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما

ماقال فلم تدعون اليهودية عليه أو متصلة بمحذوف تقديره أكنتم غائبين أم كنتم شاهدين وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ماشاهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحي وقرىء حضر بالكسر ﴿ اذ قال لبنيه ﴾ بدل من اذ حضر ﴿ ماتعبدون من بعدى ﴾ أى أى شىء تعبدونه أراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شىء مالم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب ﴿ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ﴾ المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد أو لانه كالاب لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه كما قال عليه الصلاة والسلام فى العباس رضى الله عنه هذا بقية آبائى وقرىء اله أبيك على انه جمع بالواو والنون كما قال

ولما تبين أصواتنا ✻ بكين وفديننا بالابينا

أومفرد وابراهيم وحده عطف بيان ﴿ الها واحدا ﴾ بدل من اله آبائك كقوله تعالى ـ بالناصية ناصية كاذبة ـ وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشىء من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد أونصب على الاختصاص ﴿ ونحن له مسلمون ﴾ حال من فاعل نعبد أو مفعوله أو منهما ويحتمل أن يكون اعتراضا ﴿ تلك أمة قد خلت ﴾ يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها ﴿ لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾ لكل أجر عمله والمعنى أن انتسابكم اليهم لايوجب انتفاعكم بأعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لايأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ﴿ ولاتسألون عما كانوا يعملون ﴾ أى لاتؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ٢٢ ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى ﴾ الضمير الغائب لاهل الكتاب وأو للتنويع والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿ تهتدوا ﴾ جواب الامر ﴿ قل بل

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ
أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعِبَادِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۞ فَإِنْ
زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
۞ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ سَلْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞

ملة ابراهيم ﴾ أى بل نكون ملة ابراهيم أى أهل ملته أو بل نتبع ملة ابراهيم وقرىء بالرفع أى ملته ملتنا أوعكسه أونحن ملته بمعنى نحن أهل ملته ﴿ حنيفا ﴾ مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف أوالمضاف اليه كقوله تعالى ـ ونزعنا مافي صدورهم من غل اخوانا ـ ﴿ وماكان من المشركين ﴾ تعريض بأهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى ـ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به ـ ﴿ وماأنزل الينا ﴾ القرآن قدم ذكره لانه أول بالاضافة الينا أو سبب الايمان بغيره ﴿ وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ﴾ الصحف وهى وان نزلت الى ابراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها فهى أيضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق ﴿ وما أوتى موسى وعيسى ﴾ التوراة والانجيل أفردهما بالذكر بحكم أبلغ لان أمرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما ﴿ وما أوتى النبيون ﴾ جملة المذكورين منهم وغير المذكورين ﴿ من ربهم ﴾ منزلا عليهم من ربهم ﴿ لانفرق بين أحد منهم ﴾ كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وأحد لوقوعه في سياق النفى عام فساغ أن يضاف اليه بين ﴿ ونحن له ﴾ اى لله ﴿ مسلمون ﴾ مذعنون مخلصون ﴿ فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى ـ فائتوا بسورة من مثله اذ لامثل لما آمن به المسلمون ولادين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى أن تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لاتأبى تعدد الطرق أو مزيدة للتأكيد كقوله تعالى ـ جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به أوالمثل مقحم كما في قوله ـ وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ـ أى عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به أو بالذى آمنتم به ﴿ وان تولوا فانما هم في شقاق ﴾ أى ان أعرضوا عن الايمان أو عما تقولون لهم فما هم الافي شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع أقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة أو وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع مايبدون ويعلم مايخفون وهو معاقبهم عليه ﴿ صبغة الله ﴾ أى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما أن الصبغة حلية المصبوغ أو هدانا الله هدايته وأرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تتحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم عليه السلام ﴿ ومن أحسن من الله صبغة ﴾ لاصبغة أحسن من صبغته ﴿ ونحن له عابدون ﴾ تعريض بهم أى لانشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن ينصبها على الاغراء أو البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لايلزم فك النظم وسوء الترتيب ﴿ قل أتحاجوننا ﴾ أتجادلوننا ﴿ فى الله ﴾ في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان أهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ﴿ وهو ربنا وربكم ﴾ لااختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ﴿ ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص وكما ان لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا أيضا أعمال ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ موحدون نخصه بالايمان والطاعة دونكم ﴿ أم يقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أونصارى ﴾ أم منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل أن تكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعني أى الامرين تأتون المحاجة أوادعاء اليهودية أو النصرانية على الانبياء ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴾ وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ـ ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا واحتج عليه بقوله ـ وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ـ وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ﴾ يعنى شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لاأحد أظلم من أهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة أومنا لوكتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض

بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلاة والسلام بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله ﴿ وماالله بغافل عما تعملون ﴾ وعيدلهم وقرىء بالياء ﴿ تلك أمة قدخلت لهاما كسبت ولكم ما كسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون ﴾ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفى الثانى أسلاف اليهود والنصارى ٢٣ ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب واظهار المعجزة ﴿ ماولاهم ﴾ ماصرفهم ﴿ عن قبلتهم التى كانوا عليها ﴾ يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحالة التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة ﴿ قل لله المشرق والمغرب ﴾ لايختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام أمره لابخصوص المكان ﴿ يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ وهو ماترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى ﴿ وكذلك ﴾ اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة أى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم أوجعلنا قبلتكم أفضل القبل ﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ أى خيارا أوعدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذى تستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي وصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذلوكان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ علة للجعل أى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب انه تعالى مابخل على أحد وماظلم بل أوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين من قبلكم أوبعدكم ✲ روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال أمته فيشهد بعد التهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على أمته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم ﴿ وماجعلنا القبلة التى كنت عليها ﴾ أى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لماهاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود أوالصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الاأنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعني ان أصل أمرك ان تستقبل الكعبة وماجعلنا قبلتك بيت المقدس ﴿ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ لالنمتحن به الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة اليها ممن يرتد عن دينك الفاقبلة آبائه أولنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لايتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه مارددناك الى التى كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه ✲ فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما ✲ قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعني ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه أسنده الى نفسه لانهم خواصه أولنميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى ليميزالله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعني المعرفة أومعلق لمافي من من معني الاستفهام أومفعوله الثانى ممن ينقلب أى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب ﴿ وان كانت لكبيرة ﴾ ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعني الا والضمير لمادل عليه قوله تعالى وماجعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة أوالردة أوالتولية أوالتحويلة أوالقبلة وقرىء لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع ﴿ وما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ أى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة أوصلاتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يارسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ﴿ ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴾ فلايضيع أجورهم ولايدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو أبلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر ﴿ قد نرى ﴾ ربما نرى ﴿ تقلب وجهك في السماء ﴾ تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحى

زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين
امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق
من يشاء بغير حساب ۞ كان الناس امة واحدة فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتب
بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف
فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينت
بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه
من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم ۞ ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب ۞
يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتمى والمسكين وابن السبيل
وما تفعلوا من خير فان الله به عليم ۞

كتب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحوله الى الكعبة لانها قبلة أبيه ابراهيم وأقدم القبلتين وأدعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل ﴿ فلنولينك قبلة ﴾ فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذاصيرته واليا له أوفلنجعلنك تلى جهتها ﴿ ترضاها ﴾ تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته ﴿ فول وجهك ﴾ اصرف وجهك ﴿ شطر المسجد الحرام ﴾ نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشىء من شطر اذا انفصل ودار شطور أى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أى محرم فيه القتال أوممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلاة والسلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب ✲ روى انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة ﴿ وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلى الى القبلتين والضمير للتحويل أوالتوجه ﴿ وماالله بغافل عما تعملون ﴾ وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالياء ﴿ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ﴾ برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ﴿ ماتبعوا قبلتك ﴾ جواب للقسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعني ماتركوا قبلتك لشبهة تزيلها بالحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا ﴿ وما أنت بتابع قبلتهم ﴾ قطع لاطماعهم فانهم قالوا لوثبت على قبلتنا لكنا نرجوا أن

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ
نَفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞

نكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق ﴿ وما بعضهم بتابع قبلة بعض ﴾ فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لايرجى توافقهم كمالايرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم ﴾ على سبيل الفرض والتقدير أى ولئن اتبعتهم مثلا بعد مابان لك الحق وجاءك فيه الوحى ﴿ انك اذا لمن الظالمين ﴾ وأكد تهديده وبالغ فيه من سبعة أوجه أحدها الاتيان باللام الموطئة للقسم ثانيها القسم المضمر ثالثها حرف التحقيق وهوان رابعها تركيبه من جملة فعلية وجملة اسمية وخامسها الاتيان باللام في الخبر وسادسها جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم لان في الاندراج معهم ايهاما بحصول أنواع الظلم وسابعها التقييد بمجىء العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء ٢٤ ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعنى علماءهم ﴿ يعرفونه ﴾ الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم أو القرآن أو التحويل ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ يشهد للاول أى يعرفونه بأوصافه كمعرفتهم أبناءهم لايلتبسون عليهم بغيرهم * عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سأل عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست أشك فى محمد أنه نبى فاما ولدى فلعل والدته قد خانت ﴿ وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن ﴿ الحق من ربك ﴾ كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ماعليه الرسول صلى الله عليه وسلم أو الحق الذى يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ماثبت انه من الله تعالى كالذى أنت عليه لامالم يثبت كالذى عليه أهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق ومن ربك حال أو خبر بعد خبر وقرىء بالنصب على انه بدل من الاول أو مفعول يعلمون ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ الشاكين في أنه من ربك أوفي كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لايشك فيه ناظر أوأمر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ﴿ ولكل وجهة ﴾ ولكل أمة قبلة أولكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة ﴿ هو موليها ﴾ أحد المفعولين محذوف أى هو موليها وجهه أو الله تعالى موليها اياه وقرىء ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها أهلها واللام مزيدة للتأكيد جبرا لضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها أى هو مولى تلك الجهة أى قد وليها ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ من أمر القبلة وغيره مماينال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ﴾ أى في أى موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الارض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أوأينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كأنها الى جهة واحدة ﴿ ان الله على كل شىء قدير ﴾ فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ ومن أى مكان خرجت للسفر ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ اذاصليت ﴿ وانه ﴾ وان هذا الامر ﴿ للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ﴾ وقرأ أبوعمرو بالياء والباقون بالتاء ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجرى العادة الالهية على أن يولي أهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على مانبينه وقرن بكل علة معلولها كمايقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع أن القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحرى أن يؤكد أمرها ويعاد ذكرها مرة بعد أخرى ﴿ لئلا يكون للناس عليكم حجة ﴾ علة لقوله فولوا والمعنى أن التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وأن محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته ﴿ الا الذين ظلموا منهم ﴾ استثناء من الناس أى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ماتحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده أو بداله فرجع الى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

للعلم بأن الظالم لاحجة له وقرىء ألا الذين ظلموا منهم على انه استئناف بحرف التنبيه ﴿ فلا تخشوهم ﴾ فلاتخافوهم فان مطاعنهم لاتضركم ﴿ واخشونى ﴾ فلا تخالفوا ما أمرتكم به ﴿ ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون ﴾ علة محذوف أى وأمرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أوعطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم أولئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾ متصل بما قبله أى ولاتم نعمتى عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة كما أتممتها بارسال رسول منكم أو بما بعده أى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى ﴿ يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ﴾ يحملكم على ماتصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد وأخره في دعوة ابراهيم عليه السلام باعتبار الفعل ﴿ ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ بالفكر والنظر اذ لاطريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر ﴿ فاذكرونى ﴾ بالطاعة ﴿ أذكركم ﴾ بالثواب ﴿ واشكروا لى ﴾ ما أنعمت به عليكم ﴿ ولا تكفرون ﴾ بجحد النعم وعصيان الامر ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ﴾ عن المعاصى وحظوظ النفس ﴿ والصلواة ﴾ التى هى أم العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ﴿ ان الله مع الصابرين ﴾ بالنصر واجابة الدعوة ٢٥ ﴿ ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ﴾ أى هم أموات ﴿ بل أحياء ﴾ أى بل هم أحياء ﴿ ولكن لاتشعرون ﴾ ماحالهم وهو تنبيه على أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس مايحس به من الحيوانات وانما هى أمر لايدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند ربهم تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت داركة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات

والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ﴿ ولنبلونكم ﴾ ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ﴿ بشيء من الخوف والجوع ﴾ أى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ماوقاهم منه ليخفف عليهم ويريهم أن رحمته لاتفارقهم أو بالنسبة الى مايصيب به معانديهم في الآخرة وانما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ﴿ ونقص من الاموال والانفس والثمرات ﴾ عطف شيء أو الخوف وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد * وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول الله أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ﴿ وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أولمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم مايصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى أن ما بقى عليه أضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ﴾ الصلاة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه ﴿ وأولئك هم المهتدون ﴾ للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى ﴿ ان الصفا والمروة ﴾ هما علما جبلين بمكة ﴿ من شعائر الله ﴾ من أعلام

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ
لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝
وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا
وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝
وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا
وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

لايؤاخذكم

مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة ﴿ فمن حج البيت أواعتمر ﴾ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن أحمد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس رضى الله عنهم لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفى الجناح يدل على الجواز الداخل فى معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعى رحمهما الله انه ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعى ﴿ ومن تطوع خيرا ﴾ أى فعل طاعة فرضا كان أو نفلا أو زاد على ما فرض الله عليه من حج أو عمرة أوطواف او تطوع بالسعى ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف أو بحذف الجار وايصال الفعل اليه أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأصله يتطوع فادغم مثل يطوف ﴿ فان الله شاكر عليم ﴾ مثيب على الطاعة لا تخفى عليه ﴿ ان الذين يكتمون ﴾ كأحبار اليهود ﴿ ما أنزلنا من البينات ﴾ كالآيات الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والهدى ﴾ ومايهدى الى وجوب اتباعه والايمان به ﴿ من بعد ما بيناه للناس ﴾ لخصناه ﴿ فى الكتاب ﴾ في التوراة ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ أى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين ﴿ الا الذين تابوا ﴾ عن الكتمان وسائر مايجب أن يتاب عنه ﴿ وأصلحوا ﴾ ما أفسدوا بالتدارك ﴿ وبينوا ﴾ مابينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ماأحدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدى بهم اضرابهم ﴿ فأولئك أتوب عليهم ﴾ بالقبول والمغفرة ﴿ وأنا التواب الرحيم ﴾ المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ﴿ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ﴾ أى ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات ﴿ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا وقرىء والملائكة والناس أجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل فى المعنى كقولك أعجبنى ضرب زيد وعمرو أو فاعلا لفعل مقدر نحو وتلعنهم الملائكة ﴿ خالدين فيها ﴾ أى فى اللعنة أو النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ أى لايمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لاينظر اليهم نظر رحمة ﴿ والهكم اله واحد ﴾ خطاب عام أى المستحق منكم العبادة واحد لاشريك له يصح أن يعبد أو يسمى الها ﴿ لااله الا هو ﴾ تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم أن في الوجود الها ولكن لايستحق منهم العبادة ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وماسواه اما نعمة أومنعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره وهما خبران آخران لقوله الهكم أو لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فائت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ٢٦ ﴿ ان في خلق السموات والارض ﴾ انما جمع السموات وأفرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ تعاقبهما كقوله تعالى ـ جعل الليل والنهار خلفة ـ ﴿ والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ﴾ أى ينفعهم أوبالذى ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرىء بضمتين على الاصل أوالجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين ﴿ وما أنزل من السماء من ماء ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو ﴿ فأحيا به الارض بعد موتها ﴾ بالنبات ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات فى الارض أو على أحيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق ﴿ وتصريف الرياح ﴾ في مهابها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائى على الافراد ﴿ والسحاب المسخر بين السماء والارض ﴾ لاينزل ولاينقشع مع ان الطبع يقتضى أحدهما حتى يأتى أمر الله تعالى وقيل مسخر الرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أى لم يتفكر فيها واعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا أن لاتتحرك السموات أو بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلا وعلى هذا الوجه لبساطتها وتساوى أجزائها فلابد لها من موجد قادر

حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذلوكان معه اله يقدر على مايقدر عليه الآخر فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم
اجتماع مؤثرين على أثرواحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلامرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار اليه بقوله تعالى لوكان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا﴾ من الاصنام وقيل من الرؤساء
الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو مايشغله عن الله ﴿يحبونهم﴾ يعظمونهم ويطيعونهم ﴿كحب الله﴾
كتعظيمه والميل الى طاعته أى يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله
تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصى ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لانه لاتنقطع محبتهم لله
تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره
﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد ﴿اذيرون العذاب﴾ اذاعاينوه يوم القيامة وأجرى المستقبل مجرى الماضى لتحققه كقوله تعالى ونادى
أصحاب الجنة ﴿أن القوة لله جميعا﴾ ساد مسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف أى لويعلمون ان القوة لله جميعا اذعاينوا العذاب لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب
والمفعولان محذوفان والتقدير ولويرى الذين ظلموا أندادهم لاتنفع لعلموا ان القوة لله كلها لاينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولوترى على انه خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم أى ولوترى ذلك لرأيت أمرا عظيما وابن عامر اذيرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا ﴿وان الله شديد العذاب﴾ على الاستئناف أو اضمار القول

الجزء الثانى ٣٧

لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والله غفور حليم ۝ للذين يؤلون من نسائهم تربص
أربعة أشهر فان فاؤ فان الله غفور رحيم ۝ وان عزموا الطلاق
فان الله سميع عليم ۝ والمطلقت يتربصن بأنفسهن ثلثة
قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن
بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا
اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن
درجة والله عزيز حكيم ۝ الطلاق مرتان فامساك
بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن
شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله
فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظلمون
۝ فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره
فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما
حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ۝

﴿اذتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ بدل من اذيرون أى اذتبرأ المتبوعون من
الاتباع وقرىء بالعكس أى تبرأ الاتباع من الرؤساء ﴿ورأوا العذاب﴾ أى رائين له
والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ ﴿وتقطعت بهم الاسباب﴾ يحتمل العطف
على تبرأ أورأوا والواو للحال والاول أظهر والاسباب الوصل التى كانت بينهم من الاتباع
والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك وأصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجر
وقرىء وتقطعت على البناء للمفعول ﴿وقال الذين اتبعوا لوأن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا
منا﴾ لو للتمني ولذلك أجيب بالفاء أى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم ﴿كذلك﴾ مثل
ذلك الارآء الفظيع ﴿يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ ندامات وهى ثالث مفاعيل يرى
ان كان من رؤية القلب والاحال ﴿وماهم بخارجين من النار﴾ اصله ومايخرجون فعدل
به الى هذه العبارة للمبالغة فى الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا ﴿ياأيها الناس
كلوا مما في الارض حلالا﴾ نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الاطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا أوصفة مصدر محذوف أوحال مما في الارض ومن للتبعيض اذلايؤكل
كل ما في الارض ﴿طيبا﴾ يستطيبه الشرع أوالشهوة المستقيمة اذالحلال دل على الاول
﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ لاتقتدوا به فى اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام
وقرأ نافع وأبوعمرو وحمزة والبزى وأبوبكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان فى جمع
خطوة وهى مابين قدمى الخاطى وقرىء بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها
وبفتحتين على أنه جمع خطوة وهى المرة من الخطو ﴿انه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة
عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا فى قوله تعالى أولياؤهم
الطاغوت ﴿انما يأمركم بالسوء والفحشاء﴾ بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته
واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء
ماأنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به
وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء مايتجاوز الحد في القبح من الكبائر
وقيل الاول مالاحد فيه والثانى ماشرع فيه الحد ﴿وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾
كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا
وأما اتباع المجتهد لما أدى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى
طريقه كما بيناه فى الكتب الاصولية ٢٧ ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله﴾ الضمير للناس
وعدل بالخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يجيبون ﴿قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا﴾ ماوجدناهم عليه * نزلت في المشركين
أمروا باتباع القرآن وسائر ماأنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل فى
طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ماوجدنا
عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيعم ماأنزل الله التوراة لانها أيضا تدعو

الى الاسلام ﴿أولو كان آباؤهم لايعقلون شيأ ولايهتدون﴾ الواو للحال أوالعطف والهمزة للرد والتعجيب وجواب لو محذوف أى لو كان آباؤهم جهلة لايتفكرون فى أمر الدين
ولايهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما أنه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام
فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الادعاء ونداء﴾ على حذف مضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا
كمثل الذى ينعق أومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعني أن الكفرة لانهماكهم في التقليد لايلقون أذهانهم الى مايتلى عليهم ولايتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك
كالبهائم التى ينعق عليها فتسمع الصوت ولاتعرف مغزاه وتحس بالنداء ولاتفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت
ولاتفهم ماتحته أو تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لايساعده قوله الادعاء ونداء لان الاصنام لاتسمع
الا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب ﴿صم بكم عمى﴾ رفع على الذم ﴿فهم لايعقلون﴾ أى بالفعل للاخلال بالنظر ﴿ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ لما
وسع الامر على الناس كافة وأباح لهم مافي الارض سوى ماحرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات مارزقوا ويقوموا بحقوقها فقال ﴿واشكروا لله﴾ على مارزقكم
وأحل لكم ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ ان صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته تعالى لاتتم الابالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه
وهو عدم عند عدمه وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انى والانس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى ﴿انما حرم عليكم الميتة﴾ أكلها أوالانتفاع
بها وهى التى ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ما أبين من حى والسمك والجراد أخرجهما العرف عنها أواستثناه الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة

التصرف فيها مطلقا الا ماخصه الدليل كالتصرف في المدبوغ ﴿ والدم ولحم الخنزير ﴾ انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له
﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ أى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال أصله رؤية الهلال يقال أهل الهلال وأهللته لكن لما جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير اذا
رؤى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره ﴿ فمن اضطر غير باغ ﴾ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة بكسر النون ﴿ ولا عاد ﴾
سد الرمق أو الجوعة وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمهما الله تعالى ﴿ فلا اثم
عليه ﴾ في تناوله ﴿ ان الله غفور ﴾ لما فعل ﴿ رحيم ﴾ بالرخصة فيه ❊ فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر ❊ قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر
مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء مالم تضطروا اليها ﴿ ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا ﴾ عوضا حقيرا ﴿ أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ﴾ اما في الحال لانهم أكلوا مايتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقوله
أكلت دما ان لم أرعك بضرة ❊ بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
يعني الدية أوفي المآل أى لا يأكلون يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم
يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله ❊ كلوا في بعض بطنكمو تعفوا ❊ ﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ﴾ عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال
مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ﴿ ولا يزكيهم ﴾ لا يثنى عليهم ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ مؤلم ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ في الدنيا ﴿ والعذاب بالمغفرة ﴾ في
الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية ﴿ فما أصبرهم على النار ﴾ تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص قولهم ❊ شر أهر ذا ناب ❊ أو استفهامية وما بعدها الخبر أو موصولة
وما بعدها صلة والخبر محذوف ﴿ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ﴾ أى ذلك العذاب
بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان ﴿ وان الذين اختلفوا
فى الكتاب ﴾ اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم
ببعض أو للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في
تاويلها أو خلفوا خلاف ما أنزل الله تعالى مكانه أى حرفوا مافيها واما الى القرآن واختلافهم
فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الاولين ﴿ لفى شقاق بعيد ﴾ لفى خلاف
بعيد عن الحق ٢٨ ﴿ ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ البر كل
فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم أكثروا الخوض فى أمر القبلة حين حولت
وادعى كل طائفة أن البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما
أنتم عليه فانه منسوخ ولكن البر مابينه الله واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين
أى ليس البر مقصورا بأمر القبلة أو ليس البر العظيم الذى يحسن أن تذهلوا بشأنه عن
غيره أمرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ اى ولكن البر الذى ينبغى أن يهتم به بر من آمن
بالله أو لكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول أوفق وأحسن
والمراد بالكتاب الجنس أو القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر
﴿ وآتى المال على حبه ﴾ اى على حب المال كما قال عليه الصلاة والسلام لما سئل أى
الصدقة أفضل قال أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير
لله أو للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال ﴿ ذوى القربى واليتامى ﴾ يريد المحاويج
منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم أفضل كما قال عليه السلام
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة ﴿ والمساكين ﴾ جمع
المسكين وهو الذى أسكنته الخلة وأصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر ﴿ وابن
السبيل ﴾ المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان
السبيل يرعف به ﴿ والسائلين ﴾ الذين ألجأتهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل
حق وان جاء على فرسه ﴿ وفى الرقاب ﴾ وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك الاسارى
أو ابتياع الرقاب لعتقها ﴿ وأقام الصلاة ﴾ المفروضة ﴿ وآتى الزكاة ﴾ يحتمل أن يكون
المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان
مصارفها ومن الثانى أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالاول نوافل الصدقات
أو حقوقا كانت فى المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة ﴿ والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا ﴾ عطف على من آمن ﴿ والصابرين فى البأساء والضراء ﴾ نصبه
على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى
الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض ﴿ وحين البأس ﴾ وقت مجاهدة العدو ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ في الدين واتباع الحق وطلب البر ﴿ وأولئك هم المتقون ﴾
عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد
وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد أشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله وأقام الصلاة الى
آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه أشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية
فقد استكمل الايمان ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ﴾ كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء
وكان لاحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا
ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما
منع مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روى عن على رضى الله تعالى عنه أن رجلا قتل عبده فجلده
الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله تعالى
ـ النفس بالنفس ـ لانه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ مافي القرآن واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ
فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝
وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا
مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا
عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ۞ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ
ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ ۞ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ
أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى
ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞
وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى
بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا
تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞

أنه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرىء كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن ﴿ فمن عفى له من أخيه شيء ﴾ أى شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفا بمعني ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعني تركه بل أعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب قال الله تعالى - عفا الله عنك وقال عفا الله عما سلف فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه مافي الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه ﴿ فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ﴾ أى فليكن اتباع أو فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطلب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو أن لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على أن الدية أحد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله تعالى عنه في المسئلة قولان ﴿ ذلك ﴾ أى الحكم المذكور أي العفو والدية ﴿ تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك ﴾ أى قتل بعد العفو وأخذ الدية ﴿ فله عذاب أليم ﴾ فى الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لامحالة لقوله عليه السلام لا أعافى أحدا قتل بعد أخذه الدية ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل أن يكونا خبرين لحياة وأن يكون أحدهما خبرا والآخر صلة له أو حالا من الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص أى فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو فى القرآن حياة للقلوب ﴿ يا أولى الالباب ﴾ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتامل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ﴿ لعلكم تتقون ﴾ في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له أو عن القصاص فتكفوا عن القتل ﴿ كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ﴾ أى حضر أسبابه وظهرت أماراته ﴿ ان ترك خيرا ﴾ أى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى عنه أن مولى له أراد أن يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير ☆وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رجلا أراد أن يوصى فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف فقالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك ﴿ الوصية للوالدين والاقربين ﴾ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل أو على تأويل أن يوصى أو الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله - فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها ☆ والشر بالشر عند الله مثلان

ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله أعطى كل ذى حق حقه ألا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله أو بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله عليهم ﴿ بالمعروف ﴾ بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث ﴿ حقا على المتقين ﴾ مصدر مؤكد أى حق ذلك حقا ﴿ فمن بدله ﴾ غيره من الاوصياء والشهود ﴿ بعد ما سمعه ﴾ أى وصل اليه وتحقق عنده ﴿ فانما اثمه على الذين يبدلونه ﴾ فما اثم الايصاء المغير أو التبديل الا على مبدليه لانهم الذين حافوا وخالفوا الشرع ﴿ ان الله سميع عليم ﴾ وعيد للمبدل بغير حق ٢٩ ﴿ فمن خاف من موص ﴾ أى توقع وعلم من قولهم أخاف أن ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر موص مشددا ﴿ جنفا ﴾ ميلا بالخطا في الوصية ﴿ أو اثما ﴾ تعمدا للحيف ﴿ فأصلح بينهم ﴾ بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع ﴿ فلا اثم عليه ﴾ في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ يعني الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ما تشتهيه النفس ﴿ لعلكم تتقون ﴾ المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء أو الاخلال بادائه لاصالته وقدمه ﴿ أياما معدودات ﴾ مؤقتات بعدد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء أو ثلاثة أيام من كل شهر أو بكما كتب على الظرفية أو على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ مرضا يضره الصوم أو يعسر معه ﴿ أو على سفر ﴾ أو راكب سفر وفيه ايماء الى أن من سافر أثناء اليوم لم يفطر ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ أى فعليه صوم عدد أيام المرض أو السفر من أيام أخر ان أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرىء بالنصب أى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ وعلى المطيقين للصيام ان أفطروا ﴿ فدية طعام مسكين ﴾ نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم فى ذلك أول الامر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد

مسكين وقرىء يطوقونه أى يكلفونه ويقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويتطوقونه أى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه على أن أصلهمايطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعني يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذهالقراآت يحتمل معني ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز فى الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد أول به القراءة المشهورة أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ﴿ فمن تطوع خيرا ﴾ فزاد في الفدية ﴿ فهو ﴾ فالتطوع أو الخير ﴿ خير له وأن تصوموا ﴾ أيها المطيقون أو المطوقون وجهدتم طاقتكم أو المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر ﴿ خير لكم ﴾ من الفدية أوتطوع الخير أو منهما ومن التاخير للقضاء ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ مافي الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ماقبله أى اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من أهل العلم والتدبر علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك ﴿ شهر رمضان ﴾ مبتدأ خبره مابعده أوخبر مبتدا محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أوبدل من الصيام على حذف المضاف أى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرىء بالنصب على اضمار صوموا أو على انه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف أو بدل من أيام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فأضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع دأية فى ابن دأية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أولارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام رمض الحر حين مانقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿ الذى أنزل فيه القرآن ﴾ أى ابتدىء فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله ـ كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا أو صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معني الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ حالان من القرآن أى أنزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أى صلاتها فيكون ﴿ ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه ﴿ يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر ﴾ أى يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر عليكم فلذلك أباح الفطر في السفر والمرض ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ﴾ علل لفعل محذوف دل عليه ماسبق أي وشرع جملة ماذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما أفطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير أولافعال كل لفعله أومعطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أو لتعلموا ماتعلمون ولتكملوا العدة ويجوز أن يعطف على اليسر أى ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى ـ يريدون ليطفؤا نور الله ـ والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر أى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية أبى بكر ولتكملوا بالتشديد ﴿ واذا سألك عبادي عنى فانى قريب ﴾ أي فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من رب مكانه منهم روى أن اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ﴿ أجيب دعوة الداع اذا دعان ﴾ تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة ﴿ فليستجيبوا لى ﴾ اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعونى لمهماتهم ﴿ وليؤمنوا بى ﴾ أمر بالثبات والمداومة عليه ﴿ لعلهم يرشدون ﴾ راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرىء بفتح الشين وكسرها واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا له وحثا عليه ثم بين أحكام الصوم فقال ٣٠ ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ﴾ روى أن المسلمين كانوا اذا أمسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا ثم ان عمر رضى الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم وأتي النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى تصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بمايجب أن يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرىء الرفوث ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس * قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

أو لان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾ تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ﴿ فتاب عليكم ﴾ لما تبتم مما اقترفتموه ﴿ وعفا عنكم ﴾ ومحا عنكم أثره ﴿ فالآن باشروهن ﴾ لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح المحفوظ من الولد والمعنى أن المباشر ينبغى أن يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لاقضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب الله لكم ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ﴾ شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۞ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۞ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى
إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا
تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد
أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم
القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين
❁ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم
❁ وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما
ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة
إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ❁

ويجوز أن تكون من للتبعيض فان مايبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين أسود وأبيض ولايزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ﴿ ثم أتموا الصيام الى الليل ﴾ بيان لآخر وقته واخراج الليل عنه فينفى صوم الوصال ﴿ ولاتباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ﴾ معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولايختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهى في العبادات يوجب الفساد ﴿ تلك حدود الله ﴾ أى الاحكام التى ذكرت ﴿ فلاتقربوها ﴾ نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يدانى الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو أبلغ من قوله فلاتعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿ يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ مخالفة الاوامر والنواهى ﴿ ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ أى ولايأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف أوالحال من الاموال ﴿ وتدلوا بها الى الحكام ﴾ عطف على المنهى أونصب باضمار أن والادلاء الالقاء أى ولاتلقوا حكومتها الى الحكام ﴿ لتأكلوا ﴾ بالتحاكم ﴿ فريقا ﴾ طائفة ﴿ من أموال الناس بالاثم ﴾ بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أوملتبسين بالاثم ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روى ان عبدان الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وفيه دليل على ان حكم القاضى لاينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام انما أنا بشر وأنتم تختصمون الى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مااسمع منه فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فانما أقضي له قطعة من نار ﴿ يسألونك عن الاهلة ﴾ سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا مابال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لايزال ينقص حتى يعود كما بدا ﴿ قل هى مواقيت للناس والحج ﴾ فانهم سألوا عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل أمره فامره الله أن يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يؤقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر ﴿ وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ وقرأ أبوعمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ﴿ ولكن البر من اتقى ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف ولكن ورفع البر كانت الانصار اذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولافسطاطا من بابه وانما يدخلون من نقب أوفرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين أوأنه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أوانهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولايتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ماسألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أوان المراد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله ﴿ وأتوا البيوت من أبوابها ﴾ اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها ﴿ واتقوا الله ﴾ في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكى تظفروا بالهدى والبر ﴿ وقاتلوا في سبيل الله ﴾ جاهد والاعلاء كلمته واعزاز دينه ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ قيل كان ذلك قبل ان أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء أوالكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ماروى ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لايوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم أوالشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ﴿ ولاتعتدوا ﴾ بابتداء القتال أوبقتال المعاهد أوالمفاجأة بهم من غير دعوة أوالمثلة أوقتل من نهيتم عن قتله ﴿ ان الله لايحب المعتدين ﴾ لايريد بهم الخير ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ حيث وجدتموهم في حل أوحرم وأصل الثقف الحذق في ادراك الشىء علما كان أوعملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال

فاما تثقفونى فاقتلونى ٭ فمن أثقف فليس الى خلود

﴿ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ﴾ أى من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ أى المحنة التى يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم فى الحرم وصدهم اياكم عنه أشد من قتلكم اياهم فيه ﴿ ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ أى لاتفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام ﴿ فان قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ فلاتبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائى ولاتقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنوأسد ﴿ كذلك جزاء الكافرين ﴾ مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل مافعلوا ﴿ فان انتهوا ﴾ عن القتال والكفر ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم ماقد سلف ﴿ وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ﴾ شرك ﴿ ويكون الدين لله ﴾ خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب ﴿ فان انتهوا ﴾ عن الشرك ﴿ فلاعدوان الاعلى الظالمين ﴾ أى فلاتعتدوا على المنتهين اذ لايحسن أن يظلم الامن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم أوأنكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام ﴾ قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلاتبالوا به ﴿ والحرمات قصاص ﴾ احتجاج عليه أى كل حرمة وهو مايجب أن يحافظ عليها يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم

كما قال ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ﴾ وهو فذلكة التقرير ﴿ واتقوا الله ﴾ فى الانصار ولا تعتدوا الى مالم يرخص لكم ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ فيحرسهم ويصلح شأنهم ﴿ وأنفقوا فى سبيل الله ﴾ ولا تمسكوا كل الامساك ﴿ ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴾ بالاسراف وتضييع وجه المعاش اوبالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ماروى عن أبى ايوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى أهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أوبالامساك وحب المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة أى لا توقعوا أنفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أولا تلقوا بأيديكم أنفسكم اليها فحذف المفعول ﴿ وأحسنوا ﴾ أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج ﴿ ان الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ أى ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وماروى جابر رضى الله تعالى عنه انه قيل يارسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خيرلك فمعارض بماروى أن رجلا قال لعمر رضى الله تعالى عنه انى وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجد انهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى أو أن تكون النفقة حلالا ﴿ فان أحصرتم ﴾ منعتم يقال حصره العدو وأحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعى رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا أمنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلاة والسلام من كسر أو عرج فقد حل فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلاة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستني ﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ فعليكم ما استيسر أو فالواجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى ان أحصر المحرم وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ﴿ ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ﴾ أى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله أى مكانه الذى يجب أن ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلا كان أو حرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى فى مطية ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ مرضا يحوجه الى الحلق ﴿ أو به أذى من رأسه ﴾ كجراحة وقمل ﴿ ففدية ﴾ فعليه فدية ان حلق ﴿ من صيام أو صدقة أو نسك ﴾ بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لكعب ابن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين أو انسك شاة والفرق ثلاثة آصع ﴿ فاذا أمنتم ﴾ الاحصار أو كنتم فى حال سعة وأمن ﴿ فمن تمتع بالعمرة الى الحج ﴾ فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج فى أشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج ﴿ فما استيسر من الهدي ﴾ فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا أحرم بالحج ولا يأكل منه وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحية ﴿ فمن لم يجد ﴾ أى الهدى ﴿ فصيام ثلاثة أيام فى الحج ﴾ فى أيام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل وقال أبو حنيفة رحمه الله فى أشهره بين الاحرامين والأحب أن يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز صوم يوم النحر وأيام التشريق عند الاكثرين ﴿ وسبعة اذا رجعتم ﴾ الى أهليكم وهو أحد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه او نفرتم وفرغتم من أعماله وهو قوله الثانى ومذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة أيام ﴿ تلك عشرة ﴾ فذلكة الحساب وفائدتها أن لا يتوهم متوهم ان الواو بمعنى أو كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان أكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما ﴿ كاملة ﴾ صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد أو مبينة كمال العشرة فانه أول عدد كامل اذبه تنتهى الآحاد وتتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى لانه لا متعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك أى التمتع منهم فعليه دم جناية ﴿ لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ﴾ وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على أقل فهو مقيم فى الحرم أو فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل الحل عند طاوس وغير المكى عند مالك ﴿ واتقوا الله ﴾ فى المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج ﴿ واعلموا ان الله شديد العقاب ﴾ لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان ٣٢ ﴿ الحج أشهر ﴾ أى وقته كقولك البرد شهران ﴿ معلومات ﴾ معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى عليه وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو مالا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وأبو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهران وبعض شهر أشهرا اقامة للبعض مقام الكل أو اطلاقا للجمع على مافوق الواحد ﴿ فمن فرض فيهن الحج ﴾ فمن أوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا أو بالتلبية أو سوق الهدى عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وهو دليل على ماذهب اليه الشافعى رحمه الله تعالى وان من أحرم بالحج لزمه الاتمام ﴿ فلا رفث ﴾ فلا جماع أو فلا فحش من الكلام ﴿ ولا فسوق ﴾ ولا خروج عن حدود الشرع بالسيآت وارتكاب المحظورات ﴿ ولا جدال ﴾ ولا امراء مع الخدم والرفقة ﴿ فى الحج ﴾ فى أيامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بأن لا تكون وما كانت منها مستقبحة فى انفسها ففى الحج أقبح كلبس الحرير فى الصلاة والتطريب بقراء القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف فى الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بأن أمروا أن يقفوا أيضا بعرفة

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا
مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ
كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُمْ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ
اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجت وآتينا عيسى ابن مريم البينت وأيدنه
بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد
ما جاءتهم البينت ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم
من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد
❁ يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقنكم من قبل أن يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكفرون هم
الظلمون ❁ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموت وما في الأرض
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع
كرسيه السموت والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي
العظيم ❁ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة
الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ❁

﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ حث على الخير عقب به النهى عن الشر ليستدل به ويستعمل مكانه ﴿ وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴾ وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا أن يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس ﴿ واتقون يا أولى الالباب ﴾ فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم أمرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأ من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص أولى الالباب بهذا الخطاب ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا ﴾ أى فى أن تبتغوا أى تطلبوا ﴿ فضلا من ربكم ﴾ عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم فى الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت ﴿ فاذا أفضتم من عرفات ﴾ دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء اذا صببته بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف فى دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك أولان التأنيث اما أن يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كما فى سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما أبصره عرفه اولان جبريل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر فلما أراه اياه قال قد عرفت أولان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا أو لأن الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة فى ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا أن يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى ـ ثم أفيضوا ـ أو مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو واجب مقيد لا واجب مطلق حتى تجب مقدمته والأمر به غير مطلق ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشاءين ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل مابين مأزمى عرفة ووادى محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه أفضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ كما علمكم أواذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية أوكافة ﴿ وان كنتم من قبله ﴾ أى الهدى ﴿ لمن الضالين ﴾ أى الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى ـ وان نظنك لمن الكاذبين ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ أى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرىء الناس بالكسر أى الناسى يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فنسى والمعنى أن الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه ﴿ واستغفروا الله ﴾ من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه ﴿ فاذا قضيتم مناسككم ﴾ فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها ﴿ فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾ فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم فى المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم ﴿ أو أشد ذكرا ﴾ اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم أو كذكر أشد منه وأبلغ أو على ما أضيف اليه على ضعف بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى أو كذكركم أشد مذكورية من آبائكم أو بمضمر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكر الله منكم لآبائكم ﴿ فمن الناس من يقول ﴾ تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله تعالى الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه ﴿ ربنا آتنا فى الدنيا ﴾ اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا ﴿ وما له فى الآخرة من خلاق ﴾ أى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا أو من طلب خلاق ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ﴾ يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير ﴿ وفى الآخرة حسنة ﴾ يعني الثواب والرحمة ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار أمثلة للمراد بها ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما ﴿ لهم نصيب مما كسبوا ﴾ أى من جنسه وهو جزاؤه أو من أجله كقوله تعالى ـ مما خطيئاتهم اغرقوا ـ أو مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال ﴿ والله سريع الحساب ﴾ يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم فى مقدار لمحة أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات ٣٣ ﴿ واذكروا الله فى أيام معدودات ﴾ كبروه فى أدبار الصلاة وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها فى أيام التشريق ﴿ فمن تعجل ﴾ فمن استعجل النفر ﴿ فى يومين ﴾ يوم القر والذى بعده أى فمن نفر فى ثاني أيام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند أبي حنيفة ﴿ فلا اثم عليه ﴾ باستعجاله ﴿ ومن تأخر فلا اثم عليه ﴾ ومن تأخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وقال أبو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على أهل الجاهلية فان منهم من أثم المتعجل ومنهم من أثم المتاخر ﴿ لمن اتقى ﴾ أى الذى ذكر من التخيير أو من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به أو لاجله حتى لا يتضرر بترك مايهمه منهما ﴿ واتقوا الله ﴾ فى مجامع اموركم ليعبأ بكم ﴿ واعلموا انكم اليه تحشرون ﴾ للجزاء بعد الاحياء وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله ﴾ يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ متعلق بالقول أى مايقوله فى أمور الدنيا وأسباب المعاش أو فى معني الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان أو يعجبك أى يعجبك قوله فى الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك فى الآخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة أو لانه لا يؤذن له فى الكلام ﴿ ويشهد الله على مافى قلبه ﴾ يحلف ويستشهد

الله على أن مافى قلبه موافق لكلامه ﴿ وهو ألد الخصام ﴾ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعني أشد الخصوم خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين كلهم ﴿ واذا تولى ﴾ أدبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا ﴿ سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل ﴿ والله لايحب الفساد ﴾ لايرتضيه فاحذروا غضبه عليه ﴿ واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ﴾ حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه وألزمته اياه ﴿ فحسبه جهنم ﴾ كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب ﴿ ولبئس المهاد ﴾ جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل مايوطأ للجنب ﴿ ومن الناس من يشرى نفسه ﴾ يبيعها أى يبذلها فى الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ﴿ ابتغاء مرضاة الله ﴾ طلبا لرضاه قيل انها نزلت فى صهيب بن سنان الرومى أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لاينفعكم ان كنت معكم ولايضركم ان كنت عليكم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه وأتي المدينة ﴿ والله رؤف بالعباد ﴾ حيث أرشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير أو السلم لانها تؤنث كالحرب قال

السلم تاخذ منها مارضيت به ۞ والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

اللّٰه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمٰت الى النور
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمٰت أولٰئك أصحاب النار هم
فيها خٰلدون ۞ ألم تر الى الذي حاج ابرٰهيم في ربه
أن آتٰه الله الملك اذ قال ابرٰهيم ربي الذي يحيي
ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابرٰهيم فان الله
يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت
الذي كفر والله لا يهدي القوم الظٰلمين ۞
أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى
يحيي هٰذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم
بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم
قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس
وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما
تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ۞

واذ

والمعنى استسلموا لله وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني أهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل وألبانها أو فى شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب أو فى شعب الاسلام وأحكامه كلها فلا تخلوا بشئ والخطاب للمسلمين ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ بالتفرق والتفريق ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة ﴿ فان زللتم ﴾ عن الدخول فى السلم ﴿ من بعد ماجاءتكم البينات ﴾ الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق ﴿ فاعلموا أن الله عزيز ﴾ لايعجزه الانتقام ﴿ حكيم ﴾ لاينتقم الابحق ﴿ هل ينظرون ﴾ استفهام فى معني النفى ولذلك جاء بعده ﴿ الا أن يأتيهم الله ﴾ أى يأتيهم أمره أو بأسه كقوله تعالى أو يأتي أمر ربك فجاءها بأسنا أو يأتيهم الله بباسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم ﴿ فى ظلل ﴾ جمع ظلة كقلة وقلل وهى ما أظلك وقرئ ظلال كقلال ﴿ من الغمام ﴾ السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان أفظع لان الشر اذا جاء من حيث لايحتسب كان أصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير ﴿ والملائكة ﴾ فانهم الواسطة فى اتيان أمره أو الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل أو الغمام ﴿ وقضى الامر ﴾ أتم أمر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على أنه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ أيضا بالتذكير وبناء المفعول ﴿ سل بني اسرائيل ﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد والمراد بهذا السؤال تقريعهم ﴿ كم آتيناهم من آية بينة ﴾ معجزة ظاهرة أو آية فى الكتب شاهدة على الحق والصواب على أيدى الانبياء وكم خبرية أو استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل ﴿ ومن يبدل نعمة الله ﴾ أى آيات الله فانها سبب الهدى الذى هو أجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس أو بالتحريف والتاويل الزائغ ﴿ من بعد ما جاءته ﴾ من بعد ماوصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ماعقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل ﴿ فان الله شديد العقاب ﴾ فيعاقبه أشد عقوبة لانه ارتكب أشد جريمة ٣٤ ﴿ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ﴾ حسنت فى أعينهم وأشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها والمزين فى الحقيقة هو الله تعالى اذ مامن شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وماخلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ﴿ ويسخرون من الذين آمنوا ﴾ يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب أى يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم ﴿ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ﴾ لانهم فى عليين وهم فى أسفل السافلين أو لانهم فى كرامة وهم فى مذلة أو لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى ﴿ والله يرزق من يشاء ﴾ فى الدارين ﴿ بغير حساب ﴾ بغير تقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا تارة وابتلاء أخرى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس أو نوح أو بعد الطوفان أو متفقين على الجهالة والكفر فى فترة ادريس أو نوح ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ أى فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذى علمته من عدد الانبياء مائة وأربعة وعشرون ألفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور فى القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون ﴿ وأنزل معهم الكتاب ﴾ يريد به الجنس ولايريد به انه أنزل مع كل واحد كتابا يخصه فان أكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم ﴿ بالحق ﴾ حال من الكتاب أى ملتبسا بالحق شاهدا به ﴿ ليحكم بين الناس ﴾ أى الله أو النبي المبعوث أو كتابه ﴿ فيما اختلفوا فيه ﴾ فى الحق الذى اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم ﴿ وما اختلف فيه ﴾ فى الحق أو الكتاب ﴿ الا الذين أوتوه ﴾ أى الكتاب المنزل لازالة الخلاف أى عكسوا الامر فجعلوا ما أنزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه ﴾ أى للحق الذى اختلف فيه من اختلف ﴿ من الحق ﴾ بيان لما اختلفوا فيه ﴿ باذنه ﴾ بأمره أو بارادته ولطفه ﴿ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ لايضل سالكه ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ﴾ خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ماذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفتهم وأم منقطعة ومعني الهمزة فيها الانكار

(ولمايأتكم) ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد (مثل الذين خلوا من قبلكم) حالهم التي هي مثل في الشدة (مستهم البأساء والضراء)
بيان له على الاستئناف (وزلزلوا) وأزعجوا ازعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال
الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على أنه حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لايرجونه (متى نصر الله) استبطاء له لتأخره (ألا ان نصر الله قريب) استئناف على ارادة القول أى
فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى أن الوصول الى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال
عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (يسألونك ماذا ينفقون) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عمرو بن الجموح الانصارى كان شيخا هما ذا مال
عظيم فقال يارسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها فنزلت (قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) سئل عن المنفق فاجيب ببيان
المصرف لانه أهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ماتضمنه قوله ما أنفقتم من خير (وماتفعلوا من خير)
فى معنى الشرط (فان الله به عليم) جوابه أى ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ماينافيه فرض الزكاة لينسخ به ٣٥ (كتب عليكم القتال وهو كره لكم)
شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف أو بمعنى الاكراه على المجاز كانهم أكرهوا عليه
لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها (وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
(وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم) وهو جميع مانهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها (والله
يعلم) ماهو خير لكم (وأنتم لاتعلمون) ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها (يسالونك عن الشهر الحرام) روى أنه عليه الصلاة والسلام
بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا
لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها
من تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل
محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق ذلك على
أصحاب السرية وقالوا مانبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وهى أول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا وتعييرا
وقيل أصحاب السرية (قتال فيه) بدل اشتمال من الشهر الحرام وقرئ عن قتال بتكرير
العامل (قل قتال فيه كبير) أى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع
دلالة الآية على حرمة القتال فى الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة فى حيز مثبت فلايعم
(وصد) صرف ومنع (عن سبيل الله) أى الاسلام أو مايوصل العبد الى الله سبحانه وتعالى
من الطاعات (وكفر به) أى بالله (والمسجد الحرام) على ارادة المضاف أى وصد المسجد
الحرام كقول أبى دؤاد أكل امرئ تحسبين امرأ ٭ ونار توقد بالليل نارا
ولايحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذلايتقدم العطف
على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما
يكون باعادة الجار (واخراج أهله منه) أهل المسجد الحرام وهم النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء
الاربعة المعدودة من كبائر قريش وأفعل مما يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
(والفتنة أكبر من القتل) أى ماترتكبونه من الاخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه من
قتل الحضرمى (ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم) اخبار عن دوام عداوة
الكفار لهم وأنهم لاينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك أعبد الله
حتى أدخل الجنة (ان استطاعوا) وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على
قرنه ان ظفرت بى فلاتبق على وايذان بانهم لايردونهم (ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم) قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو
مذهب الشافعى رحمه الله تعالى والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه
(فى الدنيا) لبطلان ماتخيلوه وفوات ماللاسلام من الفوائد الدنيوية (والآخرة) بسقوط
الثواب (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) كسائر الكفرة (ان الذين آمنوا) نزلت
أيضا فى أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم ان سلموا من الاثم فليس لهم أجر (والذين هاجروا

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن
قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ
ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ مَّثَلُ
ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ
سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن
يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞
قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى
وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم
بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا
يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ
مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞

وجاهدوا فى سبيل الله) كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان فى تحقيق الرجاء (أولئك يرجون رحمة الله) ثوابه أثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب
ولاقاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم (والله غفور) لمافعلوا خطأ وقلة احتياط (رحيم) باجزال الاجر والثواب (يسألونك عن الخمر والميسر) روى انه نزل بمكة قوله تعالى
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا أفتنا يارسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ماتعبدون فنزلت لاتقربوا
الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه أنصارى
بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضى الله
عنه انتهينا يارب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما سمى سكرا لانه يسكره أى يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا
كل ما أسكر عند أكثر العلماء وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر والميسر أيضا مصدر كالموعد سمى
به القمار لانه أخذ مال الغير بيسر أو سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى (قل فيهما) أى فى تعاطيهما (اثم كبير) من حيث انه يؤدى الى الانتكاب عن
المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء (ومنافع للناس) من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير
المروة وتقوية الطبيعة (واثمهما أكبر من نفعهما) أى المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما ولهذا قيل انها المحرمة للخمر لان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة

اقتضت تحريم الفعل والاظهر أنه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون ﴾ قيل سائله أيضا عمرو بن الجموح سأل أولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق ﴿ قل العفو ﴾ العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو أن ينفق ماتيسر له بذله ولايبلغ منه الجهد * قال

خذى العفو مني تستديمى مودتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها فى بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه حتى كرر عليه مرارا فقال هاتها مغضبا فأخذها فحذفها حذفا لوأصابه لشجه ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ أبو عمرو برفع العفو ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ أى مثل مابين ان العفو أصلح من الجهد أو ما ذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف أي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع ﴿ لعلكم تتفكرون ﴾ فى الدلائل والاحكام ٣٦ ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ فى أمور الدارين فتأخذون بالاصلح والأنفع فيهما وتجتنبون عما يضركم ولاينفعكم أويضركم أكثر مما ينفعكم ﴿ ويسألونك عن اليتامى ﴾ لما نزلت ـ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ـ الآية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ قل اصلاح لهم خير ﴾ أى مداخلتهم لاصلاحهم أو اصلاح أموالهم خير من مجانبتهم ﴿ وان تخالطوهم فاخوانكم ﴾ حث على المخالطة أى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ أن يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة ﴿ والله يعلم المفسد من المصلح ﴾ وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح أى يعلم أمره فيجازيه عليه ﴿ ولوشاء الله لأعنتكم ﴾ أى ولوشاء الله اعناتكم لأعنتكم أى كلفكم مايشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب يقدر على الاعنات ﴿ حكيم ﴾ يحكم ماتقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة

﴿ ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ أى ولاتتزوجوهن وقرئ بالضم أى ولاتزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى ـ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ـ الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث مرثدا الغنوى الى مكة ليخرج منها أناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها فى الجاهلية فقالت ألاتخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت ﴿ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴾ أى ولامرأة مؤمنة حرة كانت أومملوكة فان الناس كلهم عبيدالله واماؤه ﴿ ولو أعجبتكم ﴾ بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ﴿ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾ ولاتزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ﴾ تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات ﴿ يدعون الى النار ﴾ أى الكفر المؤدى الى النار فلايليق موالاتهم ومصاهرتهم ﴿ والله ﴾ أى وأولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم ﴿ يدعو الى الجنة والمغفرة ﴾ أى الى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة ﴿ باذنه ﴾ أى بتوفيق الله تعالى وتيسيره أو بقضائه وارادته ﴿ ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ﴾ لكى يتذكروا أوليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ﴿ ويسالونك عن المحيض ﴾ روى أن أهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى أن سال أبو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجىء والمبيت ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر يسالونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى أوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع ﴿ قل هو أذى ﴾ أى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه ﴿ فاعتزلوا النساء فى المحيض ﴾ فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولايبالون بالحيض وانما وصفه بانه أذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بأنه العلة ﴿ ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عباس يطهرن أى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله ﴿ فاذا تطهرن فأتوهن ﴾ فانه يقتضى تأخيرجواز الاتيان عن الغسل وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه اذا طهرت لأكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل ﴿ من حيث أمركم الله ﴾ أى المأتي الذى أمركم الله به وحلله لكم ﴿ ان الله يحب التوابين ﴾ من الذنوب ﴿ ويحب المتطهرين ﴾ أى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتي ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾ مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى أرحامهن من النطف بالبذور ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ أى فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى ـ فأتوهن من حيث أمركم الله ﴿ أنى شئتم ﴾ من أى جهة شئتم روى أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ وقدموا لانفسكم ﴾ مايدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطء ﴿ واتقوا الله ﴾ بالاجتناب عن معاصيه ﴿ واعلموا أنكم ملاقوه ﴾ فتزودوا مالا تفتضحون به ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل أمره منهم ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ﴾ نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة رضى الله تعالى عنها أوفى عبد الله بن رواحة حلف أن لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولايصلح بينه وبين أخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للأمر ومعنى الآية على الأول ولا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من أنواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه الصلاة والسلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فائت الذى هو خير وكفر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز أن تكون للتعليل ويتعلق أن بالفعل أو بعرضة أى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لأجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولاتطع كل حلاف مهين وأن تبروا علة للنهى أى أنهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۞ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۞ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ إِنْ تُبْدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تُظْلَمُونَ ۞ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ ۞ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞

الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لايكون برا متقيا ولاموثوقا به فى اصلاح ذات البين ﴿ والله سميع ﴾ لأيمانكم ﴿ عليم ﴾ بنياتكم ٣٧ ﴿ لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ اللغو الساقط الذى لايعتد به من كلام غيره ولغو اليمين مالا عقد معه كماسبق به اللسان أوتكلم به جهلا لمعناه كقول العرب لاوالله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ﴿ ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ﴾ والمعنى لايؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لاقصد معه ولكن يؤاخذكم بهما أو بأحدهما بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم وقال أبو حنيفة اللغو أن يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لايعاقبكم بما أخطأتم فيه من الأيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه ﴿ والله غفور ﴾ حيث لم يؤاخذ باللغو ﴿ حليم ﴾ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة ﴿ للذين يؤلون من نسائهم ﴾ أى يحلفون على أن لايجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن ﴿ تربص أربعة أشهر ﴾ مبتدأ وماقبله خبره أو فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف أضيف الى الظرف على الاتساع أى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفىء ولاطلاق ولذلك قال الشافعى لاايلاء الافى أكثر من أربعة أشهر ويؤيده ﴿ فان فاؤا ﴾ رجعوا فى اليمين بالحنث ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ للمولى اثم حنثه اذا كفر أوما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة ﴿ وان عزموا الطلاق ﴾ وان صمموا قصده ﴿ فان الله سميع ﴾ لطلاقهم ﴿ عليم ﴾ بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة الايلاء فى أربعة أشهر فما فوقها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطء ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفىء ولزم الواطئ أن يكفر والابانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الامرين فان أبي عنهما طلق عليه الحاكم ﴿ والمطلقات ﴾ يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت عليه الآيات والاخبار أن حكم غيرهن خلاف ماذكر ﴿ يتربصن ﴾ خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب أن يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تأكيد ﴿ بأنفسهن ﴾ تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ﴿ ثلاثة قروء ﴾ نصب على الظرف او المفعول به أى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى

مورثة مالا وفى الحى رفعة • لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وأصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أى وقت عدتهن والطلاق المشروع لايكون فى الحيض وأما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم مارواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التى أمر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ﴿ ولا يحل لهن أن يكتمن ماخلق الله فى أرحامهن ﴾ من الولد أو الحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها مقبول فى ذلك ﴿ ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لايجترئ عليه ولاينبغى له أن يفعل ﴿ وبعولتهن ﴾ أى أزواج المطلقات ﴿ أحق بردهن ﴾ الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير أخص من المرجوع اليه ولامتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤلة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم مقام المضاف المحذوف أى وأهل بعولتهن وأفعل ههنا بمعنى الفاعل ﴿ فى ذلك ﴾ أى فى زمان التربص ﴿ ان أرادوا اصلاحا ﴾ بالرجعة لاضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ أى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لافى الجنس ﴿ وللرجال عليهن درجة ﴾ زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها أو شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق ﴿ والله عزيز ﴾ يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام ﴿ حكيم ﴾ يشرعها لحكم ومصالح ﴿ الطلاق مرتان ﴾ أى التطليق الرجعى اثنان لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام أو تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة ﴿ فامساك بمعروف ﴾ بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول ﴿ أو تسريح باحسان ﴾ بالطلقة الثالثة أو بان لايراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ﴿ ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ ﴾ أى من الصدقات روى أن جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أنا ولاثابت لايجمع رأسى ورأسه شئ والله ماأعيبه فى دين ولاخلق ولكني أكره الكفر فى الاسلام وما أطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل فى جماعة من الرجال فاذا هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان أصدقها اياها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب الازواج ومابعده خطاب الحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة ﴿ الاأن يخافا ﴾ أى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ﴿ أنلايقيما حدود الله ﴾ بترك اقامة أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب ﴿ فان خفتم ﴾ أيها الحكام ﴿ أنلايقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به ﴾ على الرجل فى أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه ﴿ تلك حدود الله ﴾ اشارة الى ماحد من الاحكام ﴿ فلا تعتدوها ﴾ فلاتتعدوها بالمخالفة ﴿ ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون ﴾ تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل على ان الخلع لايجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ماساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة أتردين عليه حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عليه الصلاة والسلام أما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لايدل على فساده وانه يصح بلفظ

المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف فى أنه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ أوطلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله ﴿ فان طلقها ﴾ فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى أن يكون طلقة رابعة لوكان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله ـ الطلاق مرتان ـ أوتفسير لقوله ـ أوتسريح باحسان ـ اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على أن الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض أخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين ﴿ فلاتحل له من بعد ﴾ من بعد ذلك الطلاق ﴿ حتى تنكح زوجا غيره ﴾ حتى تتزوج غيره والنكاح يستند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لابد من الاصابة لما روي أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاق وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان مامعه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين أن ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل أن يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر وجوزه أبو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له ﴿ فان طلقها ﴾ الزوج الثاني ﴿ فلاجناح عليهما أن يتراجعا ﴾ أن يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ﴿ ان ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ ان كان في ظنهما انهما يقيمان ماحدده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولاتعلم ولانه لايقال علمت أن يقوم زيد لان أن الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم ﴿ وتلك حدود الله ﴾ أي الاحكام المذكورة ﴿ يبينها لقوم يعلمون ﴾ يفهمون ويعملون بمقتضى العلم ٣٨ ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أي آخر عدتهن والأجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهى قال

كل حى مستكمل مدة العمــر ومود اذا انتهى أجله

والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد فى الآية ليصح أن يرتب عليه ﴿ فأمسكوهن بمعروف أوسرحوهن بمعروف ﴾ اذ لا امساك بعد انقضاء الأجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أو خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم فى بعض صوره للاهتمام به ﴿ ولا تمسكوهن ضرارا ﴾ ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كأن المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة أو الحال بمعنى مضارين ﴿ لتعتدوا ﴾ لتظلموهن بالتطويل أوالالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده ﴿ ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ بتعريضها للعقاب ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ﴾ بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما أنت هازئ كأنه نهى عن الهزؤ وأراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ التى من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها ﴿ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة ﴾ القرآن والسنة أفردهما بالذكر اظهارا لشرفهما ﴿ يعظكم به ﴾ بما أنزل عليكم ﴿ واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شئ عليم ﴾ تأكيد وتهديد ﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ﴾ أي انقضت عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين ﴿ فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ﴾ المخاطب به الاولياء لما روي أنها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته جميلاء أن ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على أن المرأة لاتزوج نفسها اذ لوتمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضى العدة ولايتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج ﴿ اذا تراضوا بينهم ﴾ أي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن أولاتعضلوهن ﴿ بالمعروف ﴾ بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروأة حال من الضمير المرفوع أوصفة لمصدر محذوف أي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج من غير كفؤ غير منهي عنه ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مامضى ذكره والخطاب للجميع على تأويل القبيل أوكل واحد أوان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين أوللرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله ـ يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ـ للدلالة على ان حقيقة المشار اليه أمر لايكاد يتصوره كل أحد ﴿ يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ لانه المتعظ به والمنتفع ﴿ ذلكم ﴾ أي العمل بمقتضى ماذكر ﴿ أزكى لكم ﴾ أنفع ﴿ وأطهر ﴾ من دنس الآثام ﴿ والله يعلم ﴾ مافيه النفع والصلاح ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾ لقصور علمكم ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ﴾ أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب أو الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن ﴿ حولين كاملين ﴾ أكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه ﴿ لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ بيان للمتوجه اليه الحكم أي ذلك لمن أراد اتمام الرضاعة أومتعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان أقصى مدة الارضاع حولان ولاعبرة به بعدهما وانه يجوز أن ينقص عنه ﴿ وعلى المولود له ﴾ أي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه ﴿ رزقهن وكسوتهن ﴾ أجرة لهن واختلف فى استئجار الأم فجوزه الشافعى ومنعه أبوحنيفة رحمه الله تعالى ما دامت زوجة أو معتدة نكاح ﴿ بالمعروف ﴾ حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه ﴿ لاتكلف نفس الاوسعها ﴾ تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على أنه سبحانه وتعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لايمنع امكانه ﴿ لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده ﴾ تفصيل له وتقرير أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب لاتضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف وأصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل أوالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز أن يكون بمعنى تضر والباء من صلته أي لايضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيماينبغى له وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من

---

٤٨ سورة البقرة

الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطن من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربوا
وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه
فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك
أصحب النار هم فيها خلدون ۞ يمحق الله الربوا ويربي
الصدقت والله لا يحب كل كفار أثيم ۞
ان الذين آمنوا وعملوا الصلحت وأقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ۞ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ۞ فان لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس
أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ۞ وان كان
ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم
ان كنتم تعلمون ۞ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ۞

يا أيها

ضاره بضيره واضافة الولد اليها تارة واليه أخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي أن يضرا به أو أن يتضارا بسببه ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ومابينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي أى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي رحمه الله تعالى اذلانفقة عنده فيما عدا الولادة وقيل وارث الطفل وليه ذهب ابن أبي ليلى وقيل وارثه المحرم منـه وهو مذهب أبي حنيفة وقيل عصباته وبه قال أبوزيد وذلك اشارة الى ماوجب على الاب من الرزق والكسوة ﴿فان أرادا فصالا عن تراض منهـما وتشاور﴾ أى فصالا صادرا عن التراضي منهـما والتشاور بينهـما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته ﴿فلاجناح عليهما﴾ في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا أن يقدم أحدهما على مايضر به لغرض أوغيره ﴿وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال أرضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك أنجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه ﴿فلاجناح عليكم﴾ فيه واطلاقه يدل على ان للزوج أن يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع ﴿اذا سلمتم﴾ الى المراضع ﴿ما آتيتم﴾ ما أردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقراءة ابن كثير ماأتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ أوتيتم أي ما آتاكم الله وأقدركم عليـه من الاجرة ﴿بالمعروف﴾ صلة سلمتم أي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ماهو الاولى والاصلح للطفل ﴿واتقوا الله﴾ مبالغـة في المحافظة على ماشرع في أمر الاطفال والمراضع ﴿واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾ حث وتهديد ٣٩ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ أي وأزواج الذين أو والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بعـدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لايستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الاعشرا ثم ان لبثتم الايوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة أشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان أنثى فاعتبر أقصى الاجلين وزيد عليـه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لـكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل منـه لقوله تعالى ـ وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ـ وعن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا ﴿فاذا بلغن أجلهن﴾ أي انقضت عدتهن ﴿فلاجناح عليكم﴾ أيها الأئمة أو المسلمون جميعا ﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ من التعرض للخطاب وسائر ماحرم عليهن للعدة ﴿بالمعروف﴾ بالوجـه الذي لاينـكره الشرع ومفهومه انهن لوفعلن ماينـكره فعليهم أن يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فيجازيكم عليه ﴿ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء﴾ التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولامجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والـكناية هي الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والـكسر اسم الحالة غير أن المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها أن يقول لها انك جميلة أو نافقة ومن غرضي ان أتزوج ونحو ذلك ﴿أو أكننتم في أنفسكم﴾ أو أضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولاتعريضا ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ ولاتصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ﴿ولـكن لاتواعدوهن سرا﴾ استدراك على محذوف دل عليه ستذكرونهن أي فاذكروهن ولـكن لاتواعدوهن نـكاحا أو جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لاتواعدوهن في السر على ان المعني بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن ﴿الا أن تقولوا قولا معروفا﴾ وهو ان تعرضوا ولاتصرحوا والمستثني منـه محذوف أي لاتواعدوهن مواعدة الامواعدة معروفة أو الامواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لاتواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ﴿ولاتعزموا عقدة النكاح﴾ ذكر العزم مبالغـة في النهي عن العقد أي ولاتعزموا عقد عقدة النـكاح وقيـل معناه ولاتقطعوا عقدة النـكاح فان أصل العزم القطع ﴿حتى يبلغ الـكتاب أجله﴾ حتى ينتهي ما كتب من العدة ﴿واعلموا أن الله يعلم مافي أنفسكم﴾ من العزم على مالايجوز ﴿فاحذروه﴾ ولاتعزموا ﴿واعلموا أن الله غفور﴾ لمن عزم ولم يفعل خشية من الله سبحانه وتعالى ﴿حليم﴾ لايعاجلكم بالعقوبة ﴿لاجناح عليكم﴾ لاتبعة من مهر وقيل من وزر لانه لابدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان للنبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ﴿ان طلقتم النساء مالم تمسوهن﴾ أي تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن ﴿أو تفرضوا لهن فريضة﴾ الا ان تفرضوا أو حتى تفرضوا أو وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعني مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعني انه لاتبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى أو مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولـكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ﴿ومتعوهن﴾ عطف على مقدر أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأي الحاكم ويؤيده قوله ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ أي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق الحال مايطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل أن يمسها متعها بقلنسوتك وقال أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا أن يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج وألحق بها الشافعي رحمه الله تعالى في أحد قوليـه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال ﴿متاعا﴾ تمتيعا ﴿بالمعروف﴾ بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة ﴿حقا﴾ صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا ﴿على المحسنين﴾ الذين يحسنون الى أنفسهم بالمسارعة الى الامتثال أو الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيبا وتحريضا ﴿وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة﴾ لما ذكر حكم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ
وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ
كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ
اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ
وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ
لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ
مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى
وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ
صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ
لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً
تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا
وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا
شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞

المفوضة اتبعه حكم قسيمها ﴿فنصف مافرضتم﴾ أي فلهن أو فالواجب نصف مافرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لامتعة مع التشطير لانه قسيمها ﴿الاأن يعفون﴾ أي المطلقات فلايأخذن شيأ والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق في الاول ان الواو ضمير والنون علامة الرفع والثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه أن ههنا ونصب المعطوف عليه ﴿أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح﴾ أي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض أصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رحمه الله تعالى ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوي﴾ يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو ﴿ولاتنسوا الفضل بينكم﴾ أي ولاتنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿ان الله بماتعملون بصير﴾ لايضيع تفضلكم واحسانكم ٤٠ ﴿حافظوا على الصلوات﴾ بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف أحكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها ﴿والصلاة الوسطى﴾ أي الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت أشق الصلوات عليهم فكانت أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل العبادات أحمزها وقيل صلاة الفجر لانها بين صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص والمدح ﴿وقوموا لله﴾ في الصلاة ﴿قانتين﴾ ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح ﴿فان خفتم﴾ من عدو أو غيره ﴿فرجالا أو ركبانا﴾ فصلوا راجلين أو راكبين ورجالا جمع راجل أو رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال أبوحنيفة رحمه الله تعالى لايصلي حال المشي والمسايفة مالم يمكن الوقوف ﴿فاذا أمنتم﴾ وزال خوفكم ﴿فاذكروا الله﴾ صلوا صلاة الامن أو اشكروه على الامن ﴿كما علمكم﴾ ذكرا مثل ماعلمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن أو شكرا يوازيه وما مصدرية أو موصولة ﴿مالم تكونوا تعلمون﴾ مفعول علمكم ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لازواجهم﴾ قرأها بالنصب أبوعمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية أو ليوصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو ألزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون أو وحكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية وقرئ متاع بدلها ﴿متاعا الى الحول﴾ نصب بيوصون ان أضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع ﴿غير اخراج﴾ بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل أن يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك في أول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رحمه الله ﴿فان خرجن﴾ عن منزل الازواج ﴿فلاجناح عليكم﴾ أيها الائمة ﴿فيما فعلن في أنفسهن﴾ كالتطيب وترك الاحداد ﴿من معروف﴾ مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها ﴿والله عزيز﴾ ينتقم ممن خالفه منهم ﴿حكيم﴾ يراعي مصالحهم ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾ أثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما أوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لايخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز أن تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد أو لتكرر القضية ﴿كذلك﴾ اشارة الى ماسبق من الاحكام الطلاق والعدة ﴿يبين الله لكم آياته﴾ وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام مايحتاجون اليه معاشا ومعادا ﴿لعلكم تعقلون﴾ لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها ﴿ألم تر﴾ تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم يرو من لم يسمع فانه صار مثلا في التعجيب ﴿الى الذين خرجوا من ديارهم﴾ يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيها طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا أن لامفر من قضاء الله تعالى وقدره أو قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم ﴿وهم ألوف﴾ أي ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع ألف أو آلف كقاعد وقعود والواو للحال ﴿حذر الموت﴾ مفعول له ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله تعالى ومشيئة وقيل ناداهم به ملك وانما أسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ﴿ثم أحياهم﴾ قيل مر حزقيل عليه السلام على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لااله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ﴿ان الله لذو فضل على الناس﴾ حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليهم حالهم ليستبصروا ﴿ولكن اكثر الناس لايشكرون﴾ اي لايشكرونه كماينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص منه وان المقدر لامحالة واقع أمرهم بالقتال اذ لوجاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب ﴿واعلموا ان الله سميع﴾ لمايقوله المتخلف والسابق ﴿عليم﴾ بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا أو بدله واقراض الله سبحانه وتعالى مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه ﴿قرضا حسنا﴾ اقراضا حسنا مقرونا

سورة البقرة ٥٠

وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ
أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
ءَاثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ
مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ۞

سورة آل عمران

بالاخلاص وطيب النفس أومقرضا حلالاطيبا وقيل القرض الحسن بالمجاهدة والانفاق فى سبيل الله ﴿ فيضاعفه له ﴾ فيضاعف جزاءه أخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ
عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعني فان من ذا الذى يقرض الله فى معني أيقرض الله أحد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب
﴿ أضعافا كثيرة ﴾ كثرة لايقدرها الا الله سبحانه وتعالى وقيل الواحد بسبعمائة وأضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثاني لتضمن المضاعفة
معنى التصيير أوالمصدر على أن الضعف اسم مصدر وجمعه للتنويع ﴿ والله يقبض ويبسط ﴾ يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلاتبخلوا عليه بما وسع
عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائى والبزى وأبو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى وزادكم فى الخلق بسطة ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيجازيكم على حسب
ماقدمتم ٤١ ﴿ ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل ﴾ الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولاواحد له كالقوم ومن للتبعيض ﴿ من بعد موسى ﴾ أى من بعد وفاته ومن الابتداء ﴿ اذ قالوا
لنبي لهم ﴾ هو يوشع أوشمعون أوشمويل عليهم السلام ﴿ ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ﴾ أقم لنا أميرا ننهض معه للقتال يدبر أمره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على
الجواب وقرئ بالرفع على انه حال أى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا ﴿ قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ﴾ فصل بين
عسى وخبره بالشرط والمعني أتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عماهو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين ﴿ قالوا ومالنا
الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ﴾ أى أى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا مايوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت
ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء الملوك أربعمائة وأربعين ﴿ فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ﴾ ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد أهل بدر ﴿ والله عليم
بالظالمين ﴾ وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد ﴿ وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا ﴾ طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع
صرفه روى أن نبيهم صلى الله عليه وسلم لما دعا الله أن يملكهم أتي بعصا يقاس بها من يملك
عليهم فلم يساوها الا طالوت ﴿ قالوا أني يكون له الملك علينا ﴾ من أين يكون له ذلك ويستاهل
﴿ ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ﴾ والحال أنا أحق بالملك منه وراثة ومكنة وانه
فقير لامال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا أوسقاء أودباغا من أولاد
بنيامين ولم تكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى أولاد لاوى بن يعقوب والملك
فى أولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق ﴿ قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى
العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴾ لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك أولا بان العمدة فيه اصطفاء الله سبحانه وتعالى وقد اختاره
عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا فى القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة
الحروب لاماذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بان
الله تعالى مالك الملك على الاطلاق فله أن يؤتيه من يشاء ورابعا أنه واسع الفضل يوسع على
الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره ﴿ وقال لهم نبيهم ﴾ لما طلبوا منه حجة
على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ﴿ ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾
الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع فانه لايزال يرجع اليه مايخرج منه وليس بفاعول
لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله أبدله منه كما أبدل من تاء التأنيث لاشتراكهما فى
الهمس والزيادة ويريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من
ثلاثة أذرع فى ذراعين ﴿ فيه سكينة من ربكم ﴾ الضمير للاتيان أى فى اتيانه سكون لكم
وطمأنينة أو للتابوت أى مودع فيه ماتسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه الصلاة
والسلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولايفرون وقيل صورة كانت فيه من
زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو
العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صورة الانبياء من آدم الى
محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة مافيه من العلم والاخلاص واتيانه
مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن ﴿ وبقية مماترك آل موسى وآل هرون ﴾
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم
لتفخيم شأنهما أو أنبياء بنى اسرائيل لانهم أبناء عمهما ﴿ تحمله الملائكة ﴾ قيل رفعه الله
بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع أنبيائهم يستفتحون به
حتى أفسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان فى أرض جالوت الى أن ملك الله طالوت فأصابهم بلاء
حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ﴿ ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ يحتمل أن يكون من تمام كلام النبي عليه
السلام وأن يكون ابتداء خطاب من الله سبحانه وتعالى ٤٢ ﴿ فلما فصل طالوت بالجنود ﴾ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة وأصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف
مفعوله صار كاللازم روى أنه قال لهم لايخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا أن يجري الله لهم نهرا
﴿ قال ان الله مبتليكم بنهر ﴾ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ﴿ فمن شرب منه فليس مني ﴾ فليس من أشياعي أوليس بمتحد معي ﴿ ومن لم يطعمه فانه مني ﴾ أى من لم يذقه
من طعم الشئ اذا ذاقه مأكولا أومشروبا قال الشاعر ۞ وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ۞ وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل أو باخبار النبي عليه السلام ﴿ الا من
اغترف غرفة بيده ﴾ استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون على الخبر فى قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى
القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون غرفة بضم الغين ﴿ فشربوا منه الا قليلا منهم ﴾ أى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لايكون بوسط وتعميم الاول ليتصل
الاستثناء أو أفرطوا فى الشرب منه الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف
وقيل ألفا روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر أن يمضى وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة ﴿ فلما جاوزه
هو والذين آمنوا معه ﴾ أى القليل الذين لم يخالفوه ﴿ قالوا ﴾ أى بعضهم لبعض ﴿ لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ لكثرتهم وتوهم ﴿ قال الذين يظنون أنهم
ملاقوا الله ﴾ أي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه أو علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ۞ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى الْأَرْضِ
وَلَا فِى السَّمَآءِ ۞ هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ
فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ
الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ
فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ۞ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا
وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۞

قالوا للكثير المتخذلين عنه اعتذارا فى التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة اومزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته أو من فاء اذا رجع فوزنها فعة أو فلة ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والاثابة ﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده ﴾ أي ظهروا لهم ودنوا منهم ﴿ قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ التجأوا الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذي هو ملاك الأمر ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا ﴿ فهزموهم باذن الله ﴾ فكسروهم بنصره أومصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم ﴿ وقتل داود جالوت ﴾ قيل كان ايشافى عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعي الغنم فأوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقدكلمه فى الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته ﴿ وآتاه الله الملك ﴾ أي ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك ﴿ والحكمة ﴾ أي النبوة ﴿ وعلمه مما يشاء ﴾ كالسرد وكلام الدواب والطير ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذوفضل على العالمين ﴾ ولولا انه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وأفسدوا فى الارض أولفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفى الحج دفاع الله ﴿ تلك آيات الله ﴾ اشارة الى ماقص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ بالوجه المطابق الذي لايشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ ﴿ وانك لمن المرسلين ﴾ لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع ٤٣ ﴿ تلك الرسل ﴾ اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها فى السورة أوالمعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم أو جماعة الرسل واللام للاستغراق ﴿ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ بأن خصصناه بمنقبة ليست لغيره ﴿ منهم من كلم الله ﴾ تفصيل له وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفى الطور ومحمدا عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين أوأدنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما أن الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ بأن فضله على غيره من وجوه متعددة أو بمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خصه بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي أعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ـ ورفعناه مكانا عليا ـ وقيل أولو العزم من الرسل ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ﴿ ولوشاء الله ﴾ أي هدى الناس جميعا ﴿ ما اقتتل الذين من بعدهم ﴾ من بعد الرسل ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ أي المعجزات الواضحة لاختلافهم فى الدين وتضليل بعضهم بعضا ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ﴾ بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ﴿ ومنهم من كفر ﴾ لاعراضه عنه بخذلانه ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ كرره للتأكيد ﴿ ولكن الله يفعل مايريد ﴾ فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله سبحانه وتعالى تابعة لمشيئته خيرا كان أوشرا ايمانا أوكفرا ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ ما أوجبت عليكم انفاقه ﴿ من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة ﴾ من قبل أن يأتي يوم لاتقدرون فيه على تدارك مافرطتم والخلاص من عذابه اذ لابيع فيه فتحصلون ماتنفقونه أوتفتدون به من العذاب ولاخلة حتى يعينكم عليه أخلاؤكم أويسامحوكم به ولاشفاعة ـ الا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا ـ حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط مافى ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع أوخلة أوشفاعة وقدفتحها ابن كثيروأبو عمرو ويعقوب على الاصل ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ يريد والتاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم أو وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا لهم وتهديدا كقوله ومن كفر مكان ومن لم يحج وايذانا بأن ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة ﴿ الله لااله الا هو ﴾ مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لاغير وللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للاخير مثل فى الوجود أويصح أن يوجد ﴿ الحى ﴾ الذي يصح أن يعلم ويقدر وكل مايصح له فهو واجب لايزول لامتناعه عن القوة والامكان ﴿ القيوم ﴾ الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم ﴿ لاتأخذه سنة ولانوم ﴾ السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفى للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من أخذه نعاس أونوم كان مؤف الحياة قاصرا فى الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفى الجمل التي بعده ﴿ له ما فى السموات ومافى الارض ﴾ تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده فى الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما أوخارجا عنهما متمكنا فيهما فهو أبلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن ﴿ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴾ بيان لكبرياء شأنه سبحانه وتعالى وانه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن أن يعاوقه عنادا أومناصبة أى مخاصمة ﴿ يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ﴾ ماقبلهم ومابعدهم أوبالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى أوأمور الدنيا وأمور الآخرة أوعكسه أومايحسونه ومايعقلونه أو مايدركونه ومالا يدركونه والضمير لما فى السموات والارض لان فيهما العقلاء أولما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام. ﴿ ولايحيطون بشئ من علمه ﴾ من معلوماته ﴿ الا بما شاء ﴾ أن يعلموه وعطفه على ماقبله لأن مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والارض ﴾ تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى ـ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ـ ولا كرسى فى الحقيقة ولاقاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه أوملكه مأخوذ من كرسى العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۞ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ
وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ
الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ
مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ۞ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ۞ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ۞ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ
وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ۞ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ
اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ
فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۞

ولذلك سمى كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع من الكرسى الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولايفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرس وهو الملبد ﴿ولايؤده﴾ أى ولايثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج ﴿حفظهما﴾ أى حفظه السموات والارض فحذف الفاعل وأضاف المصدر الى المفعول ﴿وهو العلى﴾ المتعالى عن الانداد والاشباه ﴿العظيم﴾ المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه*وهذه الآية مشتملة على أمهات المسائل الالهية فانها دالة على أنه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه مايعترى الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذى لايشفع عنده الا من أذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح أن يملك ويقدر عليه لايؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لايحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان أعظم آية في القرآن آية الكرسى من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيآته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أوعابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله ﴿لا اكراه في الدين﴾ اذ الاكراه فى الحقيقة الزام الغير فعلا لايرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن ﴿قد تبين الرشد من الغى﴾ تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الايمان رشد يوصل الى السعادة الأبدية والكفر غى يؤدى الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طالبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهى أى لاتكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله ـ جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ـ أوخاص باهل الكتاب لما روى أن أنصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يا رسول الله أيدخل بعضى النار وأنا أنظر اليه فنزلت فخلاهما ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشيطان أو الاصنام أوكل ماعبد من دون الله أو صد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ﴿ويؤمن بالله﴾ بالتوحيد وتصديق الرسل ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والرأى القويم ﴿لا انفصام لها﴾ لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته ﴿والله سميع﴾ بالاقوال ﴿عليم﴾ بالنيات ولعله تهديد على النفاق ٤٤ ﴿الله ولى الذين آمنوا﴾ محبهم أومتولى أمورهم والمراد بهم من أراد ايمانه وثبت في علمه أنه يؤمن ﴿يخرجهم﴾ بهدايته وتوفيقه ﴿من الظلمات﴾ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر ﴿الى النور﴾ الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر أوحال من المستكن في الخبر أومن الموصول أو منهما أو استئناف مبين أو مقرر للولاية ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾ أى الشياطين أوالمضلات من الهوى والشيطان وغيرهما ﴿يخرجونهم من النور الى الظلمات﴾ من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات أومن نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لايابى تعلق قدرته تعالى وارادته به ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم ﴿ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه﴾ تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته ﴿أن آتاه الله الملك﴾ لان آتاه أى أبطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة أوحاج لأجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاديتنى لانى أحسنت اليك أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة ﴿اذ قال ابراهيم﴾ ظرف لحاج أو بدل من أن آتاه الله الملك على الوجه الثانى ﴿ربى الذى يحي ويميت﴾ يخلق الحياة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء ﴿قال أنا أحي وأميت﴾ بالعفو عن القتل وبالقتل وقرأ نافع أنا بلا ألف ﴿قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب﴾ اعرض ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لايقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى أخرى ولعل نمروذ زعم أنه يقدر أن يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته أو اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الاصنام سجنه أياما ثم أخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه ﴿فبهت الذي كفر﴾ فصار مبهوتا وقرئ فبهت أى فغلب ابراهيم الكافر ﴿والله لايهدي القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج أو سبيل النجاة أوطريق الجنة يوم القيامة ﴿أوكالذي مر على قرية﴾ تقديره أو أرأيت مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته أكثر من أن يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذي حاج أو الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذى حاج أوكالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره أوان كنت تحيي فاحى كاحياء الله تعالى الذي مر على قرية وهو عزير بن شرحيا أوالخضر أوكافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ خالية ساقطة حيطانها على سقوفها ﴿قال أنى يحيي هذه الله بعدموتها﴾ اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى أوعلى الحال بمعنى كيف ﴿فأماته الله مائة عام﴾ فألبثه ميتا مائة عام أوأماته الله فلبث ميتا مائة عام ﴿ثم بعثه﴾ بالاحياء ﴿قال كم لبثت﴾ القائل هو الله وساغ أن يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث أوشارف الايمان وقيل ملك أونبى ﴿قال لبثت يوما أو بعض يوم﴾ كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الاضراب ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء أصلية ان قدرت لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل أصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما أفرد

سورة آل عمران ٥٤

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى
كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ
❁ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ
وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ❁ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ
لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ❁ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❁ تُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ❁ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا
أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
❁ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❁

يوم

الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا أولبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى الوصل ﴿وانظر الى حمارك﴾ كيف تفرقت عظامه أوانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلاماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول أدل على الحال وأوفق لما بعده ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ أى وفعلنا ذلك لنجعلك آية ۞ روى أنه أتى قومه على حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا وأولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة ﴿وانظر الى العظام﴾ يعني عظام الحمار أوالاموات الذين تعجب من احيائهم ﴿كيف ننشزها﴾ كيف نحييها أونرفع بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو ويعقوب ننشرها من أنشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ﴿ثم نكسوها لحما فلما تبين له﴾ فاعل تبين مضمر يفسره مابعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير ﴿قال أعلم ان الله على كل شئ قدير﴾ فحذف الاول لدلالة الثانى عليه أويفسره ماقبله أى فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه أوهو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت ٤٥ ﴿واذقال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال له ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة أخرى ﴿قال أولم تؤمن﴾ باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أغرق الناس في الايمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ أى بلى آمنت ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى أوالاستدلال ﴿قال فخذ أربعة من الطير﴾ قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه أقرب الى الانسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به أوجمع كصحب ﴿فصرهن اليك﴾ فاملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال

وماصيد الاعناق فيهم جبلة ۞ ولكن أطراف الرماح تصورها

وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه • على الليث قنوان الكروم الدوالح

وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وهما لغتان مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهى الجمع أيضا ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ﴾ أى ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة وقرأ أبوبكر جزؤا وجزؤ بضم الزاى حيث وقع ﴿ثم ادعهن﴾ قل لهن تعالين باذن الله تعالى ﴿يأتينك سعيا﴾ ساعيات مسرعات طيرانا أومشيا ۞ روى أنه أمر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى آخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى أن من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بدعاية العقل أوالشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد ان أماته مائة عام ﴿واعلم أن الله عزيز﴾ لا يعجز عما يريده ﴿حكيم﴾ ذو حكمة بالغة فى كل مايفعله ويذره ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾ أى مثل نفقتهم كمثل حبة أومثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف ﴿أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة﴾ أسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله تعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب لكل منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن وفي البر فى الاراضى المغلة ﴿والله يضاعف﴾ تلك المضاعفة ﴿لمن يشاء﴾ بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب ﴿والله واسع﴾ لا يضيق عليه مايتفضل به من الزيادة ﴿عليم﴾ بنية المنفق وقدر انفاقه ﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى﴾ نزلت في عثمان رضى الله تعالى عنه. فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه أتي النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد باحسانه على من أحسن اليه والاذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى ﴿لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم أهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا ﴿قول معروف﴾ رد جميل ﴿ومغفرة﴾ وتجاوز عن السائل والحاحه أونيل المغفرة من الله بالرد الجميل أوعفو من السائل بان يعذر ويغتفر رده ﴿خير من صدقة يتبعها أذى﴾ خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة ﴿والله غني﴾ عن انفاق بمن وايذاء ﴿حليم﴾ عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى﴾ لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما ﴿كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه ولا يريد به رضا الله تعالى ولا ثواب الآخرة أومماثلين الذي ينفق رئاء الناس والكاف في محل النصب على المصدر أوالحال ورئاء نصب على المفعول له أوالحال بمعني مرائيا أوالمصدر أى انفاقا رئاء ﴿فمثله﴾ أى فمثل المرائى في انفاقه ﴿كمثل صفوان﴾ كمثل حجر أملس ﴿عليه تراب فأصابه وابل﴾ مطر عظيم القطر ﴿فتركه صلدا﴾ أملس نقيا من التراب ﴿لا يقدرون على شئ مما كسبوا﴾ لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس أوالجمع كما في قوله

ان الذى حانت بفلج دماؤهم • هم القوم كل القوم يا أم خالد

﴿والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولابد للمؤمن أن يتجنب عنها ٤٦ ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم﴾ وتثبيتا بعض أنفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أوتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال ﴿كمثل جنة بربوة﴾

أى ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون أحسن منظرا وأزكي ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها ﴿ أصابها وابل ﴾ مطر عظيم القطر ﴿ فآتت أكلها ﴾ ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف ﴿ ضعفين ﴾ مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما أريد بالزوج الواحد في قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله ونصبه على الحال أى مضاعفا ﴿ فان لم يصبها وابل فطل ﴾ أى فيصيبها أو فالذى يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعني ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لاتضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ماينضم اليها من أحواله ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ تحذير عن الرئاء وترغيب في الاخلاص ﴿ أيود أحدكم ﴾ الهمزة فيه للانكار ﴿ أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات ﴾ جعل الجنة منهما مع مافيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر أن فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر أنواع الاشجار ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع ﴿ وأصابه الكبر ﴾ أى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة أصعب والواو للحال أو للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر ﴿ وله ذرية ضعفاء ﴾ صغار لاقدرة لهم على الكسب ﴿ فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت ﴾ عطف على أصابه أو تكون باعتبار المعني والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها مايحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتدت حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ماسوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾ أى تتفكرون فيها فتعتبرون بها ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ من حلاله أوجياده ﴿ ومما أخرجنا لكم من الارض ﴾ أى ومن طيبات ما أخرجنا لكم من الحبوب والثمرات والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه ﴾ أى ولا تقصدوا الردىء منه أى من المال أو مما أخرجنا لكم وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه أكثر وقرئ ولا تؤموا ولا تيمموا بضم التاء ﴿ تنفقون ﴾ حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز أن يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ﴿ ولستم بآخذيه ﴾ أى وحالكم أنكم لاتأخذونه في حقوقكم لرداءته ﴿ الا أن تغمضوا فيه ﴾ الا أن تتسامحوا فيه مجاز من أغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا أى تحملوا على الاغماض أو توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رضى الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه ﴿ واعلموا أن الله غنى ﴾ عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم ﴿ حميد ﴾ بقبوله واثابته ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ﴾ فى الانفاق والوعد في الاصل شائع فى الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ﴿ ويأمركم بالفحشاء ﴾ ويغريكم على البخل والعرب تسمى البخيل فاحشا وقيل المعاصي ﴿ والله يعدكم مغفرة منه ﴾ أى يعدكم فى الانفاق مغفرة لذنوبكم ﴿ وفضلا ﴾ خلفا أفضل مما أنفقتم فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿ والله واسع ﴾ أى واسع الفضل لمن أنفق ﴿ عليم ﴾ بانفاقه ﴿ يؤتى الحكمة ﴾ تحقيق العلم واتقان العمل ﴿ من يشاء ﴾ مفعول أول أخر للاهتمام بالمفعول الثانى ﴿ ومن يؤت الحكمة ﴾ بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر أى ومن يؤته الله الحكمة ﴿ فقد أوتى خيرا كثيرا ﴾ أي أى خير كثير اذ حيز له خير الدارين ﴿ وما يذكر ﴾ ومايتعظ بما قص من الآيات أو ومايتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما أودع الله فى قلبه من العلوم بالقوة ﴿ الا أولوا الالباب ﴾ ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى ٤٧ ﴿ وما أنفقتم من نفقة ﴾ قليلة أو كثيرة سرا أو علانية فى حق أو باطل ﴿ أو نذرتم من نذر ﴾ بشرط أو بغير شرط فى طاعة أو معصية ﴿ فان الله يعلمه ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ وما للظالمين ﴾ الذين ينفقون في المعاصى وينذرون فيها أو يمنعون الصدقات ولايوفون بالنذر ﴿ من أنصار ﴾ من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ﴿ ان تبدوا الصدقات فنعما هى ﴾ فنعم شيأ ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروى عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو أقيس ﴿ وان تخفوها وتؤتوها الفقراء ﴾ أى تعطوها مع الاخفاء ﴿ فهو خير لكم ﴾ فالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره أفضل لنفى التهمة عنه عن ابن عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ﴿ ويكفر عنكم من سيآتكم ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم فى رواية حفص بالياء أى والله يكفر أو الاخفاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على أنه جملة فعلية مبتدأة أو اسمية معطوفة على مابعد الفاء أى ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء ومابعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ ترغيب فى الاسرار ﴿ ليس عليك هداهم ﴾ لايجب عليك أن تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهى عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ﴿ ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم ﴿ وماتنفقوا من خير ﴾ من نفقة معروفة ﴿ فلانفسكم ﴾ فهو لانفسكم لاينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولاتنفقوا الخبيث ﴿ وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ﴾ حال وكأنه قال وماتنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه أو عطف على ماقبله أى وليست نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفى فى معنى النهى ﴿ وما تنفقوا من خير يوف اليكم ﴾ ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أو مايخلف للمنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفعوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه الي الكفار ﴿ وأنتم لاتظلمون ﴾ أى لاتنقصون ثواب نفقاتكم ﴿ للفقراء ﴾ متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ماتنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء ﴿ الذين أحصروا فى سبيل الله ﴾ أحصرهم الجهاد ﴿ لايستطيعون ﴾ لاشتغالهم به ﴿ ضربا فى الارض ﴾ ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا نحوا من أربعمائة من

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوٓءٍ تَوَدُّ
لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعِبَادِ ۞ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۞ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ
عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ
وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا
حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞

فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يحسبهم الجاهل ﴾ بحالهم وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين ﴿ أغنياء من التعفف ﴾ من أجل تعففهم عن السؤال ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ﴿ لايسألون الناس الحافا ﴾ الحاحا وهو أن يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه أى أعطانى من فضل ماعنده والمعني انهم لايسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفى للامرين كقوله ❊ على لاحب لايهتدى بمناره ❊ ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال أو على الحال ﴿ وماتنفقوا من خير فان الله به عليم ﴾ ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ أى يعمون الاوقات والاحوال بالخير ❊ نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل فى أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه لم يملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف أى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية ٤٨ ﴿ الذين يأكلون الربوا ﴾ أى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه أعظم منافع المال ولان الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد الى أجل أو في العوض بان يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلاة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ﴿ لايقومون ﴾ اذا بعثوا من قبورهم ﴿ الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ﴾ الاقياما كقيام المصروع وهو وارد على مايزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء ﴿ من المس ﴾ أى الجنون وهذا أيضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلايقومون أى لايقومون من المس الذى بهم بسبب أكل الربا أو بيقوم أو بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لالاختلال عقولهم ولكن لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم ﴿ ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا ﴾ أى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا أصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربوا ﴾ انكار لتسويتهم وابطال للقياس بمعارضة النص ﴿ فمن جاءه موعظة من ربه ﴾ فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر كالنهى عن الربا ﴿ فانتهى ﴾ فاتعظ وتبع النهى ﴿ فله ماسلف ﴾ تقدم أخذه التحريم ولايسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ماقبله ﴿ وأمره الى الله ﴾ يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه ﴿ ومن عاد ﴾ الى تحليل الربا اذ الكلام فيه ﴿ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لانهم كفروا به ﴿ يمحق الله الربوا ﴾ يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ﴿ ويربى الصدقات ﴾ يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربى أحدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام مانقصت زكاة من مال قط ﴿ والله لايحب ﴾ لايرضى ولا يحب محبته للتوابين ﴿ كل كفار ﴾ مصر على تحليل المحرمات ﴿ أثيم ﴾ منهمك فى ارتكابه ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ بالله ورسوله وبما جاءهم منه ﴿ وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة ﴾ عطفهما على مايعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة ﴿ لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ﴾ من آت ﴿ ولاهم يحزنون ﴾ على فائت ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا ﴾ واتركوا بقايا ماشرطتم على الناس من الربا ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بقلوبكم فان دليله امتثال ماامرتم به ❊ روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت ﴿ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ أى فاعلموا بها من أذن بالشئ اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم فى رواية ابن عياش فآذنوا أى فأعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى أن يقاتل المربى بعد الاستتابة حتى يفئ الى أمر الله كالباغى ولايقتضى كفره روى أنها لما نزلت قالت ثقيف لايدى لنا بحرب الله ورسوله ﴿ وان تبتم ﴾ من الارتباء واعتقاد حله ﴿ فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ﴾ باخذ الزيادة ﴿ ولاتظلمون ﴾ بالمطل والنقصان ويفهم منه أنهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ماقلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ ﴿ وان كان ذوعسرة ﴾ وان وقع غريم ذوعسرة وقرئ ذاعسرة أى وان كان الغريم ذاعسرة ﴿ فنظرة ﴾ فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظره على الخبر أى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وفناظره على الامر أى فسامحه بالنظرة ﴿ الى ميسرة ﴾ يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله ❊ واخلفوك عد الامر الذى وعدوا ❊ ﴿ وأن تصدقوا ﴾ بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد ﴿ خير لكم ﴾ أكثر ثوابا من الانظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلاة والسلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ مافيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ﴾ يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ جزاء ماعملت من خير أو شر ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات ٤٩ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين ﴾ أى اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين أن لايتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه ﴿ الى أجل مسمى ﴾ معلوم بالايام والاشهر لابالحصاد وقدوم الحاج ﴿ فاكتبوه ﴾ لانه أوثق وأدفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلم ﴿ وليكتب بينكم كاتب بالعدل ﴾ من يكتب بالسوية لايزيد ولاينقص وهو فى الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً اِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ❁ فَنَادَتْهُ الْمَلٰئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ اَنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللّٰهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ❁ قَالَ رَبِّ اَنّٰى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَاَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذٰلِكَ اللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ❁ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي اٰيَةً قَالَ اٰيَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْاِبْكَارِ ❁ وَاِذْ قَالَتِ الْمَلٰئِكَةُ يَا مَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰيكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰيكِ عَلٰى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ❁ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ❁ ذٰلِكَ مِنْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ اِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يُلْقُونَ اَقْلَامَهُمْ اَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ اِذْ يَخْتَصِمُونَ ❁ اِذْ قَالَتِ الْمَلٰئِكَةُ يَا مَرْيَمُ اِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ❁

ويكلم

موثوقا به معدلا بالشرع ﴿ولا يأب كاتب﴾ ولا يمتنع أحد من الكتاب ﴿أن يكتب كما علمه الله﴾ مثل ماعلمه الله من كتبة الوثائق أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله ـ وأحسن كما أحسن الله اليك ـ ﴿فليكتب﴾ تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهى عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز أن تتعلق الكاف بالامر فيكون النهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الأمر بها مقيدة ﴿وليملل الذى عليه الحق﴾ وليكن المملى من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد ﴿وليتق الله ربه﴾ أى المملى أو الكاتب ﴿ولا يبخس﴾ ولا ينقص ﴿منه شيأ﴾ أى من الحق أو مما أملى عليه ﴿فان كان الذى عليه الحق سفيها﴾ ناقص العقل مبذرا ﴿أو ضعيفا﴾ صبيا أو شيخا مختلا ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ أو غير مستطيع للاملال بنفسه لخرس أو جهل باللغة ﴿فليملل وليه بالعدل﴾ أى الذى يلى أمره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا أو مختل العقل أو وكيل أو مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة فى الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل ﴿واستشهدوا شهيدين﴾ واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان ﴿من رجالكم﴾ من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال أبو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض ﴿فان لم يكونا رجلين﴾ فان لم يكن الشاهدان رجلين ﴿فرجل وامرأتان﴾ فليشهد أو فليستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالأموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند أبى حنيفة ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ لعلمكم بعدالتهم ﴿أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى﴾ علة اعتبار العدد أى لاجل أن احداهما ان ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم أعددت السلاح أن يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة أن تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ﴿ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا﴾ لأداء الشهادة أو التحمل وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه﴾ ولا تملوا من كثرة مداينانكم أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول المؤمن كسلت ﴿صغيرا أو كبيرا﴾ صغيرا كان الحق أو كبيرا أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا ﴿الى أجله﴾ الى وقت حلوله الذى أقر به المديون ﴿ذلكم﴾ اشارة الى أن تكتبوه ﴿أقسط عند الله﴾ أكثر قسطا ﴿وأقوم للشهادة﴾ وأثبت لها وأعون على اقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام على غير قياس أو من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو فى أقوم كما صحت فى التعجب لجموده ﴿وأدنى أن لا ترتابوا﴾ وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك ﴿الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها﴾ استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد أى الا أن تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله

بنى اسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

ورفعها الباقون على أنها الاسم والخبر تديرونها أو على كان التامة ﴿وأشهدوا اذا تبايعتم﴾ هذا التبايع أو مطلقا لانه أحوط والأوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند أكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ يحتمل البناءين ويدل عليه أنه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة أو النهى عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج مما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان ﴿وان تفعلوا﴾ الضرار أو مانهيتم عنه ﴿فانه فسوق بكم﴾ خروج عن الطاعة لاحق بكم ﴿واتقوا الله﴾ في مخالفة أمره ونهيه ﴿ويعلمكم الله﴾ أحكامه المتضمنة لمصالحكم ﴿والله بكل شئ عليم﴾ كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه أدخل في التعظيم من الكناية

٥٠ ﴿وان كنتم على سفر﴾ أى مسافرين ﴿ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة﴾ فالذى يستوثق به رهان أو فعليكم رهان أو فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله تعالى لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودى على عشرين صاعا من شعير أخذه لأهله بل لاقامة التوثق للارتهان مقام التوثق بالكتابة في السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف ﴿فان أمن بعضكم بعضا﴾ أى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بأمانته عن الارتهان ﴿فليؤد الذى ائتمن أمانته﴾ أي دينه سماه أمانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى اتمن بادغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم ﴿وليتق الله ربه﴾ في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ أيها الشهود أو المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ﴿ومن يكتمها فانه آثم قلبه﴾ أى يأثم قلبه أو قلبه يأثم والجملة خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية أو للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وأفعاله أعظم الافعال وكأنه قيل تمكن الاثم فى نفسه وأخذ أشرف أجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه ﴿والله بما تعملون عليم﴾ تهديد ﴿لله ما في السموات وما فى الارض﴾ خلقا وملكا ﴿وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه ﴿يحاسبكم به الله﴾ يوم القيامة وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ مغفرته ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه وهو صريح في نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا فى مثلها ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على الاحياء والمحاسبة ﴿آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه﴾ شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى أمره غير شاك فيه ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَتْ
رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
۞ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۞
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ
أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ
طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ
ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ
ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۞

الرسول والمؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم امالتعظيمه أولان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعني القرآن أوالجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ أي يقولون لانفرق وقرأ يعقوب لايفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرىء لايفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل أتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفى كقوله تعالى فمامنكم من أحد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب ﴿ وقالوا سمعنا ﴾ أجبنا ﴿ وأطعنا ﴾ أمرك ﴿ غفرانك ربنا ﴾ اغفر لنا غفرانك أونطلب غفرانك ﴿ واليك المصير ﴾ المرجع بعد الموت وهو اقرارمنهم بالبعث ﴿ لا يكلف الله نفسا الاوسعها ﴾ الاماتسعه قدرتها فضلا ورحمة أومادون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولايدل على امتناعه ﴿ لها ما كسبت ﴾ من خير ﴿ وعليها ما اكتسبت ﴾ من شر لاينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت أجد فى تحصيله وأعمل بخلاف الخير ﴿ ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أوأخطأنا ﴾ أى لاتؤاخذنا بما أدى بنا الى نسيان أوخطأ من تفريط وقلة مبالاة أوبانفسهما اذلاتمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولهما يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لايبعد أن يفضى الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز أن يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتى الخطأ والنسيان ﴿ ربنا ولاتحمل علينا اصرا ﴾ عبأ ثقيلا يأصر صاحبه أى يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرىء ولاتحمل بالتشديد للمبالغة ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ﴾ حملا مثل حملك اياه على من قبلنا أومثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة أوما أصابهم من الشدائد والمحن ﴿ ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به ﴾ من البلاء والعقوبة أومن التكاليف التى لاتفى بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بمالايطاق والالما سئل التخلص منه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى ﴿ واعف عنا ﴾ وامح ذنوبنا ﴿ واغفر لنا ﴾ واسترعيوبنا ولاتفضحنا بالمؤاخذة ﴿ وارحمنا ﴾ وتعطف بنا وتفضل علينا ﴿ أنت مولانا ﴾ سيدنا ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ فان من حق المولى أن ينصر مواليه على الاعداء أوالمراد به عامة الكفرة ☆ روى انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة فعلت وعنه عليه السلام أنزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخيرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغى أن يقال السورة التى تذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل يارسول الله وما البطلة قال السحرة ٥١

﴿ سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ ألم الله لااله الاهو ﴾ انما فتح الميم في المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها أسقطت للتخفيف لاللدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لالالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبوبكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل ﴿ الحى القيوم ﴾ روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لااله الاهو الحى القيوم وفى آل عمران الله لااله الاهو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم ﴿ نزل عليك الكتاب ﴾ القرآن نجوما ﴿ بالحق ﴾ بالعدل أوبالصدق فى اخباره أوبالحجج المحققة أنه من عند الله وهو فى موضع الحال ﴿ مصدقالما بين يديه ﴾ من الكتب ﴿ وأنزل التوراة والانجيل ﴾ جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما أعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية وقرأ أبوعمرو وابن ذكوان والكسائى التوراة بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الاقالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين ﴿ من قبل ﴾ من قبل تنزيل القرآن ﴿ هدى للناس ﴾ على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والافالمراد به قومهما ﴿ وأنزل الفرقان ﴾ يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ماعداها كأنه قال وأنزل سائر مايفرق به بين الحق والباطل أوالزبور أوالقرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل أوالمعجزات ﴿ ان الذين كفروا بآيات الله ﴾ من كتبه المنزلة وغيرها ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ بسبب كفرهم ﴿ والله عزيز ﴾ غالب لايمنع من التعذيب ﴿ ذوانتقام ﴾ لايقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ماهو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما للأمر وزجرا عن الاعراض عنه ﴿ ان الله لايخفى عليه شئ فى الارض ولافى السماء ﴾ أى شىء كائن فى العالم كليا كان أوجزئيا ايمانا أوكفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذالحس لايتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر مااقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله ﴿ هو الذي يصوركم فى الارحام كيف يشاء ﴾ أي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم أي صوركم لنفسه وعبادته ﴿ لااله الاهو ﴾ اذلايعلم غيره جملة مايعلمه ولايقدر على مثل مايفعله ﴿ العزيز الحكيم ﴾ اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا فان وفد نجران لماحاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ أحكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال ﴿ هن أم الكتاب ﴾ أصله يرد اليها غيرها والقياس أمهات فافرد على تأويل كل واحدة أوعلى ان الكل بمنزلة آية واحدة ﴿ وأخر متشابهات ﴾

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۞ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۞ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۞

إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ
۞ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلٰى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرٰهِيمَ وَمَا
أُنْزِلَتِ التَّوْرٰيةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞
هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ
لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ مَا كَانَ إِبْرٰهِيمُ
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرٰهِيمَ لَلَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
۞ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ۞

محتملات لايتضح مقصودها لاجمال أومخالفة ظاهر الابالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات وأما قوله تعالى الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه أنه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ وأخر جمع أخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولايلزم منه معرفته لان معناه أن القياس أن يعرف ولم يعرف لأنه في معنى المعرف أو عن آخر من ﴿ فاما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ عدول عن الحق كالمبتدعة ﴿ فيتبعون ماتشابه منه ﴾ فيتعلقون بظاهره أو بتأويل باطل ﴿ ابتغاء الفتنة ﴾ طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه ﴿ وابتغاء تأويله ﴾ وطلب أن يؤولوه على مايشتهونه ويحتمل أن يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين أوكل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل ﴿ ومايعلم تأويله ﴾ الذى يجب أن يحمل عليه ﴿ الا الله والراسخون في العلم ﴾ اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على أن ظاهره غير مراد ولم يدل على ماهو المراد ﴿ يقولون آمنا به ﴾ استئناف موضح لحال الراسخين أوحال منهم أوخبر ان جعلته مبتدأ ﴿ كل من عند ربنا ﴾ أى كل من المتشابه والمحكم من عنده ﴿ ومايذكر الا أولوا الالباب ﴾ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى مااستعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وماقبلها في تصوير الجسد وتسويته أوانها جواب عن تشبث النصاري بنحو قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه كما أنه جواب عن قولهم لاأب له غير الله فتعين أن يكون هو أباه بانه تعالى مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة أب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لايكون أب المصور ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا ﴾ من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعني لاتزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لاترتضيه قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه على الحق وان شاء أزاغه عنه وقيل لاتبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿ بعد اذ هديتنا ﴾ الى الحق أو الايمان بالقسمين من المحكم والمتشابه وبعد نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان ﴿ وهب لنا من لدنك رحمة ﴾ تزلفنا اليك ونفوز بها عندك أوتوفيقا للثبات على الحق أومغفرة للذنوب ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ لكل سؤل وفيه دليل على أن الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لايجب عليه شئ ٥٢ ﴿ ربنا انك جامع الناس ليوم ﴾ لحساب يوم أولجزائه ﴿ لاريب فيه ﴾ في وقوع اليوم ومافيه من الحشر والجزاء نبهوا به على أن معظم غرضهم من الطلبتين مايتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ﴿ ان الله لايخلف الميعاد ﴾ فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية وأجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ﴿ ان الذين كفروا ﴾ عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران أواليهود أومشركو العرب ﴿ لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ ﴾ أى من رحمته أوطاعته على معني البدلية أومن عذابه ﴿ وأولئك هم وقود النار ﴾ حطبها وقرئ بالضم بمعنى أهل وقودها ﴿ كدأب آل فرعون ﴾ متصل بما قبله أى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن أولئك أوتوقد بهم كما توقد باولئك أواستئناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن ﴿ والذين من قبلهم ﴾ عطف على آل فرعون وقيل استئناف ﴿ كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم ﴾ حال باضمار قد أواستئناف بتفسير حالهم أوخبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم ﴿ والله شديد العقاب ﴾ تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة ﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم ﴾ أى قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم مانزل بقريش فقالوا لايغرنك انك أصبت أغمار الاعلم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده لهم بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الامر بان يحكى لهم ماأخبره به من وعيدهم بلفظه ﴿ وبئس المهاد ﴾ تمام مايقال لهم أواستئناف وتقديره بئس المهاد جهنم أومامهدوه لانفسهم ﴿ قد كان لكم آية ﴾ الخطاب لقريش أولليهود وقيل للمؤمنين ﴿ في فئتين التقتا ﴾ يوم بدر ﴿ فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم ﴾ يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا من ألف أومثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ماقللهم في أعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين أويرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول أى يريهم الله أويريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص أوالحال من فاعل التقتا ﴿ رأى العين ﴾ رؤية ظاهرة معاينة ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾ نصره كما أيد أهل بدر ﴿ ان في ذلك ﴾ أى التقليل والتكثير أوغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية أيضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ لعبرة لأولى الابصار ﴾ أى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن أبصرهم ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ أى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله تعالى أحببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أولانه يكون وسيلة الى السعادة الأخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى أولانه من أسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم ﴿ من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ﴾ بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في أنه فعلال أوفنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة أوالمرعية من أسام الدابة وسومها أوالمطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا ﴾ اشارة الى ماذكر ﴿ والله عنده حسن المآب ﴾ أى المرجع وهو تحريض على استبدال ماعنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ﴾ يريد به تقرير أن ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ استئناف

لبيان ماهو خير ويجوز أن يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير ﴿وأزواج مطهرة﴾ مما يستقذر من النساء ﴿ورضوان من الله﴾ قرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع القرآن بضم الراء ماخلا الحرف الثانى في المائدة وهو قوله تعالى ـ رضوانه سبل السلام ـ بكسر الراء وهما لغتان ﴿والله بصير بالعباد﴾ أى بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الحياة الدنيا وأعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى ـ ورضوان من الله أكبر ـ وأوسطها الجنة ونعيمها ٥٣ ﴿الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ صفة للمتقين أوللعباد أومدح منصوب أومرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة أوالاستعداد لها ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار﴾ حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هوملازمة الطاعة واما بالمال وهوالانفاق في سبل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة أعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينهما للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أولتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لأن الدعاء فيها أقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمجتهدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون ﴿شهد الله أنه لااله الا هو﴾ بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها ﴿والملائكة﴾ بالاقرار ﴿وأولوا العلم﴾ بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد ﴿قائما بالقسط﴾ مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ـ ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ـ أو من هو والعامل فيها معنى الجملة أى تفرد قائما أو أحقه لانها حال مؤكدة أوعلى المدح أوالصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة أو حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل عن هو أو الخبر لمحذوف ﴿لااله الا هو﴾ كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله ﴿العزيز الحكيم﴾ فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أوالصفة لفاعل شهد*وقد روى في فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وأنا أحق من وفي بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله ﴿ان الدين عند الله الاسلام﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للاولى أى لادين مرضى عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان أوبما يتضمنه وبدل اشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثانى واعتراض مابينهما أو اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم أخرى لتضمنه معناهما ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾ من اليهود والنصارى أومن أرباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أوفى التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام ﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ أى بعد ماعلموا حقيقة الأمر وتمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج ﴿بغيا بينهم﴾ حسدا بينهم وطلبا للرئاسة لا لشبهة وخفاء فى الأمر ﴿ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب﴾ وعيد لمن كفر منهم ﴿فان حاجوك﴾ في الدين أوجادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج ﴿فقل أسلمت وجهى لله﴾ أخلصت نفسي وجملتى له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت به الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه أشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ﴿ومن اتبعن﴾ عطف على التاء في أسلمت وحسن للفصل أو مفعول معه ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين﴾ الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ﴿أأسلمتم﴾ كما أسلمت لما وضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله ـ فهل أنتم منتهون ـ وفيه تعيير لهم بالبلادة أوالمعاندة ﴿فان أسلموا فقد اهتدوا﴾ فقد نفعوا أنفسهم بان أخرجوها من الضلال ﴿وان تولوا فانما عليك البلاغ﴾ أى فلم يضروك اذ ما عليك الا أن تبلغ وقد بلغت ﴿والله بصير بالعباد﴾ وعد ووعيد ﴿ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ هم أهل الكتاب الذين فى عصره عليه السلام قتل أولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة﴾ كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق أنه لايغير معنى الابتداء بخلافهما ﴿ومالهم من ناصرين﴾ يدفع عنهم العذاب ٥٤ ﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب﴾ أى التوراة أوجنس الكتب السماوية ومن للتبعيض أو للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير ﴿يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ الداعي محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن أو التوراة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أى دين أنت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على أن الادلة السمعية حجة فى الاصول ﴿ثم يتولى فريق منهم﴾ استبعاد لتوليهم مع علمهم بأن الرجوع اليه واجب ﴿وهم معرضون﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ﴿ذلك﴾ اشارة الى التولى والاعراض ﴿بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات﴾ بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ ﴿وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون﴾ من أن النار لن تمسهم الا أياما قلائل أو أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم أو انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده الا تحلة القسم ﴿فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه﴾ استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات*روى أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الأشهاد ثم يأمر بهم الى النار ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط

سورة آل عمران ٦٠

يَٰأَهْلَ الْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ
وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا
بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوٓا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ
الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ
عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ۝ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ
إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا
دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الْأُمِّيِّـۧنَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ
مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّ
الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ
لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى الْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝

وان

وأن المؤمن لايخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لاتكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها ﴿وهم لا يظلمون﴾ الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان ﴿قل اللهم﴾ الميم عوض عن يا ولذلك لايجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته ﴿مالك الملك﴾ يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ تعطى منه ماتشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾ فى الدنيا أوفي الآخرة أوفيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان ﴿بيدك الخير انك على كل شئ قدير﴾ ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لايوجد شر جزئى مالم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الادب في الخطاب أو لأن الكلام وقع فيه اذ روى أنه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه الصلاة والسلام فأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء منه مابين لابتيها لكأن بها مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لى منها قصور صنعاء وأخبرنى جبريل عليه السلام أن أمتى ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على أن الشر أيضا بيده بقوله ـ انك على كل شئ قدير ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب﴾ عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أوالزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها أو انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر الميت بالتخفيف ﴿لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتى لايكون حبهم وبغضهم الا في الله أو عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية ﴿من دون المؤمنين﴾ اشارة الى أنهم الاحقاء بالموالاة وأن فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى اتخاذهم أولياء ﴿فليس من الله في شئ﴾ أى من ولايته فى شئ يصح أن يسمى ولاية فان موالاتى المتعادين لايجتمعان

قال تود عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

﴿الا أن تتقوا منهم تقاة﴾ الا أن تخافوا من جهتهم مايجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ﴿ويحذركم الله نفسه والى الله المصير﴾ فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة ﴿قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾ أى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها أو تبدوها ﴿ويعلم مافى السموات وما فى الارض﴾ فيعلم سركم وعلنكم ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه * والآية بيان لقوله تعالى ـ ويحذركم الله نفسه ـ وكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها ٥٥ ﴿يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ يوم منصوب بتود أى تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو أذكر وتود حال من الضمير فى عملت أو خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لانه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ كرره للتأكيد والتذكير ﴿والله رؤف بالعباد﴾ اشارة الى أنه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو انه لذو مغفرة وذو عقاب أليم فترجى رحمته ويخشى عذابه ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى﴾ المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم أن الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته ﴿يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ جواب للأمر أى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم * روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى أقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فامروا أن يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل ﴿قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا﴾ يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا ﴿فان الله لا يحب الكافرين﴾ لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على أن التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسول وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق وأولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب أو عيسى وأمه مريم بنت عمران بن

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۞

ماثان بن العازار بن أبي يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشكن بن حازقا بن أخاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن سافط بن ايشا
ابن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين
ألف وثمانمائة سنة ﴿ذرية بعضها من بعض﴾ حال أو بدل من الآلين أو منهما ومن نوح أى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر أو فعولة من الذرء أبدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وأدغمت ﴿والله سميع عليم﴾ باقوال الناس وأعمالهم فيصطفى من
كان مستقيم القول والعمل أو سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها ﴿اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما في بطنى﴾ فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر
وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون فظن أن المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان
وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الاب* روى أنها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت
اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر
على التقدير أو طلبت ذكرا ﴿محررا﴾ معتقا لخدمته لا أشغله بشئ أو مخلصا للعبادة ونصبه على الحال ﴿فتقبل منى﴾ ما نذرته ﴿انك أنت السميع العليم﴾ لقولى ونيتى ﴿فلما
وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى﴾ الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان أنثى وجاز انتصاب أنثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد أو على تاويل
مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو أن تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ أى بالشئ الذى وضعت هو استئناف من الله
تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب
وضعت على أنه من كلامها تسلية لنفسها أى ولعل لله سبحانه وتعالى فيه سرا أو الانثى
كانت خيرا وقرئ وضعت على انه خطاب الله تعالى لها ﴿وليس الذكر كالانثى﴾ بيان
لقوله والله أعلم أى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز
أن يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فتكون اللام للجنس ﴿وانى
سميتها مريم﴾ عطف على ماقبلها من مقالها ومابينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها
تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور متغايرة ﴿وانى أعيذها
بك﴾ أجيرها بحفظك ﴿وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ المطرود وأصل الرجم الرمى بالحجارة
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من
مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا
مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة ﴿فتقبلها ربها﴾ فرضى بها في
النذر مكان الذكر ﴿بقبول حسن﴾ أى بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر
أو تسلمها عقيب ولادتها قبل أن تكبر وتصلح للسدانة* روى أن حنة لما ولدتها لفتها في
خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها
لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم
فقال زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى
نهر فالقوا فيه أقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها زكريا ويجوز أن يكون
مصدرا على تقدير مضاف أى بذى قبول حسن وأن يكون تقبل بمعنى استقبل كتقتضى
وتعجل أى فاخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن ﴿وأنبتها نباتا حسنا﴾ مجاز
عن تربيتها بما يصلحها فى جميع أحوالها ﴿وكفلها زكريا﴾ شدد الفاء حمزة والكسائى
وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على أن الفاعل هو الله تعالى
وزكريا مفعول أى جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا
﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ أى الغرفة التى بنيت لها أو المسجد أو أشرف مواضعه
ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
﴿وجد عندها رزقا﴾ جواب كلما وناصبه* روى أنه كان لايدخل عليها غيره واذا خرج
أغلق عليها سبعة أبواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس ﴿قال يامريم
أنى لك هذا﴾ من أين لك هذا الرزق الآتى في غير أوانه والابواب مغلقة عليك وهو
دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه
﴿قالت هو من عند الله﴾ فلا تستبعده قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع
ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ﴿ان الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ بغير
تقدير لكثرته أو بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل أن يكون من كلامهما وأن يكون من كلام الله تعالى* روى أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أهدت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمى يابنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من
يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجمع أهل بيته عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعت على
جيرانها ٥٦ ﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾ فى ذلك المكان أو الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى ﴿قال رب هب لى من لدنك
ذرية طيبة﴾ كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير أوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على
الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة ﴿انك سميع الدعاء﴾ مجيبه ﴿فنادته الملائكة﴾ أى من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائى
فناداه بالامالة والتذكير ﴿وهو قائم يصلى فى المحراب﴾ أى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم أو خبر أو حال آخر أو حال عن الضمير في قائم ﴿ان الله يبشرك بيحيى﴾ أى بان الله
وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم أعجمى وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل
﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ أى بعيسى عليه السلام سمى بذلك لانه وجد بأمره تعالى دون أب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر أو بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته ﴿وسيدا﴾ يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى أنه ماهم بمعصية قط ﴿وحصورا﴾ مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى* روى أنه مر فى صباه بصبيان
فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ﴿ونبيا من الصالحين﴾ ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة ﴿قال رب أنى يكون لى غلام﴾ استبعادا من حيث العادة أو

قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى
وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم
ونحن له مسلمون ❁ ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخسرين ❁ كيف
يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول
حق وجاءهم البينت والله لا يهدى القوم الظلمين
❁ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملئكة
والناس أجمعين ❁ خلدين فيها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون ❁ الا الذين تابوا من بعد ذلك
وأصلحوا فان الله غفور رحيم ❁ ان الذين كفروا
بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك
هم الضالون ❁ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من نصرين ❁

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيمٌ ۞ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي اِسْرَائِيلَ اِلَّا
مَا حَرَّمَ اِسْرَائِيلُ عَلٰى نَفْسِهٖ مِنْ قَبْلِ اَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰيةُ قُلْ فَأْتُوا
بِالتَّوْرٰيةِ فَاتْلُوهَا اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ۞ فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ
الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظّٰلِمُونَ ۞
قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ
مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعٰلَمِينَ ۞ فِيهِ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ اٰمِنًا وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
اِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِينَ ۞
قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلٰى
مَا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ
مَنْ اٰمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ
اُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ اِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۞

استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه ﴿ وقد بلغني الكبر ﴾ أدركني كبر السن وأثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون سنة ﴿ وامرأتي عاقر ﴾ لاتلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد ﴿ قال كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ أي يفعل مايشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل مايشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة ويفعل مايشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الامر كذلك والله يفعل مايشاء بيان له ﴿ قال رب اجعل لي آية ﴾ علامة أعرف بها الحبل لأستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار ﴿ قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام ﴾ أي لاتقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس لسانك الا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال ﴿ الا رمزا ﴾ اشارة بنحو يد أو رأس وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام مادل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعني مترامزين كقوله

متى ماتلتقي فردين ترجف ❊ روانف أليتيك وتستطارا

﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ في أيام الحبسة وهو مؤكد لماقبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على أنه لايفيد التكرار ﴿ وسبح بالعشي ﴾ من الزوال الى الغروب وقيل من العصر أو الغروب الى ذهاب صدر الليل ﴿ والابكار ﴾ من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار ﴿ واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ كلموها شفاها كرامة لها ومن أنكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا أو ارهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام فان الاجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفتها به اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين ﴿ يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على ان الواو لاتوجب الترتيب أو ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ﴾ أي ماذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي ﴿ وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم ﴾ أقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لاشبهة فيه عندهم فبقي أن يكون الاتهام باحتمال العيان ولايظن به عاقل ﴿ أيهم يكفل مريم ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم ﴿ وما كنت لديهم اذ يختصمون ﴾ تنافسا في كفالتها ﴿ اذ قالت الملائكة ﴾ بدل من اذ قالت الاولى ومابينهما اعتراض أو من اذ يختصمون على أن وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا ﴿ يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانهما مسح بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم في موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كان صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولاينافي تعدد الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل أن يراد به ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز أن يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب اذ الاولاد تنسب الى الآباء ولاتنسب الى الام الا اذا فقد الاب ﴿ وجيها في الدنيا والآخرة ﴾ حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ﴿ ومن المقربين ﴾ من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة أو رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ٥٧ ﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ﴾ أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به مايمهد للصبي في مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية ارشادا الى أنه بمعزل عن الالوهية ﴿ ومن الصالحين ﴾ حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذي في يكلم ﴿ قالت رب أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ﴾ تعجب أو استبعاد عادي أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره ﴿ قال كذلك الله يخلق مايشاء ﴾ القائل جبريل أو الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى ﴿ اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ اشارة الى أنه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك ﴿ ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ﴾ كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زوج أو عطف على يبشرك أو وجيها والكتاب الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ﴿ ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ﴾ منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولا باني قد جئتكم أو بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث الى غيرهم ﴿ أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ﴾ نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور شيأ مثل صورة الطير وقرأ نافع اني بالكسر ﴿ فأنفخ فيه ﴾ الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل ﴿ فيكون طيرا باذن الله ﴾ فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على أن احياءه من الله تعالى لامنه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة ﴿ وأبرئ الأكمه والأبرص ﴾ الأكمه الذي ولد أعمى أو الممسوح العين ❊ روي أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام ومايداوي الا بالدعاء ﴿ وأحيي الموتى باذن الله ﴾ كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم ﴾ بالمغيبات من أحوالكم التي لاتشكون فيها ﴿ ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ موفقين للايمان فان غيرهم لاينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ﴾ عطف

على رسولا على الوجهين أومنصوب باضمار فعل دل عليه قدجئتكم أى وجئتكم مصدقا ﴿ولأحل لكم﴾ مقدر باضماره أومردود على قوله انى قدجئتكم بآية أومعطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك ﴿بعض الذى حرم عليكم﴾ أى في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على انشرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه الصلاة والسلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لايعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان ﴿وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ أى جئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهو قوله ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر أوجئتكم بآية على ان الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض والظاهر أنه تكرير لقوله قدجئتكم بآية من ربكم أى جئتكم بآية بعد أخرى مماذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله أى لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم اليه ثم شرع في الدعوة وأشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين أن الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ تحقق كفرهم عنده تحقق مايدرك بالحواس ﴿قال من أنصارى الى الله﴾ ملتجئا الى الله تعالى أوذاهبا أوضاما اليه ويجوز أن يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة أى من الذين يضيفون أنفسهم الى الله تعالى في نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع أوفي أواللام ﴿قال الحواريون﴾ حوارى الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمى به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه الصلاة والسلام من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها ﴿نحن أنصار الله﴾ أى أنصار دين الله ﴿آمنا بالله واشهد بانا مسلمون﴾ لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ٥٨ ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أى مع الشاهدين بوحدانيتك أومع الانبياء الذين يشهدون لأتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ﴿ومكروا﴾ أى الذين أحس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ﴿ومكر الله﴾ حين رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لايسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج ﴿والله خير الماكرين﴾ أقواهم مكرا وأقدرهم على ايصال الضرر من حيث لايحتسب ﴿اذقال الله﴾ ظرف لمكر الله أوخير الماكرين أوالمضمر مثل وقع ذلك ﴿ياعيسى اني متوفيك﴾ أى مستوفي أجلك ومؤخرك الى أجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم أو قابضك من الارض من توفيت مالى أومتوفيك نائما اذروى أنه رفع نائما أومميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ﴿ورافعك الى﴾ الى محل كرامتى ومقر ملائكتى ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ من سوء جوارهم أوقصدهم ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة﴾ يعلونهم بالحجة أوالسيف في غالب الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم تسمع غلبة لليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ﴿ثم الى مرجعكم﴾ الضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام ومن تبعه ومن كفربه وغلب المخاطبين على الغائبين ﴿فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين ﴿فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم﴾ تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء ﴿والله لايحب الظالمين﴾ تقرير لذلك ﴿ذلك﴾ اشارة الى ماسبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره ﴿نتلوه عليك﴾ وقوله ﴿من الآيات﴾ حال من الهاء ويجوزان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه ﴿والذكر الحكيم﴾ المشتمل على الحكم أوالمحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ ان شأنه الغريب كشأن آدم عليه الصلاة والسلام ﴿خلقه من تراب﴾ جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به الشبه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب منه افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعني خلق قالبه من التراب ﴿ثم قال له كن﴾ أى أنشأه بشرا كقوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر أوقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز أن يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر ﴿فيكون﴾ حكاية حال ماضية ﴿الحق من ربك﴾ خبر محذوف أى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أى الحق المذكور من الله تعالى ﴿فلا تكن من الممترين﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات أولكل سامع ﴿فمن حاجك﴾ من النصارى ﴿فيه﴾ في عيسى ﴿من بعد ماجاءك من العلم﴾ أى من البينات الموجبة للعلم ﴿فقل تعالوا﴾ هلموا بالرأى والعزم ﴿ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ أى يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على الانفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ﴿ثم نبتهل﴾ أى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذاتركتها بلا صرار ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ عطف فيه بيان ✲روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذارأيهم ماترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ماباهل قوم نبيا الا هلكوا فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى رضى الله عنه خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فامنوا فقال أسقفهم يامعشر النصارى اني لارى وجوها لوسألوا الله تعالى أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لوتباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته ٥٩ ﴿ان هذا﴾ أى ماقص من نبأ عيسى ومريم ﴿لهو القصص الحق﴾ بجملتها خبران أوهو فصل يفيد ان ماذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ماذكروه ومابعده خبر واللام دخلت فيه لانه أقرب الى المبتدا من الخبر وأصلها أن تدخل على

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ
بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ
مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ
ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞

تلك

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِلْعَالَمِينَ ۞ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ
۞ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ
ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۞ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا
إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ
يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۞ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَمَا
يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۞

المبتدأ ﴿ وما من اله الا الله ﴾ صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم ﴿ وان الله لهو العزيز الحكيم ﴾ لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية ﴿ فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ﴾ وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل والى فساد العالم ﴿ قل يا أهل الكتاب ﴾ يعم أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة ﴿ تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها ﴿ ألا نعبد الا الله ﴾ أن نوحده بالعبادة ونخلص فيها ﴿ ولا نشرك به شيأ ﴾ ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلا لان يعبد ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر مثلنا * روى أنه لما نزلت ـ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ـ قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك ﴿ فان تولوا ﴾ عن التوحيد ﴿ فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ أى لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل ﴿ تنبيه ﴾ انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين أولا أحوال عيسى عليه الصلاة والسلام وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا أسهل وألزم بأن دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك أيضا عليهم وعلم أن الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال ـ فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ـ ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده ﴾ تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وزعم كل فريق أنه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى أن اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بألفين فكيف يكون عليهما ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتدعون المحال ﴿ ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ﴾ ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة أخرى مبينة للاولى أى أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التوراة والانجيل عنادا أو تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وأبو عمر وها أنتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش أقل مد وقنبل بالهمز من غير ألف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزى بقصر المد على أصله ﴿ والله يعلم ﴾ ما حاججتم فيه ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ وأنتم جاهلون به ﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ﴾ تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ﴿ ولكن كان حنيفا ﴾ مائلا عن العقائد الزائغة ﴿ مسلما ﴾ منقادا لله وليس المراد أنه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام ﴿ وما كان من المشركين ﴾ تعريض بأنهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام ﴿ ان أولى الناس بابراهيم ﴾ ان أخصهم به وأقربهم منه من الولى وهو القرب ﴿ للذين اتبعوه ﴾ من أمته ﴿ وهذا النبي والذين آمنوا ﴾ لموافقتهم له في أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ﴾ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن ﴿ وما يضلون الا أنفسهم ﴾ وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم أو ما يضلون الا أمثالهم ﴿ وما يشعرون ﴾ وزره واختصاص ضرره بهم ٦٠ ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ﴾ بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وأنتم تشهدون ﴾ أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ﴾ بالتحريف وابراز الباطل في صورته أو بالتقصير فى التميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور ﴿ وتكتمون الحق ﴾ نبوة محمد عليه السلام ونعته ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ عالمين بما تكتمونه ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ﴾ أى أظهروا الايمان بالقرآن أول النهار ﴿ واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ واكفروا به آخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها أول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من أحبار خيبر تقاولوا بأن يدخلوا في الاسلام أول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه الصلاة والسلام بالنعت الذى ورد في التوراة لعل أصحابه يشكون فيه ﴿ ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ﴾ ولا تقروا عن تصديق قلب الا لأهل دينكم أو لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم أرجى وأهم ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ هو يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ﴿ أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴾ متعلق بمحذوف أى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى أحد والمعنى أن الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أى ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لأشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدى بطائل أو خبر ان على أن هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول أى الا أن يؤتى أحد دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة أى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتي أحد مثل ما أوتيتم ﴿ أو يحاجوكم عند ربكم ﴾ عطف على أن يؤتي على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم عند ربكم والواو ضمير أحد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير أتباعهم ﴿ قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ﴿ ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ﴾ كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفا ومائتى أوقية ذهبا فأداه اليه

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞

﴿ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشى آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمر ويؤده اليك ولايؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء وكذا روى عن حفص والباقون باشباع الكسرة ﴿الا ما دمت عليه قائما﴾ الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ﴿ذلك﴾ اشارة الى ترك الأداء المدلول عليه بقوله لايؤده ﴿بأنهم قالوا﴾ بسبب قولهم ﴿ليس علينا فى الأميين سبيل﴾ أى ليس علينا فى شأن من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ بادعائهم ذلك ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم فى التوراة حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شئ فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ﴿بلى﴾ اثبات لما نفوه أى بلى عليهم فيهم سبيل ﴿من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين﴾ استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أو لله وعموم المتقين ناب عن الراجع من الجزاء الى من وأشعر بان التقوى ملاك الأمر وهو يعم الوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ﴿ان الذين يشترون﴾ يستبدلون ﴿بعهد الله﴾ بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالأمانات ﴿وأيمانهم﴾ وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ﴿ثمنا قليلا﴾ متاع الدنيا ﴿أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله﴾ بما يسرهم أو بشئ أصلا وأن الملائكة يسألونهم يوم القيامة أو لاينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله ﴿ولا ينظر اليهم يوم القيامة﴾ فان من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ﴿ولايزكيهم﴾ ولايثني عليهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ على ما فعلوه *قيل انها نزلت فى أحبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما وأخذوا على ذلك رشوة * وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت فى ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودى فى بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي ٦١ ﴿وان منهم لفريقا﴾ يعني المعرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾ يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها ﴿لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير أيضا للمسلمين ﴿ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله﴾ تأكيد لقوله ـ وما هو من الكتاب ـ وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا أى ليس هو نازلا من عنده وهذا لايقتضى أن لايكون فعل العبد فعل الله تعالى ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ﴿ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله﴾ تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وقيل ان أبا رافع القرظى والسيد النجراني قالا يامحمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولابذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لاينبغى أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الألف والنون كاللحيانى والرقباني وهو الكامل فى العلم والعمل ﴿بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من أدرس بمعنى درس كأكرم وكرم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان أى ماكان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا أو غير مزيدة على معنى انه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أربابا بل ينهى عنه وهو أدنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ أبو عمرو على أصله برواية الدورى باختلاس الضم ﴿أيأمركم بالكفر﴾ انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله ﴿بعد اذ أنتم مسلمون﴾ دليل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لأن يسجدوا له ﴿واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به أولى وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء على أممهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل أوسماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على أن ما مصدرية أى لأجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق له أخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم أو لمن أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا ﴿قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى﴾ أى عهدى سمى به لأنه يؤصر أى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر أو جمع اصار وهو ما يشد به ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ أى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ وأنا أيضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ المتمردون من الكفرة ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ عطف على الجملة المتقدمة

إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ۞ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة
فاتقوا الله لعلكم تشكرون ۞ إذ تقول للمؤمنين
ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة ءالاف من الملئكة
منزلين ۞ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة ءالاف من الملئكة مسومين ۞
وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به
وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ۞ ليقطع
طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ۞
ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم
فإنهم ظلمون ۞ ولله ما في السموت وما في الأرض يغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم
۞ يأيها الذين ءامنوا لا تأكلوا الربوا أضعفا مضعفة
واتقوا الله لعلكم تفلحون ۞ واتقوا النار التي أعدت للكفرين
۞ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ۞

والهمزة متوسطة بينهما للانكار أو محذوف تقديره أتتولون فغير دين الله تبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند أبي عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عندالباقين على تقدير وقل لهم ﴿وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها﴾ أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة مايلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لايقدرون أن يمتنعوا عما قضى عليهم ﴿واليه ترجعون﴾ وقرئ بالياء على ان الضمير لمن ٦٢ ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم﴾ أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وأيضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم أو بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه ﴿لانفرق بين أحد منهم﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿ونحن له مسلمون﴾ منقادون أو مخلصون فى عبادته ﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا﴾ أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله ﴿فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾ الواقعين فى الخسران والمعنى أن المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على أن الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لاقبول كل مايغايره ولعل الدين أيضا للاعمال ﴿كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات﴾ استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ماوضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى أن لاتقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على مافى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن أو حال باضمار قدمن كفروا وهو على الوجهين دليل على أن الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه ﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق أنهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مؤيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو العموم فان الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لايعرف الحق بعينه ﴿خالدين فيها﴾ فى اللعنة أو العقوبة أو النار وان لم يجز ذكرهما لدلالة الكلام عليهما ﴿لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أى من بعد الارتداد ﴿وأصلحوا﴾ ما أفسدوا ويجوز أن لايقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح ﴿فان الله غفور﴾ يقبل توبته ﴿رحيم﴾ يتفضل عليه ❊قيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه أخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ﴿ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا﴾ كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن أو كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاسرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع اليه وننافقه باظهاره ﴿لن تقبل توبتهم﴾ لانهم لايتوبون أولايتوبون الا اذا أشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا فى شأنهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة أو لان توبتهم لاتكون الانفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه ﴿وأولئك هم الضالون﴾ الثابتون على الضلال ﴿ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا﴾ لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ مايملؤه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء أو الخبر لمحذوف ﴿ولو افتدى به﴾ محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا أو معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى - ولو أن للذين ظلموا مافى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ مبالغة فى التحذير واقناط لان من لايقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما ﴿وما لهم من ناصرين﴾ فى دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق ٦٣ ﴿لن تنالوا البر﴾ أى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير أو لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى والجنة ﴿حتى تنفقوا مما تحبون﴾ أى من المال أو مايعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى سبيله ❊روى انها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يارسول الله ان أحب أموالى الى بيرحاء فضعها حيث أراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح أو رائح وانى أرى أن تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما أردت أن أتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق أحب الاموال على أقرب الاقارب أفضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ماتحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين ﴿وما تنفقوا من شئ﴾ أى من أى شئ محبوب أو غيره ومن لبيان ما ﴿فان الله به عليم﴾ فيجازيكم بحسبه ﴿كل الطعام﴾ أى المطعومات والمراد أكلها ﴿كان حلا لبنى اسرائيل﴾ حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم ﴿الا ما حرم اسرائيل﴾ يعقوب ﴿على نفسه﴾ كلحوم الابل وألبانها وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل أحب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوى باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبى أن يجتهد وللمانع أن يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء ﴿من قبل أن تنزل التوراة﴾ أى من قبل انزالها مشتملة على تحريم ماحرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود فى دعوى البراءة مما نعى عليهم فى قوله تعالى - فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآيتين بان قالوا لسنا أول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل وألبانها ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين﴾ أمر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روى انه عليه السلام لما قاله لهم بهتوا ولم يجسروا أن يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته

﴿فمن افتري على الله الكذب﴾ ابتدعه على الله بزعمه أنه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم ﴿من بعد ذلك﴾ من بعد ما لزمتهم الحجة ﴿فاولئك هم الظالمون﴾ الذين لا ينصفون من أنفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم ﴿قل صدق الله﴾ تعريض بكذبهم أي ثبت ان الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا﴾ أي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم أو مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات أحلها الله لابراهيم ومن تبعه ﴿وما كان من المشركين﴾ فيه اشارة الى أن اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ﴿ان أول بيت وضع للناس﴾ أي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل ﴿للذي ببكة﴾ للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وأمر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه أو من بكه اذا دقه فانها تبك أعناق الجبابرة *روي أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو أول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما أهبط آدم أمر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه أول بيت بالشرف لا بالزمان ﴿مباركا﴾ كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف ﴿وهدي للعالمين﴾ لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال ﴿فيه آيات بينات﴾ كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وأن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره الله كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدي أو حال أخرى ﴿مقام ابراهيم﴾ مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام ابراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد *وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله أو فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوي ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدي الدهر والامن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبي حنيفة من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما والتجا الى الحرم لم يتعرض له ولكن ألجئ الى الخروج ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد ﴿من استطاع اليه سبيلا﴾ بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي رضى الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت أو الحج وكل ما أتى الى الشئ فهو سبيله ﴿ومن كفر فان الله غنى عن العالمين﴾ وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم أولا ثم تخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله *روى أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر ﴿قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ أي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم أقبح لان معرفتهم بالآيات أقوي وانهم وان زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ والحال انه شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن﴾ كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام *قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه ﴿تبغونها عوجا﴾ حال من الواو أي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما أو بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم ﴿وأنتم شهداء﴾ انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم للمؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين﴾ نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس ففعل فتنازع القوم

وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموت والارض اعدت للمتقين ۞ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ۞ والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ۞ اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيها ونعم اجر العملين ۞ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۞ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ۞ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ۞ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظلمين ۞ وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكفرين ۞

وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنابين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بين قلوبكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ماأمر الرسول بان يخاطب أهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم ٦٤ ﴿ وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ﴾ انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ﴿ ومن يعتصم بالله ﴾ ومن يتمسك بدينه أويلتجئ اليه في مجامع أموره ﴿ فقد هدي الى صراط مستقيم ﴾ فقد اهتدى لامحالة ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ﴾ حق تقواه ومايجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله مااستطعتم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه هو أن يطاع فلايعصى ويشكر فلايكفر ويذكر فلاينسى وقيل هو ان تنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهى عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء ألفا ﴿ ولاتموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ أى ولاتكونن على حال سوي حال الاسلام اذا أدرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال أوغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخري وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ بدين الاسلام أوبكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردي كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من التردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين عليه ﴿ ولاتفرقوا ﴾ ولاتتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ
جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَقَدْ
كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ
مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ۝ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ
قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ
يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

أو لاتتفرقوا تفرقكم فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا أو لاتذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ التى من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل ﴿ اذ كنتم أعداء ﴾ فى الجاهلية متقاتلين ﴿ فالف بين قلوبكم ﴾ بالاسلام ﴿ فاصبحتم بنعمته اخوانا ﴾ متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لابوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالاسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار ﴾ مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذلو أدرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم في النار ﴿ فانقذكم منها ﴾ بالاسلام والضمير للحفرة أوللنار أوللشفا وتأنيثه لتأنيث ماأضيف اليه أولانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو ألفا فى المذكر وحذفت في المؤنث ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التبيين ﴿ يبين الله لكم آياته ﴾ دلائله ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لايصلح له كل أحد اذ للمتصدى له شروط لايشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لوتركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ماهو فرض كفاية أوللتبيين بمعنى وكونوا أمة يدعون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى مافيه صلاح ديني أودنيوى وعطف الامر بالمعروف والنهى عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ المخصوصون بكمال الفلاح * روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب مايؤمر به والنهى عن المنكر واجب كله لان جميع ماأنكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلايسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ﴿ ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ كاليهود والنصاري اختلفوا فى التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ماعرفت ﴿ من بعد ماجاءهم البينات ﴾ الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتى رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد ﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ نصب بما فى لهم من معنى الفعل أوباضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل باضداد ذلك ﴿ فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم ﴾ على ارادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أوأهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه أوجميع الكفار كفروا بعدما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أوتمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أمر اهانة ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ بسبب كفركم أوجزاء لكفركم ﴿ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ﴾ يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى لايدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم ﴿ هم فيها خالدون ﴾ أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون ٦٥ ﴿ تلك آيات الله ﴾ الواردة في وعده ووعيده ﴿ نتلوها عليك بالحق ﴾ ملتبسة بالحق لاشبهة فيها ﴿ وماالله يريد ظلما للعالمين ﴾ اذ يستحيل الظلم منه لانه لايحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولايمنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ﴿ ولله مافى السموات ومافى الارض والى الله ترجع الامور ﴾ فيجازي كلا بما وعد له وأوعد ﴿ كنتم خير أمة ﴾ دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم فى علم الله أوفي اللوح المحفوظ أو فيما بين الامم المتقدمين ﴿ أخرجت للناس ﴾ أى أظهرت لهم ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ استئناف بين به كونهم خير أمة أوخبر ثان لكنتم ﴿ وتؤمنون بالله ﴾ يتضمن الايمان بكل مايجب أن يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ماأمر أن يؤمن به وانما أخره وحقه أن يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين

بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف ذلك ﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ ايمانا كما ينبغي ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه ﴿ منهم المؤمنون ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ وأكثرهم الفاسقون ﴾ المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد ﴿ لن يضروكم الا أذى ﴾ ضررا يسيرا كطعن وتهديد ﴿ وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ﴾ ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ ثم لا يكون أحد ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى مايكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في الرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ هدر النفس والمال والاهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية ﴿ أينما ثقفوا ﴾ وجدوا ﴿ الا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾ استثناء من أعم عام الاحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله أو كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين ﴿ وباؤا بغضب من الله ﴾ رجعوا به مستوجبين له ﴿ وضربت عليهم المسكنة ﴾ فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب على أهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ﴿ بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ﴾ بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على أنه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا ﴿ ذلك ﴾ أي الكفر والقتل ﴿ بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع أيضا ﴿ ليسوا سواء ﴾ في المساوي والضمير لاهل الكتاب ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة ﴾ استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم ﴿ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ﴾ يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان أهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه الصلاة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم ﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ﴾ صفات أخر لأمة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطؤن عن الخيرات ﴿ وأولئك من الصالحين ﴾ أي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه ﴿ وماتفعلوا من خير فلن تكفروه ﴾ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه ألبتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي ومايفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى ٦٦ ﴿ ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ ﴾ من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا ﴿ وأولئك أصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ هم فيها خالدون مثل ماينفقون ﴾ ماينفق الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء أو خوفا ﴿ في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر ﴾ برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد ﴿ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ فاهلكته ﴾ عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث ﴿ وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ أي ماظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ماظلم أصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب مااستحقوا به العقوبة وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز أن يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا في ضرورة الشعر كقوله

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ✿ ولكن من يبصر جفونك يعشق

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة ﴾ وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار ﴿ من دونكم ﴾ من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ أي لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير وأصله أن يعدى بالحرف وعدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص ﴿ ودوا ما عنتم ﴾ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم ﴾ أي في كلامهم لانهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم ﴿ وما تخفي صدورهم أكبر ﴾ مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ﴿ ان كنتم تعقلون ﴾ ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ أي أنتم أولاء الخاطؤن في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر لانتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز أن ينصب أولاء بفعل مضمر يفسره مابعده وتكون الجملة خبرا ﴿ وتؤمنون بالكتاب كله ﴾ بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ﴿ واذا لقوكم قالوا آمنا ﴾ نفاقا وتغريرا ﴿ واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ ﴾ من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا ﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام وأهله حتى يهلكوا به ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على أسرارهم فاني عليم بالاخفى

فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ۞ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ۞ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞

من ضمائرهم ﴿ ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا مانالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة ﴿ وان تصبروا ﴾ على عداوتهم أوعلى مشاق التكاليف ﴿ وتتقوا ﴾ موالاتهم أو ما حرم الله جل جلاله عليكم ﴿ لايضركم كيدهم شيأ ﴾ بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لايضركم من ضاره يضيره ﴿ ان الله بما تعملون ﴾ من الصبر والتقوى وغيرهما ﴿ محيط ﴾ أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون فى عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه ﴿ واذ غدوت ﴾ أي واذكر اذ غدوت ﴿ من أهلك ﴾ أي من حجرة عائشة رضى الله عنها ﴿ تبوئ المؤمنين ﴾ تنزلهم أوتسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام ﴿ مقاعد للقتال ﴾ مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى — فى مقعد صدق — وقوله تعالى — قبل أن تقوم من مقامك ﴿ والله سميع ﴾ لاقوالكم ﴿ عليم ﴾ بنياتكم * روي أن المشركين نزلوا باحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الانصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ماخرجنا منها الى عدو الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم الى الخروج فقال عليه الصلاة والسلام رأيت فى منامى بقرا مذبوحة حولى فاولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدي فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا

ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم
وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن
الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر
كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون
لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي
الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات
الصدور ۞ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
إن الله غفور حليم ۞ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض
أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله
بما تعملون بصير ۞ ولئن قتلتم في سبيل الله
أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ۞

وبالغوا حتى دخل ولبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت فقال لاينبغى لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت ونزل فى عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ٦٧ ﴿ اذ همت ﴾ متعلق بقوله سميع عليم أوبدل من اذ غدوت ﴿ طائفتان منكم ﴾ بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحى العسكر ﴿ أن تفشلا ﴾ أن تجبنا وتضعفا * روى أنه عليه الصلاة والسلام خرج فى زهاء ألف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي فى ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال أنشدكم الله والاسلام فى نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنها ما كانت عزيمة لقوله تعالى ﴿ والله وليهما ﴾ أى عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان ولايتوكلان على الله ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به ﴿ وأنتم أذلة ﴾ حال من الضمير وانما قال أذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح ﴿ فاتقوا الله ﴾ فى الثبات ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصره أو لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لأنه سببه ﴿ اذ تقول للمؤمنين ﴾ ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على أن قوله لهم يوم أحد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ﴿ ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ﴾ انكار أن لايكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل أمدهم الله يوم بدر أولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج ﴿ بلى ﴾ ايجاب لما بعد ان أى بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ﴿ ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم ﴾ أى المشركون ﴿ من فورهم هذا ﴾ من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر من فارت القدر اذ غلت فاستعير للسرعة ثم أطلق للحال التي لاريث فيها ولاتراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال ﴿ يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة ﴾ فى حال اتيانهم بلا تراخ ولاتأخير ﴿ مسومين ﴾ معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشيء لقوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت أومرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو ﴿ وما جعله الله ﴾ وما جعل امدادكم بالملائكة ﴿ الا بشرى لكم ﴾ الا بشارة لكم بالنصر ﴿ ولتطمئن قلوبكم به ﴾ ولتسكن اليه من الخوف ﴿ وما النصر الا من عند الله ﴾ لا من العدة والعدد وهو تنبيه على أنه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما أمدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب أكثر وحثا على أن لايبالوا بمن تأخر عنهم ﴿ العزيز ﴾ الذى لايغالب فى أقضيته ﴿ الحكيم ﴾ الذى ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ﴿ ليقطع طرفا من الذين كفروا ﴾ متعلق بنصركم أو وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض وأسر آخرين وهوما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من صناديدهم ﴿ أو يكبتهم ﴾ أو يخزيهم والكبت شدة الغيظ أو وهن يقع فى القلب وأو للتنويع دون الترديد ﴿ فينقلبوا خائبين ﴾ فينهزموا منقطعى الآمال ﴿ ليس لك من الامر شيء ﴾ اعتراض ﴿ أويتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ عطف على قوله أويكبتهم والمعنى أن الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أويكبتهم أويتوب عليهم ان أسلموا أويعذبهم ان أصروا وليس لك من أمرهم شيء وانما أنت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل أن يكون معطوفا على الأمر أو شيء باضمار أن أى ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أوليس لك من أمرهم شيء أوالتوبة عليهم أوتعذيبهم وان تكون أو بمعنى الا أن أي ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتسر به أو يعذبهم فتتشفى منهم * روى أن عتبة بن أبي وقاص شجه يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن ﴿ فانهم ظالمون ﴾ قد استحقوا التعذيب بظلمهم ﴿ ولله مافى السموات ومافى الارض ﴾ خلقا وملكا فله الامر كله لا لك ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة

وعدمها كالمنافي له ﴿والله غفور رحيم﴾ لعباده فلاتبادر الى الدعاء عليهم ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة﴾ لاتزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذكان الرجل منهم يربى الى أجل ثم يزيد فيه زيادة أخرى حتى يستغرق بالشئ الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثيروابن عامر ويعقوب مضعفة ﴿واتقوا الله﴾ فيما نهيتم عنه ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين الفلاح ﴿واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى أفعالهم وفيه تنبيه على أن النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ أتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة ولعل وعسى فى أمثال ذلك دليل عزة التوصل الى ماجعل خبرا له ٦٨ ﴿وسارعوا﴾ بادروا وأقبلوا ﴿الى مغفرة من ربكم﴾ الى مايستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلاواو ﴿وجنة عرضها السموات والارض﴾ أى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لووصل بعضها ببعض ﴿أعدت للمتقين﴾ هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم ﴿الذين ينفقون﴾ صفة مادحة للمتقين أومدح منصوب أومرفوع ﴿في السراء والضراء﴾ فى حالتى الرخاء والشدة أوالاحوال كلها اذالانسان لايخلو عن مسرة أومضرة أى لايخلون فى حال ما بانفاق ماقدروا عليه من قليل أوكثير ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذاملأتها وشددت رأسها وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا ﴿والعافين عن الناس﴾ التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبى عليه الصلاة والسلام ان هؤلاء فى أمتى قليل الامن عصم الله وقدكانوا كثيرا فى الامم التى مضت ﴿والله يحب المحسنين﴾ يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم ﴿والذين اذا فعلوا فاحشة﴾ فعلة بالغة فى القبح كالزني ﴿أوظلموا أنفسهم﴾ بان أذنبوا أى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة مايتعدى وظلم النفس ماليس كذلك ﴿ذكروا الله﴾ تذكروا وعيده أوحكمه أوحقه العظيم ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ بالندم والتوبة ﴿ومن يغفر الذنوب الاالله﴾ استفهام بمعني النفى معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ﴿ولم يصروا على مافعلوا﴾ ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ماأصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة ﴿وهم يعلمون﴾ حال من يصروا أى ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به ﴿أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها﴾ خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين أوعلى الذين ينفقون ولايلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لايدخلها المصرون كما لايلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم أن لايدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم أدون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين أنه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ﴿ونعم أجر العاملين﴾ لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض مافوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعنى المغفرة والجنات ﴿قدخلت من قبلكم سنن﴾ وقائع سنها الله فى الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل وقيل أمم قال

ماعاين الناس من فضل كفضلكمو ✻ ولارأوا مثله فى سالف السنن

﴿فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ اشارة الى قوله قدخلت أومفهوم قوله فانظروا أى أنه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين أوالى مالخص من أمر المتقين والتائبين وقوله قدخلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ﴿ولاتهنوا ولاتحزنوا﴾ تسلية لهم عما أصابهم يوم أحد والمعني لاتضعفوا عن الجهاد بما أصابكم ولاتحزنوا على من قتل منكم ﴿وأنتم الأعلون﴾ وحالكم انكم أعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم فى الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار أولانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم أووأنتم الاعلون فى العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ متعلق بالنهى أى لاتهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضى قوة القلب بالوثوق على الله أوبالاعلون ﴿أن يمسسكم قرح فقدمس القوم قرح مثله﴾ قرأ حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها والمعنى ان أصابوا منكم يوم أحد فقد أصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم أولى بان لاتضعفوا فانكم ترجون من الله مالايرجعون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فان المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وتلك الايام نداولها بين الناس﴾ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقوله

فيوما علينا ويوما لنا ✻ ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها أوقات النصر والغلبة ﴿وليعلم الله الذين آمنوا﴾ عطف على علة محذوفة أى نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان مايصيب المؤمن فيه من المصالح مالايعلم أوالفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد فى أمثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء أحد أويتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد ﴿والله لايحب الظالمين﴾ الذين يضمرون خلاف مايظهرون أوالكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على أنه تعالى لاينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم أحيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ﴿ويمحق الكافرين﴾ ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا ٦٩ ﴿أم حسبتم ان تدخلوا الجنة﴾ بل أحسبتم ومعناه الانكار ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان أصله يعلمن فحذفت النون ﴿ويعلم الصابرين﴾ نصب باضمار أن على ان الواو للجمع

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ۞ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۞ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۞ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞

وقرئ بالرفع على أن الواو للحال كأنه قال ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت ﴾ أى الحرب فانها من أسباب الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم
يشهدوا بدرا وتمنوا أن يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فألحوا يوم أحد على الخروج ﴿من قبل أن تلقوه﴾ من قبل أن
تشاهدوه وتعرفوا شدته ﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ أى فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا
لها ثم جبنوا وانهزموا عنها أو على تمني الشهادة فان فى تمنيها تمني غلبة الكفار ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ فسيخلو كما خلوا بالموت أو القتل ﴿ أفان مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ﴾ انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين لخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
لانكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على أعقابهم بعد وفاته * روى أنه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه قتل النبي عليه الصلاة والسلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ
ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون
وقال بعضهم ليت ابن أبيّ يأخذ لنا أمانا من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك
رضى الله عنهما يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وأبرأ اليك
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ﴿ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ ﴾ بارتداده بل يضر نفسه ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾ على نعمة الاسلام بالثبات عليه

وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين
۞ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل
الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ
أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في
قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ۞ الذين قالوا لإخوانهم
وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت
إن كنتم صادقين ۞ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ۞ فرحين بما آتاهم الله
من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم
ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞ يستبشرون بنعمة
من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ۞ الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين
أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ۞ الذين قال لهم
الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۞

كأنس وأضرابه ﴿وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ﴾ الا بمشيئة الله تعالى أو باذنه لملك الموت عليه الصلاة والسلام فى قبض روحه والمعنى أن لكل نفس أجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الأجل ﴿ كتابا ﴾ مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا ﴿ مؤجلا ﴾ صفة له أى مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر ﴿ ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ﴾ تعريض لمن شغلتهم الغنائم يوم أحد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم وأخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك أقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ﴿ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾ أى من ثوابها ﴿ وسنجزى الشاكرين ﴾ الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد ﴿ وكأين ﴾ أصله أى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين أثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه أنه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم أبدلت الياء الاخرى ألفا كما أبدلت من طائي ﴿ من نبى ﴾ بيان له ﴿ قاتل معه ربيون كثير ﴾ ربانيون علماء أتقياء أو عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول أنه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر ﴿ فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ﴾ فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما أصابهم من قتل النبى أو بعضهم ﴿ وما ضعفوا ﴾ عن العدو أو فى الدين ﴿ وما استكانوا ﴾ وما خضعوا للعدو وأصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والألف من اشباع الفتحة أو استكون من الكون لانه يطلب من نفسه أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام ﴿ والله يحب الصابرين ﴾ فينصرهم ويعظم قدرهم ﴿ وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ أى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى أنفسهم هضما لها واضافة لما أصابهم الى سوء أعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون أقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لأن أن قالوا أعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ٧٠ ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ فآتاهم الله بسبب الاستغفار والالتجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان

تطيعوا الذين كفروا يردوكم ﴾ أى الى الكفر ﴿ على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان
محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لأبي سفيان وأشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم ﴿ بل
الله مولاكم ﴾ ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل أطيعوا الله مولاكم ﴿وهو خير الناصرين﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره ﴿سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب﴾
يريد ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت. فقال عليه الصلاة والسلام
ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم على
الاصل فى كل القرآن ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ بسبب اشراكهم به ﴿ ما لم ينزل به سلطانا ﴾ أى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو كقوله
* ولا ترى الضب بها ينجحر * وأصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ﴿ ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ أى مثواهم فوضع
الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ أى وعده اياكم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما أقبلوا
جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ﴿ اذ تحسونهم باذنه ﴾ تقتلونهم من حسه اذا أبطل حسه ﴿حتى اذا فشلتم ﴾
جبنتم وضعف رأيكم أو ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل ﴿ وتنازعتم فى الأمر ﴾ يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا
ههنا وقال آخرون لا نخالف أمر الرسول فثبت مكانه أميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله ﴿ وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ من

الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ وهم التاركون المركز للغنيمة ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ﴾ وهم الثابتون محافظة على أمر الرسول عليه السلام ﴿ ثم صرفكم عنهم ﴾ ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ﴿ليبتليكم﴾ على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة ﴿ والله ذوفضل على المؤمنين ﴾ يتفضل عليهم بالعفو أوفي الاحوال كلها سواء أديل لهم أو عليهم اذ الابتلاء أيضا رحمة ﴿ اذ تصعدون ﴾ متعلق بصرفكم أو ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال أصعدنا من مكة الى المدينة ﴿ ولاتلوون على أحد ﴾ لا يقف أحد لأحد ولاينتظره ﴿ والرسول يدعوكم ﴾ كان يقول الىّ عباد الله الىّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة ﴿في أخراكم ﴾ في ساقتكم أوجماعتكم الاخرى ﴿ فأثابكم غما بغم ﴾ عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو فجازاكم غما بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له ﴿ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ﴾ لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلاتحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولاضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على مافاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فأثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أى فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما أصابكم من الهزيمة ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ عليم بأعمالكم وبما قصدتم بها ٧١ ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ﴾ أنزل الله عليكم الأمن حتى أخذكم النعاس وعن أبي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة أومفعول له أو حال من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أوعلى انه جمع آمن كبارّ وبررة وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن ﴿ يغشى طائفة منكم ﴾ أى النعاس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الأمنة والطائفة المؤمنون حقا ﴿ وطائفة ﴾ هم المنافقون ﴿ قد أهمتهم أنفسهم ﴾ أوقعتهم أنفسهم في الهموم أومايهمهم الا هم أنفسهم وطلب خلاصها ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ﴾ صفة أخرى لطائفة أو حال أو استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق أن يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية وأهلها ﴿ يقولون ﴾ أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من يظنون ﴿ هل لنا من الأمر من شئ ﴾ هل لنا مما أمر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط * وقيل أخبر ابن أبي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير أنفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الأمر شئ أوهل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ ﴿ قل ان الامر كله لله ﴾ أى الغلبة الحقيقية لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون أوالقضاء له يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو اعتراض وقرأ أبو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء ﴿ يخفون في أنفسهم ما لايبدون لك ﴾ حال من ضمير يقولون أى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب ﴿يقولون﴾ أى فى أنفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون أواستئناف على وجه البيان له ﴿ لو كان لنا من الامر شئ ﴾ كما وعد محمد أو زعم أن الامر كله لله ولاوليائه أولو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن أبي وغيره ﴿ ما قتلنا ههنا ﴾ لما غلبنا أو لما قتل من قتل منا فى هذه المعركة ﴿ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ﴾ أي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتبه فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم أحد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه ﴿وليبتلى الله ما فى صدوركم ﴾ وليمتحن مافى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف أى وفعل ذلك ليبتلى أو عطف على محذوف أى لبرز لنفاذ القضاء أو لمصالح جمة وللابتلاء أوعلى قوله لكيلا تحزنوا ﴿ وليمحص ما فى قلوبكم ﴾ وليكشفه ويميزه أو يخلصه من الوساوس ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ﴿ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾ يعني ان الذين انهزموا يوم أحد انما كان السبب فى انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل فأطاعوه واقترفوا ذنوبا لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة أوالحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ﴿ ولقد عفا الله عنهم ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿ ان الله غفور ﴾ للذنوب ﴿حليم﴾ لا يعاجل بعقوبة الذنب كي يتوب ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا ﴾ يعني المنافقين ﴿ وقالوا لاخوانهم ﴾ لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب أوالمذهب ﴿اذا ضربوا فى الارض ﴾ اذا سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أوغيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية ﴿ أوكانوا غزا ﴾ جمع غاز كعاف وعفّى ﴿ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ﴾ مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ﴿ ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ﴾ متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا أو لاتكونوا أى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى أى لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم ﴿ والله يحيي ويميت ﴾ رد لقولهم أى هو المؤثر فى الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ تهديد للمؤمنين على أن يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ﴿ ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم ﴾ أى متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات ﴿ لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون ﴾ جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغز وليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ

سورة آل عمران ٧٤

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا
رضوان الله والله ذو فضل عظيم ۞ إنما ذلكم الشيطان
يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين
۞ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا
الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب
عظيم ۞ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا
الله شيئا ولهم عذاب أليم ۞ ولا يحسبن الذين كفروا
أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم
عذاب مهين ۞ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم
عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا
بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ۞
ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله
ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ۞

لقد

لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ الَّذِينَ قَالُوا
إِنَّ اللّٰهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا
بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي
بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۞ كُلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۞ لَتُبْلَوُنَّ
فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ
تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞

حفص بالياء ٧٢ ﴿ولئن متم أوقتلتم﴾ أي على أي وجه اتفق هلاككم ﴿لالى الله تحشرون﴾ لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لاالى غيره لامحالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي متم بالكسر ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ أى فبرحمة ومامزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان الابرحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد أن خالفوه ﴿ولوكنت فظا﴾ سيئ الخلق جافيا ﴿غليظ القلب﴾ قاسيه ﴿لانفضوا من حولك﴾ لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك ﴿فاعف عنهم﴾ فيما يختص بك ﴿واستغفر لهم﴾ فيما لله ﴿وشاورهم فى الامر﴾ أى فى أمر الحرب اذ الكلام فيه أو فيما يصح أن يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة ﴿فاذا عزمت﴾ فاذا وطنت نفسك على شئ بعد الشورى ﴿فتوكل على الله﴾ فى امضاء أمرك على ماهو أصلح لك فانه لايعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم أى فاذا عزمت لك على شئ وعينته لك فتوكل عليّ ولاتشاور فيه أحدا ﴿ان الله يحب المتوكلين﴾ فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ﴿ان ينصركم الله﴾ كما نصركم يوم بدر ﴿فلا غالب لكم﴾ فلا أحد يغلبكم ﴿وان يخذلكم﴾ كما خذلكم يوم أحد ﴿فمن ذا الذى ينصركم من بعده﴾ من بعد خذلانه أو من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا أن لاناصر لهم سواه وآمنوا به ﴿وما كان لنبي أن يغل﴾ وما صح لنبي أن يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا وأغل اغلالا اذا أخذه فى خفية والمراد منه اما براءة الرسول عليه السلام عما اتهم به اذ روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها أو ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له ولايقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول صلى الله عليه وسلم على ماروي أنه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب أن يغل على البناء للمفعول والمعنى وماصح له أن يوجد غالا أو أن ينسب الى الغلول ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث أو بما احتمل من وباله واثمه ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ يعنى تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بماقبله أن يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك أولى ﴿وهم لايظلمون﴾ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولايزاد فى عقاب عاصيهم ﴿أفمن اتبع رضوان الله﴾ بالطاعة ﴿كمن باء﴾ رجع ﴿بسخط من الله﴾ بسبب المعاصى ﴿ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب أن يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع ﴿هم درجات عند الله﴾ شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب أوهم ذوو درجات ﴿والله بصير بما يعملون﴾ عالم بأعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها ﴿لقد منّ الله على المؤمنين﴾ أنعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه أو بعثه ﴿اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾ من نسبهم أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من أنفسهم أى من أشرفهم لانه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ أى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ﴿ويزكيهم﴾ يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ أى القرآن والسنة ﴿وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾ ان هي المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة والمعني وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال ظاهر ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا﴾ الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ماسبق من قصة أحد أو على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى أصابتكم أى أقلتم حين أصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم أحد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من أين هذا أصابنا وقد وعدنا الله النصر ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أى مما اقترفته أنفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة أو اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى عنه باختياركم الفداء يوم بدر ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على النصر ومنعه وعلى أن يصيب بكم ويصيب منكم ٧٣ ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم أحد ﴿فباذن الله﴾ فهو كائن بقضائه أو تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء ﴿وقيل لهم﴾ عطف على نافقوا داخل فى الصلة أو كلام مبتدأ ﴿تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا﴾ تقسيم الامر عليهم وتخيير بين أن يقاتلوا للآخرة أو للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة أو ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروّع العدو ويكسر منه ﴿قالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم﴾ لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة أو لونحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما قالوه دغلا واستهزاء ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين ﴿يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم﴾ يظهرون خلاف مايضمرون لاتواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير ﴿والله أعلم بما يكتمون﴾ من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وأنتم تعلمونه مجملا بأمارات ﴿الذين قالوا﴾ رفع بدلا من واو يكتمون أو نصب على الذم أو الوصف للذين نافقوا أو جر بدلا من الضمير فى بأفواههم أو قلوبهم كقوله

على حالة لو أن فى القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

﴿لاخوانهم﴾ أى لاجلهم يريد من قتل يوم أحد من أقاربهم أو من جنسهم ﴿وقعدوا﴾ حال مقدرة بقد أى قالوا قاعدين عن القتال ﴿لو أطاعونا﴾ فى القعود بالمدينة ﴿ماقتلوا﴾ كما لم نقتل وقرأ هشام ماقتلوا بتشديد التاء ﴿قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين﴾ أى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت وأسبابه فانه أحرى بكم والمعنى أن القعود غير مغن عن الموت فان أسباب

الموت كثيرة كما أن القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ﴿ ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ﴾ نزلت فى شهداء أحد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول أو من يحسب أو الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين ﴿ بل أحياء ﴾ أى بل هم أحياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم أحياء ﴿ عند ربهم ﴾ ذوو زلفى منه ﴿ يرزقون ﴾ من الجنة وهو تأكيد لكونهم أحياء ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع بنعيم الجنة ﴿ و يستبشرون ﴾ يسرون بالبشارة ﴿ بالذين لم يلحقوابهم ﴾ أى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوابهم ﴿ من خلفهم ﴾ أى الذين من خلفهم زمانا أو رتبة ﴿ ألاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من أمر الآخرة وحال من تركوا من خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا أو قتلوا كانوا أحياء حياة لايكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على أن الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لايفنى بخراب البدن ولايتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه و يؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وماروى ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن أنكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم أحياء يوم القيامة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه أو أحياء بالذكر أو بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة و بعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما أنعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح ﴿ يستبشرون ﴾ كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله ألاخوف عليهم و يجوز أن يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال أنفسهم ﴿ بنعمة من الله ﴾ ثوابا لاعمالهم ﴿ وفضل ﴾ زيادة عليه كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم ﴿ وأن الله لايضيع أجر المؤمنين ﴾ من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى بالكسر على انه استئناف معترض دال على أن ذلك أجرهم على ايمانهم مشعر بان من لاايمان له أعماله محبطة وأجوره مضيعة ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ﴾ صفة للمؤمنين أو نصب على المدح أو مبتدأ خبره ﴿ للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴾ بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لاالتقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى أن أباسفيان وأصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه وقال لايخرجن معنا الامن حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية أميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الاشجعى وأطلق عليه الناس لانه من جنسهم كما يقال فلان يركب الخيل وماله الافرس واحد أو لانه انضم اليه ناس من المدينة وأذاعوا كلامه ﴿ ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ يعني أباسفيان وأصحابه روى انه نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج فى أهل مكة حتى نزل بمر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه و بدا له أن يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم أحد الاشريد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ﴿ فزادهم ايمانا ﴾ الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال أو لفاعله ان أريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعني انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم وأظهروا حمية الاسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد و ينقص و يعضده قول ابن عمر رضى الله عنهما قلنا يارسول الله الايمان يزيد و ينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة و ينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج ﴿ وقالوا حسبنا الله ﴾ محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه و يدل على أنه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ﴿ ونعم الوكيل ﴾ ونعم الموكول اليه هو فيه ٧٤ ﴿ فانقلبوا ﴾ فرجعوا من بدر ﴿ بنعمة من الله ﴾ عافية وثبات على الايمان وزيادة ﴿ وفضل ﴾ وربح فى التجارة فانهم لما أتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا ﴿ لم يمسسهم سوء ﴾ من جراحة وكيد عدو ﴿ واتبعوا رضوان الله ﴾ الذى هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم ﴿ والله ذو فضل عظيم ﴾ قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجراءة على العدو و بالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه مافاز وابه ﴿ انما ذلكم الشيطان ﴾ يريد به المثبط نعيما أو أباسفيان والشيطان خبر ذلكم ومابعده بيان لشيطنته أو صفته ومابعده خبر و يجوز أن تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف أى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس عليه اللعنة ﴿ يخوف أولياءه ﴾ القاعدين عن الخروج مع الرسول أو يخوفكم أولياؤه الذين هم أبوسفيان وأصحابه ﴿ فلاتخافوهم ﴾ الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني ﴿ وخافون ﴾ فى مخالفة أمرى فجاهدوا مع رسولى ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس ﴿ ولايحزنك الذين يسارعون فى الكفر ﴾ يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الاسلام والمعني لايحزنك خوف أن يضروك و يعينوا عليك لقوله ﴿ انهم لن يضروا الله شيأ ﴾ أى لن يضروا أولياء الله شيأ بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها أنفسهم وشيأ يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ماخلا قوله فى الانبياء لايحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل ﴿ يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ﴾ نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى أراد أرحم الراحمين أن لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم فى الكفر لانه تعالى لم يرد أن يكون لهم حظ فى الآخرة ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ مع الحرمان عن الثواب

سورة آل عمران ٧٦

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۞ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ
بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا
بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ
النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۞ رَبَّنَا
إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ
فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا
وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞

فاستجاب

﴿ ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ﴾ تكرير للتأكيد أوتعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من العرب ﴿ ولاتحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم ﴾ خطاب للرسول عليه السلام أولكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ـ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون ـ أو المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ان الاملاء خير لانفسهم أو ولاتحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع مافى حيزه مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه اذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء ﴿ انما نملي لهم ليزدادوا اثما ﴾ استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وماكافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا أن املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه أن املاءنا خير لهم ان انتهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ﴿ ولهم عذاب مهين ﴾ على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو أى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لايترككم مختلطين لايعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه بأحوالكم أوبالتكاليف الشاقة التى لايصبر عليها ولايذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والأنفس في سبيل الله ليختبر النبي به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفى

فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر
أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم
وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم
ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله
والله عنده حسن الثواب ۞ لا يغرنك تقلب الذين كفروا
في البلاد ۞ متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد
۞ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير
للأبرار ۞ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل
إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم
إن الله سريع الحساب ۞ يا أيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ۞

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء ﴿ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب فيطلع على مافى القلوب من كفر وايمان ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات أوينصب له مايدل عليها ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ بصفة الاخلاص أو بأن تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما أوحى اليهم * روى أن الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدى أنه عليه السلام قال عرضت على أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم أنه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت ﴿ وان تؤمنوا ﴾ حق الايمان ﴿ وتتقوا ﴾ النفاق ﴿ فلكم أجر عظيم ﴾ لايقادر قدره ﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ﴾ القراآت فيه على ماسبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه أي ولاتحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم أومن يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه أى ولايحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ﴿ بل هو ﴾ أى البخل ﴿ شر لهم ﴾ لاستجلاب العقاب عليهم ﴿ سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ﴾ بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال مابخلوا به الزام الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعله الله شجاعا فى عنقه يوم القيامة ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ وله مافيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه فى سبيله أو أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة ﴿ والله بما يعملون ﴾ من المنع والاعطاء ﴿ خبير ﴾ فيجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو أبلغ فى الوعيد ٧٥
﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ﴾ قالته اليهود لما سمعوا ـ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ـ وروى أنه عليه الصلاة والسلام كتب مع أبي بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه أبو بكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا مابيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه أعد لهم العقاب عليه ﴿ سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ﴾ أى سنكتبه فى صحائف الكتبة أوسنحفظه فى علمنا لانهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله عز وجل واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس أول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ﴿ ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾ أى وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله به للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الأكل مع المال ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى العذاب ﴿ بما قدمت أيديكم ﴾ من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان أكثر أعمالها بهن ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث أن نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسئ ﴿ الذين قالوا ﴾ هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ﴿ ان الله عهد الينا ﴾ أمرنا في التوراة وأوصانا ﴿ أن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ بأن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بني اسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله أى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك ﴿ قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ﴾ تكذيب والزام بأن رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحي بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلوكان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤا على قتله ﴿ فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حبسته والكتاب في عرف القرآن مايتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن

وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله * ولاذاكر الله الاقليلا * ﴿وانما توفون أجوركم﴾ تعطون جزاء أعمالكم خيرا كان أوشرا تاما وافيا ﴿يوم القيامة﴾ يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قديكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار ﴿فمن زحزح عن النار﴾ بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ﴿وأدخل الجنة فقد فاز﴾ بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس مايحب أن يؤتى اليه ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أى لذاتها وزخارفها ﴿الامتاع الغرور﴾ شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر أوجمع غار ﴿لتبلون﴾ أى والله لتختبرن ﴿فى أموالكم﴾ بتكليف الانفاق ومايصيبها من الآفات ﴿وأنفسكم﴾ بالجهاد والقتل والاسر والجراح ومايرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ﴿ولتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين أخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا أنفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لايرهقهم نزولها ﴿وان تصبروا﴾ على ذلك ﴿وتتقوا﴾ مخالفة أمر الله ﴿فان ذلك﴾ يعني الصبر والتقوى ﴿من عزم الامور﴾ من معزومات الامور التي يجب العزم عليها أومما عزم الله عليه أى أمر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه ٧٦ ﴿واذ أخذ الله﴾ أى اذكر وقت أخذه ﴿ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ يريد به العلماء ﴿لتبيننه للناس ولاتكتمونه﴾ حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله أخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب ﴿فنبذوه﴾ أى الميثاق ﴿وراء ظهورهم﴾ فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه ﴿واشتروا به﴾ وأخذوا بدله ﴿ثمنا قليلا﴾ من حطام الدنيا واعراضها ﴿فبئس مايشترون﴾ يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن على رضى الله تعالى عنه ماأخذ الله على أهل الجهل ان يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا ﴿لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلاتحسبنهم تأكيد والمعنى لاتحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب أى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكأنه قيل ولايحسبن الذين يفرحون بما أتوا فلايحسبن أنفسهم بمفازة أو المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ﴿ولهم عذاب أليم﴾ بكفرهم وتدليسهم * روى أنه عليه الصلاة والسلام سال اليهود عن شئ مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها وأروه انهم قدصدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ فهو يملك أمرهم ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ﴿ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب﴾ لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه فانه اما أن يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار أوجزئه كتغير العناصر بتبدل صورها أوالخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل أوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ أى يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ﴿ويتفكرون فى خلق السموات والارض﴾ استدلالا واعتبارا وهو أفضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل أهله ﴿ربنا ماخلقت هذا باطلا﴾ على ارادة القول أى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه أى الخلق على أنه أريد به المخلوق من السموات والارض أواليهما لانهما فى معنى المخلوق والمعنى ماخلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها أن يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية فى جوارك ﴿سبحانك﴾ تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض ﴿فقنا عذاب النار﴾ للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هى الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ﴿ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من أدرك مرعى الضمان فقد أدرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني أفظع ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم فى الخلاص منها ولايلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة لان النصر دفع بقهر ﴿ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان﴾ أوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع وفى تنكير المنادى واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام

٧٨ سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ۞ وآتوا اليتمى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ۞ وان خفتم الا تقسطوا فى اليتمى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث وربع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا ۞ وآتوا النساء صدقتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ۞ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قيما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ۞ وابتلوا اليتمى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ۞

للرجال

وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدي بالى واللام لتضمنها معني الانتهاء والاختصاص ﴿ أن آمنوا بربكم فآمنا ﴾ أى بان آمنوا فامتثلنا ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ كبائرنا فانها ذات تبعة ﴿ وكفر عنا سيآتنا ﴾ صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر ﴿ وتوفنا مع الابرار ﴾ مخصوصين بصحبتهم معدودين فى زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والابرار جمع بر أوبار كأرباب وأصحاب ﴿ ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ﴾ أى ماوعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما أظهر امتثاله لما أمر به سأل ماوعد عليه لاخوفا من اخلاف الوعد بل مخافة أن لايكون من الموعودين لسوء عاقبة أوقصور فى الامتثال أوتعبدا واستكانة ويجوز أن يعلق على بمحذوف تقديره ماوعدتنا منزلا على رسلك أومحمولا عليهم وقيل معناه على ألسنة رسلك ﴿ ولاتخزنا يوم القيامة ﴾ بان تعصمنا عما يقتضيه ﴿ انك لاتخلف الميعاد ﴾ باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضى الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة فى الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفى الآثار من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف ٧٧ ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ الى طلبتهم وهو أخص من أجاب ويعدى بنفسه وباللام ﴿ أني لاأضيع عمل عامل منكم ﴾ أى باني لاأضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿ من ذكر أوأنثى ﴾ بيان عامل ﴿ بعضكم من بعض ﴾ لان الذكر من الانثى والانثي من الذكر أولانهما من أصل واحد أولفرط الاتصال والاتحاد أوللاجتماع والاتفاق فى الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال* روى انأم سلمة رضى الله عنها قالت يارسول الله اني أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت ﴿ فالذين هاجروا ﴾ الخ تفصيل لأعمال العمال وماأعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك أوالاوطان والعشائر للدين ﴿ وأخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى ﴾ بسبب ايمانهم بالله ومن أجله ﴿ وقاتلوا ﴾ الكفار ﴿ وقتلوا ﴾ فى الجهاد وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو لاتوجب ترتيبا والثانى أفضل أولان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير ﴿ لأكفرن عنهم سيآتهم ﴾ لامحونها ﴿ ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ﴾ أى أثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد ﴿ والله عنده حسن الثواب ﴾ على الطاعات قادر عليه ﴿ لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ﴾ والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أوتثبيته على ماكان عليه كقوله فلاتطع المكذبين أولكل أحد والنهى فى المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعني لاتنظر الى ماالكفرة عليه من السعة والحظ ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم* روى ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقدهلكنا من الجوع والجهد فنزلت ﴿ متاع قليل ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ماأعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ماالدنيا فى الآخرة الامثل مايجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع ﴿ ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ أى مامهدوا لانفسهم ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله ﴾ النزل والنزول مايعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال أبوالشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا ﴿ وماعند الله ﴾ لكثرته ودوامه ﴿ خير للابرار ﴾ ممايتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله ﴿ وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ﴾ نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل فى أصحمة النجاشى لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف ﴿ وما أنزل اليكم ﴾ من القرآن ﴿ وما أنزل اليهم ﴾ من الكتابين ﴿ خاشعين لله ﴾ حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعني ﴿ لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا ﴾ كمايفعله المحرفون من أحبارهم ﴿ أولئك لهم أجرهم عند ربهم ﴾ ماخص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ لعلمه بالاعمال ومايستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء ﴿ ياأيها الذين آمنوا اصبروا ﴾ على مشاق الطاعات ومايصيبكم من الشدائد ﴿ وصابروا ﴾ وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ﴿ ورابطوا ﴾ أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه الصلاة والسلام من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لايفطر ولاينفتل عن صلاته الالحاجة ﴿ واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ فاتقوه بالتبرى عما سواه لكى تفلحوا غاية الفلاح أوواتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المرتبة التى هى الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس فى رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة* عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله أعلم

٧٩ الجزء الرابع

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۞ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۞ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۞ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞

﴿ سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية ﴾

٧٨ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ ياأيها الناس ﴾ خطاب يعم بني آدم ﴿ اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ هي آدم ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ عطف على خلقكم أى خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أومحذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة ﴿ وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما والمعني ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ
مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ
وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا
تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ
وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا
أَكْثَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً
مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۞ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
۞ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ
يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞

النساء بها اذالحكمة تقتضى أن يكن أكثر وذكر كثيرا حملاعلى الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لمافيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليها أو لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على مادلت عليه الآيات التى بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به﴾ أى يسأل بعضكم بعضا تقول أسألك بالله وأصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها ﴿والارحام﴾ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولاتقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك أى ممايتقى أو يتساءل به وقدنبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه الكريم على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ﴿ان الله كان عليكم رقيبا﴾ حافظا مطلعا ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ أى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى وأسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وروده فى الآية اما للبلغ على الاصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع اليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم ان أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ماروى أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلماسمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ﴿ولاتتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ ولاتستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الامر الخبيث وهو اختزال أموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولاتأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ﴿ولاتأكلوا أموالهم الى أموالكم﴾ ولاتأكلوها مضمومة الى أموالكم أى لاتنفقوهما معا ولاتسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف ﴿انه﴾ الضمير للاكل ﴿كان حوبا كبيرا﴾ ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا ﴿وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء﴾ أى ان خفتم أن لاتعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ماطاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنابها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولايقدر على القيام بحقوقهن أو ان خفتم أن لاتعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لاتعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى أن يتحرج من الذنوب كلها على ماروى انه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولايتحرجون من الزني فقيل لهم ان خفتم أن لاتعدلوا فى أمر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ماحل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة أو اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ماملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أى ان خفتم ان تجوروا ﴿مثني وثلاث ورباع﴾ معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت أصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصفة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو أفردت كان المعني تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد ﴿فان خفتم أن لاتعدلوا﴾ بين هذه الاعداد أيضا ﴿فواحدة﴾ فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف أو خبره تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة ﴿أو ماملكت أيمانكم﴾ سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهن ﴿ذلك﴾ أى التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسرى ﴿أدنى أن لاتعدلوا﴾ أقرب من أن لاتميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لاتكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لاتعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان أريد الاولاد فلأن التسرى مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع ﴿وآتوا النساء صدقاتهن﴾ مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة ﴿نحلة﴾ أي عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لاالى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء أو الحال من الواو أو الصدقات أى آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعني نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له أو حال من الصدقات أى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم ﴿فان طبن لكم عن شئ منه نفسا﴾ الضمير للصداق حملا على المعني أو جرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة * كأنه فى الجلد توليع البهق * اذ سئل فقال أردت كأن ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معني التجافى والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب ﴿فكلوه هنيئا مريأ﴾ فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء مايلذه الانسان والمريء ماتحمد عاقبته روى أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيأ مما ساق اليها فنزلت ﴿ولاتؤتوا السفهاء أموالكم﴾ نهى للاولياء عن أن يؤتوا الذين لارشد لهم أموالهم فيضيعوها وانما أضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهى لكل أحد أن يعمد الى ماخوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته وأولاده ثم ينظر الى أيديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقولهم

وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ
سَبِيلًا ۞ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا
فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا
رَحِيمًا ۞ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي
تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ
لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا
بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۞

قياما سمى مابه القيام قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو مايقام به ﴿ وارزقوهم فيها واكسوهم ﴾ واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها مايحتاجون اليه ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ماعرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ماأنكره أحدهما لقبحه ﴿ وابتلوا اليتامى ﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم فى صلاح الدين والتهدى الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى بان يدفع اليه مايتصرف فيه ﴿ حتى اذا بلغوا النكاح ﴾ حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم أو يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل الولد خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه وأقيمت عليه الحدود وثمانى عشرة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده ﴿ فان آنستم منهم رشدا ﴾ فان أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم بمعنى أحسستم ﴿ فادفعوا اليهم أموالهم ﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لايدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ﴿ ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم أو لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ من أكلها ﴿ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولى له حق فى مال الصبى وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجرى يتيما أفآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهى للاولياء أن يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى ﴿ فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ﴾ بانهم قبضوها فانه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لايصدق فى دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابى حنيفة ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ محاسبا فلا تخالفوا ماأمرتم به ولا تتجاوزوا ماحد لكم ٧٩ ﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ﴾ يريد بهم المتوارثين بالقرابة ﴿ مما قل منه أو كثر ﴾ بدل مما ترك باعادة العامل ﴿ نصيبا مفروضا ﴾ نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله أو حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه * روى ان أوس بن الصامت الانصارى خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى أنظر مايحدث الله فنزلت فبعث اليهما لاتفرقا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت ـ يوصيكم الله ـ فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ﴿ واذا حضر القسمة أولوا القربى ﴾ ممن لايرث ﴿ واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو أمر ندب للبلغ من الورثة وقيل أمر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك أو مادل عليه القسمة ﴿ وقولوا لهم قولا معروفا ﴾ وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ماأعطوهم ولا يمنوا عليهم ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ﴾ أمر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى أمر اليتامى فيفعلوا بهم مايحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وأن يحب لاولاد غيره مايحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال أولاده ﴿ فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ﴾ أمرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ماأمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثانى ثم أمرهم أن يقولوا لليتامى مثل مايقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب أو للمريض مايصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا أو ان يقولوا فى الوصية مالا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ﴿ ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ﴾ ظالمين أو على وجه الظلم ﴿ انما يأكلون فى بطونهم ﴾ ملء بطونهم ﴿ نارا ﴾ مايجر الى النار ويؤول اليها وعن أبى بردة رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقيل من هم فقال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ﴿ وسيصلون سعيرا ﴾ سيدخلون نارا وأى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها ﴿ يوصيكم الله ﴾ يأمركم ويعهد اليكم ﴿ فى أولادكم ﴾ فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله ﴿ للذكر مثل حظ الانثيين ﴾ أى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به ﴿ فان كن نساء ﴾ أى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فأنث الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولودات ﴿ فوق اثنتين ﴾ خبر ثان أو صفة للنساء أى نساء زائدات على اثنتين ﴿ فلهن ثلثا ماترك ﴾ المتوفى منكم ويدل عليه المعنى ﴿ وان كانت واحدة فلها النصف ﴾ أى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة

لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم مافوقهما لانه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن زاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها فبالحرى ان تستحقه مع أخت مثلها وأن البنتين أمس رحما من الأختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله تعالى ـ فلهما الثلثان مما ترك ـ ﴿ ولأبويه ﴾ ولأبوى الميت ﴿ لكل واحد منهما ﴾ بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا ﴿ السدس مما ترك ان كان له ﴾ أى للميت ﴿ ولد ﴾ ذكر أو أنثى غير ان الأب يأخذ السدس مع الأنثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض أيضا بالعصوبة ﴿ فان لم يكن له ولد وورثه أبواه ﴾ فحسب ﴿ فلأمه الثلث ﴾ مما ترك وانما لم يذكر حصة الأب لانه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الأم علم أن الباقى للأب وكأنه قال فلهما ماترك أثلاثا وعلى هذا ينبغى أن يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث مابقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع ﴿ فان كان له اخوة فلأمه السدس ﴾ باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الأب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الأم والجمهور على أن المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة أو الاخوات وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لايحجب الأم من الثلث مادون الثلاثة ولا الاخوات الخلص أخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين ﴾ متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها أى هذه الانصباء للورثة من بعد ماكان من وصية أو دين وانما قال با والتى للاباحة دون الواو للدلالة على أنهما متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿ آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا ﴾ أى لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما أوصاكم الله به ولاتعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه ❊ روى أن أحد المتوالدين اذا كان أرفع درجة من الآخر فى الجنة سأل أن يرفع اليه فيرفع بشفاعته أومن مورثيكم منهم أومن أوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته أو من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لأمر القسمة أو تنفيذ الوصية ﴿ فريضة من الله ﴾ مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم ﴿ ان الله كان عليما ﴾ بالمصالح والرتب ﴿ حكيما ﴾ فيما قضى وقدر ٨٠ ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ﴾ أي ولد وارث من بطنها أومن صلب بنيها أو بني بنيها وان سفل ذكرا كان أو أنثى منكم أو من غيركم ﴿ من بعد وصية يوصين بها أودين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أودين ﴾ فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولايستثنى منه الا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع والثمن ﴿ وان كان رجل ﴾ أى الميت ﴿ يورث ﴾ أى يورث منه من ورث صفة رجل ﴿ كلالة ﴾ خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أومفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى

فآليت لا أرثي لها من كلالة ❊ ولا من حفا حتى ألاقى محمدا

فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتي ﴿ أو امرأة ﴾ عطف على رجل ﴿ وله ﴾ أى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه ﴿ أخ أو أخت ﴾ أى من الأم ويدل عليه قراءة أبيّ وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه ذكر فى آخر السورة أن للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لايليق بأولاد الأم وان ماقدر ههنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها ﴿ فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ سوى بين الذكر والأنثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية أنهم لايرثون ذلك مع الأم والجدة كما لايرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع ﴿ من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار ﴾ أى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أوقصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لايلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم ﴿ وصية من الله ﴾ مصدر مؤكد أومنصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة أى لايضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب ﴿ والله عليم ﴾ بالمضار وغيره ﴿ حليم ﴾ لايعاجل بعقوبته ﴿ تلك ﴾ اشارة الى الاحكام التى قدمت فى أمر اليتامى والوصايا والمواريث ﴿ حدود الله ﴾ شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التى لايجوز مجاوزتها ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له ٨١ ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ﴾ أى يفعلنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها ﴿ فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن ﴿ فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت ﴾ فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن ﴿ حتى يتوفاهن الموت ﴾ يستوفى أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في أوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل أن يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد أن يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم
إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه
بهتانا وإثما مبينا ❁ وكيف تأخذونه وقد
أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا
غليظا ❁ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء
سبيلا ❁ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم
وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ
وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين
من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد
سلف إن الله كان غفورا رحيما ❁

ولم يذكر الحد استغناء بقوله تعالى ـ الزانية والزاني ـ ﴿أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المغنى عن السفاح ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يعني الزانية والزانى وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الألف والباقون بالتخفيف من غير تمكين ﴿فآذوهما﴾ بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد ﴿فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما﴾ فاقطعوا عنهما الايذاء أوأعرضوا عنهما بالاغماض والستر ﴿ان الله كان توابا رحيما﴾ علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزاني فى الزناة ﴿انما التوبة على الله﴾ أى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذاقبل توبته ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ من زمان قريب أى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر وسماه قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أوقبل أن يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض أى يتوبون فى أى جزء من الزمان القريب الذى هو ماقبل أن ينزل بهم سلطان الموت أويزين السوء ﴿فاولئك يتوب الله عليهم﴾ وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله ﴿وكان الله عليما﴾ فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة ﴿حكيما﴾ والحكيم لا يعاقب التائب ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ سوى بين من سوّف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ
بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا
أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى
الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ
وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝

المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار ﴿أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان أن العذاب أعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعددنا فابدلت الدال الاولى تاء ﴿ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها﴾ كان الرجل اذا مات وله عصبة ألقى ثوبه على امرأته وقال أنا أحق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم أن تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك أومكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ﴿ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن﴾ عطف على أن ترثوا ولا لتأكيد النفى أى ولا تمنعوهن من التزويج وأصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أويختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل ﴿الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من أعم عام الظرف أوالمفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الاوقت أن يأتين بفاحشة أوولا تعضلوهن لعلة الا أن يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وأبو بكر مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول ﴿فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ماهو أصلح دينا وأكثر خيرا وقد تحب ماهو بخلافه وليكن نظركم الى ماهو أصلح للدين وأدنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ٨٢ ﴿وان أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ تطليق امرأة وتزوج أخرى ﴿وآتيتم احداهن﴾ أي احدى الزوجات جمع الضمير لانه أراد بالزوج الجنس ﴿قنطارا﴾ مالا كثيرا ﴿فلا تأخذوا منه شيا﴾ أي من قنطار ﴿أتأخذونه بهتانا واثما مبينا﴾ استفهام انكار وتوبيخ أى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا أراد امرأة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض﴾ انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر ﴿وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة أوما أوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف أوتسريح باحسان أوما أشار اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم﴾ ولا تنكحوا التى نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر ﴿من النساء﴾ بيان ما نكح على الوجهين ﴿الا ما قد سلف﴾ استثناء من المعنى اللازم للنهى وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان أمكنكم أن تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لانه مقرر ﴿انه كان فاحشة ومقتا﴾ علة للنهى أى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله مارخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروآت ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة أبيه المقتى ﴿وساء سبيلا﴾ سبيل من يراه ويفعله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت﴾ ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ماقبله ومابعده فى النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أوولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها أوولدت من ولدها وان سفلت وأخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى ﴿وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمرضعة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب ﴿وأمهات نسائكم

وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ﴾ ذكر أولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولايجوز تعليقها بالامهات أيضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية واذا علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب أن يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لاتحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله

اذا حاولت في أسد فجورا * فانى لست منك ولست مني

على معني ان أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها انه لابأس أن يتزوج ابنتها ولايحل له أن يتزوج أمها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن علي رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولايجوز أن يكون الموصول الثانى صفة للنساءين لان عامليهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعني ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم أو بصدده تقوى الشبه بينها وبين أولادكم وصارت أحقاء بان تجروها مجراهم لاتقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن علىّ رضى الله تعالى عنه أنه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء بشبهة أوملك يمين وعند أبى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴾ تصريح بعد اشعار دفعا للقياس ﴿ وحلائل أبنائكم ﴾ زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أولحلولها مع الزوج ﴿ الذين من أصلابكم ﴾ احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد ﴿ وأن تجمعوا بين الاختين ﴾ في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة في النكاح فهى محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلىّ رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله ـ أوماملكت أيمانكم ـ فرجح علىّ كرّم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول علىّ أظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام ﴿ الا ما قد سلف ﴾ استثناء من لازم المعنى أومنقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ﴿ ان الله غفورا رحيما ٨٣ والمحصنات من النساء ﴾ ذوات الازواج أحصنهن التزويج أو الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد في جميع القرآن لانهنّ أحصنّ فروجهنّ ﴿ الا ما ملكت أيمانكم ﴾ يريد ماملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهنّ أزواج كفار فهنّ حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول أبي سعيد رضى الله تعالى عنه أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عني الفرزدق بقوله

وذات حليل أنكحتها رماحنا * حلال لمن يبني بها لم تطلق

وقال أبوحنيفة لوسبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ مصدر مؤكد أى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل ﴿ وأحل لكم ﴾ عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ﴿ ما وراء ذلكم ﴾ ماسوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة مافى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ﴿ أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ﴾ مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم ارادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف فى مهورهنّ أوأثمانهنّ في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز أن لايقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لابد وأن يكون مالا ولاحجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه ﴿ فما استمتعتم به منهن ﴾ فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن من جماع أوعقد عليهن ﴿ فآتوهنّ أجورهن ﴾ مهورهنّ فان المهر فى مقابلة الاستمتاع ﴿ فريضة ﴾ حال من الاجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أى ايتاء مفروضا أو مصدر مؤكد ﴿ ولاجناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ فيما يزاد على المسمى أويحط عنه بالتراضي أوفيما تراضيا به من نفقة أو مقام أوفراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت لماروى أنه عليه الصلاة والسلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس اني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة أو تمتيعها بما تعطى وجوّزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه ﴿ ان الله كان عليما ﴾ بالمصالح ﴿ حكيما ﴾ فيما شرع من الاحكام ﴿ ومن لم يستطع منكم طولا ﴾ غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة ﴿ أن ينكح المحصنات المؤمنات ﴾ فى موضع النصب بطولا أوبفعل مقدر صفة له أى ومن لم يستطع منكم أن يعتلى نكاح المحصنات أو من لم يستطع منكم غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله ﴿ فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ﴾ يعنى الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه في تحريم نكاح الامة على من ملك مايجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا وأول أبوحنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوّز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رقّ الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج ﴿ والله أعلم بايمانكم ﴾ فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم فى الايمان فربّ أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده ﴿ بعضكم من بعض ﴾ أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام ﴿ فانكحوهنّ باذن أهلهنّ ﴾ يريد أربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية ﴿ وآتوهنّ أجورهنّ ﴾ أى

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۞ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۞ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۞ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ۞

الرجال

أدّوا اليهنّ مهورهنّ باذن أهلهنّ فحذف ذلك لتقدم ذكره أوالى مواليهنّ فحذف المضاف للعلم بأن المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب أن يؤدى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر ﴿بالمعروف﴾ بغير مطل واضرار ونقصان ﴿محصنات﴾ عفائف ﴿غير مسافحات﴾ غير مجاهرات بالسفاح ﴿ولا متخذات أخدان﴾ أخلاء في السر ﴿فاذا أحصن﴾ بالتزويج قرأ أبو بكر وحمزة بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد ﴿فان أتين بفاحشة﴾ زنى ﴿فعليهنّ نصف ماعلى المحصنات﴾ يعنى الحرائر ﴿من العذاب﴾ من الحدّ لقوله تعالى ـ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ـ وهو يدل على أن حد العبد نصف حدّ الحر وانه لا يرجم لأن الرجم لا يتنصف ﴿ذلك﴾ أي نكاح الاماء ﴿لمن خشى العنت منكم﴾ لمن خاف الوقوع في الزني وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة الاثم بأفحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء ﴿وأن تصبروا خير لكم﴾ أى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه ﴿والله غفور﴾ لمن لم يصبر ﴿رحيم﴾ بأن رخص له ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ ماتعبدكم به من الحلال والحرام أو ماخفى عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد

أردت لكيما يعلم الناس أنه * سراويل قيس والوفود شهود

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أى يريد الحق لاجله ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم ﴿ويتوب عليكم﴾ ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم الى مايمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة أو الى مايكون كفارة لسيئاتكم ﴿والله عليم﴾ بها ﴿حكيم﴾ فى وضعها ٨٤ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ كرره للتأكيد والمبالغة ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لالها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت ﴿أن تميلوا﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ﴿ميلا عظيما﴾ بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق كاحلال نكاح الامة ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه وان الله لايغفر أن يشرك به وان الله لايظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ يجز به ومايفعل الله بعذابكم ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار ﴿الا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ استثناء منقطع أى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن تراضى المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها أغلب وأرفق لذوى المروآت ويجوز أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لايرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم أى الا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة ﴿ولاتقتلوا أنفسكم﴾ بالبخع كما تفعله جهلة الهند أو بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ماروى أن عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم أو بارتكاب مايؤدى الى قتلها أو باقتراف مايذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من أهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار اليه بقوله ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ أى أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما أمر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ﴿ومن يفعل ذلك﴾ اشارة الى القتل أو ماسبق من المحرمات ﴿عدوانا وظلما﴾ افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل أراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب ﴿فسوف نصليه نارا﴾ ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى أو لذلك من حيث انه سبب الصلى ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لاعسر فيه ولا صارف عنه ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أوصرح بالوعيد فيه وقيل ماعلم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة أقرب منها الى سبع وقيل أراد به ههنا أنواع الشرك لقوله ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى مافوقها وماتحتها فاكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عنّ له أمران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لايتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال ألاتري انه تعالى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام فى كثير من خطراته التى لم تعدّ على غيره خطيئة فضلا أن يؤاخذ عليها ﴿وندخلكم مدخلا كريما﴾ الجنة وماوعد من الثواب أو ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفى الحج بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ﴿ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض﴾ من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهّ لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدرله معارضة لحكمة القدر وتمني ماقدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ماقدر له بغير كسب ضائع ومحال ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ بيان لذلك أى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل لابالحسد والتمني كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ماقسم لكل منهم على حسب ماعرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له ﴿واسألوا الله من فضله﴾ أى لاتتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لاتنفد وهو يدل على أن المنهى عنه هو

الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ۞ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۞

الحسد أولا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان أمرا مواجها به وقبل السين واو أوفاء بغير همز وحمزة في الوقف على أصله والباقون بالهمز ﴿ ان الله كان بكل شئ عليما ﴾ فهو يعلم مايستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان * روى أن أم سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ﴿ ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون ﴾ أى ولكل تركة جعلنا ورائا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أولكل ميت جعلنا ورائا مما ترك على أن من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدن والأقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لايتناولهم كما لايتناول الوالدين أو ولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والأقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف على هذا فالجملة من مبتدأ وخبر ﴿ والذين عاقدت أيمانكم ﴾ موالى الموالاة كأن الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله ـ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ـ وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح وورث أوالازواج على أن العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره ﴿ فآتوهم نصيبهم ﴾ أومنصوب بمضمر يفسره مابعده كقولك زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ﴿ ان الله على كل شئ شهيدا ﴾ تهديد على منع نصيبهم ٨٥ ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهبي وكسبي فقال ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم فى الميراث والاستبداد بالفراق ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ فى نكاحهن كالمهر والنفقة * روي أن سعد بن الربيع أحد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ﴿ فالصالحات قانتات ﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج ﴿ حافظات للغيب ﴾ لمواجب الغيب أى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم ﴿ بما حفظ الله ﴾ بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال ﴿ واللاتي تخافون نشوزهن ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج من النشز ﴿ فعظوهن واهجروهن فى المضاجع ﴾ فى المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت أى لا تبايتوهن ﴿ واضربوهن ﴾ يعنى ضربا غير مبرح ولاشائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي أن يتدرج فيها ﴿ فان أطعنكم فلاتبغوا عليهن سبيلا ﴾ بالتوبيخ والايذاء والمعنى فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿ ان الله كان عليا كبيرا ﴾ فاحذروه فانه أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو انه على علو شأنه يتجاوز عن سيآتكم ويتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم أوانه يتعالى ويتكبر أن يظلم أحدا أوينقص حقه ﴿ وان خفتم شقاق بينهما ﴾ خلافا بين المرأة وزوجها أضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجرى مايدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله * يا سارق الليلة أهل الدار * أو الفاعل كقولهم نهارك صائم ﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾ فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر أواصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من أهله وآخر من أهلها فان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر أن النصب لاصلاح ذات البين أولتبيين الامر ولايليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما أن يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ﴿ ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ الضمير الاول للحكمين والثانى للزوجين أى ان قصدا الاصلاح أوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين أى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أى ان أرادا الاصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الألفة والوفاق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه ﴿ ان الله كان عليما خبيرا ﴾ بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ ﴾ صنما أو غيره أو شيأ من الاشراك جليا أو خفيا ﴿ وبالوالدين احسانا ﴾ واحسنوا بهما احسانا ﴿ وبذى القربى ﴾ وبصاحب القرابة ﴿ واليتامى والمساكين والجار ذى القربى ﴾ أى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أودين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه ﴿ والجار الجنب ﴾ البعيد أوالذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب ﴿ والصاحب بالجنب ﴾ الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر أو الضعيف ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ العبيد والاماء ﴿ ان الله لا يحب من كان مختالا ﴾ متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولايلتفت اليهم ﴿ فخورا ﴾ يتفاخر عليهم ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ بدل من قوله من كان أونصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أومبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة ﴿ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾ الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما
رزقهم الله وكان الله بهم عليما ۝ إن الله لا يظلم
مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
أجرا عظيما ۝ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا ۝ يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله
حديثا ۝ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة
وأنتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا
عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر
أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا
ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا ۝ ألم تر
إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتب يشترون الضللة
ويريدون أن تضلوا السبيل ۝ والله أعلم بأعدائكم
وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ۝

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى
أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
مَفْعُولًا ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا
۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ
يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۞

كما أهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصيحا لاتنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ عطف على الذين يبخلون أو الكافرين وانما شاركهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق
لاعلى ماينبغى من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء فى القبح واستجلاب الذم أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ـ ومن يكن الشيطان له قرينا ﴿ولا يؤمنون
بالله ولاباليوم الآخر﴾ ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾ تنبيه على أن الشيطان قرنهم فحملهم
على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ـ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس وأعوانه الداخلة والخارجة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن يقرن بهم الشيطان فى النار
﴿وماذا عليهم لوآمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ أى وما الذى عليهم أو أى تبعة تحيق بهم بسبب الايمان والانفاق فى سبيل الله وهو توبيخ ٨٦
لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ على خلاف ماهو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة
وتنبيه على ان المدعو الى أمر لاضرر فيه ينبغى أن يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا وأخره فى الآية الاخرى لان القصد بذكره الى
التخصيص ههنا والتعليل ثم ﴿وكان الله بهم عليما﴾ وعيد لهم ﴿ان الله لايظلم مثقال ذرة﴾ لاينقص من الاجر ولايزيد فى العقاب أصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة
ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايماء الى أنه وان صغر قدره عظم جزاؤه ﴿وان تك حسنة﴾ وان يكن مثقال الذرة حسنة وأنث
الضمير لتأنيث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة ﴿يضاعفها﴾ يضاعف
ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ﴿ويؤت من لدنه﴾
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ماوعد في مقابلة العمل ﴿أجرا
عظيما﴾ عطاء جزيلا وانما سماه أجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه ﴿فكيف﴾ أى
فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصاري وغيرهم ﴿اذا جئنا من كل أمة
بشهيد﴾ يعنى نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل فى الظرف مضمون
المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن ﴿وجئنا بك﴾ يامحمد ﴿على هؤلاء شهيدا﴾
تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل
هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى ـ لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض﴾ بيان لحالهم حينئذ أى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر
أو الكفرة والعصاة فى ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتي أولم يبعثوا
أولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾ ولايقدرون على كتمانه
لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودون أن تسوى بهم الارض وحالهم
انهم لايكتمون من الله حديثا ولايكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم
اذاقالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون أن
تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى بهم على ان أصله تتسوى فادغمت التاء
فى السين وقرأ حمزة والكسائى تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون﴾ أى لاتقوموا
اليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ماتقولون فى صلاتكم *روى
أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلى
بهم فقرأ أعبد ماتعبدون فنزلت وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد
منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد النهى عن الافراط في الشرب والسكر من
السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى
وأنتم قوم سكرى أوجماعة سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة ﴿ولاجنبا﴾
عطف على قوله وأنتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى أصابته
الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر
﴿الا عابرى سبيل﴾ متعلق بقوله ولاجنبا استثناء من أعم الاحوال أى لاتقربوا الصلاة
جنبا في عامة الاحوال الافى السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر
التيمم أو صفة لقوله جنبا أى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على أن التيمم لايرفع
الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور
المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لايجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان فيه الماء أو الطريق ﴿حتى تغتسلوا﴾ غاية النهى
عن القربان حال الجنابة وفى الآية تنبيه على أن المصلى ينبغى أن يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه ﴿وان كنتم مرضى﴾ مرضا يخاف
معه من استعمال الماء فان الواجد كالفاقد أومرضا يمنعه عن الوصول اليه ﴿أو على سفر﴾ لاتجدونه فيه ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ فاحدث بخروج
الخارج من أحد السبيلين وأصل الغائط المكان المطمئن من الارض ﴿أو لامستم النساء﴾ أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على أن اللمس ينقض
الوضوء وقيل أو جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة ﴿فلم تجدوا ماء﴾ فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث أو جنب والحالة المقتضية له فى غالب الامر مرض أو سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على
بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر من أسبابه مايحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا فكأنه
قيل وان كنتم جنبا مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴿فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾
أى فتعمدوا شيأ من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به أجزأه وقال أصحابنا لابد من أن يعلق باليد شئ من
التراب لقوله تعالى فى المائدة ـ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ـ أى بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لايفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم
للعضو الى المنكب وما روى أنه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على أن المراد ههنا وأيديكم الى

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۞
أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا
آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۞
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ
سَعِيرًا ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا
كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا
ظَلِيلًا ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا
حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا
يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ
فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞

الم تر

المرافق ﴿ان الله كان عفوا غفورا﴾ فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم ﴿ألم تر الى الذين أوتوا﴾ من رؤية البصر أي ألم تنظر اليهم أو القلب وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء ﴿نصيبا من الكتاب﴾ حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد أحبار اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ يختارونها على الهدي أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة ﴿ويريدون أن تضلوا﴾ أيها المؤمنون ﴿السبيل﴾ سبيل الحق ﴿والله أعلم﴾ منكم ﴿باعدائكم﴾ وقد أخبركم بعداوة هؤلاء ومايريدون بكم فاحذروهم ﴿وكفى بالله وليا﴾ يلي أمركم ﴿وكفى بالله نصيرا﴾ يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى ٨٧ ﴿من الذين هادوا يحرفون﴾ بيان للذين أوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم ومابينهما اعتراض أو بيان لاعدائكم أو صلة لنصيرا أى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم أو خبر محذوف صفته يحرفون ﴿الكلم عن مواضعه﴾ أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها أو يؤولونه على مايشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلة ﴿ويقولون سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ أي مدعوا عليك بلاسمعت لصمم أو موت أو اسمع غير مجاب الى ماتدعو اليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع كلاما غير مسمع اياك لان أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا ﴿وراعنا﴾ انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك ﴿ليا بألسنتهم﴾ فتلا بها وصرفا للكلام الى مايشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لااسمعت مكروها أو فتلا بها وضما لما يظهرون من الدعاء والتوقير الى مايضمرون من السب والتحقير نفاقا ﴿وطعنا فى الدين﴾ استهزاء به وسخرية ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا﴾ ولو ثبت قولهم هذا مكان ماقالوه ﴿لكان خيرا لهم وأقوم﴾ لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾ ولكن خذلهم الله وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ أي الا ايمانا قليلا لايعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كقوله

* قليل التشكى للمهم يصيبه *

أو الا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها﴾ من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الاقفاء أو ننكسها الى ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطاس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار أو نردها الى حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها بان نعمى الأبصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة ﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نمسخهم مسخا مثل مسخهم أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه ان أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة ﴿وكان أمر الله﴾ بايقاع شئ أو وعيده أو ماحكم به وقضاه ﴿مفعولا﴾ نافذا وكائنا فيقع لامحالة ماأوعدتم به ان لم تؤمنوا ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به﴾ لانه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لاينمحى عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ﴿ويغفر مادون ذلك﴾ أي مادون الشرك صغيرا كان أو كبيرا ﴿لمن يشاء﴾ تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لايغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلادليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما﴾ ارتكب مايستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ﴿ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ يعنى أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله مانحن الا كهيئتهم ماعملنا بالنهار كفر عنا بالليل وماعملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكي نفسه وأثنى عليها ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ تنبيه على ان تزكيته تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكي المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفى مايستقبح فعلا أو قولا ﴿ولا يظلمون﴾ بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق ﴿فتيلا﴾ أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ فى زعمهم انهم أبناء الله وأزكياء عنده ﴿وكفى به﴾ بزعمهم هذا أو بالافتراء ﴿اثما مبينا﴾ لايخفى كونه مأثما من بين آثامهم ﴿ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام أرضى عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ماعبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لاخير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ﴿ويقولون للذين كفروا﴾ لاجلهم وفيهم ﴿هؤلاء﴾ اشارة اليهم ﴿أهدي من الذين آمنوا سبيلا﴾ أقوم دينا وأرشد طريقا ﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا﴾ يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها ٨٨ ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة انكار أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم ﴿فاذا لا يؤتون الناس نقيرا﴾ أي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون أحدا مايوازي نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم ان بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى

انكار انهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيأ واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا الناس على النصب ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوّة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شرّ الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا ﴿ على ما آتاهم الله من فضله ﴾ يعني النبوّة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم ﴾ الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأبناء عمه ﴿ الكتاب والحكمة ﴾ النبوة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم ﴿ فمنهم ﴾ من اليهود ﴿ من آمن به ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل ابراهيم ﴿ ومنهم من صدّ عنه ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء أمرك ﴿ وكفى بجهنم سعيرا ﴾ نارا مسعورة يعذبون بها أى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعدّ لهم من سعير جهنم ﴿ ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ كالبيان والتقرير لذلك ﴿ كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ﴾ بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن يزال عنه أثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾ أى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق لهم مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادرا كها فلا محذور ﴿ ان الله كان عزيزا ﴾ لا يمتنع عليه مايريده ﴿ حكيما ﴾ يعاقب على وفق حكمته ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ قدّم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ﴿ لهم فيها أزواج مطهرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا
۝ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا
وَتَوْفِيقًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا
بَلِيغًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا
اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ
تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝

وندخلهم ظلا ظليلا ﴾ فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم ﴿ ان الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى أهلها ﴾ خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدّار لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها رسول الله وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى عليّ كرّم الله وجهه يده وأخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمره الله أن يردّه اليه فأمر عليا رضى الله عنه أن يردّه ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بأن السدانة في أولاده أبدا ﴿ واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ أى وأن تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولأن الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ﴿ ان الله نعما يعظكم به ﴾ أى نعم شيأ يعظكم به أو نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكومات ﴿ ان الله كان سميعا بصيرا ﴾ بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون فى الامانات ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم ﴾ يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمر الناس بطاعتهم بعد ما أمرهم بالعدل تنبيها على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ـ ولو ردّوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ ﴿ فان تنازعتم ﴾ أنتم وأولو الامر منكم ﴿ فى شئ ﴾ من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الأول اذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا أن يقال الخطاب لأولى الامر على طريقة الالتفات ﴿ فردّوه ﴾ فراجعوا فيه ﴿ الى الله ﴾ الى كتابه ﴿ والرسول ﴾ بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى أوجب ردّ المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس وأجيب بأن ردّ المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على أن الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالردّ اليهما على وجه القياس ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فان الايمان يوجب ذلك ﴿ ذلك ﴾ أى الردّ ﴿ خير ﴾ لكم ﴿ وأحسن تأويلا ﴾ عاقبة أو أحسن تأويلا من تأويلكم بلا ردّ ٨٩ ﴿ ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودى لعمر قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضى الله تعالى عنه للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر قد فرّق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب ابن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمى بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان أو لأن التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال ﴿ وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾ وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كقوله تعالى ـ أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ﴿ واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ﴾ وقرئ تعالوا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير ﴿ رأيت المنافقين يصدّون عنك صدودا ﴾ هو مصدر أو اسم للمصدر الذى هو الصدّ والفرق بينه وبين السدّ أنه غير محسوس والسد محسوس ويصدّون في موضع الحال ﴿ فكيف ﴾ يكون حالهم ﴿ اذا أصابتهم مصيبة ﴾ كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله تعالى ﴿ بما قدّمت أيديهم ﴾ من التحاكم الى غيرك وعدم الرضي بحكمك ﴿ ثم جاؤك ﴾ حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدّون وما بينهما اعتراض ﴿ يحلفون بالله ﴾ حال ﴿ ان أردنا الا احسانا وتوفيقا ﴾ ما أردنا بذلك الا الفصل بالوجه الأحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا أن يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ من النفاق فلا يغنى عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب ﴿ فأعرض عنهم ﴾ أى عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم ﴿ وعظهم ﴾ بلسانك وكفهم عما هم عليه ﴿ وقل لهم في أنفسهم ﴾ أى في

معنى أنفسهم أو خاليا بهم فان النصح في السر أنجع ﴿ قولا بليغا ﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا فى أنفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لايتقدم على الموصوف والقول البليغ فى الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به ﴿ وماأرسلنا من رسول الاليطاع باذن الله ﴾ بسبب اذنه فى طاعته وأمره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لمالم يكن الاليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ﴿ ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم ﴾ بالنفاق أوالتحاكم الى الطاغوت ﴿ جاؤك ﴾ تائبين من ذلك وهوخبر ان واذ متعلق به ﴿ فاستغفروا الله ﴾ بالتوبة والاخلاص ﴿ واستغفر لهم الرسول ﴾ واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتنبيها على ان من حق الرسول أن يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه أن يشفع فى كبائر الذنوب ﴿ لوجدوا الله توّابا رحيما ﴾ لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه ﴿ فلا وربك ﴾ أى فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى قوله ﴿ لايؤمنون ﴾ لانها تزاد أيضا فى الاثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد ﴿ حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ﴿ ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أوشكا من أجله فان الشاك فى ضيق من أمره ﴿ ويسلموا تسليما ﴾ وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ٩٠ ﴿ ولوأنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ﴾ تعرضوا بها للقتل فى الجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وأن مصدرية أومفسرة لان كتبنا فى معنى أمرنا ﴿ أواخرجوا من دياركم ﴾ خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب أن اقتلوا بكسر النون على

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ
مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا
عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ
اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا ۝ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا
جَمِيعًا ۝ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ
مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا
۝ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا
عَظِيمًا ۝ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝

وما

أصل التحريك أو اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسووا الفضل وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ﴿ مافعلوه الاقليل منهم ﴾ الاناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لايتم الابان يسلموا حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أولاحد مصدرى الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أوعلى الافعلا قليلا ﴿ ولوأنهم فعلوا مايوعظون به ﴾ من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة ﴿ لكان خيرا لهم ﴾ فى عاجلهم وآجلهم ﴿ وأشد تثبيتا ﴾ في دينهم لانه أشد لتحصيل العلم ونفى الشك أوتثبيتا لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما نزلت فى شأن المنافق اليهودى وقيل انها والتى قبلها نزلتا فى حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا فى شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم أرسل الماء الى جارك فقال حاطب لأن كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يازبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم أرسله الى جارك ﴿ واذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم أبواب الغيب قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ﴿ ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم عليهم ﴾ مزيد ترغيب فى الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا ﴿ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾ بيان للذين أوحال منه أومن ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لايتأخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ماهي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما أن يكونوا بالغين درجة العيان أوواقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والأولون اما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أولا فيكونون كمن يرى الشئ بعيدا وهم الصديقون والآخرون اما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون فى العلم الذين هم شهداء الله فى أرضه واما أن يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أوالحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق أولانه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال مابي من وجع غير انى اذا لم أرك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت فى منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت ﴿ ذلك ﴾ مبتدأ اشارة الى ماللمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أوالى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم ﴿ الفضل ﴾ صفته ﴿ من الله ﴾ خبره أوالفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معني الاشارة ﴿ وكفى بالله عليما ﴾ بجزاء من أطاعه أوبمقادير الفضل واستحقاق أهله ﴿ ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل مايحذر به كالحزم والسلاح ﴿ فانفروا ﴾ فاخرجوا الى الجهاد ﴿ ثبات ﴾ جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ﴿ أوانفروا جميعا ﴾ مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما أمكن قبل الفوات ﴿ وان منكم لمن ليبطئن ﴾ الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعني أبطأ وهو لازم أوثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبيّ ناسا يوم أحد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه مااستكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن أقسم بالله ليبطئن ﴿ فان أصابتكم مصيبة ﴾ كقتل وهزيمة ﴿ قال ﴾ أى المبطئ ﴿ قد أنعم الله عليّ اذ لم أكن معهم شهيدا ﴾ حاضرا فيصيبنى ماأصابهم ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ كفتح وغنيمة ﴿ ليقولن ﴾ أكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من ﴿ كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ
وَٱلنِّسَاءِ وَٱلْوِلْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ
ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا أَوْلِيَاءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ
كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ
وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ
مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا
لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا
قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞ أَيْنَمَا تَكُونُوا
يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ
قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۞
مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ
وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۞

﴿ ياليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما ﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأن قولهم هذا قول من لامواصلة بينكم وبينه وانما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال من الضمير فى ليقولن أو داخل فى المقول أى يقول المبطئ لمن يبطئه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لايفصل ابعاض الجملة بما لايتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى فى ياليتنى محذوف أي ياقوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا أفوز فى ذلك الوقت أو العطف على كنت ﴿ فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ أى الذين يبيعونها بها والمعنى أن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطؤن والمعنى حثهم على ترك ماحكى عنهم ﴿ ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراعظيما ﴾ وعدله الاجر العظيم غلب أوغلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغى أن يثبت فى المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لايكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين ٩١ ﴿ ومالكم ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ لاتقاتلون فى سبيل الله ﴾ حال والعامل فيها مافى الظرف من معنى الفعل ﴿ والمستضعفين ﴾ عطف على اسم الله تعالى أى وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو أو على سبيل بحذف المضاف أى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله تعالى يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدى الكفار أعظمها وأخصها ﴿ من الرجال والنساء والولدان ﴾ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصدّ المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم فى الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد ﴿ الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند اليه فان اسم الفاعل أو المفعول اذا جرى على غير من هوله كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ماعمل فيه ﴿ الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله ﴾ فيما يصلون به الى الله سبحانه وتعالى ﴿ والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ﴾ فيما يبلغ بهم الى الشيطان ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴾ لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ﴿ ان كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾ أى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لايؤبه به فلا تخافوا أولياءه فان اعتمادهم على أضعف شئ وأوهنه ﴿ ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ﴾ أى عن القتال ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ واشتغلوا بما أمرتم به ﴿ فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ﴾ يخشون الكفار أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه ﴿ أو أشدّ خشية ﴾ عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان أفعل التفضيل اذا نصب مابعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أى وكخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض اللهم الا أن تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى أو خشية أشد خشية من خشية الله ﴿ وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب ﴾ استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل أنهم ماتفوهوا به ولكن قالوه فى أنفسهم فحكى الله تعالى عنهم ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ سريع التقضى ﴿ والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ﴾ أى ولا تنقصون أدنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون لتقدم الغيبة ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * أو على أنه كلام مبتدأ وأينما متصل بلا تظلمون ﴿ ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ فى قصور أو حصون مرتفعة والبروج فى الاصل بيوت على أطراف القصور من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه ﴿ وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾ كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد فى الآية أى وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله سبحانه وتعالى وان تصبهم بلية كقحط أضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها ﴿ قل كل من عند الله ﴾ أى يبسط ويقبض حسب ارادته ﴿ فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ﴾ يوعظون به وهو القرآن فانهم لوفهموه وتدبروا معانيه لعلموا أن الكل من عند الله سبحانه وتعالى أو حديثا ما كبهائم لاافهام لها أو حادثا من صروف الزمان فيفتكرون فيه فيعلمون أن القابض والباسط هو الله سبحانه وتعالى ﴿ ما أصابك ﴾ يا انسان ﴿ من حسنة ﴾ من نعمة ﴿ فمن الله ﴾ أى تفضلا منه فان كل مايفعله الانسان من الطاعة لايكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام مايدخل أحد الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت قال ولا أنا ﴿ وما أصابك من سيئة ﴾ من بلية ﴿ فمن نفسك ﴾ لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لاينافي قوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير أن الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب ومايعفو الله أكثر والآيتان كما ترى لاحجة فيهما لنا وللمعتزلة ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها أى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله * ولا خارجا من فيّ زور كلام * ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾

على رسالتك بنصب المعجزات ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ لانه عليه الصلاة والسلام فى الحقيقه مبلغ والآمر هو الله سبحانه وتعالى روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه مايريد الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربافنزلت ﴿ ومن تولى ﴾ عن طاعته ﴿ فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهوحال من الكاف ﴿ ويقولون ﴾ اذا أمرتهم بامر ﴿ طاعة ﴾ أى أمرنا طاعة أومنا طاعة وأصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات ﴿ فاذا برزوا من عندك ﴾ خرجوا ﴿ بيت طائفة منهم غير الذى تقول ﴾ أى زوّرت خلاف ماقلت لها أوماقالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لأن الامور تدبر بالليل أومن بيت الشعر أوالبيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ أبوعمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما فى المخرج ﴿ والله يكتب مايبيتون ﴾ يثبته فى صحائفهم للمجازاة أوفى جملة مايوحى اليك لتطلع على أسرارهم ﴿ فأعرض عنهم ﴾ قلل المبالاة بهم أوتجاف عنهم ﴿ وتوكل على الله ﴾ فى الامور كلها سيما فى شأنهم ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم ﴿ أفلايتدبرون القرآن ﴾ يتأملون فى معانيه ويتبصرون مافيه وأصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ﴿ ولوكان من عند غير الله ﴾ أى ولوكان من كلام البشر كما تزعم الكفار ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على مادل عليه الاستقراء انقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ماسبق من الأحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف الاحوال فى الحكم والمصالح ﴿ واذاجاءهم أمر من الأمن أوالخوف ﴾ ممايوجب الامن أوالخوف ﴿ أذاعوابه ﴾ أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذابلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحى اليه من وعد بالظفر أوتخويف من الكفرة أذاعوبه لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أولتضمن الاذاعة معنى التحدث ﴿ ولوردوه ﴾ أى ولوردوا ذلك الخبر ﴿ الى الرسول والى أولى الأمر منهم ﴾ الى رأيه ورأى كبار أصحابه البصراء بالامور أوالأمراء ﴿ لعلمه ﴾ لعلم ماأخبروابه على أىّ وجه يذكر ﴿ الذين يستنبطونه منهم ﴾ يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولوردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا أنه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر أى يستخرجون علمه من جهتهم وأصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر أول مايحفر ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بارسال الرسول وانزال الكتاب ﴿ لاتبعتم الشيطان ﴾ بالكفر والضلال ﴿ الاقليلا ﴾ أى الاقليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو الااتباعا قليلا على الندور ﴿ فقاتل فى سبيل الله ﴾ ان تثبطوا وتركوك وحدك ﴿ لاتكلف الا نفسك ﴾ الافعل نفسك لايضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك لا الجنود * روى أنه عليه الصلاة والسلام دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام ومامعه الاسبعون لم يلو على أحد وقرئ لاتكلف بالجزم ولانكلف بالنون على بناء الفاعل أى لانكلفك الافعل نفسك لاأنا لانكلف أحدا الانفسك لقوله ﴿ وحرّض المؤمنين ﴾ على القتال اذماعليك فى شأنهم الا التحريض ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ﴾ يعنى قريشا وقد فعل بان ألقى فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا ﴿ والله أشد بأسا ﴾ من قريش ﴿ وأشد تنكيلا ﴾ تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه ﴿ من يشفع شفاعة حسنة ﴾ راعي بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا أوجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال عليه الصلاة والسلام "من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك" ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ﴿ ومن يشفع شفاعة سيئة ﴾ يريد بها محرما ﴿ يكن له كفل منها ﴾ نصيب من وزرها مساولها فى القدر ﴿ وكان الله على كل شئ مقيتا ﴾ مقتدرا من أقات على الشئ اذا قدر قال

وذي ضغن كففت الضغن عنه * وكنت على مساءته مقيتا

أوشهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه ﴿ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أوردوها ﴾ الجمهور على أنه فى السلام ويدل على وجوب الجواب امابأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لماروى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ماقال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه أقسام المطالب السالمة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل أوللترديد بين أن يحيى المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلايرد فى الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية وواجب الثواب أوالرد على المتهب وهو قول قديم للشافعى رضى الله تعالى عنه ﴿ ان الله كان على كل شئ حسيبا ﴾ يحاسبكم على التحية وغيرها ﴿ الله لااله الاهو ﴾ مبتدأ وخبر أوالله مبتدأ والخبر ﴿ ليجمعنكم الى يوم القيامة ﴾ أى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة أومفضين اليه أوفى يوم القيامة ولا اله الاهو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور أوللحساب ﴿ لاريب فيه ﴾ فى اليوم أوفى الجمع فهو حال من اليوم أوصفة للمصدر ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ انكار أن يكون أحد أكثر صدقا منه فانه لايتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ۞ ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب مايبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ۞ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ۞ واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ۞ فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ۞ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا ۞ واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شئ حسيبا ۞ الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا ۞

فما

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّٰهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۞ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا
فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا
فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ
وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ
قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ
أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ
عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا
۞ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا
قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا
فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا
أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأُولٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۞

﴿ فمالكم فى المنافقين ﴾ فمالكم تفرقتم فى أمر المنافقين ﴿ فئتين ﴾ أى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا رحلين مرحلة مرحلة حتي لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم أحد أوفى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن أوقوم أظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفى المنافقين حال من فئتين أي متفرقين فيهم أومن الضمير أي فمالكم تفترقون فيهم ومعني الافتراق مستفاد من فئتين ﴿ والله أركسهم بما كسبوا ﴾ ردهم الى حكم الكفرة أونكسهم بان صيرهم للنار وأصل الركس رد الشئ مقلوبا ﴿ أتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ أن تجعلوه من المهتدين ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ الى الهدى ﴿ ودوالو تكفرون كما كفروا ﴾ تمنوا أن تكفروا ككفرهم ﴿ فتكونون سواء ﴾ فتكونون معهم سواء فى الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز ﴿ فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكه ﴿ فان تولوا ﴾ عن الايمان الظاهر بالهجرة أوعن اظهار الايمان ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ كسائر الكفرة ﴿ ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ﴾ أي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ﴿ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة ﴿ أوجؤكم ﴾ عطف على الصلة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثني من المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين أو أتى الرسول صلى الله علية وسلم وكف عن قتال الفريقين أوعلى صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أوقوم كافين عن القتال لكم وعليكم والأول أظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة أوبيان ليصلون أواستئناف ﴿ حصرت صدورهم ﴾ حال باضمار قد ويدل عليه أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم أوبيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف أي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ﴿ أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ﴾ أى عن أن أولان أوكراهة أن يقاتلوكم ﴿ ولوشاء الله لسلطهم عليكم ﴾ بان قوّى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم ﴿ فلقاتلوكم ﴾ ولم يكفوا عنكم ﴿ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم ﴾ فان لم يتعرضوا لكم ﴿ وألقوا اليكم السلم ﴾ الاستسلام والانقياد ﴿ فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ﴾ فما أذن لكم فى أخذهم وقتلهم ﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ﴾ هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا ﴿ كلما ردوا الى الفتنة ﴾ دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين ﴿ أركسوا فيها ﴾ عادوا اليها وقلبوا فيها أقبح قلب ﴿ فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ﴾ وينبذوا اليكم العهد ﴿ ويكفوا أيديهم ﴾ عن قتالكم ﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ﴾ حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض ﴿ وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أوتسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم

﴿ وما كان لمؤمن ﴾ وما صحّ له وليس من شانه ﴿ أن يقتل مؤمنا ﴾ بغير حق ﴿ الا خطأ ﴾ فانه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أى لا يقتله فى شئ من الأحوال الا حال الخطأ أولا يقتله لعلة الا للخطأ أوعلى أنه صفة مصدر محذوف أى الا قتلا خطأ وقيل ماكان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع أى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لايضامه القصد الى الفعل أوالشخص أو لايقصد به زهوق الروح غالبا أو لايقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه أويكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمدّ وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش بن أبي ربيعة أخى أبى جهل من الأم لقى حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله ﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ﴾ أى فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشئ ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه سمى به لان الكرم في الأحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس ﴿ مؤمنة ﴾ محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ﴿ ودية مسلمة الى أهله ﴾ مؤدّاة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى أن أورّث امرأة أشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففى ماله ﴿ الا أن يصدّقوا ﴾ الا أن يتصدّقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أوبمسلمة أى تجب الدية عليه أو يسلمها الى أهله الا حال تصدّقهم عليه أوزمانه فهو فى محل النصب على الحال من القاتل أوالاهل أو الظرف ﴿ فان كان من قوم عدوّ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أى فان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أوفي تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون ﴿ وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴾ أى وان كان من قوم كفرة معاهدين أوأهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا أوكان له وارث مسلم ﴿ فمن لم يجد ﴾ رقبة بأن لم يملكها ولا مايتوصل به اليها ﴿ فصيام شهرين متتابعين ﴾ فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين ﴿ توبة ﴾ نصب على المفعول له أى شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته أوعلى المصدر أى وتاب الله عليكم توبة أو الحال بحذف مضاف أى فعليه صيام شهرين ذا توبة ﴿ من الله ﴾ صفتها ﴿ وكان الله عليما ﴾ بحاله ﴿ حكيما ﴾ فيما أمر في شأنه ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما ﴾ لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله أراد به التشديد اذ روى عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى ـ واني لغفار لمن تاب ـ ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحلّ له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا أوالمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله ﴾ سافرتم وذهبتم للغزو ﴿ فتبينوا ﴾ فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبت ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ﴾ لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الألف أى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضا ﴿ لست مؤمنا ﴾ وانما فعلت ذلك متعوّذا وقرئ مؤمنا بالفتح أى مبذولا له الأمان ﴿ تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴾ تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت ﴿ فعند الله مغانم ﴾ لكم ﴿ كثيرة ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله لماله ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ أى أول ما دخلتم في الاسلام تفوّهتم بكلمتى الشهادة فحصنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم ﴿ فمنّ الله عليكم ﴾ بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين ﴿ فتبينوا ﴾ وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بأنهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ماذكر من حالهم ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه ※ روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لااله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه وقيل نزلت في المقداد مرّ برجل في غنيمة فأراد قتله فقال لااله الا الله فقتله وقال ودّ لو فر بأهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وأن المجتهد قد يخطئ وأن خطأه مغتفر

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ
كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ
اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا
لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ
كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝

لايستوى القعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجهدين بأموالهم
وأنفسهم على القعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل
الله المجهدين على القعدين أجرا عظيما ۝ درجت منه
ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ۝ إن الذين توفيهم
الملئكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين
في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله وسعة فتهاجروا فيها فأولئك
مأويهم جهنم وساءت مصيرا ۝ إلا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدن لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا
۝ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا ۝ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مرغما كثيرا
وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه
الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما ۝ وإذا ضربتم
في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم
أن يفتنكم الذين كفروا إن الكفرين كانوا لكم عدوا مبينا ۝

(لايستوى القاعدون) عن الحرب (من المؤمنين) في موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذى فيه (غير أولى الضرر) بالرفع صفة للقاعدون لانه لم يقصد به قوم باعيانهم أو بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أو الاستثناء وقرئ بالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زيد بن ثابت أنها نزلت ولم يكن فيها غير أولى الضرر فقال ابن أم مكتوم وكيف وأنا أعمى فغشي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى حتى خشيت أن ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب — لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر — (والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) أى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير مابينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض أى بدرجة أو على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه أو الحال بمعنى ذوى درجة (وكلا) من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) نصب على المصدر لان فضل بمعنى أجر أو المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما (درجات منه ومغفرة ورحمة) كل واحد منها بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطا وأجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله سبحانه وتعالى وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين أذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (وكان الله غفورا) لما عسى أن يفرط منهم (رحيما) بما وعد لهم (ان الذين توفاهم الملائكة) يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفى الملائكة أنفسهم فيتوفونها أى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم) في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة (قالوا) أى الملائكة توبيخا لهم (فيم كنتم) فى أى شئ كنتم من أمر دينكم (قالوا كنا مستضعفين في الارض) اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن اظهار الدين واعلاء كلمة الله (قالوا) أى الملائكة تكذيبا لهم أو تبكيتا (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة (فاولئك مأواهم جهنم) لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبران والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التى قبلها مستنتجة منها (وساءت مصيرا) مصيرهم أو جهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لايتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام (الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان أريد به المماليك فظاهر وان أريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت (لا يستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا) صفة للمستضعفين اذ لاتوقيت فيه أو حال منه أو من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل (فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم) ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه (وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا) متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه أى يفارقهم على رغم أنوفهم وهو أيضا من الرغام (وسعة) فى الرزق واظهار الدين (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت) وقرئ يدركه بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار أن كقوله

سأترك منزلى لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

(فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب *والآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم فمات (واذا ضربتم فى الارض) سافرتم (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام أتم فى السفر وأن عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وأوجبه أبو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله تعالى عنها أول مافرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت في الحضر فظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بأنه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لاينفى جواز الزيادة فلاحاجة الى تأويل الآية بأنهم ألفوا الاربع فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم أن ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم وأقل سفر تقصر فيه أربعة برد عندنا وستة عند أبى حنيفة وقرئ تقصروا من أقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف أى شيأ من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة عند الاخفش (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) شريطة باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى — فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلاجناح عليهما فيما افتدت به — وقد تظاهرت السنن على جوازه أيضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة أن يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره

﴿ واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ﴾ تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرّسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتمّ به الأئمة بعده فانهم نوّاب عنه فيكون حضورهم كحضوره ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ أى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم ﴿ فاذا سجدوا ﴾ يعنى المصلين ﴿ فليكونوا ﴾ أى غير المصلين ﴿ من ورائكم ﴾ يحرسونكم يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب ﴿ ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا ﴾ لاشتغالهم بالحراسة ﴿ فليصلوا معك ﴾ ظاهره يدل على أن الامام يصلى مرّتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وان أريد به أن يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته أن يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتمّوا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدوّ وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظر قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدوّ وتأتي الاخرى فتصلى معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدوّ وتأتي الاولى فتؤدّى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتى الاخرى فتؤدّى الركعة بقراءة وتتم صلاتها ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى ـ والذين تبوّؤا الدّار والايمان ـ ﴿ ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله أمروا بأخذ الحذر والسلاح ﴿ ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾ رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم أخذها بسبب مطر أو مرض وهذا مما يؤيد أن الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب ﴿ وخذوا حذركم ﴾ أمرهم مع ذلك بأخذ الحذر كي لايهجم عليهم العدو ﴿ ان الله أعدّ للكافرين عذابا مهينا ﴾ وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوّهم بل لان الواجب أن يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله سبحانه وتعالى ﴿ فاذا قضيتم الصلاة ﴾ أدّيتم وفرغتم منها ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال أواذا أردتم أداء الصلاة واشتدّ الخوف فأدّوها كيفما أمكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين ﴿ فاذا اطمأننتم ﴾ سكنت قلوبكم من الخوف ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ فعدّلوا واحفظوا أركانها وشرائطها وائتوا بها تامة ﴿ ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن أوقاتها فى شئ من الاحوال وهذا دليل على أن المراد بالذكر الصلاة وأنها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل للأمر بالايتاء بها كيفما أمكن وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لايصلى المحارب حتى يطمئن ﴿ ولاتهنوا ﴾ ولاتضعفوا ﴿ فى ابتغاء القوم ﴾ فى طلب الكفار بالقتال ﴿ ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالايرجون ﴾ الزام لهم وتقريع على التواني فيه بأن ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لايرجو عدوّهم فينبغى أن يكونوا أرغب منهم فى الحرب وأصبر عليها وقرئ أن تكونوا بالفتح بمعنى ولاتهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى عن الوهن لاجله* والآية نزلت فى بدر الصغرى ﴿ وكان الله عليما ﴾ بأعمالكم وضمائركم ﴿ حكيما ﴾ فيما يأمر وينهى ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها الىّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ﴿ بما أراك الله ﴾ بما عرفك الله وأوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ﴿ ولاتكن للخائنين ﴾ أى لأجلهم والذبّ عنهم ﴿ خصيما ﴾ للبرآء

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم
مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن
وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً
وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم
مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا
مَّوْقُوتًا ۞ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ
فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ إِنَّآ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ
أَرَىٰكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۞

وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ
فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَمْ مَنْ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا
فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝
وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ
وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا
يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ
وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝

﴿ واستغفر الله ﴾ مما هممت به ﴿ ان الله كان غفورا رحيما ﴾ لمن يستغفره ﴿ ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها أوجعل المعصية خيانةلها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وأمثاله أوله ولقومه فانهم شاركوه فى الاثم حيث شهدوا على براءته وخاصموا عنه ﴿ ان الله لايحب من كان خوّانا ﴾ مبالغا فى الخيانة مصرا عليها ﴿ أثيما ﴾ منهمكا فيها* روى أن طعمة هرب الى مكة وارتدو نقب حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله ﴿ يستخفون من الناس ﴾ يستترون منهم حياء وخوفا ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ ولا يستحيون منه وهو أحق بان يستحيا ويخاف منه ﴿ وهو معهم ﴾ لايخفى عليه سرهم فلا طريق معه الاترك مايستقبحه ويؤاخذ عليه ﴿ اذيبيتون ﴾ يدبرون ويزوّرون ﴿ مالا يرضى من القول ﴾ من رمى البرىء والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿ وكان الله بمايعملون محيطا ﴾ لايفوت عنه شئ ﴿ هاأنتم هؤلاء ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ﴾ جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا أوصلة عند من يجعله موصولا ﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ﴾ محاميا يحميهم من عذاب الله ﴿ ومن يعمل سوأ ﴾ قبيحا يسوء به غيره ﴿ أويظلم نفسه ﴾ بما يختص به ولايتعداه وقيل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ بالتوبة ﴿ يجد الله غفورا ﴾ لذنوبه ﴿ رحيما ﴾ متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ﴿ ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ﴾ فلا يتعداه وباله كقوله تعالى وان أسأتم فلها ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ فهو عالم بفعله حكيم فى مجازاته ﴿ ومن يكسب خطيئة ﴾ صغيرة أومالا عمد فيه ﴿ أواثما ﴾ كبيرة أوما كان عن عمد ﴿ ثم يرم به بريئا ﴾ كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان أو ﴿ فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ﴾ بسبب رمى البرىء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته ﴾ باعلام ماهم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لهمت طائفة منهم ﴾ أى من بنى ظفر ﴿ أن يضلوك ﴾ عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفى همهم بل الى نفى تأثيره فيه ﴿ وما يضلون الا أنفسهم ﴾ لانه ماأزلك عن الحق وعادو باله عليهم ﴿ وما يضرونك من شئ ﴾ فان الله سبحانه وتعالى عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لاميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر أى شيأ من الضرر ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم ﴾ من خفيات الأمور أومن أمور الدين والاحكام ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ اذلافضل أعظم من النبوة

لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف
أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله
فسوف نؤتيه أجرا عظيما ۞ ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
۞ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا ۞ ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون
الا شيطانا مريدا ۞ لعنه الله وقال لأتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا ۞ ولأضلنهم ولأمنينهم
ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا ۞ يعدهم
ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۞ أولئك
مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ۞

﴿ لاخير فى كثير من نجواهم ﴾ من متناجيهم كقوله تعالى واذهم نجوى أو من تناجيهم فقوله ﴿ الامن أمر بصدقة أو معروف ﴾ على حذف مضاف أى الانجوى من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة فني نجواه الخير والمعروف كل مايستحسنه الشرع ولاينكره العقل وفسرهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر مافسربه ﴿ أو اصلاح بين الناس ﴾ أو اصلاح ذات البين ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ بني الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله سبحانه وتعالى لان الاعمال بالنيات وأن كل من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من أعراض الدنيا وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر ﴿ من بعد ماتبين له الهدى ﴾ ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ غير ماهم عليه من اعتقاد أو عمل ﴿ نوله ماتولى ﴾ نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين مااختاره ﴿ ونصله جهنم ﴾ وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه ﴿ وساءت مصيرا ﴾ جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل اذيقبح أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها أو لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الانهام الى مبادئ الاحكام ﴿ ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾ كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى شيخ منهمك في الذنوب الا أني لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصى جرأة وماتوهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وانى لنادم تائب فماترى حالى عند الله سبحانه وتعالى فنزلت ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله سبحانه وتعالى ﴿ ان يدعون من دونه الا اناثا ﴾ يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث أسمائها كما قال

وماذكر فان يسمن فانثى ۞ شديد الازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة أو لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعا لها ولعله سبحانه وتعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على أنهم يعبدون مايسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى وهو جمع أنثى كرباب وربي وقرئ أنثى على التوحيد وأنثا على أنه جمع أنيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف ووثنا بالتثقيل وهو جمع وثن كأسد وأسد وأثنا وأثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة ﴿ وان يدعون ﴾ وان يعبدون بعبادتها ﴿ الا شيطانا مريدا ﴾ لانه الذى أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكأن طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لايعلق بخير وأصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها ﴿ لعنه الله ﴾ صفة ثانية للشيطان ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ﴾ عطف عليه أى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتعالى أولا على أن الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان مايشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى أن يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى أفظع الضلال لثلاثة أوجه الاول أنه مريد منهمك فى الضلال لايعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني أنه ملعون لضلاله فلاتستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث أنه في غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء ﴿ ولأضلنهم ﴾ عن الحق ﴿ ولأمنينهم ﴾ الامانى الباطلة كطول الحياة وان لابعث ولاعقاب ﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ﴾ يشقونها لتحريم ما أحل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما أحل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل أو القوة ﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ عن وجهه وصورته أو صفته ويندرج فيه ماقيل من فقء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التى هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لايعود على النفس كمالا ولايوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عماذكره الشيطان نطقا أو أتاه فعلا ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله ﴾ بايثاره مايدعو اليه على ما أمر الله به ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالى الى طاعته ﴿ فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ اذضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكان من النار ﴿ يعدهم ﴾ مالاينجزه ﴿ ويمنيهم ﴾ مالاينالون ﴿ ومايعدهم الشيطان الاغرورا ﴾ وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا ﴾ معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل أيضا فيما قبله

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۞ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا
أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۞ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ
أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۞ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ۞
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ
وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي
لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۞

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا وعدالله حقا﴾ أى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوزأن ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على أنه حال من المصدر ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله ﴿ليس بأمانيكم ولاأمانى أهل الكتاب﴾ أى ليس ماوعد الله من الثواب ينال بامانيكم أيها المسلمون ولابامانى أهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل*روي أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم وقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أى ليس الامر باماني المشركين وهو قوهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الامر كمايزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ولاأماني أهل الكتاب وهوقولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا أونصاري وقولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودة ثم قرر ذلك وقال ﴿من يعمل سوأ يجز به﴾ عاجلا أوآجلا لماروى أنها لما نزلت قال أبوبكر رضى الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أما تحزن أما تمرض أمايصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هوذاك ﴿ولا يجد له من دون الله وليا ولانصيرا﴾ ولايجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ بعضها أو شيأ منها فان كل أحد لايتمكن من كلها وليس مكلفا بها ﴿من ذكر أو أنثى﴾ فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أى كائنة من ذكر أوأنثى ومن للابتداء ﴿وهو مؤمن﴾ حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور وتنبيها على أنه لااعتداد به دونه فيه ﴿فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا﴾ بنقص شئ من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري أن لايزاد عقاب العاصى لان المجازى أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وأبو بكر يدخلون الجنة هنا وفى غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله﴾ أخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على أن ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية ﴿وهو محسن﴾ آت بالحسنات تارك للسيآت ﴿واتبع ملة ابراهيم﴾ الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها ﴿حنيفا﴾ مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع أومن الملة أو ابراهيم ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلا﴾ اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما أعاد ذكره ولم يضمر تفخيما لشأنه وتنصيصا على أنه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحدمن الخليلين يسد خلل الآخر أومن الخل وهو الطريق فى الرمل فانهما يترافقان فى الطريقة أومن الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال والجملة استئناف جئ بها للترغيب فى اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية فى الحسن وغاية كمال البشر*روي أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا ﴿ولله مافى السموات ومافى الارض﴾ خلقا وملكا يختار منهما من يشاء ومايشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على أهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال ﴿وكان الله بكل شئ محيطا﴾ احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ﴿ويستفتونك في النساء﴾ فى ميراثهن اذ سبب نزوله أن عيينة بن حصن أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا انك تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام كذلك أمرت ﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم ﴿وما يتلى عليكم فى الكتاب﴾ عطف على اسم الله تعالى أوضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله سبحانه وتعالى والى مافي القرآن من قوله تعالى يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره أغنانى زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على أن مايتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز أن ينصب على معنى ويبين لكم مايتلى عليكم أويخفض على القسم كأنه قيل وأقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولايجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى ﴿في يتامى النساء﴾ صلة يتلى ان عطف الموصول على ماقبله أي يتلى عليكم فى شانهن والافبدل من فيهن أو صلة أخري ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كماتقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى بياءين على أنه أيامى فقلبت همزته ياء ﴿اللاتى لاتؤتونهن ما كتب لهن﴾ أى فرض لهن من الميراث ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ في أن تنكحوهن أوعن أن تنكحوهن فان أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لايلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كمالايورثون النساء ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ أيضا عطف عليه أى ويفتيكم أومايتلى فى أن تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز أن ينصب وأن تقوموا باضمار فعل أي ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب الائمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم أوالقوام بالنصفة فى شأنهم ﴿وماتفعلوا من خير فان الله كان به عليما﴾ وعد لمن آثر الخير فى ذلك

﴿وان امرأة خافت من بعلها﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر ﴿نشوزا﴾ تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها ﴿أواعراضا﴾ بان يقل مجالستها ومحادثتها ﴿فلاجناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا﴾ أن يتصالحا بان تحط له بعض المهر أوالقسم أوتهب له شيأ تستميله به وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز أن ينتصب صالحا على المفعول به وبينهما ظرف أوحال منه أوعلى المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما أوهو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح ﴿والصلح خير﴾ من الفرقة أوسوء العشرة أومن الخصومة ولايجوز أن يراد به التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله ﴿وأحضرت الانفس الشح﴾ ولذلك اغتفر عدم مجانستهما والاول للترغيب فى المصالحة والثاني لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلاتكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ماينبغى اذا كرهها أو أحب غيرها ﴿وان تحسنوا﴾ فى العشرة ﴿وتتقوا﴾ النشوز والاعراض ونقص الحق ﴿فان الله كان بما تعملون﴾ من الاحسان والخصومة ﴿خبيرا﴾ عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه أقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ لان العدل أن لايقع ميل ألبتة وهو متعذر فلذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولاأملك ﴿ولوحرصتم﴾ أى على تحرى ذلك وبالغتم فيه ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان مالايدرك كله لايترك كله ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ التى ليست ذات بعل ولامطلقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ﴿وان تصلحوا﴾ ماكنتم تفسدون من أمورهن ﴿وتتقوا﴾ فيما يستقبل من الزمان ﴿فان الله كان غفورا رحيما﴾ يغفر لكم مامضى من ميلكم ﴿وان يتفرقا﴾ وقرئ وان يتفارقا أى وان يفارق كل منهما صاحبه ﴿يغن الله كلا﴾ منهما عن الآخر ببدل أوسلوة ﴿من سعته﴾ غناه وقدرته ﴿وكان الله واسعا حكيما﴾ مقتدرا متقنا فى أفعاله وأحكامه ﴿ولله مافى السموات ومافي الارض﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أوباوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالاخلاص ﴿واياكم﴾ عطف على الذين ﴿أن اتقوا الله﴾ بان اتقوا الله ويجوز أن تكون أن مفسرة لان التوصية في معني القول ﴿وان تكفروا فان لله مافى السموات ومافي الأرض﴾ على ارادة القول أى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لايتضرر بكفركم ومعاصيكم كمالا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لالحاجته ثم قرر ذلك بقوله ﴿وكان الله غنيا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حميدا﴾ فى ذاته حمد أولم يحمد ﴿ولله مافي السموات ومافي الارض﴾ ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما أفاض عليها من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما ومابينهما تقرير لذلك ﴿ان يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ﴿ويأت بآخرين﴾ ويوجد قوما آخرين مكانكم أوخلقا آخرين مكان الانس ﴿وكان الله على ذلك﴾ من الاعدام والايجاد ﴿قديرا﴾ بليغ القدرة لايعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفربه وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى أنه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ كالمجاهد يجاهد للغنيمة ﴿فعندالله ثواب الدنيا والآخرة﴾ فماله يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أوليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله سبحانه وتعالى لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ماهي فى جنبه كلا شئ أوفعند الله ثواب الدارين فيعطى كلاما يريده كقوله تعالى من كان يريدحرث الآخرة نزدله فى حرثه الآية ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ عالما بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ
الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ۝ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ
حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ
تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَإِنْ
يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا
۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ
تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ
اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ
وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ قَدِيرًا ۝
مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ
أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا
كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ۝ بَشِّرِ
الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۝ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ
أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا
مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝

﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾ مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته ﴿شهداء لله﴾ بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله سبحانه وتعالى وهو خبر ثان أو حال ﴿ولو على أنفسكم﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره ﴿أو الوالدين والاقربين﴾ ولو على والديكم وأقاربكم ﴿ان يكن﴾ أى المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له ﴿غنيا أو فقيرا﴾ فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة أو لا تجوروا فيها ميلا أو ترحما ﴿فالله أولى بهما﴾ بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير في بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ لان تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل ﴿وان تلووا﴾ ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل قرأه نافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها ﴿أو تعرضوا﴾ عن أدائها ﴿فان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ فيجازيكم عليه ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ خطاب للمسلمين أو المنافقين أو لمؤمني أهل الكتاب اذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت ﴿آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل﴾ اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثانى الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذى نزل والذى أنزل بفتح النون والهمزة والزاى والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاى ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر﴾ أى ومن يكفر بشئ من ذلك ﴿فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ﴿ان الذين آمنوا﴾ يعنى اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ثم كفروا﴾ حين عبدوا العجل ﴿ثم آمنوا﴾ بعد عوده اليهم ﴿ثم كفروا﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ثم ازدادوا كفرا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغى ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ اذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في أمثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم ﴿بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما﴾ يدل على أن الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان أنذرهم تهكم بهم ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أيتعززون بموالاتهم ﴿فان العزة لله جميعا﴾ لا يتعزز الا من أعزه الله وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب﴾ يعنى القرآن وقرأ عاصم نزل وقرأ الباقون نزل على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله ﴿أن اذا سمعتم آيات الله﴾ وهي المخففة والمعنى أنه اذا سمعتم ﴿يكفر بها ويستهزأ بها﴾ حالان من الآيات جئ بهما لتقييد النهى عن المجالسة في قوله ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها ﴿انكم اذا مثلهم﴾ في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو الكفران رضيتم بذلك أو لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ﴿ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر أو للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون

﴿ الذين يتربصون بكم ﴾ ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين والكافرين أوذم مرفوع أو منصوب أومبتدأ خبره ﴿ فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ﴾ مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم ﴿ وان كان للكافرين نصيب ﴾ من الحرب فانها سجال ﴿ قالوا ألم نستحوذ عليكم ﴾ أى قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل ﴿ ونمنعكم من المؤمنين ﴾ بأن خذلناهم بتخييل ماضعفت به قلوبهم وتوانينا فى مظاهرتهم فاشركونا فيما أصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على أمر دنيوى سريع الزوال ﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ حينئذ أوفى الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لاينفى أن يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضى العدّة ﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ سبق الكلام فيه أول سورة البقرة ﴿ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ﴾ متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان ﴿ يراؤن الناس ﴾ ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أوللمقابلة فان المرائى يرى من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ﴿ ولايذكرون الله الا قليلا ﴾ اذ المرائى لايفعل الا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله أو لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لايذكرون فيها غير التكبير والتسليم ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون أى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى مردّدين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشئ مضطربا وأصله الذّب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى أخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة ﴿ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ﴾ لامنسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين أو لا صائرين الى أحد الفريقين بالكلية ﴿ ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾ الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ـ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق أوسلطانا يسلط عليكم عقابه ﴿ ان المنافقين فى الدّرك الاسفل من النار ﴾ وهو الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم أخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين وأما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم من اذا حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لانه يجمع على أدراك ﴿ ولن تجدلهم نصيرا ﴾ يخرجهم منه ﴿ الا الذين تابوا ﴾ عن النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق ﴿ واعتصموا بالله ﴾ وثقوا به أو تمسكوا بدينه ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ لا يريدون بطاعتهم الا وجهه سبحانه وتعالى ﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ ومن عدادهم فى الدارين ﴿ وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾ فيساهمونهم فيه ﴿ مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ﴾ أيتشفى به غيظا أويدفع به ضررا أويستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدّى الى مرض فاذا أزاله بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة أولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به ﴿ وكان الله شاكرا ﴾ مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل ﴿ عليما ﴾ بحق شكركم وايمانكم

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ
نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ
عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى
ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا
قَلِيلًا ۝ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ۝ إِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا
۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝

لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ اِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعًا
عَلِيمًا ۝ اِنْ تُبْدُوا خَيْرًا اَوْ تُخْفُوهُ اَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوٓءٍ
فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝ اِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ
وَيُرِيدُونَ اَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ اَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا
۝ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ
اَحَدٍ مِنْهُمْ اُولٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ اُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّٰهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ۝ يَسْـَٔلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ
كِتَابًا مِنَ السَّمَٓاءِ فَقَدْ سَاَلُوا مُوسٰٓى اَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوٓا
اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَٓاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ
وَاٰتَيْنَا مُوسٰى سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ
الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ
لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝

﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴾ الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه * روى أن رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا أى ولكن الظالم يفعل ما لايحبه الله ﴿ وكان الله سميعا ﴾ لكلام المظلوم ﴿ عليما ﴾ بالظالم ﴿ ان تبدوا خيرا ﴾ طاعة وبرّا ﴿ أو تخفوه ﴾ أو تفعلوه سرا ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فان الله كان عفوّا قديرا ﴾ أى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فأنتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ﴿ ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله سبحانه وتعالى لايتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أواجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى — فماذا بعد الحق الا الضلال — ﴿ أولئك هم الكافرون ﴾ هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا ﴿ حقا ﴾ مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أى يقينا محققا ﴿ وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴾ أضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على أحد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث أنه وقع فى سياق النفى ﴿ أولئك سوف نؤتيهم أجورهم ﴾ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما فرط منهم ﴿ رحيما ﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم ﴿ يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ نزلت فى أحبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا الينا باعياننا بأنك رسول الله ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ﴾ جواب شرط مقدر أى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام أكبر منه وهذا السؤال وان كان من آبائهم أسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى أن عرقهم راسخ فى ذلك وأن مااقترحوه عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ عيانا أرناه نره جهرة أو مجاهرين معاينين له ﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾ نار جاءت من قبل السماء فأهلكتهم ﴿ بظلمهم ﴾ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم مايستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ﴿ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ هذه الجناية الثانية التى اقترفها أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولايجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد ﴿ فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾ تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بان يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم ﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ﴿ وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ﴾ على لسان موسى والطور مظل عليهم ﴿ وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت ﴾ على لسان داود عليه الصلاة والسلام ويحتمل أن يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به فى زمن داود عليه الصلاة والسلام وقرأ ورش عن نافع لاتعدّوا على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء فى الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا

﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم مافعلنا بنقضهم ومامزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وماعطف عليه الى قوله فبظلم لابمادل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لايؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره ﴿وكفرهم بآيات الله﴾ بالقرآن أو بما جاء في كتابهم ﴿وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف﴾ أوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا اليه ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ فجعلها محجوبة عن العلم أوخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ ﴿فلا يؤمنون الاقليلا﴾ منهم كعبد الله بن سلام أو ايمانا قليلا اذ لاعبرة به لنقصانه ﴿وبكفرهم﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام وهومعطوف على بكفرهم لانه من أسباب الطبع أوعلى قوله فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ماقبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿وقولهم على مريم بهتانا عظيما﴾ يعني نسبتها الى الزنا ﴿وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ أى بزعمه ويحتمل أنهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون وأن يكون استئنافا من الله سبحانه وتعالى بمدحه أو وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ *روي أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وصلب وأمثال ذلك من الخوارق التي لاتستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله سبحانه وتعالى بما دل عليه

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ اِلَّا قَلِيلًا ۝ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّٰهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَاِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ وَاِنْ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ كَثِيرًا ۝ وَاَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا ۝ لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَا اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ اُولٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ اَجْرًا عَظِيمًا ۝

الكلام من جراءتهم على الله سبحانه وتعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات الباهرة وتبجحهم به لابقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول أوفي الامر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على أن ثم قتيلا ﴿وان الذين اختلفوا فيه﴾ في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله سبحانه وتعالى يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت ﴿لفي شك منه﴾ لفي تردد والشك كما يطلق على مالايترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى مايقابل العلم ولذلك أكده بقوله ﴿مالهم به من علم الااتباع الظن﴾ استثناء منقطع أى لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان أوغيره فيتصل الاستثناء ﴿وماقتلوه يقينا﴾ قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح أو متيقنين وقيل معناه ماعلموه يقينا كقول الشاعر

كذاك تخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه ﴿بل رفعه الله اليه﴾ رد وانكار لقتله واثبات لرفعه ﴿وكان الله عزيزا﴾ لايغلب على مايريده ﴿حكيما﴾ فيما دبره لعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته﴾ أي ومامن أهل الكتاب أحد الاليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى عليه الصلاة والسلام* والمعني مامن اليهود والنصاري أحد الاليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولوحين أن تزهق روحه ولاينفعه ايمانه ويؤيد ذلك أنه قرئ الاليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان أحدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير ان لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام* والمعني أنه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا* روى أنه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولايبقى أحد من أهل الكتاب الايؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾ فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصاري بانهم دعوه ابن الله ﴿فبظلم من الذين هادوا﴾ أي فبأي ظلم منهم ﴿حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ يعني ماذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا ﴿وبصدهم عن سبيل الله كثيرا﴾ ناسا كثيرا أو صدا كثيرا ﴿وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه﴾ كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما﴾ دون من تاب وآمن ﴿لكن الراسخون في العلم منهم﴾ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿والمؤمنون﴾ أي منهم أومن المهاجرين والانصار ﴿يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك﴾ خبر المبتدا ﴿والمقيمين الصلوة﴾ نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك أوعطف على ما أنزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون أوعلى الضمير في يؤمنون أوعلى أنه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم ﴿والمؤتون الزكاة﴾ رفعه لاحد الاوجه المذكورة ﴿والمؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية ﴿أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما﴾ على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ
زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝ رُسُلًا
مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ
بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا
لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝ إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝

﴿انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده﴾ جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان أمره في الوحي كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم أول أولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقين أشرف الانبياء ومشاهيرهم ﴿وآتينا داود زبورا﴾ وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ﴿ورسلا﴾ نصب بمضمر دل عليه أوحينا اليك كارسلنا أو فسره ﴿قد قصصناهم عليك من قبل﴾ أى من قبل هذه السورة أو اليوم ﴿ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ نصب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ فيقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والا كثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة ﴿وكان الله عزيزا﴾ لا يغلب فيما يريده ﴿حكيما﴾ فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز ﴿لكن الله يشهد﴾ استدراك عن مفهوم ماقبله فكأنه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو أنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره ﴿بما أنزل اليك﴾ من القرآن المعجز الدال على نبوتك ٭ روى أنه لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت ﴿أنزله بعلمه﴾ أنزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذى يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها ﴿والملائكة يشهدون﴾ أيضا بنبوتك وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو أتي هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ أي وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ﴿ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا﴾ لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون أغرق فى الضلال وأبعد من الانقلاع عنه ﴿ان الذين كفروا وظلموا﴾ محمدا عليه الصلاة والسلام بانكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو باعم من ذلك والآية تدل على أن الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم ﴿لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا﴾ لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا يصعب عليه ولا يستعظمه ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾ لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد ﴿فآمنوا خيرا لكم﴾ أى ايمانا خيرا لكم أو ائتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه ﴿وان تكفروا فان لله مافى السموات والارض﴾ يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله مافى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه ﴿وكان الله عليما﴾ باحوالهم ﴿حكيما﴾ فيما دبر لهم

﴿يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم﴾ الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه الصلاة والسلام حتى رموه بانه ولد من غير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه أوفق لقوله ﴿ولاتقولوا على الله الا الحق﴾ يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد ﴿انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم﴾ أوصلها اليها وحصلها فيها ﴿وروح منه﴾ وذو روح صدر منه لابتوسط مايجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيي الاموات أو القلوب ﴿فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة﴾ أى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله أو الله ثلاثة ان صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة ﴿انتهوا﴾ عن التثليث ﴿خيرا لكم﴾ نصبه كما سبق ﴿انما الله اله واحد﴾ أى واحد بالذات لاتعدد فيه بوجه ما ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ أى أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء ﴿له مافى السموات ومافي الارض﴾ ملكا وخلقا لايماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه وتعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه ﴿لن يستنكف المسيح﴾ لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى أثره عليك ﴿أن يكون عبدا لله﴾ من أن يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره *روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام وأى شئ أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ عطف على المسيح أى ولايستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلايتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصاري فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الامير لايخالفه رئيس ولامرؤس وان أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش أومن أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لايستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ﴿ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر﴾ ومن يرتفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل من حيث الاستحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق ﴿فسيحشرهم اليه جميعا﴾ فيجازيهم ﴿فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولايجدون لهم من دون الله وليا ولانصيرا﴾ تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا﴾ عني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولاعلة وقيل البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن ﴿فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه﴾ في ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لاقضاء لحق واجب ﴿وفضل﴾ احسان زائد عليه ﴿ويهديهم اليه﴾ الى الله سبحانه وتعالى وقيل الى الموعود ﴿صراطا مستقيما﴾ هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ اِلَّا الْحَقَّ
اِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
اِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ
اِنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ اِنَّمَا اللّٰهُ اِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ۝
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيعًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا
الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝
۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَأَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ
وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ اِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكللة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله
اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر
مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم ۞

سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم
ما يريد ۞ يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر
الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا
ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام
ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب ۞

﴿ يستفتونك ﴾ أي في الكلالة حذفت لدلالة الجواب عليه ٭روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل من الاحكام ﴿ قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة ﴿ ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ﴾ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين أو الاب لانه جعل أخوها عصبة وابن الام لايكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لاترث النصف ﴿ وهو يرثها ﴾ أي والمرء يرث أخته ان كان الامر بالعكس ﴿ ان لم يكن لها ولد ﴾ ذكرا كان أو أنثى ان أريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لاتحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لايرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت ﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ﴾ الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿ وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ﴾ أصله وان كانوا اخوة وأخوات فغلب المذكر ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات ٭ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

﴿ سورة المائدة مدنية وآيها مائة وعشرون اية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ٭ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم ٭ شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال، ولعل المراد بالعقود مايعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده وألزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب ﴿ أحلت لكم بهيمة الانعام ﴾ تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لايميز وقيل كل ذات أربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه ﴿ الا مايتلى عليكم ﴾ الا محرم مايتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة أو الا مايتلى عليكم تحريمه ﴿ غير محلي الصيد ﴾ حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول ﴿ وأنتم حرم ﴾ حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿ ان الله يحكم مايريد ﴾ من تحليل أو تحريم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ﴾ يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا سمى به أعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج وأعلام النسك وقيل دين الله لقوله سبحانه وتعالى ومن يعظم شعائر الله أى دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ بالقتال فيه أو بالنسئ ﴿ ولا الهدي ﴾ ما أهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى في جمع جدية السرج ﴿ ولا القلائد ﴾ أي ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدي للاختصاص فانها أشرف الهدى أو القلائد أنفسها والنهى عن احلالها مبالغة في النهى عن التعرض للهدي ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدى من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدى فلا يتعرض له ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ قاصدين لزيارته ﴿ يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لايعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم بن شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين ﴿ واذا حللتم فاصطادوا ﴾ اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل ﴿ ولا يجرمنكم ﴾ لايحملنكم أو لايكسبنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر أضيف الى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر كعطشان وسكران ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ لان صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لايجرمنكم ﴿ أن تعتدوا ﴾ بالانتقام وهو ثاني مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوي ﴿ ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ للتشفي والانتقام ﴿ واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾ فانتقامه أشد

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ
بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا
مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ
ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ
أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا
عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ
الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ
غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞

يا ايها

﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ بيان مايتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية ﴿ والدم ﴾ أى الدم المسفوح لقوله تعالى ـ أو دما مسفوحا ـ وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها ﴿ ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ أى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه ﴿ والمنخنقة ﴾ أى التى ماتت بالخنق ﴿ والموقوذة ﴾ المضروبة بنحو خشب أوحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته ﴿ والمتردية ﴾ التى تردت من علو أو فى بئر فماتت ﴿ والنطيحة ﴾ التى نطحتها أخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل ﴿ وما أكل السبع ﴾ وما أكل منه السبع فمات وهو يدل على أن جوارح الصيد اذا أكلت مما اصطادته لم تحل ﴿ الا ما ذكيتم ﴾ الا ما أدركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة فى الشرع لقطع الحلقوم والمرىء بمحدّد ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ النصب واحد الانصاب وهي أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام أوعلى أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب ﴿ وأن تستقسموا بالازلام ﴾ أى وحرّم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك أنهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل أجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ﴿ ذلكم فسق ﴾ اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق اليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى ان أريد بربى الله وجهالة وشرك ان أريد به الصنم أو الميسر المحرم أو الى تناول ماحرم عليهم ﴿ اليوم ﴾ لم يرد به يوما بعينه وانما أراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع ﴿ يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ أى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها أومن أن يغلبوكم عليه ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أن يظهروا عليكم ﴿ واخشون ﴾ وأخلصوا الخشية لى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ بالنصر والاظهار على الاديان كلها أوبالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد ﴿ وأتممت عليكم نعمتى ﴾ بالهداية والتوفيق أوبا كمال الدين أوبفتح مكة وهدم منار الجاهلية ﴿ ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لاغير ﴿ فمن اضطر ﴾ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض لما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات ﴿ فى مخمصة ﴾ مجاعة ﴿ غير متجانف لاثم ﴾ غير مائل له ومنحرف اليه بأن يأكلها تلذذا أو مجاوزا حدّ الرخصة كقوله ـ غير باغ ولا عاد ـ ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ لايؤاخذه بأكله ﴿ يسئلونك ماذا أحلّ لهم ﴾ لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة وقد سبق الكلام فى ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ فى أمثاله والمسؤل ما أحل لهم من المطاعم كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحلّ لهم ﴿ قل أحلّ لكم الطيبات ﴾ ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو ما لم يدل نص ولاقياس على حرمته ﴿ وما علمتم من الجوارح ﴾ عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على أهلها من سباع ذوات الاربع والطير ﴿ مكلبين ﴾ معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون أكثر فيه وآثر أو لأن كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم ﴿ تعلمونهنّ ﴾ حال ثانية أواستئناف ﴿ مما علمكم الله ﴾ من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى أومكتسب بالعقل الذى هو منحة منه سبحانه وتعالى أومما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وأن ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ وهو ما لم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدى ابن حاتم وان أكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه واليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لايشترط ذلك فى سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحدّ متعذر وقال آخرون لايشترط مطلقا ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه اذا أدركتم ذكاته ﴿ واتقوا الله ﴾ فى محرماته ﴿ ان الله سريع الحساب ﴾ فيؤاخذكم بما جل ودق ﴿ اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ﴾ يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علىّ رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولايلحق بهم المجوس فى ذلك وان ألحقوا بهم فى التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير نا كحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم ﴿ وطعامكم حلّ لهم ﴾ فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك ﴿ والمحصنات من المؤمنات ﴾ أى الحرائر أوالعفائف وتخصيصهنّ بعث على ماهو الاولى ﴿ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴾ وان كنّ حربيات وقال ابن عباس لاتحلّ الحربيات ﴿ اذا آتيتموهنّ أجورهنّ ﴾ مهورهنّ وتقييد الحل بايتائها لتأكيد وجوبها والحث على ماهو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها ﴿ محصنين ﴾ أعفاء بالنكاح ﴿ غير مسافحين ﴾ غير مجاهرين بالزنا ﴿ ولا متخذى أخدان ﴾ مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ﴿ ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر انكاره والامتناع عنه

(يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة) أى اذا أردتم القيام كقوله تعالى – فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم – عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغى أن يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة أو اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشئ والقيام اليه قصد له * وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيأ لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق أريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك أول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها (فاغسلوا وجوهكم) أمرّوا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك (وأيديكم الى المرافق) الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى – ويزدكم قوة الى قوتكم – أو متعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكانت الأيدى متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها والا لم تكن غاية لقوله تعالى – فنظرة الى ميسرة – وقوله تعالى – ثم أتموا الصيام الى الليل – لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا (وامسحوا برؤسكم) الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه أن يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله – فاغسلوا وجوهكم –

يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم
وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط
أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته
عليكم لعلكم تشكرون ۞ واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا
وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
۞ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا
تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله
ان الله خبير بما تعملون ۞ وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ۞

واختلف العلماء في قدر الواجب فأوجب الشافعى رضى الله تعالى عنه أقل ما يقع عليه الاسم أخذا باليقين وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضى الله تعالى عنه مسح كله أخذا بالاحتياط (وأرجلكم الى الكعبين) نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير فى القرآن والشعر كقوله تعالى – عذاب يوم أليم – وحور عين بالجر فى قراءة حمزة والكسائى وقولهم جحر ضبّ خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغى أن يقتصد فى صبّ الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفى الفصل بينه وبين أخويه ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة (وان كنتم جنبا فاطهروا) فاغتسلوا (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) أي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة أو الامر بالتيمم تضييقا عليكم (ولكن يريد ليطهركم) لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب اذا أعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لان أن لا تقدر بعد المزيدة (وليتمّ نعمته عليكم) ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم فى الدين أو ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته * والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وأن آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر وأكبر وأن المبيح للعدول الى البدل مرض أو سفر وأن الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة (واذكروا نعمة الله عليكم) بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره (وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا) يعنى الميثاق الذى أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان (واتقوا الله) فى انساء نعمته ونقض ميثاقه (ان الله عليم بذات الصدور) أى بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات أعمالكم (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدّة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب للتقوى صرح لهم بالأمر بالعدل وبين أنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء ثائرة الغيظ (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم) انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول

﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ هذا من عادته تعالى أن يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ روى أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم وهموا أن يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم بأن أنزل عليهم صلاة الخوف ❊ والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى يحسبهما مشركين فقالوا نعم ياأبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء أعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فأسقطه جبريل من يده فأخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا أحد أشهد أن لااله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فنزلت ﴿ اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم ﴾ بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه ﴿ فكف أيديهم عنكم ﴾ منعها أن تمد اليكم ورد مضرتها عنكم ﴿ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ﴾ شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أوكفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به ❊ روى أن بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله سبحانه وتعالى بالمسير الى أريحاء من أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال أني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وأمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما أمروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم أن يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم ونكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف ﴿ وقال الله انى معكم ﴾ بالنصرة ﴿ لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم ﴾ أى نصرتموهم وقويتموهم وأصله لذب ومنه التعزير ﴿ وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول ﴿ لاكفرن عنكم سيآتكم ﴾ جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط ﴿ ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك ﴾ بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم ﴿ منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ ضلالا لاشبهة فيه ولاعذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ﴾ طردناهم من رحمتنا أومسخناهم أوضربنا عليهم الجزية ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ لاتنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهى اما مبالغة قاسية أوبمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو أيضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة أشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه ويجوز أن يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ﴿ ونسوا حظا ﴾ وتركوا نصيبا وافيا ﴿ مما ذكروا به ﴾ من التوراة أومن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى أنهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه أشياء منها عن حفظهم لما روى أن ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ﴿ ولاتزال تطلع على خائنة منهم ﴾ خيانة منهم أوفرقة خائنة أوخائن والتاء للمبالغة والمعنى أن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لاتزال ترى ذلك منهم ﴿ الا قليلا منهم ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله ـ وجعلنا قلوبهم قاسية ـ ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ ان تابوا وآمنوا أوعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ﴿ ان الله يحب المحسنين ﴾ تعليل للأمر بالصفح وحث عليه وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ۝ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ
لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ
تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ
مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ
اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ
مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝

﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ﴾ أى وأخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم أخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على أنهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله سبحانه وتعالى ﴿ فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا ﴾ فألزمنا من غرى بالشئ اذا لصق به ﴿ بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ﴾ بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو بينهم وبين اليهود ﴿ وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ بالجزاء والعقاب ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ يعنى اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس ﴿ قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام بأحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ مما تخفونه لايخبر به اذا لم يضطر اليه أمر ديني أو عن كثير منكم فلايؤاخذه بجرمه ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ يهدى به الله ﴾ وحد الضمير لان المراد بهما واحد أولانهما كواحد فى الحكم ﴿ من اتبع رضوانه ﴾ من اتبع رضاه بالايمان منهم ﴿ سبل السلام ﴾ طرق السلامة من العذاب أوسبل الله ﴿ ويخرجهم من الظلمات الى النور ﴾ من أنواع الكفر الى الاسلام ﴿ باذنه ﴾ بارادته أوتوفيقه ﴿ ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ طريق هو أقرب الطرق الى الله سبحانه وتعالى ومؤدّ اليه لا محالة ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لااله الا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم ﴿ قل فمن يملك من الله شيأ ﴾ فمن يمنع من قدرته وارادته شيأ ﴿ ان أراد أن يهلك المسيح ﴾ عيسى ﴿ ابن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ﴾ احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ﴿ ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق مايشاء والله على كل شئ قدير ﴾ ازاحة لما عرض لهم من الشبهة فى أمره والمعنى أنه سبحانه وتعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والارض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثى وحدها كعيسى أومنهما كسائر الناس ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ أشياع ابنيه عزيراوالمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون أو المقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان فى سورة آل عمران ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾ أى فان صحّ مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لايفعل مايوجب تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم بانه سيعذبكم بالنار أياما معدودات ﴿ بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ ممن خلقه الله تعالى ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾ وهم من آمن به وبرسله ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ وهم من كفر والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عنده ﴿ ولله ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ كلها سواء في كونها خلقا وملكا له ﴿ واليه المصير ﴾ فيجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته

﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم ﴾ أى الدين وحذف لظهوره أوما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لايقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة فى موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبينا لكم ﴿ على فترة من الرسل ﴾ متعلق بجاءكم أى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى أويبين حال من الضمير فيه ﴿ أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير ﴾ كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ متعلق بمحذوف أى لاتعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على الارسال تترى كمافعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الارسال على فترة كمافعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أوخمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالدبن سنان العبسى وفى الآية امتنان عليهم بأن بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا أحوج مايكونون اليه ﴿ واذقال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذجعل فيكم أنبياء ﴾ فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى أمة مابعث فى بنى اسرائيل من الانبياء ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ أى وجعل منكم أوفيكم وقدتكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيي وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين فى أيدى القبط فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وأمورهم سماهم ملوكا ﴿ وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴾ من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم ﴿ ياقوم ادخلوا الارض المقدسة ﴾ أرض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشأم ﴿ التى كتب الله لكم ﴾ قسمها لكم أوكتب فى اللوح أنها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعد ماعصوا فانها محرمة عليهم ﴿ ولاترتدوا على أدباركم ﴾ ولاترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوانجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر أولاترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى ﴿ فتنقلبوا خاسرين ﴾ ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿ قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين ﴾ متغلبين لايتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعني أجبره وهوالذى يجبر الناس على مايريده ﴿ وانالن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فاناداخلون ﴾ اذ لاطاقة لنا بهم ﴿ قال رجلان ﴾ كالب ويوشع ﴿ من الذين يخافون ﴾ أي يخافون الله سبحانه وتعالى ويتقونه وقيل كانارجلين من الجبابرة أسلما وسارا الى موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف أى من الذين يخافهم بنواسرائيل ويشهد له أنه قرئ الذين يخافون بالضم أى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة أى من الذين يخوفون من الله عزوجل بالتذكير أويخوفهم الوعيد ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان أواعتراض ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ باب قريتهم أى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار ﴿ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ﴾ لتعسر الكر عليهم فى المضايق من عظم أجسامهم ولانهم أجسام لاقلوب فيها ويجوز أن يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عليه الصلاة والسلام وقوله كتب الله لكم أومما علما من عادة الله سبحانه وتعالى في نصرة رسله وماعهدا من صنعه لموسى عليه الصلاة والسلام فى قهر أعدائه ﴿ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين ﴾ أي مؤمنين به ومصدّقين بوعده ﴿ قالوا ياموسى انالن ندخلها أبدا ﴾ نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ﴿ ماداموافيها ﴾ بدل البعض ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ﴾ قالواذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝

قال

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ۞ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا

﴿ قال رب انى لاأملك الانفسى وأخى ﴾ قاله شكوى بثه وحزنه الى الله سبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلوّن قومه ويجوز أن يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى أوعلى اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لاأملك أوعلى محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه أوبالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم ﴿ قال فانها ﴾ فان الارض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ لايدخلونها ولايملكونها بسبب عصيانهم ﴿ أربعين سنة يتيهون فى الارض ﴾ عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ماروى أن موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح أريحاء وأقام بها ماشاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر أخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله سبحانه وتعالى أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون أى يسيرون فيها متحيرين لايرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقدقيل لم يدخل الارض المقدسة أحد ممن قال انالن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة أولادهم روى انهم لبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذاهم بحيثه ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم المنّ والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على أن موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا أنه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وأنهما ماتافيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحاء بعد ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع ﴿ فلاتأس على القوم الفاسقين ﴾ خاطب به موسى عليه الصلاة والسلام لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم ﴾ قابيل وهابيل أوحى الله سبحانه وتعالى الى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل مافعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل ﴿ بالحق ﴾ صفة مصدر محذوف أى تلاوة ملتبسة بالحق أوحال من الضمير في اتل أومن نبأ أي ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين ﴿ اذقربا قربانا ﴾ ظرف لنبأ أوحال منه أوبدل على حذف مضاف أى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم مايتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة أوغيرها كما أن الحلوان اسم مايحلى به أى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثنّ وقيل تقديره اذقرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب أردأقمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا ﴿ فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ﴾ لانه سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى أخس ماعنده ﴿ قال لأقتلنك ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك ﴿ قال انما يتقبل الله من المتقين ﴾ فى جوابه أى انما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لامن قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى أن الحاسد ينبغى أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل مابه صار المحسود محظوظا لافى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولاينفعه وأن الطاعة لاتقبل الا من مؤمن متق ﴿ لئن بسطت الى يدك لتقتلني ماأنا بباسط يدى اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين ﴾ قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله سبحانه وتعالى لان الدفع لم يبح بعد أوتحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل وانما قال ماأنا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد النفى بالباء ﴿ انى أريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما أستسلم لك ارادة أن تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الىّ ونحوه المستبان ماقالا فعلى البادئ مالم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل من أجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال أى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى أن ذلك ان كان لامحالة واقعا فاريد أن يكون لك لالى فالمراد بالذات أن لايكون له لا أن يكون لاخيه ويجوز أن يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة ﴿ فطوّعت له نفسه قتل أخيه ﴾ فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أوعلى أن قتل أخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله ﴿ فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ دينا ودنيا اذبقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم ﴿ فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ﴾ روى أنه لما قتله تحير فى أمره ولم يدر مايصنع به اذ كان أول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه فى الحفرة والضمير فى ليري لله سبحانه وتعالى أوللغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة أخيه جسده الميت فانه مما يستقبح أن يرى ﴿ قال ياويلتا ﴾ كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة ﴿ أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى ﴾ لاأهتدى الى مثل مااهتدى اليه وقوله فأوارى عطف على أكون وليس جواب الاستفهام اذليس المعنى ههنا لوعجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا أوارى أوعلى تسكين المنصوب تخفيفا ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ على قتله لما كابد فيه من التحير فى أمره وحمله على رقبته سنة أوأكثر على ماقيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرى أبويه منه اذروى أنه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ماكنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بمافعله من أجله ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ﴾ بسببه قضينا عليهم وأجل فى الاصل مصدر أجل شرا اذاجناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته أي من أن جررته أى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا أى ابتداء الكتب ونشوءه من أجل ذلك ﴿ أنه من قتل نفسا بغير نفس ﴾ أى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص ﴿ أوفساد فى الارض ﴾ أو بغير فساد فيها كالشرك أوقطع الطريق ﴿ فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه أومن حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء في استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾ أى ومن تسبب

لبناء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها ﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون﴾ أى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل أمثال تلك الجناية وأرسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولايبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ أى يحاربون أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما وأصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر ﴿ويسعون فى الارض فسادا﴾ أى مفسدين ويجوز نصبه على العلة أو المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا ﴿أن يقتلوا﴾ أى قصاصا من غير صلب ان أفردوا القتل ﴿أو يصلبوا﴾ أى يصلبوا مع القتل ان قتلوا وأخذوا المال وللفقهاء خلاف فى أنه يقتل ويصلب أو يصلب حيا ويترك أو يطعن حتى يموت ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ان أخذوا المال ولم يقتلوا ﴿أو ينفوا من الارض﴾ ينفوا من بلد الى بلد بحيث لايتمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر أبو حنيفة النفى بالحبس وأو فى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ﴿ذلك لهم خزى في الدنيا﴾ ذل وفضيحة ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ لعظم ذنوبهم ﴿الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ أما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لاتسقط الحد وان أسقطت العذاب وأن الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة﴾ أى ماتتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة ﴿وجاهدوا فى سبيله﴾ بمحاربة أعدائه الظاهرة والباطنة ﴿لعلكم تفلحون﴾ بالوصول الى الله سبحانه وتعالى والفوز بكرامته ﴿ان الذين كفروا لو أن لهم مافى الارض﴾ من صنوف الاموال ﴿جميعا ومثله معه ليفتدوا به﴾ ليجعلوه فدية لانفسهم ﴿من عذاب يوم القيامة﴾ واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت أن لهم مافى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور شيآن اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك أو لان الواو في ومثله بمعني مع ﴿ماتقبل منهم﴾ جواب لو ولو بما في حيزه خبران والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه ﴿ولهم عذاب أليم﴾ تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾ وقرئ يخرجوا من أخرج وانما قال وماهم بخارجين بدل ومايخرجون للمبالغة ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في أمثاله لان الانشاء لايقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة أخذ مال الغير فى خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع دينار أومايساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع فى ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدي الأيمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه أيمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثني كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى أن المقطع هو المنكب والجمهور على أنه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه ﴿جزاء بما كسبا نكالا من الله﴾ منصوبان على المفعول له أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا ﴿والله عزيز حكيم﴾

ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد
ذلك فى الارض لمسرفون ۝ انما جزاؤا الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا
أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من
خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا
ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ۝ الا الذين تابوا
من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور
رحيم ۝ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون
۝ ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا
ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة
ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ۝ يريدون أن يخرجوا
من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم
۝ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء
بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ۝

فمن

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ
يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ
وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ
لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ
وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ
قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ
لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ
تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝

﴿فمن تاب﴾ من السراق ﴿من بعد ظلمه﴾ أى بعد سرقته ﴿وأصلح﴾ أمره بالتفصى عن التبعات والعزم على أن لايعود اليها ﴿فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم﴾ يقبل توبته فلا يعذبه فى الآخرة وأما القطع فلايسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض﴾ الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أولكل أحد ﴿يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير﴾ قدم التعذيب على المغفرة ايتاء على ترتيب ماسبق أولان استحقاق التعذيب مقدم أولان المراد به القطع وهو فى الدنيا ﴿يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر﴾ أى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا أى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ أى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لابآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ﴿ومن الذين هادوا﴾ عطف على من الذين قالوا ﴿سماعون للكذب﴾ خبر محذوف أى هم سماعون والضمير للفريقين أوللذين يسارعون ويجوز أن يكون مبتدأ ومن الذين خبره أى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى الكذب اما مزيدة للتأكيد أولتضمين السماع معنى القبول أى قابلون لما تفتريه الاحبار أو للعلة والمفعول محذوف أى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ أى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين أي مصغون لهم قابلون كلامهم أو سماعون منك لاجلهم والانهاء اليهم ويجوز أن تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد أى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ أي يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله أوتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة أخري لقوم أو صفة لسماعون أوحال من الضمير فيه أواستئناف لاموضع له أوفى موضع الرفع خبر لمحذوف أى هم يحرفون وكذلك ﴿يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه﴾ أى ان أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به ﴿وان لم تؤتوه﴾ بل أفتاكم محمد بخلافه ﴿فاحذروا﴾ أى احذروا قبول ماأفتاكم به ☆ روى أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذى لااله الاهو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ ضلالته أو فضيحته ﴿فلن تملك له من الله شيأ﴾ فلن تستطيع له من الله شيأ في دفعها ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة ﴿لهم فى الدنيا خزى﴾ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ﴿ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين ﴿سماعون للكذب﴾ كرره للتأكيد ﴿أكالون للسحت﴾ أى الحرام كالرشا من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب في المواضع الثلاثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر ﴿فان جاؤك فاحكم بينهم أوأعرض عنهم﴾ تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لوتحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان أو أحدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في أهل الذمة وعند أبى حنيفة يجب مطلقا ﴿وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ﴾ بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس ﴿وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ أى بالعدل الذى أمرالله به ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم

وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرٰيةُ فِيهَا حُكْمُ
اللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ
۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ
بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ
فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا
أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ
تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللّٰهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰيةِ
وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝

﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لايؤمنون به والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ماقصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به مايكون أهون عليهم وانلم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ بكتابهم لاعراضهم عنه أولا وعما يواقفه ثانيا أوبك وبه ﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ﴾ يهدى الى الحق ﴿ ونور ﴾ يكشف عما استبهم من الاحكام ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ يعنى أنبياء بنى اسرائيل أوموسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا مالم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به ﴿ الذين أسلموا ﴾ صفة أجريت على النبيين مدحالهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وأنهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام واقتفاء هديهم ﴿ للذين هادوا ﴾ متعلق بانزل أو بيحكم أى يحكمون بها في تحاكمهم وهويدل على أن النبيين أنبياؤهم ﴿ والربانيون والاحبار ﴾ زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله ﴾ بسبب أمر الله اياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى مامحذوف ومن للتبيين ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ رقباء لايتركون أن يغير أوشهداء يبينون مايخفى منه كما فعل ابن صوريا ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ نهى للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم أومراقبة كبير ﴿ ولا تشتروا بآياتى ﴾ ولاتستبدلوا باحكامى التى أنزلتها ﴿ ثمنا قليلا ﴾ هو الرشوة والجاه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ مستهينا به منكرا له ﴿ فاولئك هم الكافرون ﴾ لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها أولطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون فى النصارى ﴿ وكتبنا عليهم ﴾ وفرضنا على اليهود ﴿ فيها ﴾ فى التوراة ﴿ أن النفس بالنفس ﴾ اى أن النفس تقتل بالنفس ﴿ والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن ﴾ رفعها الكسائى على أنها جمل معطوفة على أن ومافي حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول أومستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوأة بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن أوعلى أن المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي أذنيه باسكان الذال حيث وقع ﴿ والجروح قصاص ﴾ أى ذات قصاص وقرأه الكسائى أيضا بالرفع ووافقه ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر على أنه اجمال للحكم بعد التفصيل ﴿ فمن تصدق ﴾ من المستحقين ﴿ به ﴾ بالقصاص أى فمن عفا عنه ﴿ فهو ﴾ فالتصدق ﴿ كفارة له ﴾ للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه مالزمه وقرئ فهو كفارته له أى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لاينقص منها شئ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ من القصاص وغيره ﴿ فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم ﴾ أى وأتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون ﴿ بعيسى ابن مريم ﴾ مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء ﴿ مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل ﴾ وقرئ بفتح الهمزة ﴿ فيه هدي ونور ﴾ فى موضع النصب بالحال ﴿ ومصدقا لما بين يديه من التوراة ﴾ عطف عليه وكذا قوله ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على محذوف أوتعلقا به وعطف

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ
بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ
لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
۞ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞

﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم وقرئ وأن ليحكم على أن ان موصولة بالامر كقولك أمرتك بان قم أي وأمرنا بان ليحكم ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون ﴾ عن حكمه أو عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على أن الانجيل مشتمل على الاحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ أى القرآن ﴿ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ﴾ من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ﴿ ومهيمنا عليه ﴾ ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أى هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله سبحانه وتعالى والحفاظ في كل عصر ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ أى بما أنزل الله اليك ﴿ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ بالانحراف عنه الى مايشتهونه فعن صلة للا تتبع لتضمنه معنى لاتنحرف أو حال من فاعله أى لاتتبع أهواءهم مائلا عما جاءك ﴿ لكل جعلنا منكم ﴾ أيها الناس ﴿ شرعة ﴾ شريعة وهي الطريق الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرى بفتح الشين ﴿ ومنهاجا ﴾ وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة ﴿ ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعني لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ﴿ ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية أم تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم ﴿ الى الله مرجعكم جميعا ﴾ استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ﴾ عطف على الكتاب أى أنزلنا اليك الكتاب والحكم أو على الحق أى أنزلناه بالحق وبان احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم ﴿ ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ﴾ أى أن يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال أى احذر فتنتهم أو مفعول له أى احذرهم مخافة أن يفتنوك روي ان أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ فان تولوا ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿ فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ يعني ذنب التولى عن حكم الله سبحانه وتعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد ❊ أو يرتبط بعض النفوس حمامها ❊ ﴿ وان كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ لمتمردون في الكفر معتدون فيه ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ الذى هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوي وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أى يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ أى عندهم واللام للبيان كما في قوله تعالى هيت لك أى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ فلاتعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ ايماء الى علة النهى أى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجماعهم على مضادتكم ﴿ ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾ أى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لاتتراءى ناراهما أو لان الموالى لهم كانوا منافقين ﴿ ان الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ أى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى
أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا
على ما أسروا في أنفسهم ندمين ۞ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء
الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم
فأصبحوا خسرين ۞ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة
على الكفرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
۞ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ۞ ومن
يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغلبون
۞ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من الذين أوتوا الكتب من قبلكم والكفار أولياء
واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ۞ وإذا ناديتم إلى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ۞

قل

﴿ فترى الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعنى ابن أبي واضرابه ﴿ يسارعون فيهم ﴾ أي في موالاتهم ومعاونتهم ﴿ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ يعتذرون بانهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار * روى أن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم واني أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال ابن أبي اني رجل أخاف الدوائر لاأبرأ من ولاية موالىّ فنزلت ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار المسلمين ﴿ أوأمر من عنده ﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء أوالامر باظهار أسرار المنافقين وقتلهم ﴿ فيصبحوا ﴾ أى هؤلاء المنافقون ﴿ على ماأسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ على مااستبطنوه من الكفروالشك في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثيرونافع وابن عامر مرفوعا بغيرواوعلى انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن أتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى أن يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو بجعله بدلا من اسم الله تعالى داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أوعلى الفتح بمعني عسى الله أن يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بمايوجبه كالاتيان به ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم ﴾ يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما منّ الله سبحانه وتعالى عليهم من الاخلاص أويقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان أغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أوعلى المصدر لانه بمعنى أقسموا ﴿ حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ امامن جملة المقول أومن قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط أعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ماأحبط أعمالهم فما أخسرهم ﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى أواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنومدلج وكان رئيسهم ذا الخمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة فسرّ المسلمون وأتي الخبر فى أواخر ربيع الاول وبنو حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه أبوبكر رضى الله تعالى عنه بجند من المسلمين وقتله وحشى قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم أسلم وحسن اسلامه وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله أمرهم على يده وفى امرة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قيل هم أهل اليمن لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أشار الى أبى موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه الصلاة والسلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على امالتضمنه معنى العطف والحنوّ أوللتنبيه على أنهم مع علوطبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أوللمقابلة ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ شداد متغلبين عليهم من عزه اذاغلبه وقرئ بالنصب على الحال ﴿ يجاهدون فى سبيل الله ﴾ صفة أخرى لقوم أوحال من الضمير فى أعزة ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ عطف على يجاهدون بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة فى سبيل الله والتصلب فى دينه أوحال بمعنى أنهم مجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلايعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماتقدم من الاوصاف ﴿ فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ يمنحه ويوفق له ﴿ والله واسع ﴾ كثيرالفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو أهله ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصالة ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين على التبع ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم أوبدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح ﴿ وهم راكعون ﴾ متخشعون فى صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون الزكاة فى حال ركوعهم فى الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وأنها نزلت في على رضى الله تعالى عنه حين ساله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ماذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وان صح أنه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس فى مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن الفعل القليل في الصلاة لايبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ ومن يتخذهم أولياء ﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾ أى فانهم هم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴾ نزلت فى رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهر الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير

بالمعاداة والبغضاء وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائى ويعقوب والكفار وان عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهى عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين ﴿واتقوا الله﴾ بترك المناهى ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ لان الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده ﴿واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا﴾ أى اتخذوا الصلاة أو المناداة وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلاة ✻ روى أن نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شررها فى البيت فأحرقه وأهله ﴿ذلك بأنهم قوم لايعقلون﴾ فان السفه يؤدى الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا﴾ هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا أنكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة ﴿الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل﴾ الايمان بالكتب المنزلة كلها ﴿وأن أكثركم فاسقون﴾ عطف على أن آمنا وكأن المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة أى ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وأنتم خارجون منه أو كان الاصل واعتقاد أن أكثركم فاسقون فحذف المضاف أو على ما أى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا أن آمنا لقلة انصافكم وفسقكم أو نصب باضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أى ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف ✻ والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال أومن بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم ﴿قل

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ۝ قُلْ هَلْ
أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ
شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا
آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
كَانُوا يَكْتُمُونَ ۝ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَوْلَا
يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ
مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝

أنبئكم بشر من ذلك﴾ أى من ذلك المنقوم ﴿مثوبة عند الله﴾ جزاء ثابتا عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله ✻ تحية بينهم ضرب وجيع ✻ ونصبها على التمييز عن بشر ﴿من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ بدل من بشر على حذف مضاف أى بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر محذوف أي هو من لعنه الله وهم اليهود أبعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهما كهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين فى أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير ﴿وعبد الطاغوت﴾ عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أى فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت أو عبد على أنه نعت كفطن ويقظ أو عبدة أو عبد الطاغوت على أنه جمع كخدم أو ان أصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من أطاعوه فى معصية الله تعالى ﴿أولئك﴾ أى الملعونون ﴿شر مكانا﴾ جعل مكانهم شرا ليكون أبلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلالة ﴿واذا جاؤكم قالوا آمنا﴾ نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو في عامة المنافقين ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ أى يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ماسمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح أن يقع حالا أفادت أيضا لما فيها من التوقع أن أمارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال ﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ أى من الكفر وفيه وعيد لهم ﴿وترى كثيرا منهم﴾ أى من اليهود أو من المنافقين ﴿يسارعون فى الاثم﴾ أى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم ﴿والعدوان﴾ الظلم أو مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم مايختص بهم والعدوان مايتعدى الى غيرهم ﴿وأكلهم السحت﴾ أى الحرام خصه بالذكر للمبالغة ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾ لبئس شيأ عملوه ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت﴾ تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى أفاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بأبلغ الذم ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ أى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولاقصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لايتصور ذلك كقوله

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ✻ شكرت نداه تلاعه ووهاده

ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه أنه فقير لقوله تعالى ـ لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ـ ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد أو بالفقر والمسكنة أو بغل الايدى حقيقة يغلون أسارى فى الدنيا ومسحوبين الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية مايبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى مايعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ﴿ينفق كيف يشاء﴾ تأكيد لذلك أى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولايجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لاضمير لهما فيه ولامن ضميرهما لذلك ✻ والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود مابسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وأشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله ﴿وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا﴾ أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة﴾ فلاتتوافق قلوبهم ولا تتطابق أقوالهم ﴿كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله﴾ كلما أرادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله

سبحانه وتعالى بأن أوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرّهم أوكلما أرادوا حرب أحد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم أفسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة أوقدوا أو صفة نارا ﴿ ويسعون فى الارض فسادا ﴾ أى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم ﴿ والله لايحب المفسدين ﴾ فلايجازيهم الا شرا ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ﴿ واتقوا ﴾ ما عددنا من معاصيهم ونحوه ﴿ لكفرنا عنهم سيآتهم ﴾ التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿ ولأدخلناهم جنات النعيم ﴾ ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأن الاسلام يجبّ ماقبله وان جل وأن الكتابي لايدخل الجنة مالم يسلم ﴿ ولوأنهم أقاموا التورية والانجيل ﴾ باذاعة مافيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما ﴿ وما أنزل اليهم من ربهم ﴾ يعنى سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم أوالقرآن ﴿ لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات من السماء والارض أويكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع أويرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين ﴿ منهم أمة مقتصدة ﴾ عادلة غير غالية ولامقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته ﴿ وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ أى بئس مايعملونه وفيه معنى التعجب أى ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ﴾ جميع ما أنزل اليك غير مراقب أحدا ولاخائف مكروها ﴿ وان لم تفعل ﴾ وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿ فما بلغت رسالته ﴾ فما أدّيت شيأ منها لان كتمان بعضها يضيع ما أدى منها كترك بعض أركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به أوفكأنك مابلغت شيأ منها كقوله ـ فكأنما قتل الناس جميعا ـ من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه صلى الله عليه وسلم من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره ﴿ ان الله لايهدى القوم الكافرين ﴾ لا يمكنهم مما يريدون بك ※ وعن النبى صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى الىّ ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت ※ وعن أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمنى الله من الناس ※ وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعلّ المراد به تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية مايحرم افشاؤه ﴿ قل يا أهل الكتاب لستم على شئ ﴾ أي دين يعتدّ به ويصح أن يسمى شيأ لأنه باطل ﴿ حتى تقيموا التورية والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ﴾ ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية بأسرها آمرة بالايمان بمن صدّقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها ﴿ وليزيدنّ كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ﴾ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لايتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ﴾ سبق تفسيره فى سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما فى حيزان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله ※ فاني وقيار بها لغريب ※ وقوله

والا فاعلموا أنا وأنتم ※ بغاة ما بقينا فى شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك وهو كاعتراض دلّ به على أنه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه مابعده كقوله

نحن بما عندنا وأنت بما ※ عندك راض والرأى مختلف

ولايجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبران معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوّز بالياء جوّز بالواو ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ﴾ في محل الرفع بالابتداء وخبره ﴿ فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ والجملة خبران أوخبر المبتدا كما مرّ والراجع محذوف أى من آمن منهم أوالنصب على البدل من اسم ان وماعطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبأ بابدال الهمزة ألفا أومن صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولاعقلا ﴿ لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا ﴾ ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم ﴿ كلما جاءهم رسول بمالاتهوى أنفسهم ﴾ بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف ﴿ فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ﴾ جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآى

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝

وَحَسِبُوٓا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ
حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنْ أَنْصَارٍ ۝ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ
ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
۝ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۝ مَا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ
ٱنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ
۝ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝

﴿ وحسبوا أن لاتكون فتنة ﴾ أى وحسب بنو اسرائيل أن لايصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لاتكون بالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه لاتكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشأن فصار أن لاتكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان أوأنّ بما في حيزها ساد مسد مفعوليه ﴿ فعموا ﴾ عن الدين أوالدلائل والهدى ﴿ وصموا ﴾ عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ أى ثم تابوا فتاب الله عليهم ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ كرّة أخرى وقرئ بالضم فيهما على أن الله تعالى أعماهم وأصمهم أى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم ﴿ كثير منهم ﴾ بدل من الضمير أوفاعل والواو علامة الجمع كقولهم أكلونى البراغيث أوخبر مبتدأ محذوف أي العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيجازيهم على وفق أعمالهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ أى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم ﴿ انه من يشرك بالله ﴾ أى في عبادته أوفيما يختص به من الصفات والافعال ﴿ فقد حرّم الله عليه الجنة ﴾ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ﴿ ومأواه النار ﴾ فانها المعدّة للمشركين ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ أى ومالهم أحد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على أنهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام الله تعالى نبه به على أنهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى صلى الله عليه وسلم وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ﴾ أى أحد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وماسبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد ﴿ وما من اله الا اله واحد ﴾ ومافي الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدئ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق ﴿ وان لم ينتهوا عما يقولون ﴾ ولم يوحدوا ﴿ ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ أى ليمسنّ الذين بقوا منهم على الكفر أوليمسنّ الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على أن العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله ﴿ أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ﴾ أى أفلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد ﴿ والله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ﴿ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ أى ماهو الا رسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالى بالآيات كما خصهم بها فان أحيا الموتى على يده فقد أحيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو أعجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أبّ وأمّ وهو أغرب ﴿ وأمه صدّيقة ﴾ كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق أو يصدّقن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين أولا أقصى مالهما من الكمال ودلّ على أنه لايوجب لهما ألوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى أن يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع أمثال هذه الادلة الظاهرة فقال ﴿ انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت مابين العجبين أي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها أعجب ﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ﴾ يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام وهو وان ملك ذلك بتمليك الله سبحانه وتعالى اياه لايملكه من ذاته ولا يملك مثل مايضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وماينفع به من الصحة والسعة وانما قال مانظرا الى ماهو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على أنه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضرّ لأن التحرز عنه أهم من تحرّى النفع ﴿ والله هوالسميع العليم ﴾ بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير وان شرّا فشر

﴿ قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ﴾ أى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه السلاة والسلام الى أن تدّعوا له الالوهية أوتضعوه فتزعموا أنه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ﴿ولاتتبعوا أهواء قوم قدضلوا من قبل ﴾ يعني أسلافهم وأئمتهم الذين قدضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم ﴿ وأضلوا كثيرا ﴾ ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم ﴿ وضلوا عن سواء السبيل ﴾ عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾ أى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان أهل أيلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم الله تعالى على لسان داود فمسخهم الله تعالى قردة وأصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ أى ذلك اللعن الشنيع المقتضى المسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ماحرم عليهم ﴿كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ﴾ أى لاينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أوعن مثل منكر فعلوه أوعن منكر أرادوا فعله وتهيؤا له أولاينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع ﴿لبئس ماكانوا يفعلون﴾ تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ﴿ترى كثيرا منهم﴾ من أهل الكتاب ﴿يتولون الذين كفروا ﴾ يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ لبئس ماقدمت لهم أنفسهم﴾ أى لبئس شيأ قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ﴿أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ هو المخصوص بالذم والمعني موجب سخط الله والخلود فى العذاب أوعلة الذم والمخصوص محذوف أى لبئس شيأ ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ﴾ يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام ﴿ وما أنزل اليه ماا تخذوهم أولياء﴾ اذالايمان يمنع ذلك ﴿ ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ خارجون عن دينهم أومتمردون فى نفاقهم ﴿ لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهما كهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى﴾ للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه أشار بقوله ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون﴾ عن قبول الحق اذافهموه أويتواضعون ولايتكبرون كاليهود وفيه دليل على أن التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كانت من كافر

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟
كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۞ لُعِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى
ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞
كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا۟
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ
أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ۞ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

﴿ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ عطف على لايستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ماعرفوا أو للتبعيض بانه بعض الحق والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله ﴿ يقولون ربنا آمنا ﴾ بذلك أو بمحمد ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ من الذين شهدوا بانه حق أو بنبوته أو من أمته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة ﴿ ومالنا لانؤمن بالله وماجاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولانؤمن حال من الضمير والعامل مافى اللام من معنى الفعل أى أى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله أى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين أو بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها أو نؤمن ﴿ فأثابهم الله بما قالوا ﴾ أى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أى معتقده ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ الذين أحسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع * روى أنها نزلت فى النجاشي وأصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم فى معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل الله لكم ﴾ أى ماطاب ولذ منه كأنه لما تضمن ماقبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حدالله سبحانه وتعالى بجعل الحلال حراما فقال ﴿ ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين ﴾ ويجوز أن يراد به ولاتعتدوا حدود ماأحل الله لكم الى ماحرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ماأحل وتحليل ماحرم داعية الى القصد بينهما * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على أن لايزالوا صائمين قائمين وأن لايناموا على الفرش ولايأكلوا اللحم والودك ولايقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم أومر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فاني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى فنزلت ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ أي كلوا ماحل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز أن تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز أن تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول أو العائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ هو مايبدو من المرء بلاقصد كقول الرجل لاوالله وبلى والله واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وقيل الحلف على مايظن أنه كذلك ولم يكن واليه ذهب أبوحنيفة رحمه الله تعالى وفى أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لانه مصدر أو حال منه ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم أو بنكث ماعقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل ﴿ فكفارته ﴾ فكفارة نكثه أى الفعلة التى تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير ﴿ اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم ﴾ من أقصده فى النوع أو القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومامحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره أن تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ماتطعمون أو الرفع على البدل من اطعام وأهلون كارضون وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع أهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع أرض وقيل هو جمع اهلاة ﴿ أو كسوتهم ﴾ عطف على اطعام أو من أوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص أورداء أوازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم بمعنى أو كمثل ماتطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره أو اطعامهم كاسوتهم ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ أو اعتاق انسان وشرط الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين ﴿ فمن لم يجد ﴾ أي واحدا منها ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ فكفارته صيام ثلاثة أيام وشرط فيه أبوحنيفة رضى الله تعالى عنه التتابع لانه قرئ ثلاثة أيام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ﴿ ذلك ﴾ أي المذكور ﴿ كفارة أيمانكم اذا حلفتم ﴾ وحنثتم ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ بان تضنوا بها ولاتبذلوها لكل أمر أو بان تبروا فيها ماستطعتم ولم يفت بها خير أو بان تكفروها اذا حنثتم ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك البيان ﴿ يبين الله لكم آياته ﴾ أعلام شرائعه ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمة التعليم أو نعمه الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه

﴿يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب﴾ أى الاصنام التى نصبت للعبادة ﴿والازلام﴾ سبق تفسيرها فى أول السورة ﴿رجس﴾ قذر تعاف عنه العقول وأفرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف أولمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطى الخمر والميسر ﴿من عمل الشيطان﴾ لانه مسبب عن تسويله وتزيينه ﴿فاجتنبوه﴾ الضمير للرجس أولما ذكر أو للتعاطى ﴿لعلكم تفلحون﴾ لكى تفلحوا بالاجتناب عنه* واعلم أنه سبحانه وتعالى أكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بأن صدّر الجملة بانما وقرنهما بالانصاب والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على أن الاشتغال بهما شر بحت أوغالب وأمر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين مافيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال تعالى ﴿انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ وانما خصهما باعادة الذكر وشرح مافيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم أعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ماتقدم من أنواع الصوارف فقال ﴿فهل أنتم منتهون﴾ ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وأن الأعذار قد انقطعت ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فيما أمرا به ﴿واحذروا﴾ مانهيا عنه أو مخالفتهما ﴿فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أى فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول صلى الله عليه وسلم بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد أدى وانما ضررتم به أنفسكم ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ مما لم يحرم عليهم لقوله ﴿اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ﴿ثم اتقوا﴾ ماحرم عليهم بعد كالخمر ﴿وآمنوا﴾ بتحريمه ﴿ثم اتقوا﴾ ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى ﴿وأحسنوا﴾ وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها* روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ماقاله عليه الصلاة والسلام فى تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار مايتقى فانه ينبغى أن يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة ﴿والله يحب المحسنين﴾ فلا يؤاخذهم بشئ وفيه أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ نزلت فى عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشئ للتنبيه على أنه ليس من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ماهو أشد منه ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد ﴿فله عذاب أليم﴾ فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه فى مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه وأحرص عليه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ أى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد مايؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خمس يقتلن فى الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور* وفى رواية أخرى الحية بدل العقرب مع مافيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف فى أن هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى أولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ﴿ومن قتله منكم متعمدا﴾ ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل مايقتله والاكثر على أن ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عنّ لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت ﴿فجزاء مثل ماقتل من النعم﴾ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه أى فواجبه جزاء يماثل ماقتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف مالم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما فى قولهم مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه أن يجزى مثل ماقتل وقرئ فجزاء مثل ماقتل بنصبهما على فليجز جزاء أو فعليه أن يجزى جزاء يماثل ماقتل وفجزاؤه مثل ماقتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما والقيمة عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدى تخير بين أن يهدى ماقيمته قيمته وبين أن يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أوصاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول أوفق ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ صفة جزاء ويحتمل أن يكون حالا من ضميره فى خبره أومنه اذا أضفته أو وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما أن التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس أو الامام ﴿هديا﴾ حال من الهاء فى به أو من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة أو بدل من مثل باعتبار محله أو لفظه فيمن نصبه ﴿بالغ الكعبة﴾ وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء ﴿أو كفارة﴾ عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف ﴿طعام مساكين﴾ عطف بيان أو بدل منه أو خبر محذوف أى هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعى أو أن يكفر باطعام مساكين مايساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا ﴿أو عدل ذلك صياما﴾ أو ماساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر أطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ماعدل بالشئ فى المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ﴿ليذوق وبال أمره﴾ متعلق بمحذوف أى فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ۞ إنما يريد
الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون ۞
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما
على رسولنا البلغ المبين ۞ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصلحت
جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصلحت
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ۞
يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم
ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله
عذاب أليم ۞ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم
ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا
عدل منكم هديا بلغ الكعبة أو كفارة طعام مسكين
أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف
ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ۞

تعالى وأصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل ﴿عفا الله عما سلف﴾ من قتل الصيد محرما فى الجاهلية أو قبل التحريم أوفى هذه المرة ﴿ومن عاد﴾ الى مثل هذا ﴿فينتقم الله منه﴾ فهو ينتقم الله منه وليس فيه مايمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ ممن أصر على عصيانه ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ ماصيد منه مما لايعيش الافى الماء وهو حلال كله لقوله عليه الصلاة والسلام فى البحر هوالطهور ماؤه الحل ميتته وقال أبو حنيفة لايحل منه الاالسمك وقيل يحل السمك ومايؤكل نظيره فى البر ﴿وطعامه﴾ ماقذفه أونضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله ﴿متاعا لكم﴾ تمتيعا لكم نصب على الغرض ﴿وللسيارة﴾ أى ولسيارتكم يتزودونه قديدا ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾ أى ماصيد فيه أو الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم أيضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه الصلاة والسلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه أو يصد لكم ﴿مادمتم حرما﴾ أى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام ﴿واتقوا الله الذى اليه تحشرون جعل الله الكعبة﴾ صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه ﴿البيت الحرام﴾ عطف بيان على جهة المدح أوالمفعول الثانى ﴿قياما للناس﴾ انتعاشا لهم أى سبب انتعاشهم فى أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار أو مايقوم به أمر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على أنه مصدر على فعل كالشبع أعلّ عينه كما أعل فى فعله ونصبه على المصدر أوالحال ﴿والشهر الحرام والهدى والقلائد﴾ سبق تفسيرها والمرادبالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ﴿ذلك﴾ اشارة الى الجعل أو الى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ﴿لتعلموا أن الله يعلم مافى السموات ومافى الارض﴾ فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه ﴿وأن الله بكل شئ عليم﴾ تعميم بعد

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ۞ جَعَلَ اللّٰهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا
لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا
أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ۞ اِعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۞ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ ۞ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ
لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ
لَكُمْ عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ۞ قَدْ سَأَلَهَا
قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ۞ مَا جَعَلَ اللّٰهُ
مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞

تخصيص ومبالغة بعد اطلاق ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾ وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها أولمن أصرعليه ولمن أقلع عنه ﴿ماعلى الرسول الا البلاغ﴾ تشديد في ايجاب القيام بما أمر به أى الرسول أتى بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط ﴿والله يعلم ماتبدون وماتكتمون﴾ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة ﴿قل لايستوى الخبيث والطيب﴾ حكم عام في نفى المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الردىء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى مصالح العمل وحلال المال ﴿ولوأعجبك كثرة الخبيث﴾ فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال ﴿فاتقوا الله يا أولى الالباب﴾ أى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل ﴿لعلكم تفلحون﴾ راجين أن تبلغوا الفلاح * روى أنها نزلت فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتسالوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم﴾ الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لاتسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسالوا عنها فى زمان الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان مايمنع السؤال وهوأنه مما يغمهم والعاقل لايفعل مايغمه وأشياء اسم جمع كطرفاء غيرأنه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على أن أصله شيء كهين أوشيي كصديق فخفف وقيل أفعال جمع له من غير تغيير كبيت وأبيات ويرده منع صرفه ﴿عفا الله عنها﴾ صفة أخرى أى عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روى أنه لما نزلت ـ ولله على الناس حج البيت ـ قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ماتركتكم فنزلت أو استئناف أى عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلاتعودوا لمثلها ﴿والله غفور حليم﴾ لايعاجلكم بعقوبة مايفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة مايسألون عنه مما لايعنيهم فقال لاأسئل عن شئ الاأجبت فقال رجل أين أبى فقال فى النار وقال آخر من أبي فقال حذافة وكان يدعي لغيره فنزلت ﴿قد سألها قوم﴾ الضمير للمسئلة التى دل عليها تسالوا ولذلك لم يعد بعن أولاشياء بحذف الجار ﴿من قبلكم﴾ متعلق بسالها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لايكون صفة للجثة ولاحالا منها ولاخبرا عنها ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾ أى بسببها حيث لم يأتمروا بها سالوا جحودا ﴿ما جعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولاحام﴾ رد وانكار لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلواسبيلها فلاتركب ولاتحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى أخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولامرعي وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ماجعل ماشرع ووضع ولذلك تعدي الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ﴿ولكنّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ بتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى ﴿وأكثرهم لايعقلون﴾ أى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم أو الآمر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به

﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا﴾ بيان لقصور عقولهم وانهما كهم في التقليد وان لاسند لهم سواه ﴿أولو كان آباؤهم لايعلمون شيأ ولايهتدون﴾ الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال أى أحسبهم ماوجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى أن الاقتداء انما يصح بمن علم أنه عالم مهتد وذلك لايعرف الابالحجة فلا يكفى التقليد ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ أى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب أنفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿لايضركم من ضل اذا اهتديتم﴾ لايضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا أسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت ولايضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف ويؤيده أن قرئ لايضيركم والجزم على الجواب أو النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لايضركم بالفتح ولايضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ﴿الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لايؤاخذ بذنب غيره ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ أى فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم ﴿اذا حضر أحدكم الموت﴾ اذا شارفه وظهرت أماراته وهو ظرف للشهادة ﴿حين الوصية﴾ بدل منه وفي ابداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغى أن لايتهاون فيه أو ظرف حضر ﴿اثنان﴾ فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف ﴿ذوا عدل منكم﴾ أى من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان ﴿أو آخران من غيركم﴾ عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لاتسمع اجماعا ﴿ان أنتم ضربتم في الارض﴾ أى سافرتم فيها ﴿فاصابتكم مصيبة الموت﴾ أى قاربتم الاجل ﴿تحبسونهما﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغى أن يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما ﴿من بعد الصلاة﴾ صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أىّ صلاة كانت ﴿فيقسمان بالله ان ارتبتم﴾ ان ارتاب الوارث منكم ﴿لانشترى به ثمنا﴾ مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لانستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أى لانحلف بالله كاذبا لطمع ﴿ولو كان ذا قربى﴾ ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أى لانشترى ﴿ولانكتم شهادة الله﴾ أى الشهادة التى أمرنا الله باقامتها وعن الشعبى أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغيره كقولهم الله لافعلن ﴿انا اذا لمن الآثمين﴾ أى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها ﴿فان عثر﴾ فان اطلع ﴿على أنهما استحقا اثما﴾ أى فعلا ما أوجب اثما كتحريف ﴿فآخران﴾ فشاهدان آخران ﴿يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاولان ﴿الاوليان﴾ الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أى هما الاوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الاولين على أنه صفة للذين أو بدل منه أى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والا ولان واعرابه اعراب الاوليان ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ أصدق منها وأولى بان تقبل ﴿وما اعتدينا﴾ وما تجاوزنا فيها الحق ﴿انا اذا لمن الظالمين﴾ الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين أنفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر اذا أراد الوصية ينبغى أن يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق مايقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على أنهما كذبا بامارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولايعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته أو لتغيير الدعوى* اذروى أن تميما الدارى وعدى بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في أيديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان فحلفا واستحقاه ولعل تخصيص العدد فيهما لخصوص الواقعة ﴿ذلك﴾ أى الحكم الذى تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ على نحو ماحملوها من غير تحريف وخيانة فيها ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أن ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ ماتوصون به سمع اجابة ﴿والله لايهدى القوم الفاسقين﴾ أى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لايهدى القوم الفاسقين أى لايهديهم الى حجة أو الى طريق الجنة فقوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا
مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم
مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ
إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا
مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ
الْآثِمِينَ ۞ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ
مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ
بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا
إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ
وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم
لنا إنك أنت علام الغيوب ۞ إذ قال الله يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح
القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك
الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق
من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا
بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج
الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين
۞ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا
آمنا واشهد بأننا مسلمون ۞ إذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا
مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ۞
قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم
أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ۞

﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف المضاف أي واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب باضمار اذكر ﴿فيقول﴾ أي للرسل ﴿ماذا أجبتم﴾ أي اجابة أجبتم على ان ماذا في موضع المصدر أو بأي شيء أجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما أن سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك ﴿قالوا لاعلم لنا﴾ أي لاعلم لنا بما لست تعلمه ﴿انك أنت علام الغيوب﴾ فتعلم مانعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا ومالا نعلم مما أضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الأمر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لاعلم لنا الى جنب علمك أو لاعلم لنا بما أحدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على أن الكلام قدتم بقوله انك أنت أي انك أنت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء وقرأ أبو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع ﴿اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه سبحانه وتعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ماأظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة أو نصب باضمار اذكر ﴿اذ أيدتك﴾ قويتك وهو ظرف لنعمتي أو حال منه وقرئ آيدتك ﴿بروح القدس﴾ بجبريل عليه الصلاة والسلام أو بالكلام الذي يحيا به الدين أو النفس حياة أبدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله ﴿تكلم الناس في المهد وكهلا﴾ أي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل أن يكتهل ﴿واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتي باذني﴾ سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر ﴿واذ كففت بني اسرائيل عنك﴾ يعني اليهود حين هموا بقتله ﴿اذ جئتهم بالبينات﴾ ظرف لكففت ﴿فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين﴾ أي ماهذا الذي جئت به الاسحر مبين وقرأ حمزة والكسائي الاساحر فالاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿واذ أوحيت الى الحواريين﴾ أي أمرتهم على ألسنة رسلي ﴿أن آمنوا بي وبرسولي﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة ﴿قالوا آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون﴾ مخلصون ﴿اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم﴾ منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على أن ادعاءهم الاخلاص مع قولهم ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ماتقتضيه الحكمة والارادة لاعلى ماتقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك أي هل يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب وقرأ الكسائي تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك أو من ماده اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة ﴿قال اتقوا الله﴾ من أمثال هذا السؤال ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بكمال قدرته وصحة نبوتي أو صدقتم في ادعائكم الايمان ﴿قالوا نريد أن نأكل منها﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو أن يتمتعوا بالاكل منها ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ بانضمام علم المشاهدة الي علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ في ادعاء النبوة أو أن الله يجيب دعوتنا ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ اذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر

﴿قال عيسى ابن مريم﴾ لما رأى أن لهم غرضا صحيحا فى ذلك أو أنهم لايقلعون عنه فأراد الزامهم الحجة بكمالها ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا ﴾ أي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر ﴿ لاولنا وآخرنا ﴾ بدل من لنا باعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا* روى أنها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصاري عيدا وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا وقرئ لأولانا وأخرانا بمعني الامة أو الطائفة ﴿وآية﴾ عطف على عيدا ﴿منك﴾ صفة لها أي آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى ﴿ وارزقنا﴾ المائدة أو الشكر عليها ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ أى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلاعوض ﴿ قال الله انى منزلها عليكم ﴾ اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد ﴿ فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا﴾ أي تعذيبا ويجوز أن يجعل مفعولا به على السعة ﴿لاأعذبه﴾ الضمير للمصدر أو للعذاب ان أريد مايعذب به على حذف حرف الجر ﴿ أحدا من العالمين﴾ أي من عالمى زمانهم أو العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم*روى أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولاشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ماخلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا ماسألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخري فقال ياسمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لانريد فلم تنزل*وعن مجاهد أن هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال أنهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله سبحانه وتعالى أن انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ماهو أعلى من مقامه لعله لايحتمله ولايستقر له فيضل به ضلالا بعيدا ﴿ واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمى الهين من دون الله ﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين أو صلة لاتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده أو القصور فانهم لم يعتقدوا أنهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا أن عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل اتخذوني وأمى الهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى ﴿ قال سبحانك ﴾ أى أنزهك تنزيها من أن يكون لك شريك ﴿ مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق ﴾ ماينبغى لى أن أقول قولا لايحق لى أن أقوله ﴿ ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ﴾ تعلم ماأخفيه في نفسى كما تعلم ماأعلنه ولا أعلم ماتخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات ﴿ انك أنت علام الغيوب﴾ تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ﴿ ماقلت لهم الا ماأمرتنى به ﴾ تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم مايدل عليه ﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾ عطف بيان للضمير فى به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمر أو مفعوله مثل هو أو أعنى ولايجوز ابداله من ماأمرتنى به فان المصدر لايكون مفعول القول ولا أن تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله سبحانه وتعالى وهو لايقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لايفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان قيل ماأمرتهم الا بما أمرتنى به أن أعبدوا الله ﴿ وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم﴾ أى رقيبا عليهم أمنعهم أن يقولوا ذلك ويعتقدوه أو مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ﴿ فلما توفيتنى﴾ بالرفع الى السماء لقوله اني متوفيك ورافعك والتوفى أخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفي الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ المراقب لاحوالهم فتمنع من أردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات ﴿ وأنت على كل شئ شهيد ﴾ مطلع عليه مراقب له ﴿ان تعذبهم فانهم عبادك ﴾ أى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على أنهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك ﴿وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾ فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لايثيب ولايعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت فقضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ وقرأ نافع يوم بالنصب على أنه ظرف لقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستقر وقع خبرا والمعني هذا الذي مر من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح باضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ماكان حال التكليف ﴿ لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ بيان للنفع ﴿لله ملك السموات والارض ومافيهن وهو على كل شئ قدير﴾ تنبيه على كذب النصاري وفساد دعواهم فى المسيح وأمه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال ومافيهن اتباعا لهم غير أولى العقل اعلاما بأنهم فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان مايطلق متناولا للاجناس كلها فهو أولى بارادة العموم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس فى الدنيا

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ۞

سورة

﴿ سورة الانعام مكية غير ست آيات أو ثلاث آيات من قوله قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والارض ﴾ أخبر بانه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ أنشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد أن الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمن ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على أنهما لايقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة أسبابها والاجرام الحاملة لها أولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدي والهدي واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم أن الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم أن عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لايتعلق به الجعل ﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ عطف على قوله الحمد لله على معنى أن الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ماخلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على أنه خلق هذه الاشياء أسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه أن يحمد عليها ولا يكفر أوعلى قوله خلق على معنى أنه سبحانه وتعالى خلق مالا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به مالايقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى أن الكفار يعدلون بربهم الاوثان أى يسوونها به سبحانه وتعالى ﴿هو الذى خلقكم من طين ﴾ أى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو أصل البشر خلق منه أوخلق أباكم فحذف المضاف ﴿ ثم قضى أجلا ﴾ أجل الموت ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ أجل القيامة وقيل الاول مابين الخلق والموت والثانى مابين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغني عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى أي مثبت معين لايقبل التغيير وأخبر عنه بانه عند الله لامدخل لغيره فيه بعلم ولاقدرة ولانه المقصود بيانه ﴿ ثم أنتم تمترون ﴾ استبعاد لامترائهم بعد ماثبت انه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحياة فيها وابقائها مايشاء كان أقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك وأصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع ﴿ وهو الله ﴾ الضمير لله سبحانه وتعالى والله خبره ﴿ فى السموات وفى الارض ﴾ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لاغير كقوله سبحانه وتعالى وهو الذي في السماء اله وفى الارض اله أوبقوله ﴿ يعلم سركم وجهركم ﴾ والجملة خبر ثان أوهي الخبر والله بدل ويكفى لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه أوظرف مستقر وقع خبرا بمعنى أنه سبحانه وتعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صفته لاتتقدم عليه ﴿ ويعلم ماتكسبون ﴾ من خير أوشر فيثيب عليه ويعاقب ولعله أريد بالسر والجهر مايخفى ومايظهر من أحوال الانفس وبالمكتسب أعمال الجوارح ﴿ وماتأتيهم من آية من ايات ربهم ﴾ من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض أى مايظهر لهم دليل قط من الادلة أومعجزة من المعجزات أوآية من آيات القرآن ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ يعنى القرآن وهو كاللازم مما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم أوكالدليل عليه على معنى أنهم لما أعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لايعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ماكانوا به يستهزؤن ﴾ اي سيظهر لهم ماكانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم فى الدنيا والآخرة أوعند ظهور الاسلام وارتفاع أمره ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أى من اهل زمان والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن أهل عصر فيه نبي أوفائق فى العلم قلت المدة أوكثرت واشتقاقه من قرنت ﴿ مكناهم فى الارض ﴾ جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها أوأعطيناهم من القوي والآلات ماتمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ﴿ مالم نمكن لكم ﴾ مالم نجعل لكم من السعة وطول المقام ياأهل مكة أومالم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالمدد والاسباب ﴿ وأرسلنا السماء عليهم ﴾ أى المطر أوالسحاب أوالمظلة فانمبدأ المطر منها ﴿ مدرارا ﴾ أى مغزارا ﴿ وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم ﴾ فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والثمار ﴿ فاهلكناهم بذنوبهم ﴾ أى لم يغن ذلك عنهم شيأ ﴿ وأنشأنا ﴾ وأحدثنا ﴿ من بعدهم قرنا آخرين ﴾ بدلا منهم والمعنى أنه سبحانه وتعالى كما قدر على أن يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر أن يفعل ذلك بكم ﴿ ولونزلنا عليك كتابا في قرطاس ﴾ مكتوبا فى ورق ﴿ فلمسوه بأيديهم ﴾ فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لايقع فيه فلايمكنهم أن يقولوا انما سكرت أبصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لامانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وأنا لمسنا السماء ﴿ لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين ﴾ تعنتا وعنادا ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ﴾ هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴿ ولوأنزلنا ملكا لقضى الامر ﴾ جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى أن الملك لوأنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فانسنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ ثم لاينظرون ﴾ بعد نزوله طرفة عين،

سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمت والنور ثم
الذين كفروا بربهم يعدلون ۞ هو الذى خلقكم من طين ثم قضى
أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ۞ وهو الله فى السموت
وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون ۞ وما تأتيهم
من آية من آيت ربهم الا كانوا عنها معرضين ۞ فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزءون ۞ ألم يروا
كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكنهم فى الارض ما لم نمكن لكم
وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهر تجرى من تحتهم
فأهلكنهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ۞ ولو
نزلنا عليك كتبا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين ۞ وقالوا لولا أنزل عليه
ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ۞

﴿ ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون ﴾ جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون لوشاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولوجعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه أوالرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوّة البشرية لاتقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الأفراد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف أى ولوجعلناه رجلا للبسنا أى لخلطنا عليهم مايخلطون على أنفسهم فيقولون ماهذا الابشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يرى من قومه ﴿ فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوابه يستهزؤن ﴾ فاحاط بهم الذى كانوايستهزؤن به حيث أهلكوا لاجله أوفنزل بهم وبال استهزائهم ﴿ قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا أن السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين ﴿ قل لمن مافى السموات والارض﴾ خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت ﴿ قل لله ﴾ تقريرا لهم وتنبيها على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لايمكنهم أن يذكروا غيره ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة مايعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ﴿ ليجمعنكم الى يوم القيامة ﴾ استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر أى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم أوفى يوم القيامة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم ﴿ لاريب فيه﴾ فى اليوم أوالجمع ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم أورفع على الخبر أى وأنتم الذين أوعلى الابتداء والخبر ﴿ فهم لايؤمنون﴾ والفاء للدلالة على أن عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر أدى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان ﴿وله﴾ عطف على لله ﴿ماسكن فى الليل والنهار﴾ من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم والمعنى مااشتملا عليه أومن السكون أى ماسكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر ﴿ وهو السميع ﴾ لكل مسموع ﴿العليم﴾ بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز أن يكون وعيدا للمشركين على أقوالهم وأفعالهم ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا ﴾ انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتي أتاني أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح ﴿وهو يطعم ولايطعم﴾ يرزق ولايرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ ولايطعم بفتح الياء وبعكس الاول على أن الضمير لغير الله والمعني كيف أشرك بمن هو فاطر السموات والارض ماهو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على أن الثاني من أطعم بمعنى استطعم أوعلى معني أنه يطعم تارة ولايطعم أخرى كقوله يقبض ويبسط ﴿ قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق أمته فى الدين ﴿ ولاتكونن من المشركين ﴾ وقيل لى ولاتكونن ويجوز عطفه على قل ﴿ قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴾ مبالغة أخرى فى قطع أطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة ﴿ من يصرف عنه يومئذ ﴾ أي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وأبوبكر عن عاصم يصرف على أن الضمير فيه لله سبحانه وتعالى وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف أويومئذ بحذف المضاف ﴿ فقد رحمه ﴾ نجاه وأنعم عليه ﴿وذلك الفوز المبين ﴾ أى الصرف أوالرحمة ﴿ وان يمسسك الله بضر ﴾ ببلية كمرض وفقر ﴿ فلا كاشف له ﴾ فلاقادر على كشفه ﴿ الاهو وان يمسسك بخير ﴾ بنعمة كصحة وغنى ﴿ فهو على كل شئ قدير ﴾ فكان قادرا على حفظه وادامته فلايقدر غيره على دفعه كقوله تعالى فلاراد لفضله ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة ﴿ وهو الحكيم ﴾ فى أمره وتدبيره ﴿ الخبير ﴾ بالعباد وخفايا أحوالهم

وَلَوْ جَعَلْنٰهُ مَلَكًا لَجَعَلْنٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم
مَا يَلْبِسُونَ ۞ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ۞ قُلْ
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
۞ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى
نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَهُ مَا سَكَنَ
فِي الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ قُلْ أَغَيْرَ اللّٰهِ
أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ
قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ۞ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ۞ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذٰلِكَ
الْفَوْزُ الْمُبِينُ ۞ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞
وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۞

﴿ قل أى شئ أكبر شهادة ﴾ نزلت حين قال قريش يامحمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولاصفة فأرنا من يشهدلك أنك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة ﴿ قل الله ﴾ أى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ ﴿ شهيد بينى وبينكم ﴾ أى هو شهيد بيني وبينكم ويجوز أن يكون الله شهيد هو الجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ شهادة ﴿ وأوحى الىّ هذا القرآن لانذركم به ﴾ أى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ﴿ ومن بلغ ﴾ عطف على ضمير المخاطبين أى لانذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر أومن الثقلين أو لانذركم به أيها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وفيه دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لايؤاخذ بها من لم تبلغه ﴿ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴾ تقرير لهم مع انكار واستبعاد ﴿ قل لا أشهد ﴾ بما تشهدون ﴿ قل انما هو اله واحد ﴾ أى بل أشهد أن لااله الا هو ﴿ واننى برىء مما تشركون ﴾ يعنى الاصنام ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه ﴾ يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة فى التوراة والانجيل ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ بحلاهم ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ من أهل الكتاب والمشركين ﴿ فهم لايؤمنون ﴾ لتضييعهم مابه يكتسب الايمان ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿ أوكذّب بآياته ﴾ كأن كذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر أو وهم وقد جمعوا بين الامرين تنبيها على أن كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس ﴿ انه ﴾ الضمير للشأن ﴿ لايفلح الظالمون ﴾ فضلا عمن لا أحد أظلم منه ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ منصوب بمضمر تهويلا للأمر ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم ﴾ أى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء ﴿ الذين كنتم تزعمون ﴾ أى تزعمونهم

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا
الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً
أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ
۞ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ ثُمَّ
لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۞ انْظُرْ
كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ
يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ۞ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا
يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞

شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ﴿ ثم لم يكن فتنتهم الا أن قالوا ﴾ أى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب أولانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم ونافع وأبوعمرو وأبوبكر عنه بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لاينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لايوافق قوله ﴿ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ أي بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله — يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم — وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء أوالمدح ﴿ وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الشركاء ﴿ ومنهم من يستمع اليك ﴾ حين تتلو القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر مايقول فقال والذى جعلها بيته ما أدرى ما يقول الا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدّثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لأرى حقا فقال أبو جهل كلا ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ أغطية جمع كنان وهومايستر الشئ ﴿ أن يفقهوه ﴾ كراهة أن يفقهوه ﴿ وفى آذانهم وقرا ﴾ يمنع من استماعه وقد مرّ تحقيق ذلك فى أول البقرة ﴿ وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم ﴿ حتى اذا جاؤك يجادلونك ﴾ أى بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التى تقع بعدها الجمل لاعمل لها والجملة اذا وجوابه وهو ﴿ يقول الذين كفروا ان هذا الاأساطير الأولين ﴾ فان جعل أصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز أن تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع أسطورة أو اسطارة أو اسطار جمع سطر وأصله السطر بمعنى الخط ﴿ وهم ينهون عنه ﴾ أى ينهون الناس عن القرآن أوالرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به ﴿ وينأون عنه ﴾ بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كأبي طالب ﴿ وان يهلكون ﴾ وما يهلكون بذلك ﴿ الا أنفسهم وما يشعرون ﴾ أن ضرره لايتعدّاهم الى غيرهم ﴿ ولوترى اذ وقفوا على النار ﴾ جوابه محذوف أى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها أو يطلعون عليها أويدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليها وقوفا ﴿ فقالوا ياليتنا نردّ ﴾ تمنيا للرجوع الى الدنيا ﴿ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود تركتنى أو لم تتركنى أوعطف على نردّ أوحال من الضمير فيه فيكون فى حكم التمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ماتضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار أن بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب

﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ الاضراب عن ارادة الايمان المفهومة من التمني والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أوقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على أنهم لو ردّوا لآمنوا ﴿ولو ردّوا﴾ أى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور ﴿لعادوا لما نهوا عنه﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما وعدوا به من أنفسهم ﴿وقالوا﴾ عطف على لعادوا أوعلى انهم لكاذبون أوعلى نهوا أواستئناف بذكر ما قالوه فى الدنيا ﴿ان هي الا حياتنا الدنيا﴾ الضمير للحياة ﴿وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أوجزائه أوعرفوه حق التعريف ﴿قال أليس هذا بالحق﴾ كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب ﴿قالوا بلى وربنا﴾ اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بسبب كفركم أو ببدله ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه ﴿حتى اذا جاءتهم الساعة﴾ غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له ﴿بغتة﴾ فجأة ونصبها على الحال أو المصدر فانها نوع من المجيء ﴿قالوا يا حسرتنا﴾ أى تعالى فهذا أوانك ﴿على مافرّطنا﴾ قصرنا ﴿فيها﴾ فى الحياة الدنيا أضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها أو فى الساعة يعني فى شأنها والايمان بها ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ بئس شيأ يزرونه وزرهم ﴿وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو﴾ أي وما أعمالها الا لعب ولهو يلهى الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ـ ان هي الا حياتنا الدنيا ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة ﴿أفلا يعقلون﴾ أىّ الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به أوتغليب الحاضرين على الغائبين ﴿قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون﴾ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما فى قوله

* ولكنه قد يهلك المال نائله * والهاء فى أنه للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن ﴿فانهم لا يكذبونك﴾ فى الحقيقة وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من أكذبه اذا وجده كاذبا أو نسبه الى الكذب ﴿ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أوجحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب * روى أن أبا جهل كان يقول مانكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ماجئتنا به فنزلت ﴿ولقد كذّبت رسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن قوله لا يكذبونك ليس لنفى تكذيبه مطلقا ﴿فصبروا على ما كذبوا وأوذوا﴾ على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ﴿ولا مبدّل لكلمات الله﴾ لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾ أى بعض قصصهم وما كابدوا من قومهم ﴿وان كان كبر عليك﴾ عظم وشقّ ﴿اعراضهم﴾ عنك وعن الايمان بما جئت به ﴿فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية﴾ منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية أو مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز أن يكونا متعلقين بتبتغى أوحالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لوقدر أن يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ أى ولو شاء الله جمعهم على الهدي لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة ﴿فلاتكونن من الجاهلين﴾ بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة

بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا
نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۞ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ
قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۞ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ
وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ قَدْ نَعْلَمُ
إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ
بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا
مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ۞
وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۞

﴿ انما يستجيب الذين يسمعون ﴾ انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل لقوله تعالى – أو ألقى السمع وهو شهيد – وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾ فيعلمهم حين لاينفعهم الايمان ﴿ ثم اليه يرجعون ﴾ للجزاء ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴾ أى آية مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ماأنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا ﴿ قل ان الله قادر على أن ينزل آية ﴾ مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل أو آية ان جحدوها هلكوا ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ أنّ الله قادر على انزالها وأن انزالها يستجلب عليهم البلاء وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ وما من دابة فى الارض ﴾ تدبّ على وجهها ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل ﴿ الا أمم أمثالكم ﴾ محفوظة أحوالها مقدّرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ﴿ مافرّطنا فى الكتاب من شئ ﴾ يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على مايجرى فى العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فانه قد دوّن فيه مايحتاج اليه من أمر الدين مفصلا أو مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لايتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ مافرطنا بالتخفيف ﴿ ثم الى ربهم يحشرون ﴾ يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حشرها موتها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا صمّ ﴾ لايسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم ﴿ وبكم ﴾ لاينطقون بالحق ﴿ فى الظلمات ﴾ خبر ثالث أى خابطون فى ظلمات الكفر أو فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون حالا من المستكن فى الخبر ﴿ من يشأ الله يضلله ﴾ من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ﴿ ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ بأن يرشده الى الهدى ويحمله عليه ﴿ قل أرأيتكم ﴾ استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع أرايتكم وأرايت وأرايتم وأفرايتم وأفرايت وشبهها اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها أصلا والباقون يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا ﴿ ان أتاكم عذاب الله ﴾ كما أتى من قبلكم ﴿ أو أتتكم الساعة ﴾ وهولها ويدل عليه ﴿ أغير الله تدعون ﴾ وهو تبكيت لهم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أن الاصنام آلهة وجوابه محذوف أى فادعوه ﴿ بل اياه تدعون ﴾ بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص ﴿ فيكشف ماتدعون اليه ﴾ أى ماتدعونه الى كشفه ﴿ ان شاء ﴾ أى يتفضل عليكم ولايشاء فى الآخرة ﴿ وتنسون ماتشركون ﴾ وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز فى العقول على أنه القادر على كشف الضرّ دون غيره أو وتنسونه من شدة الامر وهوله ﴿ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ﴾ أى قبلك ومن زائدة ﴿ فأخذناهم ﴾ أى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم ﴿ بالبأساء ﴾ بالشدة والفقر ﴿ والضرّاء ﴾ والضرّ والآفات وهما صيغتا تأنيث لامذكر لهما ﴿ لعلهم يتضرّعون ﴾ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم ﴿ فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ﴾ معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم أى لم يتضرعوا ﴿ ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم ﴿ فلما نسوا ماذكروا به ﴾ من البأساء والضراء ولم يتعظوا به ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شئ ﴾ من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة للعلة أو مكرا بهم لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى فى الاعراف ﴿ حتى اذا فرحوا ﴾ أعجبوا ﴿ بما أوتوا ﴾ من النعم ولم يزيدوا غير البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالى ﴿ أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ﴾ متحسرون آيسون

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ
عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ
فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم
مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ
وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ
إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ
۞ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۞

﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ أى آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا اذاتبعه ﴿والحمدلله رب العالمين﴾ على اهلاكهم فان هلاك الـكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها ﴿ قل أرأيتم ان أخذالله سمعكم وأبصاركم﴾ أصمكم وأعماكم ﴿وختم على قلوبكم﴾ بأن يغطى عليها مايزول به عقلكم وفهمكم ﴿ من اله غير الله يأتيكم به ﴾ أى بذلك أو بما أخذوختم عليه أو بأحدهذه المذكورات ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها ﴿ قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة ﴾ من غير مقدمة ﴿ أوجهرة ﴾ بتقدمة أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أونهارا وقرئ بغتة أوجهرة ﴿هل يهلك﴾ أى مايهلك به هلاك سخط وتعذيب ﴿ الاالقوم الظالمون﴾ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء ﴿ومانرسل المرسلين الامبشرين﴾ المؤمنين بالجنة ﴿ومنذرين﴾ الـكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم ﴿ فمن آمن وأصلح﴾ مايجب اصلاحه على ماشرع لهم ﴿ فلاخوف عليهم ﴾ من العذاب ﴿ولاهم يحزنون ﴾ بفوات الثواب ﴿ والذين كذبوابآياتنا يمسهم العذاب﴾ جعل العذاب ماسالهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة ﴿قل لاأقول لكم عندى خزائن الله﴾ مقدوراته أوخزائن رزقه ﴿ولا أعلم الغيب ﴾ مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ﴿ولاأقول لكم اني ملك﴾ أى من جنس الملائكة أوأقدر على مايقدرون عليه ﴿ان أتبع الامايوحى الى﴾ تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ مثل للضال والمهتدى أوالجاهل والعالم أومدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة ﴿ أفلاتتفكرون ﴾ فتهتدوا أوفتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أوفتعلموا أن اتباع الوحى مما لامحيص عنه ﴿ وأنذربه ﴾ الضمير لما يوحى الى ﴿الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم﴾ هم المؤمنون المفرطون في العمل أوالمجوزون للحشر مؤمنا كان أوكافرا مقرا به أومترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ﴿ ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع ﴾ فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة ﴿ لعلهم يتقون ﴾ لكى يتقوا ﴿ ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ بعد ماأمره بانذار غير المتقين ليتقوا أمره باكرام المتقين وتقريبهم وأن لايطردهم ترضية لقريش*روى أنهم قالوا لوطردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ماأنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذاجئناك قال نعم*وروى أن عمر رضى الله عنه قال له لوفعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف ﴿ يريدون وجهه ﴾ حال من يدعون أى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على أنه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ﴿ ماعليك من حسابهم من شئ ومامن حسابك عليهم من شئ ﴾ أي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله أعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لوآمنوا أوليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم اليك كما أن حسابك عليك لايتعداك اليهم وقيل ماعليك من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لاتؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه ﴿فتطردهم﴾ فتبعدهم وهوجواب النفى ﴿فتكون من الظالمين﴾ جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞
قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم
مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ
يَصْدِفُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً
أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ
ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ
ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا
مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ ۞ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
۞ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ
حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم
من بيننا أليس الله بأعلم بالشكرين ۞ وإذا جاءك
الذين يؤمنون بايتنا فقل سلم عليكم كتب ربكم على
نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهلة ثم تاب من بعده
وأصلح فانه غفور رحيم ۞ وكذلك نفصل الايت
ولتستبين سبيل المجرمين ۞ قل انى نهيت أن أعبد الذين
تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت
اذا وما أنا من المهتدين ۞ قل انى على بينة من ربى
وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا
لله يقص الحق وهو خير الفصلين ۞ قل لو أن
عندى ما تستعجلون به لقضى الأمر بينى وبينكم
والله أعلم بالظلمين ۞ وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمت الارض
ولا رطب ولا يابس الا فى كتب مبين ۞

﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا أى ابتلينا بعضهم ببعض فى أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق الى الايمان ﴿ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ أى أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لأن يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لوكان خيرا ماسبقونا اليه واللام للعاقبة أو للتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لايقع منه فيخذله ﴿واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ماوصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بان يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بأنهم الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولايطرد ويعز ولايذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يردّ عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت ﴿انه من عمل منكم سوأ﴾ استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها ﴿بجهالة﴾ فى موضع الحال أى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة مايتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما أشار اليه أوملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب مايؤدى الى الضرر من أفعال أهل السفه والجهل ﴿ثم تاب من بعده﴾ بعد العمل أو السوء ﴿وأصلح﴾ بالتدارك والعزم على أن لايعود اليه ﴿فانه غفور رحيم﴾ فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدا أو خبر أى فأمره أوفله غفرانه ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك التفصيل الواضح ﴿نفصل الآيات﴾ أى آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ﴿وليستبين سبيل المجرمين﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يامحمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بمايحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معني ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أى نفصل الآيات ليظهر الحق وليستبين ﴿قل اني نهيت﴾ صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وأنزل علىّ من الآيات في أمر التوحيد ﴿أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ عن عبادة ماتعبدون من دون الله أوماتدعونها آلهة أى تسمونها ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ تأكيد لقطع أطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وأن ماهم عليه هوي وليس بهدي وتنبيه لمن تحرّي الحق على أن يتبع الحجة ولايقلد ﴿قدضللت اذا﴾ أى ان اتبعت أهواءكم فقد ضللت ﴿وماأنا من المهتدين﴾ أى فى شئ من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك ﴿قل اني على بينة﴾ تنبيه على مايجب اتباعه بعد مابين مالا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى أوالحجج العقلية أومايعمها ﴿من ربى﴾ من معرفته وأنه لامعبود سواه ويجوز أن يكون صفة لبينة ﴿وكذبتم به﴾ الضمير لربي أى كذبتم به حيث أشركتم به غيره أوللبينة باعتبار المعني ﴿ماعندي ماتستعجلون به﴾ يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فأمطرنا علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴿ان الحكم الا لله﴾ فى تعجيل العذاب وتأخيره ﴿يقضى الحق﴾ أى القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الامر وأصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر أومن قص الخبر ﴿وهو خير الفاصلين﴾ القاضين ﴿قل لو أن عندى﴾ أى فى قدرتي ومكنتى ﴿ماتستعجلون به﴾ من العذاب ﴿لقضى الامر بينى وبينكم﴾ لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع مابيني وبينكم ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ في معني الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو أعلم بمن ينبغى أن يؤخذ وبمن ينبغى أن يمهل منهم ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أومايتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذى هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها ﴿لايعلمها الاهو﴾ فيعلم أوقاتها ومافى تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على مااقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ﴿ويعلم مافى البر والبحر﴾ عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به ﴿وما تسقط من ورقة الا يعلمها﴾ مبالغة فى احاطة علمه بالجزئيات ﴿ولاحبة فى ظلمات الارض ولارطب ولايابس﴾ معطوفات على ورقة وقوله ﴿الا فى كتاب مبين﴾ بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على أن الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى أوبدل الاشتمال ان أريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل ورقة أورفعا على الابتداء والخبر الافى كتاب مبين

﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ﴾ ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفى من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة فى زوال الاحساس والتميز فان أصله قبض الشئ بتمامه ﴿ ويعلم ماجرحتم بالنهار ﴾ كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ﴿ ثم يبعثكم ﴾ يوقظكم أطلق البعث ترشيحا للتوفي ﴿فيه﴾ فى النهار ﴿ليقضي أجل مسمى﴾ ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له فى الدنيا ﴿ ثم اليه مرجعكم﴾ بالموت ﴿ ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وأنه سبحانه وتعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن المكلف اذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان أزجر عن المعاصى وأن العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه ﴿ حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ﴾ ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بالالف ممالة ﴿وهم لا يفرطون﴾ بالتوانى والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ماحد لهم بزيادة أو نقصان ﴿ ثم ردوا الى الله ﴾ الى حكمه وجزائه ﴿مولاهم﴾ الذى يتولى أمرهم ﴿الحق﴾ العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح ﴿ ألا له الحكم﴾ يومئذ لا حكم لغيره فيه ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾ من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف فى البر والغرق فى البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ تدعونه تضرعا وخفية ﴾ معلنين ومسرين أو اعلانا واسرارا وقرأ أبو بكر هنا وفى الاعراف وخفية بالكسر وقرئ خيفة ﴿ لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ على ارادة القول أى تقولون لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة ﴿قل الله ينجيكم منها﴾ شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ﴿ ومن كل كرب ﴾ غم سواها ﴿ ثم أنتم تشركون﴾ تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشركون تنبيها على أن من أشرك فى عبادة الله سبحانه وتعالى فكانه لم يعبده رأسا ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل ﴿ أو من تحت أرجلكم﴾ كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم ﴿ أو يلبسكم ﴾ يخلطكم ﴿ شيعا﴾ فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ يقاتل بعضكم بعضا ﴿أنظر كيف نصرف الآيات﴾ بالوعد والوعيد ﴿لعلهم يفقهون وكذب به قومك﴾ أى بالعذاب أو بالقرآن ﴿وهو الحق﴾ الواقع لا محالة أو الصدق ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ وكل الى أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم انما أنا منذر والله الحفيظ ﴿ لكل نبأ ﴾ خبر يريد به اما بالعذاب أو الايعاد به ﴿ مستقر ﴾ وقت استقرار ووقوع ﴿ وسوف تعلمون ﴾ عند وقوعه في الدنيا والآخرة ﴿ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها ﴿ فأعرض عنهم ﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم ﴿حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ أعاد الضمير على معني الآيات لانها القرآن ﴿واما ينسينك الشيطان﴾ بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ بعد أن تذكره ﴿مع القوم الظالمين﴾ أي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام

وهو الذى يتوفيكم باليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم
فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
۞ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ۞ ثم
ردوا الى الله موليهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين
۞ قل من ينجيكم من ظلمت البر والبحر تدعونه تضرعا
وخفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشكرين ۞ قل الله
ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ۞ قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت
ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر
كيف نصرف الايت لعلهم يفقهون ۞ وكذب به قومك
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل ۞ لكل نبإ مستقر
وسوف تعلمون ۞ واذا رأيت الذين يخوضون فى ايتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك
الشيطن فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظلمين ۞

وما

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا
وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا
كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ
تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ۞ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا
يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي
اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ
وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۞

﴿وماعلى الذين يتقون﴾ ومايلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم ﴿من حسابهم من شئ﴾ شئ مما يحاسبون عليه ﴿ولكن ذكرى﴾ ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكري ولايجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولاعلى شئ لذلك ولان من لاتزاد في الاثبات ﴿لعلهم يتقون﴾ يجتنبون ذلك حياء أوكراهة لمساءتهم ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولاتنثلم بمجالستهم *روى أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام ونطوف فنزلت ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا﴾ أي بنوا أمر دينهم على التشهي وتدينوا بمالايعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب أواتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به أوجعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى أعرض عنهم ولاتبال بافعالهم وأقوالهم ويجوز أن يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ حتى أنكروا البعث ﴿وذكر به﴾ أي بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ مخافة أن تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها وأصل الابسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لان فريسته لاتفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أى حرام ﴿ليس لها من دون الله ولى ولاشفيع﴾ يدفع عنها العذاب ﴿وان تعدل كل عدل﴾ وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية ﴿لايؤخذ منها﴾ الفعل مسند الى منها لاالى ضميره بخلاف قوله ولايؤخذ منها عدل فانه المفدى به ﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾ أى سلموا الى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة ﴿لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾ تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم ﴿قل أندعو﴾ أنعبد ﴿من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا﴾ مالا يقدر على نفعنا وضرنا ﴿ونرد على أعقابنا﴾ ونرجع الى الشرك ﴿بعد اذهدانا الله﴾ فانقذنا منه ورزقنا الاسلام ﴿كالذى استهوته الشياطين﴾ كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوي يهوى هويا اذاذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذى استهوته أوعلى المصدر أى ردا مثل رد الذى استهوته ﴿في الارض حيران﴾ متحيرا ضالا عن الطريق ﴿له أصحاب﴾ لهذا المستهوي رفقة ﴿يدعونه الى الهدى﴾ الى أن يهدوه الطريق المستقيم أوالى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ﴿ائتنا﴾ يقولون له ائتنا ﴿قل ان هدى الله﴾ الذى هو الاسلام ﴿هو الهدى﴾ وحده وماعداه ضلال ﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر أى أمرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة ﴿وأن أقيموا الصلاة واتقوه﴾ عطف على لنسلم أى للاسلام ولاقامة الصلاة أوعلى موقعه كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا الصلاة *روى أن عبد الرحمن بن أبى بكر دعا أباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق رضى الله تعالى عنه تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما ﴿وهو الذى اليه تحشرون﴾ يوم القيامة ﴿وهو الذى خلق السموات والارض بالحق﴾ قائما بالحق والحكمة ﴿ويوم يقول كن فيكون قوله الحق﴾ جملة اسمية قدم فيها الخبر أى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى أنه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات أوالهاء في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أوفاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها أوحين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي هو عالم الغيب ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ كالفذلكة للآية

﴿ واذ قال ابراهيم لأبيه آزر ﴾ هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ أن اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ أوالمعوج ولعلمنع صرفه لانه أعجمى حمل على موازنه أونعت مشتق من الازر أوالوزر والاقرب أنه علم أعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته أوأطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره مابعده أى أتعبد آزر ثم قال ﴿ أتتخذ أصناما آلهة ﴾ تفسيرا وتقريرا ويدل عليه أنه قرئ أأزرا تتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على أنه علم ﴿ انى أراك وقومك في ضلال ﴾ عن الحق ﴿ مبين ﴾ ظاهر الضلالة ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ﴾ ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ﴿ ملكوت السموات والارض ﴾ ربوبيتها وملكها وقيل عجائبهما وبدائعها والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ أى ليستدل وليكون أو وفعلنا ذلك ليكون ﴿ فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ﴾ تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نرى اعتراض فان أباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجنّ عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أوالمشترى وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد أوعلى وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته أوأول أوان بلوغه ﴿ فلما أفل ﴾ أى غاب ﴿ قال لا أحبّ الآفلين ﴾ فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافي الالوهية ﴿ فلما رأى القمر بازغا ﴾ مبتدئا في الطلوع ﴿ قل هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾ استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لايهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على أن القمر أيضا لتغير حاله لايصلح للالوهية وأن من اتخذه الها فهو ضال ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ﴾ ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للربّ عن شبهة التأنيث ﴿ هذا أكبر ﴾ كبره استدلالا أواظهارا لشبهة الخصم ﴿ فلما أفلت قال ياقوم اني برىء مما تشركون ﴾ من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدئها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال ﴿ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ وانما احتجّ بالافول دون البزوغ مع أنه أيضا انتقال لتعدد دلالاته ولانه رأى الكوكب الذى يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال ﴿ وحاجه قومه ﴾ وخاصموه فى التوحيد ﴿ قال أتحاجونى فى الله ﴾ فى وحدانيته سبحانه وتعالى وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون ﴿ وقد هدان ﴾ الى توحيده ﴿ ولا أخاف ما تشركون به ﴾ أى لا أخاف معبوداتكم في وقت لانها لاتضر بنفسها ولاتنفع ﴿ الا أن يشاء ربي شيأ ﴾ أن يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله ﴿ وسع ربي كل شئ علما ﴾ كأنه علة الاستثناء أى أحاط به علما فلايبعد أن يكون في علمه أن يحيق بى مكروه من جهتها ﴿ أفلاتتذكرون ﴾ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ ولا يتعلق به ضر ﴿ ولاتخافون أنكم أشركتم بالله ﴾ وهوحقيق بأن يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ﴿ ما لم ينزل به عليكم سلطانا ﴾ ما لم ينزل باشراكه كتابا أولم ينصب عليه دليلا ﴿ فأىّ الفريقين أحق بالامن ﴾ أى الموحدون أوالمشركون وانما لم يقل أينا أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ مايحق أن يخاف منه

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ
أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ
مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۞
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ
قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۞ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى
هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
۞ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى
فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞
وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم
بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ
ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
مُهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ
وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ
وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَمِنْ آبَائِهِمْ
وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ۝ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا
هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ۝
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ۝

﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون ﴾ استئناف منه أومن الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ماتظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به أن يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية ﴿ وتلك ﴾ اشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون أومن قوله أتحاجونى اليه ﴿ حجتنا آتيناها ابراهيم ﴾ أرشدناه اليها أو علمناه اياها ﴿ على قومه ﴾ متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله أى آتيناها ابراهيم حجة على قومه ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ﴿ ان ربك حكيم ﴾ فى رفعه وخفضه ﴿ عليم ﴾ بحال من يرفعه واستعداده له ﴿ ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ﴾ أى كلا منهما ﴿ ونوحا هدينا من قبل ﴾ من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه أبوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ﴿ ومن ذريته ﴾ الضمير لابراهيم عليه الصلاة والسلام اذ الكلام فيه وقيل لنوح عليه السلام لانه أقرب ولأن يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتى بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا ﴿ داود وسليمان وأيوب ﴾ أيوب بن أموص من أسباط عيص بن اسحق ﴿ ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ﴾ أي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة أولاده والنبوة فيهم ﴿ وزكريا ويحيي وعيسى ﴾ هو ابن مريم وفى ذكره دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿ والياس ﴾ قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الآية الاولى وقيل هو من أسباط هرون أخى موسى ﴿ كل من الصالحين ﴾ الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لاينبغى ﴿ واسمعيل واليسع ﴾ هو اليسع بن أخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين هو علم أعجمى أدخل عليه اللام كما أدخل على اليزيد في قوله

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * شديدا بأعباء الخلافة كاهله

﴿ ويونس ﴾ هو يونس بن متى ﴿ ولوطا ﴾ هو ابن هاران أخى ابراهيم ﴿ وكلا فضلنا على العالمين ﴾ بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ﴾ عطف على كلا أونوحا أى فضلنا كلا منهم أوهدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا ﴿ واجتبيناهم ﴾ عطف على فضلنا أوهدينا ﴿ وهديناهم الى صراط مستقيم ﴾ تكرير لبيان ماهدوا اليه ﴿ ذلك هدى الله ﴾ اشارة الى ما دانوا به ﴿ يهدى به من يشاء من عباده ﴾ دليل على أنه متفضل عليهم بالهداية ﴿ ولوأشركوا ﴾ أى ولو أشرك هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم ﴿ لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ لكانوا كغيرهم فى حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها ﴿ أولئك الذين آتيناهم الكتاب ﴾ يريد به الجنس ﴿ والحكم ﴾ الحكمة أوفصل الامر على مايقتضيه الحق ﴿ والنبوة ﴾ والرسالة ﴿ فان يكفر بها ﴾ أى بهذه الثلاثة ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى قريشا ﴿ فقد وكلنا بها ﴾ أى بمراعاتها ﴿ قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار أوأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوكل من آمن به أوالفرس وقيل الملائكة ﴿ أولئك الذين هدى الله ﴾ يريد الانبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ماتوافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن أثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم أجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائى وأشبعها بالكسر ابن عامر برواية ابن ذكوان على أنها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام ﴿ قل لا أسألكم عليه ﴾ أى على التبليغ أو القرآن ﴿ أجرا ﴾ جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما أمر بالاقتداء بهم فيه ﴿ ان هو ﴾ أى التبليغ أو القرآن أو الغرض ﴿ الا ذكرى للعالمين ﴾ الا تذكيرا وموعظة لهم

﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ وماعرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد ﴿ اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ﴾ حين أنكروا الوحى وبعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته أوفى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ﴾ وقراءة الجمهور ﴿ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ﴾ بالتاء وانماقرأ بالياءابن كثير وأبو عمرو حملاعلى قالوا وماقدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لايشتهونه * وروى أن مالك بن الصيف قاله لما أغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين قال نعم ان الله يبغض الحبر السمين قال عليه الصلاة والسلام فأنت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لوأنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴿ وعلمتم ﴾ على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ زيادة على مافى التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش ﴿ قل الله ﴾ أى أنزله الله أو الله أنزله أمره بأن يجيب عنهم اشعارا بأن الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على أنهم بهتوا بحيث انهم لايقدرون على الجواب ﴿ ثم ذرهم فى خوضهم ﴾ في أباطيلهم فلاعليك بعد التبليغ والزام الحجة ﴿ يلعبون ﴾ حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم أويلعبون أوحال من مفعوله أو فاعل يلعبون أومن هم الثانى والظرف متصل بالاول ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴾ كثير الفائدة والنفع ﴿ مصدق الذى بين يديه ﴾ يعني التوراة أوالكتب التى قبله ﴿ ولتنذر أم القرى ﴾ عطف على مادل عليه مبارك أى للبركات ولتنذر أوعلة لمحذوف أى ولتنذر أهل أم القرى أنزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة أهل القرى ومحجهم ومجتمعهم وأعظم القرى شأنا وقيل لأن الارض دحيت من تحتها أولانها مكان أول بيت وضع للناس وقرأ أبوبكر عن عاصم بالياء أى ولينذر الكتاب ﴿ ومن حولها ﴾ أهل الشرق والغرب ﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ﴾ فان من صدّق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانهاعماد الدين وعلم الايمان ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فزعم أنه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسى أواختلق عليه أحكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه ﴿ أوقال أوحى الىّ ولم يوح اليه شئ ﴾ كعبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ـ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ـ فلما بلغ قوله ـ ثم أنشأناه خلقا آخر ـ قال عبد الله ـ فتبارك الله أحسن الخالقين ـ تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبدالله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى الىّ كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ﴿ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ ولوترى اذ الظالمون ﴾ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أى ولوترى الظالمين ﴿ في غمرات الموت ﴾ شدائده من غمره الماء اذا غشيه ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ بقبض أرواحهم كالمتقاضى الملظ أوبالعذاب ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ أى يقولون لهم أخرجوها الينا من أجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم أوأخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا ﴿ اليوم ﴾ يريدون وقت الامانة أوالوقت الممتد من الامانة الى مالانهاية له ﴿ تجزون عذاب الهون ﴾ أى الهوان يريدون العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه ﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوّة والوحى كاذبا ﴿ وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ﴿ ولقد جئتمونا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ فرادى ﴾ منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أوعن الأعوان والأوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والألف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ بدل منه أى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد أوحال ثانية ان جوز التعدد فيها أوحال من الضمير في فرادى أى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما أوصفة مصدر جئتمونا أى مجيئا كما خلقناكم ﴿ وتركتم ما خوّلناكم ﴾ ماتفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة ﴿ وراء ظهوركم ﴾ ماقدمتم منه شيأ ولم تحتملوا نقيرا ﴿ ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ أي شركاء لله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ أى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف أسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ماقبله عليه أوأقيم مقام موصوفه وأصله لقد تقطع ماببنكم وقد قرئ به ﴿ وضلّ عنكم ﴾ ضاع وبطل ﴿ ماكنتم تزعمون ﴾ أنها شفعاؤكم أو أن لا بعث ولاجزاء

وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ اِذْ قَالُوا مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ عَلٰى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ
قُلْ مَنْ اَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذٖى جَاءَ بِهٖ مُوسٰى نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطٖيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثٖيرًا وَعُلِّمْتُمْ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا اَنْتُمْ وَلَا اٰبَاؤُكُمْ قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فٖى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ
۞ وَهٰذَا كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذٖى بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلِتُنْذِرَ اُمَّ الْقُرٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذٖينَ يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِهٖ وَهُمْ عَلٰى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ اُوحِىَ اِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ اِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ
قَالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَوْ تَرٰى اِذِ الظَّالِمُونَ
فٖى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَاسِطُوا اَيْدٖيهِمْ اَخْرِجُوا اَنْفُسَكُمُ
اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنْتُمْ عَنْ اٰيَاتِهٖ تَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادٰى
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ
وَمَا نَرٰى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذٖينَ زَعَمْتُمْ اَنَّهُمْ فٖيكُمْ شُرَكٰٓؤُا
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞

﴿ان الله فالق الحب والنوى﴾ بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة ﴿يخرج الحى﴾ يريد به ماينمو من الحيوان والنبات ليطابق ماقبله ﴿من الميت﴾ مما لاينمو كالنطف والحب ﴿ومخرج الميت من الحى﴾ ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ﴿ذلكم الله﴾ أى ذلكم المحيي المميت هو الذى يحق له العبادة ﴿فأنى تؤفكون﴾ تصرفون عنه الى غيره ﴿فالق الاصباح﴾ شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أوعن بياض النهار أوشاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر أصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق الاصباح بالنصب على المدح ﴿وجاعل الليل سكنا﴾ يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به أويسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فانه فى معني الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيون وجعل الليل حملا على معني المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به أوبه على أن المرادمنه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوزأن يكون ﴿والشمس والقمر﴾ عطفا على محل الليل ويشهدله قراءتهما بالجروالاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى مجعولان ﴿حسبانا﴾ أى على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كماأن الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ﴿ذلك﴾ اشارة الى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تقدير العزيز﴾ الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص ﴿العليم﴾ بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما ﴿وهو الذى جعل لكم النجوم﴾ خلقها لكم ﴿لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر﴾ في ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة أو فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما أجملها

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ
مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ
سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ
۞ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ
ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ
أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ
حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ
وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ۞ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ
تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞

بقوله لكم ﴿قد فصلنا الآيات﴾ بيناها فصلا فصلا ﴿لقوم يعلمون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة﴾ هو آدم عليه الصلاة والسلام ﴿فمستقر ومستودع﴾ أى فلكم استقرار فى الاصلاب أو فوق الارض واستيداع في الارحام أو تحت الارض أوموضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول أى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿فأخرجنا﴾ على تلوين الخطاب ﴿به﴾ بالماء ﴿نبات كل شئ﴾ نبت كل صنف من النبات والمعني اظهار القدرة فى انبات الانواع المختلفة المفننة المسقية بماء واحد كما في قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ﴿فاخرجنا منه﴾ من النبات أو الماء ﴿خضرا﴾ شيأ أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب ﴿نخرج منه﴾ من الخضر ﴿حبامتراكبا﴾ وهو السنبل ﴿ومن النخل من طلعها قنوان﴾ أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان أو من النخل شئ من طلعها قنوان ويجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على أنه اسم جمع اذ ليس فعلان من أبنية الجمع ﴿دانية﴾ قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها ﴿وجنات من أعناب﴾ عطف على نبات كل شئ وقرأ نافع بالرفع على الابتداء أى ولكم أوثم جنات أومن الكرم جنات ولايجوز عطفه على قنوان اذ العنب لايخرج من النخل ﴿والزيتون والرمان﴾ أيضا عطف على نبات أونصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم ﴿مشتبهاوغير متشابه﴾ حال من الرمان أو من الجميع أى بعض ذلك متشابه وبعضه غيرمتشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم ﴿انظروا الى ثمره﴾ أى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب ﴿اذا أثمر﴾ اذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به ﴿وينعه﴾ والى حال نضجه أوالى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ﴿ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ أى لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من أصل واحد ونقلها من حال الى حال لايكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ماتقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها ولايعوقه عن فعله ند يعارضه أوضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ أى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم أوالشياطين لانهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كماهو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أوشركاء الجن ولله متعلق بشركاء أوحال منه وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن والجن بالجر على الاضافة للتبيين ﴿وخلقهم﴾ حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لايخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن أي ومايخلقونه من الاصنام أوعلى شركاء أى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه ﴿وخرقوا له﴾ افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا أى وزوروا ﴿بنين وبنات﴾ فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله ﴿بغير علم﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ماقالوه ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو أو المصدر أي خرقا بغير علم ﴿سبحانه وتعالى عمايصفون﴾ وهو أن له شريكا أو ولدا ﴿بديع السموات والارض﴾ من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أوالى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف أوعلى الابتداء وخبره ﴿أني يكون له ولد﴾ أى من أين أوكيف يكون له ولد ﴿ولم تكن له صاحبة﴾ يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل أو لان الاسم ضمير الله أوضمير الشان ﴿وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم﴾ لاتخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفى الولد من وجوه الاول أنه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع أنها من جنس مايوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارهاوطول مدتها فهو أولى بأن يتعالى عنها أو ان

ولد الشئ نظيره ولانظير له فلا ولد والثاني أن المعقول من الولد مايتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة والثالث أن الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول أن كل ماعداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى أنه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ﴿ذلكم﴾ اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهومبتدأ ﴿الله ربكم لااله الاهو خالق كل شئ﴾ أخبار مترادفة ويجوز أن يكون البعض بدلا أوصفة والبعض خبرا ﴿فاعبدوه﴾ حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة ﴿وهو على كل شئ وكيل﴾ أي وهو مع تلك الصفات متولى أموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على أعمالكم فيجازيكم عليها ﴿لاتدركه﴾ أى لاتحيط به ﴿الابصار﴾ جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف اذ ليس الادراك مطلق الرؤية ولاالنفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولافى الاشخاص فانه فى قوّة قولنا لاكل بصر يدركه مع أن النفى لايوجب الامتناع ﴿وهو يدرك الابصار﴾ يحيط علمه بها ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ فيدرك مالاتدركه الابصار كالابصار ويجوز أن يكون من باب اللف أى لاتدركه الابصار لانه اللطيف وهويدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لايدرك بالحاسة ولاينطبع فيها ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به ﴿فمن أبصر﴾ أى أبصر الحق وآمن به ﴿فلنفسه﴾ أبصر لان نفعه لها ﴿ومن عمى﴾ عن الحق وضل ﴿فعليها﴾ وباله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ وانما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هوالحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعني الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال ﴿وليقولوا درست﴾ أى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثيروأبو عمرو دارست أى دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس أى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أوعفيت ودارست بمعنى درست أودارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن أى عفون ودرس أى درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات أى قديمات أو ذوات درس كقوله تعالى فى عيشة راضية ﴿ولنبينه﴾ اللام على أصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما أوللمصدر ﴿لقوم يعلمون﴾ فانهم المنتفعون به ﴿اتبع ماأوحى اليك من ربك﴾ بالتدين به ﴿لااله الاهو﴾ اعتراض أكد به ايجاب الاتباع أوحال مؤكدة من ربك بمعني منفردا فى الالوهية ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولاتحتفل باقوالهم ولاتلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على مايعم الكف عنهم ﴿ولو شاء الله﴾ توحيدهم وعدم اشراكهم ﴿ما أشركوا﴾ وهو دليل على أنه سبحانه وتعالى لايريد ايمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع ﴿وما جعلناك عليهم حفيظا﴾ رقيبا ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تقوم بامورهم ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ أى ولا تذكروا آلهتهم التى يعبدونها بما فيها من القبائح ﴿فيسبوا الله عدوا﴾ تجاوزا عن الحق الى الباطل ﴿بغير علم﴾ على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب أن يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوّا وعداء وعدوانا * روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يطعن فى آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على أن الطاعة اذا أدت الى معصية راجحة وجب تركها فان مايؤدى الى الشر شر ﴿كذلك زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر باحداث مايمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ﴿ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ مصدر فى موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله عليه وسلم فى طلب الآيات واستحقار مارأوا منها ﴿لئن جاءتهم آية﴾ من مقترحاتهم ﴿ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله﴾ هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتى وارادتي ﴿ومايشعركم﴾ وما يدريكم استفهام انكار ﴿أنها﴾ أى ان الآية المقترحة ﴿اذا جاءت لايؤمنون﴾ أى لاتدرون أنهم لايؤمنون أنكر السبب مبالغة فى نفى المسبب وفيه تنبيه على أنه سبحانه وتعالى انما لم ينزلها لعلمه بأنها اذا جاءت لايؤمنون بها وقيل لامزيدة وقيل أن بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وأبو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال ومايشعركم مايكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا فى ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لاتؤمنون بالتاء وقرئ ومايشعرهم أنها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم أى ومايشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ عطف على لايؤمنون أى ومايشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلايفقهونه وأبصارهم فلايبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كما لم يؤمنوا به﴾ أى بما أنزل من الآيات ﴿أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ وندعهم متحيرين لانهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو
على كل شئ وكيل ۞ لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير ۞ قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ
۞ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه
لقوم يعلمون ۞ اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو
واعرض عن المشركين ۞ ولو شاء الله ما اشركوا وما
جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ۞ ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير
علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم
فينبئهم بما كانوا يعملون ۞ واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند
الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ۞
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به
اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ۞

ولو

(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا) كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء بما بشروا به وأنذروا به أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه (ما كانوا ليؤمنوا) لما سبق عليهم القضاء بالكفر (الا أن يشاء الله) استثناء من أعم الاحوال أى لايؤمنون فى حال من الاحوال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة (ولكن أكثرهم يجهلون) أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لايشعرون ولذلك أسند الجهل الى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لايؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّا) أى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقه (شياطين الانس والجنّ) مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولى جعلنا وعدوا منعوله الثاني ولكل متعلق به أو حل منه (يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس أو بعض الجنّ الى بعض وبعض الانس الى بعض (زخرف القول) الأباطيل المموّهة منه من زخرفه اذا زينه (غرورا) مفعول له أو مصدر فى موقع الحال (ولوشاء ربك) ايمانهم (مافعلوه) أي مافعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وايحاء الزخارف ويجوز أن يكون الضمير للايحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة (فذرهم ومايفترون) وكفرهم (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) عطف على غرورا ان جعل علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتٰى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۞ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلٰى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغٰى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ۞ أَفَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتٰبَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنٰهُمُ الْكِتٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيٰتِهِ مُؤْمِنِينَ ۞

الفعل بالنون أو لام الأمر وضعفه أظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا (ما هم مقترفون) من الآثام (أفغير الله أبتغى حكما) على ارادة القول أي قل لهم يامحمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول أبتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لايوصف به غير العادل (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) القرآن المعجز (مفصلا) مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) تأييد لدلالة الاعجاز على أن القرآن حق منزل من عند الله سبحانه وتعالى يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد (فلاتكونن من الممترين) فى أنهم يعلمون ذلك أو فى أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ـ ولاتكونن من المشركين ـ أو خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل أحد على معنى أن الادلة لما تعاضدت على صحته فلاينبغى لاحد أن يمتري فيه (وتمت كلمات ربك) بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده (صدقا) فى الاخبار والمواعيد (وعدلا) فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له (لامبدل لكلماته) لا أحد يبدل شيأ منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرّفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على أن المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله سبحانه وتعالى بالحفظ كقوله ـ وانا له لحافظون ـ أو لانبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدّل أحكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أي ماتكلم به أو القرآن (وهو السميع) لما يقولون (العليم) بما يضمرون فلايهملهم (وان تطع أكثر من فى الارض) أى أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو أتباع الهوى وقيل الارض أرض مكة (يضلوك عن سبيل الله) عن الطريق الموصل اليه فان الضالّ فى غالب الامر لايأمر الا بما فيه ضلال (ان يتبعون الا الظنّ) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق أو جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على مايقابل العلم (وان هم الا يخرصون) يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون أنهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين (ان ربك هو أعلم من يضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي أعلم بالفريقين ومن موصولة أو موصوفة فى محل النصب بفعل دل عليه أعلم لا به فان أفعل لاينصب الظاهر في مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل أي يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدّر أو مجرورة باضافة أعلم اليه أى أعلم المضلين من قوله تعالى ـ من يضلل الله ـ أو من أضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرّمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه (ان كنتم بآياته مؤمنين) فان الايمان بها يقتضى استباحة ما أحله الله سبحانه وتعالى واجتناب ماحرّمه

﴿ومالـكم ألاتأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وأي غرض لـكم في أن تتحرجوا عن أكله ومايمنعكم عنه ﴿وقدفصل لـكم ماحرم عليكم﴾ مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل ﴿الاما اضطررتم اليه﴾ مما حرم عليكم فانه أيضا حلال حال الضرورة ﴿وان كثيرا ليضلون﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الـكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح ﴿بأهوائهم بغير علم﴾ بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ﴿ان ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ بالمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ مايعلن ومايسر أومابالجوارح ومابالقلب وقيـل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ﴿ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يكتسبون ﴿ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا أونسيانا واليه ذهب داود وعن أحمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق أبوحنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان وأوله بالميتة أوبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله ﴿وانه لفسق﴾ فان الفسق ما أهل لغير الله به والضمير لما ويجوز أن يكون للاكل الذى دل عليه لاتأكلوا ﴿وان الشياطين ليوحون﴾ ليوسوسون ﴿الى أوليائهم﴾ من الـكفار ﴿ليجادلوكم﴾ بقولهم تأكلون ماقتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ماقتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة ﴿وان أطعتموهم﴾ في استحلال ماحرم ﴿انـكم لمشركون﴾ فان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك وانما حسن حذف الفاء فيـه لان الشرط بلفظ الماضى ﴿أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس﴾ مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل ﴿كمن مثله﴾ صفته وهو مبتدأ خبره ﴿في الظلمات﴾ وقوله ﴿ليس بخارج منها﴾ حال من المستـكن في الظرف لامن الهاء في مثله للفصل وهو مثـل لمن بقي على الضـلالة لايفارقها بحال ﴿كذلك﴾ كما زين للمؤمنين ايمانهم ﴿زين للـكافرين ما كانوا يعملون﴾ والآية نزلت في حمزة وأبي جهل وقيل في عمر أوعمار وأبي جهل ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمـكروا فيها﴾ أى كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمـكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمـكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى أوفي كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافا اليـه ان فسر الجعل بالتمـكين وأفعل التفضيل اذا أضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم أقوى على استتباع الناس والمـكر بهم ﴿ومايمكرون الابانفسهم﴾ لان وباله يحيق بهم ﴿ومايشعرون﴾ ذلك ﴿واذاجاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثـل ماأوتى رسل الله﴾ يعني كفار قريش لما روى ان أباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف في الشرف حتى اذاصرنا كفرسى رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لانرضى به الاأن يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾ استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالاته من علم انه يصلح لها وهو أعلم بالمـكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالتـه ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار﴾ ذل وحقارة بعد كبرهم ﴿عند الله﴾ يوم القيامة وقيل تقديره من عنـد الله ﴿وعـذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ بسبب مكرهم أوجزاء على مكرهم

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ
بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۞ وَذَرُوا
ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ
بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ۞ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ
عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ
لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ۞ أَوَمَنْ
كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا
كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ
إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا
لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۞

﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان ﴿يشرح صدره للاسلام﴾ فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه أشار عليه أفضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله سبحانه وتعالى فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا﴾ بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر أى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر ﴿كأنما يصعد فى السماء﴾ شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول مالايقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على أن الايمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء نبوّا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبوبكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد ﴿كذلك﴾ أى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق ﴿يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون﴾ يجعل العذاب أوالخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل ﴿وهذا﴾ اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن أوالى الاسلام أوماسبق من التوفيق والخذلان ﴿صراط ربك﴾ الطريق الذى ارتضاه أو عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته ﴿مستقيما﴾ لاعوج فيه أوعادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أومقيدة والعامل فيها معنى الاشارة ﴿قدفصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ فيعلمون أن القادر هو الله سبحانه وتعالى وان كل مايحدث من خير أوشر فهو بقضائه وخلقه وأنه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم ﴿لهم دار السلام﴾ دار الله أضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها أودار السلامة من المكاره أودار تحيتهم فيها سلام ﴿عند ربهم﴾ فى ضمانه أوذخيرة لهم عنده لايعلم كنهها غيره ﴿وهو وليهم﴾ مواليهم أوناصرهم

فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ اَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِۚ
وَمَنْ يُرِدْ اَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَاَنَّمَا
يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاۤءِۜ كَذٰلِكَ يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَهٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۜ قَدْ فَصَّلْنَا
الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًاۚ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْاِنْسِۚ وَقَالَ
اَوْلِيَاۤؤُهُمْ مِنَ الْاِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا
اَجَلَنَا الَّذِي اَجَّلْتَ لَنَاۜ قَالَ النَّارُ مَثْوٰيكُمْ خَالِدِينَ
فِيهَا اِلَّا مَا شَاۤءَ اللّٰهُۜ اِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذٰلِكَ
نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اَلَمْ يَاْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ
عَلَيْكُمْ اٰيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاۤءَ يَوْمِكُمْ هٰذَاۜ قَالُوا
شَهِدْنَا عَلٰى اَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞

﴿بما كانوا يعملون﴾ بسبب أعمالهم أومتوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ نصب باضمارا ذكر أونقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء ﴿يامعشر الجن﴾ يعنى الشياطين ﴿قد استكثرتم من الانس﴾ أى من اغوائهم واضلالهم أومنهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثرالامير من الجنود ﴿وقال أولياؤهم من الانس﴾ الذين أطاعوهم ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات ومايتوصل به اليها والجن بالانس بان أطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم ﴿وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا﴾ أى البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم ﴿قال النارمثواكم﴾ منزلكم أوذات مثواكم ﴿خالدين فيها﴾ حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا ﴿الاماشاء الله﴾ الاالاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الاماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم أبدا الاما أمهلكم ﴿ان ربك حكيم﴾ فى أفعاله ﴿عليم﴾ باعمال الثقلين وأحوالهم ﴿وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا﴾ نكل بعضهم الى بعض أونجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أولياء بعض وقرناءهم فى العذاب كما كانوا فى الدنيا ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفروالمعاصى ﴿يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم﴾ الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن فى الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين ﴿يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ يعنى يوم القيامة ﴿قالوا﴾ جوابا ﴿شهدنا على أنفسنا﴾ بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب ﴿وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيوية واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين مثل حالهم

﴿ذلك﴾ اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك ﴿أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ تعليل للحكم وأن مصدرية أومخففة من الثقيلة أى الامر ذلك لانتفاء كون ربك أولان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه أوملتبسين بظلم أوظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول أوبدل من ذلك ﴿ولكل﴾ من المكلفين ﴿درجات﴾ مراتب ﴿مما عملوا﴾ من أعمالهم أومن جزائها أومن أجلها ﴿وماربك بغافل عما يعملون﴾ فيخفى عليه عمل أوقدر مايستحق به من ثواب أوعقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة ﴿وربك الغنى﴾ عن العباد والعبادة ﴿ذوالرحمة﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ماسبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهوقوله ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ أى مابه اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم أيها العصاة ﴿ويستخلف من بعدكم مايشاء﴾ من الخلق ﴿كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ أى قرنا بعد قرن لكنه أبقاكم ترحما عليكم ﴿انما توعدون﴾ من البعث وأحواله ﴿لآت﴾ لكائن لامحالة ﴿وماأنتم بمعجزين﴾ طالبكم به ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذاتمكن أبلغ التمكن أوعلى ناحيتكم وجهتكم التى أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ أبوبكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو أمرتهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم ﴿انى عامل﴾ ماكنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على مايفضى به اليه وتسجيل بأن المهدد لايتأتي منه الاالشر كالمأموربه الذى لايقدر أن يتفصى عنه ﴿فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ ان جعل من استفهامية بمعني أينا تكون له عاقبة الدار الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أى فسوف تعرفون الذى تكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذربانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى ﴿انه لايفلح الظالمون﴾ وضع الظالمين موضع الكافرين لانه أعم وأكثر فائدة ﴿وجعلوا﴾ أى مشركو العرب ﴿لله مماذرأ﴾ خلق ﴿من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذالشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم﴾ روى أنهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحونه عندها ثم انرأوا ماعينوالله أزكي بدلوه بما لآلهتهم وان رأوامالآلهتهم أزكي تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لايقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقدجاء فيه الكسر أيضا كالودوالود ﴿ساء مايحكمون﴾ حكمهم هذا ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان ﴿زين لكثيرمن المشركين قتل أولادهم﴾ بالوأد ونحرهم لآلهتهم ﴿شركاؤهم﴾ من الجن أومن السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بمزجة ۞ زج القلوص أبى مزاده

وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ﴿ليردوهم﴾ ليهلكوهم بالاغواء ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ وليخلطوا عليهم ماكانوا عليه من دين اسمعيل أوماوجب عليهم أن يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ﴿ولوشاء الله مافعلوه﴾ مافعل المشركون مازين لهم أوالشركاء التزيين أوالفريقان جميع ذلك ﴿فذرهم ومايفترون﴾ افتراءهم أومايفترونه من الافك

ذٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غٰفِلُونَ ۞ وَلِكُلٍّ دَرَجٰتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ
بِغٰافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ۞ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ
مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۞ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۞ قُلْ يٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ
إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰلِمُونَ ۞ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ
وَالْأَنْعٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهٰذَا
لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ
إِلَى اللّٰهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَكَذٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ
لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
اللّٰهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞

وَقَالُوا هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ
بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ
ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ
خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً
فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ
عَلِيمٌ ۞ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ
جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ
حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ وَمِنَ
ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا
تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞

﴿وقالوا هذه﴾ اشارة الى ماجعل لآلهتهم ﴿أنعام وحرث حجر﴾ حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج أى مضيق ﴿لايطعمها الا من نشاء﴾ يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء ﴿بزعمهم﴾ من غير حجة ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ يعني البحائر والسوائب والحوامى ﴿وأنعام لايذكرون اسم الله عليها﴾ فى الذبح وانما يذكرون أسماء الاصنام عليها وقيل لايحجون على ظهورها ﴿افتراء عليه﴾ نصب على المصدر لأن ماقالوه تقوّل على الله سبحانه وتعالى والجار متعلق بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أوعلى الحال أوعلى المفعول له والجار متعلق به أوبالمحذوف ﴿سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ بسببه أوبدله ﴿وقالوا مافى بطون هذه الانعام﴾ يعنون أجنة البحائر والسوائب ﴿خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله ﴿وان يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان مافي معني الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية أبي بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم أوالتاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر أوهو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى الذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على أنه بدل من ما أومبتدأ ثان والمراد به ماكان حيا والتذكير في فيه لأن المراد بالميتة مايعم الذكر والانثى فغلب الذكر ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي جزاء وصفهم الكذب على الله سبحانه وتعالى فى التحريم والتحليل من قوله ـ وتصف ألسنتهم الكذب ـ ﴿انه حكيم عليم﴾ ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعني التكثير ﴿سفها بغير علم﴾ لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله سبحانه وتعالى رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أوالمصدر ﴿وحرّموا مارزقهم الله﴾ من البحائر ونحوها ﴿افتراء على الله﴾ يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ الى الحق والصواب ﴿وهو الذى أنشأ جنات﴾ من الكروم ﴿معروشات﴾ مرفوعات على ما يحملها ﴿وغير معروشات﴾ ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ماغرسه الناس فعرشوه وغير معروشات مانبت فى البرارى والجبال ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله﴾ ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه أوالنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه أوالجميع على تقدير أكل ذلك أوكل واحد منهما ومختلفا حالا مقدرة لانه لم يكن ذلك عند الانشاء ﴿والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه﴾ يتشابه بعض أفرادهما فى اللون والطعم ولايتشابه بعضها ﴿كلوا من ثمره﴾ من ثمر كل واحد من ذلك ﴿اذا أثمر﴾ وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ يريد به ما كان يتصدّق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لايؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ﴿ولاتسرفوا﴾ في التصدق كقوله تعالى ـ ولاتبسطها كل البسط ـ ﴿انه لايحب المسرفين﴾ لايرتضى فعلهم ﴿ومن الانعام حمولة وفرشا﴾ عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام مايحمل الاثقال وما يفرش للذبح أومايفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ كلوا مما أحلّ لكم منه ﴿ولاتتبعوا خطوات الشيطان﴾ فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم ﴿انه لكم عدوّ مبين﴾ ظاهر العداوة

ثَمٰنِيَةَ اَزْوَاجٍ مِنَ الضَّاْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ
قُلْ ءٰآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ اَمِ الْاُنْثَيَيْنِ اَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
اَرْحَامُ الْاُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ۝
وَمِنَ الْاِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءٰآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ
اَمِ الْاُنْثَيَيْنِ اَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحَامُ الْاُنْثَيَيْنِ اَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَآءَ اِذْ وَصّٰيكُمُ اللّٰهُ بِهٰذَا فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى
اللّٰهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى
الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ ۝ قُلْ لَا اَجِدُ فِى مَا اُوحِىَ اِلَىَّ مُحَرَّمًا
عَلٰى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ اِلَّا اَنْ يَكُونَ مَيْتَةً اَوْ دَمًا مَسْفُوحًا
اَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَاِنَّهُ رِجْسٌ اَوْ فِسْقًا اُهِلَّ لِغَيْرِ اللّٰهِ
بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَاِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۝ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ
ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا
اِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا اَوِ الْحَوَايَا اَوْ مَا اخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنٰهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَاِنَّا لَصٰدِقُونَ ۝

﴿ ثمانية أزواج ﴾ بدل من حمولة وفرشا أومفعول كلوا ولاتتبعوا معترض بينهما أوفعل دل عليه أوحال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج مامعه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول ﴿ من الضأن اثنين ﴾ زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين أوجمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى ﴿ قل آلذكرين ﴾ ذكر الضأن وذكر المعز ﴿ حرم أم الانثيين ﴾ أم أنثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم ﴿ أما اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ أوماحملت اناث الجنسين ذكرا كان أوأنثى ﴿ نبئوني بعلم ﴾ بأمر معلوم يدل على أن الله تعالى حرم شيأ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في دعوى التحريم عليه ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين ﴾ كما سبق والمعنى انكار أن الله حرّم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان أوأنثى أوماتحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة زاعمين أن الله حرّمها ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ بل أكنتم شاهدين حاضرين ﴿ اذ وصاكم الله بهذا ﴾ حين وصاكم بهذا التحريم اذ أنتم لاتؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة والسماع ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فنسب اليه تحريم مالم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أوعمرو بن لحى بن قمعة المؤسس لذلك ﴿ ليضلّ الناس بغير علم ان الله لايهدى القوم الظالمين * قل لا أجد فيما أوحى الىّ ﴾ أى فى القرآن أوفيما أوحى الىّ مطلقا وفيه تنبيه على أن التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى ﴿ محرما ﴾ طعاما محرما ﴿ على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة ﴾ الا أن يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع الميتة على أن كان هي التامة وقوله ﴿ أو دما مسفوحا ﴾ عطف على أن مع مافى حيزه أى الا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال ﴿ أولحم خنزير فانه رجس ﴾ فان الخنزير أولحمه قذر لتعوّده أكل النجاسة أوخبيث مخبث ﴿ أوفسقا ﴾ عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿ أهلّ لغير الله به ﴾ صفة له موضحة وانما سمي ماذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهلّ وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون ﴿ فمن اضطر ﴾ فمن دعته الضرورة الى تناول شئ من ذلك ﴿ غير باغ ﴾ على مضطر مثله ﴿ ولاعاد ﴾ قدر الضرورة ﴿ فان ربك غفور رحيم ﴾ لايؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على أنه لم يجد فيما أوحى الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لاينافى ورود التحريم فى شئ آخر فلايصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حلّ الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب ﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر ﴾ كل ماله أصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ﴿ ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما ﴾ الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط ﴿ الا ماحملت ظهورهما ﴾ الا ماعلقت بظهورهما ﴿ أو الحوايا ﴾ أوما اشتمل على الامعاء جمع حاوية أوحاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو ﴿ أوما اختلط بعظم ﴾ هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ﴿ ذلك ﴾ التحريم أوالجزاء ﴿ جزيناهم ببغيهم ﴾ بسبب ظلمهم ﴿ وانا لصادقون ﴾ في الاخبار أو الوعد والوعيد

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۞ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ
كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ
عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۞ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ
شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ
مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۞
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞

﴿فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لايهمل ﴿ولايرد باسه عن القوم المجرمين﴾ حين ينزل أوذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولايرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم لايمكن رده عنهم ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه ﴿لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا من شئ﴾ أى لوشاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله ـ فلو شاء لهدا كم أجمعين ـ لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيده ذلك قوله ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أى مثل هذا التكذيب لك في أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ماحرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ الذى أنزلنا عليهم بتكذيبهم ﴿قل هل عندكم من علم﴾ من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على مازعمتم ﴿فتخرجوه لنا﴾ فتظهروه لنا ﴿ان تتبعون الاالظن﴾ ماتتبعون فى ذلك الاالظن ﴿وان أنتم الاتخرصون﴾ تكذبون على الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه ﴿فلو شاء لهدا كم أجمعين﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين ﴿قل هلم شهداءكم﴾ أحضروهم وهو اسم فعل لايتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم وأصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لاتدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا ﴿الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لامتمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم ﴿فان شهدوا فلا تشهد معهم﴾ فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم فى الشهادة الباطلة ﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾ من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لاغير وأن متبع الحجة لايكون الامصدقا بها ﴿والذين لايؤمنون بالآخرة﴾ كعبدة الاوثان ﴿وهم بربهم يعدلون﴾ يجعلون له عديلا ﴿قل تعالوا﴾ أمر من التعالى وأصله أن يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم ﴿أتل﴾ أقرأ ﴿ماحرم ربكم﴾ منصوب بأتل وماتحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى أقل فكأنه قيل أتل أي شئ حرم ربكم ﴿عليكم﴾ متعلق بحرم أوأتل ﴿ألا تشركوا به﴾ أى لاتشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولايمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فحلها النصب بعليكم على أنه للاغراء أوبالبدل من ما أومن عائده المحذوف على أن لازائدة والجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير المتلو أن لاتشركوا أو المحرم أن تشركوا ﴿شيأ﴾ يحتمل المصدر والمفعول ﴿وبالوالدين احسانا﴾ أى وأحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على أن ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ﴿ولاتقتلوا أولادكم من املاق﴾ من أجل فقر ومن خشية كقوله خشية املاق ﴿نحن نرزقكم واياهم﴾ منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ﴿ولاتقربوا الفواحش﴾ كبائر الذنوب أوالزنا ﴿ماظهر منها ومابطن﴾ بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ﴿ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق﴾ كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ماذكر مفصلا ﴿وصاكم به﴾ بحفظه ﴿لعلكم تعقلون﴾ ترشدون فان كمال العقل هو الرشد

﴿ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن﴾ أى بالفعلة التى هى أحسن مايفعل بماله كحفظه وتثميره ﴿حتى يبلغ أشده﴾ حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أوشد كصر وأصر وقيل مفرد كآنك ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل والتسوية ﴿لا نكلف نفسا الاوسعها﴾ الامايسعها ولايعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بمافي وسعكم وماوراءه معفوعنكم ﴿واذا قلتم﴾ في حكومة ونحوها ﴿فاعدلوا﴾ فيه ﴿ولو كان ذا قربى﴾ ولوكان المقول له أوعليه من ذوى قرابتكم ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ يعنى ماعهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها ﴿وأن هذا صراطى مستقيما﴾ الاشارة فيه الى ماذكر في السورة فانها بأسرها في اثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون بها مشددة بتقدير اللام على أنه علة لقوله ﴿فاتبعوه﴾ وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ﴿ولاتتبعوا السبل﴾ الاديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات ﴿فتفرق بكم﴾ فتفرقكم وتزيلكم ﴿عن سبيله﴾ الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ﴿ذلكم﴾ الاتباع ﴿وصاكم به لعلكم تتقون﴾ الضلال والتفرق عن الحق ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ عطف على وصاكم وثم للتراخى في الاخبار أو للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب ﴿تماما﴾ للكرامة والنعمة ﴿على الذى أحسن﴾ على كل من أحسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين أحسنوا أوعلى الذى أحسن تبليغه وهو موسى عليه أفضل الصلاة والسلام أوتماما على ما أحسنه أى أجاده من العلم والتشريع أى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أى على الذى هو أحسن أوعلى الوجه الذى هو أحسن مايكون عليه الكتب ﴿وتفصيلا لكل شئ﴾ وبيانا مفصلا لكل مايحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر ﴿وهدى ورحمة لعلهم﴾ لعل بني اسرائيل ﴿بلقاء ربهم يؤمنون﴾ أى بلقائه للجزاء ﴿وهذا كتاب﴾ يعنى القرآن ﴿أنزلناه مبارك﴾ كثير النفع ﴿فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ﴿أن تقولوا﴾ كراهة أن تقولوا علة لانزلناه ﴿انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم ﴿وان كنا﴾ ان هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أى وانه كنا ﴿عن دراستهم﴾ قراءتهم ﴿لغافلين﴾ لاندرى ماهي أولاتعرف مثلها ﴿أوتقولوا﴾ عطف على الاول ﴿لوأنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾ لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على أنا أميون ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم﴾ حجة واضحة تعرفونها ﴿وهدى ورحمة﴾ لمن تأمل فيه وعمل به ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله﴾ بعد أن عرف صحتها أوتمكن من معرفتها ﴿وصدف﴾ أعرض أوصدّ ﴿عنها﴾ فضل أوأضل ﴿سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ شدته ﴿بما كانوا يصدفون﴾ باعراضهم أوصدهم

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ ثُمَّ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَهَذَا
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
۞ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ
مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوا
لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ
عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ۞

هل

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ
ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا
مُنْتَظِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ
مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ
إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝
قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ
إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ
الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا
ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

﴿هل ينظرون﴾ أى ماينتظرون يعنى أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين ﴿الا أن تأتيهم الملائكة﴾ ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل ﴿أو يأتى ربك﴾ أى أمره بالعذاب أوكل آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلى لقوله ﴿أو يأتى بعض آيات ربك﴾ يعنى أشراط الساعة وعن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب كنا نتذا كر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماتذا كرون قلنا نتذا كر الساعة قال انها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونارا تخرج من عدن ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفسا ايمانها﴾ كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث ﴿لم تكن آمنت من قبل﴾ صفة نفسا ﴿أو كسبت في ايمانها خيرا﴾ عطف على آمنت والمعنى انه لاينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها أومقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لاينفع نفسا خلت عنها ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لاينفع نفسا ايمانها الذى أحدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا ﴿قل انتظروا انا منتظرون﴾ وعيد لهم أى انتظروا اتيان أحد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ﴿ان الذين فرقوا دينهم﴾ بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أوافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الاواحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الاواحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الاواحدة وقرأ حمزة والكسائى فارقوا أى باينوا ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا تشيع كل فرقة اماما ﴿لست منهم في شئ﴾ أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم أو أنت برىء منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف ﴿انما أمرهم الى الله﴾ يتولى جزاءهم ﴿ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ بالعقاب ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشرة بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ماوعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين و بسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ﴿ومن جاء بالسيئة فلايجزي الامثلها﴾ قضية للعدل ﴿وهم لايظلمون﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿قل انني هدانى ربى الى صراط مستقيم﴾ بالوحى والارشاد الى مانصب من الحجج ﴿دينا﴾ بدل من محل الى صراط اذ المعني هدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ ﴿قيما﴾ فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على أنه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ﴿ملة ابراهيم﴾ عطف بيان لدينا ﴿حنيفا﴾ حال من ابراهيم ﴿وما كان من المشركين﴾ عطف عليه ﴿قل ان صلاتي ونسكى﴾ عبادتي كلها أو قربانى أو حجى ﴿ومحياى ومماتى﴾ وما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والطاعة أوطاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير أوالحياة والممات أنفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف ﴿لله رب العالمين لاشريك له﴾ خالصة له لاشرك فيها غيرا ﴿وبذلك﴾ القول أوالاخلاص ﴿أمرت وأنا أول المسلمين﴾ لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام أمته ﴿قل أغير الله أبغى ربا﴾ فاشركه فى عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم ﴿وهو رب كل شئ﴾ حال في موضع العلة للانكار والدليل له أى وكل ماسواه مربوب مثلى لايصلح للربوبية ﴿ولاتكسب كل نفس الاعليها﴾ فلا ينفعني فى ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴿ثم الى ربكم مرجعكم﴾ يوم القيامة ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الارض﴾ يخلف بعضكم بعضا أو خلفاء الله فى أرضه تتصرفون فيها على أن الخطاب عام أو خلفاء الامم السالفة على أن الخطاب للمؤمنين ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ فى الشرف والغنى ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ من الجاه والمال ﴿ان ربك سريع العقاب﴾ لان ماهو آت قريب أولانه يسرع اذا أراده ﴿وانه لغفور رحيم﴾ وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة وأتي ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على أنه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

﴿سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس أوست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * المص﴾ سبق الكلام فى مثله ﴿كتاب﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب أوخبر المص والمراد به السورة أوالقرآن ﴿أنزل اليك﴾ صفته ﴿فلا يكن فى صدرك حرج منه﴾ أى شك فان الشاك حرج الصدر أوضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه أوتقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى فيه للمبالغة كقولهم لاأرينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا أنزل اليك لتنذر به فلايحرج صدرك ﴿لتنذر به﴾ متعلق بانزل أوبلايكن لانه اذا أيقن أنه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذالم يخفهم أوعلم أنه موفق القيام بتبليغه ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يحتمل النصب باضمار فعلها أى لتنذر به وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب أوخبرا لمحذوف ﴿اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم﴾ يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وتعالى وماينطق عن الهوى انهو الاوحى يوحى ﴿ولاتتبعوا من دونه أولياء﴾ يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما أنزل أي ولاتتبعوا من دون دين الله دين أولياء وقرئ ولاتبتغوا ﴿قليلا ماتذكرون﴾ أى تذكرا قليلا أوزمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره ومامزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وكم من قرية﴾ وكثيرا من القرى ﴿أهلكناها﴾ أردنا اهلاك أهلها أوأهلكناها بالخذلان ﴿فجاءها﴾ فجاء أهلها ﴿بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتا﴾ بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال ﴿أوهم قائلون﴾ عطف عليه أى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجىء العذاب فيهما أفظع ﴿فما كان دعواهم﴾ أى دعاؤهم واستغاثتهم أوما كانوا يدعونه من دينهم ﴿اذجاءهم باسنا الاأن قالوا انا كنا ظالمين﴾ الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليهم ﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم﴾ عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ﴿ولنسألن المرسلين﴾ عما أجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى في قوله ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام أوالاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة ﴿فلنقصن عليهم﴾ على الرسل حين يقولون لاعلم لنا انك أنت علام الغيوب أوعلى الرسل والمرسل اليهم ماكانوا عليه ﴿بعلم﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم أوبمعلومنا منهم ﴿وما كنا غائبين﴾ عنهم فيخفى علينا شئ من أحوالهم ﴿والوزن﴾ أى القضاء أووزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على أن صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم *ويؤيده ماروى أن الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال انه ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة ﴿يومئذ﴾ خبر المبتدا الذى هو الوزن ﴿الحق﴾ صفته أوخبر محذوف ومعناه العدل السوى ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ حسناته أومايوزن به حسناته فهو جمع موزون أوميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالنجاة والثواب ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ماعرضها للعذاب ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ فيكذبون بدل التصديق ﴿ولقد مكناكم فى الارض﴾ أى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ أسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع أنه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف ﴿قليلا ماتشكرون﴾ فيما صنعت اليكم ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أى خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره أوابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ وقيل ثم لتأخير الاخبار ﴿فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين﴾ ممن سجد لآدم

سورة الأعراف مكية وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص ۞ كتب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه
لتنذر به وذكرى للمؤمنين ۞ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا
تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ۞ وكم من قرية
أهلكنها فجاءها بأسنا بيتا أو هم قائلون ۞ فما كان دعويهم
إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظلمين ۞ فلنسئلن
الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين ۞ فلنقصن عليهم
بعلم وما كنا غائبين ۞ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت
موازينه فأولئك هم المفلحون ۞ ومن خفت موازينه
فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ۞
ولقد مكنكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا
ما تشكرون ۞ ولقد خلقنكم ثم صورنكم ثم قلنا للملئكة
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السجدين ۞

قال

﴿قال مامنعك ألاتسجد﴾ أى أن تسجد ولاصلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل مااضطرك الى ألا تسجد ﴿اذأمرتك﴾ دليل على أن مطلق الامر للوجوب والفور ﴿قال أنا خير منه﴾ جواب من حيث المعني استأنف به استبعادا لأن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع أنى خير منه ولايحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن يؤمربه فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار اليه بقوله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أى بغير واسطة وباعتبار الصورة كمانبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب ﴿قال فاهبط منها﴾ من السماء أوالجنة ﴿فما يكون لك﴾ فمايصح ﴿أن تتكبر فيها﴾ وتعصى فانهامكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على أن التكبر لايليق باهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى انما طرده وأهبطه لتكبره لالمجرد عصيانه ﴿فاخرج انك من الصاغرين﴾ ممن أهانه الله لتكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ﴿قال أنظرنى الى يوم يبعثون﴾ أمهلني الى يوم القيامة فلاتمتني أولاتعجل عقوبتى ﴿قال انك من المنظرين﴾ يقتضى الاجابة الى ماسأله ظاهرا لكنه محمول على ماجاء مقيدا بقوله تعالى الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى أووقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته ﴿قال فبما أغويتنى﴾ أى بعد أن أمهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم بأى طريق يمكنني بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية أوحملا على الغى أوتكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لابأقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم ﴿لاقعدن لهم﴾ ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة ﴿صراطك المستقيم﴾ طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

قال مامنعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ❁ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصغرين ❁ قال أنظرنى الى يوم يبعثون ❁ قال انك من المنظرين ❁ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ❁ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شكرين ❁ قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ❁ ويآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين ❁ فوسوس لهما الشيطن ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوءتهما وقال مانهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخلدين ❁ وقاسمهما انى لكما لمن النصحين ❁ فدلىهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفن عليهما من ورق الجنة ونادىهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطن لكما عدو مبين ❁

وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ أى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من أي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس*وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيآتهم ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لايعلمون ولايقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الأخيرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ﴿ولاتجد أكثرهم شاكرين﴾ مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة ﴿قال اخرج منها مذؤما﴾ مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤل أوكمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما ﴿مدحورا﴾ مطرودا ﴿لمن تبعك منهم﴾ اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ وهو سادمسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أوعلة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ﴿ويا آدم﴾ أى وقلنا يا آدم ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة﴾ وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء ﴿فتكونا من الظالمين﴾ فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ أى فعل الوسوسة لاجلهما وهي فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقدسبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته ﴿ليبدى لهما﴾ ليظهر لهما واللام للعاقبة أوللغرض على أنه أراد أيضا بوسوسته أن يسوأهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على أن كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ﴿ماوورى عنهما من سوآتهما﴾ ماغطى عنهما من عوراتهما وكانا لايريانها من أنفسهما ولاأحدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وسوأتهما بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها ﴿وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاأن تكونا﴾ الا كراهة أن تكونا ﴿ملكين أوتكونا من الخالدين﴾ الذين لايموتون أويخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجوابه أنه كان من المعلوم أن الحقائق لاتنقلب وانما كانت رغبتهما فى أن يحصل لهما أيضا ماللملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لايدل على فضلهم مطلقا ﴿وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين﴾ أى أقسم لهما على ذلك وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسماله بالقبول وقيل أقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة ﴿فدلاهما﴾ فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من أعلى الى أسفل ﴿بغرور﴾ بماغرهما به من القسم فانهما ظنا أن أحدا لايحلف بالله كاذبا أوملتبسين بغرور ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما﴾ أى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أوالكرم أوغيرهما وأن اللباس كان نورا أوحلة أوظفرا ﴿وطفقا يخصفان﴾ أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ﴿عليهما من ورق الجنة﴾ قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أى يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان وأصله يختصفان ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين﴾ عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم

﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ أضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة ﴿ وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ دليل على أن الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لاتجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيآت واستحقار العظيم من الحسنات ﴿ قال اهبطوا ﴾ الخطاب لآدم وحوّاء وذريتهما أولهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر عما قال لهم متفرقا ﴿ بعضكم لبعض عدوّ ﴾ في موضع الحال أى متعادين ﴿ ولكم في الارض مستقر ﴾ استقرار أي موضع استقرار ﴿ ومتاع ﴾ وتمتع ﴿ الى حين ﴾ الى تقضى آجالكم ﴿ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ للجزاء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفي الزخرف كذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد ﴿ يوارى سوآتكم ﴾ التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق ※روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدّمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الانسان من الشيطان وانه أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم ﴿ وريشا ﴾ ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ﴿ ولباس التقوى ﴾ خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ﴿ ذلك خير ﴾ أو خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ﴿ ذلك ﴾ أى انزال اللباس ﴿ من آيات الله ﴾ الدالة على فضله ورحمته ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح ﴿ يابني آدم لايفتننكم الشيطان ﴾ لايمتحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوائكم ﴿ كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها والنهى في اللفظ للشيطان والمعني نهيهم عن اتباعه والافتتان به ﴿ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ حال من أبويكم أومن فاعل أخرج واسناد النزع اليه للتسبب ﴿ انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم ﴾ تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لانراهم في الجملة لاتقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا ﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون ﴾ بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ماسوّلوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية ﴿ واذا فعلوا فاحشة ﴾ فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى فأعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله ﴿ قل ان الله لايأمر بالفحشاء ﴾ لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولادلالة فيه على أن أقبح الفعل بمعني ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لامطلقا ﴿ أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾ انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله تعالى ﴿ قل أمر ربى بالقسط ﴾ بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط ﴿ وأقيموا وجوهكم ﴾ وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها أو أقيموها نحو القبلة ﴿ عند كل مسجد ﴾ في كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أى مسجد حضرتكم الصلاة ولاتؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم ﴿ وادعوه ﴾ واعبدوه ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى الطاعة فان اليه مصيركم ﴿ كما بدأكم ﴾ كما أنشأكم ابتداء ﴿ تعودون ﴾ باعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم ﴿ فريقا هدى ﴾ بأن وفقهم للايمان ﴿ وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره مابعده أى وخذل فريقا ﴿ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴾ تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۞ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
تُخْرَجُونَ ۞ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ
وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ
يَذَّكَّرُونَ ۞ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا
أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞
قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞
فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۞

﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي
أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ
أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ يَابَنِي آدَمَ
إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ
بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا
ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۞ ﴾

﴿ يابني آدم خذوا زينتكم ﴾ ثيابكم لمواراة عورتكم ﴿ عند كل مسجد ﴾ لطواف أوصلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ ماطاب لكم * روى أن بنى عامر فى أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهمّ المسلمون به فنزلت ﴿ ولاتسرفوا ﴾ بتحريم الحلال أوبالتعدّى الى الحرام أو بافراط الطعام والشره عليه *وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال ــ كلوا واشربوا ولاتسرفوا ــ ﴿ انه لايحب المسرفين ﴾ أى لايرتضى فعلهم ﴿ قل من حرّم زينة الله ﴾ من الثياب وسائر مايتجمل به ﴿ التى أخرج لعباده ﴾ من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع ﴿ والطيبات من الرزق ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الاصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباحة لأن الاستفهام فى من للانكار ﴿ قل هى للذين آمنوا في الحيوة الدنيا ﴾ بالأصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع ﴿ خالصة يوم القيامة ﴾ لايشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم ﴿ قل انما حرّم ربى الفواحش ﴾ ماتزايد قبحه وقيل مايتعلق بالفروج ﴿ ماظهر منها ومابطن ﴾ جهرها وسرها ﴿والاثم﴾ ومايوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر ﴿والبغى﴾ الظلم أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة ﴿ بغير الحق ﴾ متعلق بالبغى مؤكد له معنى ﴿ وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ﴾ تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان ﴿ وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون ﴾ بالالحاد فى صفاته سبحانه وتعالى والافتراء عليه كقولهم الله أمرنا بها ﴿ ولكل أمة أجل ﴾ مدة أو وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لأهل مكة ﴿ فاذا جاء أجلهم ﴾ انقرضت مدتهم أو حان وقتهم ﴿لايستأخرون ساعة ولايستقدمون﴾ أى لايتأخرون ولايتقدمون أقصر وقت أولا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول ﴿ يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى ﴾ شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن اتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه ﴿فمن اتقى وأصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوكذب بآياته ﴾ ممن تقوّل على الله مالم يقله أوكذب ماقاله ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ أى مما أثبت لهم فيه ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ أى يتوفون أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام ﴿ قالوا ﴾ جواب اذا ﴿ أينما كنتم تدعون من دون الله ﴾ أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت بأين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ غابوا عنا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي
النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞
وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ
۞ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
۞ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ
لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا
أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞

﴿ قال ادخلوا ﴾ أى قال الله تعالى لهم يوم القيامة أوأحد من الملائكة ﴿ فى أمم قد خلت من قبلكم ﴾ أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم يوم القيامة ﴿ من الجن والانس ﴾ يعنى كفار الامم الماضيةمن النوعين ﴿ في النار ﴾ متعلق بادخلوا ﴿ كلما دخلت أمة ﴾ أى فى النار ﴿ لعنت أختها ﴾ التى ضلت بالاقتداء بها ﴿ حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا ﴾ أي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار ﴿ قالت أخراهم ﴾ دخولاأومنزلة وهم الاتباع ﴿ لأولاهم ﴾ أى لأجل أولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ﴿ ربناهؤلاء أضلونا ﴾ سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم ﴿ فآتهم عذابا ضعفا من النار ﴾ مضاعفا لانهم ضلوا وأضلوا ﴿ قال لكل ضعف ﴾ أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿ ولكن لاتعلمون ﴾ مالكم أومالكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال ﴿ وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لاخراهم ورتبوه عليه أى فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ من قول القادة أومن قول الفريقين ﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ أى عن الايمان بها ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ لأدعيتهم وأعمالهم أولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله ﴿ ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ أى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا مايتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط مايخاط به كالحزام والمحزم ﴿ وكذلك ﴾ومثل ذلك الجزاء الفظيع ﴿ نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ﴾ فراش ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ أغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف ﴿ وكذلك نجزى الظالمين ﴾ عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى اشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه أعظم الاجرام ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ على عادته سبحانه وتعالى فى أن يشفع الوعيدبالوعد ولانكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب فى اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لاتكلف نفس ﴿ ونزعنا مافى صدورهم من غلّ ﴾ أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل أونطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علىّ كرم الله وجهه انى لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ زيادة فى لذتهم وسرورهم ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ لما جزاؤه هذا ﴿ وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بأن ماعلموه يقينا فى الدنيا صار لهم عين اليقين فى الآخرة ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة ﴾ اذا رأوها من بعيد أوبعد دخولها والمنادى له بالذات ﴿ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ أى أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة أوخبر والجنة صفة تلكم وأن فى المواقع الخمسة هي المخففة أوالمفسرة لان المناداة والتأذين من القول

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ
بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ۞
وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ
وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ
يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا
لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا
يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ
أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ
ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ
حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا
وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ
يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا﴾ انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ماوعدكم كماقال ماوعدنا لان ماساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة ﴿قالوا نعم﴾ وقرأ الكسائى بكسر العين وهما لغتان ﴿فاذن مؤذن﴾ قيل هو صاحب الصور ﴿بينهم﴾ بين الفريقين ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾ وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائى أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول أواجراء أذن مجري قال ﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ صفة للظالمين مقررة أوذم مرفوع أو منصوب ﴿ويبغونها عوجا﴾ زيغا وميلا عماهوعليه والعوج بالكسر فى المعاني والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح ﴿وهم بالآخرة كافرون وبينهماحجاب﴾ أى بين الفريقين لقوله تعالى ـ فضرب بينهم بسور ـ أوبين الجنة والنار ليمنع وصول أثر احداهما الى الاخرى ﴿وعلى الاعراف﴾ وعلى أعراف الحجاب أى أعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره أعرف من غيره ﴿رجال﴾ طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله سبحانه وتعالى فيهم مايشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الشهداء رضى الله تعالى عنهم أوخيار المؤمنين وعلمائهم أوملائكة يرون فى صورة الرجال ﴿يعرفون كلا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بسيماهم﴾ بعلامتهم التى أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا أرسلها فى المرعي معلمة أومن وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام أوتعليم الملائكة ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ أى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم ﴿لم يدخلوها وهم يطمعون﴾ حال من الواو على الوجه الاول ومن أصحاب على الوجوه الباقية ﴿واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا﴾ نعوذ بالله ﴿ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أى فى النار ﴿ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم﴾ من رؤساء الكفرة ﴿قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ كثرتكم أوجمعكم المال ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ عن الحق أو على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة﴾ من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون أن الله لايدخلهم الجنة ﴿ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ أى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه الاخيرة أوفقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ماقالوا وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الاعراف لايدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لاخوف عليكم ﴿ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء﴾ أى صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار ﴿أومما رزقكم الله﴾ من سائر الاشربة ليلائم الافاضة أومن الطعام كقوله ＊ علفتها تبنا وماء باردا ＊ ﴿قالوا ان الله حرمهما على الكافرين﴾ منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا﴾ كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لايحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به ﴿وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم﴾ نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ وكما كانوا منكرين أنها من عند الله

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى
تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا
بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ
ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَفْتَرُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ
يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ
أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَلَا تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه﴾ بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة ﴿على علم﴾ عالمين بوجه تفصيله حتي جاء حكيما وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه أى على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ حال من الهاء ﴿هل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿الا تأويله﴾ الاما يؤول اليه أمره من تبين صدقه بظهور مانطق به من الوعد والوعيد ﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾ تركوه ترك الناسي ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ أى قد تبين أنهم جاؤا بالحق ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ اليوم ﴿أو نرد﴾ أوهل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا أولان أو بمعنى الى أن فعلى الاول المسؤل أحد الامرين الشفاعة أو ردهم الى الدنيا وعلى الثاني أن يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين أولامر واحد وهو الرد ﴿فنعمل غير الذى كنا نعمل﴾ جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أى فنحن نعمل ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ بصرف أعمارهم فى الكفر ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام﴾ أى فى ستة أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره أوفى مقدار ستة أيام فان المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ﴿ثم استوي على العرش﴾ استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك ﴿يغشى الليل النهار﴾ يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به أو لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير ﴿يطلبه حثيثا﴾ يعقبه سريعا كالطالب له لايفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أوحال من الفاعل بمعني حاثا أو المفعول بمعنى محثوثا ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ألا له الخلق والامر﴾ فانه الموجد والمتصرف ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية ❊ وتحقيق الآية والله سبحانه وتعالى أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه سبحانه وتعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار اليه بقوله تعالى ـ فقضاهن سبع سموات فى يومين ـ وعمد الى ايجاد الأجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيآت المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال وأشار اليه بقوله وخلق الارض أى مافى جهة السفل فى يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أى مع اليومين الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما في ستة أيام ثم لماتم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بماهو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ❊ ثم أمرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ أى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص ﴿انه لايحب المعتدين﴾ المجاوزين ما أمروا به فى الدعاء وغيره نبه به على أن الداعي ينبغى أن لايطلب مالايليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين ﴿ولاتفسدوا في الارض﴾ بالكفر والمعاصى ﴿بعد اصلاحها﴾ ببعث الانبياء وشرع الاحكام ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾ ذوى خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ﴿ان رحمت الله قريب من المحسنين﴾ ترجيح للطمع وتنبيه على مايتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعني الرحم أولانه صفة محذوف أى أمر قريب أوعلى تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أوالذى هو مصدر كالنقيض أوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره ﴿وهوالذى يرسل الرياح﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة ﴿نشرا﴾ جمع نشور بمعني ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات أومفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وبشرى ﴿بين يدى رحمته﴾ قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه ﴿حتى اذا أقلت﴾ أى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله ﴿سحابا ثقالا﴾ بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب ﴿سقناه﴾ أى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ ﴿لبلد ميت﴾ لاجله أولاحيائه أو لسقيه وقرئ ميت ﴿فانزلنا به الماء﴾ بالبلد أوبالسحاب أو بالسوق أوبالريح وكذلك ﴿فاخرجنا به﴾ ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما ﴿من كل الثمرات﴾ من كل أنواعها ﴿كذلك نخرج الموتي﴾ الاشارة فيه الي اخراج الثمرات أوالى احياء البلد الميت أى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى موادّ أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۞
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي
ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞
أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ
وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ
مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قَالَ
الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ
وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي
سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

﴿والبلد الطيب﴾ الارض الكريمة التربة ﴿يخرج نباته باذن ربه﴾ بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه أوقعه في مقابلة ﴿والذي خبث﴾ أي كالحرة والسبخة ﴿لايخرج الا نكدا﴾ قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لايخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ نرددها ونكررها ﴿لقوم يشكرون﴾ نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها ❊ والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها ﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه﴾ جواب قسم محذوف ولاتكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ماصدر بها ونوح بن لمك بن متوشلح بن ادريس أول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أوأربعين ﴿فقال ياقوم اعبدوا الله﴾ أي اعبدوه وحده لقوله تعالى ﴿مالكم من اله غيره﴾ وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا أوبدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء ﴿اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة أويوم نزول الطوفان ﴿قال الملأ من قومه﴾ أي الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء ﴿انا لنراك في ضلال﴾ زوال عن الحق ﴿مبين﴾ بين ﴿قال ياقوم ليس بي ضلالة﴾ أي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ﴿ولكني رسول من ربّ العالمين﴾ استدراك باعتبار مايلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله سبحانه وتعالى ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله مالاتعلمون﴾ صفات لرسول أواستئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أولتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام أولأن المراد بها ماأوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي أعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فان معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أومن جهته بالوحي أشياء لاعلم لكم بها ﴿أوعجبتم﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف أي أكذبتم وعجبتم ﴿أن جاءكم﴾ من أن جاءكم ﴿ذكر من ربكم﴾ رسالة أوموعظة ﴿على رجل﴾ على لسان رجل ﴿منكم﴾ من جملتكم أومن جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون ـ لوشاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ـ ﴿لينذركم﴾ عاقبة الكفر والمعاصي ﴿ولتتقوا﴾ منهما بسبب الانذار ﴿ولعلكم ترحمون﴾ بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وأن المتقي ينبغي أن لايعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى ﴿فكذبوه فأنجيناه والذين معه﴾ وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به ﴿في الفلك﴾ متعلق بمعه أوبأنجيناه أوحال من الموصول أو من الضمير في معه ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿انهم كانوا قوما عمين﴾ عمي القلوب غيرمستبصرين وأصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول أبلغ لدلالته على الثبات ﴿والى عاد أخاهم﴾ عطف على نوحا الى قومه ﴿هودا﴾ عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم ياأخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وانما جعل منهم لانهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب في اقتفائه ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره﴾ استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم ﴿أفلا تتقون﴾ عذاب الله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح عليه الصلاة والسلام ولذلك قال أفلاتتقون ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ اذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد ﴿انا لنراك في سفاهة﴾ متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك ﴿وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من ربّ العالمين﴾

أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ۝ أوعجبتم
أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم
في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون
۝ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ۝
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني
في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين ۝
فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر
الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ۝
والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ۝

﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴾ سبق تفسيره وفى اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله ـ وأنا لكم ناصح أمين ـ تنبيه على أنهم عرفوه بالامرين وقرأ أبو عمرو أبلغكم فى الموضعين فى هذه السورة وفى الاحقاف مخففا ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾ أى في مساكنهم أوفى الارض بان جعلكم ملوكا فان شدّاد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوّفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ قامة وقوة ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ تعميم بعد تخصيص ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾ استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم انهما كا فى التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجيء في أجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أومن السماء على التهكم أوالقصد على المجاز كقولهم ذهب يسبنى ﴿ فائتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فيه ﴿ قال قد وقع عليكم ﴾ قد وجب وحق عليكم أونزل عليكم على أن المتوقع كالواقع ﴿ من ربكم رجس ﴾ عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب ﴿ وغضب ﴾ ارادة انتقام ﴿ أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان ﴾ أى فى أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وأنها لواستحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أوبنصب حجة بين أن منتهى حجتهم وسندهم أن الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لايؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية اذ لولم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر ﴿ فانتظروا ﴾ لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد نزول العذاب بكم ﴿ انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه ﴾ فى الدين ﴿ برحمة منا ﴾ عليهم ﴿ وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أى استأصلناهم ﴿ وما كانوا مؤمنين ﴾ تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان * روى أنهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوّا فأمسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الي البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعلّ الله يسقينا الغماما
فيسقى أرض عاد انّ عادا * قد أمسوا مايبينون الكلاما

حتى غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لايقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهنّ ماء فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا ﴿ والى ثمود ﴾ قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحىّ أوباعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ﴿ أخاهم صالحا ﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله ﴿ هذه ناقة الله لكم آية ﴾ استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز أن تكون ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية ﴿ فذروها تأكل في أرض الله ﴾ العشب ﴿ ولاتمسوها بسوء ﴾ نهى عن المسّ الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة فى الأمر وازاحة للعذر ﴿ فيأخذكم عذاب أليم ﴾ جواب للنهى

واذكروا

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا
مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ
ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ
وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ
لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ۞ وَلُوطًا
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۞

﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم فى الارض ﴾ أرض الحجر ﴿ تتخذون من سهولها قصورا ﴾ أى تبنون فى سهولها أومن سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر ﴿ وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة أوالمفعول على أن التقدير بيوتا من الجبال أوتنحتون بمعنى تتخذون ﴿ فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملا الذين استكبروا من قومه ﴾ أى عن الايمان ﴿ للذين استضعفوا ﴾ أى للذين استضعفوهم واستذلوهم ﴿ لمن آمن منهم ﴾ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو ﴿ أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ قالوه على الاستهزاء ﴿ قالوا انا بما أرسل به مؤمنون ﴾ عدلوا به عن الجواب السوىّ الذى هو نعم تنبيها على أن ارساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال ﴿ قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما ﴿ فعقروا الناقة ﴾ فنحروها أسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أولانه كان برضاهم ﴿ وعتوا عن أمر ربهم ﴾ واستكبروا عن امتثاله وهو مابلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله فذروها ﴿ وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة ﴿ فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ خامدين ميتين * روى أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا أعمارا طوالا لاتفي بها الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من أشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعوا آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدّقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل مافيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشقّ ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا ﴿ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين ﴾ ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا أوذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم * ﴿ ولوطا ﴾ أى وأرسلنا لوطا ﴿ اذ قال لقومه ﴾ وقت قوله لهم أو واذكر لوطا واذ بدل منه ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ مافعلها قبلكم أحد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقرر للانكار كأنه وبخهم أوّلا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه أسوأ ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو أبلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له أومصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى أدّت بهم الى ارتكاب أمثالها وهى اعتياد الاسراف في كل شئ أوعن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم أوعن محذوف مثل لاعذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الاسراف

﴿وماكان جواب قومه الاأنقالوا أخرجوهم من قريتكم﴾ أى ماجاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا ﴿انهم أناس يتطهرون﴾ أى من الفواحش ﴿فانجيناه وأهله﴾ أى من آمن به ﴿الاامرأته﴾ استثناء من أهله فانها كانت تسر الكفر ﴿كانت من الغابرين﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ روى أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى أهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم ۝ ﴿والى مدين أخاهم شعيبا﴾ أى وأرسلنا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم خليل الله شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه ﴿قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قدجاءتكم بينة من ربكم﴾ يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن أنها ماهي وماروي من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسي عليه السلام أوارهاصا لنبوته ﴿فاوفوا الكيل﴾ أى آلة الكيل على الاضمار أواطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله ﴿والميزان﴾ كما قال فى سورة هود أوفوا المكيال والميزان أوالكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد ﴿ولاتبخسوا الناس أشياءهم﴾ ولاتنقصوهم حقوقهم وانما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيأ الامكسوه ﴿ولاتفسدوا في الارض﴾ بالكفر والحيف ﴿بعد اصلاحها﴾ بعد ماأصلح أمرها أوأهلها الانبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ﴿ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾ اشارة الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا أوفى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ﴿ولاتقعدوا بكل صراط توعدون﴾ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذارأوا أحدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلايفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق ﴿وتصدون عن سبيل الله﴾ يعنى لذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أوالايمان بالله ﴿من آمن به﴾ أي بالله أوبكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولوكان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير في تقعدوا ﴿وتبغونها عوجا﴾ وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه أووصفها للناس بانها معوجة ﴿واذكروا اذ كنتم قليلا﴾ عددكم أوعددكم ﴿فكثركم﴾ بالبركة فى النسل أوالمال ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ من الامم قبلكم فاعتبروا بهم ﴿وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا﴾ فتربصوا ﴿حتى يحكم الله بيننا﴾ أى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد المؤمنين ووعيد للكافرين ﴿وهو خير الحاكمين﴾ اذلامعقب لحكمه ولاحيف فيه

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝
وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ
فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ
بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ
۝ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ
بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ
اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
كَارِهِينَ ۞ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا
افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۞
وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ
إِذًا لَخَاسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
جَاثِمِينَ ۞ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ۞ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ
لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى
قَوْمٍ كَافِرِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا
أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۞ ثُمَّ بَدَّلْنَا
مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا
الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا ﴾ أى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم من القرية أوعودكم في الكفر وشعيب عليه الصلاة والسلام لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لايجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد نخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجرى الجواب فى قوله ﴿ قال أولوكنا كارهين ﴾ أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أوأتعيدوننا فى حال كراهتنا ﴿ قدافترينا على الله كذبا ﴾ قد اختلقنا عليه ﴿ ان عدنا فى ملتكم بعد اذنجانا الله منها ﴾ شرط جوابه محذوف دليله قدافترينا وهو بمعني المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أى قدافترينا الآن انهممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن الله تعالى ندّاوانه قدتبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا ﴿ ومايكون لنا ﴾ ومايصح لنا ﴿ أن نعودفيها الاأن يشاء الله ربنا ﴾ خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله وقيل أرادبه حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالا يكون ﴿ وسع ربنا كل شئ علما ﴾ أى أحاط علمه بكل شئ مما كان ومايكون مناومنكم ﴿ على الله توكلنا ﴾ فى أن يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة أوأظهر أمرنا حتى ينكشف مابيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذابينه ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ على المعنيين ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا ﴾ وتركتم دينكم ﴿ انكم اذالخاسرون ﴾ لاستبدالكم ضلالته بهداكم أولفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو سادمسدّ جواب الشرط والقسم الموطأ باللام ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها ﴿ فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ أى فى مدينتهم ﴿ الذين كذبوا شعيبا ﴾ مبتدأ خبره ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ أى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل ﴿ الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴾ دينا ودنيا لاالذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين ﴿ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ﴾ قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال ﴿ فكيف آسى على قوم كافرين ﴾ ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم مانزل عليهم بكفرهم أوقاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين ﴿ وما أرسلنا فى قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء ﴾ بالبؤس والضر ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ حتى يتضرعوا ويتذللوا ﴿ ثم بدّلنا مكان السيئة الحسنة ﴾ أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين ﴿ حتى عفوا ﴾ كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى ﴿ وقالوا قدمس آباءنا الضراء والسراء ﴾ كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بأنه من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقدمس آباءنا منه مثل مامسنا ﴿ فاخذناهم بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ بنزول العذاب

﴿ولوأن أهل القرى﴾ يعنى القرى المدلول عليها بقوله وماأرسلنا فى قرية من نبي وقيل مكة وماحولها ﴿آمنوا واتقوا﴾ مكان كفرهم وعصيانهم ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض﴾ لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعاصى ﴿أفأمن أهل القرى﴾ عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لايشعرون ومابينهما اعتراض والمعنىٰ أبعد ذلك أمن أهل القرى ﴿أن يأتيهم بأسنا بياتا﴾ تبييتا أووقت بيات أومبيتا أومبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجىء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضميرهم البارز أوالمستتر فى بياتا ﴿أوأمن أهل القرى﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أوبالسكون على الترديد ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ ضحوة النهار وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت ﴿وهم يلعبون﴾ يلهون من فرط الغفلة أويشتغلون بما لاينفعهم ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لايحتسب ﴿فلايأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار ﴿أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها﴾ أى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ﴿أن لونشاء أصبناهم بذنوبهم﴾ أن الشأن لونشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ﴿ونطبع على قلوبهم﴾ عطف على مادل عليه أولم يهد أى يغفلون عن الهداية أومنقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولايجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقة جواب لولافضائه الى نفى الطبع عنهم ﴿فهم لايسمعون﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿تلك القرى﴾ يعني قرى الامم المارّ ذكرهم ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ حال ان جعل القرى خبرا وتكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لانقصها ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ عند مجيئهم بها ﴿بما كذبوا من قبل﴾ بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أوفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أوّلا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفى والدلالة على أنهم ماصلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ فلاتلين شكيمتهم بالآيات والنذر ﴿وما وجدنا لاكثرهم﴾ لاكثر الناس والآية اعتراض أولاكثر الامم المذكورين ﴿من عهد﴾ من وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ماعهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج أوماعاهدوا اليه حين كانوا فى ضرر مخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴿وان وجدنا أكثرهم﴾ أى علمناهم ﴿لفاسقين﴾ من وجدت زيدا اذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ الا فى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾ الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أوللامم ﴿بآياتنا﴾ يعنى المعجزات ﴿الى فرعون وملئه فظلموا بها﴾ بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون اني رسول من رب العالمين﴾ اليك وقوله

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا
وَهُمْ نَائِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى
وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ۞ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ
مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ ۞ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَقَالَ
مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ
بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا
هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ
۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞
يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓا۟
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا
لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ
نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ
ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَآ
إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞
فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ
وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞

﴿حقيق على أن لاأقول على الله الا الحق﴾ لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق عليّ أن لاأقول كماقرأ نافع فقلب لامن الالباس كقوله * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * أولان مالزمك فقد لزمته أو للاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أنا قائله لايرضى الابمثلى ناطقا به أوضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبيّ بالباء وقرئ حقيق أن لاأقول بدون على ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل﴾ فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال ﴿قال ان كنت جئت بآية﴾ من عند من أرسلك ﴿فائت بها﴾ فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى الدعوى ﴿فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين﴾ ظاهر أمره لايشك فى أنه ثعبان وهو الحية العظيمة * روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرافاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحوفرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون ياموسى انشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا ﴿ونزع يده﴾ من جيبه أومن تحت ابطه ﴿فاذا هي بيضاء للناظرين﴾ أى بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليها النظارة أو بيضاء للنظار لا أنها كانت بيضاء فى جبلتها * روى أنه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه أوتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ﴿قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم﴾ قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور فى أمره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تامرون﴾ تشيرون فى أن نفعل ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم﴾ كأنه اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به على فرعون والارجاء التأخير أى أخر أمره وأصله أرجئه كماقرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئهوعلى قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير أوأرجهى من أرجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسمعيل والكسائى وأما قراءته في رواية قالون أرجه بحذف الياء فللا كتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه وأماقراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه بالهمزة وكسر الهاء فلايرتضيه النحاة فان الهاء لاتكسر الااذا كان قبلها كسرة أوياء ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ بعد ما أرسل الشرط فى طلبهم ﴿قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين﴾ استأنف به كأنه جواب سائل قال ماقالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابد لنا من أجر والتنكير للتعظيم ﴿قال نعم﴾ ان لكم لأجرا ﴿وانكم لمن المقربين﴾ عطف على ماسدمسده نعم وزيادةعلى الجواب لتحريضهم ﴿قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين﴾ خيروا موسى مراعاة للادب أو اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ماهو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أوتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك ﴿قال ألقوا﴾ كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شانه ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه ﴿واسترهبوهم﴾ وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم ﴿وجاؤا بسحر عظيم﴾ في فنه * روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا ﴿وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك﴾ فألقاها فصارت حية ﴿فاذا هي تلقف مايأفكون﴾ أى مايزوّرونه من الافك وهوالصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوزأن تكون مامصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول * روى أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لوكان هذاسحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفى طه والشعراء ﴿فوقع الحق﴾ فثبت لظهور أمره ﴿وبطل ما كانوا يعملون﴾ من السحر والمعارضة ﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ أى صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا الى المدينة أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه ﴿وألقى السحرة ساجدين﴾ جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على أن الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أوأن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه أومبالغة في سرعة خرورهم وشدته

﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون﴾ أبدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون ﴿قال فرعون آمنتم به﴾ بالله أو بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة فى تقدير ألفين وقرأ فى طه على الخبر بهمزة وألف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطوّلة في تقدير ألفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانيـة ﴿قبل أن آذن لـكم ان هذا لمكر مكرتموه﴾ أى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى ﴿فى المدينـة﴾ فى مصر قبل أن تخرجوا للميعاد ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة مافعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله ﴿لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ من كل شق طرفا ﴿ثم لاصلبنـكم أجمعين﴾ تفضيحا لـكم وتنـكيلا لامثالكم قيل انه أول من سنّ ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ولـكن على التعاقب لفرط رحمته ﴿قالوا انا الى ربنا منقلبون﴾ بالموت لامحالة فلا نبالى بوعيدك أوانا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله أومصيرنا ومصيرك الى ربنافيحكم بيننا ﴿وما تنقم منا﴾ وما تنـكر منا ﴿الا أن آمنا بآيات ربنا لماجاءتنا﴾ وهو خير الاعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله سبحانه وتعالى فقالوا ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا﴾ أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء أوصب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون ﴿وتوفنا مسلمين﴾ ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ماأوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى ـ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض﴾ بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ﴿ويذرك﴾ عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بينى * وبينـكم المودّة والاخاء

على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منـه تركه اياك وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أو استئناف أوحال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدّق وأكن ﴿وآلهتك﴾ معبوداتك قيل كان يعبد الـكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليـه ولذلك قال أنا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك أى عبادتك ﴿قال﴾ فرعون ﴿سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم﴾ كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولايتوهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والـكهنة بذهاب ماكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف ﴿وانا فوقهم قاهرون﴾ غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله واصـبروا﴾ لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منـه تسكينا لهم ﴿ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر ﴿والعاقبـة للمتقين﴾ وعد لهم بالنصرة وتذكير لماوعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطف على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس ﴿قالوا﴾ أى بنو اسرائيل ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ بالرسالة بقتل الابناء ﴿ومن بعد ماجئتنا﴾ باعادته ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض﴾ تصريحا بما كني عنه أوّلا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعـدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم أو أولادهم * وقد روى أن مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليـه السلام ﴿فينظر كيف تعملون﴾ فيرى ماتعملون من شـكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب مايوجد منـكم ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لـكثرة مايذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم اذا قحطوا ﴿ونقص من الثمرات﴾ بكثرة العاهات ﴿لعلهم يذكرون﴾ لـكى يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا أوترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده

قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ
فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ
فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۞
قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ
وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ
سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ
۞ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ
ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
۞ قَالُوٓا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا
قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ
وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞

فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا
بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۞ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ
عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۞
فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ۞ وَأَوْرَثْنَا
الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ
عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۞

﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ من الخصب والسعة ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ لأجلنا ونحن مستحقوها ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ جدب وبلاء ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهم لم تؤثرفيهم بل زادواعندهاعتواً وانهما كا فى الغىّ وانماعرف الحسنة وذكرهامع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع ﴿ ألا انما طائرهم عند الله ﴾ أى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته أوسبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم مايسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ أن مايصيبهم من الله تعالى أومن شؤم أعمالهم ﴿ وقالوا مهما ﴾ أصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أوالنصب بفعل يفسره ﴿ تأتنا به ﴾ أى أيما شئ تحضرنا تأتنا به ﴿ من آية ﴾ بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا ﴿ لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾ أى لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان ﴾ ماء طاف بهم وغشى أماكنهم وحروثهم من مطر أوسيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون ﴿ والجراد والقمل ﴾ قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها ﴿ والضفادع والدم ﴾ * روى انهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لايقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا الله فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان يقع فى أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولاطعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون مايلى القبطى دما ومايلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف ﴿ آيات ﴾ نصب على الحال ﴿ مفصلات ﴾ مبينات لاتشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم أومفصلات لامتحان أحوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ماغلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل ﴿ فاستكبروا ﴾ عن الايمان ﴿ وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز ﴾ يعنى العذاب المفصل أوالطاعون الذى أرسله الله عليهم بعد ذلك ﴿ قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ بعهده عندك وهو النبوة أوبالذى عهده اليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك فى آياتك وهو صلة لادع أوحال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك أومتعلق بفعل محذوف دلّ عليه التماسهم مثل أسعفنا الى مانطلب منك بحق ماعهد عندك أوقسم مجاب بقوله ﴿ ان كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلنّ معك بنى اسرائيل ﴾ أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلنّ ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه ﴾ الى حدّ من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أومهلكون وهو وقت الغرق أوالموت وقيل الى أجل عينوه لايمانهم ﴿ اذا هم ينكثون ﴾ جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فيه ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ فاردنا الانتقام منهم ﴿ فاغرقناهم فى اليم ﴾ أى البحر الذى لايدرك قعره وقيل لجته ﴿ بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا منهم ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم ﴿ مشارق الارض ومغاربها ﴾ يعني أرض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها ﴿ التى باركنا فيها ﴾ بالخصب وسعة العيش ﴿ وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل ﴾ ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ـ ونريد أن نمنّ ـ الى قوله ـ ما كانوا يحذرون ـ وقرئ كلمات ربك لتعدّد المواعيد ﴿ بما صبروا ﴾ بسبب صبرهم على الشدائد ﴿ ودمرنا ﴾ وخربنا ﴿ ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ من القصور والعمارات ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفى النحل يعرشون بالضم * وهذا آخر قصة فرعون وقومه * وقوله

﴿ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر ﴾ ومابعده ذكر ما أحدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد أن منّ الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لايغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم * روى أن موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا ﴿ فأتوا على قوم ﴾ فمرّوا عليهم ﴿ يعكفون على أصنام لهم ﴾ يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائى يعكفون بالكسر ﴿ قالوا ياموسى اجعل لنا الها ﴾ مثالا نعبده ﴿ كما لهم آلهة ﴾ يعبدونها وما كافة للكاف ﴿ قال انكم قوم تجهلون ﴾ وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ماصدر عنهم بعد ماراأوا من الآيات الكبرى عن العقل ﴿ ان هؤلاء ﴾ اشارة الى القوم ﴿ متبر ﴾ مكسر مدمر ﴿ ماهم فيه ﴾ يعنى أن الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا ﴿ وباطل ﴾ مضمحل ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لامحالة وأن الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا ﴿ قال أغير الله أبغيكم الها ﴾ أطلب لكم معبودا ﴿ وهو فضلكم على العالمين ﴾ والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شئ من مخلوقاته ﴿ واذ أنجيناكم من آل فرعون ﴾ واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم ﴿ يسومونكم سوء العذاب ﴾ استئناف لبيان ما أنجاهم منه أوحال من المخاطبين أومن آل فرعون أومنهما ﴿ يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ بدل منه مبين ﴿ وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ وفى الانجاء أوالعذاب نعمة أومحنة عظيمة ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا ﴿ وأتممناها بعشر ﴾ من ذى الحجة ﴿ فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ بالغا أربعين * روى انه عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل ربه فأمره الله بصوم ثلاثين فلما أتمّ أنكر خلوف فيه فتسوّك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ﴿ وقال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومى ﴾ كن خليفتى فيهم ﴿ وأصلح ﴾ مايجب أن يصلح من أمورهم أوكن مصلحا ﴿ ولاتتبع سبيل المفسدين ﴾ ولاتتبع من سلك الافساد ولاتطع من دعاك اليه ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص أى اختصّ مجيئه لميقاتنا ﴿ وكلمه ربه ﴾ من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين ﴿ قال ربّ أرنى أنظر اليك ﴾ أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أوتتجلى لى فأنظر اليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا مايقتضى الجهل بالله ولذلك ردّه بقوله تعالى ـ لن ترانى ـ دون لن أرى أولن أريك أولن تنظر الىّ تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدّ فى الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ـ أرنا الله جهرة ـ خطأ اذ لوكانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا ـ اجعل لنا الها ـ ولايتبع سبيلهم كما قال لأخيه ـ ولاتتبع سبيل المفسدين ـ والاستدلال بالجواب على استحالتها أشدّ خطأ اذ لايدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أن لايراه أبدا وأن لايراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أوجهالة بحقيقة الرؤية ﴿ قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف ترانى ﴾ استدراك يريد أن يبين به أنه لايطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه ﴿ جعله دكا ﴾ مدكوكا مفتتا والدكّ والدقّ اخوان كالشكّ والشق وقرأ حمزة والكسائى دكاء أى أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتى لا سنام لها وقرئ دكا أى قطعا جمع دكاء ﴿ وخرّ موسى صعقا ﴾ مغشيا عليه من هول مارأى ﴿ فلما أفاق قال ﴾ تعظيما لما رأى ﴿ سبحانك تبت اليك ﴾ من الجراءة والاقدام على السؤال من غير اذن ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ مرّ تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بانك لاترى في الدنيا

وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞

﴿ قال ياموسى انى اصطفيتك ﴾ اخترتك ﴿ على الناس ﴾ أي الموجودين فى زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولاصاحب شرع ﴿ برسالاتى ﴾ يعنى أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي ﴿ وبكلامى ﴾ وبتكليمى اياك ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ أعطيتك من الرسالة ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ على النعمة فيه * روى أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة كان يوم النحر ﴿ وكتبنا له فى الألواح من كل شئ ﴾ مما يحتاجون اليه من أمر الدين ﴿ موعظة وتفصيلا لكل شئ ﴾ بدل من الجار والمجرور أى وكتبنا له كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في أن الالواح كانت عشرة أوسبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أوصخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وسقفها باصابعه وكان فيها التوراة أوغيرها ﴿ فخذها ﴾ على اضمار القول عطفا على كتبنا أوبدل من قوله ـ فخذ ما آتيتك ـ والهاء للالواح أولكل شئ فانه بمعنى الاشياء أوللرسالات ﴿ بقوة ﴾ بجدّ وعزيمة ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ أى بأحسن مافيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى ـ واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم ـ أوبواجباتها فان الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحرّ من الشتاء ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أومنازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلاتفسقوا أودارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله وأورثنا القوم ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾ المنصوبة فى الآفاق والانفس ﴿ الذين يتكبرون فى الارض ﴾ بالطبع على قلوبهم فلايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها أوباهلاكهم ﴿ بغير الحق ﴾ صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أوحال

قَالَ يٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسٰلٰتِي وَبِكَلٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشّٰكِرِينَ ۞ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفٰسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غٰفِلِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظٰلِمِينَ ۞ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخٰسِرِينَ ۞

من فاعله ﴿ وان يروا كل آية ﴾ منزلة أومعجزة ﴿ لايؤمنوا بها ﴾ لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهما كهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا ﴾ لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام ﴿ وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ أى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوزأن ينصب ذلك على المصدر أى سأصرف ذلك الصرف بسببهما ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ أي ولقائهم الدار الآخرة أوماوعد الله فى الدار الآخرة ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ لاينتفعون بها ﴿ هل يجزون الا ما كانوايعملون ﴾ الا جزاء أعمالهم ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ من بعد ذهابه للميقات ﴿ من حليهم ﴾ التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت فى أيديهم أوملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد ﴿ عجلا جسدا ﴾ بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل ﴿ له خوار ﴾ صوت البقر * روى أن السامرى لما صاغ العجل ألقى فى فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوّت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به أولأن المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار أى صياح ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ولايهديهم سبيلا ﴾ تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها أنه لايقدر على كلام ولاعلى ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الاجسام والقوى والقدر ﴿ اتخذوه ﴾ تكرير للذم أي اتخذوه الها ﴿ وكانوا ظالمين ﴾ واضعين الاشياء فى غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ﴿ ولما سقط فى أيديهم ﴾ كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعضّ يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفعل للفاعل بمعنى وقع العضّ فيها وقيل معناه سقط الندم فى أنفسهم ﴿ ورأوا ﴾ وعلموا ﴿ أنهم قد ضلوا ﴾ باتخاذ العجل ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ بانزال التوراة ﴿ ويغفر لنا ﴾ بالتجاوز عن الخطيئة ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء

﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ شديد الغضب وقيل حزينا ﴿ قال بئسما خلفتموني من بعدي ﴾ فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أوأقتم
مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه ومانكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى
خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاق أومن بعد مارأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عماينافيه ﴿ أعجلتم أمر ربكم ﴾ أتركتموه غيرتام كأنه ضمن
عجل معني سبق فعدى تعديته أوأعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدى كماغيرت الامم بعد أنبيائهم ﴿ وألقى الالواح ﴾ طرحها من شدة
الغضب وفرط الضجر حمية للدين * روى أن التوراة كانت سبعة أسباع فى سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ
والاحكام ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ بشعر رأسه ﴿ يجره اليه ﴾ توهما بانه قصر فى كفهم وهرون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب الى بنى
اسرائيل ﴿ قال ابن أم ﴾ ذكر الام ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبوبكر عن عاصم هنا وفي طه يابن أم بالكسر وأصله يابن أمى
فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله أوتشبيها بخمسة عشر ﴿ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ﴾
ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفوني وقاربوا قتلى ﴿ فلاتشمت بي الاعداء ﴾ فلا تفعل بي مايشمتون بي لاجله ﴿ ولاتجعلنى مع
القوم الظالمين ﴾ معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة أونسبة التقصير ﴿ قال رب اغفرلى ﴾ بما صنعت بأخى ﴿ ولاخي ﴾ ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية له
ودفعا للشماتة عنه ﴿ وأدخلنا فى رحمتك ﴾ بمزيد الانعام علينا ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ فانت أرحم بنا منا على أنفسنا ﴿ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ﴾
وهو ماأمرهم به من قتل أنفسهم ﴿ وذلة فى الحياة الدنيا ﴾ وهي خروجهم من ديارهم وقيل
الجزية ﴿ وكذلك نجزى المفترين ﴾ على الله ولافرية أعظم من فريتهم وهي قولهم هذا
الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم ﴿ والذين عملوا السيآت ﴾ من
الكفر والمعاصى ﴿ ثم تابوا من بعدها ﴾ من بعد السيئات ﴿ وآمنوا ﴾ واشتغلوا
بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ من بعد التوبة
﴿ لغفور رحيم ﴾ وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل ﴿ ولما
سكت ﴾ سكن وقد قرئ به ﴿ عن موسى الغضب ﴾ باعتذار هرون أوبتوبتهم وفي هذا
الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى
عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أوأخوه
أوالذين تابوا ﴿ أخذ الالواح ﴾ التى ألقاها ﴿ وفى نسختها ﴾ وفيما نسخ فيها أى كتب
فعلة بمعني مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الالواح المنكسرة ﴿ هدى ﴾ بيان
للحق ﴿ ورحمة ﴾ ارشاد الى الصلاح والخير ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ دخلت اللام على
المفعول لضعف الفعل بالتأخير أوحذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى
الله لربهم ﴿ واختار موسى قومه ﴾ أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل اليه ﴿ سبعين
رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة ﴾ * روى أنه تعالى أمره أن يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل
فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد
أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل
موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أى الصاعقة أورجفة
الجبل فصعقوا منها ﴿ قال رب لوشئت أهلكتهم من قبل واياى ﴾ تمنى هلاكهم وهلاكه
قبل أن يرى مارأى أوبسبب آخر أوعني به أنك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل
فرعون على اهلاكهم وباغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت
عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم احسانك ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتي كادت
تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم
﴿ ان هي الافتنتك ﴾ ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية أوأوجدت فى العجل
خوارا فزاغوا به ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده أوباتباع المخايل ﴿ وتهدى
من تشاء ﴾ هداه فيقوى بها ايمانه ﴿ أنت ولينا ﴾ القائم بأمرنا ﴿ فاغفر لنا ﴾ بمغفرة
ماقارفنا ﴿ وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ
إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا
تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ قَالَ
رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
۝ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ
عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ
أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
يَرْهَبُونَ ۝ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا
لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ
مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ
إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ
وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝

وَاكْتُبْ لَنَا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْاٰخِرَةِ اِنَّا هُدْنَا
اِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي اُصِيبُ بِهِ مَنْ اَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ
كُلَّ شَيْءٍ فَسَاَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِاٰيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرٰيةِ وَالْاِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهٰيهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٓائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ اِصْرَهُمْ وَالْاَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ اٰمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي اُنْزِلَ مَعَهُ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ قُلْ يَا اَيُّهَا
النَّاسُ اِنِّي رَسُولُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاٰمِنُوا
بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْاُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَمِنْ
قَوْمِ مُوسٰى اُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۝

﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿وفي الآخرة﴾ الجنة ﴿انا هدنا اليك﴾ تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعني أملنا أنفسنا وأملنا اليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ تعذيبه ﴿ورحمتي وسعت كل شئ﴾ في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره ﴿فسأكتبها﴾ فسأثبتها في الآخرة أو فسأكتبها كتبة خاصة منكم يابني اسرائيل ﴿للذين يتقون﴾ الكفر والمعاصي ﴿ويؤتون الزكاة﴾ خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت أشق عليهم ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ فلا يكفرون بشئ منها ﴿الذين يتبعون الرسول النبي﴾ مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدا تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد ﴿الامى﴾ الذى لا يكتب ولايقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله احدي معجزاته ﴿الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل﴾ اسما وصفة ﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات﴾ مما حرم عليهم كالشحوم ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة ﴿ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم﴾ ويخفف عنهم ماكلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم ﴿فالذين آمنوا به وعزروه﴾ وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير ﴿ونصروه﴾ لى ﴿واتبعوا النور الذى أنزل معه﴾ أي مع نبوّته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة ﴿أولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى صلى الله عليه وسلم ﴿قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم﴾ الخطاب عام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى أقوامهم ﴿جميعا﴾ حال من اليكم ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿لااله الاهو﴾ وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لاغيره وفي ﴿يحي ويميت﴾ مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذي يؤمن بالله وكلماته﴾ ماأنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له ﴿واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد في خطط الضلالة ﴿ومن قوم موسى﴾ يعنى من بني اسرائيل ﴿أمة يهدون بالحق﴾ يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق ﴿وبه﴾ بالحق ﴿يعدلون﴾ بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من أهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ماهو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به

﴿ وقطعناهم ﴾ وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض ﴿ اثنتي عشرة ﴾ مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير أوحال وتأنيثه للحمل على الامة أوالقطعة ﴿ أسباطا ﴾ بدل منه ولذلك جمع أوتمييز له على أن كل واحدة من اثنتى عشرة أسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقريء بكسر الشين واسكانها ﴿ أمما ﴾ على الاول بدل بعد بدل أونعت أسباطا وعلى الثاني بدل من أسباطا ﴿ وأوحينا الى موسى اذاستسقاه قومه ﴾ فى التيه ﴿ أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست ﴾ أى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يتوقف فى الامتثال وأن ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته ﴿ منه اثنتا عشرة عينا قدعلم كل أناس ﴾ كل سبط ﴿ مشربهم وظللنا عليهم الغمام ﴾ ليقيهم حرالشمس ﴿ وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى كلوا ﴾ أي وقلنا لهم كلوا ﴿ من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ سبق تفسيره فيسورة البقرة ﴿ واذقيل لهم اسكنوا هذه القرية ﴾ باضمار اذكروا لقرية بيت المقدس ﴿ وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ﴾ مثل مافى سورة البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة أوبدلالة الحال عليه وأماتقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له في المعنى لانه لايوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما ﴿ نغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين ﴾ وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما أخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس فى مقابلة ماأمروا به وقرأنافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيآتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ أبوعمرو خطاياكم ﴿ فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون ﴾ مضى تفسيره فيها ﴿ واسئلهم ﴾ للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هومن علومهم التى لاتعلم الا بتعليم أووحى ليكون لك ذلك معجزة عليهم ﴿ عن القرية ﴾ عن خبرها وماوقع باهلها ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ قريبة منه وهي أيلة قرية بين مدين والطور على شاطىء البحر وقيل مدين وقيل طبرية ﴿ اذيعدون في السبت ﴾ يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذظرف لكانت أوحاضرة أوللمضاف المحذوف أوبدل منه بدل الاشتمال ﴿ اذتاتيهم حيتانهم ﴾ ظرف ليعدون أوبدل بعد بدل وقرىء يعدون وأصله يعتدون ويعدون من الاعداد أى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقدنهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿ يوم سبتهم شرعا ﴾ يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرىء يوم اسباتهم وقوله ﴿ ويوم لايسبتون لاتاتيهم ﴾ وقرىء لايسبتون من أسبت ولايسبتون على البناء للمفعول بمعنى لايدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا وأشرف ﴿ كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ﴾ مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بماقبله أي لاتاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون ﴿ واذقالت ﴾ عطف على اذيعدون ﴿ أمة منهم ﴾ جماعة من أهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم ﴿ لم تعظون قوما الله مهلكهم ﴾ مخترمهم ﴿ أومعذبهم عذابا شديدا ﴾ فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى أن الوعظ لاينفع فيهم أوسؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أوقول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم ﴿ قالوا معذرة الى ربكم ﴾ جواب للسؤال أي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لاتنسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أوالعلة أي اعتذرنا به معذرة أووعظناهم معذرة ﴿ ولعلهم يتقون ﴾ اذ اليأس لايحصل الا بالهلاك

وَقَطَّعْنٰهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلٰى مُوسٰى
إِذِ اسْتَسْقٰيهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ
مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا
عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوا
مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓئٰتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا
مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ۞ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي
كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ
مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلٰى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞

﴿فلما نسوا﴾ تركوا ترك الناسى ﴿ماذ كروا به﴾ ماذ كرهم به صلحاؤهم ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ بالاعتداء ومخالفة أمرالله ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمز على أنه بئس كحذر كما قرئ به تخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد وقرأ نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب أوعلى أنه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس بالتخفيف كهين وبائس كفاعل ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم ﴿فلما عتوا عمانهوا عنه﴾ تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله تعالى ـ وعتوا عن أمر ربهم ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ كقوله ـ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ـ والظاهر يقتضى أن الله تعالى عذبهم أو لا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوزأن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى ✽ روى أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث ✽ وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم ﴿واذ تأذن ربك﴾ أى أعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد أوعزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله فاجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو ﴿ليبعثن عليهم الى يوم القيامة﴾ والمعنى واذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿من يسومهم سوء العذاب﴾ كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل مافعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ﴿ان ربك

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ
عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞
وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ۞ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ
عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ۞

لسريع العقاب﴾ عاقبهم فى الدنيا ﴿وانه لغفور رحيم﴾ لمن تاب وآمن ﴿وقطعناهم فى الارض أمما﴾ وفرقناهم فيها بحيث لايكاد يخلو قطر منهم تتمة لأدبارهم حتى لايكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أوحال ﴿منهم الصالحون﴾ صفة أوبدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ﴿ومنهم دون ذلك﴾ تقديره ومنهم ناس دون ذلك أى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيآت﴾ بالنعم والنقم ﴿لعلهم يرجعون﴾ ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه ﴿فخلف من بعدهم﴾ من بعد المذكورين ﴿خلف﴾ بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ورثوا الكتاب﴾ التوراة من أسلافهم يقرؤنها ويقفون على مافيها ﴿يأخذون عرض هذا الادني﴾ حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الدنو أوالدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ لايؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور أومصدر يأخذون ﴿وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ حال من الضمير في لنا أى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ أى فى الكتاب ﴿أن لايقولوا على الله الا الحق﴾ عطف بيان للميثاق أومتعلق به أى بان يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ﴿ودرسوا مافيه﴾ عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير أوعلى ورثوا وهو اعتراض ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ مما يأخذ هؤلاء ﴿أفلا يعقلون﴾ فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادني الدنئ المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين ﴿والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة﴾ عطف على الذين يتقون وقوله أفلا يعقلون اعتراض أومبتدأ خبره ﴿انا لانضيع أجر المصلحين﴾ على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على أن الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر أنواع التمسكات

﴿واذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ أى قلعناه ورفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب ﴿كأنه ظلة﴾ سقيفة وهي كل ما أظلك ﴿وظنوا﴾ وتيقنوا ﴿أنه واقع بهم﴾ ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجوّ ولانهم كانوا يوعدون به وانما أطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيها والاليقعن عليكم ﴿خذوا﴾ على اضمار القول أى وقلنا خذوا أوقائلين خذوا ﴿ما آتيناكم﴾ من الكتاب ﴿بقوة﴾ بجدّ وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو ﴿واذكروا مافيه﴾ بالعمل به ولاتتركوه كالمنسى ﴿لعلكم تتقون﴾ قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق ﴿واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ أي أخرج من أصلابهم نسلهم على مايتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ أي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه بمنزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله ﴿أن تقولوا يوم القيامة﴾ أي كراهة أن تقولوا ﴿انا كنا عن هذا غافلين﴾ لم ننبه عليه بدليل ﴿أوتقولوا﴾ عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لان أول الكلام على الغيبة ﴿انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم﴾ فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لايصلح عذرا ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال ﴿وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ أي عن التقليد واتباع الباطل ﴿واتل عليهم﴾ أى على اليهود ﴿نبا الذى آتيناه آياتنا﴾ هو أحد علماء بنى اسرائيل أو أمية بن أبي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتى علم بعض كتب الله ﴿فانسلخ منها﴾ من الآيات بان كفر بها وأعرض عنها ﴿فأتبعه الشيطان﴾ حتى لحقه وقيل استتبعه ﴿فكان من الغاوين﴾ فصار من الضالين * روى أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فالحوا حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ﴿ولو شئنا لرفعناه﴾ الى منازل الابرار من العلماء ﴿بها﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿ولكنه أخلد الى الارض﴾ مال الى الدنيا أو الى السفالة ﴿واتبع هواه﴾ فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيق هو المشيئة وان مانشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فاوقع موقعه أخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ماحمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ﴿فمثله﴾ فصفته التى هي مثل فى الخسة ﴿كمثل الكلب﴾ كصفته في أخس أحواله وهو ﴿ان تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث﴾ أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أوترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى صلى الله عليه وسلم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص﴾ القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم ﴿لعلهم يتفكرون﴾ تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ ﴿ساء مثلا القوم﴾ أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ اما أن يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وماظلموا بالتكذيب الا أنفسهم فان وباله لايتخطاها ولذلك قدم المفعول ﴿من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون﴾ تصريح بأن الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها

واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم
خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ۞
واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم
على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين ۞ أو تقولوا انما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما
فعل المبطلون ۞ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون ۞ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ
منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۞ ولو شئنا
لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص
القصص لعلهم يتفكرون ۞ ساء مثلا القوم الذين
كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ۞ من يهد الله
فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ۞

ولقد

﴿ ولقد ذرأنا ﴾ خلقنا ﴿ لجهنم كثيرا من الجنّ والانس ﴾ يعنى المصرين على الكفر في علمه تعالى ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ﴾ اذ لايلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله ﴿ ولهم أعين لايبصرون بها ﴾ أى لاينظرون الي ماخلق الله نظر اعتبار ﴿ ولهم آذان لايسمعون بها ﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر ﴿ أولئك كالانعام ﴾ فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر أوفى أن مشاعرهم وقواهم متوجهة الى أسباب التعيش مقصورة عليها ﴿ بل هم أضلّ ﴾ فانها تدرك مايمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾ الكاملون فى الغفلة ﴿ ولله الاسماء الحسنى ﴾ لانها دالة على معان هى أحسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات ﴿ فادعوه بها ﴾ فسموه بتلك الاسماء ﴿ وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بمالاتوقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم ياأبا المكارم ياأبيض الوجه أولاتبالوا بانكارهم ماسمى به نفسه كقولهم مانعرف الا رحمن اليمامة أو وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولاتوافقوهم عليه أوأعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال ﴿ سيجزون ماكانوا يعملون ﴾ وقرأ حمزة هنا وفى فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ ذكر ذلك بعد مابين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه أن فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لاتزال من أمتى طائفة على الحق الى أن يأتي أمر الله اذ لواختصّ بعهد الرسول أوغيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم ﴾ سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أوالاستنزال درجة بعد درجة ﴿ من حيث لايعلمون ﴾ مانريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهما كا فى الغىّ حتى يحق عليهم كلة العذاب ﴿ وأملى لهم ﴾ وأمهلهم عطف على سنستدرجهم ﴿ ان كيدى متين ﴾ ان أخذى شديد وانما سماه كيدا لأن ظاهره احسان وباطنه خذلان ﴿ أولم يتفكروا مابصاحبهم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ من جنة ﴾ من جنون ❊ روى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ﴿ ان هو الا نذير مبين ﴾ موضح انذاره بحيث لايخفى على ناظر ﴿ أولم ينظروا ﴾ نظر استدلال ﴿ فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شئ ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لايمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولى أمرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه ﴿ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ﴾ عطف على ملكوت وأن مصدرية أومخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ماينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب ﴿ فبأى حديث بعده ﴾ أى بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعلّ أجلهم قد اقترب فما بالهم لايبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله ﴿ من يضلل الله فلا هادى له ﴾ كالتقرير والتعليل له ﴿ ونذرهم فى طغيانهم ﴾ بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لايهده أحد غيره ونذرهم ﴿ يعمهون ﴾ حال من هم ﴿ يسئلونك عن الساعة ﴾ أى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أولأنها على طولها عند الله كساعة ﴿ أيان مرساها ﴾ متى ارساؤها أى اثباتها واستقرارها ورسوّ الشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أى لأن معناه أى وقت وهو من أويت اليه لان البعض آوالى الكل ﴿ قل انما علمها عند ربى ﴾ استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولانبيا مرسلا ﴿ لايجليها لوقتها ﴾ لايظهر أمرها فى وقتها ﴿ الا هو ﴾ والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله ـ أقم الصلاة لدلوك الشمس ـ ﴿ ثقلت فى السموات والارض ﴾ عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها ﴿ لاتأتيكم الا بغتة ﴾ الا فجأة على غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوّم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ﴿ يسئلونك كأنك حفىّ عنها ﴾ عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هي صلة يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه من حفى بالشئ اذا فرح أى تكثره لانه من الغيب الذى استأثر الله بعلمه ﴿ قل انما علمها عند الله ﴾ كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ﴿ ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ﴾ ان علمها عندالله لم يؤته أحدا من خلقه

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ❁ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ❁ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ❁ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ❁ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ❁ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ❁ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ❁ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ❁ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ❁

﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولاضرّا ﴾ جلب نفع ولادفع ضرّ وهو اظهار للعبودية والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب ﴿ الا ماشاء الله ﴾ من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسني السوء ﴾ ولوكنت أعلمه لخالفت حالى ماهي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لايمسني سوء ﴿ ان أنا الا نذير وبشير ﴾ ما أنا الا عبد مرسل للانذار والبشارة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ فانهم المنتفعون بهما ويجوز أن يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ هو آدم ﴿ وجعل منها ﴾ من جسدها من ضلع من أضلاعها أومن جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴿ زوجها ﴾ حوّاء ﴿ ليسكن اليها ﴾ ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه أوجنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب ﴿ فلما تغشاها ﴾ أى جامعها ﴿ حملت حملا خفيفا ﴾ خف عليها ولم تلق منه ماتلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أومحمولا خفيفا وهو النطفة ﴿ فمرّت به ﴾ فاستمرت به أى قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب أومن المرية أى فظنت الحمل وارتابت منه ﴿ فلما أثقلت ﴾ صارت ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول أى أثقلها حملها ﴿ دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ﴾ ولدا سويا قد صلح بدنه ﴿ لنكوننّ من الشاكرين ﴾ لك على هذه النعمة المجدّدة ﴿ فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ أى جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله ﴿ فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالايخلق شيأ وهم يخلقون ﴾ يعنى الاصنام ❊ وقيل لما حملت حوّاء أتاها ابليس في صورة رجل فقال لها مايدريك مافى بطنك لعله بهيمة أوكلب ومايدريك من أين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبدالحرث وأمثال ذلك لاتليق بالانبياء ويحتمل أن يكون الخطاب في خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبدالدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركا أى شركة بان أشركا فيه غيره أوذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ﴿ ولايستطيعون لهم نصرا ﴾ أي لعبدتهم ﴿ ولا أنفسهم ينصرون ﴾ فيدفعون عنها مايعتريها ﴿ وان تدعوهم ﴾ أى المشركين ﴿ الى الهدى ﴾ الى الاسلام ﴿ لايتبعوكم ﴾ وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام أى ان تدعوهم الى أن يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله ﴿ سواء عليكم أدعوتموهم ام أنتم صامتون ﴾ وانما لم يقل أم صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوّى بالثبات على الصمات أو لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿ عباد أمثالكم ﴾ من حيث أنها مملوكة مسخرة ﴿ فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لايستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ﴿ ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ﴾ وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على أنها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ واستعينوا بهم فى عداوتى ﴿ ثم كيدون ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهي أنتم وشركاؤكم ﴿ فلاتنظرون ﴾ فلاتمهلون فانى لا أبالى بكم لوثوق على ولاية الله تعالى وحفظه

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ
كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا
لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمَا
صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۞
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ
أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا
أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ۞

﴿ ان ولي الله الذى نزل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ وهويتولى الصالحين ﴾ أى ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلا عن أنبيائه ﴿ والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون ﴾ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوّروا بصورة من ينظر الى من يواجهه ﴿ خذ العفو ﴾ أى خذ ماعفا لك من أفعال الناس وتسهل ولاتطلب مايشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد أوخذ العفو عن المذنبين أوالفضل ومايسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة ﴿ وأمر بالعرف ﴾ المعروف المستحسن من الافعال ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ فلا تمارهم ولاتكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ ينخسنك منه نخس أى وسوسة تحملك على خلاف ماأمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق مايسوقه ﴿ فاستعذ بالله انه سميع ﴾ يسمع استعاذتك ﴿ عليم ﴾ يعلم مافيه صلاح أمرك فيحملك عليه أوسميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان ﴾ لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أومن طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبوعمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر أوتخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره ﴿ تذكروا ﴾ ماأمر الله به ونهى عنه ﴿ فاذاهم مبصرون ﴾ بسبب التذكرمواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولايتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله ﴿ واخوانهم يمدونهم ﴾ أى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين ﴿ فى الغى ﴾ بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من أمد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ﴿ ثم لايقصرون ﴾ ثم لايمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز أن يكون الضمير للاخوان أى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ماهوله ﴿ واذا لم تأتهم بآية ﴾ من القرآن أومما اقترحوه ﴿ قالوا لولا اجتبيتها ﴾ هلا جمعتها تقوّلا من نفسك كسائر ماتقرؤه أوهلا طلبتها من الله ﴿ قل انما أتبع مايوحى الىّ من ربى ﴾ لست بمختلق للآيات أولست بمقترح لها ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ سبق تفسيره ﴿ واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لايري وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أوأمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه ﴿ تضرعا وخيفة ﴾ متضرعا وخائفا ﴿ ودون الجهر من القول ﴾ ومتكلما كلاما فرق السر ودون الجهر فانه أدخل في الخشوع والاخلاص ﴿ بالغدوّ والآصال ﴾ بأوقات الغدوّ والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل وهو مطابق للغدوّ ﴿ ولاتكن من الغافلين ﴾ عن ذكر الله ﴿ ان الذين عند ربك ﴾ يعنى ملائكة الملأ الأعلى ﴿ لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه ﴾ وينزهونه ﴿ وله يسجدون ﴾ ويخصونه بالعبادة والتذلل لايشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته* وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول ياويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۞
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۞ خُذِ ٱلْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم
مُّبْصِرُونَ ۞ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۞
وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ
إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۞

﴿ سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * يسئلونك عن الانفال ﴾ أي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه ﴿ قل الانفال لله والرسول ﴾ أى أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على مايأمره الله به*وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أوالانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كناردأ لكم وفئة تنحازون الينا فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لايلزم الامام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعى رضى الله عنه وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخى عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذالى ولالك اطرحه فى القبض فطرحته وبي مالايعلمه الا الله من قتل أخى وأخذ سلبي فما جاوزت الاقليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال أى يسألك الشبان ماشرطت لهم ﴿ فاتقوا الله ﴾ فى الاختلاف والمشاجرة ﴿ وأصلحوا ذات بينكم ﴾ الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره الى الله والرسول ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ فيه ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان الايمان يقتضى ذلك أوان كنتم

سورة الانفال ١٧٨

سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله
وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين
﴿١﴾ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٢﴾ الذين
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ﴿٣﴾ أولئك هم المؤمنون
حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴿٤﴾ كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون ﴿٥﴾ يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون
الى الموت وهم ينظرون ﴿٦﴾ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم
ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين
﴿٧﴾ ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴿٨﴾

اذ

كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أى خافت ﴿ واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ﴾ لزيادة المؤمن به أولاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة أوبالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ يفوضون اليه أمورهم ولايخشون ولايرجون الا اياه ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التى هي العيار عليها من الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أومصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ﴿ ومغفرة ﴾ لما فرط منهم ﴿ ورزق كريم ﴾ أعدلهم فى الجنة لاينقطع عدده ولاينتهى أمده ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ﴾ خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له وهي كراهة مارأيت من تنفيل الغزاة أوصفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول أى الانفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه وسلم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه أوبيته فيها مع كراهتهم ﴿ وان فريقا من المؤمنين لكارهون ﴾ فى موقع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبوسفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبوجهل فوق الكعبة ياأهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا أصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك أباجهل فقال ماترضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبوجهل بجميع أهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واماقريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا أبوجهل قدأقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبوبكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وقالا فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فيه فوالله لوسرت الى عدن أبين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف أن لايروا نصرته الاعلى عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله فقال أجل قال قد آمنابك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ومانكره أن تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقربه عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله قدوعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو فى وثاقه لايصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقدأعطاك ماوعدك فكره بعضهم قوله ﴿ يجادلونك في الحق ﴾ فى ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقى العير عليه ﴿ بعد ماتبين ﴾ لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون ﴾ أى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذروى أنهم كانوا رجالة وماكان فيهم الافارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم ﴿ واذيعدكم الله احدى الطائفتين ﴾ على اضماراذكر واحدى ثاني مفعولى يعدكم وقد أبدل منها ﴿ انها لكم ﴾ بدل الاشتمال ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾

اِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنِّى مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ
مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ
اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْاَقْدَامَ ۞
اِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰئِكَةِ اَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا
سَاُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْاَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۞ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شَاقُّوا
اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَاِنَّ اللّٰهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَاَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ۞ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْاَدْبَارَ ۞ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ اِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ اَوْ مُتَحَيِّزًا اِلٰى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَمَاْوٰيهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞

يعنى العير فانه لم يكن فيها الا أربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿ ويريد الله أن يحق الحق ﴾ أى يثبته ويعليه ﴿ بكلماته ﴾ الموحى بها فى هذه الحال أوباوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ ويستأصلهم والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالاولاتلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق ومايحصل لكم فوز الدارين ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ أى فعل مافعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد ومابينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ﴿ولوكره المجرمون ﴾ ذلك ﴿ اذ تستغيثون ربكم ﴾ بدل من اذيعدكم أومتعلق بقوله ليحق الحق أوعلى اضمار اذكر واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لامحيص عن القتال أخذوا يقولون أى رب انصرنا على عدوك أغثنا ياغياث المستغيثين وعن عمر رضى الله تعالى عنــه أنه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلةومدّ يديه يدعو اللهم أنجزلى ماوعدتنى اللهم ان تهلك هــذه العصابة لاتعبد فى الارض فمازال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبوبكر يانبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجزلك ماوعدك ﴿ فاستجاب لكم أني ممدكم ﴾ باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليــه الفعل وقرأ أبوعمرو بالكسر على ارادة القول اواجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول ﴿ بالف من الملائكة مردفين ﴾ متبعين المؤمنين أوبعضهم بعضا من أردفته انا اذاجئت بعده أومتبعين بعضهم بعض المؤمنين أوأنفسهم المؤمنين من أردفتــه اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أى متبعين أومتبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش أوساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أوبالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق مافى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أوالساقة أووجوههم وأعيانهم أومن قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقدروى أخبار تدل عليها ﴿وماجعله الله﴾ أى الامداد ﴿ الابشرى ﴾ الابشارة لكم بالنصر ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ فيزول مابها من الوجل لقلتكم وذلتكم ﴿ وماالنصر الامن عند الله ان الله عزيز حكيم ﴾ وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لاتأثيرلها فلاتحسبوا النصر منها ولاتيأسوا منه بفقدها ﴿ اذيغشيكم النعاس ﴾ بدل ثان من اذيعدكم لاظهار نعمة ثالثة أومتعلق بالنصر أوبما فى عنــد الله معنى الفعل أوبجعل أو باضماراذكر وقرأنافع بالتخفيف من أغشيته الشئ اذاغشيته اياه والفاعــل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبوعمر يغشاكم النعاس بالرفع ﴿ أمنة منه ﴾ امنا من الله وهومفعول له باعتبار المعــنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معــنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوزان يرادبها الايمان فيكون فعل المغشى وأن تجعــل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه أولانه كان من حقــه ان لايغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة كرحمة وهى لغة ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ من الحدث والجنابة ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ يعنى الجنابة لانها من تخييله أووسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليــلا حتى جرى الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العــدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة ﴿وليربط على قلوبكم﴾ بالوثوق على لطف الله بهم ﴿ ويثبت به الاقدام ﴾ أى بالمطر حتى لاتسوخ فى الرمل أوبالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة ﴿اذيوحى ربك﴾ بدل ثالث أومتعلق بيثبت ﴿الى الملائكة أنى معكم﴾ فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول أواجراء الوحى مجراه ﴿ فثبتوا الذين آمنوا ﴾ بالبشارة أوبتكثير سوادهم أوبمحاربة أعدائهم فيكون قوله ﴿ سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيــه مع المؤمنــين اما على تغيير الخطاب أوعلى ان قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقين للملائكة مايثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولى هذا ﴿ فاضربوا فوق الاعناق ﴾ أعاليها التى هي المذابح أوالرؤس ﴿ واضربوا منهم كل بنان ﴾ أصابع أى جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الضرب أوالامر به والخطاب للرسول أولكل أحــد من المخاطبين قبــل ﴿ بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلامن المتعاديين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ﴾ تقرير للتعليل أووعيــد بما أعد لهم فى الآخرة بعد ماحاق بهم فى الدنيا ﴿ ذلــكم ﴾ الخطاب فيه مع الــكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أى الامر ذلــكم أوذلــكم واقع أونصب بفعل دل عليه ﴿ فذوقوه ﴾ أوغيره مثل باشروا أوعليكم فتــكون الفاء عاطفة ﴿وأن للــكافرين عذاب النار ﴾ عطف على ذلــكم أونصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ماعجل لــكم مع ماأجل لــكم فى الآخرة ووضع الظاهر فيــه موضع الضمير للدلالة على أن الــكفر سبب العذاب الآجل أوالجمع بينهما وقرئ وان بالــكسر على الاستئناف ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ كثيرابحيث يرى لــكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبى اذادب على مقعده قليلا قليلا سمى به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال ﴿فلاتولوهم الأدبار ﴾ بالانهزام فضلا أن يكونوا مثلــكم أوأقل منــكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز انينتصب زحفا حالا من الفاعــل والمفعول أى اذالقيتموهم متزحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلاتنهزموا أومن الفاعل وحــده ويكون اشعارا بما سيــكون منهم يوم حنــين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا ﴿ ومن يولهم يومئــذ دبره الامتحرفا لقتال ﴾ يريد الــكر بعــد الفر وتغرير العــدو فانه من مكايد الحرب ﴿ أومتحيزا الى فئــة ﴾ أومنحازا الى فئــة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان فى سرية بعثهم رسول الله صــلى الله عليــه وســلم ففروا الى المدينة فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والالغو لاعمل لها أوالاستثناء من المولين أى الارجــلا متحرفا أومتحيزا ووزن متحيز متفيعل لامتفعل والالــكان متحوزا لانه من حاز يحوز ﴿ فقدباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ هذا اذالم يزد العــدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيــل الآية مخصوصة بأهل بيتــه والحاضرين معــه فى الحرب

﴿ فلم تقتلوهم ﴾ بقوتكم ﴿ ولكن الله قتلهم ﴾ بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرّعب فى قلوبهم * روى أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني أسألك ماوعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿ ومارميت ﴾ يامحمد رميا توصله الى أعينهم ولم تقدر عليه ﴿ اذ رميت ﴾ أى اذ أتيت بصورة الرمى ﴿ ولكن الله رمى ﴾ أتى بما هو غاية الرمى فأوصلها الى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه مارميت بالرّعب اذ رميت بالحصباء ولكنّ الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها أبيّ ابن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات أورمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب كنانة بن أبي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع مابعده في الموضعين ﴿ وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل مافعل ﴿ ان الله سميع ﴾ لاستغاثتهم ودعائهم ﴿ عليم ﴾ بنياتهم وأحوالهم ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى البلاء الحسن أوالقتل أوالرمى ومحله الرفع أي المقصود أو الامر ذلكم وقوله ﴿ وأن الله موهن كيد الكافرين ﴾ معطوف عليه أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ﴿ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۞ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞

وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين ﴿ وان تنتهوا ﴾ عن الكفر ومعاداة الرسول ﴿ فهو خير لكم ﴾ لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿ وان تعودوا ﴾ لمحاربته ﴿ نعد ﴾ لنصرته عليكم ﴿ ولن تغنى ﴾ ولن تدفع ﴿ عنكم فئتكم ﴾ جماعتكم ﴿ شيأ ﴾ من الاغناء أوالمضار ﴿ ولو كثرت ﴾ فئتكم ﴿ وان الله مع المؤمنين ﴾ بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على تقدير ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أوتهييج العدوّ ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤيد ذلك ﴿ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه ﴾ أي ولاتتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الأمر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ وقيل الضمير للجهاد أوللأمر الذي دلّ عليه الطاعة ﴿ وأنتم تسمعون ﴾ القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ﴿ ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ كالكفرة والمنافقين الذين ادّعوا السماع ﴿ وهم لايسمعون ﴾ سماعا ينتفعون به فكأنهم لايسمعون رأسا ﴿ انّ شرّ الدّواب عند الله ﴾ شرّ مايدبّ على الارض أوشرّ البهائم ﴿ الصم ﴾ عن الحق ﴿ البكم الذين لايعقلون ﴾ اياه عدّهم من البهائم ثم جعلهم شرّها لابطالهم مامیزوا به وفضلوا لأجله ﴿ ولوعلم الله فيهم خيرا ﴾ سعادة كتبت لهم أوانتفاعا بالآيات ﴿ لأسمعهم ﴾ سماع تفهم ﴿ ولوأسمعهم ﴾ وقد علم أن لاخير فيهم ﴿ لتولوا ﴾ ولم ينتفعوا به أوارتدّوا بعد التصديق والقبول ﴿ وهم معرضون ﴾ لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم أحى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾ بالطاعة ﴿ اذا دعاكم ﴾ وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول * وروي أنه عليه الصلاة والسلام مرّ على أبيّ وهو يصلى فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الىّ ـ استجيبوا لله وللرسول ـ واختلف فيه فقيل هذا لأن اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة أيضا اجابة وقيل لأن دعاءه كان لأمر لايحتمل التأخير وللمصلى أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول ﴿ لما يحييكم ﴾ من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته * قال

لاتعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

أومما يورثكم الحياة الأبدية فى النعيم الدائم من العقائد والأعمال أومن الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لوتركوه لغلبهم العدوّ وقتلهم أوالشهادة لقوله تعالى ـ بل أحياء عند ربهم يرزقون ـ ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ـ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ـ وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أوحثّ على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أوغيره أوتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان أراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدّد فيه ﴿ وأنه اليه تحشرون ﴾ فيجازيكم باعمالكم ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ اتقوا ذنبا يعمكم أثره كاقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة فى الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على أن قوله لاتصيبن اما جواب الأمر على معنى ان أصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه أن جواب الشرط متردّد فلايليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ـ ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم ـ واما صفة لفتنة ولاللنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم أوللنهى على ارادة القول كقوله

حتى اذا جنّ الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل أن يكون نهيا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا
أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ
الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ
أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞

﴿واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض﴾ أرض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا أذلاء في أيدي فارس والروم ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ كفار قريش أو من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين لهم مضادين لهم ﴿فآواكم﴾ الى المدينة أو جعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعاديكم ﴿وأيدكم بنصره﴾ على الكفار أو بمظاهرة الانصار أو بامداد الملائكة يوم بدر ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من الغنائم ﴿لعلكم تشكرون﴾ هذه النعم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول﴾ بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في المغانم * وروى أنه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على أن يسيروا الى اخوانهم باذرعات وأريحاء بارض الشام فأبى الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في أيديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث أن تتصدق به وأصل الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه ﴿وتخونوا أماناتكم﴾ فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول أو منصوب على الجواب بالواو ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ لانهم سبب الوقوع في الاثم أو العقاب أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر رضا الله عليهم وراعي حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ ويسترها ﴿ويغفر لكم﴾ بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيآت الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا﴾ تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ﴿ليثبتوك﴾ بالوثاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك ﴿أو يقتلوك﴾ بسيوفهم ﴿أو يخرجوك﴾ من مكة وذلك أنهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليهما السلام وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بان أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا ﴿والله خير الماكرين﴾ اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ هو قول النضر بن الحرث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان ﴿ان هذا الا أساطير الاولين﴾ ما سطره الاولون من القصص ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود * روى أنه لما قال النضر ان هذا الا أساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الاولين ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله ـ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۞ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا
فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۞

واعلموا

﴿ومالهم ألا يعذبهم الله﴾ وماالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لايعذبون ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية ﴿وما كانوا أولياءه﴾ مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو زد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿ان أولياؤه الا المتقون﴾ من الشرك الذين لايعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أن لاولاية لهم عليه كأنه نبه بالا كثر أن منهم من يعلم ويعاند أوأراد به الكل كما يراد بالقلة العدم ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾ أى دعاؤهم أومايسمونه صلاة أومايضعون موضعها ﴿الا مكاء﴾ صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا ﴿وتصدية﴾ تصفيقا تفعلة من الصدا أومن الصد على ابدال أحد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أوعدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه صلاته * روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا ﴿فذوقوا العذاب﴾ يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب ﴿بما كنتم تكفرون﴾ اعتقادا وعملا ﴿ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أوفى أبى سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية أوفى أصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله ﴿فسينفقونها﴾ بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة ﴿ثم يغلبون﴾ آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك ﴿والذين كفروا﴾ أى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ أسلم بعضهم ﴿الى جهنم يحشرون﴾ يساقون ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أوما أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أنفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا﴾ فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أويضم الى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين ﴿فيجعله فى جهنم﴾ كله ﴿أولئك﴾ اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث أو الى المنفقين ﴿هم الخاسرون﴾ الكاملون فى الخسران لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم ﴿قل للذين كفروا﴾ يعنى أباسفيان وأصحابه والمعنى قل لاجلهم ﴿ان ينتهوا﴾ عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام ﴿يغفر لهم ماقد سلف﴾ من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿وان يعودوا﴾ الى قتاله ﴿فقد مضت سنت الاولين﴾ الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك ﴿وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة﴾ لايوجد فيهم شرك ﴿ويكون الدين كله لله﴾ وتضمحل عنهم الاديان الباطلة ﴿فان انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فان الله بما يعملون بصير﴾ فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على أنه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب ﴿وان تولوا﴾ ولم ينتهوا ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم فثقوا به ولاتبالوا بمعاداتهم ﴿نعم المولى﴾ لايضيع من تولاه ﴿ونعم النصير﴾ لايغلب من نصره

﴿ واعلموا أنما غنمتم ﴾ أي الذي أخذتموه من الكفار قهرا ﴿ من شئ ﴾ مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط ﴿ فأن لله خمسه ﴾ مبتدأ خبره محذوف أي فثابت أن لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما في قوله ـ والله ورسوله أحقّ أن يرضوه ـ وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين ﴿ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير أن سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية ✲ وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوّض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه أهم وذهب أبو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ قبضة منه فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذوو القربى بنوهاشم وبنو المطلب لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لاننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص ✲ والآية نزلت ببدر وقيل الخمس كان فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوّال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ﴿ ان كنتم آمنتم بالله ﴾ متعلق بمحذوف دلّ عليه واعلموا أي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الأربعة الباقية فان العلم العملى اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لأنه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل ﴿ وما أنزلنا على عبدنا ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين أى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ يوم الفرقان ﴾ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ المسلمون والكافرون ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة ﴿ اذ أنتم بالعدوة الدنيا ﴾ بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾ البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا ﴿ والركب ﴾ أي العير أو قوادها ﴿ أسفل منكم ﴾ فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لايخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولايمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ﴿ ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ﴾ أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ﴿ ولكن ﴾ جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ﴿ ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴾ حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ﴾ بدل منه أومتعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة أوليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة أومن هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبوبكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل ﴿ وان الله لسميع عليم ﴾ بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد ﴿ اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ﴾ مقدر باذكر أوبدل ثان من يوم الفرقان أومتعلق بعليم أى يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوّهم ﴿ ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ﴾ لجبنتم ﴿ ولتنازعتم فى الامر ﴾ فى أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ﴿ ولكنّ الله سلم ﴾ أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ يعلم ماسيكون فيها ومايغير أحوالها ﴿ واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ﴾ الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ويقللكم فى أعينهم ﴾ حتى قال أبو جهل ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم فى أعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لاعلى هذا الوجه ولا الى هذا الحدّ وانما يتصور ذلك بصدّ الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى في الشروط ﴿ ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴾ كرّره لاختلاف الفعل المعلل به أولا لأن المراد بالامر ثمة الاكتفاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام وأهله واذلال الاشراك وحزبه ﴿ والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة ﴾ حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال ﴿ فاثبتوا ﴾ للقائهم ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغى أن لايشغله شئ عن ذكر الله وأن يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه لاينفك عنه فى شئ من الاحوال

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۞ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۞ وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ
مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى
عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَلَوْ تَرَى
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ كَدَأْبِ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞

ذلك

﴿وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا﴾ باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أوأحد ﴿فتفشلوا﴾ جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ ﴿وتذهب ريحكم﴾ بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى أمرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ﴿واصبروا ان الله مع الصابرين﴾ بالكلاءة والنصرة ﴿ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم﴾ يعنى أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير ﴿بطرا﴾ فخرا وأشرا ﴿ورئاء الناس﴾ ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبوجهل لا والله حتي نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بان يكونوا أهل تقوى واخلاص من حيث ان النهى عن الشئ أمر بضده ﴿ويصدّون عن سبيل الله﴾ معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال و كذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر ﴿والله بما يعملون محيط﴾ فيجازيكم عليه ﴿واذ زين لهم الشيطان﴾ مقدر باذكر ﴿أعمالهم﴾ فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بأن وسوس اليهم ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم﴾ مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى فى روعهم وخيل اليهم أنهم لايغلبون ولايطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم اياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أوصفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ أى تلاقى الفريقان ﴿نكص على عقبيه﴾ رجع القهقرى أى بطل كيده وعاد ماخيل اليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم ﴿وقال انى بريء منكم انى أرى ما لاترون اني أخاف الله﴾ أى تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت مابينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحرث بن هشام فقال له الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال اني أرى مالاترون ودفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله اني أخاف الله اني أخافه أن يصيبنى بمكروه من الملائكة أويهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه مالم ير قبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر ﴿والله شديد العقاب﴾ يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا ﴿اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض﴾ والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين ﴿غرّ هؤلاء﴾ يعنون المؤمنين ﴿دينهم﴾ حتى تعرضوا لما لايدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف ﴿ومن يتوكل على الله﴾ جواب لهم ﴿فان الله عزيز﴾ غالب لايذل من استجار به وان قل ﴿حكيم﴾ يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ﴿ولوترى﴾ ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان ﴿اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف أي ولوترى الكفرة أوحالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عزّ وجل وهو مبتدأ خبره ﴿يضربون وجوههم﴾ والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أومن الملائكة أومنهما لاشتماله على الضميرين ﴿وأدبارهم﴾ ظهورهم أوأستاههم ولعلّ المراد تعميم الضرب أى يضربون ماأقبل منهم وما أدبر ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ عطف على يضربون باضمار القول أى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لومحذوف لتفظيع الامر وتهويله ﴿ذلك﴾ الضرب والعذاب ﴿بما قدّمت أيديكم﴾ بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لايعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولاعقلا حتي ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد ﴿كدأب آل فرعون﴾ أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أى داموا عليه ﴿والذين من قبلهم﴾ من قبل آل فرعون ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأبهم ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ كما أخذ هؤلاء ﴿ان الله قوىّ شديد العقاب﴾ لايغلبه فى دفعه شئ

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ كَدَأْبِ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۞
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
۞ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ
مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۞ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ
بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ
خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۞
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۞
وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ
اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞

﴿ذلك﴾ اشارة الى ماحلّ بهم ﴿بأن الله﴾ بسبب أن الله ﴿لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم﴾ مبدلا اياها بالنقمة ﴿حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ يبدلوا مابهم من الحال الى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ماأنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ماهو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا ﴿وأن الله سميع﴾ لما يقولون ﴿عليم﴾ بما يفعلون ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون﴾ تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ماأخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم ﴿وكل﴾ من الفرق المكذبة أومن غرقى القبط وقتلى قريش ﴿كانوا ظالمين﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصى ﴿ان شرّ الدواب عند الله الذين كفروا﴾ أصروا على الكفر ورسخوا فيه ﴿فهم لايؤمنون﴾ فلايتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لايؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة﴾ بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لايمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معني الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أوالمحاربة ﴿وهم لايتقون﴾ سبة الغدر ومغبته أولايتقون الله فيه أونصره للمؤمنين وتسليطه اياهم عليهم ﴿فاما تثقفنهم﴾ فاما تصادفنهم وتظفرنّ بهم ﴿في الحرب فشردبهم﴾ ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿من خلفهم﴾ من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء ﴿لعلهم يذكرون﴾ لعلّ المشردين يتعظون ﴿واما تخافنّ من قوم﴾ معاهدين ﴿خيانة﴾ نقض عهد بامارات تلوح لك ﴿فانبذ اليهم﴾ فاطرح اليهم عهدهم ﴿على سواء﴾ على عدل وطريق قصد فى العداوة ولاتناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك أوعلى سواء في الخوف أوالعلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أى ثابتا على طريق سوىّ أومنه أومن المنبوذ اليهم أومنهما على غيره وقوله ﴿ان الله لايحب الخائنين﴾ تعليل للأمر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ﴿ولاتحسبن﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله ﴿الذين كفروا سبقوا﴾ مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أومن خلفهم أوالذين كفروا والمفعول الاول أنفسهم فحذف للتكرار أوعلى تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لأن أن المصدرية كالموصول فلاتحذف أوعلى ايقاع الفعل على ﴿أنهم لايعجزون﴾ بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أى مفلتين والأظهر أنه تعليل للنهى أى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله أولايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا أنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعلّ الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدوّ وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين ﴿وأعدّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿لهم﴾ لناقضى العهد أوالكفار ﴿مااستطعتم من قوّة﴾ من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه أقواه ﴿ومن رباط الخيل﴾ اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أوجمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ﴿ترهبون به﴾ تخوّفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أوللاعداد ﴿عدوّ الله وعدوّكم﴾ يعنى كفار مكة ﴿وآخرين من دونهم﴾ من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس ﴿لاتعلمونهم﴾ لاتعرفونهم باعيانهم ﴿الله يعلمهم﴾ يعرفهم ﴿وماتنفقوا من شئ في سبيل الله يوفّ اليكم﴾ جزاؤه ﴿وأنتم لاتظلمون﴾ بتضييع العمل أونقص الثواب ﴿وان جنحوا﴾ مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى ﴿للسلم﴾ للصلح أو الاستسلام وقرأ أبوبكر بالكسر ﴿فاجنح لها﴾ وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه * قال

السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ فاجنح بالضم ﴿وتوكل على الله﴾ ولاتخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم ﴿انه هو السميع﴾ لاقوالهم ﴿العليم﴾ بنياتهم * والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف

﴿ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ﴾ فان محسبك الله وكافيك قال جرير   انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
﴿ هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ جميعا ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ مع مافيهم من العصبية والضغينة فى أدنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه ﴿ لوأنفقت مافى الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ﴾ أى تناهي عداوتهم الى حد لوأنفق منفق فى اصلاح ذات بينهم مافى الارض من الاموال لم يقدر على الألفة والاصلاح ﴿ ولكن الله ألف بينهم ﴾ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء ﴿ انه عزيز ﴾ تام القدرة والغلبة لايعصى عليه مايريده ﴿ حكيم ﴾ يعلم أنه كيف ينبغي ان يفعل مايريده وقيل الآية فى الأوس والخزرج كان بينهم احن لاأمد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا ﴿ ياأيها النبى حسبك الله ﴾ كافيك ﴿ ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله   اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا * فحسبك والضحاك سيف مهند   أوالجر عطفا على المكني عند الكوفيين أوالرفع عطفا على اسم الله تعالى أى كفاك الله والمؤمنون * والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى اسلامه ﴿ ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ﴾ بالغ فى حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ﴿ ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ شرط فى معني الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريان فى وان تكن منكم مائة ﴿ بأنهم

وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك
بنصره وبالمؤمنين ۞ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى
الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم
انه عزيز حكيم ۞ ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين ۞ ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان
يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم
لا يفقهون ۞ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن
منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين
۞ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز
حكيم ۞ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
أخذتم عذاب عظيم ۞ فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ۞

قوم لايفقهون ﴾ بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا أوقتلوا ولايستحقون من الله الاالهوان والخذلان ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ﴾ لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين ﴿ والله مع الصابرين ﴾ بالنصر والمعونة فكيف لايغلبون ﴿ ماكان لنبى ﴾ وقرئ للنبي على العهد ﴿ أن يكون له أسرى ﴾ وقرأ البصريان بالتاء ﴿ حتى يثخن فى الأرض ﴾ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى أهله من أثخنه المرض اذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ حطامها بأخذكم الفداء ﴿ والله يريد الآخرة ﴾ يريد لكم ثواب الآخرة أوسبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

﴿ والله عزيز ﴾ يغلب أولياءه على أعدائه ﴿ حكيم ﴾ يعلم مايليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين * روى أنه عليه السلام أتي يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبى طالب فاستشار فيهم فقال أبوبكر رضى الله تعالى عنه قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب أعناقهم فانهم أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك ياأبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك ياعمر مثل نوح قال رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان أجد بكاء بكيت والاتباكيت فقال ابك على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لايقرون عليه ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو أن لايعاقب المخطئ فى اجتهاده أوأن لايعذب أهل بدر أوقوما بمالم يصرح لهم بالنهى عنه أوان الفدية التى أخذوها ستحل لهم ﴿ لمسكم ﴾ لنالكم ﴿ فيما أخذتم ﴾ من الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ روى أنه عليه السلام قال لونزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه أيضا أشار بالاثخان ﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره أبحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم أن الامر الوارد بعد الحظر للاباحة ﴿ حلالا ﴾ حال من المغنوم أوصفة للمصدر أى أكلا حلالا وفائدته ازاحة ماوقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أوحرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله ﴿ طيبا واتقوا الله ﴾ فى مخالفته ﴿ ان الله غفور ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿ رحيم ﴾ أباح لكم ماأخذتم

﴿ ياأيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسرى ﴾ وقرأ أبو عمرو من الاسارى ﴿ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا ﴾ ايمانا واخلاصا ﴿ يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ﴾ من الفداء*روى أنها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفدى نفسه وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال يامحمد تركتنى أتكفف قريشا مابقيت فقال أين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لاأدرى مايصيبني فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس ومايدريك قال أخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد انك صادق وأن لااله الا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ماأحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا ﴾ يعني الأسرى ﴿ خيانتك ﴾ نقض ماعاهدوك ﴿ فقد خانوا الله ﴾ بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل ﴿ من قبل فأمكن منهم ﴾ أى فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم ﴿ والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا ﴾ هم المهاجرون هجروا أوطانهم حبا لله ولرسوله ﴿ وجاهدوا باموالهم ﴾ فصرفوها فى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج ﴿ وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ بمباشرة القتال ﴿ والذين آووا ونصروا ﴾ هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿ أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أوبالنصرة والمظاهرة ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا ﴾ أي من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا ﴿ وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر ﴾ فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين ﴿ الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ عهد فانه لاينقض عهدهم لنصرهم عليهم ﴿ والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ فى الميراث أوالمؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين ﴿ الاتفعلوه ﴾ الاتفعلوا ماأمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار ﴿ تكن فتنة فى الارض ﴾ تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر ﴿ وفساد كبير ﴾ في الدين وقرئ كثير ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الوعد الكريم فقال ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ لاتبعة له ولامنة فيه ثم ألحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ أى من جملتكم أيها المهاجرون والانصار ﴿ وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ﴾ فى التوارث من الاجانب ﴿ فى كتاب الله ﴾ في حكمه أوفى اللوح أوفى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برىء من النفاق وأعطى حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ
خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۞ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ
فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ
اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ
وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ
أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞

وقيل الآيتين من قوله لقدجاءكم رسول وهي آخر مانزل ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها ومايخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم*وآيهامائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذانزلت عليه سورة أوآية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هى سابعة السبع الطوال أوسورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ أى هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر ﴿ الى الذين عاهدتم من المشركين ﴾ وقرئ بنصبها على اسمعوابراءة والمعني ان الله ورسوله برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركى العرب فنكثوا الا أناسا منهم بنو ضمرة وبنو كنانة فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤا فقال ﴿ فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ﴾ شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضى الله تعالى عنه أميرا على الموسم فقيل له لوبعثت بها الى أبى بكر فقال لايؤدى عنى الارجل منى فلمادنا على رضى الله تعالى عنه سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أومأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضى الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أوأربعين آية ثم قال أمرت باربع أن لايقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان ولايدخل الجنة الاكل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لايؤدى عني الارجل مني ليس على العموم فانه صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدى عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب أن لايتولى العهد و نقضه على القبيلة الارجل منها ويدل عليه أنه فى بعض الروايات لاينبغى لاحد أن يبلغ هذا الارجل من أهلى ﴿ واعلموا أنكم غير معجزى الله ﴾ لاتفوتونه وان أمهلكم ﴿ وان الله مخزى الكافرين ﴾ بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس ﴾ أى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين ﴿ يوم الحج الاكبر ﴾ يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أولان المراد بالحج مايقع فى ذلك اليوم من أعماله فانه أكبر من باقى الاعمال أولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده أعياد أهل الكتاب أولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿أن الله ﴾ أي بأن الله ﴿ بريء من المشركين ﴾ أى من عهودهم ﴿ ورسوله ﴾ عطف على المستكن في برىء أوعلى محل ان واسمها فى قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أولان الواو بمعنى مع ولاتكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين ﴿ فان تبتم ﴾ من الكفر والغدر ﴿ فهو ﴾ فالتوب ﴿خير لكم وان توليتم ﴾ عن التوبة أوثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء ﴿ فاعلموا أنكم غير معجزي الله ﴾ لاتفوتونه طلبا ولاتعجزونه هربا في الدنيا ﴿ وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾ فى الآخرة ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ استثناء من المشركين أواستدراك فكانه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ﴿ ثم لم ينقصوكم شيأ ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوه أولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ﴿ ولم يظاهروا عليكم أحدا ﴾ من أعدائكم ﴿ فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ الى تمام مدتهم ولاتجروهم مجري الناكثين ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى ﴿ فاذا انسلخ ﴾ انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة ﴿الاشهر الحرم ﴾ التى أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذليس فيما نزل بعد ماينسخها ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ الناكثين ﴿حيث وجدتموهم ﴾ من حل أوحرم ﴿ وخذوهم ﴾ واسروهم والاخيذ الاسير ﴿ واحصروهم ﴾ واحبسوهم أوحيلوا بينهم وبين المسجد الحرام ﴿واقعدوا لهم كل مرصد ﴾ كل ممر لئلا يتبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف ﴿فان تابوا ﴾ عن الشرك بالايمان ﴿وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ تصديقا لتوبتهم وايمانهم ﴿فخلوا سبيلهم ﴾ فدعوهم ولاتتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لايخلى سبيله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ تعليل للامر أى خلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ماقد سلف وعدلهم الثواب بالتوبة ﴿ وان أحد من المشركين ﴾ المأمور بالتعرض لهم ﴿ استجارك ﴾ استأمنك وطلب منك جوارك ﴿فاجره ﴾ فأمنه ﴿حتى يسمع كلام الله ﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾ موضع أمنه ان لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره مابعده لابالابتداء لان ان من عوامل الفعل ﴿ ذلك ﴾ الامن أوالامر ﴿ بانهم قوم لايعلمون ﴾ ماالايمان وماحقيقة ماتدعوهم اليه فلابد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون

سورة التوبة ١٨٨

سورة التوبة مدنية وهي مائة وتسع وعشرون آية

بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ اِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞
فَسِيحُوا فِي الْاَرْضِ اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَاَنَّ اللهَ
مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۞ وَاَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ اِلَى النَّاسِ يَوْمَ
الْحَجِّ الْاَكْبَرِ اَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَاِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ وَاِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ ۞ اِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ
لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ اَحَدًا فَاَتِمُّوا اِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ اِلَى مُدَّتِهِمْ اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۞ فَاِذَا انْسَلَخَ الْاَشْهُرُ
الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ
وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَاِنْ تَابُوا وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ
وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ اِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞
وَاِنْ اَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَاَجِرْهُ حَتّٰى يَسْمَعَ كَلَامَ
اللهِ ثُمَّ اَبْلِغْهُ مَاْمَنَهُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۞

كيف

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ ٱللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَامُوا
لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ كَيْفَ
وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً
يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ۞ ٱشْتَرَوْا بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۞
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَإِنْ
نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ
۞ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ
فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞

﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لأن يكون لهم عهد ولاينكثوه مع وغرة صدورهم أولان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام أوللمشركين أوعند الله وهو على الاولين صفة للعهد أوظرف له أوليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين ﴿الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أوالجر على البدل أوالرفع على أن الاستثناء منقطع أى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ أى فتربصوا أمرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير أنه مطلق وهذا مقيد ومامحتمل الشرطية والمصدرية ﴿ان الله يحب المتقين﴾ سبق بيانه ﴿كيف﴾ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله وخبر تماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب أى فكيف مات ﴿وان يظهروا عليكم﴾ أى وحالهم أنهم ان يظفروا بكم ﴿لايرقبوا فيكم﴾ لايراعوا فيكم ﴿الا﴾ حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام. وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب مالايعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من أل الشئ اذا حدده أومن أل البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل ﴿ولاذمة﴾ عهدا أوحقا يعاب على اغفاله ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولايجوز جعله حالا من فاعل لايرقبوا فانهم بعد ظهورهم لايرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه ﴿وتأبي قلوبهم﴾ ماتتفوّه بهأفواههم ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ متمردون لاعقيدة تزعهم ولامروأة تردعهم وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى أحدوثة السوء ﴿اشتروا بآيات الله﴾ استبدلوا بالقرآن ﴿ثمنا قليلا﴾ عرضا يسيرا وهواتباع الأهواء والشهوات ﴿فصدوا عن سبيله﴾ دينه الموصل اليه أوسبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على أن اشتراءهم أدّاهم الى الصد ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ عملهم هذا أومادل عليه قوله ﴿لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة﴾ فهو تفسير لاتكرير وقيل الاول عام فى الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود أوالأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ في الشرارة ﴿فان تابوا﴾ عن الكفر ﴿وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين﴾ فهم اخوانكم فى الدين لهم مالكم وعليهم ماعليكم ﴿ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ اعتراض للحث على تأمل مافصل من أحكام المعاهدين أو خصال التائبين ﴿وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم﴾ وان نكثوا مابايعوا عليه من الايمان أوالوفاء بالعهود ﴿وطعنوا فى دينكم﴾ بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرئاسة والتقدم فى الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم أهم وهم أحق به أوللمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن ﴿انهم لا أيمان لهم﴾ أى لا أيمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا أنها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لاايمان لهم بمعنى لا أمان أولااسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لايؤمنون على الاخبار عن قوم معينين أوليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله ﴿لعلهم ينتهون﴾ متعلق بقاتلوا أى ليكن غرضكم فى المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لاايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين ﴿ألا تقاتلون قوما﴾ تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فأفادت المبالغة في الفعل ﴿نكثوا أيمانهم﴾ التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لايعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة ﴿وهموا باخراج الرسول﴾ حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة على مامر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة ﴿وهم بدؤكم أوّل مرة﴾ بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدّي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم ﴿أتخشونهم﴾ أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ فقاتلوا أعداءكم ولاتتركوا أمره ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان قضية الايمان أن لايخشى الامنه

﴿قاتلوهم﴾ أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه ﴿يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم﴾ وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فان الفرج قريب ﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين ﴿والله عليم﴾ بما كان وماسيكون ﴿حكيم﴾ لايفعل ولايحكم الا على وفق الحكمة ﴿أم حسبتم﴾ خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ﴿أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ﴿ولم يتخذوا﴾ عطف على جاهدوا داخل فى الصلة ﴿من دون الله ولارسوله ولاالمؤمنين وليجة﴾ بطانة يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع ﴿والله خبير بما تعملون﴾ يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ﴿ما كان للمشركين﴾ ماصح لهم ﴿أن يعمروا مساجد الله﴾ شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب بالتوحيد ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره ※ روى أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له على رضى الله تعالى عنه في القول فقال مابالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني فنزلت ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك ﴿وفى النار هم خالدون﴾ لاجله ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة﴾ أى انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم أن الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتي الزكاة عليه ﴿ولم يخش الا الله﴾ أى في أبواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لايكاد العاقل يتمالك عنها ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله﴾ السقاية والعمارة مصدرا أسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله ﴿لايستوون عند الله﴾ وبين عدم تساويهم بقوله ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ أى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا
مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَآتَى
الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝

﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها ﴾ فى الجنات ﴿ نعيم مقيم ﴾ دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ أكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ﴿ ان الله عنده أجر عظيم ﴾ يستحقر دونه مااستوجبوه لاجله أونعيم الدنيا ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ﴾ نزلت فى المهاجرين فانهم لما أمروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لاتتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدّونكم عن الطاعة لقوله ﴿ ان استحبوا الكفر على الايمان ﴾ ان اختاروه وحرصوا عليه ﴿ ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون ﴾ بوضعهم الموالاة فى غير موضعها ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم ﴿ وأموال اقترفتموها ﴾ اكتسبتموها ﴿ وتجارة تخشون كسادها ﴾ فوات وقت نفاقها ﴿ ومساكن ترضونها أحبّ اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ﴾ الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لايدخل تحت التكليف فى التحفظ عنه ﴿ فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ﴾ جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة أوآجلة وقيل فتح مكة ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ لايرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقلّ من يتخلص منه ﴿ لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ﴾ يعنى مواطن الحرب وهي مواقفها ﴿ ويوم حنين ﴾ وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أويفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولايمنع ابدال قوله ﴿ اذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ منه أن يعطف على موضع فى مواطن فانه لايقتضى تشاركهما فيما أضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن*وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر ألفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أو أبوبكر رضى الله تعالى عنه أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه أبوسفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى ياعباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكرّوا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا وربّ الكعبة فانهزموا ﴿ فلم تغن عنكم ﴾ أي الكثرة ﴿ شيأ ﴾ من الاغناء أومن أمر العدوّ ﴿ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ﴾ برحبها أى بسعتها لاتجدون فيها مفرّا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب أولاتثبتون فيها كمن لايسعه مكانه ﴿ ثم وليتم ﴾ الكفار ظهوركم ﴿ مدبرين ﴾ منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ﴿ ثم أنزل الله سكينته ﴾ رحمته التى سكنوا بها وأمنوا ﴿ على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا ﴿ وأنزل جنودا لم تروها ﴾ بأعينكم أى الملائكة وكانوا خمسة آلاف أوثمانية أوستة عشر على اختلاف الاقوال ﴿ وعذّب الذين كفروا ﴾ بالقتل والأسر والسبي ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ أى مافعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ
مُّقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا
رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۞

﴿ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ﴾ منهم بالتوفيق للاسلام ﴿ والله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم * روى أن ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالايحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سبايا كم واما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا أدرى لعلّ فيكم من لايرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا ﴿ ياأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس ﴾ لخبث باطنهم أولانه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس أولانهم لايتطهرون ولايتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن أعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو كـكبد في كبد وأكثر ماجاء تابعا لرجس ﴿ فلايقربوا المسجد الحرام ﴾ لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة أوللمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ من عطائه أوتفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۞ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞

من أقطار الارض وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أوحال ﴿ ان شاء ﴾ قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على أنه تعالى متفضل في ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ﴿ ان الله عليم ﴾ باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ فيما يعطى ويمنع ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ أى لايؤمنون بهما على ماينبغي كما بيناه في أول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ﴿ ولايحرّمون ماحرّم الله ورسوله ﴾ ماثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ﴿ ولايدينون دين الحق ﴾ الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها ﴿ من الذين أوتوا الكتاب ﴾ بيان للذين لايؤمنون ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ ماتقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه ﴿ عن يد ﴾ حال من الضمير أى عن يد مؤاتية بمعنى منقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أوعن غنى ولذلك قيل لاتؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أومن الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد أو عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة ﴿ وهم صاغرون ﴾ أذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه * ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري أنه صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبوحنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولاشئ على الفقير غير الكسوب ﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾ انما قاله بعضهم من متقدميهم اوممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الا أنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أوصاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر ﴿ وقالت النصارى المسيح ابن الله ﴾ هو أيضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لأن يكون ولد بلا أب أولأن يفعل مافعله من ابراء الأكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ﴿ ذلك قولهم بافواههم ﴾ اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوّز عنها أواشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد في الافواه ولايوجد مفهومه فى الاعيان ﴿ يضاهؤن قول الذين كفروا ﴾ أى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ﴿ من قبل ﴾ أى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أواليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيء على فعيل للتي شابهت الرجال فى انها لاتحيض ﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك أوتعجب من شناعة قولهم ﴿ أنى يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن الحق الى الباطل ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ بأن أطاعوهم فى تحريم ما أحلّ الله وتحليل ماحرّم الله أوبالسجود لهم ﴿ والمسيح ابن مريم ﴾ بان جعلوه ابنا لله ﴿ وما أمروا ﴾ أى وما أمر المتخذون أوالمتخذون أربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ ﴿ الا ليعبدوا ﴾ ليطيعوا ﴿ الها واحدا ﴾ وهو الله تعالى وأماطاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله ﴿ لااله الا هو ﴾ صفة ثانية أواستئناف مقرر للتوحيد ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾ تنزيه له عن أن يكون له شريك

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ
إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ
وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝
يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ
وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ۝ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا
فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝

﴿ يريدون أن يطفؤا ﴾ يخمدوا ﴿ نورالله ﴾ حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أوالقرآن أونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بأفواههم ﴾ بشركهم أوبتكذيبهم ﴿ ويأبى الله ﴾ أى لايرضى ﴿ الاأن يتم نوره ﴾ باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم فى طلبهم ابطال نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه فى معنى النفى ﴿ ولوكره الكافرون ﴾ محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ كالبيان لقوله و يأبى الله الا أن يتم نوره ولذلك كرر ﴿ ولوكره المشركون ﴾ غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير فى ليظهره للدين الحق أوللرسول عليه الصلاة والسلام واللام فى الدين للجنس أى على سائر الاديان فينسخها أوعلى أهلها فيخذلهم ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ﴾ يأخذونها بالرشا فى الاحكام سمى أخذ المال أكلا لانه الغرض الاعظم منه ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ دينه ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله ﴾ يجوز أن يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى وصفهم بالحرص على المال والضنّ به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولايؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الاليطيب بها مابقى من أموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام ماأدى زكاته فليس بكنز أى بكنز أوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء أوبيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها مالم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكون بها جبينه وجنبه وظهره ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ هو الكى بهما ﴿ يوم يحمى عليها فى نار جهنم ﴾ أى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيآن لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله تعالى عنه أربعة آلاف ومادونها نفقة ومافوقها كنز وكذا قوله تعالى ولاينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أوللاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول أوللفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على أن الذهب أولى بهذا الحكم ﴿ فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾ لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لانهم ازورّوا عن السائل وأعرضوا عنه وولوه ظهورهم أو لانها أشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد أولانها أصول الجهات الاربع التى هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ على ارادة القول ﴿ لأنفسكم ﴾ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها ﴿ فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ أى وبال كنزكم أو ماتكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ﴿ ان عدّة الشهور ﴾ أى مبلغ عددها ﴿ عند الله ﴾ معمول عدة لانها مصدر ﴿ اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ﴾ فى اللوح المحفوظ أوفى حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله ﴿ يوم خلق السموات والارض ﴾ متعلق بمافيه من معنى الثبوت أوبالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت فى نفس الامر مذ خلق الله الاجرام والازمنة ﴿ منها أربعة حرم ﴾ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام والعرب ورثوه منهما ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة واوّلوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه أعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء أنه لايحل للناس أن يغزوا فى الحرم وفى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا ويؤيد الاول ماروى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذي القعدة ﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ جميعا وهو مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ
ٱلْأٓخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا
قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ
نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ
إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ
بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلسُّفْلَىٰ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝

﴿انما النسىء﴾ أى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذاجاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا أخره ﴿زيادة فى الكفر﴾ لانه تحريم ماأحله الله وتحليل ماحرمه الله فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم ﴿يضل به الذين كفروا﴾ ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله تعالى ﴿يحلونه عاما﴾ يحلون المنسى من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ﴿ويحرمونه عاما﴾ فيتركونه على حرمته*قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادى ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أوحال ﴿ليواطؤا عدة ماحرم الله﴾ أي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين ﴿فيحلوا ماحرم الله﴾ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا ﴿والله لايهدى القوم الكافرين﴾ هداية موصلة الى الاهتداء ﴿ياأيها الذين آمنوامالكم اذاقيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم﴾ تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ ﴿الى الارض﴾ متعلق به كأنه ضمن معني الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ وغرورها ﴿من الآخرة﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿فمامتاع الحياة الدنيا﴾ فما التمتع بها ﴿فى الآخرة﴾ فى جنب الآخرة ﴿الاقليل﴾ مستحقر ﴿الاتنفروا﴾ انلاتنفروا الى مااستنفرتم اليه ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ﴿ويستبدل قوما غيركم﴾ ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس ﴿ولاتضروه شيأ﴾ اذلايقدح تثاقلكم فى نصر دينه شيأ فانه الغنى عن كل شئ وفى كل أمر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أى ولاتضروه فان الله سبحانه وتعالى وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال ﴿الا تنصروه فقد نصره الله﴾ أى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره ﴿اذأخرجه الذين كفروا ثانى اثنين﴾ ولم يكن معه الارجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ماهو كالدليل عليه مقامه أوانلم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه أوقتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال ﴿اذهما فى الغار﴾ بدل من اذأخرجه بدل البعض اذالمراد به زمان متسع والغار نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا ﴿اذيقول﴾ بدل ثان أوظرف لثاني ﴿لصاحبه﴾ وهوأبوبكر رضى الله تعالى عنه ﴿لاتحزن انالله معنا﴾ بالعصمة والمعونة*روى أنالمشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبوبكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لمادخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه ﴿فأنزل الله سكينته﴾ أمنته التى تسكن عندها القلوب ﴿عليه﴾ على النبى صلى الله عليه وسلم أوعلى صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعنى الملائكة أنزلهم ليحرسوه فى الغار أوليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ يعنى الشرك أودعوة الكفر ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ يعنى التوحيد أودعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدى الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن أوبحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلاثبات لفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل ﴿والله عزيز حكيم﴾ في أمره وتدبيره

﴿ انفروا خفافا ﴾ لنشاطكم له ﴿ وثقالا ﴾ عنه لمشقته عليكم أولقلة عيالكم ولكثرتها أوركبانا ومشاة أوخفافا وثقالا من السلاح أوصحاحا ومراضا ولذلك لماقال ابن أممكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج ﴿ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ﴾ بما أمكن لكم منهما كليهما أوأحدهما ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ من تركه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير علمتم أنه خير أوان كنتم تعلمون أنه خير اذاخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه ﴿ لوكان عرضا ﴾ أى لوكان مادعوا اليه نفعا دنيويا ﴿ قريبا ﴾ سهل المأخذ ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ متوسطا ﴿ لاتبعوك ﴾ لوافقوك ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين ﴿ وسيحلفون بالله ﴾ أى المتخلفون اذارجعت من تبوك معتذرين ﴿ لواستطعنا ﴾ يقولون لوكان لنا استطاعة العدة أوالبدن وقرئ لواستطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة ﴿ لخرجنا معكم ﴾ ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه ﴿ يهلكون أنفسهم ﴾ بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك أوحال من فاعله ﴿ والله يعلم انهم لكاذبون ﴾ فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج ﴿ عفا الله عنك ﴾ كناية عن خطئه في الاذن فان العفو من روادفه ﴿ لمأذنت لهم ﴾ بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ أذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ فى الاعتذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما ﴿ لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ أى ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولايتوقفون على الاذن فيه فضلا أن يستأذنوك في التخلف عنه أوأن يستأذنوك فى التخلف كراهة أن يجاهدوا ﴿ والله عليم بالمتقين ﴾ شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه ﴿ انما يستأذنك ﴾ فى التخلف ﴿ الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ تخصيص الايمان بالله عزوجل واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما ﴿ وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ﴾ يتحيرون ﴿ ولوأرادوا الخروج لأعدّوا له ﴾ للخروج ﴿ عدة ﴾ أهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط أجدّوا البين فانجردوا ※ وأخلفوك عدالامر الذى وعدوا

وعده بكسر العين بالاضافة وعدة بغيرها ﴿ ولكن كره الله انبعاثهم ﴾ استدراك عن مفهوم قوله ولوأرادوا الخروج كأنه قال ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم أى نهوضهم للخروج ﴿ فثبطهم ﴾ فحبسهم بالجبن والكسل ﴿ وقيل اقعدوامع القاعدين ﴾ تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم أووسوسة الشيطان بالامر بالقعود أوحكاية قول بعضهم لبعض أواذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لايخلو عن ذم ﴿ لوخرجوا فيكم مازادوكم ﴾ بخروجهم شيأ ﴿ الاخبالا ﴾ فسادا وشرا ولايستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا ﴿ ولأوضعوا خلالكم ﴾ ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أوالهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا أسرع ﴿ يبغونكم الفتنة ﴾ يريدون أن يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم أوالرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في أوضعوا ﴿ وفيكم سماعون لهم ﴾ ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أونمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم
وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
۞ لوكان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن
بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لواستطعنا
لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم
لكذبون ۞ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى
يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكذبين ۞ لا
يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر أن يجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ۞ انما
يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ۞ ولو
أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القعدين ۞ لوخرجوا فيكم
مازادوكم الاخبالا ولا أوضعوا خللكم يبغونكم
الفتنة وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظلمين ۞

﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ تشتيت أمرك وتفريق أصحابك ﴿من قبل﴾ يعني يوم أحد فان ابن أبى وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ماخرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد ﴿وقلبوا لك الامور﴾ ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الاراء فى ابطال أمرك ﴿حتى جاء الحق﴾ بالنصر والتأييد الالهى ﴿وظهر أمر الله﴾ وعلا دينه ﴿وهم كارهون﴾ أى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ﴿ومنهم من يقول ائذن لى﴾ فى القعود ﴿ولا تفتنى﴾ ولا توقعنى فى الفتنة أى فى العصيان والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف أذن له أم لم يأذن أو فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذلا كافل لهم بعدى أو فى الفتنة بنساء الروم لما روى أن جد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى أعينك بمالى فاتركنى ﴿ألا فى الفتنة سقطوا﴾ أى ان الفتنة هي التى سقطوا فيها وهي فتنة التخلف أو ظهور النفاق لاما احترزوا عنه ﴿وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لان احاطة أسبابها بهم كوجودها ﴿ان تصبك﴾ فى بعض غزواتك ﴿حسنة﴾ ظفر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ لفرط حسدهم ﴿وان تصبك﴾ فى بعضها ﴿مصيبة﴾ كسر أو شدة كما أصاب يوم أحد ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف ﴿ويتولوا﴾ عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وهم فرحون﴾ مسرورون ﴿قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا﴾ الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا فى اللوح المحفوظ لايتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما تصدبه وقيل من الصواب ﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ومتولى أمورنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ لان حقهم أن لا يتوكلوا على غيره ﴿قل هل تربصون بنا﴾ تنتظرون بنا ﴿الا احدى الحسنيين﴾ الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ﴿ونحن نتربص بكم﴾ أيضا احدى السوأيين ﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ بقارعة من السماء ﴿أو بايدينا﴾ أو بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر ﴿فتربصوا﴾ ماهو عاقبتنا ﴿انا معكم متربصون﴾ ماهو عاقبتكم ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾ أمر في معنى الخبر أى لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول كأنهم أمروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله ﴿انكم كنتم قوما فاسقين﴾ تعليل له على سبيل الاستئناف ومابعده بيان وتقرير له ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ أي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى أن يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على أن الفعل لله ﴿ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى﴾ متثاقلين ﴿ولا ينفقون الا وهم كارهون﴾ لانهم لايرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا

لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ۞
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ۞ إِنْ تُصِبْكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا
أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ۞ قُلْ لَنْ
يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ۞ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ
مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۞ وَمَا
مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۞

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال ﴿انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا﴾ بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ومايرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم﴾ انهم لمن جملة المسلمين ﴿وماهم منكم﴾ لكفرقلوبهم ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون منكم أن تفعلوا بهم ماتفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ﴿لويجدون ملجأ﴾ حصنا يلجؤن اليه ﴿أو مغارات﴾ غيرانا ﴿أو مدخلا﴾ نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا أى مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل ﴿لولوا اليه﴾ لاقبلوا نحوه ﴿وهم يجمحون﴾ يسرعون اسراعا لايردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ﴿ومنهم من يلمزك﴾ يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك ﴿فى الصدقات﴾ في قسمها ﴿فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ قيل انها نزلت في أبي الجوّاظ المنافق فقال ألاترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل * وقيل فى ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم أعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أوالصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن مافعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ كفانا فضله ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾ صدقة أوغنيمة أخري ﴿ورسوله﴾ فيؤتينا أكثر مما آتانا ﴿انا الى الله راغبون﴾ في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۞
وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ
يَفْرَقُونَ ۞ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا
إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۞ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ
يَسْخَطُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ
وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞

فقال ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ أى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لامال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أوكسب لايكفيه من السكون كأن العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وأنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة ﴿والعاملين عليها﴾ الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أوأشراف قد يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فانه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والاصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقدعدّ منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط ﴿وفي الرقاب﴾ وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على أداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أوبان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم أحق بها ﴿والغارمين﴾ والمديونين لانفسهم فى غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء أولاصلاح ذات البين وان كانوا أغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لاتحل الصدقة لغنى الالخمسة لغاز فى سبيل الله أولغارم أولرجل اشتراها بماله أولرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى أولعامل عليها ﴿وفي سبيل الله﴾ وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر والمصانع ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع عن ماله ﴿فريضة من الله﴾ مصدر لمادل عليه الآية الكريمة أى فرض لهم الله الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة ﴿والله عليم حكيم﴾ يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجدمنهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جوازصرفها الى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لاتخرج منهم لالايجاب قسمها عليهم ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن﴾ يسمع كل مايقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك أواشتق له فعل من أذن أذنا اذا استمع كانف وشلل * روى أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ماشئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول ﴿قل أذن خير لكم﴾ تصديق لهم بانه أذن ولكن لاعلى الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله ﴿يؤمن بالله﴾ يصدق به لماقام عنده من الادلة ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعني التسليم وايمان الامان ﴿ورحمة﴾ أى وهو رحمة ﴿للذين آمنوا منكم﴾ لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أوخبر ثان ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ بايذائه

﴿يحلفون بالله لكم﴾ على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ﴿ليرضوكم﴾ لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ أحق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو لان الكلام فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك ﴿ان كانوا مؤمنين﴾ صدقا ﴿ألم يعلموا أنه﴾ أن الشأن وقرئ بالتاء ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ يشاقق مفاعلة من الحد ﴿فان له نار جهنم خالدا فيها﴾ على حذف الخبر أى فحق ان له أو على تكرير ان للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ﴿ذلك الخزي العظيم﴾ يعنى الهلاك الدائم ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم﴾ على المؤمنين ﴿سورة تنبئهم بما فى قلوبهم﴾ وتهتك عليهم أستارهم ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معني الامر وقيل كانوا يقولونه فيمابينهم استهزاء لقوله ﴿قل استهزؤا ان الله مخرج﴾ مبرز أومظهر ﴿ماتحذرون﴾ أي ماتحذرونه من انزال السورة فيكم أوماتحذرون اظهاره من مساويكم ﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب﴾ * روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبرالله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شئ من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن﴾ توبيخا على استهزائهم بمن لايصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولاتعبأ باعتذارهم الكاذب ﴿لاتعتذروا﴾ لاتشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب ﴿قد كفرتم﴾ قد أظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه ﴿بعد ايمانكم﴾ بعد اظهاركم الايمان ﴿ان يعف عن طائفة منكم﴾ لتوبتهم واخلاصهم أولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء ﴿يعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين﴾ مصرين على النفاق أومقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ومابعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر والمعاصى ﴿وينهون عن المعروف﴾ عن الايمان والطاعة ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح ﴿نسوا الله﴾ أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته ﴿فنسيهم﴾ فتركهم من لطفه وفضله ﴿ان المنافقين هم الفاسقون﴾ الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها﴾ مقدرين الخلود ﴿هى حسبهم﴾ عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ﴿ولعنهم الله﴾ أبعدهم من رحمته وأهانهم ﴿ولهم عذاب مقيم﴾ لاينقطع والمراد به ماوعدوه أو مايقاسونه من تعب النفاق

يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
مَنْ يُحَادِدِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
ذٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ۞ يَحْذَرُ الْمُنٰفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ
عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا
إِنَّ اللّٰهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ۞ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّٰهِ وَآيٰتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا
قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ
نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ الْمُنٰفِقُونَ
وَالْمُنٰفِقٰتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ۞ وَعَدَ اللّٰهُ الْمُنٰفِقِينَ
وَالْمُنٰفِقٰتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ
حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّٰهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۞

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا
اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ وَعَدَ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞

﴿ كالذين من قبلكم ﴾ أى أنتم مثل الذين أوفعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ﴿ كانوا أشدّ منكم قوّة وأكثر أموالا وأولادا ﴾ بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿ فاستمتعوا بخلاقهم ﴾ نصيبهم من ملاذّ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ماقدر لصاحبه ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ﴾ ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدّجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم ﴿ وخضتم ﴾ ودخلتم في الباطل ﴿ كالذى خاضوا ﴾ كالذين خاضوا أوكالفوج الذى خاضوا أوكالخوض الذى خاضوه ﴿ أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ﴾ لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين ﴿ وأولئك هم الخاسرون ﴾ الذين خسروا الدنيا والآخرة ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح ﴾ أغرقوا بالطوفان ﴿ وعاد ﴾ أهلكوا بالريح ﴿ وثمود ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿ وقوم ابراهيم ﴾ أهلك نمروذ ببعوض وأهلك أصحابه ﴿ وأصحاب مدين ﴾ وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿ والمؤتفكات ﴾ قريات قوم لوط ائتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب أحوالهنّ من الخير الى الشر ﴿ أتتهم رسلهم ﴾ يعني الكل ﴿ بالبينات فما كان الله ليظلمهم ﴾ أى لم يك من عادته مايشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ﴾ فى سائر الامور ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع ﴿ ان الله عزيز ﴾ غالب على كل شئ لايمتنع عليه مايريده ﴿ حكيم ﴾ يضع الاشياء مواضعها ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة ﴾ تستطيبها النفس أويطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر ﴿ فى جنات عدن ﴾ اقامة وخلود * وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لايسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون الى تعدد الموعود لكل واحد أوللجميع على سبيل التوزيع أوالى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولا بانه من جنس ماهو أبهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم أول مايقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لاتخلو عن شئ منها أماكن الدنيا وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار عليين لايعتريهم فيها فناء ولاتغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال تعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر ﴾ لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شئ أفضل من ذلك فيقول أحلّ عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا ﴿ ذلك ﴾ أي الرضوان أو جميع ماتقدم ﴿ هو الفوز العظيم ﴾ الذى تستحقر دونه الدنيا ومافيها

﴿ يأيها النبي جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالزام الحجة واقامة الحدود ﴿ واغلظ عليهم ﴾ فى ذلك ولاتحابهم ﴿ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ مصيرهم ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ * روى أنه صلى الله عليه وسلم أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخواننا حقا لنحن شرّ من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ماقاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ﴿ ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم ﴾ وأظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ من فتك الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذ تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينماهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يأعداء الله فهربوا أواخراجه واخراج المؤمنين من المدينة أوبان يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وما نقموا ﴾ وما أنكروا أو ماوجدوا مايورث نقمتهم ﴿ الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ﴾ فان أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أوالعلل ﴿ فان يتوبوا يك خيرا لهم ﴾ وهو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير فى يك للتوب ﴿ وان يتولوا ﴾ بالاصرار على النفاق ﴿ يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة ﴾ بالقتل والنار ﴿ وما لهم فى الارض من وليّ ولا نصير ﴾ فينجيهم من العذاب ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكوننّ من الصالحين ﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يرزقنى مالا فقال عليه الصلاة والسلام ياثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لاتطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لايسعه واد فقال ياويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله منعنى أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه ﴿ فلما آتاهم من فضله بخلوا به ﴾ منعوا حق الله منه ﴿وتولوا﴾ عن طاعة الله ﴿ وهم معرضون ﴾ وهم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم﴾ أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ يلقون الله بالموت أويلقون عملهم أى جزاءه وهو يوم القيامة ﴿ بما أخلفوا الله ماوعدوه ﴾ بسبب اخلافهم ماوعدوه من التصدق والصلاح ﴿ وبما كانوا يكذبون ﴾ وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أوالمقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد ﴿ ألم يعلموا ﴾ أى المنافقون أومن عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ أنّ الله يعلم سرهم ﴾ ماأسروه فى أنفسهم من النفاق أو العزم على الاخلاف ﴿ ونجواهم ﴾ ومايتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية ﴿ وأن الله علام الغيوب ﴾ فلايخفى عليه ذلك ﴿ الذين يلمزون ﴾ ذم مرفوع أومنصوب أوبدل من الضمير فى سرهم وقرئ يلمزون بالضم ﴿ المطوّعين ﴾ المتطوعين ﴿من المؤمنين فى الصدقات ﴾ * روى أنه صلى الله عليه وسلم حثّ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبوعقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ماأعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحبّ أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت ﴿ والذين لايجدون الا جهدهم ﴾ الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه ﴿فيسخرون منهم ﴾ يستهزؤن بهم ﴿ سخر الله منهم ﴾ جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى ـ الله يستهزئ بهم ـ ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ على كفرهم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۞ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟
وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟
بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا
مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ فَلَمَّآ
ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۞
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۞ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ
مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ
مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ
خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ
حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۞ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ
عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ
۞ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ
إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ۞ وَلَا
تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا
فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۞ وَإِذَا أُنْزِلَتْ
سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ۞

﴿ استغفر لهم أو لاتستغفر لهم ﴾ يريد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ﴿ ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ * روى أن عبدالله بن عبدالله بن أبى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض أبيه أن يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لازيدنّ على السبعين فنزلت ـ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ـ وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوّز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره ﴿ ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ﴾ اشارة الى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولاقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ المتمردين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لاينقلع ولايهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم مالم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ـ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم انهم أصحاب الجحيم ـ ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ﴾ بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحى أى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال ﴿ وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج ﴿ وقالوا لاتنفروا فى الحرّ ﴾ أى قال بعضهم لبعض أوقالوه للمؤمنين تثبيطا ﴿ قل نار جهنم أشدّ حرّا ﴾ وقد آثرتموها بهذه المخالفة ﴿ لو كانوا يفقهون ﴾ أن مآبهم اليها أوأنها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم ﴿ فان رجعك الله الى طائفة منهم ﴾ فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين أومن بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا ﴿ فاستأذنوك للخروج ﴾ الى غزوة أخرى بعد تبوك ﴿ فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا ﴾ اخبار في معنى النهى للمبالغة ﴿ انكم رضيتم بالقعود أوّل مرة ﴾ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ أى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ﴿ ولاتصلّ على أحد منهم مات أبدا ﴾ * روى أن عبدالله بن أبىّ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنّ بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافأة لالباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله مات أبدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى ﴿ ولاتقم على قبره ﴾ ولا تقف عند قبره للدفن أوالزيارة ﴿ انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ تعليل للنهى أولتأبيد الموت ﴿ ولاتعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الأبصار طامحة الى الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه فى فريق غير الاول ﴿ واذا أنزلت سورة ﴾ من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها ﴿ أن آمنوا بالله ﴾ بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة ﴿ وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم ﴾ ذوو الفضل والسعة ﴿ وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ﴾ الذين قعدوا لعذر

﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لاخير فيه ﴿ وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ﴾ مافى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما فى التخلف عنه من الشقاوة ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم ﴾ أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم ﴿ وأولئك لهم الخيرات ﴾ منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطالب ﴿ أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خلدين فيها ذلك الفوز العظيم ﴾ بيان لما لهم من الخيرات الاخروية ﴿ وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ﴾ يعني أسدا وغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا انغزونا معك أغارت طيء على أهالينا ومواشينا والمعذر امامن عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما أن له عذرا ولاعذر له أو من اعتذر اذامهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من أعذر اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لاتدغم فى العين وقد اختلف فى أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار ﴿ سيصيب الذين كفروا منهم ﴾ من الاعراب أو من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لالكفره ﴿ عذاب أليم ﴾ بالقتل والنار ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ﴾ كالهرمى والزمنى ﴿ ولا على الذين لايجدون ماينفقون ﴾ لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة ﴿ حرج ﴾ اثم فى التأخر ﴿ اذا نصحوا لله ورسوله ﴾ بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ﴿ ماعلى المحسنين من سبيل ﴾ أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لهم أو للمسيء فكيف للمحسن ﴿ ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم ﴾ عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لاأجد ماأحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه ﴿ قلت لاأجد ماأحملكم عليه ﴾ حال من الكاف فى أتوك باضمار قد ﴿ تولوا ﴾ جواب اذا ﴿ وأعينهم تفيض ﴾ تسيل ﴿ من الدمع ﴾ أى دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لانه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا ﴿ حزنا ﴾ نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ماقبله ﴿ ألا يجدوا ﴾ لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض ﴿ ماينفقون ﴾ فى مغزاهم ﴿ انما السبيل ﴾ بالمعاتبة ﴿ على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ﴾ واجدون الاهبة ﴿ رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴾ استئناف لبيان ماهو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة ﴿ وطبع الله على قلوبهم ﴾ حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿ فهم لايعلمون ﴾ مغبته

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞

يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا
لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم
ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم
بما كنتم تعملون ۞ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس
ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ۞ يحلفون
لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفسقين ۞ الاعراب أشد كفرا ونفاقا
وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله
والله عليم حكيم ۞ ومن الاعراب من يتخذ
ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة
السوء والله سميع عليم ۞ ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربت عند الله
وصلوت الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم
الله في رحمته ان الله غفور رحيم ۞

﴿ يعتذرون اليكم ﴾ في التخلف ﴿ اذا رجعتم اليهم ﴾ من هذه السفرة ﴿ قل لا تعتذروا ﴾ بالمعاذير الكاذبة لانه ﴿ لن نؤمن لكم ﴾ لن نصدّقكم لانه ﴿ قد نبأنا الله من أخباركم ﴾ أعلمنا بالوحي الى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد ﴿ وسيرى الله عملكم ورسوله ﴾ أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ أى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم وأعمالهم ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالتوبيخ والعقاب عليه ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم ﴾ فلا تعاتبوهم ﴿ فأعرضوا عنهم ﴾ ولا توبخوهم ﴿ انهم رجس ﴾ لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ﴿ ومأواهم جهنم ﴾ من تمام التعليل وكأنه قال انهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم ﴿ جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون علة ﴿ يحلفون لكم لترضوا عنهم ﴾ بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم ﴿ فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ أى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم ﴿ الأعراب ﴾ أهل البدو ﴿ أشد كفرا ونفاقا ﴾ من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة ﴿ وأجدر أن لا يعلموا ﴾ وأحق بأن لا يعلموا ﴿ حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ من الشرائع فرائضها وسننها ﴿ والله عليم ﴾ يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر ﴿ حكيم ﴾ فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ﴿ ومن الاعراب من يتخذ ﴾ يعدّ ﴿ ما ينفق ﴾ يصرفه في سبيل الله ويتصدق به ﴿ مغرما ﴾ غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه قربة عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء أو تقية ﴿ ويتربص بكم الدوائر ﴾ دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون أو الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور وسمى به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين ﴿ والله سميع ﴾ لما يقولون عند الانفاق ﴿ عليم ﴾ بما يضمرون ﴿ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ﴾ سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ ﴿ وصلوات الرسول ﴾ وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سنّ للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلى عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفي لانه منصبه فله أن يتفضل به على غيره ﴿ ألا انها قربة لهم ﴾ شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء ﴿ سيدخلهم الله في رحمته ﴾ وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ لتقريره وقيل الاولى في أسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذى البجادين وقومه

وَالسّٰبِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهٰجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ
جَنّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ۞ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْاَعْرَابِ مُنٰفِقُونَ وَمِنْ اَهْلِ
الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ
مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ اِلٰى عَذَابٍ عَظِيمٍ ۞ وَاٰخَرُونَ اعْتَرَفُوا
بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَاٰخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّٰهُ
اَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ اِنَّ صَلٰوتَكَ
سَكَنٌ لَهُمْ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ
التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَاْخُذُ الصَّدَقٰتِ وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ۞ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلٰى عٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَاٰخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِاَمْرِ اللّٰهِ اِمَّا
يُعَذِّبُهُمْ وَاِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞

﴿ والسابقون الاوّلون من المهاجرين ﴾ هم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة ﴿ والانصار ﴾ أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة صعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون ﴿ والذين اتبعوهم باحسان ﴾ اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة ﴿ رضى الله عنهم ﴾ بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية ﴿ وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الانهار ﴾ وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار كما فى سائر المواضع ﴿ خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ومن حولكم ﴾ أى وممن حول بلدتكم يعنى المدينة ﴿ من الاعراب منافقون ﴾ هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها ﴿ ومن أهل المدينة ﴾ عطف على ممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته ﴿ مردوا على النفاق ﴾ ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمرّنهم وتمهرهم فى النفاق ﴿ لاتعلمهم ﴾ لاتعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوّقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد أخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك ﴿ نحن نعلمهم ﴾ ونطلع على اسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ بالفضيحة والقتل أو باحدهما وعذاب القبر أو باخذ الزكاة ونهك الابدان ﴿ ثم يردون الى عذاب عظيم ﴾ الى عذاب النار ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾ ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم مانزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لايحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لاأحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم ﴿ خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ﴾ خلطوا الفعل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعث الشاء شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر ﴿ عسى الله أن يتوب عليهم ﴾ أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ﴿ ان الله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه ﴿ خذ من أموالهم صدقة ﴾ *روى أنهم لما أطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت ﴿ تطهرهم ﴾ من الذنوب أو حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ﴿ وتزكيهم بها ﴾ وتنمى بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين ﴿ وصلّ عليهم ﴾ واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ﴿ ان صلواتك سكن لهم ﴾ تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعوّ لهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد ﴿ والله سميع ﴾ لاباعترافهم ﴿ عليم ﴾ بندامتهم ﴿ ألم يعلموا ﴾ الضمير اما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن فى قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ﴿ أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ﴾ اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ﴿ ويأخذ الصدقات ﴾ يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدى بدله ﴿ وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم ﴿ وقل اعملوا ﴾ ماشئتم ﴿ فسيرى الله عملكم ﴾ فانه لايخفى عليه خيرا كان أو شرا ﴿ ورسوله والمؤمنون ﴾ فانه تعالى لايخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم ﴿ وستردون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ بالموت ﴿ فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه ﴿ وآخرون ﴾ من المتخلفين ﴿ مرجؤن ﴾ مؤخرون أى موقوف أمرهم من أرجأته اذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان ﴿ لأمر الله ﴾ فى شأنهم ﴿ اما يعذبهم ﴾ ان أصروا على النفاق ﴿ واما يتوب عليهم ﴾ ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الامرين بارادة الله تعالى ﴿ والله عليم ﴾ باحوالهم ﴿ حكيم ﴾ فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لايسلموا عليهم ولايكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم الى الله فرحمهم الله تعالى

﴿والذين اتخذوا مسجدا﴾ عطف على وآخرون مرجؤن أومبتدأ خبره محذوف أى وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أومنصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير الواو ﴿ضرارا﴾ مضارة للمؤمنين * روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم ابن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينامسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصلّ فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة ﴿وكفرا﴾ وتقوية للكفر الذى يضمرونه ﴿وتفريقا بين المؤمنين﴾ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء ﴿وارصادا﴾ ترقبا ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعنى الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الاقاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أوباتخذوا أى اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى أنه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلماقفل كرر عليه فنزلت ﴿وليحلفن ان أردنا الا الحسنى﴾ ما أردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى أوالارادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ فى حلفهم ﴿لاتقم فيه أبدا﴾ للصلاة ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه أوفق للقصة أومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞
لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ
أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ
هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ۞ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞
إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ
لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞

لقول أبى سعيد رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ﴿من أول يوم﴾ من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر * أقوين من حجج ومن دهر

﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أولى بان تصلى فيه ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها ﴿والله يحب المطهرين﴾ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصارجلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون أنتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم أنتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلافيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ بنيان دينه ﴿على تقوى من الله ورضوان خير﴾ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهوماجرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوي تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تاسيس ذلك على أمر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة أدناها وتأسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على الاضافة وأسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على أن الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ الى مافيه صلاحهم ونجاتهم ﴿لايزال بنيانهم الذى بنوا﴾ بناؤهم الذى بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ﴿ريبة فى قلوبهم﴾ أى شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمه عن قلوبهم ﴿الا أن تقطع قلوبهم﴾ قطعا بحيث لايبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ماهو كائن بالقتل أوفى القبر أوفى النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعني تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أوكل مخاطب ولو قطعت ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول ﴿والله عليم﴾ بنياتهم ﴿حكيم﴾ فيما أمر بهدم بنيانهم ﴿ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة﴾ تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم فى سبيله ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ استئناف ببيان ما لاجله الشراء وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لاتوجب الترتيب وأن فعل البعض قديسند الى الكل ﴿وعدا عليه حقا﴾ مصدرمؤكد لمادل عليه الشراء فانه فى معنى الوعد ﴿فى التوراة والانجيل والقرآن﴾ مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا ﴿فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به﴾ فافرحوا به غاية الفرح فانه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾

﴿التائبون﴾ رفع على المدح أى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أوخبره مابعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح أوجرا صفة للمؤمنين ﴿العابدون﴾ الذين عبدوا الله مخلصين له الدين ﴿الحامدون﴾ لنعمائه أولما نابهم من السراء والضراء ﴿السائحون﴾ الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة أمتى الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات أولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أولطلب العلم ﴿الراكعون الساجدون﴾ في الصلاة ﴿الآمرون بالمعروف﴾ بالايمان والطاعة ﴿والناهون عن المنكر﴾ عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على أنه بماعطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله تعالى ﴿والحافظون لحدود الله﴾ أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ماقبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمى واو الثمانية ﴿وبشر المؤمنين﴾ يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ايمانهم دعاهم الى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ﴿ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ * روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب لماحضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا أزال أستغفر لك مالم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبرأمه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وأنزل علىّ الآيتين ﴿ولو كانوا أولى قربي من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر فقال ﴿وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه﴾ وعدها ابراهيم أباه بقوله لاستغفرن لك أى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ماقبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها ابراهيم أبوه وهي الوعد بالايمان ﴿فلما تبين له أنه عدوّ لله﴾ بان مات على الكفر أو أوحى اليه بانه لن يؤمن ﴿تبرأ منه﴾ قطع استغفاره ﴿ان ابراهيم لاوّاه﴾ لكثير التأوّه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿حليم﴾ صبور على الأذى والجملة لبيان ماحمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه ﴿وما كان الله ليضل قوما﴾ أى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم ﴿بعد اذ هداهم﴾ للاسلام ﴿حتى يبين لهم مايتقون﴾ حتى يبين لهم حظر مايجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول عليه الصلاة والسلام فى قوله لعمه أولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الأمر الاوّل فى القبلة والخمر ونحوذلك وفى الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ فيعلم أمرهم فى الحالين ﴿ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا أولى قربي وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى أمره والغالب عليه ولا يتأتي لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا مماعداه حتى لايبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه ﴿لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار﴾ من اذن المنافقين فى التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى مامن أحد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ مامن أحد الاوله مقام يستنقص دونه ماهو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ فى وقتها هي حالهم فى غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا النفظ ﴿من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم﴾ عن الثبات على الايمان أواتباع الرسول عليه السلام وفى كاد ضمير الشأن أوضمير القوم والعائد اليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد مازاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ﴿ثم تاب عليهم﴾ تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم ﴿انه بهم رؤف رحيم

التَّٰئِبُونَ الْعَٰبِدُونَ الْحَٰمِدُونَ السَّٰئِحُونَ الرَّٰكِعُونَ السَّٰجِدُونَ الْأَٰمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ۞ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۞ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ ۞ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ
حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا
بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا
نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ
صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَا يُنفِقُونَ
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا
كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ
فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۞

﴿ وعلى الثلاثة ﴾ وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ﴿ الذين خلفوا ﴾ تخلفوا عن الغزو أوخلف أمرهم فانهم المرجؤن ﴿ حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت ﴾ أي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهومثل لشدّة الحيرة ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لايسعها أنس ولاسرور ﴿ وظنوا ﴾ وعلموا ﴿ أن لاملجأ من الله ﴾ من سخطه ﴿ الا اليه ﴾ الا الى استغفاره ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ بالتوفيق للتوبة ﴿ ليتوبوا ﴾ أوأنزل قبول توبتهم ليعدّوا من جملة التائبين أورجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ﴿ ان الله هو التوّاب ﴾ لمن تاب ولوعاد في اليوم مائة مرة ﴿ الرحيم ﴾ المتفضل عليهم بالنعم ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فيما لايرضاه ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ في ايمانهم وعهودهم أوفى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ نهى عبر به بصيغة النفي للمبالغة ﴿ ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ﴾ ولايصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه مايكابده من الأهوال * روي أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له زوجة حسناء فرشت له فى الظلّ وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظلّ ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضحّ والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومرّ كالريح فمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لايرغبوا يجوز النصب والجزم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مادلّ عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف أو وجوب المشايعة ﴿ بانهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ لايصيبهم ظمأ ﴾ شئ من العطاش ﴿ ولانصب ﴾ تعب ﴿ ولامخمصة ﴾ مجاعة ﴿ فى سبيل الله ولايطؤن ﴾ ولايدوسون ﴿ موطئا ﴾ مكانا ﴿ يغيظ الكفار ﴾ يغضبهم وطؤه ﴿ ولاينالون من عدوّ نيلا ﴾ كالقتل والأسر والنهب ﴿ الا كتب لهم به عمل صالح ﴾ الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ﴿ ان الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد احسان أما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم بأقصى مايمكن كضرب المداوى للمجنون وأما فى حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ﴿ ولاينفقون نفقة صغيرة ﴾ ولوعلاقة ﴿ ولا كبيرة ﴾ مثل ماأنفق عثمان رضى الله تعالى عنه في جيش العسرة ﴿ ولايقطعون واديا ﴾ فى مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض ﴿ الا كتب لهم ﴾ أثبت لهم ذلك ﴿ ليجزيهم الله ﴾ بذلك ﴿ أحسن ما كانوا يعملون ﴾ جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم ﴿ وماكان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو أوطلب علم كما لايستقيم لهم أن يتثبطوا جميعا فانه يخلّ بأمر المعاش ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ﴾ فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ﴿ ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ﴾ وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغى أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد ﴿ لعلهم يحذرون ﴾ ارادة أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضى أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلولم يعتبر الاخبار مالم يتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل فى المتخلفين مانزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لاينقطع التفقه الذى هو الجهاد الأكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف أى ولينذروا البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا
فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ۝ وإذا ما أنزلت
سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما
الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ۝ وأما
الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم
وماتوا وهم كافرون ۝ أولا يرون أنهم يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ۝
وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم
من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم
لا يفقهون ۝ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم ۝ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ۝

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ أمروا بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بانذار عشيرته الأقربين فان الاقرب أحق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشأم وهو قريب من المدينة ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ بالحراسة والاعانة ﴿ واذا ما أنزلت سورة فمنهم ﴾ فمن المنافقين ﴿ من يقول ﴾ انكارا واستهزاء ﴿ أيكم زادته هذه ﴾ السورة ﴿ ايمانا ﴾ وقرئ أيكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته ﴿ فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا ﴾ بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم ﴿ وهم يستبشرون ﴾ بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم ﴿ وأما الذين فى قلوبهم مرض ﴾ كفر ﴿ فزادتهم رجسا الى رجسهم ﴾ كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها ﴿ وماتوا وهم كافرون ﴾ واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه ﴿ أولايرون ﴾ يعني المنافقين وقرئ بالتاء ﴿ أنهم يفتنون ﴾ يبتلون بأصناف البليات أوبالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون مايظهر عليه من الآيات ﴿ فى كل عام مرة أومرتين ثم لايتوبون ﴾ لاينتهون ولايتوبون من نفاقهم ﴿ ولاهم يذكرون ﴾ ولايعتبرون ﴿ واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض ﴾ تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية أوغيظا لما فيها من عيوبهم ﴿ هل يراكم من أحد ﴾ أى يقولون هل يراكم أحد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم أحد قاموا وان يرهم أحد أقاموا ﴿ ثم انصرفوا ﴾ عن حضرته مخافة الفضيحة ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء ﴿ بانهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ قوم لايفقهون ﴾ لسوء فهمهم أولعدم تدبرهم ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من أنفسكم أى من أشرفكم ﴿ عزيز عليه ﴾ شديد شاق ﴿ ماعنتم ﴾ عنتكم ولقاؤكم المكروه ﴿ حريص عليكم ﴾ أى على ايمانكم وصلاح شأنكم ﴿ بالمؤمنين ﴾ منكم ومن غيركم ﴿ رؤف رحيم ﴾ قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل ﴿ فان تولوا ﴾ عن الايمان بك ﴿ فقل حسبي الله ﴾ فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم ﴿ لااله الا هو ﴾ كالدليل عليه ﴿ عليه توكلت ﴾ فلا أرجو ولا أخاف الا منه ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾ الملك العظيم أوالجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع ✻ وعن أبيّ بن كعب رضى الله تعالى عنه أن آخر مانزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم مانزل القرآن عليّ الا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما انزلتا عليّ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة والله أعلم

﴿ سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تلك ءايٰت الكتٰب الحكيم ۞ أكان للناس عجبا
أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين ءامنوا
أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكٰفرون إن هٰذا
لسحر مبين ۞ إن ربكم الله الذى خلق السمٰوٰت
والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر
ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذٰلكم الله ربكم فاعبدوه
أفلا تذكرون ۞ إليه مرجعكم جميعا وعد الله
حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين ءامنوا
وعملوا الصٰلحٰت بالقسط والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ۞ هو الذى
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
عدد السنين والحساب ما خلق الله ذٰلك إلا بالحق يفصل
الأيٰت لقوم يعلمون ۞ إن فى اختلاف اليل والنهار وما
خلق الله فى السمٰوٰت والأرض لأيٰت لقوم يتقون ۞

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ * ﴿ الر ﴾ فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وأمالها الباقون اجراء لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ اشارة الى ماتضمنته السورة أوالقرآن من الآى والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أولأنه كلام حكيم أومحكم آياته لم ينسخ شئ منها ﴿ أكان للناس عجبا ﴾ استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ﴿ أن أوحينا ﴾ وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس أوعلى أن كان تامة وأن أوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم ﴿ الى رجل منهم ﴾ من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم *قيل كانوا يقولون العجب أن الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوّة هذا وأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال أعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام ﴿ أن أنذر الناس ﴾ أن هي المفسرة أوالمخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول أوحينا ﴿ وبشر الذين آمنوا ﴾ عمم الانذار اذ قلما من أحد ليس فيه ماينبغى أن ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار مايصح أن يبشروا به ﴿ أن لهم ﴾ بأن لهم ﴿ قدم صدق عند ربهم ﴾ سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم انما ينالونها بصدق القول والنية ﴿ قال الكافرون ان هذا ﴾ يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ لسحر مبين ﴾ وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أمورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ﴾ التى هي أصول الممكنات ﴿ فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ﴾ يقدر أمر الكائنات على مااقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ﴿ مامن شفيع الا من بعد اذنه ﴾ تقرير لعظمته وعزّ جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن أذن له ﴿ ذلكم الله ﴾ أى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ﴿ ربكم ﴾ لاغير اذ لايشاركه أحد فى شئ من ذلك ﴿ فاعبدوه ﴾ وحدوه بالعبادة ﴿ أفلا تذكرون ﴾ تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لاماتعبدونه ﴿ اليه مرجعكم جميعا ﴾ بالموت أوالنشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه ﴿ وعد الله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله اليه مرجعكم وعد من الله ﴿ حقا ﴾ مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادلّ عليه وعد الله ﴿ انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد بدئه واهلاكه ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ﴾ أى بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل فى أمورهم أوبايمانهم لانه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ﴾ فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم * والآية كالتعليل لقوله تعالى ـ اليه مرجعكم جميعا ـ فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أى لانه ويجوز أن يكون منصوبا أومرفوعا بما نصب وعد الله أوبما نصب حقا ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء ﴾ أى ذات ضياء وهو مصدر كقيام أوجمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفى الانبياء وفى القصص ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين ﴿ والقمر نورا ﴾ أى ذا نور أوسمى نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها ﴿ وقدّره منازل ﴾ الضمير لكل واحد أى قدّر مسير كل واحد منهما منازل أوقدّره ذا منازل أوللقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ حساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ﴿ ماخلق الله ذلك الا بالحق ﴾ الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿ نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ﴿ ان في اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض ﴾ من أنواع الكائنات ﴿ لآيات ﴾ على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿ لقوم يتقون ﴾ العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر

﴿ ان الذين لا يرجون لقاءنا ﴾ لا يتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ﴿ ورضوا بالحياة الدنيا ﴾ من الآخرة لغفلتهم عنها ﴿ واطمأنوا بها ﴾ وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ لا يتفكرون فيها لانهما كهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من أنكر البعث ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له ﴿ أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم ﴾ بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أو لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على أن سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له ﴿ تجري من تحتهم الانهار ﴾ استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله ﴿ في جنات النعيم ﴾ خبر أو حال أخرى منه أو من الانهار أو متعلق بتجري أو بيهدي ﴿ دعواهم فيها ﴾ أى دعاؤهم ﴿ سبحانك اللهم ﴾ اللهم انا نسبحك تسبيحا ﴿ وتحيتهم ﴾ ما يحيي به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة اياهم ﴿ فيها سلام وآخر دعواهم ﴾ وآخر دعائهم ﴿ أن الحمد لله رب العالمين ﴾ أى أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الاكرام وأن هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر ﴾ ولو يسرعه اليهم ﴿ استعجالهم بالخير ﴾ وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه ﴿ لقضى اليهم أجلهم ﴾ لاميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا ﴿ فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون ﴾ عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا ﴿ واذا مس الانسان الضر دعانا ﴾ لازالته مخلصا فيه ﴿ لجنبه ﴾ ملقى لجنبه أى مضطجعا ﴿ أو قاعدا أو قائما ﴾ وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أو لاصناف المضار ﴿ فلما كشفنا عنه ضره مر ﴾ يعنى مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه ﴿ كأن لم يدعنا ﴾ كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال

ونحر مشرق اللون * كأن ثدياه حقان

﴿ الى ضر مسه ﴾ الى كشف ضر ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك التزيين ﴿ زين للمسرفين ما كانوا يعملون ﴾ من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لما ظلموا ﴾ حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا ﴿ وما كانوا ليؤمنوا ﴾ وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في امهالهم ﴿ نجزى القوم المجرمين ﴾ نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم اعلام فيه ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم ﴾ استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر ﴿ لننظر كيف تعملون ﴾ أتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞
وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ
إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ
يَعْمَهُونَ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا
لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ
مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ
فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۞

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلْ
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ
لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ
قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝
وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا
الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝

﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ﴾ يعني المشركين ﴿ ائت بقرآن غير هذا ﴾ بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أومانكرهه من معايب آلهتنا ﴿ أوبدله ﴾ بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه ﴿ قل ما يكون لي ﴾ مايصح لي ﴿ أن أبدّله من تلقاء نفسي ﴾ من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ﴿ ان أتبع الا مايوحى اليّ ﴾ تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في أمر لايستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال ﴿ انى أخاف ان عصيت ربي ﴾ أي بالتبديل ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وفيه ايماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح ﴿ قل لوشاء الله ﴾ غير ذلك ﴿ ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ﴾ ولاأعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لوشاء الله ماتلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه الحق الذي لامحيص عنه لولم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولاأدرأكم ولاأدرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة أوعلى أنه من الدرء بمعني الدفع أي ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال والمعنى أن الامر بمشيئة الله تعالى لابمشيئتي حتى أجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا ﴾ مقدارا عمر أربعين سنة ﴿ من قبله ﴾ من قبل القرآن لاأتلوه ولاأعلمه فانه اشارة الى أن القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الاولين وأحاديث الآخرين على ماهي عليه علم أنه معلم به من الله تعالى ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس الامن الله ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ تفاد مما أضافوه اليه كناية أوتظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذوولد ﴿ أوكذب بآياته ﴾ فكفر بها ﴿ انه لايفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولاينفعهم ﴾ فانه جماد لايقدر على نفع ولاضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أودفع ضر ﴿ ويقولون هؤلاء ﴾ الاوثان ﴿ شفعاؤنا عند الله ﴾ تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أوفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة مايعلم قطعا أنه لايضر ولاينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده ﴿ قل أتنبؤن الله ﴾ أتخبرونه ﴿ بمالايعلم ﴾ وهو أن له شريكا أوهؤلاء شفعاء عنده ومالايعلمه العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ماوفيه تقريع وتهكم بهم ﴿ في السموات ولافي الارض ﴾ حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على أن مايعبدون من دون الله اماسماوي واما أرضي ولاشئ من الموجودات فيهما الاوهو حادث مقهور مثلهم لايليق أن يشرك به ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ عن اشراكهم أوعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول النحل والروم بالتاء ﴿ وماكان الناس الا أمة واحدة ﴾ موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى أن قتل قابيل هابيل أوبعد الطوفان أوعلى الضلال في فترة من الرسل ﴿ فاختلفوا ﴾ باتباع الهوى والاباطيل أوببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الحكم بينهم أوالعذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء ﴿ لقضي بينهم ﴾ عاجلا ﴿ فيما فيه يختلفون ﴾ باهلاك المبطل وابقاء المحق ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ أي من الآيات التي اقترحوها ﴿ فقل انما الغيب لله ﴾ هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها ﴿ فانتظروا ﴾ لنزول مااقترحتموه ﴿ انى معكم من المنتظرين ﴾ لما يفعل الله بكم بجحودكم مانزل عليّ من الآيات العظام واقتراحكم غيره

﴿واذا أذقنا الناس رحمة﴾ صحة وسعة ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ كقحط ومرض ﴿اذا لهم مكر فى آياتنا﴾ بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله ﴿قل الله أسرع مكرا﴾ منكم قددبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها
كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر ﴿ان رسلنا يكتبون ماتمكرون﴾ تحقيق للانتقام
وتنبيه على أن مادبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله ﴿هو الذى يسيركم﴾ يحملكم على السير ويمكنكم
منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر ﴿فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك﴾ فى السفن ﴿وجرين بهم﴾ بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه
تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم ﴿بريح طيبة﴾ لينة الهبوب ﴿وفرحوا بها﴾ بتلك الريح ﴿جاءتها﴾ جواب اذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلقتها
﴿ريح عاصف﴾ ذات عصف شديدة الهبوب ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ يجىء الموج منه ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن
أحاط به العدوّ ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
﴿لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ على ارادة القول أومفعول دعوا لانه من جملة القول ﴿فلما أنجاهم﴾ اجابة لدعائهم ﴿اذاهم يبغون فى الارض﴾ فاجؤا
الفساد فيها وسارعوا الى ماكانوا عليه ﴿بغير الحق﴾ مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع أشجارهم فانها افساد بحق
﴿ياأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم﴾ فان وباله عليكم أوأنه على أمثالكم أبناء جنسكم ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه
خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أوخبر مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى
أنفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا
أومفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع
الحياة الدنيا محذور أوضلال أومفعول فعل دل عليه البغى وعلى أنفسكم خبره ﴿ثم الينا
مرجعكم﴾ فى القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالجزاء عليه ﴿انما مثل الحياة الدنيا﴾
حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها ﴿كماء أنزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض﴾ فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا ﴿مما يأكل
الناس والانعام﴾ من الزروع والبقول والحشيش ﴿حتى اذا أخذت الارض زخرفها﴾
حسنها وبهجتها ﴿وازينت﴾ تزينت باصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس
أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ على الاصل
وأزينت على أفعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ متمكنون من حصدها ورفع غلتها ﴿أتاها أمرنا﴾
ضرب زرعها مايحتاجه ﴿ليلا أونهارا فجعلناها﴾ فجعلنا زرعها ﴿حصيدا﴾ شبيها بما
حصد من أصله ﴿كأن لم تغن﴾ كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين
للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل ﴿بالامس﴾ فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل
به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ماكان غضا والتف
وزين الارض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف
التشبيه لأنه من التشبيه المركب ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ فانهم
المنتفعون به ﴿والله يدعو الى دار السلام﴾ دار السلام من التقضى والآفة أو دار الله
وتخصيص هذا الاسم أيضا للتنبيه على ذلك أودار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها
والمراد الجنة ﴿ويهدى من يشاء﴾ بالتوفيق ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو طريقها وذلك
الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن
الامر غير الارادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا
قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۞
هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ
وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞
فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ
وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا
أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى
دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞

للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا
ذلة اولئك اصحب الجنة هم فيها خلدون ۞ والذين كسبوا
السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله
من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما اولئك
اصحب النار هم فيها خلدون ۞ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ۞ فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغفلين ۞ هنالك تبلوا كل نفس
ما اسلفت وردوا الى الله مولىهم الحق وضل عنهم ما كانوا
يفترون ۞ قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك
السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت
من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا
تتقون ۞ فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلل فانى تصرفون ۞ كذلك حقت
كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون ۞

(للذين أحسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هي اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولاذلة) هوان والمعنى لايرهقهم مايرهق أهل النار أولا يرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوّز فى الدار زيد والحجرة عمرو أوالذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة بمثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لايزاد عليها وفيه تنبيه على أن الزيادة هي الفضل أوالتضعيف أو كأنما أغشيت وجوههم أوأولئك أصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أى فجزاء سيئة بمثلها واقع أو بمثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) وقرئ بالياء (مالهم من الله من عاصم) مامن أحد يعصمهم من سخط الله أومن جهة الله ومن عنده كما يكون المؤمنين (كأنما أغشيت) غطيت (وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه أغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أومعنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلما صفة له أوحالا منه (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية والجواب أن الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا مايفعل بكم (أنتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن براءة ماعبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لاما أشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هي المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (هنالك) في ذلك المقام (تبلوا كل نفس ما أسلفت) تختبر ماقدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة أى تقرأ ذكر ماقدمت أومن التلو أى تتبع عملها فيقودها الى الجنة أوالى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال مامنه والمعنى نختبرها أى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون مامنصوبة بنزع الخافض (وردّوا الى الله) الى جزائه اياهم بما أسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة لاما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح أوالمصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم أوما كانوا يدعون أنها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والأرض) أى منهما جميعا فان الارزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أومن كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من أهل السماء والارض (أمن يملك السمع والابصار) أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أومن يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيي ويميت أومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذ لايقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه (فقل أفلا تتقون) أنفسكم عقابه باشراككم اياه مالايشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) أى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكار أي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال (فأني تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمت ربك) أى كما حقت الربوبية لله أوأن الحق بعده الضلال أوأنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (أنهم لايؤمنون) بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّٰهُ يَبْدَؤُا
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّٰهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ
أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ وَمَا
يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللّٰهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ
اللّٰهِ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ
مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
۞ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ
كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ ۞ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ
أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ
أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۞

ومنهم

﴿قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم في الجواب فقال ﴿قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ لان لجاجهم لايدعهم أن يعترفوا بها ﴿فأني تؤفكون﴾ تصرفون عن قصد السبيل ﴿قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق﴾ بنصب الحجج وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معني الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند الى الله تعالى ﴿قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدّي الا أن يهدى﴾ أم الذى لايهتدى الا أن يهدى من قولهم أهدى بنفسه اذا اهتدى أولايهدى غيره الا أن يهديه الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين* وروى أبو بكر يهدى باتباع اليا الهاء وقرأ أبو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا أن يهدى للمبالغة ﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ بما يقتضى صريح العقل بطلانه ﴿ومايتبع أكثرهم﴾ فيما يعتقدونه ﴿الاظنا﴾ مستندا الى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدني مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع أومن ينتمى منهم الى تميز ونظر ولايرضى بالتقليد الصرف ﴿ان الظن لايغنى من الحق﴾ من العلم والاعتقاد الحق ﴿شيأ﴾ من الاغناء ويجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ﴿ان الله عليم بما يفعلون﴾ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان ﴿وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ افتراء من الخلق ﴿ولكن تصديق الذى بين يديه﴾ مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولايكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدرا أوعلة لفعل محذوف تقديره ولكن أنزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق ﴿وتفصيل الكتاب﴾ وتفصيل ماحقق وأثبت من العقائد والشرائع ﴿لاريب فيه﴾ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وأن يكون استئنافا ﴿من رب العالمين﴾ خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أوتفصيل ولاريب فيه اعتراض أوبالفعل المعلل بهما ويجوز أن يكون حالا من الكتاب أومن الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان مايجب اتباعه والبرهان عليه ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون ﴿افتراه﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للانكار ﴿قل فائتوا بسورة مثله﴾ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة وأشد تمرنا فى النظم والعبارة ﴿وادعوا من استطعتم﴾ ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به ﴿من دون الله﴾ سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ أنه اختلقه ﴿بل كذبوا﴾ بل سارعوا الى التكذيب ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ بالقرآن أول ماسمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أوبما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر مايخالف دينهم ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل مافيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها أولما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أنبياءهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فيه وعيد لهم بمثل ماعوقب به من قبلهم ﴿ومنهم﴾ ومن المكذبين ﴿من يؤمن به﴾ من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند أومن سيؤمن به ويتوب عن الكفر ﴿ومنهم من لايؤمن به﴾ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أوفيما يستقبل بل يموت على الكفر ﴿وربك أعلم بالمفسدين﴾ بالمعاندين أو المصرين ﴿وان كذبوك﴾ وان أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة ﴿فقل لى عملى ولكم عملكم﴾ فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان أوباطلا ﴿أنتم بريؤن مما أعمل وأنا برىء مما تعملون﴾ لاتؤاخذون بعملى ولاأؤاخذ بعملكم ولمافيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ﴿ومنهم من يستمعون اليك﴾ اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع أصلا ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ تقدر على اسماعهم ﴿ولوكانوا لايعقلون﴾ ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لاتوصف به البهائم وهو لايتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غيرماينتفع به البهائم من كلام الناعق

﴿ ومنهم من ينظر اليك ﴾ يعاينون دلائل نبوّتك ولكن لا يصدّقونك ﴿ أفأنت تهدى العمى ﴾ تقدر على هدايتهم ﴿ ولو كانوا لايبصرون ﴾ وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق * والآية كالتعليل للأمر بالتبرى والاعراض عنهم ﴿ ان الله لايظلم الناس شيأ ﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿ ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون ﴾ بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه وقرأ أبوعمرو والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار ﴾ يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا أوفى القبور لهول مايرون والجملة التشبيهية فى موضع الحال أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة أوصفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله أولمصدر محذوف أى حشرا كأن لم يلبثوا قبله ﴿ يتعارفون بينهم ﴾ يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا أول مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدّة الأمر عليهم وهى حال أخرى مقدرة أوبيان لقوله كأن لم يلبثوا أومتعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم ﴿ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ استئناف للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ لطرق استعمال مامنحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدّت بهم الى الردى والعذاب الدائم ﴿ واما نرينك ﴾ نبصرنك ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ من العذاب فى حياتك كما أراه يوم بدر ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل أن نريك ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ﴿ ثم الله شهيد على مايفعلون ﴾ مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤدّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة ﴿ ولكل أمة ﴾ من الامم الماضية ﴿ رسول ﴾ يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق ﴿ فاذا جاء رسولهم ﴾ بالبينات فكذبوه ﴿ قضى بينهم ﴾ بين الرسول ومكذبيه ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل فأنجى الرسول وأهلك المكذبون ﴿ وهم لايظلمون ﴾ وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله ـ وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم ـ ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ استبعادا له واستهزاءً به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ قل لا أملك لنفسى ضرّا ولا نفعا ﴾ فكيف أملك لكم فأستعجل فى جلب العذاب اليكم ﴿ الا ماشاء الله ﴾ أن أملكه أو ولكن ماشاء الله من ذلك كائن ﴿ لكلّ أمة أجل ﴾ مضروب لهلاكهم ﴿ اذا جاء أجلهم فلايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾ لايتأخرون ولا يتقدمون فلاتستعجلون فسيحين وقتكم وينجز وعدكم ﴿ قل أرأيتم ان أتاكم عذابه ﴾ الذى تستعجلون به ﴿ بياتا ﴾ وقت بيات واشتغال بالنوم ﴿ أونهارا ﴾ حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾ أى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى أخبرونى والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغى أن يفزعوا من مجىء العذاب لا أن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أوتعرفوا خطأه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك ان أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أوبقوله ﴿ أثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ بمعني ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير ﴿ آلآن ﴾ على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ﴿ وقد كنتم به تستعجلون ﴾ تكذيبا واستهزاء ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ﴾ عطف على قيل المقدر ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ﴾ المؤلم على الدوام ﴿ هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿ ويستنبؤنك ﴾ ويستخبرونك ﴿ أحق هو ﴾ أحق ماتقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فانّ فيه تعريضا بانه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسدّ الخبر أوخبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبؤنك ﴿ قل اى وربي انه لحق ﴾ ان العذاب لكائن أومادّعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعني نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولايقال اى وحده ﴿ وماأنتم بمعجزين ﴾ بفائتين العذاب

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ
يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
مُهْتَدِينَ ۝ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ
رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
۝ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا أَمْلِكُ
لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۝
أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝
ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ
هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ ع

﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ﴾ بالشرك أو التعدّى على الغير ﴿ مافى الارض ﴾ من خزائنها وأموالها ﴿لافتدت به﴾ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه ﴿ وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها لان اخفاءها اخلاصها أولأنه يقال سرّ الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضنّ بها وقيل أظهروها من قولهم أسرّ الشئ وأسره اذا أظهره ﴿ وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون ﴾ ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك أوالحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم ﴿ الا ان لله مافى السموات والارض ﴾ تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب ﴿ ألا ان وعد الله حق ﴾ ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ لانهم لايعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا ﴿ هو يحيي ويميت ﴾ فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لاتزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبدا ﴿ واليه ترجعون ﴾ بالموت أوالنشور ﴿ ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هي شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدّلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم ﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾ بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾ فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أوفليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أوبفعل دلّ عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره أى فبمجيئهما فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فيهما فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على أن مجىء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده أنه قرىء فافرحوا ﴿ هو خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق ﴾ جعل الرزق منزّلا لأنه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بأنزل أوبأرأيتم فانه بمعنى أخبرونى ولكم دلّ على أن المراد منه ماحلّ ولذلك وبخ على التبعيض فقال ﴿ فجعلتم منه حراما وحلالا ﴾ مثل هذه أنعام وحرث حجر*مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا ﴿ قل آلله أذن لكم ﴾ في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ﴿ أم على الله تفترون ﴾ فى نسبة ذلك اليه ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وأن يكون الاستفهام للانكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله ﴿ وماظنّ الذين يفترون على الله الكذب ﴾ أى شئ ظنهم ﴿ يوم القيامة ﴾ أيحسبون أن لايجازوا عليه وهو منصوب بالظنّ ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم ﴿ ان الله لذو فضل على الناس ﴾ حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ﴿ ولكنّ أكثرهم لايشكرون ﴾ هذه النعمة ﴿ وماتكون فى شأن ﴾ ولاتكون فى أمر وأصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى ﴿ وماتتلوامنه ﴾ له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أولأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو ﴿ من قرآن ﴾ على أن من تبعيضية أومزيدة لتأكيد النفى أوللقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أولله ﴿ ولاتعملون من عمل ﴾ تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خصّ مافيه فخامة وذكر حيث عمّ مايتناول الجليل والحقير ﴿ الا كنا عليكم شهودا ﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿ اذ تفيضون فيه ﴾ تخوضون فيه وتندفعون ﴿ ومايعزب عن ربك ﴾ ولايبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ ﴿ من مثقال ذرّة ﴾ موازن نملة صغيرة أوهباء ﴿ فى الأرض ولافي السماء ﴾ أى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولامتعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال أهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ﴿ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ﴾ كلام برأسه مقرر لما قبله ولانافية وأصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرّة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أوعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ۞ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
۞ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ
حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۞
وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
۞ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا
يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۞

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ
ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم
مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝
قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
۝ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ
ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝

﴿ألا انّ أولياء الله﴾ الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ﴿لا خوف عليهم﴾ من لحوق مكروه ﴿ولاهم يحزنون﴾ لفوات مأمول * والآية كمجمل فسره قوله ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه ﴿لهم البشرى فى الحياة الدنيا﴾ وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومايريهم من الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع ﴿وفى الآخرة﴾ بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب أوالرفع على المدح أوعلى وصف الاولياء أوعلى الابتداء وخبره لهم البشرى ﴿لاتبديل لكلمات الله﴾ أى لاتغيير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده ﴿ذلك﴾ اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين ﴿هو الفوز العظيم﴾ هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله ﴿ولايحزنك قولهم﴾ اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى ﴿ان العزّة لله جميعا﴾ استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لاتحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم ﴿هو السميع﴾ لأقوالهم ﴿العليم﴾ بعزماتهم فيكافئهم عليها ﴿ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض﴾ من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لايصلح أحد منهم للربوبية فما لايعقل منها أحق أن لايكون له ندا أوشريكا فهو كالدليل على قوله ﴿ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دلّ عليه ﴿ان يتبعون الا الظنّ﴾ أى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع أوموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أى انهم لايتبعون الا الله ولايعبدون غيره فمالكم لاتتبعونهم فيه كقوله ـ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ـ فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم ﴿وان هم الا يخرصون﴾ يكذبون فيما ينسبون الى الله أويحزرون ويقدرون أنها شركاء تقديرا باطلا ﴿هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾ أى تبناه ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن التبنى فانه لايصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء ﴿هو الغنى﴾ علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿له مافى السموات ومافى الارض﴾ تقرير لغناه ﴿ان عندكم من سلطان بهذا﴾ نفى لمعارض ماأقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أونعت له أو بعندكم كأنه قيل ان عندكم فى هذا من سلطان ﴿أتقولون على الله مالاتعلمون﴾ توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول لادليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ ﴿قل ان الذين يفترون على الله الكذب﴾ باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه ﴿لايفلحون﴾ لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة ﴿متاع فى الدنيا﴾ خبر مبتدا محذوف أى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رئاستهم فى الكفر أوحياتهم أوتقلبهم متاع مبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع فى الدنيا ﴿ثم الينا مرجعهم﴾ بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ﴿ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون﴾ بسبب كفرهم

﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ خبره مع قومه ﴿اذقال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم﴾ عظم عليكم وشق ﴿مقامى﴾ نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان أوكوني واقامتى بينكم مدةمديدة أوقيامى على الدعوة ﴿وتذكيري﴾ اياكم ﴿بآيات الله فعلى الله توكلت﴾ وثقت به ﴿فأجمعوا أمركم﴾ فاعزموا عليه ﴿وشركاءكم﴾ أى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على أمركم بحذف المضاف أى وأمر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقدقرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه على أي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ثم لايكن أمركم﴾ فى قصدي ﴿عليكم غمة﴾ مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذاستره أوثم لا يكن حالكم عليكم غمااذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى ﴿ثم اقضوا﴾ أدوا ﴿الىّ﴾ ذلك الامرالذى تريدون بي وقرئ ثم أفضوا الى بالفاء أى انتهوا الى بشركم أوابرزوا الى من أفضى اذاخرج الى الفضاء ﴿ولاتنظرون﴾ ولاتمهلونى ﴿فان توليتم﴾ أعرضتم عن تذكيرى ﴿فما سألتكم من أجر﴾ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله أويفوتنى لتوليكم ﴿ان أجرى﴾ ماثوابي على الدعوة والتذكير ﴿الا على الله﴾ لاتعلق له بكم يثيبني به آمنتم أوتوليتم ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ المنقادين لحكمه لاأخالف أمره ولا أرجو غيره ﴿فكذبوه﴾ فاصروا على تكذيبه بعد ماألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس الالعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب ﴿فنجيناه﴾ من الغرق ﴿ومن معه فى الفلك﴾ وكانوا ثمانين ﴿وجعلناهم خلائف﴾ من الهالكين به ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ بالطوفان ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ﴿ثم بعثنا﴾ أرسلنا ﴿من بعده﴾ من بعد نوح ﴿رسلا الى قومهم﴾ كل رسول الى قومه ﴿فجاؤهم بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ فمااستقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم ﴿بما كذبوا به من قبل﴾ أى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفى أمثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقدمر تحقيق ذلك ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ من بعد هؤلاء الرسل ﴿موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا﴾ بالآيات التسع ﴿فاستكبروا﴾ عن اتباعهما ﴿وكانوا قوما مجرمين﴾ معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك ﴿قالوا﴾ من فرط تمردهم ﴿ان هذا لسحر مبين﴾ ظاهر انه سحر أوفائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه ﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم﴾ انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ماقبله عليه ولايجوز ان يكون ﴿أسحر هذا﴾ لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى سمعنا فتي يذكرهم فيستغنى عن المفعول ﴿ولايفلح الساحرون﴾ من تمام كلام موسى للدلالة على أنه ليس بسحر فانه لوكان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لايفلح الساحر لايسحر أومن تمام قولهم انجعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولايفلح الساحرون ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا﴾ لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ من عبادة الاصنام ﴿وتكون لكما الكبرياء فى الارض﴾ الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر أوالتكبر على الناس باستتباعهم ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما جئتما به

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ
مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ
وَلَا تُنْظِرُونِ ۞ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ
وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَا
مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ
۞ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمُ
الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۞ قَالَ مُوسَى
أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ۞
قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا
الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۞

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۞ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ
۞ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ
لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ
فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ۞ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا
إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۞

﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر﴾ وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار ﴿عليم﴾ حاذق فيه ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ماأنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر﴾ أى الذى جئتم به هو السحر لاما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه أوخبر مبتدا محذوف تقديره أهو السحر أومبتدا خبره محذوف أي آلسحر هو ويجوز أن ينتصب ما بفعل يفسره مابعده وتقديره أى شئ أتيتم ﴿ان الله سيبطله﴾ سيمحقه أوسيظهر بطلانه ﴿ان الله لايصلح عمل المفسدين﴾ لايثبته ولايقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لاحقيقة له ﴿ويحق الله الحق﴾ ويثبته ﴿بكلماته﴾ بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ﴿ولوكره المجرمون﴾ ذلك ﴿فما آمن لموسى﴾ أى في مبدأ أمره ﴿الاذرية من قومه﴾ الأولاد من أولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الاطائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أومؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ أى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ماهو المعتاد في ضمير العظماء أوعلى ان المراد بفرعون آله كمايقال ربيعة ومضر أوللذرية أوللقوم ﴿أن يفتنهم﴾ أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أومفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه ﴿وان فرعون لعال في الارض﴾ لغالب فيها ﴿وانه لمن المسرفين﴾ في الكبر والعتو حتى ادعي الربوبية واسترق أسباط الانبياء ﴿وقال موسى﴾ لما رأى تخوف المؤمنين به ﴿ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا﴾ فثقوا به واعتمدوا عليه ﴿ان كنتم مسلمين﴾ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لايوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت ﴿فقالوا على الله توكلنا﴾ لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ﴿ربنا لاتجعلنا فتنة﴾ موضع فتنة ﴿للقوم الظالمين﴾ أى لاتسلطهم علينا فيفتنونا ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغى له أن يتوكل أولا لتجاب دعوته ﴿وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ﴾ أى اتخذا مباءة ﴿لقومكما بمصر بيوتا﴾ تسكنون فيها أوترجعون اليها للعبادة ﴿واجعلوا﴾ أنتما وقومكما ﴿بيوتكم﴾ تلك البيوت ﴿قبلة﴾ مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلى اليها ﴿وأقيموا الصلوة﴾ فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلايظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم ﴿وبشر المؤمنين﴾ بالنصرة فى الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير أولا لان التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغى أن يفعله كل أحد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة ﴿وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة﴾ مايتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما ﴿وأموالا في الحيوة الدنيا﴾ وأنواعا من المال ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة أحوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل أن تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أى أهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم ﴿واشدد على قلوبهم﴾ أى واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان ﴿فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم﴾ جواب للدعاء أودعاء بلفظ النهى أوعطف على ليضلوا ومابينهما دعاء معترض

﴿ قال قد أجيبت دعوتكما ﴾ يعني موسى وهرون لانه كان يؤمن ﴿ فاستقيما ﴾ فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن فى وقته *روى انه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿ ولا تتبعانّ سبيل الذين لايعلمون ﴾ طريق الجهلة فى الاستعجال أوعدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ﴾ أى جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف ﴿ فأتبعهم ﴾ فادركهم يقال اتبعته حتى اتبعته ﴿ فرعون وجنوده بغيا وعدوا ﴾ باغين وعادين أو للبغى والعدو وقرئ وعدوّا ﴿ حتى اذا أدركه الغرق ﴾ لحقه ﴿ قال آمنت أنه ﴾ أى بانه ﴿ لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ﴾ وقرأ حمزة والكسائىّ انه بالكسر على اضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان أوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل ﴿ آلآن ﴾ أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار ﴿ وقد عصيت قبل ﴾ قبل ذلك مدة عمرك ﴿ وكنت من المفسدين ﴾ الضالين المضلين عن الايمان ﴿ فاليوم ننجيك ﴾ ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من أنجى وقرئ ننحيك بالحاء أى نلقيك بناحية من الساحل ﴿ ببدنك ﴾ فى موضع الحال أي ببدنك عاريا عن الروح أوكاملا سويا أوعريانا من غير لباس أوبدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك أى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه أوبدروعك كأنه كان مظاهرا بينها ﴿ لتكون لمن خلفك آية ﴾ لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل اليهم انه لايهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه الى أن عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل أولمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أوحجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه عن عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك أى لخالقك آية أى كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه أيضا محتمل على المشهور ﴿ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ﴾ لايتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿ ولقد بوّأنا ﴾ أنزلنا ﴿ بنى اسرائيل مبوّأ صدق ﴾ منزلا صالحا مرضيا وهو الشأم ومصر ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ من اللذائذ ﴿ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ﴾ فما اختلفوا فى أمر دينهم الا من بعد ماقرؤا التوراة وعلموا أحكامها أوفى أمر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ماعلموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ﴿ ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك ﴿ فان كنت في شك مما أنزلنا اليك ﴾ من القصص على سبيل الفرض والتقدير ﴿ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ﴾ فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدّق لما فيها أووصف أهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل اليه أوتهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا لامكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لاأشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أولكل من يسمع أى ان كنت أيها السامع فى شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة فى الدين ينبغى أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم ﴿ لقد جاءك الحق من ربك ﴾ واضحا انه لامدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة ﴿ فلاتكونن من الممترين ﴾ بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ﴿ ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ﴾ أيضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلاتكونن ظهيرا للكافرين ﴿ ان الذين حقت عليهم ﴾ ثبتت عليهم ﴿ كلمة ربك ﴾ بأنهم يموتون على الكفر ويخلدن فى العذاب ﴿ لايؤمنون ﴾ اذ لايكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ﴿ ولوجاءتهم كل آية ﴾ فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به منقود ﴿ حتى يروا العذاب الأليم ﴾ وحيئذ لاينفعهم كما لم ينفع فرعون

قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون ۞ وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ۞ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ۞ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ۞ ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ۞ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ۞ ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ۞ ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لايؤمنون ۞ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ۞

﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ فهلا كانت قرية من القري التى أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما أخر فرعون ﴿فنفعها ايمانها﴾ بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿الا قوم يونس﴾ لكن قوم يونس عليه السلام ﴿لما آمنوا﴾ أول ماراوا أمارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله ﴿كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا﴾ ويجوز أن تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى أهاليها كأنه قال ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ﴿ومتعناهم الى حين﴾ الى آجالهم * روى أن يونس عليه السلام بعث الى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى أربعين فلما دنا الموعد أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم﴾ بحيث لا يشذ منهم أحد ﴿جميعا﴾ مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى أنه تعالى لم يشأ ايمانهم أجمعين وأن من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر ﴿أفأنت تكره الناس﴾ بما لم يشأ الله منهم ﴿حتى يكونوا مؤمنين﴾ وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلايمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله ﴿وما كان لنفس أن تؤمن﴾ بالله ﴿الا باذن الله﴾ الا بارادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۞ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ
كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۞ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ فَهَلْ
يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا
إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۞ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۞

أوالخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون ﴿على الذين لا يعقلون﴾ لايستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات أولا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله ﴿قل انظروا﴾ أى تفكروا ﴿ماذا فى السموات والارض﴾ من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل ﴿وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ فى علم الله وحكمه وما نافية أواستفهامية فى موضع النصب ﴿فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لايستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها ﴿قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين﴾ لذلك أو فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ﴿ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا﴾ عطف على محذوف دل عليه الامثل أيام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾ كذلك الانجاء أوانجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائى ننجى مخففا ﴿قل يا أيها الناس﴾ خطاب لاهل مكة ﴿ان كنتم فى شك من ديني﴾ وصحته ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم﴾ فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو أنى لاأعبد ماتخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أن وأن وأن يكون من غيره كقوله

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نسب

﴿وأن أقم وجهك للدين﴾ عطف على أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الامر ولافرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح أوفي الصلاة باستقبال القبلة ﴿حنيفا﴾ حال من الدين أوالوجه ﴿ولاتكونن من المشركين ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك﴾ بنفسه ان دعوته أو خذلته ﴿فان فعلت﴾ فان دعوته ﴿فانك اذا من الظالمين﴾ جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء

﴿وان يمسسك الله بضرّ﴾ وان يصبك به ﴿فلا كاشف له﴾ يرفعه ﴿الا هو﴾ الا الله ﴿وان يردك بخير فلا راد﴾ فلا دافع ﴿لفضله﴾ الذى أرادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضرّ مع تلازم الامرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضرّ انما مسهم لابالقصد الاوّل ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لالاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لايمكن رده ﴿يصيب به﴾ بالخير ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولاتيأسوا من غفرانه بالمعصية ﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ رسوله أوالقرآن ولم يبق لكم عذر ﴿فمن اهتدى﴾ بالايمان والمتابعة ﴿فانما يهتدى لنفسه﴾ لان نفعه لها ﴿ومن ضل﴾ بالكفر بهما ﴿فانما يضل عليها﴾ لان وبال الضلال عليها ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ موكول الىّ أمركم وانما أنا بشير ونذير ﴿واتبع مايوحى اليك﴾ بالامتثال والتبليغ ﴿واصبر﴾ على دعوتهم وتحمل أذيتهم ﴿حتى يحكم الله﴾ بالنصرة أو بالامر بالقتال ﴿وهو خير الحاكمين﴾ اذ لايمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿ سورة هود مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الر كتاب﴾ مبتدأ وخبر أوكتاب خبر مبتدأ محذوف ﴿أحكمت آياته﴾ نظمت نظما محكما لايعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى أومنعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أوجعلت حكمية منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية ﴿ثم فصلت﴾ بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار أو بجعلها سورا أوبالانزال نجما نجما أو فصل فيها ولخص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أى فرقت بين الحق والباطل وأحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم أو للتراخى فى الاخبار ﴿من لدن حكيم خبير﴾ صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أوصلة لاحكمت أوفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على أكمل ماينبغى باعتبار ماظهر أمره وما خفى ﴿ألاتعبدوا الا الله﴾ لان لاتعبدوا وقيل أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أوالامر بالتبرى من عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أواتركوها تركا ﴿اننى لكم منه﴾ من الله ﴿نذير وبشير﴾ بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد ﴿وأن استغفروا ربكم﴾ عطف على ألاتعبدوا ﴿ثم توبوا اليه﴾ ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز أن يكون ثم لتفاوت مابين الامرين ﴿يمتعكم متاعا حسنا﴾ يعيشكم فى أمن ودعة ﴿الى أجل مسمى﴾ هو آخر أعماركم المقدرة أولايهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمار لكنها مسماة بالاضافة الى كل أحد فلاتتغير ﴿ويؤت كل ذى فضل فضله﴾ ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين ﴿وان تولوا﴾ وان تتولوا ﴿فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى ﴿الى الله مرجعكم﴾ رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ فيقدر على تعذيبكم أشد عذاب وكأنه تقدير لكبر اليوم ﴿ألا انهم يثنون صدورهم﴾ يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أويعطفونها على الكفر وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم أويولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء مبالغة وتثنون وأصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئن من اثنأن كابياض بالهمزة وتثنوى ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله بسرهم فلايطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ ألا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم ﴿يعلم مايسرون﴾ فى قلوبهم ﴿ومايعلنون﴾ بأفواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ماعسى يظهرونه ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ *

سورة هود مكية وهى مائة وثلث وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ *

﴿ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها﴾ غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ﴿ويعلم مستقرّها ومستودعها﴾ أماكنها في الحياة والممات أوالاصلاب والارحام أومساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقارّ حين كانت بعد بالقوة ﴿كل﴾ كل واحد من الدواب وأحوالها ﴿فى كتاب مبين﴾ مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد ﴿وهو الذي خلق السموات والارض فى ستة أيام﴾ أى خلقهما ومافيهما كما مرّ بيانه فى الأعراف أو مافى جهتى العلوّ والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات ﴿وكان عرشه على الماء﴾ قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وأن الماء أوّل حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لأحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وماتحتاج اليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله والمعنى أيكم أكمل علما وعملا ﴿ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين﴾ أى ما البعث أوالقول به أوالقرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة أوالبطلان وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر على أن الاشارة الى القائل وقرئ أنكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت أوأن يكون أن بمعنى علّ أى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولاتبتوا بانكاره لعدّوه من قبيل مالاحقيقة له مبالغة فى انكاره ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ الموعود ﴿الى أمة معدودة﴾ الى جماعة من الاوقات قليلة ﴿ليقولنّ﴾ استهزاء ﴿مايحبسه﴾ مايمنعه من الوقوع ﴿ألا يوم يأتيهم﴾ كيوم بدر ﴿ليس مصروفا عنهم﴾ ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها ﴿وحاق بهم﴾ وأحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد ﴿ما كانوا به يستهزؤن﴾ أى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ﴿ولئن أذقنا الانسان منا رحمة﴾ ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذّتها ﴿ثم نزعناها منه﴾ ثم سلبنا تلك النعمة منه ﴿انه ليؤس﴾ قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به ﴿كفور﴾ مبالغ فى كفران ماسلف له من النعمة ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضرّاء مسته﴾ كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لاتخفى ﴿ليقولنّ ذهب السيئات عنى﴾ أى المصائب التى ساءتني ﴿انه لفرح﴾ بطر بالنعم مغتر بها ﴿فخور﴾ على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمسّ تنبيه على أن مايجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده فى الآخرة وأنه يقع فى الكفران والبطر بأدنى شئ لأن الذوق ادراك الطعم والمسّ مبتدأ الوصول ﴿الا الذين صبروا﴾ على الضرّاء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه ﴿وعملوا الصالحات﴾ شكرا لآلائه سابقها ولاحقها ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿وأجر كبير﴾ أقله الجنة والاستثناء من الانسان لأن المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا ﴿فلعلك تارك بعض مايوحى اليك﴾ تترك تبليغ بعض مايوحى اليك وهوما يخالف رأى المشركين مخافة ردّهم واستهزائهم به ولايلزم من توقع الشئ لوجود مايدعو اليه وقوعه لجواز أن يكون مايصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحى والثقة فى التبليغ ههنا ﴿وضائق به صدرك﴾ وعارض لك أحيانا ضيق صدرك بأن تتلوه عليهم مخافة ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز﴾ ينفقه فى الاستتباع كالملوك ﴿أوجاء معه ملك﴾ يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم يفسره أن يقولوا ﴿انما أنت نذير﴾ ليس عليك الا الانذار بما أوحى اليك ولاعليك ردوا أواقترحوا فما بالك يضيق به صدرك ﴿والله على كل شئ وكيل﴾ فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم

الجزء الثانى عشر ٢٢٣

وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِى الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ۞ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ فِى سِتَّةِ اَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاۤءِ لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ اِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اِنْ هٰذَا اِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ وَلَئِنْ اَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ اِلٰٓى اُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ اَلَا يَوْمَ يَاْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ۞ وَلَئِنْ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ اِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ ۞ وَلَئِنْ اَذَقْنَاهُ نَعْمَاۤءَ بَعْدَ ضَرَّاۤءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاٰتُ عَنِّى اِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۞ اِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَاَجْرٌ كَبِيرٌ ۞ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحٰى اِلَيْكَ وَضَاۤئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ اَنْ يَقُولُوا لَوْلَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ جَاۤءَ مَعَهُ مَلَكٌ اِنَّمَا اَنْتَ نَذِيرٌ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۞

﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أم منقطعة والهاء لما يوحى ﴿ قل فائتوا بعشر سور مثله ﴾ في البيان وحسن النظم تحدّاهم أوّلا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحدّاهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة ﴿ مفتريات ﴾ مختلقات من عند أنفسكم ان صح أنى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعوّدكم القريض والنظم ﴿ وادعوا من استطعتم من دون الله ﴾ الى المعاونة على المعارضة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أنه مفترى ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ باتيان مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم أولأن المؤمنين كانوا أيضا يتحدّونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل أمر الا ماخصه الدليل وللتنبيه على أن التحدّى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوّة يقينهم فلايغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فاعلموا أنما أنزل بعلم الله ﴾ ملتبسا بما لايعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿ وأن لااله الا هو ﴾ واعلموا أن لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لايعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لايعلمه الا الله وأنه منزل من عنده وأن مادعاكم اليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ باحسانه وبرّه ﴿ نوفّ اليهم أعمالهم فيها ﴾ نوصل اليهم جزاء أعمالهم فى الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وقرئ يوفّ بالياء أى يوفّ الله وتوف على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله

وان أتاه كريم يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولاحرم

﴿ وهم فيها لايبخسون ﴾ لاينقصون شيأ من أجورهم * والآية فى أهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل فى الكفرة وغرضهم وبرهم ﴿ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ﴾ مطلقا في مقابلة ماعملوا لانهم استوفوا ماتقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة ﴿ وحبط ماصنعوا فيها ﴾ لانه لم يبق لهم ثواب فى الآخرة أولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا ﴿ وباطل ﴾ فى نفسه ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ لانه لم يعمل على ماينبغى وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على أنه مفعول يعملون وما ابهامية أوفى معنى المصدر كقوله * ولاخارجا من فيّ زور كلام * وبطل على الفعل ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب ﴿ ويتلوه ﴾ ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل ﴿ شاهد منه ﴾ شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة فانها أيضا تتلوه فى التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أولسان الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه اما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه أى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله ـ وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة ﴿ اماما ﴾ كتابا مؤتما به فى الدين ﴿ ورحمة ﴾ على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدّارين ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى من كان على بينة ﴿ يؤمنون به ﴾ بالقرآن ﴿ ومن يكفر به من الاحزاب ﴾ من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فالنار موعده ﴾ يردها لامحالة ﴿ فلاتك فى مرية منه ﴾ من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك ﴿ انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ لقلة نظرهم واختلال فكرهم ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ كأن أسند اليه مالم ينزله أو نفى عنه ما أنزله ﴿ أولئك ﴾ أى الكاذبون ﴿ يعرضون على ربهم ﴾ فى الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ﴿ ويقول الاشهاد ﴾ من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف ﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله ﴿ الذين يصدّون عن سبيل الله ﴾ عن دينه ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردّة ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيٰهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ
وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ۞
فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللّٰهِ وَأَنْ لَا إِلٰهَ
إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا
وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
۞ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبٰطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ أَفَمَنْ كَانَ
عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتٰبُ
مُوسٰى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا أُولٰئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلٰى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلٰى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِينَ ۞ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ كٰفِرُونَ ۞

﴿ أولئك لم يكونوا معجزين فى الارض ﴾ أى ما كانوا معجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم ﴿ وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون أشدّ وأدوم ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ لتصامهم عن الحق وبغضهم له ﴿ وما كانوا يبصرون ﴾ لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان مانفاه من ولاية الآلهة بقوله ـ وما كان لهم من دون الله من أولياء ـ فان مالايسمع ولايبصر لايصلح للولاية وقوله ـ يضاعف لهم العذاب ـ اعتراض ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى ﴿ وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من الآلهة وشفاعتها أوخسروا بما بدلوا وضاع عنهم ماحصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة ﴿ لا جرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم ﴾ اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ دائمون ﴿ مثل الفريقين ﴾ الكافر والمؤمن ﴿ كالأعمى والاصمّ والبصير والسميع ﴾ يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصمّ لتصامه عن اسماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان أمره بالضدّ فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين أوتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضدّيهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة * كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * وهذا من باب اللف والطباق ﴿ هل يستويان ﴾ هل يستوى الفريقان ﴿ مثلا ﴾ أى تمثيلا أوصفة أوحالا ﴿ أفلا تذكرون ﴾ بضرب الامثال والتأمل فيها ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه اني لكم ﴾ باني لكم قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول ﴿ نذير مبين ﴾ أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ بدل من اني لكم أومفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بارسلنا أوبنذير ﴿ اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا ﴾ لامزية لك علينا تخصك بالنبوّة ووجوب الطاعة ﴿ ومانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا ﴾ أخساؤنا جمع أرذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر أوأرذل جمع رذل ﴿ بادى الرّأي ﴾ ظاهر الرأي من غير تعمق من البدوّ أوأول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أولفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل ﴿ ومانرى لكم ﴾ لك ولمتبعيك ﴿ علينا من فضل ﴾ يؤهلكم للنبوّة واستحقاق المتابعة ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ اياك في دعوى النبوّة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿ قال ياقوم أرأيتم ﴾ أخبرونى ﴿ ان كنت على بينة من ربي ﴾ حجة شاهدة بصحة دعواى ﴿ وآتاني رحمة من عنده ﴾ بايتاء البينة أوالنبوّة ﴿ فعميت عليكم ﴾ نخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هي الرحمة أولأن خفاءها يوجب خفاء النبوّة أوعلى تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لأنه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت أى أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله ﴿ أنلزمكموها ﴾ أنكرهكم على الاهتداء بها ﴿ وأنتم لها كارهون ﴾ لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثاني الفصل والوصل

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ
مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ
فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ
إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ
أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ
فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ۞

﴿ وياقوم لاأسألكم عليه ﴾ على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر ﴿ مالا ﴾ جعلا ﴿ ان أجرى الا على الله ﴾ فانه المأمول منه ﴿ وماأنا بطارد الذين آمنوا ﴾ جواب لهم حين سألوا طردهم ﴿ انهم ملاقوا ربهم ﴾ فيخاصمون طاردهم عنده أوأنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ﴿ ولكنى أراكم قوما تجهلون ﴾ بلقاء ربكم أوباقدارهم أوفى التماس طردهم أوتتسفهون عليهم بان تدعوهم أراذل ﴿ وياقوم من ينصرني من الله ﴾ بدفع انتقامه ﴿ ان طردتهم ﴾ وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿ أفلا تذكرون ﴾ لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ﴿ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ﴾ رزقه وأمواله حتى جحد تم فضلى ﴿ ولاأعلم الغيب ﴾ عطف على عندى خزائن الله أى ولاأقول لكم أناأعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا أوحتي أعلم أن هؤلاء اتبعونى بادي الرأى من غير بصيرة وعقدقلب وعلى الثاني يجوز عطفه على أقول ﴿ ولاأقول اني ملك ﴾ حتى تقولوا ماأنت الا بشر مثلنا ﴿ ولاأقول للذين تزدرى أعينكم ﴾ ولاأقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم ﴿ لن يؤتيهم الله خيرا ﴾ فانماأعده الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا ﴿ الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين ﴾ ان قلت شيأ من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه اذاعابه قلبت تاؤه دالا لجانس الراء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم ﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا ﴾ خاصمتنا ﴿ فأكثرت جدالنا ﴾ فأطلته أوأتيت بأنواعه ﴿ فائتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثر فينا ﴿ قال انما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ عاجلا أوآجلا ﴿ وماأنتم بمعجزين ﴾ بدفع العذاب أوالهرب منه ﴿ ولاينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ﴿ ان كان الله يريد أن يغويكم ﴾ وتقدير الكلام ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم لاينفعكم نصحى ولذلك تقول لوقال الرجل أنت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما أوهموا من جداله كلام بلاطائل وهو دليل على أن ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وأن خلاف مراده محال وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذابشم فهلك ﴿ هو ربكم ﴾ هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته ﴿ واليه ترجعون ﴾ فيجازيكم على أعمالكم ﴿ أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى ﴾ وباله وقرئ أجرامى على الجمع ﴿ وأنابرىء مما تجرمون ﴾ من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى ﴿ وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن فلاتبتئس ﴾ فلاتحزن ولاتتأسف ﴿ بما كانوا يفعلون ﴾ أقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ ويراعي عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ﴿ ووحينا ﴾ اليك كيف تصنعها ﴿ ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا ﴾ ولا تراجعنى فيهم ولاتدعنى باستدفاع العذاب عنهم ﴿ انهم مغرقون ﴾ محكوم عليهم بالاغراق فلاسبيل الى كفه

ويقوم لا أسئلكم عليه مالا ان أجرى الا على الله وما أنا
بطارد الذين آمنوا انهم ملقوا ربهم ولكنى أريكم قوما
تجهلون ❁ ويقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا
تذكرون ❁ ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم
الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى
أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا
لمن الظلمين ❁ قالوا ينوح قد جدلتنا فأكثرت جدلنا
فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصدقين ❁ قال انما يأتيكم
به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ❁ ولا ينفعكم نصحى
ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم
هو ربكم واليه ترجعون ❁ أم يقولون افتريه قل
ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برئ مما تجرمون ❁ وأوحى
الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون ❁ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا
ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ❁

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُقِيمٌ ۞ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا
مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ
سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ
۞ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ
الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي
مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۞

﴿ويصنع الفلك﴾ حكاية حال ماضية ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء أوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا ﴿قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون﴾ اذا أخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ﴿ويحل عليه﴾ وينزل عليه أو يحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه ﴿عذاب مقيم﴾ دائم وهو عذاب النار ﴿حتى اذا جاء أمرنا﴾ غاية لقوله ويصنع الفلك ومابينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التى يبتدأ بعدها الكلام ﴿وفار التنور﴾ نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض أو أشرف موضع فيها ﴿قلنا احمل فيها﴾ فى السفينة ﴿من كل﴾ من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ﴿زوجين اثنين﴾ ذكرا وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل صنف ذكر وصنف أنثى ﴿وأهلك﴾ عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿الامن سبق عليه القول﴾ بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ﴿ومن آمن﴾ والمؤمنين من غيرهم ﴿وما آمن معه الاقليل﴾ قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم*روى أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفى أوسطها الانس وفى أعلاها الطير ﴿وقال اركبوا فيها﴾ أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ متصل باركبوا حال من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أى اجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضية لاتعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء*وروى أنه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله * ثم اسم السلام عليكما * وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ﴿ان ربى لغفور رحيم﴾ أى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم ﴿وهي تجرى بهم﴾ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أى فركبوا مسمين وهي تجرى وهم فيها ﴿فى موج كالجبال﴾ فى موج من الطوفان وهو مايرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وماقيل من أن الماء طبق مابين السماء والأرض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ﴿ونادى نوح ابنه﴾ كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمن من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف ﴿وكان فى معزل﴾ عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا أبعده ﴿يابنى اركب معنا﴾ فى السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد أدغم الباء فى الميم أبو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما ﴿ولاتكن مع الكافرين﴾ في الدين والانعزال ﴿قال سآوى الى جبل يعصمني من الماء﴾ أن يغرقني ﴿قال لاعاصم اليوم من أمر الله الامن رحم﴾ الا الراحم وهو الله تعالى أو الامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الامعتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أى لكن من رحمه الله يعصمه ﴿وحال بينهما الموج﴾ بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل ﴿فكان من المغرقين﴾ فصار من المهلكين بالماء ﴿وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى﴾ نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك ﴿وغيض الماء﴾ نقص ﴿وقضى الامر﴾ وأنجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ﴿واستوت﴾ واستقرت السفينة ﴿على الجودى﴾ جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل*روى أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة ﴿وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾ هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا ابعد بعدا بعيدا بحيث لايرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وفى ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين فى نفسه مستغن عن ذكره اذ لايذهب الوهم الى غيره للعلم بأن مثل هذه الافعال لايقدر عليها سوى الواحد القهار ﴿ونادى نوح ربه﴾ وأراد نداءه بدليل عطف قوله ﴿فقال رب ان ابنى من أهلى﴾ فانه النداء ﴿وان وعدك الحق﴾ وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقد وعدت أن تنجى أهلى فما حاله أو فماله لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ لانك أعلمهم وأعدلهم أو لانك أكثر حكمة من ذوى الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع

﴿ قال يانوح انه ليس من أهلك ﴾ لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار اليه بقوله ﴿ انه عمل غير صالح ﴾ فانه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله انه ذوعمل فاسد فجعل ذاته ذاتالعمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع مارتعت حتى اذا اذكرت * فانما هي اقبال وادبار ثمبدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ماأوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح ﴿ فلا تسألن ماليس لك به علم ﴾ مالاتعلم أصواب هو أم ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه فى شأن ولده أواستفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله ﴿ اني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ لان استثناء من سبق عليه القول من أهله قددله على الحال وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير أنهما كسر النون على أن أصله تسألنني لحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس اثباتها فى الوصل ﴿ قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ﴾ فيما يستقبل ﴿ ماليس لى به علم ﴾ مالاعلملى بصحته ﴿ والا تغفرلى ﴾ وان لم تغفرلى مافرط منى فى السؤال ﴿ وترحمنى ﴾ بالتوبة والتفضل علي ﴿ أكن من الخاسرين ﴾ أعمالا ﴿ قيل يانوح اهبط بسلام منا ﴾ انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أومسلما عليك ﴿ وبركات عليك ﴾ ومباركا عليك أوزيادات فى نسلك حتى تصير آدماثانياوقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامى ﴿ وعلى أمم ممن معك ﴾ وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أولتشعب الامم منهم أووعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله ﴿ وأمم سنمتعهم ﴾ أى وممن معك أمم سنمتعهم فى الدنيا ﴿ ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب مانزل بهم

﴿ تلك ﴾ اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها ﴿ من أنباء الغيب ﴾ أى بعضها ﴿ نوحيها اليك ﴾ خبر ثان والضمير لها أي موحاة اليك أوحال من الانباء أوهو الخبر ومن أنباء متعلق به أوحال من الهاء فى نوحيها ﴿ ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا ﴾ خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك أوحال من الهاء فى نوحيها أوالكاف في اليك أى جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمها اذلم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لمالم يسمعوها فكيف بواحد منهم ﴿ فاصبر ﴾ على مشاق الرسالة وأذية القوم كما صبر نوح ﴿ انالعاقبة ﴾ فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز ﴿ للمتقين ﴾ عن الشرك والمعاصى ﴿ والى عاد أخاهم هودا ﴾ عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وحده ﴿ مالكم من الهغيره ﴾ وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ﴿ ان أنتم الامفترون ﴾ على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء ﴿ ياقوم لاأسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى ﴾ خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لاتنجع مادامت مشوبة بالمطامع ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أفلاتستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وأيضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيماعنده ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ كثير الدر ﴿ ويزدكم قوة الى قوتكم ﴾ ويضاعف قوتكم وانمارغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ﴿ ولاتتولوا ﴾ ولاتعرضوا عما أدعوكم اليه ﴿ مجرمين ﴾ مصرين على اجرامكم ﴿ قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ﴾ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بماجاءهم من المعجزات ﴿ ومانحن بتاركي آلهتنا ﴾ بتاركي عبادتهم ﴿ عن قولك ﴾ صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي ﴿ ومانحن لك بمؤمنين ﴾ اقناط له من الاجابة والتصديق

قال يانوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن
ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين ۞
قال رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا
تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ۞ قيل يانوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم
سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم ۞ تلك من أنباء
الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين ۞ والى عاد
أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
ان أنتم الا مفترون ۞ ياقوم لا أسألكم عليه أجرا
ان أجري الا على الذي فطرني أفلا تعقلون ۞
وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء
عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا
مجرمين ۞ قالوا ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن
بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ۞

(ان نقول الا اعتراك) ماتقول الا قولنا اعتراك أي أصابك من عراه يعروه اذا أصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ (قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون) أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وأمرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وأن يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لايضر ولاينفع لاتتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقريرا له والمعنى أنكم وان بذلتم غاية وسعكم لن تضروني فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لايحيق بي مالم يرده ولايقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله (مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها) أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على مايريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) أى انه على الحق والعدل لايضيع عنده معتصم ولايفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) فقد أديت ماعلي من الابلاغ والزام الحجة فلاتفريط مني ولاعذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم أوعطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل وان تتولوا يعذرني ربي ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه (ان ربي على كل شئ حفيظ) رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولايغفل عن مجازاتكم أو

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ
لَا تُنْظِرُونِ ۞ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا
هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۞
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۞ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا
فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۞ قَالُوا يَا صَالِحُ
قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞

حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شئ (ولما جاء أمرنا) عذابنا أو أمرنا العذاب (نجيناهودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا أربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرير لبيان مانجاهم منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) أنث اسم الاشارة باعتبار القبيلة أو لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم أمروا بطاعة كل رسول (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وماينجيهم وأطاعوا من دعاهم الى الكفر ومايرديهم (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب (ألا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار (ألا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تميزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بماجرى بينهم وبين هود (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) هو كونكم منها لاغيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) قريب الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور أوان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (واننا لفي شك مماتدعونا اليه) من التوحيد والتبري عن الاوثان (مريب) موقع في الريبة من أرابه أوذى ريبة على الاسناد المجازى من أراب في الامر

﴿قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى﴾ بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين ﴿وآتانى منه رحمة﴾ نبوّة ﴿فمن ينصرنى من الله﴾ فمن يمنعنى من عذابه ﴿ان عصيته﴾ فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به ﴿فما تزيدوننى﴾ اذن باستتباعكم اياى ﴿غير تخسير﴾ غير أن تخسروني بابطال مامنحنى الله به والتعرض لعذابه أوفما تزيدوننى بما تقولون لى غير أن أنسبكم الى الخسران ﴿وياقوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدّمت عليها لتنكيرها ﴿فذروها تأكل فى أرض الله﴾ ترع نباتها وتشرب ماءها ﴿ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب﴾ عاجل لايتراخى عن مسكم لها بالسوء الايسيرا وهو ثلاثة أيام ﴿فعقروها فقال تمتعوا فى داركم﴾ عيشوا فى منازلكم أوفى داركم الدنيا ﴿ثلاثة أيام﴾ الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾ أى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أوغير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ﴾ أى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أوذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ ﴿ان ربك هو القوي العزيز﴾ القادر على كل شئ والغالب عليه ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين﴾ قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف ﴿كأن لم يغنوا فيها ألاان ثمود كفروا ربهم﴾ نونه أبو بكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وأبوعمرو فى قوله ﴿ألا بعدا لثمود﴾ ذهابا الى الحى أوالاب الاكبر ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم﴾ يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل ﴿بالبشرى﴾ ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط ﴿قالوا سلاما﴾ سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما ﴿قال سلام﴾ أى أمركم أوجوابى سلام أو وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ فما أبطأ مجيئه به أوفما أبطأ فى المجىء به أوفما تأخر عنه والجار في أن مقدر أو محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين ﴿فلما رأى أيديهم لاتصل اليه﴾ لايمدون اليه أيديهم ﴿نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾ أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار ﴿قالوا﴾ له لما أحسوا منه أثر الخوف ﴿لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط﴾ انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه أيدينا لانا لانأكل ﴿وامرأته قائمة﴾ وراء الستر تسمع محاورتهم أوعلى رؤسهم للخدمة ﴿فضحكت﴾ سرورا بزوال الخيفة أوبهلاك أهل الفساد أوباصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال الشاعر

وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة * ولم يعد حقا ثديها أن تحلما

ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء ﴿فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب﴾ نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق أو على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ماعطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الظرف أى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيي ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها لامن هاجر ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد

قال يٰقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتينى منه
رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى
غير تخسير ۞ ويٰقوم هٰذه ناقة الله لكم آية
فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب قريب ۞ فعقروها فقال تمتعوا
فى داركم ثلٰثة أيام ذٰلك وعد غير مكذوب ۞ فلما
جاء أمرنا نجينا صٰلحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن
خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز ۞ وأخذ الذين
ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديٰرهم جٰثمين ۞ كأن لم يغنوا فيها
ألا ان ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ۞ ولقد
جاءت رسلنا ابرٰهيم بالبشرى قالوا سلٰما قال سلٰم
فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ۞ فلما رأى أيديهم لا تصل
اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف
انا أرسلنا الى قوم لوط ۞ وامرأته قائمة فضحكت
فبشرنٰها باسحٰق ومن وراء اسحٰق يعقوب ۞

قالت

قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۞ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ
الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۞ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ
أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۞ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۞ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
۞ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ۞ قَالُوا لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۞ قَالَ
لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۞ قَالُوا يَا لُوطُ
إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ
مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا
مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۞

﴿ قالت ياويلتى ﴾ ياعجبا وأصله في الشر فاطلق على كل أمر فظيع وقرئ بالياء على الأصل ﴿ أألد وأنا عجوز ﴾ ابنة تسعين أوتسع وتسعين ﴿ وهذا بعلى ﴾ زوجى وأصله القائم بالامر ﴿ شيخا ﴾ ابن مائة أومائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أى هو شيخ أو خبر بعد خبر أوهو الخبر وبعلى بدل ﴿ ان هذا لشئ عجيب ﴾ يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك ﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوّة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولاحقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أوالنداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة ﴿ انه حميد ﴾ فاعل مايستوجب به الحمد ﴿ مجيد ﴾ كثير الخير والاحسان ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروع ﴾ أى ماأوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم ﴿ وجاءته البشرى ﴾ بدل الروع ﴿ يجادلنا فى قوم لوط ﴾ يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله — ان فيها لوطا — وهو اما جواب لما جئ به مضارعا على حكاية الحال أولانه في سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو أودليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أوشرع في جدالنا أومتعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أوأقبل يجادلنا ﴿ ان ابراهيم لحليم ﴾ غير عجول على الانتقام من المسئ اليه ﴿ أوّاه ﴾ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس ﴿ منيب ﴾ راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه ﴿ يا ابراهيم ﴾ على ارادة القول أى قالت الملائكة يا ابراهيم ﴿ أعرض عن هذا ﴾ الجدال ﴿ انه قد جاء أمر ربك ﴾ قدّره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو أعلم بحالهم ﴿ وانهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ مصروف بجدال ولادعاء ولاغير ذلك ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم ﴾ ساءه مجيئهم لانهم جاؤه في صورة غلمان فظنّ انهم أناس نخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم ﴿ وضاق بهم ذرعا ﴾ وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدّة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه ﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ شديد من عصبه اذا شده ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه ﴿ ومن قبل ﴾ أى ومن قبل ذلك الوقت ﴿ كانوا يعملون السيآت ﴾ الفواحش فتمرّنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين ﴿ قال يا قوم هؤلاء بناتى ﴾ فدى بهنّ أضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهنّ وكانوا يطلبونهنّ قبل فلايجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أومبالغة في تناهى خبث مايرومونه حتى ان ذلك أهون منه أواظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي أبوأمته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم ﴿ هنّ أطهر لكم ﴾ أنظف فعلا وأقل فحشا كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحلّ منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على أن هنّ خبر بناتي كقولك هذا أخى هو الافضل فانه لايقع بين الحال وصاحبها ﴿ فاتقوا الله ﴾ بترك الفواحش أو بايثارهنّ عليهم ﴿ ولاتخزون ﴾ ولا تفضحوني من الخزى أو ولاتخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء ﴿ في ضيفى ﴾ فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حقّ ﴾ من حاجة ﴿ وانك لتعلم مانريد ﴾ وهو اتيان الذكران ﴿ قال لو أن لى بكم قوّة ﴾ لوقويت بنفسى على دفعكم ﴿ أوآوى الى ركن شديد ﴾ الى قوى أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدّته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان ياوى الى ركن شديد وقرئ أو آوى بالنصب باضمار أن كأنه قال لو أن لى بكم قوّة أو أويا وجواب لومحذوف تقديره لدفعتكم ✲ روى انه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوّروا الجدار فلما رأت الملائكة ماعلى لوط من الكرب ﴿ قالوا يالوط انا رسل بك لن يصلوا اليك ﴾ لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهوّن عليك ودعنا واياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة ﴿ فأسر بأهلك ﴾ بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى ﴿ بقطع من الليل ﴾ بطائفة منه ﴿ ولا يلتفت منكم أحد ﴾ ولايتخلف أولاينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط ﴿ الا امرأتك ﴾ استثناء من قوله — فأسر بأهلك — ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل من أحد ولايجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها أوأخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت ياقوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع لايصح حملها على المعانى المتناقضة والأولى جعل الاستثناء فى القراءتين من قوله — ولايلتفت — مثله فى قوله تعالى — مافعلوه الا قليل — ولايبعد أن يكون أكثر القراء على غير الافصح ولايلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله ﴿ انه مصيبها ما أصابهم ﴾ ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ﴿ ان موعدهم الصبح ﴾ كأنه علة الامر بالاسراء ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب

﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها سافلها أى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للأمر فانه روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم ﴿ وأمطرنا عليها ﴾ على المدن أو على شذاذها ﴿ حجارة من سجيل ﴾ من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرّب وقيل انه من أسجله اذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل أو من مثل العطية فى الادرار أو من السجل أى مما كتب الله أن يعذّبهم به وقيل أصله من سجين أى من جهنم فابدلت نونه لاما ﴿ منضود ﴾ نضد معدّا لعذابهم أو نضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به ﴿ مسوّمة ﴾ معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الارض أو باسم من يرمى بها ﴿ عند ربك ﴾ فى خزائنه ﴿ وماهي من الظالمين ببعيد ﴾ فانهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم * وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي أمتك مامن ظالم منهم الا وهو بمرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمي مكة يمرّون بها فى أسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا ﴾ أراد أولاد مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ أمرهم بالتوحيد أوّلا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض ﴿ انى أراكم بخير ﴾ بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلاتزيلوها بما أنتم عليه وهو فى الجملة علة للنهى ﴿ وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ لايشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله ـ وأحيط بثمره ـ والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان ﴾ صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضدّه مبالغة وتنبيها على أنه لايكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف بل يلزمهم السعى في الايفاء ولو بزيادة لايتأتى بدونها ﴿ بالقسط ﴾ بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ تعميم بعد تخصيص فانه أعم من أن يكون فى المقدار أو فى غيره وكذا قوله ﴿ ولاتعثوا في الارض مفسدين ﴾ فان العثوّ يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور فى المعاملات والعثوّ السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج مايقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام وقيل معناه ولاتعثوا في الارض مفسدين في أمر دينكم ومصالح آخرتكم ﴿ بقيت الله ﴾ ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرّم عليكم ﴿ خير لكم ﴾ مما تجمعون بالتطفيف ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ بشرط أن تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله ـ والباقيات الصالحات ـ وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التي تكف عن المعاصى ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وانما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لولم تتركوا سوء صنيعكم ﴿ قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا ﴾ من الاصنام أجابوا به آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بأن مثله لايدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ماتواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره ﴿ أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء ﴾ عطف على ما أى وأن نترك فعلنا مانشاء في أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك ﴿ انك لأنت الحليم الرشيد ﴾ تهكموا به وقصدوا وصفه بضدّ ذلك أو عللوا انكار ماسمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى أمثال ذلك ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوّة ﴿ ورزقنى منه رزقا حسنا ﴾ اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه وأخالفه فى أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله أى من عنده وباعانته بلا كدّ منى فى تحصيله ﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ﴾ أى وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبدّ به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولّ عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ﴿ ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ﴾ ماأريد الا أن أصلحكم بأمرى بالمعروف ونهيي عن المنكر مادمت أستطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعى في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى أن آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف ﴿ وماتوفيقي الا بالله ﴾ وماتوفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته ﴿ عليه توكلت ﴾ فانه القادر المتمكن من كل شئ وماعداه عاجز فى حدّ ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدا ﴿ واليه أنيب ﴾ اشارة الى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع أمره والاقبال عليه بشراشره وحسم أطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء

فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها
حجارة من سجيل منضود ۞ مسومة عند ربك وما هي
من الظالمين ببعيد ۞ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب
يوم محيط ۞ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان
بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض
مفسدين ۞ بقيت الله خير لكم إن كنتم
مؤمنين ۞ وما أنا عليكم بحفيظ ۞ قالوا يا شعيب
أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل
في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ۞ قال
يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه
رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم
عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي
إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ۞

﴿ ويا قوم لايجرمنكم ﴾ لايكسبنكم ﴿ شقاق ﴾ معاداتي ﴿ أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح ﴾ من الغرق ﴿ أوقوم هود ﴾ من الريح ﴿ أوقوم صالح ﴾ من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجر منكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول واحد والاوّل أفصح فان أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غيرأن نطقت ❁ حمامة في غصون ذات أرقال ﴿ وماقوم لوط منكم ببعيد ﴾ زمانا أومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أوليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوى فلايبعد عنكم ماأصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلا كهم أووماهم بشئ بعيدولا يبعد أن يسوّى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ عما أنتم عليه ﴿ ان ربي رحيم ﴾ عظيم الرحمة للتائبين ﴿ ودود ﴾ فاعل بهم من اللطف والاحسان مايفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار ﴿ قالوا ياشعيب مانفقه ﴾ مانفهم ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ كوجوب التوحيد وحرمة البخس وماذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أولانهم لم يلقوا اليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه ﴿ وانالنراك فينا ضعيفا ﴾ لاقوّة لك فتمتنع منا اذاأردنابك سوأ أومهينا لاعزلك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ﴿ ولولا رهطك ﴾ قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لالخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ﴿ لرجمناك ﴾ لقتلناك برمى الاحجار أوبأصعب وجه ﴿ وماأنت علينا بعزيز ﴾ فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لافي ثبوت العزة وأن المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك ﴿ قال ياقوم أرهطي أعزّ عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾ وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلاتبقون على الله وتبقون عليّ لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ﴿ ان ربي بما تعملون محيط ﴾ فلايخفى عليه شئ منها فيجازى عليها ﴿ وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الاصرار والتمكن فيماهم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل ﴿ ومن هو كاذب ﴾ عطف على من يأتيه لالانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لماأوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاوّل اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوايدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم ﴿ وارتقبوا ﴾ وانتظروا ماأقول لكم ﴿ اني معكم رقيب ﴾ منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أوالمراقب كالعشير أوالمرتقب كالرفيع ﴿ ولماجاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ انماذكره بالواو كما في قصة عاداذلم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة ﴾ قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا ﴿ فاصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ ميتين وأصل الجثوم اللزوم في المكان ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ كأن لم يقيموا فيها ﴿ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴾ شبههم بهم لان عذابهم كان أيضا بالصيحة غيرأن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ﴿ ولقدأرسلنا موسى بآياتنا ﴾ بالتوراة أوالمعجزات ﴿ وسلطان مبين ﴾ وهو المعجزات القاهرة أوالعصا وافرادها بالذكر لانها أبهرها ويجوز أن يراد بهما واحد أى ولقدأرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوّته واضحا في نفسه أوموضحا اياها فان أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بمافيه جلاء ﴿ الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون ﴾ فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أوفما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى مالايخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم ﴿ وماأمر فرعون برشيد ﴾ مرشد أوذى رشد وانما هوغى محض وضلال صريح

وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ
❁ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ ❁ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا
بِعَزِيزٍ ❁ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ❁
وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
❁ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا
إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ❁ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ❁ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا
بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ❁ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ❁ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ❁

﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم ﴿فأوردهم النار﴾ ذكره بلفظ الماضي مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال ﴿وبئس الورد المورود﴾ أى بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فان من كان هذه عاقبته لم يكن فى أمره رشد أوتفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها ﴿وأتبعوا فى هذه﴾ الدنيا ﴿لعنة ويوم القيامة﴾ أى يلعنون فى الدنيا والآخرة ﴿بئس الرفد المرفود﴾ بئس العون المعان أوالعطاء المعطى وأصل الرفد مايضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ﴿ذلك﴾ أى ذلك النبأ ﴿من أنباء القرى﴾ المهلكة ﴿نقصه عليك﴾ مقصوص عليك ﴿منها قائم﴾ من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿وحصيد﴾ ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح ادلاواو ولاضمير ﴿وماظلمناهم﴾ باهلاكنا اياهم ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بأن عرضوها له بارتكاب مايوجبه ﴿فما أغنت عنهم﴾ فما نفعتهم ولاقدرت أن تدفع عنهم بل ضرتهم ﴿آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك﴾ حين جاءهم عذابه ونقمته ﴿ومازادوهم غير تتبيب﴾ هلاك أوتخسير ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الاخذ ﴿اخذ ربك﴾ وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر ﴿اذا أخذ القرى﴾ أى أهلها وقرئ اذلأن المعنى على المضى ﴿وهي ظالمة﴾ حال من القرى وهي فى الحقيقة لاهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه أوغيره من وخامة العاقبة ﴿ان أخذه أليم شديد﴾ وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما نزل بالامم الهالكة أوفيما قصه الله تعالى من قصصهم ﴿لآية﴾ لعبرة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ يعتبر به عظمته لعلمه

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ
الْمَوْرُودُ ۞ وَأُتْبِعُوا فِى هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ
الْمَرْفُودُ ۞ ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرٰى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ
وَحَصِيدٌ ۞ وَمَا ظَلَمْنٰهُمْ وَلٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ
عَنْهُمْ اٰلِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ شَىْءٍ لَمَّا جَاءَ
أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۞ وَكَذٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ
إِذَا أَخَذَ الْقُرٰى وَهِىَ ظٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۞
إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْاٰخِرَةِ ذٰلِكَ يَوْمٌ
مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ۞ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا
لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ
شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا
زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا
الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۞

فلا

بأن ماحاق بهم أنموذج مما أعده الله المجرمين فى الآخرة أوينزجر به عن موجباته لعلمه بأنها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لالذنوب المهلكين بها ﴿ذلك﴾ اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه ﴿يوم مجموع له الناس﴾ أي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وأن الناس لاينفكون عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة ﴿وذلك يوم مشهود﴾ أى مشهود فيه أهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله ۞ فى محفل من نواصى الناس مشهود ۞ أى كثير شاهدوه ولوجعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك ﴿وما نؤخره﴾ أى اليوم ﴿الا لأجل معدود﴾ الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لامنتهاها فانه غير معدود ﴿يوم يأتى﴾ أى الجزاء أواليوم كقوله أن تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أوالله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة ﴿لاتكلم نفس﴾ لاتتكلم بما ينفع وينجى من جواب أوشفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر أوبالانتهاء المحذوف ﴿الا باذنه﴾ الا باذن الله كقوله لايتكلمون الامن أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر أوالمأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة ﴿فمنهم شقى﴾ وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿وسعيد﴾ وجبت له الجنة بموجب الوعد الضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لاتكلم نفس أوللناس ﴿فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أوتشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم ﴿خالدين فيها مادامت السموات والارض﴾ ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولوكان الارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الامن قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت أن المفهوم لايقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان أهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلايجدى له التشبيه ﴿الا ماشاء ربك﴾ استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأبيد من مبدإ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولايقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقى أومانع من الجمع وههنا المراد أن أهل الموقف لايخرجون عن القسمين وأن حالهم لايخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لايمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين أولان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أومن أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى أن يكونوا فى النار حين يأتى اليوم أومدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ماعرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على ألف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض ﴿ان ربك فعال لما يريد﴾ من غير اعتراض ﴿وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لاينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى أعطوا عطاء أوالحال من الجنة

﴿فلا تك في مرية منه﴾ شك بعد ما أنزل عليك من مآل أمر الناس ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال ما يعبدونه في أنه يضر ولا ينفع ﴿ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾ استئناف معناه تعليل النهي عن المرية أي هم وآباؤهم سواء في الشرك أي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم أو ما يعبدون شيأ الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضى التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه ﴿وانا لموفوهم نصيبهم﴾ حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه ﴿غير منقوص﴾ حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق ﴿وانهم﴾ وان كفار قومك ﴿لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريب﴾ موقع في الريبة ﴿وان كلا﴾ وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل ﴿لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ اللام الاولى موطئة لقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيد بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على أن أصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتنوين أي جميعا كقوله أكلا لما وان كل لما على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به ﴿انه بما يعملون خبير﴾ فلا يفوته شئ منه وان خفي ﴿فاستقم كما أمرت﴾ لما بين أمر المختلفين في التوحيد والنبوة وأطنب في شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهي شاملة للاستقامة

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ۞ وَلَقَدْ
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ وَإِنَّ
كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞
فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ
النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنْصَرُونَ ۞ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ
اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ
۞ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَلَوْلَا
كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ۞

في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني هود ﴿ومن تاب معك﴾ أي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ﴿ولا تطغوا﴾ ولا تخرجوا عما حد لكم ﴿انه بما تعملون بصير﴾ فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي *وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا﴾ ولا تميلوا اليهم أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته ﴿فتمسكم النار﴾ بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى أحد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه ﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾ من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ﴿ثم لا تنصرون﴾ أي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين أن الله معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا ﴿وأقم الصلوة طرفي النهار﴾ غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه ﴿وزلفا من الليل﴾ وساعات منه قريبة من النهار فانه من أزلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشية صلاة العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ﴿ان الحسنات يذهبن السيآت﴾ يكفرنها *وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر *وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت ﴿ذلك﴾ اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن ﴿ذكرى للذاكرين﴾ عظة للمتعظين ﴿واصبر﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿فان الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر احسان وايماء بأنه لا يعتد بهما دون الاخلاص ﴿فلولا كان﴾ فهلا كان ﴿من القرون من قبلكم أولو بقية﴾ من الرأي والعقل أو أولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي أفضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ويجوز أن يكون مصدرا كالتقية أي ذوو ابقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده أنه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ﴿ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ لكن قليلا منهم أنجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ ما أنعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك ﴿وكانوا مجرمين﴾ كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقرئ وأتبع أي وأتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾ بشرك ﴿وأهلها مصلحون﴾ فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد وان ما أراده يجب وقوعه ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا ﴿الا من رحم ربك﴾ الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ماهو أصول دين الحق والعمدة فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أواليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة ﴿وتمت كلمة ربك﴾ وعيد أوقوله للملائكة ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس﴾ أى من عصاتهما ﴿أجمعين﴾ أومنهما أجمعين لامن أحدهما ﴿وكلا﴾ وكل نبأ ﴿نقص عليك من أنباء الرسل﴾ نخبرك به ﴿مانثبت به فؤادك﴾ بيان لكلا أوبدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار أومفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك مانثبت به فؤادك من أنباء الرسل ﴿وجاءك فى هذه﴾ السورة أوالانباء المقتصة عليك ﴿الحق﴾ ماهو حق ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ اشارة الى سائر فوائده العامة ﴿وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم ﴿اناعاملون﴾ على حالنا ﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر ﴿انا منتظرون﴾ أن ينزل بكم نحو مانزل على أمثالكم ﴿ولله غيب السموات والارض﴾ خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما ﴿واليه يرجع الامر كله﴾ فيرجع لامحالة أمرهم وأمرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه انما ينفع العابد ﴿وماربك بغافل عما تعملون﴾ أنت وهم فيجازى كلا مايستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا وفى آخر النمل * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة هود ٢٣٦

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ۞ الا من
رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة
والناس أجمعين ۞ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به
فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ۞ وقل
للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون ۞ وانتظروا
انا منتظرون ۞ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر
كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ۞

سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين ۞ انا أنزلناه قرآنا
عربيا لعلكم تعقلون ۞ نحن نقص عليك أحسن القصص بما
أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن
الغافلين ۞ اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر
كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ۞

قال

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الر تلك آيات الكتاب المبين﴾ تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر أمرها فى الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها أنها من عند الله أولليهود ماسألوا اذ روى أن علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت ﴿انا أنزلناه﴾ أي الكتاب ﴿قرآنا عربيا﴾ سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التى هي عربيا أوحال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أوحال من الضمير فيه أوحال بعد حال وفي كل ذلك خلاف ﴿لعلكم تعقلون﴾ علة لانزاله بهذه الصفة أى أنزلناه مجموعا أومقروأ بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه أوتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لايتصور الا بالايحاء ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ أحسن الاقتصاص لانه اقتص على أبدع الاساليب أوأحسن مايقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص أثره اذا تبعه ﴿بما أوحينا اليك﴾ أي بايحائنا ﴿هذا القرآن﴾ يعنى السورة ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر ﴿وان كنت من قبله لمن الغافلين﴾ عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ﴿اذ قال يوسف﴾ بدل من أحسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال أومنصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لاعلى أنه مضارع بنى للمفعول أوالفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته ﴿لابيه﴾ يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ﴿ياأبت﴾ أصله ياأبي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة أصلها أولانه كان ياأبتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز ياأبتا ولم يجز ياأبتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كأصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب ﴿انى رأيت﴾ من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لاتقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي من قبل ﴿أحد عشر كوكبا والشمس والقمر﴾ * روى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنى يامحمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى أي والله انها لأسماؤها ﴿رأيتهم لى ساجدين﴾ استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلاتكرير وانما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم

قال يبني لا تقصص رءياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا

ان الشيطن للانسان عدو مبين ۞ وكذلك يجتبيك

ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى

ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق

ان ربك عليم حكيم ۞ لقد كان في يوسف واخوته ايت

للسائلين ۞ اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا

منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلل مبين ۞ اقتلوا يوسف

او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده

قوما صلحين ۞ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف

والقوه في غيبت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم

فعلين ۞ قالوا يابانا ما لك لا تامنا على يوسف

(اشمام)

وانا له لنصحون ۞ ارسله معنا غدا يرتع ويلعب

وانا له لحفظون ۞ قال اني ليحزنني ان تذهبوا به

واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غفلون ۞ قالوا

لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخسرون ۞

﴿قال يابنى﴾ تصغير ابن صغره للشفقة أولصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء ﴿لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرفى التأنيث كالقربة والقربي وهى انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن أدني فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بهامن المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الابالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والااحتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدي به تأكيدا ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله ﴿ان الشيطان للانسان عدوّ مبين﴾ ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحوّاء فلايألو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد ﴿وكذلك﴾ أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس ﴿يجتبيك ربك﴾ للنبوة والملك أولامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك ﴿ويعلمك﴾ كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ﴿من تأويل الاحاديث﴾ من تعبير الرؤيا لانها أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث النفس أوالشيطان ان كانت كاذبة أومن تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة أوبان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أونسله ﴿كما أتمها على أبويك﴾ بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم ﴿من قبل﴾ أي من قبلك أومن قبل هذا الوقت ﴿ابراهيم واسحق﴾ عطف بيان لابويك ﴿ان ربك عليم﴾ بمن يستحق الاجتباء ﴿حكيم﴾ يفعل الاشياء على ماينبغي ﴿لقد كان فى يوسف واخوته﴾ أى فى قصتهم ﴿آيات﴾ دلائل قدرة الله تعالى وحكمته أو علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية ﴿للسائلين﴾ لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته بنو علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشخر ودينة من بنت خالته ليا تزوّجها يعقوب أوّلا فلما توفيت تزوّج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة ﴿اذ قالوا ليوسف وأخوه﴾ بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوّة من الطرفين ﴿أحب الى أبينا منا﴾ وحده لان أفعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر ومايقابله بخلاف أخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف ﴿ونحن عصبة﴾ والحال أناجماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ﴿ان أبانا لفى ضلال مبين﴾ لتفضيله المفضول أولترك التعديل فى المحبة * روى أنه كان أحب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبرعنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له ﴿اقتلوا يوسف﴾ من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الامر الامن قال لاتقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أودان ورضى به الآخرون ﴿أو اطرحوه أرضا﴾ منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولايلتفت عنكم الى غيركم ولاينازعكم فى محبته أحد ﴿وتكونوا﴾ جزم بالعطف على يخل أونصب باضمار أن ﴿من بعده﴾ من بعد يوسف أوالفراغ من أمره أوقتله أوطرحه ﴿قوما صالحين﴾ تائبين الى الله تعالى عماجنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح مابينكم وبينه بعذر تمهدونه أوصالحين فى أمر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم ﴿قال قائل منهم﴾ يعنى يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل ﴿لاتقتلوا يوسف﴾ فان القتل عظيم ﴿وألقوه فى غيابت الجب﴾ فى قعره سمى بها لغيبوبته عن أعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات في الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد ﴿يلتقطه﴾ يأخذه ﴿بعض السيارة﴾ بعض الذين يسيرون فى الارض ﴿ان كنتم فاعلين﴾ بمشورتى أوان كنتم على أن تفعلوا مايفرق بينه وبين أبيه ﴿قالوا يا أبانا مالك لاتأمنا على يوسف﴾ لم تخافنا عليه ﴿وانا له لناصحون﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ﴿أرسله معنا غدا﴾ الى الصحراء ﴿نرتع﴾ نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب ﴿ونلعب﴾ بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه من ارتمى يرتمى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يربع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء ﴿وانا له لحافظون﴾ من أن يناله مكروه ﴿قال انى ليحزننى أن تذهبوا به﴾ لشدة مفارقته علىّ وقلة صبرى عنه ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام أن الذئب قدشدّ على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وفي رواية اليزيدى وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة ﴿وأنتم عنه غافلون﴾ لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ اللام موطئة للقسم وجوابه ﴿انا اذا لخاسرون﴾ ضعفاء مغبونون أومستحقون لان يدعي عليهم بالخسار والواو فى ونحن عصبة للحال

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ✽
وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ✽ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا
نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا
أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ✽ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ
بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ✽ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ
وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ✽ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ✽
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ
فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ✽ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ✽

وراودته

﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب﴾ وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مافعلوا من الاذى * فقد روى أنهم لما برزوا به الى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اماعاهدتموني أن لاتقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي أتواري به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال ﴿وأوحينا اليه﴾ وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أوحى اليه في صغره كما أوحى الى يحيي وعيسى عليهم الصلاة والسلام * وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه اياه ﴿لتنبئنهم بامرهم هذا﴾ لتحدثنهم بما فعلوا بك ﴿وهم لايشعرون﴾ انك يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيآت وذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤل اليه أمره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل بأوحينا أى آنسناه بالوحي وهم لايشعرون ذلك ﴿وجاؤا أباهم عشاء﴾ أى آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشوا من البكاء ﴿يبكون﴾ متباكين * روى أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يابنى وأين يوسف ﴿قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق﴾ نتسابق في العدو أو في الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف ﴿وجاؤا على قميصه بدم كذب﴾ أى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة أى كدر أو طرى وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أى فوق قميصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور * روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال مارأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾ أي سهلت لكم أنفسكم وهونت في أعينكم أمرا عظيما من السول وهو الاسترخاء ﴿فصبر جميل﴾ أى فامرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذى لاشكوى فيه الى الخلق ﴿والله المستعان على ماتصفون﴾ على احتمال ماتصفونه من اهلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح ﴿وجاءت سيارة﴾ رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه ﴿فارسلوا واردهم﴾ الذى يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي ﴿فأدلى دلوه﴾ فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه ﴿قال يابشرى هذا غلام﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كانه قال تعالى فهذا أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراي بالاضافة وأمال فتحة الراء حمزة والكسائى وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يابشرىّ بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف ﴿وأسروه﴾ أى الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فأخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ﴿بضاعة﴾ نصب على الحال أى أخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة ﴿والله عليم بما يعملون﴾ لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم ﴿وشروه﴾ وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من اخوته ﴿بثمن بخس﴾ مبخوس لزيفه أو نقصانه ﴿دراهم﴾ بدل من الثمن ﴿معدودة﴾ قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما ﴿وكانوا فيه﴾ في يوسف ﴿من الزاهدين﴾ الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا أنه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لايتقدم على الموصول ﴿وقال الذى اشتراه من مصر﴾ وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد بأحوال الآباء * روى أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان أبيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا ﴿لامرأته﴾ راعيل أو زليخا ﴿أكرمى مثواه﴾ اجعلى مقامه عندنا كريما أى حسنا والمعنى أحسنى تعهده ﴿عسى أن ينفعنا﴾ في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا ﴿أو نتخذه ولدا﴾ نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض﴾ وكما مكنا محبته في قلب العزيز أو كما مكناه في منزله أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ﴿ولنعلمه من تاويل الاحاديث﴾ عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أى كان القصد في انجائه وتمكينه الى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى وأحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسنيه ﴿والله غالب على أمره﴾ لايرده شئ ولاينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به اخوته شيأ وأراد الله غيره فلم يكن الا ما أراده ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ أن الامر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه ﴿ولما بلغ أشده﴾ منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم ﴿آتيناه حكما﴾ حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس ﴿وعلما﴾ يعني علم تاويل الاحاديث ﴿وكذلك نجزى المحسنين﴾ تنبيه على أنه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان أمره

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ
وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ
إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ
أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ
إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۞ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ
قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ
مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ
هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ
قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۞
وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
۞ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ
إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا
وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۞ وَقَالَ
نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ
قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞

﴿ وراودته التى هو في بيتها عن نفسه ﴾ طلبت منه وتمحلت أن يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد ﴿ وغلقت الأبواب ﴾ قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أوللمبالغة فى الايثاق ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أى أقبل وبادر أوتهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتى فى سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وقرأ هشام كذلك الا أنه يهمز وقد روى عنه ضم التاء وهو لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته ﴿ قال معاذ الله ﴾ أعوذ بالله معاذا ﴿ انه ﴾ ان الشأن ﴿ ربي أحسن مثواي ﴾ سيدى قطفير أحسن تعهدى اذ قال لك فى أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه في أهله وقيل الضمير لله تعالى أى انه خالقى أحسن منزلتى بأن عطف علىّ قلبه فلا أعصيه ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى بأهله ﴿ ولقد همت به وهمّ بها ﴾ قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهمّ بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا همّ بشئ أمضاه والمراد بهمه عليه الصلاة والسلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لايدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكفّ نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهمّ أومشارفة الهمّ كقولك قتلته لو لم أخف الله ﴿ لولا أن رأى برهان ربه ﴾ فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولايجوز أن يجعل وهمّ بها جواب لولا فانها فى حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على أنامله وقيل قطفير وقيل نودي يايوسف أنت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أوالامر مثل ذلك ﴿ لنصرف عنه السوء ﴾ خيانة السيد ﴿ والفحشاء ﴾ الزنا ﴿ انه من عبادنا المخلصين ﴾ الذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى أوله الالف واللام أى الذين أخلصوا دينهم لله ﴿ واستبقا الباب ﴾ أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أوضمن الفعل معنى الابتدار وذلك أن يوسف فرّ منها ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ﴿ وقدّت قميصه من دبر ﴾ اجتذبته من ورائه فانقدّ قميصه والقدّ الشق طولا والقط الشقّ عرضا ﴿ وألفيا سيدها ﴾ وصادفا زوجها ﴿ لدى الباب قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أوعذاب أليم ﴾ ايهاما بانها فرّت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية أواستفهامية بمعنى أى شئ جزاؤه الا السجن ﴿ قال هي راودتني عن نفسى ﴾ طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن أوالعذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا فى المهد ※ وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وانما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها ﴿ ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ﴾ لانه يدل على أنها قدّت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أوأنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه ﴿ وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ لانه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته والشرطية محكية على ارادة القول أوعلى أن فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها أدّت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل أن يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان أحسنت الىّ اليوم فقد أحسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علىّ باحسانك أمنن عليك باحسانى لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين ﴿ فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه ﴾ ان قولك ماجزاء من أراد باهلك سوأ أو ان السوء أوان هذا الأمر ﴿ من كيدكنّ ﴾ من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أولسائر النساء ﴿ ان كيدكنّ عظيم ﴾ فان كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشدّ تأثيرا فى النفس ولانهنّ يواجهن به الرجل والشيطان يوسوس به مسارقة ﴿ يوسف ﴾ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث ﴿ أعرض عن هذا ﴾ أكتمه ولاتذكره ﴿ واستغفرى لذنبك ﴾ ياراعيل ﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾ من القوم المذنبين من خطئ اذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب ﴿ وقال نسوة ﴾ هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها ﴿ فى المدينة ﴾ ظرف لقال أى أشعن الحكاية فى مصر أوصفة نسوة وكنّ خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة ﴿ قد شغفها حبا ﴾ شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فأحرقه ﴿ انا لنراها فى ضلال مبين ﴾ في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب

﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ باغتيابهن وانما سماه مكرا لأنهن أخفينه كما يخفي الماكر مكره أوقلن ذلك لتريهن يوسف أولانها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها ﴿ أرسلت اليهن ﴾ تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات ﴿ وأعتدت لهن متكأ ﴾ ما يتكئن عليه من الوسائد ﴿ وآتت كل واحدة منهن سكينا ﴾ حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أويهاب يوسف مكرها اذا خرج وحده على أربعين امرأة فى أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما أومجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه * قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج أومايقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ ﴿ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه ﴾ عظمنه وهبن حسنه الفائق * وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أوليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

﴿ وقطعن أيديهن ﴾ جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة ﴿ وقلن حاش لله ﴾ تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأ أبوعمرو فى الدرج فحذفت ألفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه ﴿ ماهذا بشرا ﴾ لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أى بعبد مشترى لئيم ﴿ ان هذا الا ملك كريم ﴾ فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك ﴿ قالت فذلكن الذى لمتنني فيه ﴾ أى فهو ذلك العبد الكنعانى الذي لمتنني فى الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولوتصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أوفهذا هو الذى لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ﴾ أى ما آمر به فحذف الجار أوأمري اياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير ليوسف ﴿ ليسجنن وليكونا من الصاغرين ﴾ من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين ﴿ قال رب السجن ﴾ وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ﴿ أحب الى مما يدعوننى اليه ﴾ أى آثر عندى من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها أودعونه الى أنفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به أن يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر ﴿ والا تصرف عنى ﴾ وان لم تصرف عني ﴿ كيدهن ﴾ فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة ﴿ أصب اليهن ﴾ أمل الى جانبهن أوالى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق ﴿ وأكن من الجاهلين ﴾ من السفهاء بارتكاب مايدعونني اليه فان الحكيم لايفعل القبيح أومن الذين لايعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء ﴿ فاستجاب له ربه ﴾ فأجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان ﴿ انه هو السميع ﴾ لدعاء الملتجئين اليه ﴿ العليم ﴾ باحوالهم ومايصلحهم ﴿ ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ﴾ ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد مارأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ﴿ ليسجننه حتى حين ﴾ وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر مايكون منه أويحسب الناس أنه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على أن بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أوالعزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ أى أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بأنهما يريدان أن يسماه ﴿ قال أحدهما ﴾ يعنى الشرابى ﴿ انى أرانى ﴾ أى فى المنام وهي حكاية حال ماضية ﴿ أعصر خمرا ﴾ أى عنبا وسماه خمرا باعتبار مايؤول اليه ﴿ وقال الآخر ﴾ أى الخباز ﴿ انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه ﴾ تنهش منه ﴿ نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين ﴾ من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أومن العالمين وانما قالا ذلك لأنهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أومن المحسنين الى أهل السجن فأحسن الينا بتأويل مارأينا ان كنت تعرفه ﴿ قال لايأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله ﴾ أي بتأويل ماقصصتما على أوبتأويل الطعام يعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل أن يسعف الى ماسألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم مايكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير ﴿ قبل أن يأتيكما ذلكما ﴾ أى ذلك التأويل ﴿ مما علمنى ربى ﴾ بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن أوالتنجيم ﴿ انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ تعليل لما قبله أي علمنى ذلك لانى تركت ملة أولئك

فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ
وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما
رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم ۞ قالت فذلكن الذى لمتننى فيه
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره
ليسجنن وليكونا من الصاغرين ۞ قال رب السجن أحب الى مما
يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وأكن
من الجاهلين ۞ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه
هو السميع العليم ۞ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجننه حتى حين ۞ ودخل معه السجن فتيان قال
أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق
رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من
المحسنين ۞ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة
قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ۞

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا
أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ
أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ
أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ
فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۞
وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۞ وَقَالَ
الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۞ قَالُوا
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ۞

﴿ واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ أوكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار أنه من بيت النبوّة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوّز للخامل أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ﴿ ماكان لنا ﴾ ماصحّ لنا معشر الانبياء ﴿ أن نشرك بالله من شئ ﴾ أى شئ كان ﴿ذلك﴾ أي التوحيد ﴿ من فضل الله علينا ﴾ بالوحى ﴿ وعلى الناس ﴾ وعلى سائر الناس يبعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ﴿ ولكنّ أكثر الناس ﴾ المبعوث اليهم ﴿ لايشكرون ﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ولايتنبهون أومن فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكنّ أكثرهم لاينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولايشكرها ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ أي يا ساكنيه أو ياصاحبيّ فيه فأضافهما اليه على الاتساع كقوله ·
* ياسارق الليلة أهل الدار * ﴿ أأرباب متفرّقون ﴾ شتى متعددة متساوية الاقدام ﴿ خير أم الله الواحد ﴾ المتوحد بالالوهية ﴿القهار﴾ الغالب الذى لايعادله ولايقاومه غيره ﴿ ماتعبدون من دونه ﴾ خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر ﴿ الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ أى الا أشياء باعتبار أسام أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لاتعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم مالم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولانقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ماتطلقون عليها ﴿ ان الحكم ﴾ ما الحكم فى أمر العبادة ﴿ الا لله ﴾ لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لأمره ﴿أمر﴾ على لسان أنبيائه ﴿ألاتعبدوا الا اياه﴾ الذى دلت عليه الحجج ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ الحق وأنتم لاتميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم أوّلا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن مايسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ماهو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولايرتضى العلم دونه ﴿ ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ﴾ فيخبطون فى جهالاتهم ﴿ ياصاحبي السجن أما أحدكما ﴾ يعني الشرابى ﴿ فيسق ربه خمرا ﴾ كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه ﴿ وأما الآخر ﴾ يريد به الخباز ﴿ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ فقالا كذبنا فقال ﴿ قضى الأمر الذى فيه تستفتيان ﴾ أى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو مايؤل اليه أمركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة مانزل بهما ﴿ وقال للذى ظنّ أنه ناج منهما ﴾ الظانّ يوسف انذكر ذلك عن اجتهاد وانذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يؤوّل الظنّ باليقين ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ اذكر حالى عند الملك كي يخلصنى ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ فأنسي الشرابي أن يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له أوعلى تقدير ذكر اخبار ربه أوأنسي يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لاتليق بمنصب الانبياء ﴿ فلبث فى السجن بضع سنين ﴾ البضع مابين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع ﴿ وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف ﴾ لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ قد انعقد حبها ﴿ وأخر يابسات ﴾ وسبعا أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قصّ من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه ﴿ ياأيها الملأ أفتونى في رؤياي ﴾ عبروها ﴿ ان كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التى هى مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان أولتقوية العامل فان الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل أولتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا ﴿ قالوا أضغاث أحلام ﴾ أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ماجمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أولتضمنه أشياء مختلفة ﴿ ومانحن بتأويل الاحلام بعالمين ﴾ يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله

﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ من صاحبي السجن وهو الشرابي ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول ﴿ أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ﴾ أي الى من عنده علمه أو الى السجن ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ أي فارسل الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ أي في رؤيا ذلك ﴿ لعلي أرجع الى الناس ﴾ أعود الى الملك ومن عنده أو الى أهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ تأويلها أو فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا ﴾ أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر باضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله ﴿ فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾ لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة ﴿ الا قليلا مما تأكلون ﴾ في تلك السنين ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن ﴾ أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ تحرزون لبذور الزراعة ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ﴾ يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث ﴿ وفيه يعصرون ﴾ ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الالهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾ بعد ما جاءه الرسول بالتعبير ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾ ليخرجه ﴿ قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به الى تقبيح أمره وفيه دليل على انه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ﴿ ان ربي بكيدهن عليم ﴾ حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن ﴿ قال ما خطبكن ﴾ قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه ﴿ اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ﴾ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿ ما علمنا عليه من سوء ﴾ من ذنب ﴿ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ﴾ ثبت واستقر من حصحص البعير اذا ألقى مباركه ليناخ قال

فحصحص في صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوأة ثم صمما

أو ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول ﴿ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ﴾ في قوله هي راودتني عن نفسي ﴿ ذلك ليعلم ﴾ قاله يوسف لما عاد اليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز ﴿ أني لم أخنه بالغيب ﴾ بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة ﴿ وأن الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۞ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۞ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۞ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞

ومَا

﴿وما أبرئ نفسى﴾ أى لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس أنه لما قال ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ﴿ان النفس لأمارة بالسوء﴾ من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى أثرها كل الاوقات ﴿الا ما رحم ربى﴾ الاوقت رحمة ربى أو الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ﴿ان ربى غفور رحيم﴾ يغفر همّ النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه ﴿وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى﴾ أجعله خالصا لنفسى ﴿فلما كلمه﴾ أى فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء ﴿قال انك اليوم لدينا مكين﴾ ذو مكانة ومنزلة ﴿أمين﴾ مؤتمن على كل شئ * روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض اليه أمره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا ﴿قال اجعلنى على خزائن الارض﴾ ولنى أمرها والارض أرض مصر ﴿انى حفيظ﴾ لها ممن لا يستحقها ﴿عليم﴾ بوجوه التصرف فيه ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التوبة واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك أسلم على

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ
رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ
لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۞
قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۞ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ۞ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي
أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا
كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ۞ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ
وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۞ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ
فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ ۞ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞

يده ﴿وكذلك مكنا ليوسف فى الارض﴾ فى أرض مصر ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ بل نوفى أجورهم عاجلا وآجلا ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ الشرك والفواحش لعظمه ودوامه ﴿وجاء اخوة يوسف﴾ * روى أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة ﴿فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ أى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التى رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام ﴿ولما جهزهم بجهازهم﴾ أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى أخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر ﴿قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم﴾ روى أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب أحدنا الى البرية فهلك قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند أبينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا أحد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدا لاخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿ألا ترون أنى أوف الكيل﴾ أتمه ﴿وأنا خير المنزلين﴾ للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن انزالهم وضيافتهم ﴿فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون﴾ أى ولا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو امانهى أو نفى معطوف على الجزاء ﴿قالوا سنراود عنه أباه﴾ سنجتهد فى طلبه من أبيه ﴿وانا لفاعلون﴾ ذلك لا نتوانى فيه ﴿وقال لفتيته﴾ لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله ﴿اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم﴾ فانه وكل بكل رحل واحدا يعنى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند أبيه ما يرجعون به ﴿لعلهم يعرفونها﴾ لعلهم يعرفون حق ردها أو لكى يعرفوها ﴿اذا انقلبوا﴾ انصرفوا ورجعوا ﴿الى أهلهم﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع ﴿فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل﴾ حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين ﴿فارسل معنا أخانا نكتل﴾ نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ أى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا ﴿وانا له لحافظون﴾ من أن يناله مكروه

﴿ قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل ﴾ وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون ﴿ فالله خير حفظا ﴾ فأتوكل عليه وأفوّض أمري اليه وانتصاب حفظا على التميز وحافظا على قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ فارجو أن يرحمني بحفظه ولايجمع عليّ مصيبتين ﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم ﴾ وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل ﴿ قالوا ياأبانا مانبغي ﴾ ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أولا نطلب وراء ذلك احسانا أولا نبغي في القول ولانزيد فيما حكينالك من احسانه وقرئ ماتبغي على الخطاب أى أيّ شئ تطلب وراء هذا من الاحسان أومن الدليل على صدقنا ﴿ هذه بضاعتنا ردت الينا ﴾ استئناف موضح لقوله مانبغي ﴿ ونمير أهلنا ﴾ معطوف على محذوف أى ردت الينا فنستظهربها ونمير أهلنا بالرجوع الى الملك ﴿ ونحفظ أخانا ﴾ عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ وسق بعير باستصحاب أخينا هذا اذا كانت مااستفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على مانبغي أى لانبغي فيمانقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ أى مكيل قليل لايكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا أن يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه مايكال لاخيهم ويجوز أن تكون الاشارة الى كيل بعير أى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولايتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد ﴿ قال لن أرسله معكم ﴾ اذ رأيت منكم مارأيت ﴿ حتى تؤتون موثقا من الله ﴾ حتى تعطوني ماأتوثق به من عند الله أى عهدا مؤكدا بذكر الله ﴿ لتأتنني به ﴾ جواب القسم اذ المعني حتى تحلفوا بالله لتأتنني به ﴿ الا أن يحاط بكم ﴾ الا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أوالا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الاحال الاحاطة بكم أومن أعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي أى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله الافعلت أى ماأطلب الافعلك ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ عهدهم ﴿ قال الله على مانقول ﴾ من طلب الموثق واتيانه ﴿ وكيل ﴾ رقيب مطلع ﴿ وقال يابني لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ لانهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ أوكان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته اللهم اني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ﴿ وماأغنى عنكم من الله من شئ ﴾ مما قضى عليكم بما أشرت به اليكم فان الحذر لايمنع القدر ﴿ ان الحكم الالله ﴾ يصيبكم لامحالة ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك ﴿ عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ﴿ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ﴾ أي من أبواب متفرقة في البلد ﴿ ماكان يغني عنهم ﴾ رأى يعقوب واتباعهم له ﴿ من الله من شئ ﴾ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿ الاحاجة في نفس يعقوب ﴾ استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا ﴿ قضاها ﴾ أظهرها ووصى بها ﴿ وانه لذو علم لما علمناه ﴾ بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وماأغني عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ سر القدر وأنه لايغني عنه الحذر ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه ﴾ ضم اليه بنيامين على الطعام أوفي المنزل *روى أنه أضافهم فاجلسهم مثني مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لوكان أخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لاثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخامثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولاراحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و﴿ قال اني أنا أخوك فلا تبتئس ﴾ فلا تحزن افتعال من البؤس ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ في حقنا فيما مضى

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ وَلَمَّا فَتَحُوا
مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا
مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ
أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۞ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ
فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞
وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ
وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۞
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
۞ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي
أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞

﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾ المشربة ﴿فى رحل أخيه﴾ قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ﴿ثم أذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿أيتها العير انكم لسارقون﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام أوكان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من أبيه أوأئنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير أي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصله فعل كسقف فعل به مافعل ببيض تجوّز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة ﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾ أى شئ ضاع منكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا ﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾ وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ من الطعام جعلا له ﴿وأنا به زعيم﴾ كفيل أؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل ﴿قالوا تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى ﴿لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لماعرفوا منهم فى كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا أوطعاما لاحد ﴿قالوا فما جزاؤه﴾ فما جزاء السارق أوالسرق أوالصواع على حذف المضاف ﴿ان كنتم كاذبين﴾ في ادعاء البراءة ﴿قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهوجزاؤه﴾ أى جزاء سرقته أخذمن وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له أوخبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أوجواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو ﴿كذلك نجزى الظالمين﴾ بالسرقة ﴿فبدأ بأوعيتهم﴾ فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر ﴿قبل وعاء أخيه﴾ بنيامين نفيا للتهمة ﴿ثم استخرجها﴾ أى السقاية أوالصواع لانه يذكر ويؤنث ﴿من وعاء أخيه﴾ وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الكيد ﴿كدنا ليوسف﴾ بأن علمناه اياه وأوحينا به اليه ﴿ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك﴾ ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد ﴿الا أن يشاء الله﴾ أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الاحوال ويجوز أن يكون منقطعا أى لكن أخذه بمشيئة الله تعالى واذنه ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله سبحانه وتعالى ومعناه الذى له العلم البالغ لغة ولانه لافرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص ﴿قالوا ان يسرق﴾ بنيامين ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به في حكمهم وقيل كان لابي أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق أودجاجة فأعطاها السائل وقيل دخل كنيسة وأخذ تمثالا صغيرا من الذهب ﴿فأسرّها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم﴾ أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة أوالمقالة أونسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله ﴿قال أنتم شرّ مكانا﴾ فانه بدل من أسرها والمعنى قال فى نفسه أنتم شر مكانا أى منزلة فى السرقة لسرقتكم أخاكم أوفى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أوالجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لايكون الا ضمير الشان ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ وهو يعلم أن الامر ليس كما تصفون ﴿قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا﴾ أى فى السن أوالقدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه ﴿فخذ أحدنا مكانه﴾ بدله فان أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به ﴿انا نراك من المحسنين﴾ الينا فاتمم احسانك أومن المتعوّدين بالاحسان فلاتغير عادتك

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۞ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۞ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ ۞ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ۞ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۞ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞

قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا
إِذًا لَظَالِمُونَ ۞ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا
مِنَ اللّٰهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ
حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّٰهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ
۞ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ
سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ
حَافِظِينَ ۞ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي
أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ
يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ
كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى
تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو
بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّٰهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞

﴿قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده﴾ فان أخذ غيره ظلم على فتوا كم فلو أخذنا أحدكم مكانه ﴿انا اذا لظالمون﴾ فى مذهبكم هذا وان مراده ان الله أذن فى أخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما ﴿فلما استياسوا منه﴾ يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة ﴿خلصوا﴾ انفردوا واعتزلوا ﴿نجيا﴾ متناجين وانما وحده لانه مصدر أو بزنته كاقيل هم صديق وجمعه أنجية كندى وأندية ﴿قال كبيرهم﴾ فى السن وهو روبيل أوفى الرأى وهو شمعون وقيل يهوذا ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله﴾ عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ﴿ومن قبل﴾ ومن قبل هـذا ﴿مافرطتم فى يوسف﴾ قصرتم فى شأنه ومامزيدة ويجوز أن تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم ان وخبره في يوسف أومن قبل أوالرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا أوصلة لايقطع عن الاضافة حتى لاينقص وأن تكون موصولة أى مافرطتموه بمعنى ماقدمتموه فى حقه من الجناية ومحله ماتقدم ﴿فلن أبرح الارض﴾ فلن أفارق أرض مصر ﴿حتى يأذن لى أبى﴾ فى الرجوع ﴿أويحكم الله لى﴾ أو يقضى لى بالخروج منها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه * روى أنهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل أيها الملك والله لتتركنا أو لاصيحنّ صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لان حكمه لايكون الا بالحق ﴿ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق﴾ على ماشاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق أى نسب الى السرقة ﴿وماشهدنا﴾ عليه ﴿الا بما علمنا﴾ بان رأينا أن الصواع استخرج من وعائه ﴿وما كنا للغيب﴾ لباطن الحال ﴿حافظين﴾ فلاندرى انه سرق أوسرق ودس الصواع فى رحله أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق انه سيسرق أوأنك تصاب به كما أصبت بيوسف ﴿واسأل القرية التى كنا فيها﴾ يعنون مصر أوقرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى أرسل الى أهلها واسألهم عن القصة ﴿والعير التى اقبلنا فيها﴾ وأصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم ﴿وانا لصادقون﴾ تأكيد في محل القسم ﴿قال بل سوّلت﴾ أى فلما رجعوا الى أبيهم وقالوا له ماقال لهم أخوهم قال بل سوّلت أى زينت وسهلت ﴿لكم أنفسكم أمرا﴾ أردتموه فقدتموه والا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته ﴿فصبر جميل﴾ أى فامرى صبر جميل أوفصبر جميل أجمل ﴿عسى الله أن يأتينى بهم جميعا﴾ بيوسف وبنيامين وأخيهما الذى توقف بمصر ﴿انه هو العليم﴾ بحالى وحالهم ﴿الحكيم﴾ فى تدبيرهما ﴿وتولى عنهم﴾ وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿وقال يا أسفا على يوسف﴾ أى يا أسفا تعال فهذا أوانك والاسف أشدّ الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط أمة من الامم - انا لله وانا اليه راجعون - عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل أمثال ذلك لاتدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولانقول مايسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ﴿فهو كظيم﴾ مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له فى قلبه لايظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه وأصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه ﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾ أى لاتفتأ ولاتزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين الله أبرح قاعدا * لانه لايلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامات الاثبات كان على النفى ﴿حتى تكون حرضا﴾ مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى أذابه همّ أومرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لايؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب ﴿أو تكون من الهالكين﴾ من الميتين ﴿قال انما أشكو بثى وحزنى﴾ همى الذى لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر ﴿الى الله﴾ لاالى أحد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتى ﴿وأعلم من الله﴾ من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولايدع الملتجئ اليه أومن الله بنوع من الالهام ﴿مالا تعلمون﴾ من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هوحى وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لايموت حتى يخرّ له اخوته سجدا

يَٰبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا
مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ
❁ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا
وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ
❁ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ
جَٰهِلُونَ ❁ قَالُوٓا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ
وَهَٰذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ❁ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ
اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ❁ قَالَ لَا تَثْرِيبَ
عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّٰحِمِينَ ❁ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي
يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ❁ وَلَمَّا فَصَلَتِ
الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ❁ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ الْقَدِيمِ ❁

﴿ يابنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ﴿ ولاتيأسوا من روح الله ﴾ ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله أى من رحمته التي يحيي بها العباد ﴿ انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ بالله وصفاته فان العارف المؤمن لايقنط من رحمته فى شئ من الاحوال ﴿ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز ﴾ بعد مارجعوا الى مصر رجعة ثانية ﴿ مسنا وأهلنا الضرّ ﴾ شدة الجوع ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ رديئة أوقليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته ومنه ترجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ فأتمم لنا الكيل ﴿ وتصدّق علينا ﴾ بردّ أخينا أوبالمسامحة وقبول المزجاة أوبالزيادة على مايساويها واختلف فى أن حرمة الصدقة تعمّ الانبياء عليهم الصلاةوالسلام أو تختصّ بنبينا صلى الله عليه وسلم ﴿ ان الله يجزى المتصدّقين ﴾ أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى ﴿ قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه ﴾ أى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لايستطيع أن يكلمهم الا بعجز وذلة ﴿ اذ أنتم جاهلون ﴾ قبحه فلذلك أقدمتم عليه أوعاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ماهو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أولانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين ﴿ قالوا أئنك لأنت يوسف ﴾ استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها ﴿ قال أنا يوسف وهذا أخى ﴾ من أبى وأمى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له فى قوله ﴿ قد منّ الله علينا ﴾ أى بالسلامة والكرامة ﴿ انه من يتقّ ﴾ أى يتق الله ﴿ ويصبر ﴾ على البليات أوعلى الطاعات وعن المعاصى ﴿ فان الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر ﴿ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا ﴾ اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة ﴿ وان كنا لخاطئين ﴾ والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ﴿ قال لاتثريب عليكم ﴾ لاتأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه ﴿ اليوم ﴾ متعلق بالتثريب أوبالمقدر للجار الواقع خبرا للاتثريب والمعنى لا أثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام أوبقوله ﴿ يغفر الله لكم ﴾ لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه الصلاة والسلام أنهم لما عرفوه أرسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال ان أهل مصر كانوا ينظرون الىّ بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم اخوتى وأني من حفدة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ اذهبوا بقميصى هذا ﴾ القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان في التعويذ ﴿ فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ﴾ أى يرجع بصيرا أي ذا بصر ﴿ وائتوني ﴾ أنتم وأبى ﴿ بأهلكم أجمعين ﴾ بنسائكم وذراريكم ومواليكم ﴿ ولما فصلت العير ﴾ من مصر وخرجت من عمرانها ﴿ قال أبوهم ﴾ لمن حضره ﴿ انى لأجد ريح يوسف ﴾ أوجده الله ريح ماعبق بقميصه من ريحه حين أقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا ﴿ لولا أن تفندون ﴾ تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لايقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى أو لقلت انه قريب ﴿ قالوا ﴾ أي الحاضرون ﴿ تالله انك لفى ضلالك القديم ﴾ لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه

﴿ فلما أن جاء البشير ﴾ يهوذا * روى أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فأفرحه بحمل هذا اليه ﴿ ألقاه على وجهه ﴾ طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه الصلاة والسلام أو يعقوب نفسه ﴿ فارتدّ بصيرا ﴾ عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة ﴿ قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالاتعلمون ﴾ من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام وانزال الفرح وقيل اني أعلم كلام مبتدأ والمقول لاتيأسوا من روح الله أو اني لأجد ريح يوسف ﴿ قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴾ ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة ﴿ قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم ﴾ أخره الى السحر أو الى صلاة الليل أو الى ليلة الجمعة تحرّيا لوقت الاجابة أو الى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة * ويؤيده ماروى أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة وهو ان صحّ فدليل على نبوتهم وأن ماصدر عنهم كان قبل استنبائهم ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ روى أنه وجه اليه رواحل وأموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى ﴿ آوى اليه أبويه ﴾ ضمّ اليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الأم تنزيل العم منزلة الأب فى قوله تعالى ـ واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ـ أو لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام تزوّجها بعد أمه والرابة تدعى أما ﴿ وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ﴾ من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الأوّل كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم ﴿ ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجدا ﴾ تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خرّوا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لأبويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدّم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما ﴿ وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل ﴾ التى رأيتها أيام الصبا ﴿ قد جعلها ربى حقا ﴾ صدقا ﴿ وقد أحسن بى اذ أخرجني من السجن ﴾ ولم يذكر الجبّ لئلا يكون تثريبا عليهم ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ من البادية لانهم كانوا أصحاب المواشى وأهل البدو ﴿ من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ﴾ أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى ﴿ ان ربى لطيف لما يشاء ﴾ لطيف التدبير له اذ مامن صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها ﴿ انه هو العليم ﴾ بوجوه المصالح والتدابير ﴿ الحكيم ﴾ الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة * روى أن يوسف طاف بابيه عليهما الصلاة والسلام فى خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال يابنى ماأعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال أمرنى جبريل عليه السلام قال أوماتسأله قال أنت أبسط منى اليه فاسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك ـ وأخاف أن يأكله الذئب ـ قال فهلا خفتنى ﴿ ربّ قد آتيتنى من الملك ﴾ بعض الملك وهو ملك مصر ﴿ وعلمتنى من تأويل الاحاديث ﴾ الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للتبعيض لأنه لم يؤت كل التأويل ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي أو منادى برأسه ﴿ أنت ولي ﴾ ناصرى ومتولى أمرى ﴿ فى الدنيا والآخرة ﴾ أو الذى يتولانى بالنعمة فيهما ﴿ توفنى مسلما ﴾ اقبضنى ﴿ وألحقنى بالصالحين ﴾ من آبائى أو بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة * روى أن يعقوب عليه الصلاة والسلام أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم توفى وأوصى أن يدفن بالشام الى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا أن يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمرّ عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه الصلاة والسلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جدّ يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه الصلاة والسلام ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه الصلاة والسلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ ﴿ من أنباء الغيب نوحيه اليك ﴾ خبران له ﴿ وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾ كالدليل عليهما والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من أن يجعلوه فى غيابة الجبّ وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت أحدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ـ ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا ـ ﴿ وما أكثر الناس ولوحرصت ﴾ على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم ﴿ بمؤمنين ﴾ لعنادهم وتصميمهم على الكفر

٢٤٨ سورة يوسف

فَلَمَّآ أَنْ جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَيٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا
ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ
لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۞
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا
تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ
إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن
نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ
وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى
بِٱلصَّٰلِحِينَ ۞ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ
۞ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۞

وما

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۞ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۞ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞

﴿ وما تسألهم عليه ﴾ على الانباء أوالقرآن ﴿ من أجر ﴾ من جعل كما يفعله حملة الاخبار ﴿ ان هو الا ذكر ﴾ عظة من الله تعالى ﴿ للعالمين ﴾ عامة ﴿ وكأين من آية ﴾ وكم من آية والمعنى وكأى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده ﴿ فى السموات والارض يمرّون عليها ﴾ على الآيات ويشاهدونها ﴿ وهم عنها معرضون ﴾ لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على أنه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها أى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله ﴾ فى اقرارهم بوجوده وخالقيته ﴿ الا وهم مشركون ﴾ بعبادة غيره أوباتخاذ الاحبار أربابا ونسبة التبنى اليه تعالى أوالقول بالنور والظلمة أوالنظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركي مكة وقيل فى المنافقين وقيل في أهل الكتاب ﴿ أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿ أوتأتيهم الساعة بغتة ﴾ فجأة من غير سابقة علامة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ باتيانها غير مستعدين لها ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ﴿ أدعو الى الله ﴾ وقيل هو حال من الياء ﴿ على بصيرة ﴾ بيان وحجة واضحة غير عمياء ﴿ أنا ﴾ تأكيد للمستتر فى ادعو أوعلى بصيرة لانه حال منه أومبتدأ خبره على بصيرة ﴿ ومن اتبعنى ﴾ عطف عليه ﴿ وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ وأنزهه تنزيها من الشركاء ﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا ﴾ ردّ لقولهم لوشاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء ﴿ يوحى اليهم ﴾ كما يوحى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء ﴿ من أهل القرى ﴾ لان أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك أومن المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ﴿ ولدار الآخرة ﴾ ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة ﴿ خير للذين اتقوا ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ أفلا يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله ـ قل هذه سبيلي ـ أى قل لهم أفلاتعقلون ﴿ حتى اذا استيأس الرسل ﴾ غاية محذوف دل عليه الكلام أي لايغررهم تمادى أيامهم فان من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا أو عن ايمانهم لانهما كهم فى الكفرمترفهين متمادين فيه من غير وازع ﴿ وظنوا أنهم قد كذبوا ﴾ أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أوكذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم أى وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الأول للمرسل اليهم والثانى للرسل أى وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم *وما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ماوعدهم الله من النصر ان صحّ فقد أراد بالظن مايهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غيرالكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرا ﴿ جاءهم نصرنا فننجى من نشاء ﴾ النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لايشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجا ﴿ ولايردّ بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ اذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئين ﴿ لقد كان فى قصصهم ﴾ في قصص الانبياء وأممهم أوفى قصة يوسف واخوته ﴿ عبرة لأولى الالباب ﴾ لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحسّ ﴿ ما كان حديثا يفترى ﴾ ما كان القرآن حديثا يفترى ﴿ ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾ من الكتب الالهية ﴿ وتفصيل كل شئ ﴾ يحتاج اليه فى الدين اذ مامن أمر دينى الا وله سند من القرآن بوسط أوبغير وسط ﴿ وهدى ﴾ من الضلال ﴿ ورحمة ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ يصدّقونه * وعن النبى صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوّن الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لايحسد مسلما

﴿ سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وهى ثلاث وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * المر ﴾ قيل معناه أنا الله أعلم وأرى ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن ﴿والذى أنزل اليك من ربك﴾ هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أواحدي الصفتين على الاخرى أوالرفع بالابتداء وخبره ﴿الحق﴾ والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو أعم من المنزل صريحا أوضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ﴿ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾ لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه ﴿ الله الذى رفع السموات ﴾ مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر ﴿بغير عمد﴾ أساطين جمع عماد كاهاب وأهب أوعمود كأديم وأدم وقرئ عمد كرسل ﴿ ترونها ﴾ صفة لعمد أواستئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ماذكر من الآيات ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ بالحفظ والتدبير ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها ﴿كل يجرى لاجل مسمى ﴾ لمدة معينة يتم فيها أدواره أولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ﴿ يدبر الامر ﴾ أمر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك ﴿ يفصل الآيات ﴾ ينزلها ويبينها مفصلة أويحدث الدلائل واحدا بعد واحد ﴿ لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء ﴿ وهو الذى مد الارض ﴾ بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ﴿وجعل فيها رواسى﴾ جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة أجبل أوللمبالغة ﴿ وأنهارا ﴾ ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال أسباب لتولدها ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ متعلق بقوله ﴿ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ أى وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيأ وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر يغشى بالتشديد ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها ﴿وفى الارض قطع متجاورات﴾ بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية ومايلزمها ويعرض لها بتوسط مايعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل﴾ وبساتين فيها أنواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى أصله وقرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات ﴿ صنوان ﴾ نخلات أصلها واحد ﴿وغير صنوان﴾ ومتفرقات مختلفات الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو ﴿ تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ﴾ فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ماذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالتفكر ﴿ وان تعجب ﴾ يامحمد من انكارهم البعث ﴿ فعجب قولهم ﴾ حقيق بأن يتعجب منه فان من قدر على انشاء ماقص عليك كانت الاعادة أيسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدا فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ﴿ أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد ﴾ بدل من قولهم أومفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه أئنا لفى خلق جديد ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم ﴾ لانهم كفروا بقدرته على البعث ﴿ أولئك الاغلال فى أعناقهم ﴾ مقيدون بالضلال لايرجى خلاصهم أويغلون يوم القيامة ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لاينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

سورة الرعد مكية وهي ثلاث وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون ۞ الله الذي رفع السموت بغير عمد ترونها
ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى
يدبر الأمر يفصل الآيت لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۞ وهو الذي
مد الأرض وجعل فيها روسي وأنهرا ومن كل الثمرت جعل
فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيت لقوم
يتفكرون ۞ وفي الأرض قطع متجورت وجنت من أعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيت لقوم يعقلون
۞ وإن تعجب فعجب قولهم أءذا كنا تربا أءنا لفي خلق
جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلل
في أعناقهم وأولئك أصحب النار هم فيها خلدون ۞

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ
الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا
أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۞
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۞ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۞ لَهُ
مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَالٍ ۞ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۞ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۞

﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ماهددوا به من عذاب الدنيا استهزاء ﴿وقدخلت من قبلهم المثلات﴾ عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها ولم يجوّزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وأمثلت الرجل من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على أنها جمع مثلة كركبة وركبات ﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ مع ظلمهم أنفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أوأوّل المغفرة بالستر والامهال ﴿وان ربك لشديد العقاب﴾ للكفار أولمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ماأوتى موسى وعيسى عليهما السلام ﴿انما أنت منذر﴾ مرسل للانذار كغيرك من الرسل وماعليك الا الاتيان بما تصح به نبوّتك من جنس المعجزات لابما يقترح عليك ﴿ولكل قوم هاد﴾ نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أوقادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لايهدي الامن يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات * ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على أنه تعالى قادر على انزال مااقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وأنه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال ﴿الله يعلم ماتحمل كل أنثى﴾ أي حملها أوماتحمله على أيّ حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة ﴿وما تغيض الارحام وما تزداد﴾ وماتنقصه وما تزداده فى الجثة والمدة والعدد وأقصى مدة الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند أبى حنيفة * روى أن الضحاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لاربع سنين وأعلى عدده لاحد له وقيل نهاية ماعرف به أربعة واليه ذهب أبوحنيفة رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله أخبرنى شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطونا فى كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين اما أن تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى أولما فيها ﴿وكل شئ عنده بمقدار﴾ بقدر لايجاوزه ولاينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له أسبابا مسوقة اليه تقتضى ذلك وقرأ ابن كثير هادووال وواق وماعند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء فى هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغيرياء ﴿عالم الغيب﴾ الغائب عن الحس ﴿والشهادة﴾ الحاضر له ﴿الكبير﴾ العظيم الشان الذى لايخرج عن علمه شئ ﴿المتعال﴾ المستعلي على كل شئ بقدرته أوالذى كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه ﴿سواء منكم من أسرّ القول﴾ فى نفسه ﴿ومن جهربه﴾ لغيره ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ طالب للخفاء فى مختبا بالليل ﴿وسارب﴾ بارز ﴿بالنهار﴾ يراه كل أحد من سرب سروبا اذابرز وهو عطف على من أومستخف على أن من فى معني الاثنين كقوله

* من نكن مثل ياذئب يصطحبان *

كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقرّرة لكمال علمه وشموله ﴿له﴾ لمن أسر أوجهر أواستخفى أوسرب ﴿معقبات﴾ ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا أولانهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أواعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة أولان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب أومعقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ من جوانبه أومن الاعمال ماقدم وأخر ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ من بأسه متى أذنب بالاستمهال أوالاستغفار له أويحفظونه من المضار أويراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعني الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ﴿ان الله لايغير مابقوم﴾ من العافية والنعمة ﴿حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة ﴿واذا أراد الله بقوم سوأ فلامردّ له﴾ فلاراد له فالعامل فى اذامادل عليه الجواب ﴿ومالهم من دونه من وال﴾ ممن يلى أمرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا﴾ من أذاه ﴿وطمعا﴾ في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أى ارادة خوف وطمع أوالتأويل بالاخافة والاطماع أوالحال من البرق أوالمخاطبين على اضمار ذوأواطلاق المصدر بمعنى المفعول أوالفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه ﴿وينشئ السحاب﴾ الغيم المنسحب فى الهواء ﴿الثقال﴾ وهوجمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ﴿ويسبح الرعد﴾ ويسبح سامعوه ﴿بحمده﴾ ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمدلله أويدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخارين من نار يسوق بها السحاب ﴿والملائكة من خيفته﴾ من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ فيهلكه ﴿وهم يجادلون في الله﴾ حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة أوللحال فانه روى أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على أربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدّة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت ﴿وهو شديد المحال﴾ المماحلة المكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعني القوة وقيل مفعل من الحول أوالحيلة أعلّ على غير قياس ويعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حل يحول اذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله أشد وموساه أحدّ

﴿له دعوة الحق﴾ الدعاء الحق فانه الذى يحق أن يعبد ويدعي الى عبادته دون غيره أوله الدعوة المجابة فان من دعاه أجابه ويؤيده مابعده والحق على الوجهين ماينافض الباطل واضافة الداعوة اليه لما بينهما من الملابسة أوعلى تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في أربد وعامر أن اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم أودلالة على أنه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أوبيان ضلالهم وفساد رأيهم ﴿والذين يدعون﴾ أى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أووالمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة ﴿من دونه﴾ عليه ﴿لايستجيبون لهم بشئ﴾ من الطلبات ﴿الا كباسط كفيه﴾ الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴿الى الماء ليبلغ فاه﴾ يطلب منه أن يبلغه ﴿وماهو ببالغه﴾ لانه جماد لايشعر بدعائه ولايقدر على اجابته والاتيان بغير ماجبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين ﴿ومادعاء الكافرين الا في ضلال﴾ فى ضياع وخسار وباطل ﴿ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها﴾ يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة ﴿وظلالهم﴾ بالعرض وأن يراد به انقيادهم لاحداث ماأراده منهم شاؤا أوكرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمدوالتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أوالعلة وقوله ﴿بالغدو والآصال﴾ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أوحال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع أصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل ﴿قل من رب السموات والارض﴾ خالقهما ومتولى أمرهما ﴿قل الله﴾ أجب عنهم بذلك اذلاجواب لهم سواه ولانه البين الذى لايمكن المراء فيه أولقنهم الجواب به ﴿قل أفاتخذتم من دونه﴾ ثم ألزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل ﴿أولياء لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا﴾ لايقدرون على أن يجلبوا اليها نفعا أويدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم ﴿قل هل يستوى الأعمى والبصير﴾ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم ﴿أم هل تستوى الظلمات والنور﴾ الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وأبوبكر بالياء ﴿أم جعلوا لله شركاء﴾ بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله ﴿خلقوا كخلقه﴾ صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار ﴿فتشابه الخلق عليهم﴾ خلق الله وخلقهم *والمعنى أنهم مااتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق ﴿قل الله خالق كل شئ﴾ أى لاخالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله ﴿وهو الواحد﴾ المتوحد بالالوهية ﴿القهار﴾ الغالب على كل شئ ﴿أنزل من السماء ماء﴾ من السحاب أومن جانب السماء أومن السماء نفسها فان المبادئ منها ﴿فسالت أودية﴾ أنهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع ﴿بقدرها﴾ بمقدارها الذى علم الله تعالى أنه نافع غير ضار أوبمقدارها فى الصغر والكبر ﴿فاحتمل السيل زبدا﴾ رفعه والزبد وضر الغليان ﴿رابيا﴾ عاليا ﴿ومما توقدون عليه فى النار﴾ يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ﴿ابتغاء حلية﴾ أي طلب حلى ﴿أومتاع﴾ كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها ﴿زبد مثله﴾ أى ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهوخبثه ومن للابتداء أوللتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على أن الضمير للناس واضماره للعلم به ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه فى منافعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله ﴿فاما الزبد فيذهب جفاء﴾ يجفأ به أى يرمى به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿وأما ماينفع الناس﴾ كالماء وخلاصة الفلز ﴿فيمكث فى الارض﴾ ينتفع به أهلها ﴿كذلك يضرب الله الامثال﴾ لايضاح المشتبهات ﴿للذين استجابوا﴾ للمؤمنين الذين استجابوا ﴿لربهم الحسنى﴾ الاستجابة الحسنى ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة أوالجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره ﴿لوأن لهم مافى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به﴾ وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ ﴿ومأواهم﴾ مرجعهم ﴿جهنم وبئس المهاد﴾ المستقر والمخصوص بالذم محذوف

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ
كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۞ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي
الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ
الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا
رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ
مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
۞ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ
لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞

﴿أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق﴾ فيستجيب ﴿كمن هو أعمى﴾ عمى القلب لايستبصر فيستجيب والهمزة لانكار أن تقع شبهة في تشابهما بعد ماضرب من المثل ﴿انما يتذكر أولو الالباب﴾ ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم ﴿الذين يوفون بعهد الله﴾ ماعقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أوماعهد الله تعالى عليهم فى كتبه ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾ ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ﴿ويخشون ربهم﴾ وعيده عموما ﴿ويخافون سوء الحساب﴾ خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا ﴿والذين صبروا﴾ على ماتكرهه النفس ويخالفه الهوى ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلبا لرضاه لالجزاء وسمعة ونحوهما ﴿وأقاموا الصلوة﴾ المفروضة ﴿وأنفقوا مما رزقناهم﴾ بعضه الذى وجب عليهم انفاقه ﴿سرا﴾ لمن لم يعرف بالمال ﴿وعلانية﴾ لمن عرف به ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان أويتبعون السيئة الحسنة فتمحوها ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ عاقبة الدنيا ومماينبغى أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لأولى الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات ﴿جنات عدن﴾ بدل من عقبى الدار أومبتدأ خبره ﴿يدخلونها﴾ والعدن الاقامة أى جنات يقيمون فيها وقيل هوبطنان الجنة ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ عطف على المرفوع فى يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أوان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لمابينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة في أنسهم وفى التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لاتنفع ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ من أبواب المنازل أومن أبواب الفتوح والتحف قائلين ﴿سلام عليكم﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿بما صبرتم﴾ متعلق بعليكم أو بمحذوف أى هـذا بما صبرتم لابسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية ﴿فنعم عقبى الدار﴾ وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره ﴿والذين ينقضون عهد الله﴾ يعنى مقابلى الاولين ﴿من بعد ميثاقه﴾ من بعد ما أوثقوه به من الاقرار والقبول ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض﴾ بالظلم وتهييج الفتن ﴿أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ عذاب جهنم أوسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه ويضيقه ﴿وفرحوا﴾ أى أهل مكة ﴿بالحيوة الدنيا﴾ بما بسط لهم فى الدنيا ﴿وما الحيوة الدنيا في الآخرة﴾ أي في جنب الآخرة ﴿الامتاع﴾ الامتعة لاتدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ﴿ويهدى اليه من أناب﴾ أقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجرى مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما أعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان أنزلت كل آية ويهدى اليه من أناب بماجئت به بل بأدنى منه من الآيات ﴿الذين آمنوا﴾ بدل من من أوخبر مبتدا محذوف ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أوبذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو أقوى المعجزات ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ تسكن اليه

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۞ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۞

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مبتدأ خبره ﴿طوبي لهم﴾ وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلنى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ ﴿وحسن مآب﴾ بالنصب ﴿كذلك﴾ مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ﴿أرسلناك في أمة قدخلت من قبلها﴾ تقدمتها ﴿أمم﴾ أرسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليهم ﴿لتتلوا عليهم الذي أوحينا اليك﴾ لتقرأ عليهم الكتاب الذى أوحيناه اليك ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى هومناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم*وقيل نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن ﴿قل هو ربي﴾ أى الرحمن خالقى ومتولى أمرى ﴿لااله الاهو﴾ لامستحق للعبادة سواه ﴿عليه توكلت﴾ في نصرتي عليكم ﴿واليه متاب﴾ مرجعى ومرجعكم ﴿ولو أن قرآناسيرت به الجبال﴾ شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أوالمبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أى ولوأن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارّها ﴿أوقطعت به الارض﴾ تصدعت من خشية الله عند قراءته أوشققت فجعلت أنهارا وعيونا ﴿أو كلم به الموتي﴾ فتسمع فتقرؤه أوفتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار أولما آمنوا به كقوله ولوأننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يامحمد ان سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أوسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشأم أوابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهوقوله وهم يكفرون بالرحمن ومابينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتي على المذكر الحقيقى ﴿بل لله الامر جميعا﴾ بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عماتضمنته لومن معنى النفى أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الأن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لاتلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ عن ايمانهم مع ماراوا من أحوالهم وذهب أكثرهم الى أن معناه أفلم يعلم لما روى أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميؤس عنه لايكون الامعلوما ولذلك علقه بقوله ﴿أن لويشاء الله لهدى الناس جميعا﴾ فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم أن لويشاء الله لهدى الناس جميعا أوبآمنوا ﴿ولايزال الذين كفروا تصيبهم بماصنعوا﴾ من الكفر وسوء الاعمال ﴿قارعة﴾ داهية تقرعهم وتقلقلهم ﴿أوتحل قريبا من دارهم﴾ فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لايزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبامن دارهم عام الحديبية ﴿حتى ياتى وعدالله﴾ الموت أوالقيامة أو فتح مكة ﴿ان الله لايخلف الميعاد﴾ لامتناع الكذب فى كلامه ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾ أى عقابى اياهم ﴿أفمن هو قائم على كل نفس﴾ رقيب عليها ﴿بما كسبت﴾ من خير أوشر لايخفى عليه شئ من أعمالهم ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ استئناف أو عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية أولم يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله ﴿قل سموهم﴾ تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم مايستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ﴿أم تنبؤنه﴾ بل أتنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف ﴿بما لايعلم فى الارض﴾ بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ ﴿أم بظاهر من القول﴾ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للاسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ﴿ومن يضلل الله﴾ يخذله ﴿فماله من هاد﴾ يوفقه للهدى ﴿لهم عذاب فى الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر مايصيبهم من المصائب ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ لشدته ودوامه ﴿ومالهم من الله﴾ من عذابه أومن رحمته ﴿من واق﴾ حافظ

الذين آمنوا وعملوا الصلحت طوبى لهم وحسن مآب ۞
كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم
الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا
هو عليه توكلت وإليه متاب ۞ ولو أن قرآنا سيرت
به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله
الأمر جميعا أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما
صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله
إن الله لا يخلف الميعاد ۞ ولقد استهزئ برسل من قبلك
فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب ۞ أفمن
هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم
أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين
للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل
الله فما له من هاد ۞ لهم عذاب في الحيوة الدنيا
ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ۞

مثل

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ
وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۞
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ
الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ
بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ۞ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۞ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ
وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۞ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ۞
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ
لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ وَقَدْ
مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ۞

﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾ صفتها التي هي مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره ﴿ تجري من تحتها الانهار ﴾ على طريقة قولك صفة زيد أسمر أوعلى حذف موصوف أى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار أوعلى زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد أو المحذوف أومن الصلة ﴿ أكلها دائم ﴾ لاينقطع ثمرها ﴿ وظلها ﴾ أى وظلها كذلك لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس ﴿ تلك ﴾ أى الجنة الموصوفة ﴿ عقبى الذين اتقوا ﴾ مآلهم ومنتهى أمرهم ﴿ وعقبى الكافرين النار ﴾ لاغير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ﴾ يعنى المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ ومن الاحزاب ﴾ يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما ﴿ من ينكر بعضه ﴾ وهو مايخالف شرائعهم أومايوافق ماحرّفوه منها ﴿ قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ﴾ جواب للمنكرين أى قل لهم انى أمرت فيما أنزل الىّ بان أعبد الله وأوحده وهو العمدة فى الدين ولاسبيل لكم الى انكاره واما ماتنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولاأشرك بالرفع على الاستئناف ﴿ اليه أدعوا ﴾ لا الى غيره ﴿ واليه مآب ﴾ واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء وأما ماعدا ذلك من التفاريع فما يختلف بالاعصار والامم فلامعنى لانكاركم المخالفة فيه ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الانزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها ﴿ أنزلناه حكما ﴾ يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة ﴿ عربيا ﴾ مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم ﴾ التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ماحوّلت عنها ﴿ بعد ماجاءك من العلم ﴾ بنسخ ذلك ﴿ مالك من الله من ولىّ ولا واق ﴾ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ﴾ بشرا مثلك ﴿ وجعلنا لهم أزواجا وذرّية ﴾ نساء وأولادا كما هي لك ﴿ وما كان لرسول ﴾ وما صح له ولم يكن فى وسعه ﴿ أن يأتي بآية ﴾ تقترح عليه وحكم يلتمس منه ﴿ الا باذن الله ﴾ فانه الملئ بذلك ﴿ لكل أجل كتاب ﴾ لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم ﴿ يمحوا الله مايشاء ﴾ ينسخ مايستصوب نسخه ﴿ ويثبت ﴾ ماتقتضيه حكمته وقيل يمحو سيآت التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالايتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أويثبت ماراه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ مامن كائن الا وهو مكتوب فيه ﴿ واما نرينك بعض الذى نعدهم أونتوفينك ﴾ وكيفما دارت الحال أريناك بعض ماأوعدناهم أوتوفيناك قبله ﴿ فانما عليك البلاغ ﴾ لاغير ﴿ وعلينا الحساب ﴾ للمجازاة لا عليك فلاتحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه ﴿ أولم يروا أنا نأتى الارض ﴾ أرض الكفرة ﴿ ننقصها من أطرافها ﴾ بما نفتحه على المسلمين منها ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ لا رادّ له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى أنه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لا مع المنفى النصب على الحال أى يحكم نافذا حكمه ﴿ وهو سريع الحساب ﴾ فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد ماعذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ﴾ بانبيائهم والمؤمنين منهم ﴿ فلله المكر جميعا ﴾ اذ لايؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره ﴿ يعلم ماتكسب كل نفس ﴾ فيعدّ جزاءها ﴿ وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ﴾ من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعدّ لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع مافى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو والكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله وسيعلم من أعلمه اذا أخبره

﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلا ﴾ قيل المراد بهم رؤساء اليهود ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾ فانه أظهر من الادلة على رسالتي مايغني عن شاهد يشهد عليها ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أوعلم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أوعلم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أى كفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لايعلم مافى اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب وعلى الأول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانى وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿ سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى اثنتان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الر كتاب ﴾ أى هو كتاب ﴿ أنزلناه اليك لتخرج الناس ﴾ بدعائك اياهم الى ماتضمنه ﴿ من الظلمات ﴾ من أنواع الضلال ﴿ الى النور ﴾ الى الهدى ﴿ باذن ربهم ﴾ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أوحال من فاعله أومفعوله ﴿ الى صراط العزيز الحميد ﴾ بدل من قوله الى النور بتكرير العامل أواستئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده أوالمظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لايذل سالكه ولايخيب سابله ﴿ الله الذى له مافي السموات ومافى الارض ﴾ على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر أوالله خبر مبتدا محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق ﴿ وويل للكافرين من عذاب شديد ﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه أن يكون أحبّ اليها من غيره ﴿ ويصدون عن سبيل الله ﴾ بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صدّ صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لأن فى صدّه مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أوعلى أنه مبتدأ خبره ﴿ أولئك فى ضلال بعيد ﴾ أى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة أوللأمر الذى به الضلال فوصف به لملابسته ﴿ وماأرسلنا من رسول الا بلسان قومه ﴾ الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم ﴿ ليبين لهم ﴾ ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه الى غيرهم فانهم أولى الناس اليه بان يدعوهم وأحق بأن ينذرهم ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته أوّلا ولونزل على من بعث الى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن أدّى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها ومافى اتعاب القرائح وكدّ النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أوكل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله ـ ليبين لهم ـ فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب ﴿ فيضلّ الله من يشاء ﴾ فيخذله عن الايمان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق له ﴿ وهوالعزيز ﴾ فلايغلب على مشيئته ﴿ الحكيم ﴾ الذى لايضلّ ولايهدى الا لحكمة ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ﴾ يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ﴿ أن أخرج قومك من الظلمات الى النور ﴾ بمعنى أى أخرج لأن في الارسال معنى القول أوبان أخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها أن الناصبة ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ﴿ ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه فانه اذا سمع بما أنزل على من قبل من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على أن الصبر والشكر عنوان المؤمن

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ۞

سورة ابراهيم مكية وهى اثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۞ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۞ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۞ وَقَالَ
مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ
لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ
إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ
فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا
لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ
أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ
لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا
إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞

﴿ واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون ﴾ أى اذكروا نعمته عليكم وقت انجائه اياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا أريد بها العطية دون الانعام ويجوز أن يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال ﴿ يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ﴾ أحوال من آل فرعون أومن ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب أواستعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة ﴿ وفي ذلكم ﴾ من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه ﴿ بلاء من ربكم عظيم ﴾ ابتلاء منه ويجوز أن تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة ﴿ واذ تأذن ربكم ﴾ أيضا من كلام موسى صلى الله عليه وسلم وتأذن بمعنى آذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة ﴿ لئن شكرتم ﴾ يابني اسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح ﴿ لأزيدنكم ﴾ نعمة الى نعمة ﴿ ولئن كفرتم ﴾ ما أنعمت عليكم ﴿ ان عذابى لشديد ﴾ فلعلى أعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرّض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أومفعول تأذن على أنه جار مجرى قال لانه ضرب منه ﴿ وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن فى الارض جميعا ﴾ من الثقلين ﴿ فان الله لغنى ﴾ عن شكركم ﴿ حميد ﴾ مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرّات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ﴾ من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أوكلام مبتدأ من الله ﴿ والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله ﴾ جملة وقعت اعتراضا أوالذين من بعدهم عطف على ماقبله ولايعلمهم اعتراض والمعنى أنهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كذب النسابون ﴿ جاءتهم رسلهم بالبينات فردّوا أيديهم فى أفواههم ﴾ فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى ـ عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ـ أو وضعوها عليها تعجبا منه أواستهزاء عليه كمن غلبه الضحك أواسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرالهم باطباق الافواه أوأشاروا بها الى ألسنتهم ومانطقت به من قولهم ـ انا كفرنا ـ تنبيها على أن لا جواب لهم سواه أوردوها فى أفواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل أن يكون تمثيلا وقيل الايدى بمعنى الايادى أى ردّوا أيادى الأنبياء التى هي مواعظهم وما أوحى اليهم من الحكم والشرائع فى أفواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت منه ﴿ وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به ﴾ على زعمكم ﴿ وانا لفى شك مما تدعوننا اليه ﴾ من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام ﴿ مريب ﴾ موقع فى الريبة أوذى ريبة وهي قلق النفس وأن لاتطمئن الى الشئ ﴿ قالت رسلهم أفى الله شكّ ﴾ أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا فى الشك أى انما ندعوكم الى الله وهو لايحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه وأشاروا الى ذلك بقولهم ﴿ فاطر السموات والارض ﴾ وهو صفة أو بدل وشكّ مرتفع بالظرف ﴿ يدعوكم ﴾ الى الايمان ببعثه ايانا ﴿ ليغفر لكم ﴾ أويدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى على اقامة المفعول له مقام المفعول به ﴿ من ذنوبكم ﴾ بعض ذنوبكم وهومابينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعلّ المعنى فيه أن المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ﴿ ويؤخركم الى أجل مسمى ﴾ الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم ﴿ قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا ﴾ لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولوشاء الله أن يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس أفضل ﴿ تريدون أن تصدّونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ بهذه الدعوى ﴿ فائتونا بسلطان مبين ﴾ يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية أوعلى صحة ادعائكم النبوّة كأنهم لم يعتبروا ماجاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجا

﴿قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوّة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوّة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى ﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله﴾ أى ليس الينا الاتيان بالآيات ولاتستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ فلنتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألاترى قوله تعالى ﴿ومالنا ألانتوكل على الله﴾ أي أىّ عذر لنا فى أن لانتوكل عليه ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ التى بها نعرفه ونعلم أن الامور كلها بيده وقرأ أبوعمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت ﴿ولنصبرنّ على ما آذيتمونا﴾ جواب قسم محذوف أكدوابه توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ فليثبت المتوكلون على مااستحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أولتعودنّ فى ملتنا﴾ حلفوا على أن يكون أحد الامرين اما اخراجهم للرسل أوعودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد ﴿فأوحى اليهم ربهم﴾ أي الى رسلهم ﴿لنهلكن الظالمين﴾ على اضمار القول أواجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ﴿ولنسكننكم الارض من بعدهم﴾ أى أرضهم وديارهم كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك أقسم زيد ليخرجنّ ﴿ذلك﴾ اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ﴿لمن خاف مقامى﴾ موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أوقيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم ﴿وخاف وعيد﴾ أى وعيدى بالعذاب أوعذابى الموعود للكفار ﴿واستفتحوا﴾ سألوا من الله الفتح على أعدائهم أوالقضاء بينهم وبين أعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه أن ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن ﴿وخاب كل جبار عنيد﴾ أى ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أومن القبيلين كان أوقع ﴿من ورائه جهنم﴾ أى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ماتوارى عنك ﴿ويسقى من ماء﴾ عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى من ماء ﴿صديد﴾ عطف بيان لماء وهو مايسيل من جلود أهل النار ﴿يتجرعه﴾ يتكلف جرعه وهو صفة لماء أوحال من الضمير فى يسقى ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ ولايقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ﴿ويأتيه الموت من كل مكان﴾ أى أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وابهام رجله ﴿وماهو بميت﴾ فيستريح ﴿ومن ورائه﴾ ومن بين يديه ﴿عذاب غليظ﴾ أى يستقبل فى كل وقت عذابا أشد مماهو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى أهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى أرسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم أن يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار ﴿مثل الذين كفروا بربهم﴾ مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة أوقوله ﴿أعمالهم كرماد﴾ وهو على الاوّل جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد ﴿اشتدّت به الريح﴾ حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح ﴿فى يوم عاصف﴾ العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه أوأعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف ﴿لايقدرون﴾ يوم القيامة ﴿مما كسبوا﴾ من أعمالهم ﴿على شئ﴾ لحبوطه فلايرون له أثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ﴿ذلك﴾ اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون ﴿هو الضلال البعيد﴾ فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطن
الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞ وما لنا
الا نتوكل على الله وقد هدينا سبلنا ولنصبرن
على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ۞
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظلمين ۞ ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن
خاف مقامى وخاف وعيد ۞ واستفتحوا وخاب كل
جبار عنيد ۞ من ورائه جهنم ويسقى من ماء
صديد ۞ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت
من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب
غليظ ۞ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما
كسبوا على شىء ذلك هو الضلل البعيد ۞

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ
عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۞ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ
الضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ
أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۞ وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ
وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ
مِنْ سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا
تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنْفُسَكُمْ مَآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنْتُمْ
بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۞

(ألم تر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (أن الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذي يحق أن تخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق أصولهم ومايتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وماذلك على الله بعزيز) بمتعذر أومتعسر فانه قادر لذاته لااختصاص له بمقدوردون مقدور ومن كان هذا شأنه كان حقيقا بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته أولله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون أنها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه (فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أومصدر نعت به للمبالغة أوعلى اضمار مضاف (فهل أنتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أى بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض أى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب ماسبق ويحتمل أن تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أى فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) أى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوابهم (لوهدانا الله) للايمان ووفقناله (لهديناكم) ولكن ضللنا فأضللناكم أى اخترنا لكم مااخترناه لانفسنا أولوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سدّ دوننا طريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجا ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل أن يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز أن يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين* ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلاينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه أن ينجز أووعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو أن لابعث ولاحساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فأخلفتكم) جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى (الا أن دعوتكم) الادعائى اياكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) أسرعتم اجابتى (فلا تلوموني) بوسوستى فان من صرح العداوة لايلام بأمثال ذلك (ولوموا أنفسكم) حيث أطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها مايدل عليه اذ يكفي لصحتها أن يكون لقدرة العبد مدخل مافى فعله وهو الكسب الذى يقوله أصحابنا (ماأنا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وما أنتم بمصرخيّ) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو أصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحرى أن لاتكسر وقبلها ياء أوعلى لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته وأعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) ماامامصدرية ومن متعلقة باشركتمونى أى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أوموصولة بمعنى من نحو مافى قولهم سبحان ماسخركن لنا ومن متعلقة بكفرت أى كفرت بالذى أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب أليم) تتمة كلامه أوابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتي يحاسبوا أنفسهم ويتدبروا عواقبهم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وأمره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وأدخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) أى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا﴾ كيف اعتمده ووضعه ﴿كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز أن تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أوخبر مبتدا محذوف أى هي كشجرة وأن تكون أول مفعولى ضرب اجراء له مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء ﴿أصلها ثابت﴾ في الارض ضارب بعروقه فيها ﴿وفرعها﴾ وأعلاها ﴿في السماء﴾ ويجوز أن يريد وفروعها أى أفنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لا كتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت أصلها والاول على أصله ولذلك قيل انه أقوى ولعل الثاني أبلغ ﴿تؤتى أكلها﴾ تعطى ثمرها ﴿كل حين﴾ وقته الله تعالى لاثمارها ﴿باذن ربها﴾ بارادة خالقها وتكوينه ﴿ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناءلها من الحس ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾ كمثل شجرة خبيثة ﴿اجتثت﴾ استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية ﴿من فوق الارض﴾ لان عروقها قريبة منه ﴿مالها من قرار﴾ استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ماأعرب عن حق أودعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ماكان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة * وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما أيضا مايعم ذلك ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ فلايزلون اذافتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الاخدود ﴿وفي الآخرة﴾ فلايتلعثمون اذاسئلوا عن معتقدهم في الموقف ولاتدهشهم أهوال يوم القيامة * وروى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربي الله

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۞ يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ وَجَعَلُوا لِلّٰهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۞ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۞ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞

وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴿ويضل الله الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلايهتدون الى الحق ولايثبتون في مواقف الفتن ﴿ويفعل الله مايشاء﴾ من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه ﴿ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا﴾ أى شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أوبدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين للكفر بدلها كأهل مكة خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا الى حين ﴿وأحلوا قومهم﴾ الذين شايعوهم في الكفر ﴿دار البوار﴾ دار الهلاك بحملهم على الكفر ﴿جهنم﴾ عطف بيان لها ﴿يصلونها﴾ حال منها أومن القوم أى داخلين فيها مقاسين لحرها أومفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم ﴿وبئس القرار﴾ أى وبئس المقر جهنم ﴿وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله﴾ الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبوعمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض ﴿قل تمتعوا﴾ بشهواتكم أوبعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وأن الامرين كائنان لامحالة ولذلك علله بقوله ﴿فان مصيركم الى النار﴾ وأن المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع ﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على أنهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أى قل لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا ﴿يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم﴾ فيكون ايذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لاينفك فعلهم عن أمره وأنه كالسبب الموجب له ويجوز أن يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ماخفت من أمر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة مابين الشرط وجوابه ولان أمر المواجهة لايجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا ﴿سرا وعلانية﴾ منتصبان على المصدر أى انفاق سر وعلانية أوعلى الحال أي ذوى سر وعلانية أوعلى الظرف أى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به ﴿من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه﴾ فيبتاع المقصر مايتدارك به تقصيره أويفدي به نفسه ﴿ولا خلال﴾ ولامخالة فيشفع لك خليل أومن قبل أن يأتي يوم لاانتفاع فيه بمبايعة ولامخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبوعمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام ﴿الله الذى خلق السموات والارض﴾ مبتدأ وخبر ﴿وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أوالمصدر لان أخرج في معنى رزق ﴿وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره﴾ بمشيئته الى حيث توجهتم ﴿وسخر لكم الانهار﴾ بجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها

﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكونات ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم ﴿وآتاكم من كل ماسألتموه﴾ أى بعض جميع ماسألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض مافى قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسئل لاحتياج الناس اليه سئل أولم يسئل ومايحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين أى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز أن تكون مانافية في موقع الحال أى وآتاكم من كل شئ غير سائليه ﴿وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها﴾ لاتحصروها ولاتطيقوا عدّ أنواعها فضلا عن أفرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ﴿ان الانسان لظلوم﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها أو يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان ﴿كفار﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع ﴿واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد﴾ بلدة مكة ﴿آمنا﴾ ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة ﴿واجنبنى وبنىّ﴾ بعدني واياهم ﴿أن نعبد الاصنام﴾ واجعلنا منها فى جانب وقرئ وأجنبنى وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على أن عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لايتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة أن أولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته ﴿رب انهن أضللن كثيرا من الناس﴾ فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا ﴿فمن تبعنى﴾ على دينى ﴿فانه منى﴾ أى بعضى لاينفك عنى في أمر الدين ﴿ومن عصانى فانك غفور رحيم﴾ تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك الا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره ﴿ربنا انى أسكنت من ذريتى﴾ أى بعض ذريتى أو ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم ﴿بواد غير ذى زرع﴾ يعنى وادى مكة فانها حجرية لاتنبت ﴿عند بيتك المحرم﴾ الذى حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا أى أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ماقدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ماسيؤل اليه ✻ روي أن هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فاخرجهما الى أرض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لاطير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا فى مائك نشركك فى ألباننا ففعلت ﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾ اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها ﴿فاجعل أفئدة من الناس﴾ أى أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لوقال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصاري أو للابتداء كقولك القلب منى سقيم أى أفئدة ناس وقرأ هشام أفئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر فى أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت أى جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد ﴿تهوى اليهم﴾ تسرع اليهم شوقا ووادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من أهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا أحب وتعديته بالى لتضمنه معنى النزوع ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ مع سكناهم واديا لانبات فيه ﴿لعلهم يشكرون﴾ تلك النعمة فأجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ﴿ربنا انك تعلم مانخفى ومانعلن﴾ تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ماعندك وقيل مانخفى من وجد الفرقة ومانعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع واللجأ الى الله تعالى ﴿وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولافى السماء﴾ لانه العالم بعلم ذاتي يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر﴾ أى وهب لى وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من آلائه ﴿اسمعيل واسحق﴾ ✻ روى أنه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتى عشرة سنة ﴿ان ربي لسميع الدعاء﴾ أى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتدبه وهو من أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل أضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فأجابه ووهب له سؤله حين ماوقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها ﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة﴾ معدلا لها مواظبا عليها ﴿ومن ذريتى﴾ عطف على المنصوب في اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله أو استقراء عادته في الامم الماضية أنه يكون فى ذريته كفار ﴿ربنا وتقبل دعاء﴾ واستجب دعائى أو وتقبل عبادتي ﴿ربنا اغفر لى ولوالدىّ﴾ وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم وحواء ﴿وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه أهله فحذف المضاف أو أسند اليه قيامهم مجازا

وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ✻ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ✻ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ✻ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ✻ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ✻ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ✻ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ✻ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ✻ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ✻

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۞ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۞ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسٰكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۞ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللّٰهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۞ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۞ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوٰتُ وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۞ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۞ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ۞ لِيَجْزِيَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۞ هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞

﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ماهو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة أولكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ﴿انما يؤخرهم﴾ يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون ﴿ليوم تشخص فيه الابصار﴾ أى تشخص فيه أبصارهم فلا تقرفي أماكنها من هول ماترى ﴿مهطعين﴾ أى مسرعين الى الداعي أومقبلين بأبصارهم لايطرفون هيبة وخوفا وأصل الكلمة هو الاقبال على الشئ ﴿مقنعي رؤسهم﴾ رافعيها ﴿لايرتد اليهم طرفهم﴾ بل تثبت عيونهم شاخصة لاتطرف أولايرجع اليهم نظرهم فينظروا الى أنفسهم ﴿وأفئدتهم هواء﴾ خلاء أى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء أى لارأي فيه ولاقوة قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق ﴿وأنذر الناس﴾ يامحمد ﴿يوم يأتيهم العذاب﴾ يعني يوم القيامة أويوم الموت فانه أول أيام عذابهم وهومفعول ثان لانذر ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ بالشرك والتكذيب ﴿ربنا أخرنا الى أجل قريب﴾ أخر العذاب عنا أوردّنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب أوأخر آجالنا وأبقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك ﴿نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ جواب للامر ونظيره لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لاتزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم لاينتقلون الى دار أخرى وانهم اذا ماتوا لايزالون عن تلك الحالة الى حالة أخرى كقوله ـ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت ـ ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصى كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغنى وأقام وقد يستعمل بمعني التبوؤ فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار ﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ بما تشاهدونه في منازلهم من آثار مانزل بهم وماتواتر عندكم من أخبارهم ﴿وضربنا لكم الامثال﴾ من أحوالهم أى بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أوصفات مافعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة ﴿وقد مكروا مكرهم﴾ المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل ﴿وعند الله مكرهم﴾ ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أوعنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له ﴿وان كان مكرهم﴾ في العظم والشدة ﴿لتزول منه الجبال﴾ مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله ـ وما كان الله ليعذبهم ـ على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ماهو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى وأصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول، الثانى ايذانا بأنه لايخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لايخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسله ﴿ان الله عزيز﴾ غالب لايماكر قادر لايدافع ﴿ذو انتقام﴾ لاوليائه من أعدائه ﴿يوم تبدّل الارض غير الارض﴾ بدل من يوم يأتيهم أوظرف للانتقام أومقدرباذكر أولايخلف وعده ولايجوز أن ينتصب بمخلف لان ماقبل أن لايعمل فيما بعده ﴿والسموات﴾ عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله ـ يبدل الله سيآتهم حسنات ـ والآية تحتملهما فعن على رضى الله تعالى عنه تبدّل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لاترى فيها عوجا ولا أمتا *واعلم أنه لايلزم على الوجه الاول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على الحقيقة ولايبعد على الثانى أن يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر به قوله تعالى ـ كلاّ ان كتاب الابرار لفي عليين ـ وقوله ـ ان كتاب الفجار لفي سجين ـ ﴿وبرزوا﴾ من أجداثهم ﴿لله الواحد القهار﴾ لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الامر في غاية الصعوبة كقوله ـ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ـ فان الامر اذا كان لواحد غلاب لايغالب فلامستغاث لاحد الى غيره ولامستجار ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرّنين﴾ قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله ـ واذا النفوس زوّجت ـ أو قرنوا مع الشياطين أومع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة أوقرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم ﴿في الاصفاد﴾ متعلق بمقرنين أوحال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق وأصله الشد ﴿سرابيلهم﴾ قمصانهم ﴿من قطران﴾ وجاء قطران لغتين فيه وهو مايتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيآت الوحشية فيجلب اليها أنواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس أوالصفر المذاب والآني المتناهى حره والجملة حال ثانية أوحال من الضمير في مقرنين ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على أفئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوأة بالجهالات ونظيره قوله تعالى ـ أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ـ وقوله تعالى ـ يوم يسحبون في النار على وجوههم ـ ﴿ليجزي الله كل نفس﴾ أى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ﴿ما كسبت﴾ أوكل نفس من مجرمة أو مطيعة لانه اذا بين أن المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ﴿ان الله سريع الحساب﴾ لانه لايشغله حساب عن حساب ﴿هذا﴾ اشارة الى القرآن أوالسورة أو مافيه العظة والتذكير أو ماوصفه من قوله ولاتحسبن الله ﴿بلاغ للناس﴾ كفاية لهم في الموعظة ﴿ولينذروا به﴾ عطف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل أوتلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد

له ﴿ وليعلموا أنما هو اله واحد ﴾ بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أوالمنبهة على مايدل عليه ﴿وليذكر أولوا الالباب﴾ فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبدها

﴿ سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرّشد من الغيّ بيانا غريبا ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى أخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه أجرى مجراه وقيل مانكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الأمر * له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بأنهم لو كانوا يودّون الاسلام مرة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل
فسوف يعلمون * وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتب معلوم
* ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون * وقالوا يا أيها الذى
نزل عليه الذكر إنك لمجنون * لوما تأتينا بالملئكة إن كنت
من الصدقين * ما ننزل الملئكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين
* إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون * ولقد أرسلنا
من قبلك فى شيع الأولين * وما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزؤن * كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين
* لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين * ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا
إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون *

وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن ﴿ ذرهم ﴾ دعهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بدنياهم ﴿ ويلههم الأمل ﴾ ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من أهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدى اليه طول الأمل ﴿ وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ﴾ أجل مقدّر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل أن لاتدخلها الواو كقوله ـ الا لها منذرون ـ ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال أدخلت تأكيدا للصوقها بالموصوف ﴿ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون﴾ أى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر ﴾ نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم ألا ترى الى مانادوه له وهو قولهم ﴿ انك لمجنون ﴾ ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالى نزّل عليك الذكر أي القرآن ﴿ لو ماتأتينا ﴾ ركب لو مع ما كما ركبت مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض ﴿بالملائكة﴾ ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله تعالى ـ لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ـ أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الامم المكذبة قبل ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فى دعواك ﴿ ماينزل الملائكة ﴾ بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل ﴿ الا بالحق ﴾ الا تنزيلا ملتبسا بالحق أى بالوجه الذى قدّره واقتضته حكمته ولاحكمة فى أن تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا ولافى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى أوالعذاب ﴿ وما كانوا اذا منظرين ﴾ اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين ﴿ انا نحن نزّلنا الذكر ﴾ ردّ لانكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله ﴿ وانا له لحافظون ﴾ أى من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين ﴾ فى فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم ﴿ ومايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام وما للحال لايدخل الا مضارعا بمعني الحال أوماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية ﴿ كذلك نسلكه ﴾ ندخله ﴿ في قلوب المجرمين ﴾ والسلك ادخال الشئ في الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله ﴿لايؤمنون به﴾ له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أوبيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لايلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولايتعين أن تكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولاينافى كونها مفسرة للمعنى الأوّل بل يقوّيه ﴿وقد خلت سنة الأوّلين ﴾ أى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم أوباهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة ﴿ ولوفتحنا عليهم ﴾ أى على هؤلاء المقترحين ﴿بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴾ يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون أوتصعد الملائكة وهم يشاهدونهم ﴿ لقالوا ﴾ من غلوّهم في العناد وتشكيكهم فى الحق ﴿ انما سكرت أبصارنا ﴾ سدّت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أوحيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بأن مايرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر

﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا ﴾ اثنى عشر مختلفة الهيآت والخواص على مادلّ عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء ﴿ وزيناها ﴾ بالاشكال والهيآت البهية ﴿ للناظرين ﴾ المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها ﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ فلايقدر أن يصعد اليها ويوسوس الى أهلها ويتصرف فى أمرها ويطلع على أحوالها ﴿ الا من استرق السمع ﴾ بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاســه سرّا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولايقدح فيه تكوّنها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن من استرق السمع ﴿ فاتبعه ﴾ فتبعه ولحقه ﴿ شهاب مبين ﴾ ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق ﴿ والارض مددناها ﴾ بسطناها ﴿ وألقينا فيها رواسى ﴾ جبالا ثوابت ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ فى الارض أوفيها وفى الجبال ﴿ من كل شئ موزون ﴾ مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أومايوزن ويقدر أو له وزن في أبواب النعمة والمنفعة ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ معائش بالهمزة على التشبيه بشمائل ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ عطف على معايش أوعلى محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر مايظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لاتكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال ﴿ وان من شئ الا عندنا خزائنه ﴾ أى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه أضعاف ماوجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره أوشبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لايحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد ﴿ ومانتزله ﴾ من بقاع القدرة ﴿ الا بقدر معلوم ﴾ حدّه الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لابدّ له من مخصص حكيم ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾ حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أوملقحات للشجر ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله
* ومختبط مما تطيح الطوائح * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس ﴿ فأنزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه ﴾ فجعلناه لكم سقيا ﴿ وما أنتم له بخازنين ﴾ قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه أوحافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حدّ لابد له من سبب مخصص ﴿ وانا لنحن نحيي ﴾ بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها ﴿ ونميت ﴾ بازالتها وقد أوّل الحياة بما يعمّ الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴿ ونحن الوارثون ﴾ الباقون اذا مات الخلائق كلها ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر أومن خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أومن تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة أوتأخر لايخفى علينا شئ من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت ﴿ وان ربك هو يحشرهم ﴾ لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرّح به بقوله ﴿ انه حكيم ﴾ باهر الحكمة متقن في أفعاله ﴿ عليم ﴾ وسع علمه كل شئ ﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال ﴾ من طين يابس يصلصل أى يصوّت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا أنتن تضعيف صل ﴿ من حمأ ﴾ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من حمأ ﴿ مسنون ﴾ مصور من سنة الوجه أومنصوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصبّ فى القوالب من السن وهو الصبّ كأنه أفرغ الحمأ فصوّر منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سوّاه ونفخ فيه من روحه أومنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين ﴿ والجانّ ﴾ أبا الجنّ وقيل ابليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لأن تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره ﴿ خلقناه من قبل ﴾ من قبل خلق الانسان ﴿ من نار السموم ﴾ من نار الحرّ الشديد النافذ فى المسامّ ولا يمتنع خلق الحياة فى الأجرام البسيطة كما لايمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها أقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء ﴿ واذ قال ربك ﴾ واذكر وقت قوله ﴿ للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سوّيته ﴾ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ حتى جرى آثاره فى تجاويف أعضائه فحيي وأصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مرّ فى النساء ﴿ فقعوا له ﴾ فاسقطوا له ﴿ ساجدين ﴾ أمر من وقع يقع ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ أكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للاحاطة وبأجمعين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا ﴿ الا ابليس ﴾ ان جعل منقطعا اتصل به قوله ﴿ أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ أى ولكن ابليس أبى وان جعل متصلا كان استئنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۞ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۞ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۞ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۞ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۞ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۞ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ قَالَ لَمۡ أَكُن
لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ۞
قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ
يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَآ
أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞
إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۞ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ۞ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا
مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۞ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞
لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ۞
إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ
ءَامِنِينَ ۞ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ
مُّتَقَٰبِلِينَ ۞ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ
۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۞ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ۞

﴿ قال يا ابليس مالك ألا تكون ﴾ أيّ غرض لك فى أن لاتكون ﴿ مع الساجدين ﴾ لآدم ﴿ قال لم أكن لأسجد ﴾ اللام لتأكيد النفى أى لايصح منى وينافى حالى أن أسجد ﴿ لبشر ﴾ جسمانى كثيف وأنا ملك روحاني ﴿ خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ وهو أخسّ العناصر وخلقتني من نار وهي أشرفها استنقص آدم عليه السلام باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الأعراف ﴿ قال فاخرج منها ﴾ من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة ﴿ فانك رجيم ﴾ مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر أوشيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته ﴿ وانّ عليك اللعنة ﴾ هذا الطرد والابعاد ﴿ الى يوم الدين ﴾ فانه منتهى أمد اللعن فانه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء ومافي قوله ـ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ـ بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حدّ اللعن به لانه أبعد غاية يضربها الناس أولانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل ﴿ قال ربّ فانظرنى ﴾ فأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دلّ عليه ـ فاخرج منها فانك رجيم ـ ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ أراد أن يجد فسحة في الاغواء أونجاة من الموت اذ لاموت بعد وقت البعث فأجابه الى الاوّل دون الثاني ﴿ قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ المسمى فيه أجلك عند الله أوانقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أوّلا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولايلزم من ذلك أن لايموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث مع الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال ﴿ قال ربّ بما أغويتنى ﴾ الباء للقسم ومامصدرية وجوابه ﴿ لأزينن لهم فى الارض ﴾ والمعنى أقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التي هى دار الغرور كقوله أخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أوّلوا الاغواء بالنسبة الى الغىّ أو التسبب له بأمره اياه بالسجود لآدم عليه السلام أوبالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار أمهل أولم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لايخفى على ذوى الالباب ﴿ ولأغوينهم أجمعين ﴾ ولأحملنهم أجمعين على الغواية ﴿ الا عبادك منهم المخلصين ﴾ الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلايعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبوعمرو بالكسر في كل القرآن أى الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى ﴿ قال هذا صراط علىّ ﴾ حق علىّ أن أراعيه ﴿ مستقيم ﴾ لا انحراف عنه والاشارة الى ماتضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه أوالاخلاص على معنى انه طريق علىّ يؤدى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلال وقرئ علىّ من علوّ الشرف ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ﴾ تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولأن المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أوتكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال ـ وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ـ وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الأول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناءين ﴿ وان جهنم لموعدهم ﴾ لموعد الغاوين أوالمتبعين ﴿ أجمعين ﴾ تأكيد للضمير أوحال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل ﴿ لها سبعة أبواب ﴾ يدخلون منها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعلّ تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوّة الشهوية والغضبية أولأن أهلها سبع فرق ﴿ لكل باب منهم ﴾ من الأتباع ﴿ جزء مقسوم ﴾ أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن في الظرف لا فى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها ﴿ ان المتقين ﴾ من أتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة ﴿ فى جنات وعيون ﴾ لكل واحد جنة وعين أولكل عدة منهما كقوله تعالى ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ ثم قوله ـ ومن دونهما جنتان ـ وقوله ـ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ـ الآية وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ﴿ ادخلوها ﴾ على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلايكسر التنوين ﴿ بسلام ﴾ سالمين أومسلما عليكم ﴿ آمنين ﴾ من الآفة والزوال ﴿ ونزعنا ﴾ فى الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو في الجنة بتطييب نفوسهم ﴿ مافي صدورهم من غلّ ﴾ من حقد كان في الدنيا * وعن علىّ رضى الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أومن التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب ﴿ اخوانا ﴾ حال من الضمير فى جنات أوفاعل ادخلوها أو الضمير فى آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله ﴿ على سرر متقابلين ﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لاخوانا أوحال من ضميره لانه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالا من المستقر فى على سرر ﴿ لايمسهم فيها نصب ﴾ استئناف أوحال بعدحال أوحال من الضمير فى متقابلين ﴿ وماهم منها بمخرجين ﴾ فان تمام النعمة بالخلود ﴿ نبئ عبادى أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾ فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفى عطف ﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم ﴾ على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به

﴿اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أى نسلم عليك سلاما أوسلمنا سلاما ﴿قال انا منكم وجلون﴾ خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره ﴿قالوا لاتوجل﴾ وقرئ لاتأجل ولاتوجل من أوجله ولاتواجل من واجله بمعنى أوجله ﴿انا نبشرك﴾ استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لايخاف منه وقرأ حمزة نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر ﴿بغلام﴾ هو اسحق عليه السلام لقوله وبشرناه باسحق ﴿عليم﴾ اذا بلغ ﴿قال أبشرتموني على أن مسني الكبر﴾ تعجب من أن يولد له مع مس الكبر اياه أوانكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذا قوله ﴿فبم تبشرون﴾ أي فبأى أعجوبة تبشرون أوفبأى شئ تبشرون فان البشارة بمالا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وكسرها وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية وكسرها على الياء ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بما يكون لامحالة أوباليقين الذى لالبس فيه أوبطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وأمره ﴿فلاتكن من القانطين﴾ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون﴾ المخطؤن طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي فما شأنكم الذى أرسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام أولانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولوكانت تمام المقصود لابتدؤا بها ﴿قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنى قوم لوط ﴿الا آل لوط﴾ ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذالقوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكأن المعني انا أرسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط منهم ويدل عليه قوله ﴿انا لمنجوهم أجمعين﴾ أى مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله ﴿الا امرأته﴾ استثناء من آل لوط أومن ضميرهم وعلى الاول لا يكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا ﴿قدرنا انها لمن الغابرين﴾ الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبوبكر عن عاصم قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعني القضاء قول وأصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه وتعالى لما لهم من القرب والاختصاص به ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون﴾ تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة أن تطرقونى بشر ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ أى ماجئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفى لك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه ﴿وأتيناك بالحق﴾ باليقين من عذابهم ﴿وانا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به ﴿فأسر باهلك﴾ فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السري وهما بمعنى وقرئ فسر من السير ﴿بقطع من الليل﴾ فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال

افتحى الباب وانظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

﴿واتبع أدبارهم﴾ وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لينظر ماوراءه فيري من الهول مالا يطيقه أوفيصيبه ماأصابهم أوولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف امرؤ لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ الى حيث أمركم الله بالمضى اليه وهو الشام أومصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع ﴿وقضينا اليه﴾ أى وأوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ﴿ذلك الامر﴾ مبهم يفسره ﴿أن دابر هؤلاء مقطوع﴾ ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم أحد ﴿مصبحين﴾ داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء أومن الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء ﴿وجاء أهل المدينة﴾ سدوم ﴿يستبشرون﴾ باضياف لوط طمعا فيهم ﴿قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون﴾ بفضيحة ضيفى فان من أسىء الى ضيفه فقد أسىء اليه ﴿واتقوا الله﴾ فى ركوب الفاحشة ﴿ولاتخزون﴾ ولاتذلونى بسببهم من الخزى وهو الهوان أولاتخجلونى فيهم من الخزاية وهو الحياء ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ على أن تجير منهم أحدا أوتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أوعن ضيافة الناس وانزالهم ﴿قال هؤلاء بناتى﴾ يعنى نساء القوم فان نبى كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ﴿ان كنتم فاعلين﴾ قضاء الوطر أوما أقول لكم

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۞ قَالُوا
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ
أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۞ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْقَانِطِينَ ۞ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ
۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ
قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ۞ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞
إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ
الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۞ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا
كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞
فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ
الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ۞ وَجَاءَ أَهْلُ
الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ
۞ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۞ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ
الْعَالَمِينَ ۞ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞

(لعمرك) قسم بحياة المخاطب والمخاطب في هذا القسم هو النبي عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفي سكرتهم) لفي غوايتهم أوشدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذي يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (فأخذتهم الصيحة) يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالي المدينة أوعالي قراهم (سافلها) وصارت منقلبة بهم (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر أوطين عليه كتاب من السجل وقدتقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة أوالقرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان في ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا منهم) بالاهلاك (وانهما) يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احداهما منبها على الأخرى (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم مايؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح لانها مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر وادبين المدينة والشأم يسكنونه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم أومعجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها أومانصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها أومن

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ
مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً
مِنْ سِجِّيلٍ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا
لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنْ كَانَ
أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۞ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ
مُبِينٍ ۞ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمْ
آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا آمِنِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۞ فَمَا
أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ
لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ ۞ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقُلْ
إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۞ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۞

العذاب لفرط غفلتهم أوحسبانهم أن الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد (وما خلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق) الاخلقا ملتبسا بالحق لايلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض (وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها ممن كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولاتعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل ذلك اليه ليحكم بينكم أوهو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفي مصحف عثمان وأبيّ رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس أوالحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع (من المثاني) بيان للسبع والمثاني من التثنية أوالثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته أوألفاظه أوقصصه ومواعظه أومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز أومثن على الله بماهو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن أوكتب الله كلها فتكون من للتبعيض (والقرآن العظيم) ان أريد بالسبع الآيات أوالسور فمن عطف الكل على البعض أوالعام على الخاص وان أريد به الاسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر (لاتمدّنّ عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب (الى مامتعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ماأوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات * وفي حديث أبي بكر رضى الله تعالى عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا * وروى أنه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذى أنزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فأهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى أنزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما أوقسموه الى شعر وسحر وكهانة وأساطير الاوّلين أوأهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لاتمدن عينيك الخ اعتراضا ممدا لها

﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته اذابهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل أسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ من التقسيم أو النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام في كل مافعلوا من الكفر والمعاصى ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل وأصله الابانة والتميز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أى بما تؤمر به من الشرائع ﴿وأعرض عن المشركين﴾ ولا تلتفت الى مايقولون ﴿انا كفيناك المستهزئين﴾ بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى أنف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى ﴿الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون﴾ عاقبة أمرهم فى الدارين ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على أن هداك للحق ﴿وكن من الساجدين﴾ من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أى الموت فانه متيقن لحاقه كل حىّ مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخلّ بالعبادة لحظة ❊ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم

❊﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾❊

﴿بسم الله الرحمن الرحيم ❊ أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ كانوا يستعجلون ماأوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة أو اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ماتقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى أن الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولا خلاص لكم منه ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ تبرأ وجل عن أن يكون له شريك فيدفع ماأراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ بالوحى أو القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ماتحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل ﴿من أمره﴾ بامره أو من أجله ﴿على من يشاء من عباده﴾ أن يتخذه رسولا ﴿أن أنذروا﴾ بان أنذروا أى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته ﴿أنه لا اله الا أنا فاتقون﴾ ان الشأن لا اله الا أنا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصى بأنه لا اله الا أنا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وأن مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة وأن حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوّة العلمية والامر بالتقوى الذى هو أقصى كمال القوّة العملية وان النبوّة عطائية والآيات التى بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿تعالى عما يشركون﴾ منهما أو مما يفتقر فى وجوده أو بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الاجرام ﴿خلق الانسان من نطفة﴾ جماد لاحس بها ولا حراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل ﴿فاذا هو خصيم﴾ منطيق مجادل ﴿مبين﴾ للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم ❊ روي ان أبيّ بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يامحمد أترى الله يحيي هذا بعد ماقد رمّ فنزلت ﴿والانعام﴾ الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره ﴿خلقها لكم﴾ أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ماخلقت لأجله ومابعده تفصيل له ﴿فيها دفء﴾ مايدفأ به فيقي البرد ﴿ومنافع﴾ نسلها ودرّها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ﴿ومنها تأكلون﴾ أي تأكلون مايؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى أو لان الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى أو التفكه

الذين جعلوا القرآن عضين ۞ فوربك لنسئلنهم أجمعين
عما كانوا يعملون ۞ فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين ۞ إنا كفيناك المستهزءين ۞ الذين يجعلون
مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ۞ ولقد نعلم أنك يضيق
صدرك بما يقولون ۞ فسبح بحمد ربك وكن
من الساجدين ۞ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ۞

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم
أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحنه وتعلى عما يشركون ۞
ينزل الملئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده
أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون ۞ خلق السموت
والأرض بالحق تعلى عما يشركون ۞ خلق الإنسان
من نطفة فإذا هو خصيم مبين ۞ والأنعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ۞

ولكم

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ
أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ الَّذِي
أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ
وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

﴿ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها فى الوقتين ويجل أهلها في أعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها أظهرفانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائرحاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه ﴿وتحمل أثقالكم﴾ أحمالكم ﴿الى بلد لم تكونوا بالغيه﴾ أى ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه ﴿الابشق الأنفس﴾ الابكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب ﴿ان ربكم لرؤف رحيم﴾ حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم ﴿والخيل والبغال والحمير﴾ عطف على الانعام ﴿لتركبوها وزينة﴾ أى لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن يكون علة لتركبوها أومصدرا فى موضع الحال من أحد الضميرين أى متزينين أومتزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولادليل فيه اذ لايلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا أن لايقصد منه غيره أصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ﴿ويخلق مالاتعلمون﴾ لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا أوغير ضرورى أجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالاعلم لنا به وأن يراد به ماخلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أواقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أوعليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لامحالة يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لايميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف اليه القصد وقال ﴿ومنها جائر﴾ حائد عن القصد أوعن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى أن يبين طرق الضلالة أولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أى عن القصد ﴿ولو شاء﴾ الله ﴿لهداكم أجمعين﴾ أى ولوشاء هدايتكم أجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء ﴿هو الذى أنزل من السماء﴾ من السحاب أومن جانب السماء ﴿ماء لكم منه شراب﴾ ماتشربونه ولكم صلة أنزل أوخبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولاباس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ﴿ومنه شجر﴾ ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل مانبت على الارض شجر قال

يعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل فى اطعامها اللحم ضرر

﴿فيه تسيمون﴾ ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصله السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ﴿ينبت لكم به الزرع﴾ وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم ﴿والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات﴾ وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل مايمكن من الثمار ولعل تقديم مايسام فيه على مايؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو أشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيهافينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق أسفلهافيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم أن ذلك ليس الابفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم﴾ بان هياها لمنافعكم ﴿مسخرات بأمره﴾ حال من الجميع أى نفعكم بهاحال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء أو لماخلقن له بايجاده وتقديره أو لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى أن يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فان ذلك ان سلم فلاريب فى انها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجود المحتملة فلابد لهامن موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعدتخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا ﴿ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ جمع الآية وذكر العقل لانهاتدل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات ﴿وماذرأ لكم فى الارض﴾ عطف على الليل أى وسخر لكم ماخلق لكم فيها من حيوان ونبات ﴿مختلفا ألوانه﴾ أصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ﴿ان في ذلك لآية لقوم يذكرون﴾ ان اختلافها فى الطباع والهيآت والمناظر ليس الابصنع صانع حكيم ﴿وهو الذى سخر البحر﴾ جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص ﴿لتأكلوا منه لحما طريا﴾ هوالسمك ووصفه بالطراوة لانه أرطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى أكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على أن من حلف ان لايأكل لحماحنث باكل السمك* وأجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لايفهم منه عند الاطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة ولايحنث الحالف على أن لايركب دابة بركوبه ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم ﴿وترى الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهوشق الماء وقيل صوت جرى الفلك ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ من سعة رزقه بركوبها للتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه أقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش

١ ﴿وألقى فى الارض رواسى﴾ جبالا رواسي ﴿أن تميد بكم﴾ كراهة أن تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة * وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال ﴿وأنهارا﴾ وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معناه ﴿وسبلا لعلكم تهتدون﴾ لمقاصدكم أو الى معرفة الله سبحانه وتعالى ﴿وعلامات﴾ معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم ﴿أفمن يخلق كمن لايخلق﴾ انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ماعدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته مالايقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لايخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على أنهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبها بها والمراد بمن لايخلق كل ماعبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه أولوا العلم منهم أو الاصنام وأجروها مجرى أولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله أن يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو المبالغة وكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لايخلق من أولى العلم فكيف بما لاعلم عنده ﴿أفلا تذكرون﴾ فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بأدنى تذكر والتفات ﴿وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها﴾ لاتضبطوا عددها فضلا أن تطنقوا القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ماعدد نعما لاتنحصر وأن حق عبادته تعالى غير مقدور ﴿ان الله لغفور﴾ حيث يتجاوز عن تقصير فى أداء شكرها ﴿رحيم﴾ لايقطعها لتفريطكم فيه ولايعاجلكم بالعقوبة على كفرانها ﴿والله يعلم ماتسرون وماتعلنون﴾ من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة ﴿والذين تدعون من دون الله﴾ أى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء ﴿لايخلقون شيأ﴾ لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين أنهم لايخلقون شيا لينتج أنهم لايشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال ﴿وهم يخلقون﴾ لانهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى أن يكون واجب الوجود ﴿أموات﴾ هم أموات لاتعتريهم الحياة أو أموات حالا أو مآلا ﴿غير أحياء﴾ بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى أن يكون حيا بالذات لايعتريه الممات ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ولايعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى أن يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف ﴿الهكم اله واحد﴾ تكرير للمدعي بعد اقامة الحجج ﴿فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالايعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين ﴿لاجرم﴾ حقا ﴿أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون﴾ فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر أو فعل ﴿انه لايحب المستكبرين﴾ فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع الرسول ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم﴾ القائل بعضهم على التهكم أو الوافدون عليهم أو المسلمون ﴿قالوا أساطير الاولين﴾ أى ماتدعون نزوله أو المنزل أساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم أو على الفرض أي على تقدير أنه منزل فهو أساطير الاولين لاتحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة﴾ أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴿بغير علم﴾ حال من المفعول أى يضلون من لايعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لايعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ﴿ألاساء مايزرون﴾ بئس شيأ يزرونه فعلهم ﴿قد مكر الذين من قبلهم﴾ أى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ فأتاها أمره من جهة العمد التى بنوا عليها بأن ضعضعت ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ وصار سبب هلاكهم ﴿وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ لايحتسبون ولايتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا

وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝

﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ يذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله تعالى ـ ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ـ ﴿ ويقول أين شركائي ﴾ أضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم ﴿ الذين كنتم تشاقون فيهم ﴾ تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عزّ وجل ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ أي الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم أو الملائكة ﴿ ان الخزى اليوم والسوء ﴾ الذلة والعذاب ﴿ على الكافرين ﴾ وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الأوجه الثلاثة ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ بأن عرضوها للعذاب المخلد ﴿ فألقوا السلم ﴾ فسالموا وأخبتوا حين عاينوا الموت ﴿ ماكنا ﴾ قائلين ما كنا ﴿ نعمل من سوء ﴾ كفر وعدوان ويجوز أن يكون تفسيرا للسلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام ﴿ بلى ﴾ أى فتجيبهم الملائكة بلى ﴿ ان الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ماكنا نعمل من سوء بأنا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل أن يكون الرّاد عليهم هو الله تعالى أو أولوا العلم ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾ كل صنف بابها المعدّ له وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها ﴿ خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ جهنم ﴿ وقيل للذين اتقوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ﴾ أى أنزل خيرا وفى نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا فى الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة ❊ روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ مكافأة في الدنيا ﴿ ولدار الآخرة خير ﴾ أى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على أنه منتصب بقالوا ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله ﴿ جنات عدن ﴾ خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح ﴿ يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن ﴾ من أنواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على أن الانسان لايجد جميع ما يريده الا فى الجنة ﴿ كذلك يجزى الله المتقين ﴾ مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس ﴿ يقولون سلام عليكم ﴾ لايحيقكم بعد مكروه ﴿ أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ حين تبعثون فانها معدّة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الأمر بالدخول حينئذ ﴿ هل ينظرون ﴾ ماينتظر الكفار المارّ ذكرهم ﴿ الا أن تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض أرواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ القيامة أو العذاب المستأصل ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب ﴿ فعل الذين من قبلهم ﴾ فأصابهم ما أصابوا ﴿ وما ظلمهم الله ﴾ بتدميرهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه ﴿ فأصابهم سيآت ما عملوا ﴾ أى جزاء سيآت أعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وأحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشرّ

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ
تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ
وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ❁ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ
أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ❁ فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا
فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ❁ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ
رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ❁ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ
كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ❁ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ
طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
❁ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ
رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ❁ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ
مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ❁

﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولاحرّمنا من دونه من شئ ﴾ انما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما أو انكارا لقبح ما أنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ فأشركوا بالله وحرّموا حله وردّوا رسله ﴿ فهل على الرسل الا البلاغ المبين ﴾ الا الابلاغ الموضح للحق وهو لايؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدّرها له ثم بين ان البعثة أمر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقوّيه ويضرّ المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت ﴿ فمنهم من هدى الله ﴾ وفقهم للايمان بارشادهم ﴿ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى ﴿ فسيروا فى الارض ﴾ يامعشر قريش ﴿ فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ﴿ ان تحرص ﴾ يامحمد ﴿ على هداهم فان الله لايهدى من يضلّ ﴾ من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لايهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ من ينصرهم بدفع العذاب عنهم ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت ﴾ عطف على وقال الذين أشركوا ايذانا بانهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده ولقد ردّ الله عليهم أبلغ ردّ فقال ﴿ بلى ﴾ يبعثهم ﴿ وعدا ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان يبعث موعد من الله ﴿ عليه ﴾ انجازه لامتناع الخلف فى وعده أولان البعث مقتضى حكمته ﴿ حقا ﴾ صفة أخرى للوعد ﴿ ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ﴾ أنهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ﴿ ليبين لهم ﴾ أى يبعثهم ليبين لهم ﴿ الذى يختلفون فيه ﴾ وهو الحق ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ فيما يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال ﴿ انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ وهو بيان امكانه وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لاتوقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الاشياء ابتداء بلاسبق مادة ومثال أمكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى يس فيكون عطفا على نقول أو جوابا للامر ﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا ﴾ هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبوجندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله أى فى حقه ولوجهه ﴿ لنبوّئنهم فى الدنيا حسنة ﴾ مباءة حسنة وهى المدينة أوتبوئة حسنة ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ مما يعجل لهم في الدنيا * وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ماوعدك الله فى الدنيا وما ادّخر لك فى الآخرة أفضل ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ الضمير للكفار أى لوعلموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم أو للمهاجرين أى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم ﴿ الذين صبروا ﴾ على الشدائد كأذى الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب أوالرفع على المدح ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ منقطعين الى الله مفوّضين اليه الامر كله

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ ٱللّٰهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ نَحْنُ وَلَآ اٰبَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلٰغُ ٱلْمُبِينُ ❀ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللّٰهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطّٰغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى ٱللّٰهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلٰلَةُ فَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ❀ إِنْ تَحْرِصْ عَلٰى هُدٰيهُمْ فَإِنَّ ٱللّٰهَ لَا يَهْدِى مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نٰصِرِينَ ❀ وَأَقْسَمُوا بِٱللّٰهِ جَهْدَ أَيْمٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ بَلٰى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ❀ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كٰذِبِينَ ❀ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنٰهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ❀ وَٱلَّذِينَ هٰاجَرُوا فِى ٱللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ❀ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ❀

﴿ وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ﴾ ردّ لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا أى جرت السنة الالهية بان لايبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه ﴿ فاسئلوا أهل الذكر ﴾ أهل الكتاب أوعلماء الأحبار ليعلموكم ﴿ ان كنتم لاتعلمون ﴾ وفى الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولاملكا للدعوة العامة وقوله ـ جاعل الملائكة رسلا ـ معناه رسلا الى الملائكة أوالى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال*ورد بما روى أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل صلوات الله عليه على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لايعلم ﴿ بالبينات والزبر ﴾ أى أرسلناهم بالبينات والزبر أى المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا أى وماأرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ماضربت الا زيدا بالسوط أوصفة لهم أى رجالا ملتبسين بالبينات أوبيوحى على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله فاسألوا اعتراض أو بلاتعلمون على أن الشرط للتبكيت والالزام ﴿وأنزلنا اليك الذكر﴾ أى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه ﴿ لتبين للناس مانزل اليهم ﴾ فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما أمروا به ونهوا عنه أوبما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد الى مايدل عليه كالقياس ودليل العقل ﴿ ولعلهم يتفكرون ﴾ وارادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق ﴿ أفأمن الذين مكروا السيآت ﴾ أى المكرات السيآت وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء أوالذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صدّ أصحابه عن الايمان ﴿ أن يخسف الله بهم الارض ﴾ كما خسف بقارون ﴿ أويأتيهم العذاب من حيث لايشعرون ﴾ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط ﴿ أويأخذهم فى تقلبهم ﴾ أى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم ﴿ فماهم بمعجزين أو يأخذهم على تخوّف ﴾

وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ۞ بالبينت والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ۞ أفأمن الذين مكروا السيات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ۞ أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ۞ أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم ۞ أولم يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيؤا ظلله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ۞ ولله يسجد ما في السموت وما في الأرض من دابة والملئكة وهم لا يستكبرون ۞ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ۞ وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون ۞ وله ما في السموت والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون ۞ وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجـٔرون ۞ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ۞

على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوّفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوّفون أوعلى أن ينقصهم شيأ بعد شئ فى أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته * روى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوّف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته

تخوّف الرحل منها بامكاقردا * كما تخوّف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم ﴿ فان ربكم لرؤف رحيم ﴾ حيث لايعاجلكم بالعقوبة ﴿ أولم يروا الى ماخلق الله من شئ ﴾ استفهام انكار أى قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وماموصولة مبهمة بيانها ﴿ يتفيؤ ظلاله ﴾ أى أولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وأبوعمرو تتفيؤ بالتاء ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ عن أيمانها وعن شمائلها أى عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعلّ توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه فى قوله ﴿ سجدا لله وهم داخرون ﴾ وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب أو سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أوباختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى أنفسها أيضا داخرة أى صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل أولأن الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له من الارض فان الظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ﴿ ولله يسجد مافى السموات ومافي الارض ﴾ أى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله ﴿ من دابة ﴾ بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في أرض أوسماء ﴿ والملائكة ﴾ عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أوعطف المجرّدات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة أرواح مجرّدة أوبيان لما في الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما اوالمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كأن استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء ﴿ وهم لايستكبرون ﴾ عن عبادته ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أويخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى ـ وهو القاهر فوق عباده ـ والجملة حال من الضمير فى لايستكبرون أوبيان له وتقرير لأن من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ﴿ ويفعلون مايؤمرون ﴾ من الطاعة والتدبير وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مداورون بين الخوف والرجاء ﴿ وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين ﴾ ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهى اليه أوايماء بأن الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد فى قوله ﴿انما هو اله واحد﴾ للدلالة على أن المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية أوللتنبيه على أن الوحدة من لوازم الالهية ﴿ فاياى فارهبون ﴾ نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فأنا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لاغير ﴿ وله مافى السموات والارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ وله الدين ﴾ أى الطاعة ﴿ واصبا ﴾ لازما لما تقرر من أنه الاله وحده والحقيق بأن يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لاينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر ﴿ أفغير الله تتقون ﴾ ولاضارّ سواه كما لانافع غيره كما قال تعالى ﴿ ومابكم من نعمة فمن الله ﴾ أي وأى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وماشرطية أوموصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ﴿ ثم اذا مسكم الضرّ فاليه تجأرون ﴾ فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة ﴿ ثم اذا كشف الضرّ عنكم اذا فريق منكم ﴾ وهم كفاركم ﴿ بربهم يشركون ﴾ بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال اذا فريق وهم أنتم ويجوز أن تكون من للتبعيض على أن يعتبر بعضهم كقوله تعالى ـ فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ـ

﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو انكار كونها من الله تعالى ﴿ فتمتعوا ﴾ أمر تهديد ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ﴿ ويجعلون لما لايعلمون ﴾ أى لآلهتهم التى لاعلم لها لانها جماد فيكون الضمير لما أو التى لايعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف أو لجهلهم على أن ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به ﴿ نصيبا مما رزقناهم ﴾ من الزروع والانعام ﴿ تالله لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ﴿ ويجعلون لله البنات ﴾ كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله ﴿ سبحانه ﴾ تنزيه له من قولهم أو تعجب منه ﴿ ولهم مايشتهون ﴾ يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على أن الجعل بمعنى الاختيار وهو وان أفضى الى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لايبعد تجويزه فى المعطوف ﴿ واذا بشر أحدهم بالانثى ﴾ أخبر بولادتها ﴿ ظل وجهه ﴾ صار أو دام النهار كله ﴿ مسودا ﴾ من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير ﴿ وهو كظيم ﴾ مملوء غيظا من المرأة ﴿ يتوارى من القوم ﴾ يستخفى منهم ﴿ من سوء مابشر به ﴾ من سوء المبشر به عرفا ﴿ أيمسكه ﴾ محدثا نفسه متفكرا فى أن يتركه ﴿ على هون ﴾ ذل ﴿ أم يدسه في التراب ﴾ أى يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما ﴿ ألا ساء مايحكمون ﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم ﴿ للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ﴾ صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ المنفرد بكمال القدرة والحكمة ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ ماترك عليها ﴾ على الارض وانما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها ﴿ من دابة ﴾ قط بشؤم ظلمهم * وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ﴿ ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ﴾ سماه لاعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا ﴿ فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾ بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لامحالة ولايلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز أن يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن أكثرهم ﴿ ويجعلون لله مايكرهون ﴾ أى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الاموال ﴿ وتصف ألسنتهم الكذب ﴾ مع ذلك وهو ﴿ أن لهم الحسنى ﴾ أي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة ﴿ لاجرم أن لهم النار ﴾ رد لكلامهم واثبات لضده ﴿ وأنهم مفرطون ﴾ مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الافراط في المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات ﴿ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ أى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أى زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف أى فهو ولى أمثالهم والولى القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ فى القيامة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم ﴾ للناس ﴿ الذى اختلفوا فيه ﴾ من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الافعال ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۞ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ۞ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞

﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيابه الارض بعد موتها ﴾ أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ سماع تدبر وانصاف ﴿ وان لكم فى الانعام لعبرة ﴾ دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم ﴿ نسقيكم مما فى بطونه ﴾ استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وأنثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها أولواحده أوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين ﴿ من بين فرث ودم لبنا ﴾ فانه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لايتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على مايليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أوبعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والألبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على مايليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الأولى تبعيضية لان اللبن بعض مافى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَإِنَّ لَكُمْ
فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۞ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ
وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي
مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ
مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ
لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ
۞ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ
فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۞

من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدأ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم أوحال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة ﴿ خالصا ﴾ صافيا لايستصحب لون الدم ولارائحة الفرث أومصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه ﴿ سائغا للشاربين ﴾ سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب ﴾ متعلق بمحذوف أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وقوله ﴿ تتخذون منه سكرا ﴾ استئناف لبيان الاسقاء أوبتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أوخبر لمحذوف صفته تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير أولان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر ﴿ ورزقا حسنا ﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال

* جعلت أعراض الكرام سكرا * أى تنقلت بأعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من اثمانه ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات ﴿ وأوحى ربك الى النحل ﴾ ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ﴿ أن اتخذى ﴾ بأن اتخذى ويجوز أن تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر ﴿ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم أوسقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق المهندسين الابآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء ﴿ ثم كلى من كل الثمرات ﴾ من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها ﴿ فاسلكى ﴾ ما أكلت ﴿ سبل ربك ﴾ فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أوفاسلكى الطرق التى ألهمك فى عمل العسل أوفاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس ﴿ ذللا ﴾ جمع ذلول وهى حال من السبل أى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك أومن الضمير فى اسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به ﴿ يخرج من بطونها ﴾ كأنه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لأجلهم ﴿ شراب ﴾ يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم أن النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى بطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه ﴿ مختلف ألوانه ﴾ أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف

سن النحل والفصل ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية أومع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الاوالعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أولما بين الله من أحوال النحل ﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ﴾ بآجال مختلفة ﴿ ومنكم من يرد ﴾ يعاد ﴿ الى أرذل العمر ﴾ أخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيأ ﴾ ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية فى النسيان وسوء الفهم ﴿ ان الله عليم ﴾ بمقادير أعماركم ﴿ قدير ﴾ يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ ﴿ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ﴾ فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك ﴿ فما الذين فضلوا برادى رزقهم ﴾ بمعطى رزقهم ﴿ على ماملكت أيمانهم ﴾ على مماليكهم فان مايردون عليهم رزقهم الذى جعله الله فى أيديهم ﴿ فهم فيه سواء ﴾ فالموالى والمماليك سواء فى أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أومقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم

فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه ﴿ أفبنعمة الله يجحدون ﴾ حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى أن يضاف اليهم بعض ماأنعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله أوحيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ماأنعم الله عليهم بايضاحهم والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبوبكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم * ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ أى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوّاء من آدم ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ وأولاد أولاد أوبنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من اللذائذ أوالحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا أنموذج منها ﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ وهو ان الأصنام تنفعهم أوأن من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب ﴿ وبنعمة الله هم يكفرون ﴾ حيث أضافوا نعمه الى الأصنام أوحرموا ماأحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام أولايهام التخصيص مبالغة أوللمحافظة على الفواصل ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيأ ﴾ من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والافبدل منه ﴿ ولايستطيعون ﴾ أن يتملكوه أولا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى لايملك لأن مامفرد فى معنى الالهة ويجوز أن يعود الى الكفار أى ولايستطيع هؤلاء مع انهم أحياء متصرفون شيأ من ذلك فكيف بالجماد ﴿ فلاتضربوا لله الأمثال ﴾ فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أوتقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ﴿ ان الله يعلم ﴾ فساد ماتعوّلون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل فى التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى أوانه يعلم كنه الأشياء وأنتم لاتعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فانه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون*ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون ﴾ مثل مايشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرافهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاءواحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فانه أيضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لايملك والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لأنه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد ﴿ الحمد لله ﴾ كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها ﴿ بل أكثرهم لايعلمون ﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لأجلها ﴿ وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ﴾ ولد أخرس لايفهم ولايفهم ﴿ لايقدر على شئ ﴾ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله ﴿ وهو كلّ على مولاه ﴾ عيال وثقل على من يلى أمره ﴿ أينما يوجهه ﴾ حيثما يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله أينماأوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضى ﴿ لايأت بخير ﴾ بنجح وكفاية مهم ﴿ هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ﴾ ومن هو فهم منطيق ذوكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل ﴿ وهو على صراط مستقيم ﴾ وهو فى نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الاويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال مايقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها أوللمؤمن والكافر ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن أهل السموات والأرض ﴿ وما أمر الساعة ﴾ وماأمر قيام الساعة فى سرعته وسهولته ﴿ الا كلمح البصر ﴾ الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ﴿ أوهو أقرب ﴾ أوأمرها أقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى تبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة ومايوجد دفعة كان فى آن وأوللتخيير أوبمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى تقولون فيه هو كلمح البصر أوهو أقرب مبالغة فى استقرابه ﴿ ان الله على كل شئ قدير ﴾ فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة أواتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق ﴿ لاتعلمون شيأ ﴾ جهالا مستصحبين جهل الجمادية ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ كي تعرفوا ماأنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ
وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ
هُمْ يَكْفُرُونَ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ
رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ فَلَا
تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ
مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى
مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ
مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

(ألم يروا الى الطير) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (في جوّ السماء) في الهواء المتباعد من الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها (ان في ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعني مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) ووضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (أثاثا) ما يلبس ويفرش (ومتاعا) ما يتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة أو الى حين مماتكم أو الى أن تقضوا منه أوطاركم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتقون بها حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين أو لان وقاية الحر كانت أهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التي تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمت الله) أى يعرف المشركون نعمة الله التى عدّدها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو باعراضهم عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط فى النظر أو لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما فى قوله بل أكثرهم لا يعلمون (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلى على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون من العتبى وهى الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر أو خوّفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) أى العذاب (ولا هم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التى ادعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك) نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس لان يشطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أى أجابوهم بالتكذيب فى أنهم شركاء الله أو أنهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا أهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم اياه كقوله ـ وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ـ

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ۞ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ۞ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۞ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ۞

﴿ وألقوا ﴾ وألقى الذين ظلموا ﴿ الى الله يومئذ السلم ﴾ الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا ﴿ وضل عنهم ﴾ وضاع عنهم وبطل ﴿ ما كانوا يفترون ﴾ من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر ﴿ زدناهم عذابا ﴾ لصدهم ﴿ فوق العذاب ﴾ المستحق بكفرهم ﴿ بما كانوا يفسدون ﴾ بكونهم مفسدين بصدهم ﴿ ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ﴾ يعنى نبيهم فان نبي كل أمة بعث منهم ﴿ وجئنا بك ﴾ يامحمد ﴿ شهيدا على هؤلاء ﴾ على أمتك ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ استئناف أوحال باضمار قد ﴿ تبيانا ﴾ بيانا بليغا ﴿ لكل شئ ﴾ من أمور الدين على التفصيل أوالاجمال بالاحالة الى السنة أوالقياس ﴿ وهدى ورحمة ﴾ للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ خاصة ﴿ ان الله يأمر بالعدل ﴾ بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير ﴿ والاحسان ﴾ احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿ وايتاء ذى القربى ﴾ واعطاء الاقارب مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة ﴿ وينهى عن الفحشاء ﴾ عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه أقبح أحوال الانسان وأشنعها ﴿ والمنكر ﴾ ماينكر على متعاطيه فى اثارة القوة الغضبية ﴿ والبغى ﴾ والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هي مقتضى القوة الوهمية ولايوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هي أجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غيرهذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ـ ونزلنا عليك الكتاب ـ للتنبيه عليه ﴿ يعظكم ﴾ بالامر والنهى والميز بين الخير والشر ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ تتعظون ﴿ وأوفوا بعهد الله ﴾ يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ـ ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ـ وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولايلائمه قوله ﴿ اذا عاهدتم ﴾ وقيل النذور وقيل الايمان بالله ﴿ ولاتنقضوا الايمان ﴾ أى ايمان البيعة أومطلق الايمان ﴿ بعد توكيدها ﴾ بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة ﴿ وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ﴾ شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ﴿ ان الله يعلم ماتفعلون ﴾ من نقض الايمان والعهود ﴿ ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها ﴾ ماغزلته مصدر بمعنى المفعول ﴿ من بعد قوة ﴾ متعلق بنقضت أى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام ﴿ أنكاثا ﴾ طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها أوالمفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك ﴿ تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ﴾ حال من الضمير فى ولاتكونوا أوفى الجار الواقع موقع الخبر أى لاتكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم وأصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه ﴿ أن تكون أمة هى أربى من أمة ﴾ لان تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أولكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأواشوكة في أعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم ﴿ انما يبلوكم الله به ﴾ الضمير لان تكون أمة لانه بمعنى المصدر أى يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للرباء وقيل للامر بالوفاء ﴿ وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب

وألقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا
يفترون ۝ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ۝
ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم
وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين
۝ ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون ۝ وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون
۝ ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد
قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون
أمة هى أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن
لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ۝

ولو

وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ
ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَكُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا
عِنْدَ اللّٰهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ مَا عِنْدَكُمْ
يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُ لَيْسَ
لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝
إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ
۝ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝

﴿ ولوشاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ متفقة على الاسلام ﴿ ولكن يضلّ من يشاء ﴾ بالخذلان ﴿ ويهدى من يشاء ﴾ بالتوفيق ﴿ ولتسئلنّ عما كنتم تعملون ﴾ سؤال تبكيت ومجازاة ﴿ ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ﴾ تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى ﴿ فتزلّ قدم ﴾ أي عن محجة الاسلام ﴿ بعد ثبوتها ﴾ عليها والمراد أقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة ﴿ وتذوقوا السوء ﴾ العذاب فى الدنيا ﴿ بما صددتم عن سبيل الله ﴾ بصددكم عن الوفاء أوصدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتدّ جعل ذلك سنة لغيره ﴿ ولكم عذاب عظيم ﴾ فى الآخرة ﴿ ولاتشتروا بعهد الله ﴾ ولاتستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ثمنا قليلا ﴾ عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون اضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد ﴿ ان ماعند الله ﴾ من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة ﴿ هو خير لكم ﴾ مما يعدونكم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من أهل العلم والتميز ﴿ ماعندكم ﴾ من أعراض الدنيا ﴿ ينفد ﴾ ينقضي ويفنى ﴿ وماعند الله ﴾ من خزائن رحمته ﴿ باق ﴾ لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق ﴿ وليجزين الذين صبروا أجرهم ﴾ على الفاقة وأذى الكفار أوعلى مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون ﴿ بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أوبجزاء أحسن من أعمالهم ﴿ من عمل صالحا من ذكر أوأنثى ﴾ بينه بالنوعين دفعا للتخصيص ﴿ وهو مؤمن ﴾ اذ لا اعتداد بأعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ من الطاعة ﴿ فاذا قرأت القرآن ﴾ اذا أردت قراءته كقوله تعالى ـ اذا قمتم الى الصلاة ـ ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلى يستعيذ فى كل ركعة لأن الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل * وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ﴿ انه ليس له سلطان ﴾ تسلط وولاية ﴿ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لايطيعون أوامره ولايقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الأمر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا ﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه ﴾ يحبونه ويطيعونه ﴿ والذين هم به ﴾ بالله أوبسبب الشيطان ﴿ مشركون واذا بدّلنا آية مكان آية ﴾ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أوحكما ﴿ والله أعلم بما ينزل ﴾ من المصالح فلعلّ ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه ومالايكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبوعمرو ينزل بالتخفيف ﴿ قالوا ﴾ أى الكفرة ﴿ انما أنت مفتر ﴾ متقوّل على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا ﴿ بل أكثرهم لايعلمون ﴾ حكمة الاحكام ولايميزون الخطأ من الصواب

﴿ قل نزّله روح القدس ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزّله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضى التبديل ﴿ من ربك بالحق ﴾ ملتبسا بالحكمة ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ ليثبت الله الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه وأنهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا مافيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ﴾ يعنون جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمرّ عليهما ويسمع مايقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبدالعزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى ﴿ لسان الذي يلحدون اليه أعجمى ﴾ لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمى غير بين ﴿ وهذا ﴾ وهذا القرآن ﴿ لسان عربي مبين ﴾ ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ماسمعه منه كلام أعجمى لايفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربى تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك أعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التى فى القرآن لايمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه فى بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ﴿ ان الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ لايصدقون أنها من عند الله ﴿ لايهديهم الله ﴾ الى الحق أوالى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أماط شبهتهم وردّ طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال ﴿ انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴾ لأنهم لايخافون عقابا يردعهم عنه ﴿ وأولئك ﴾ اشارة الى الذين كفروا أوالى قريش ﴿ هم الكاذبون ﴾ أى الكاذبون على الحقيقة أوالكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لايصرفهم عنه دين ولامروأة أوالكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر انما يعلمه بشر ﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه ﴾ بدل من الذين لايؤمنون ومابينهما اعتراض أومن أولئك أومن الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز أن ينتصب بالذم وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب دلّ عليه قوله ﴿ الا من أكره ﴾ على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان ﴿ وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الايمان هو التصديق بالقلب ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾ اعتقده وطاب به نفسا ﴿ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ اذ لا أعظم من جرمه * روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين فى الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول مالك انعادوا لك فعد لهم بماقلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل أن يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله أبواه لما روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فىّ فقال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فىّ قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاوّل فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيأ له ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الكفر بعد الايمان أوالوعيد ﴿ بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ﴾ بسبب أنهم آثروها عليها ﴿ وأن الله لايهدي القوم الكافرين ﴾ أى الكافرين في علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ﴾ فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه ﴿ وأولئك هم الغافلون ﴾ الكاملون فى الغفلة اذ أغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب ﴿ لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ﴾ اذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم الى العذاب المخلد ﴿ ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ﴾ أى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أى من بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ على الجهاد وما أصابهم من المشاق ﴿ ان ربك من بعدها ﴾ من بعد الهجرة والجهاد والصبر ﴿ لغفور ﴾ لما فعلوا قبل ﴿ رحيم ﴾ منعم عليهم مجازاة على ماصنعوا بعد

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ
بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ
عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۝ مَنْ كَفَرَ
بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ
وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا
الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا
إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝

يوم

يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما
عملت وهم لا يظلمون ۞ وضرب الله مثلا قرية
كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون ۞ ولقد جاءهم رسول منهم
فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ۞ فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله
إن كنتم إياه تعبدون ۞ إنما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ۞ ولا تقولوا لما
تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا
على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
۞ متاع قليل ولهم عذاب أليم ۞ وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما
ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ۞

﴿يوم تأتي كل نفس﴾ منصوب برحيم أو باذكر ﴿تجادل عن نفسها﴾ تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ جزاء ما عملت ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون أجورهم ﴿وضرب الله مثلا قرية﴾ أي جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة ﴿كانت آمنة مطمئنة﴾ لا يزعج أهلها خوف ﴿يأتيها رزقها﴾ أقواتها ﴿رغدا﴾ واسعا ﴿من كل مكان﴾ من نواحيها ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ استعار الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني * ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار ﴿بما كانوا يصنعون﴾ بصنيعهم ﴿ولقد جاءهم رسول منهم﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون﴾ أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد أو وقعة بدر ﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا﴾ أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ﴿واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون﴾ تطيعون أو ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته ﴿انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم﴾ لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ما عداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل بأهوائهم فقال ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أو متعلق بتصف على ارادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام أو مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية أي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ تعليل لا يتضمن الغرض ﴿ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله ﴿متاع قليل﴾ أي ما يفترون لاجله أو ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك﴾ أي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴿من قبل﴾ متعلق بقصصنا أو بحرمنا ﴿وما ظلمناهم﴾ بالتحريم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وأنه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة

﴿ ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ﴾ بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ﴿ ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها ﴾ من بعد التوبة ﴿ لغفور ﴾ لذلك السوء ﴿ رحيم ﴾ يثيب على الانابة ﴿ ان ابراهيم كان أمة ﴾ لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الامفرقة في أشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ✲ أن يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله أولانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه اذا قصده أو اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما ﴿ قانتا لله ﴾ مطيعا له قائما بأوامره ﴿ حنيفا ﴾ مائلا عن الباطل ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون أنهم على ملة ابراهيم ﴿ شاكرا لانعمه ﴾ ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة ﴿ اجتباه ﴾ للنبوة ﴿ وهداه الى صراط مستقيم ﴾ في الدعوة الى الله ﴿ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴾ بأن حببه الى الناس حتى ان أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقني بالصالحين ﴿ ثم أوحينا اليك ﴾ يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على أن أجل ما أوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته أو لتراخي أيامه ﴿ أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ﴾ في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه ﴿ وما كان من المشركين ﴾ بل كان قدوة الموحدين ﴿ انما جعل السبت ﴾ تعظيم السبت أو التخلي فيه للعبادة ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ أي على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت

لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله ﴿ وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه ﴿ ادع ﴾ من بعثت اليهم ﴿ الى سبيل ربك ﴾ الى الاسلام ﴿ بالحكمة ﴾ بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة ﴿ والموعظة الحسنة ﴾ الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ﴿ وجادلهم ﴾ وجادل معانديهم ﴿ بالتي هي أحسن ﴾ بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي أشهر فان ذلك أنفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ﴿ ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ أي انما عليك البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ لما أمره بالدعوة وبين له طرقها أشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ﴿ ولئن صبرتم لهو ﴾ أي الصبر ﴿ خير للصابرين ﴾ من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال ﴿ واصبر وما صبرك الا بالله ﴾ الا بتوفيقه وتثبيته ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم ﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق ﴿ ان الله مع الذين اتقوا ﴾ المعاصي ﴿ والذين هم محسنون ﴾ في أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه ✲ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۞
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
۞ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ۞ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ
لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ
رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ۞ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۞ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا
بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
۞ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۞

﴿سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الاقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم * سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع عن الصرف قال قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به ﴿من المسجد الحرام﴾ بعينه* لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق أومن الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد أولانه محيط به أوليطابق المبدأ المنتهى* لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتدّ ناس ممن آمن به وسعى رجال الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصدّيق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدّون الى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الاسحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة* واختلف فى أنه كان فى المنام أوفى اليقظة بروحه أوبجسده والاكثر على أنه اسرى بجسده الى

سورة الاسراء مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحن الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الذى بركنا حوله لنريه من ءايتنا انه هو السميع البصير ۝ وءاتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبنى اسراءيل الا تتخذوا من دونى وكيلا ۝ ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ۝ وقضينا الى بنى اسراءيل فى الكتب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ۝ فاذا جاء وعد اولىهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلل الديار وكان وعدا مفعولا ۝ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددنكم باموال وبنين وجعلنكم اكثر نفيرا ۝ ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوءا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ۝ عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكفرين حصيرا ۝

بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة أن ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى أقل من ثانية وقد برهن فى الكلام أن الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم أوفيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات ﴿الى المسجد الاقصى﴾ بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الذى باركنا حوله﴾ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه الصلاة والسلام ومحفوف بالانهار والاشجار ﴿لنريه من آياتنا﴾ كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿انه هو السميع﴾ لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿البصير﴾ بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا﴾ على أن لا تتخذوا كقولك كتبت اليك أن افعل كذا وقرأ أبو عمرو بالياء على لان لا يتخذوا ﴿من دونى وكيلا﴾ ربا تكلون اليه أموركم غيري ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ نصب على الاختصاص أو النداء ان قرئ أن لا تتخذوا بالتاء على النهى يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا أو على أنه أحد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة ﴿انه﴾ ان نوحا عليه السلام ﴿كان عبدا شكورا﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿وقضينا الى بنى اسرائيل﴾ وأوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا ﴿فى الكتاب﴾ فى التوراة ﴿لتفسدنّ فى الارض﴾ جواب قسم محذوف أو قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿مرتين﴾ افسادتين أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقيل أرمياء وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ﴿ولتعلنّ علوا كبيرا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس ﴿فاذا جاء وعد أولاهما﴾ وعد عقاب أولاهما ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا﴾ بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرىّ وقيل سنحاريب من أهل نينوى ﴿أولى بأس شديد﴾ ذوى قوّة وبطش فى الحرب شديد ﴿فجاسوا﴾ فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء المهملة وهما أخوان ﴿خلال الديار﴾ وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أوّلوا البعث بالتخلية وعدم المنع ﴿وكان وعدا مفعولا﴾ وكان وعد عقابهم لابد أن يفعل ﴿ثم رددنا لكم الكرة﴾ أى الدولة والغلبة ﴿عليهم﴾ على الذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله فى قلوب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد أسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر أو بان سلط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله ﴿وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ﴿ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ لان ثوابه لها ﴿وان أسأتم فلها﴾ فان وباله عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا ﴿فاذا جاء وعد الآخرة﴾ وعد عقوبة المرة الآخرة ﴿ليسوؤا وجوهكم﴾ أي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم أى يجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أوّلا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوأن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوأن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على أنه جواب اذا واللام فى قوله ﴿وليدخلوا المسجد﴾ متعلق بمحذوف هو بعثناهم ﴿كما دخلوه أوّل مرة وليتبروا﴾ ليهلكوا ﴿ماعلوا﴾ ماغلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم ﴿تتبيرا﴾ وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يتقبل منا فقال ماصدقتونى فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ماتركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا منهم فهدأ ﴿عسى ربكم أن يرحمكم﴾ بعد المرة الآخرة ﴿وان عدتم﴾ نوبة أخرى ﴿عدنا﴾ مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد

قتله فماد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ﴾ محبسا لايقدرون على الخروج منها أبد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير * ﴿ ان هذ القرآن يهدى للتى هي أقوم ﴾ للحالة أوالطريقة التى هي أقوم الحالات أوالطرق ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنلهم أجرا كبيرا ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف ﴿ وأن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعني أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم أوعلى يبشر باضمار يخبر ﴿ ويدع الانسان بالشر ﴾ ويدعوا الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أويدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر ﴿ دعاءه بالخير ﴾ مثل دعائه بالخير ﴿ وكان الانسان عجولا ﴾ يسارع الى كل مايخطر بباله لاينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط * روى أنه عليه السلام دفع أسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحرث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ مضيئة أومبصرة للناس من أبصره فبصر أومبصرا أهله كقولهم أجبن الرجل اذا كان أهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين أوجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هي القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور أونقص نورها شيأ فشيأ الى المحاق وجعل آية النهار التى هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ﴾ لتطلبوا فى بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة أعمالكم ﴿ ولتعلموا ﴾ باختلافهما أو بحركاتهما ﴿ عدد السنين والحساب ﴾ وجنس الحساب ﴿ وكل شئ ﴾ تفتقرون اليه فى أمر الدين والدنيا ﴿ فصلناه تفصيلا ﴾ بيناه بيانا غير ملتبس ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره ﴾ عمله وماقدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد ﴿ فى عنقه ﴾ لزوم الطوق فى عنقه ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتابا ﴾ هي صحيفة عمله أونفسه المنتقشة بآثار أعماله فان الاعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول أوحال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج أى الله عزوجل ﴿ يلقاه منشورا ﴾ لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أويلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا ﴿ اقرأ كتابك ﴾ على ارادة القول ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ أى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تميز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعني ضاربها من حسب عليه كذا أوبمعني الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعي ماأهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة ممايتولاه الرجال أوعلى تأويل النفس بالشخص ﴿ من اهتدي فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ لاينجى اهتداؤه غيره ولايردى ضلاله سواه ﴿ ولاتزر وازرة وزر أخري ﴾ ولاتحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل انما تحمل وزرها ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على أنلاوجوب قبل الشرع ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية ﴾ واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق أودنا وقته المقدر كقولهم اذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ماقبله ومابعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم بالفسق لقوله ﴿ ففسقوا فيها ﴾ كقولك أمرته فقرأ فانه لايفهم منه الا الأمر بالقراءة على أن الامر مجاز من الحمل عليه أوالتسبب له بان صب عليهم من النعم ماأبطرهم وأفضى بهم الى الفسوق ويحتمل أنلا يكون له مفعول منوى كقولهم أمرته فعصانى وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة أى كثيرة النتاج وهو أيضا مجاز من معني الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمرنا عن أبى عمرو ويحتمل أن يكون منقولا من أمر بالضم امارة أي جعلناهم أمراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم أسرع الى الحماقة وأقدر على الفجور ﴿ فحق عليها القول ﴾ يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله أو بظهور معاصيهم أوبانهماكهم فى المعاصى ﴿ فدمرناها تدميرا ﴾ أهلناها باهلاك أهلها وتخريب ديارهم ﴿ وكم أهلكنا ﴾ وكثيرا أهلكنا ﴿ من القرون ﴾ بيان لكم وتمييزله ﴿ من بعد نوح ﴾ كعاد وثمود ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقة

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ
بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۞ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً
لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ
وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ۞ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ
فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۞
ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۞
مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا
مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۞ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ
قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ
فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ
نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۞

﴿من كان يريد العاجلة﴾ مقصورا عليها همه ﴿عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد﴾ قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لايجد كل متمن مايتمناه ولا كل واجد جميع مايهواه وليعلم أن الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ مايشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الامساهمتهم في الغنائم ونحوها ﴿ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا﴾ مطرودا من رحمة الله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ حقها من السعى وهو الاتيان بما أمر به والانتهاء عمانهى عنه لاالتقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص ﴿وهومؤمن﴾ ايمانا صحيحا لاشرك معه ولاتكذيب فانه العمدة ﴿فأولئك﴾ الجامعون للشروط الثلاثة ﴿كان سعيهم مشكورا﴾ من الله تعالى أى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة ﴿كلا﴾ كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه ﴿نمد﴾ بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه ﴿هؤلاء وهؤلاء﴾ بدل من كلا ﴿من عطاء ربك﴾ من معطاه متعلق بنمد ﴿وماكان عطاء ربك محظورا﴾ ممنوعا لايمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا ﴿أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ أى التفاوت فى الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها ﴿لاتجعل مع الله الها آخر﴾ الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته أولكل أحد ﴿فتقعد﴾ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أوفتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه ﴿مذموما مخذولا﴾ جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه أن الموحد يكون ممدوحا منصورا ﴿وقضى ربك﴾ وأمر أمرا مقطوعا به ﴿أن لاتعبدوا﴾ بان لاتعبدوا ﴿الا اياه﴾ لان غاية التعظيم لاتحق

مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۞ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۞ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۞ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۞ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۞ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۞ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ۞

الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز أن تكون أن مفسرة ولاناهية ﴿وبالوالدين احسانا﴾ وبان تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولايجوز أن تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدم عليه ﴿امايبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما﴾ اماهى ان الشرطية زيدت عليها ماتأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل وأحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائى من ألف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما فاعلا أوبدلا ولذلك لم يجز أن يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك أن يكونا في كنفك وكفالتك ﴿فلا تقل لهما أف﴾ فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهوصوت يدل على تضجر وقيل هواسم الفعل الذى هو أتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الايذاء قياسا بطريق الأولى وقيل عرفا كقولك فلان لايملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل أبيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ﴿ولاتنهرهما﴾ ولاتزجرهما عما لايعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم أخوات ﴿وقل لهما﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿قولا كريما﴾ جميلا لاشراسة فيه ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كماجعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ✱ اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وأمره بخفضه مبالغة أوأراد جناحه كقوله تعالى ـ واخفض جناحك للمؤمنين ـ واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول ﴿من الرحمة﴾ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان أفقر خلق الله تعالى اليهما بالامس ﴿وقل رب ارحمهما﴾ وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولاتكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة أن يهديهما ﴿كماربيانى صغيرا﴾ رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى في صغرى وفاء بوعدك للراحمين ✱ روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغامن الكبر أنى ألى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما ﴿ربكم أعلم بمافى نفوسكم﴾ من قصد البر اليهما واعتقاد مايجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا ﴿ان تكونوا صالحين﴾ قاصدين للصلاح ﴿فانه كان للأوابين﴾ للتوابين ﴿غفورا﴾ مافرط منهم عند حرج الصدر من أذية أوتقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره ﴿وآت ذا القربى حقه﴾ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم

وقال أبو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿والمسكين وابن السبيل ولاتبذر تبذيرا﴾ بصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وأصل التبذير التفريق ✱ وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد وهو يتوضأ ماهذا السرف قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾ أمثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أوأصدقاءهم وأتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى ✱ روى أنهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم فى السمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالانفاق في القربات ﴿وكان الشيطان لربه كفورا﴾ مبالغا فى الكفر به فينبغى أن لايطاع ﴿واما تعرضن عنهم﴾ وان أعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز أن يراد بالاعراض عنهم أن لاينفعهم على سبيل الكناية ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أومنتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ أى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل أغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم

﴿ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط﴾ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم ﴿فتقعد ملوما﴾ فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير ﴿محسورا﴾ نادما أومنقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذابلغ منه ٭ وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال ان أمى تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى أمه فقالت قل له ان أمى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ﴿ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس مايرهقك من الاضاقة الالمصلحتك ﴿انه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم مايخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمرالله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا أوانه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض ولاتبسطوا كل البسط وأن يكون تمهيدا لقوله تعالى ﴿ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق﴾ مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال ﴿نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا﴾ ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه أومصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته ٭ وخرطومه فى منقع الماء راسب

وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ﴿ولاتقربوا الزنا﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن أن تباشروه ﴿انه كان فاحشة﴾ فعلة ظاهرة القبح زائدته ﴿وساء سبيلا﴾ وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد
ملوما محسورا ۞ ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه
كان بعباده خبيرا بصيرا ۞ ولا تقتلوا أولادكم خشية
املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ۞ ولا
تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ۞ ولا تقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه
سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ۞ ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد
ان العهد كان مسؤلا ۞ وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا
بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ۞ ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان
عنه مسؤلا ۞ ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق
الارض ولن تبلغ الجبال طولا ۞ كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروها ۞ ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل
مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ۞

أفأصفيكم

المؤدى الى قطع الانساب وهيج الفتن ﴿ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق﴾ الاباحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ﴿ومن قتل مظلوما﴾ غير مستوجب للقتل ﴿فقد جعلنا لوليه﴾ للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث ﴿سلطانا﴾ تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أوبالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على أن القتل عمد عدوان فان الخطأ لايسمى ظلما ﴿فلا يسرف﴾ أى القاتل ﴿في القتل﴾ بان يقتل من لايستحق قتله فان العاقل لايفعل مايعود عليه بالهلاك أوالولى بالمثلة أوقتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة أبي فلاتسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلاتسرف على خطاب أحدهما ﴿انه كان منصورا﴾ علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص أوالتعزير والوزر على المسرف ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ فضلا أن تتصرفوا فيه ﴿الابالتى هي أحسن﴾ الابالطريقة التى هى أحسن ﴿حتى يبلغ أشده﴾ غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء ﴿وأوفوا بالعهد﴾ بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ماعاهدتموه وغيره ﴿ان العهد كان مسؤلا﴾ مطلوبا يطلب من المعاهد أن لايضيعه ويفى به أومسؤلا عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت أويسئل العهد تبكيتا للناكث كمايقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤلا ﴿وأوفوا الكيل اذا كلتم﴾ ولاتبخسوا فيه ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوى وهو رومى عرب ولايقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء ﴿ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ وأحسن عاقبة تفعيل من آل اذارجع ﴿ولاتقف﴾ ولاتتبع وقرئ ولاتقف من قاف أثره اذا قفاه ومنه القافة ﴿ماليس لك به علم﴾ مالم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أوظنا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت

ولا أرمى البرىء بغير ذنب ٭ ولا أقفو الحواصن ان قفينا

﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك﴾ أى كل هذه الاعضاء فأجراها مجري العقلاء لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وان أولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم الفبيلين جاء لغيرهم كقوله ٭ والعيش بعد أولئك الايام ٭ ﴿كان عنه مسؤلا﴾ فى ثلاثتها ضمير كل أى كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير في عنه لمصدر لاتقف أولصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى ـ غير المغضوب عليهم ـ والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل ومايقوم مقامه لايتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ﴿ولا تمش فى الارض مرحا﴾ أى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم أبلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت ﴿انك لن تخرق الارض﴾ لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لاتعود بجدوى ليس فى التذلل ﴿كل ذلك﴾ اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ـ لاتجعل مع الله الها آخر ـ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها المكتوبة فى ألواح موسى عليه السلام ﴿كان سيئه﴾ يعنى المنهى عنه فان المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى مانهى عنه خاصة وعلى هذا قوله ﴿عند ربك مكروها﴾ بدل من سيئة أوصفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان أوفى الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لامايقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ﴿ذلك﴾ اشارة الى الاحكام المتقدمة ﴿مما أوحى اليك ربك من الحكمة﴾ التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ﴿ولاتجعل مع الله الها آخر﴾ كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لاقصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أوتركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ماهو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى ﴿فتلقى فى جهنم ملوما﴾ تلوم نفسك ﴿مدحورا﴾ مبعدا من رحمة الله تعالى

﴿ أفأصفاكم ربكم بالبنين ﴾ خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الاولاد وهم البنون ﴿ واتخذ من الملائكة اناثا ﴾ بنات لنفسه وهذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم ﴿ انكم لتقولون قولا عظيما ﴾ باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم ﴿ ولقد صرّفنا ﴾ كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير ﴿في هذا القرآن﴾ في مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا هذا القول في هذا المعنى أوأوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ﴿ ليذّكروا ﴾ ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر ﴿ ومايزيدهم الا نفورا ﴾ عن الحق وقلة طمأنينة اليه ﴿قل لو كان معه آلهة كما تقولون ﴾ أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبوبكر ويعقوب في الثانية على أن الاولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزّه به نفسه عن مقالتهم ﴿ اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ﴾ جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أوبالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى ـ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴿سبحانه﴾ ينزه تنزيها ﴿وتعالى عما يقولون علوّا﴾ تعاليا ﴿ كبيرا﴾ متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته

أفأصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة إناثا إنكم
لتقولون قولا عظيما ۞ ولقد صرفنا في هذا القرآن
ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا ۞ قل لو كان معه آلهة كما
يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ۞ سبحنه وتعلى
عما يقولون علوا كبيرا ۞ تسبح له السموت السبع
والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ۞ وإذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
۞ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم
وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على
أدبارهم نفورا ۞ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون
إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظلمون إن تتبعون
إلا رجلا مسحورا ۞ أنظر كيف ضربوا لك الأمثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۞ وقالوا أءذا كنا
عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقا جديدا ۞

﴿ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ﴾ أيها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصوّر منه اللفظ والى مالايتصوّر منه وعليهما عند من جوّز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبوبكر يسبح بالياء ﴿انه كان حليما﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴿ غفورا ﴾ لمن تاب منكم ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا ﴾ يحجبهم عن فهم ماتقرؤه عليهم ﴿ مستورا ﴾ ذا ستر كقوله تعالى ـ وعده مأتيا ـ وقولهم سيل مفعم أومستورا عن الحسّ أوبحجاب آخر لايفهمون ولايفهمون أنهم لايفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعد مانفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولا لما دلّ عليه قوله ـ وجعلنا على قلوبهم أكنة ـ أى منعناهم أن يفقهوه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه مايمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ ﴿ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ﴾ واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ﴿ ولوا على أدبارهم نفورا ﴾ هربا من استماع التوحيد ونفرة أوتولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به ﴾ بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ ظرف لاعلم وكذا ﴿واذ هم نجوى﴾ أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجى ﴿ اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ﴾ مقدر باذكر أو بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمون موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة أى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم ﴿ أنظر كيف ضربوا لك الامثال﴾ مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ﴿فضلوا﴾ عن الحق في جميع ذلك ﴿فلايستطيعون سبيلا﴾ الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لايدرى مايصنع أو الى الرشاد ﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا ﴾ حطاما ﴿ أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرّميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا مادلّ عليه مبعوثون لانفسه لأن مابعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال

﴿ قل ﴾ جوابا لهم ﴿ كونوا حجارة أوحديدا أوخلقا مما يكبر في صـدوركم ﴾ أى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لـكونه أبعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائـكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فـكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقدكانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد ﴿ فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أوّل مرة ﴾ وكنتم ترابا وماهو أبعد منه من الحياة ﴿ فسينغضون اليك رؤسهم ﴾ فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ﴿ ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ﴾ فان كل ماهو آت قريب وانتصابه على الخبر أوالظرف أى يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أوخبره والاسم مضمر ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون ﴾ أى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء ﴿ بحمده ﴾ حال منهم أي حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أومنقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه ﴿ وتظنون ان لبثتم الا قليلا ﴾ وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مرّ على قرية أو مدّة حياتـكم لما ترون من الهول ﴿ وقل لعبادى ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ يقولوا التى هي أحسن ﴾ الـكلمة التى هي أحسن ولايخاشنوا المشركين ﴿ ان الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يهيج بينهم المراء والشرّ فلعلّ المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازدياد الفساد ﴿ ان الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذّبكم ﴾ تفسير للتى هى أحسن ومابينهما اعتراض أى قولوا لهم هـذه الـكلمة ونحوها ولاتصرحوا بانهم من أهل النار فانه يهيجهم على الشرّ مع أن ختام أمرهم غيب لايعلمـه الا الله ﴿ وماأرسلناك عليهم وكيلا ﴾ موكولا اليك أمرهم تقسرهم على الايمان وانما أرسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم * وروى أن المشركين أفرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رضى الله تعالى عنه رجل منهم فهمّ به فامره الله بالعفو ﴿ وربك أعلم بمن فى السموات والارض ﴾ وباحوالهم فيختار منهم لنبوّته وولايته من يشاء وهو ردّ لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا وأن يكون العراة الجوّع أصحابه ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ﴾ بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والأتباع حتى داود عليه الصلاة والسلام فان شرفه بما أوحى اليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله ﴿ وآتينا داود زبورا ﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأمته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من أن الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله تعالى ـ ولقد كتبنا في الزبور ـ لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب أوالمصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس أوالفضل أولأن المراد وآتينا داود بعض الزبر أوبعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم ﴾ أنها آلهة ﴿ من دونه ﴾ كالملائكة والمسيح وعزير ﴿ فلا يملكون ﴾ ولايستطيعون ﴿ كشف الضرّ عنكم ﴾ كالمرض والفقر والقحط ﴿ ولا تحويلا ﴾ ولاتحويل ذلك منكم الى غيركم ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ﴾ هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القرابة بالطاعة ﴿ أيهم أقرب ﴾ بدل من واو يبتغون أي يبتغى من هو أقرب منهم الى الله الوسيلة فـكيف بغير الاقرب ﴿ ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون أنهم آلهة ﴿ ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة ﴿ وان من قرية الا نحن مهلـكوها قبل يوم القيامة ﴾ بالموت والاستئصال ﴿ أومعذّبوها عذابا شديدا ﴾ بالقتل وأنواع البلية ﴿ كان ذلك فى الـكتاب ﴾ فى اللوح المحفوظ ﴿ مسطورا ﴾ مكتوبا ﴿ ومامنعنا أن نرسل بالآيات ﴾ وماصرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش ﴿ الا أن كذّب بها الأولون ﴾ الا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم فى الطبع كعاد وثمود وأنها لوأرسلت لـكذبوا بها تـكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على مامضت به سنتنا وقد قضينا أن لانستأصلهم لأن منهـم من يؤمن أويلد من يؤمن * ثم ذكر بعض الامم المهلـكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۞ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۞ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۞ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۞ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۞ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۞ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۞ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ

﴿ وآتينا ثمود الناقة ﴾ بسؤالهم ﴿ مبصرة ﴾ بينة ذات ابصار أو بصائر أوجاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح ﴿ فظلموا بها ﴾ فكفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها ﴿ ومانرسل بالآيات ﴾ أى بالآيات المقترحة ﴿ الا تخويفا ﴾ من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان أمر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة أوفى موقع الحال والمفعول محذوف ﴿ واذ قلنا لك ﴾ واذكر اذ أوحينا اليك ﴿ ان ربك أحاط بالناس ﴾ فهم فى قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿ وما جعلنا الرؤيا التى أريناك ﴾ ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أوعام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية الا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى ـ اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ـ ❊ ولما روى أنه لما ورد ماءه قال لكأنى أنظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله ﴿ الا فتنة للناس ﴾ ماحدث فى أيامهم ﴿ والشجرة الملعونة فى القرآن ﴾ عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا أن من قدر أن يحمى وبر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر أن يخلق فى النار شجرة لاتحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بانها فى أصل الجحيم فانه أبعد مكان من الرحمة أوبانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد أولت بالشيطان وأبي جهل والحكم بن أبى

وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا
تخويفا ۞ واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا
الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة
فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۞
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد
لمن خلقت طينا ۞ قال ارايتك هذا الذى كرمت على لئن
اخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا ۞ قال
اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
۞ واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم
بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا ۞ ان عبادى ليس لك
عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ۞ ربكم الذى يزجى لكم
الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما
۞ واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما
نجيكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ۞

العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ﴿ ونخوفهم ﴾ بانواع التخويف ﴿ فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ﴾ الا عتوا متجاوز الحد ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع الى الموصول أي خلقته وهو طين أومنه أى أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار ﴿ قال أرأيتك هذا الذى كرمت على ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لامحل له من الاعراب وهذا مفعول أول والذى صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته على بأمري بالسجود له لم كرمته على ﴿لئن أخرتن الى يوم القيامة ﴾ كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿ لأحتنكن ذريته الا قليلا ﴾ أى لأستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ماعليها أكلا مأخوذ من الحنك وانما علم أن ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة ـ أتجعل فيها من يفسد فيها ـ مع التقرير أوتفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب ﴿قال اذهب﴾ امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسولت له نفسه ﴿ فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم ﴾ جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات ﴿ جزاء موفورا ﴾ مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله أو بما فى جزاؤكم من معنى تجازون أوحال موطئة لقوله موفورا ﴿واستفزز﴾ واستخفف ﴿من استطعت منهم ﴾ أن تستفزه والفز الخفيف ﴿ بصوتك ﴾ بدعائك الى الفساد ﴿وأجلب عليهم ﴾ وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح ﴿ بخيلك ورجلك ﴾ باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك ﴿ وشاركهم فى الاموال ﴾ بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لاينبغى ﴿ والاولاد ﴾ بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة ﴿وعدهم﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ اعتراض لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ﴿ان عبادي﴾ يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله ـ الا عبادك منهم المخلصين ـ يخصصهم ﴿ ليس لك عليهم سلطان ﴾ أى على اغوائهم قدرة ﴿ وكفى بربك وكيلا ﴾ يتوكلون عليه فى الاستعاذة منك على الحقيقة ﴿ ربكم الذى يزجى ﴾ هو الذى يجرى ﴿ لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله ﴾ الريح وأنواع الأمتعة التى لاتكون عندكم ﴿ انه كان بكم رحيما ﴾ حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل عليكم ماتعسر من أسبابه ﴿ واذا مسكم الضر في البحر ﴾ خوف الغرق ﴿ ضل من تدعون ﴾ ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم ﴿ الا اياه ﴾ وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه فلاتدعون لكشفه الا اياه أوضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق ﴿ الى البر أعرضتم ﴾ عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن فى المعالى ❊ فأعرض فى المكارم واستطالا

﴿وكان الانسان كفورا﴾ كالتعليل للاعراض

﴿ أفأمنتم ﴾ الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره ﴿ أن يخسف بكم جانب البر ﴾ أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التى بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على أنهم كما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لامعقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك ﴿ أو يرسل عليكم حاصبا ﴾ ريحا تحصب أى ترمى بالحصباء ﴿ ثم لاتجدوا لكم وكيلا ﴾ يحفظكم من ذلك فانه لاراد لفعله ﴿ أم أمنتم أن يعيدكم فيه ﴾ فى البحر ﴿ تارة أخرى ﴾ بخلق دواع تلجئكم الى أن ترجعوا فتركبوه ﴿ فيرسل عليكم قاصفا من الريح ﴾ لاتمر بشئ الاقصفته أى كسرته ﴿ فيغرقكم ﴾ وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح ﴿ بما كفرتم ﴾ بسبب اشراككم أو كفرانكم نعمة الانجاء ﴿ ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم ﴾ بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على مافى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه * ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده ﴿ وحملناهم فى البر والبحر ﴾ على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ماير كبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولايلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف

أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ
لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۞ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۞
وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا
۞ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ
عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ
لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ
ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا
نَصِيرًا ۞ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ
مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ سُنَّةَ مَن قَدْ
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۞

اقم

﴿ يوم ندعو ﴾ نصب باضمار اذكر أو ظرف لمادل عليه ولايظلمون وقرئ يدعو ويدعي ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما فى قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعي ﴿ كل أناس بامامهم ﴾ بمن ائتموا به من نبي أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التى قدموها فيقال ياصاحب كتاب كذا أى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بامهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وأن لاتفتضح أولاد الزنا ﴿ فمن أوتي ﴾ من المدعوين ﴿ كتابه بيمينه ﴾ أى كتاب عمله ﴿ فأولئك يقرؤن كتابهم ﴾ ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ﴿ ولايظلمون فتيلا ﴾ ولاينقصون من أجورهم أدنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من أوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة مايحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله ﴿ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى ﴾ أيضا مشعر بذلك فان الاعمى لايقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا أعمى القلب لايبصر رشده كان فى الآخرة أعمى لايرى طريق النجاة ﴿ وأضل سبيلا ﴾ منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لاينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالأجهل والابله ولذلك لم يمله أبو عمرو ويعقوب فان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسطة كما فى أعمالكم بخلاف النعت فان ألفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد أمالهما حمزة والكسائى وأبو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما ﴿ وان كادوا ليفتنونك ﴾ نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانجبي فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فاذ قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك في الفتنة بالاستنزال ﴿ عن الذي أوحينا اليك ﴾ من الاحكام ﴿ لتفترى علينا غيره ﴾ غير ما أوحينا اليك ﴿ واذا لاتخذوك خليلا ﴾ ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياهم بريئا من ولايتى ﴿ ولولا أن ثبتناك ﴾ ولولا تثبيتنا اياك ﴿ لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا ﴾ لقاربت أن تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم وهو صريح فى أنه عليه الصلاة والسلام ماهم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه ﴿ اذا لأذقناك ﴾ أى لو قاربت لاذقناك ﴿ ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مانعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعني مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر ﴿ ثم لاتجد لك علينا نصيرا ﴾ يدفع العذاب عنك ﴿ وان كادوا ﴾ وان كاد أهل مكة ﴿ ليستفزونك ﴾ ليزعجونك بمعاداتهم ﴿ من الارض ﴾ أرض مكة ﴿ ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك ﴾ ولو خرجت لايبقون بعد خروجك ﴿ الاقليلا ﴾ الازمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة * وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على أنه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لاعلى خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمد مابعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴾ نصب على المصدر أى سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من أجلهم ويدل عليه ﴿ ولاتجد لسنتنا تحويلا ﴾ أى تغييرا

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام أتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لاتستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون ﴿الى غسق الليل﴾ الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة ﴿وقرآن الفجر﴾ وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولادليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لوفسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا ﴿ان قرآن الفجر كان مشهودا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أوشواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو أخو الموت بالانتباه أوكثير من المصلين أومن حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على أن الوقت تمتد الى غروب الشفق ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن ﴿نافلة لك﴾ فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أوفضيلة لك لاختصاص وجوبه بك ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام الشفاعة * لماروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وماذاك الامقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله أى فيقيمك مقاما أوبتضمين يبعثك معناه أوالحال بمعنى أن يبعثك ذامقام ﴿وقل رب أدخلني﴾ أى فى القبر ﴿مدخل صدق﴾ ادخالا مرضيا ﴿وأخرجني﴾ أي منه عند البعث ﴿مخرج صدق﴾ اخراجا ملقى

أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ
قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ
عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى
مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ
سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝ وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ
كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَٰنِ
أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝
قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ
إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ۝ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ
الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝

بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من أعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل مايلابسه من مكان أوأمر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلنى فادخل دخولا وأخرجني فأخرج خروجا ﴿واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾ حجة تنصرنى على من خالفنى أوملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض ﴿وقل جاء الحق﴾ الاسلام ﴿وزهق الباطل﴾ وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ﴿ان الباطل كان زهوقا﴾ مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به فكسره ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى أن منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ﴿ولايزيد الظالمين الاخسارا﴾ لتكذيبهم وكفرهم به ﴿واذا أنعمنا على الانسان﴾ بالصحة والسعة ﴿أعرض﴾ عن ذكر الله ﴿ونأى بجانبه﴾ لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب أوعلى أنه بمعنى نهض ﴿واذامسه الشر﴾ من مرض أوفقر ﴿كان يؤسا﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قل كل أحد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أوجوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه ﴿فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ أسد طريقا وأبين منهجا وقدفسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ﴿ويسئلونك عن الروح﴾ الذى يحيابه بدن الانسان ويدبره ﴿قل الروح من أمر ربى﴾ من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده أووجد بأمره وحدث بتكوينه على أن السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه * لماروي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أوسكت فليس بنبي وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربى معناه من وحيه ﴿وما أوتيتم من العلم الاقليلا﴾ تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل أكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشيأ من أحواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى أن الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته * روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا ماأعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولوأن مافي الارض من شجرة أقلام وماقالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية أن يعلم من الخير والحق ماتسعه القوة البشرية بل ماينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك﴾ اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ﴿ثم لاتجدلك به علينا وكيلا﴾ من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا ﴿الارحمة من ربك﴾ فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله ﴿ان فضله كان عليك كبيرا﴾ كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى ﴿لايأتون بمثله﴾ وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلاجزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لاغائب مالى ولاحرم

﴿ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ ولوتظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز أن تكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجدلك به علينا وكيلا

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۞ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ
تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ
وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ
كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۞
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۞ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۞
قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا
عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۞ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَمَنْ يَهْدِ
اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ
وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا
وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۞

﴿ ولقد صرفنا ﴾ كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان ﴿ للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ من كل معني هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعها فى الانفس ﴿ فأبى أكثر الناس الا كفورا ﴾ الاجحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفى ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ﴾ تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض أرض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر ﴿ أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ﴾ أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك ﴿ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ﴾ يعنون قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا في هذه السورة وأبو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن ﴿ أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ﴾ كفيلا بما تدعيه أى شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله *فانى وقيار بها لغريب* أو جماعة فيكون حالا من الملائكة ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة ﴿ أو ترقى فى السماء ﴾ فى معارجها ﴿ ولن نؤمن لرقيك ﴾ وحده ﴿ حتي تنزل علينا كتابا نقرؤه ﴾ وكان فيه تصديقك ﴿ قل سبحان ربى ﴾ تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتى أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى أى قال الرسول ﴿ هل كنت الا بشرا ﴾ كسائر الناس ﴿ رسولا ﴾ كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى تتخيروها علىّ هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ﴾ أى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق ﴿ الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ الا قولهم هذا والمعني أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم أن يرسل الله بشرا ﴿ قل ﴾ جوابا لشبهتهم ﴿ لو كان فى الارض ملائكة يمشون ﴾ كما يمشى بنو آدم ﴿ مطمئنين ﴾ ساكنين فيها ﴿ لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه وأما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول أوفق ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ﴾ على أنى رسول الله اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواى أو على أني بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال أو التمييز ﴿ انه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ﴾ يهدونه ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ يسحبون عليها أو يمشون بها * روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ﴿ عميا وبكما وصما ﴾ لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس ﴿ مأواهم جهنم كلما خبت ﴾ سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ﴿ زدناهم سعيرا ﴾ توقدا بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه أشار بقوله

﴿ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ لان الاشارة الى ماتقدم من عذابهم ﴿أولم يروا﴾ أولم يعلموا ﴿أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم﴾ فانهم ليسوا أشد خلقامنهن ولا الاعادة أصعب عليه من الابداء ﴿وجعل لهم أجلا لاريب فيه﴾ هو الموت أو القيامة ﴿فأبي الظالمون﴾ مع وضوح الحق ﴿الا كفورا﴾ الاجحودا ﴿قل لوأنتم تملـكون خزائن رحمة ربي﴾ خزائن رزقه وسائر نعمه وأنتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم لوذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص ﴿اذا لأمسكتم خشية الانفاق﴾ لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لاأحد الاويختار النفع لنفسه ولوآثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء أغلب فيهم ﴿وكان الانسان قتورا﴾ بخيلا لان بناء أمره على الحاجة والضنة بمايحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة * وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الابالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لاتعدوا في السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة أوالشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود أن لاتعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الـكلام ﴿فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم﴾ فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أوسلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا أو سأل على هذه القراءة أوفاسال يامحمد بنى اسرائيل عماجرى بين موسى وفرعون اذجاءهم أوعن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أولتتسلى نفسك أولتعلم أنه تعالى لوأتي بمااقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أوليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أوباضمار يخبروك على أنه جواب الامر أوباضمار اذكر على الاستئناف ﴿فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا﴾ سحرت فتخبط عقلك ﴿قال لقد علمت﴾ يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ يعنى الآيات ﴿الا رب السموات والارض بصائر﴾ بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال ﴿واني لاظنك يافرعون مثبورا﴾ مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا أى ماصرفك أوهالـكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة ﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم﴾ أن يستخف موسى وقومه وينفيهم ﴿من الارض﴾ أرض مصر أوالارض مطلقا بالقتل والاستئصال ﴿فأغرقناه ومن معه جميعا﴾ فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق ﴿وقلنا من بعده﴾ من بعد فرعون أو اغراقه ﴿لبنى اسرائيل اسكنوا الارض﴾ التي أرادأن يستفزكم منها ﴿فاذا جاء وعدالآخرة﴾ الـكرة أوالحياة أوالساعة أوالدار الآخرة يعني قيام القيامة ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينـكم ونميز سعداءكم من أشقيائـكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ أى وما أنزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله ومانزل على الرسول الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما أنزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائـكة ومانزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفى اعتراء البطلانله أول الامر وآخره ﴿وما أرسلناك الا مبشرا﴾ للمطيع بالثواب ﴿ونذيرا﴾ للعاصى بالعقاب فلاعليك الاالتبشير والانذار ﴿وقرآنا فرقناه﴾ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كمافي قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لـكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ على مهل وتؤدة فانه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ونزلناه تنزيلا﴾ على حسب الحوادث

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ
لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۞
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ۞ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي
لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۞ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۞ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۞ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۞

﴿قل آمنوا به أولا تؤمنوا﴾ فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصا وقوله ﴿ان الذين أوتوا العلم من قبله﴾ تعليل له أى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وأمارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك وصفة ماأنزل اليك في تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولاتكترث بايمانهم واعراضهم ﴿اذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿يخرون للاذقان سجدا﴾ يسقطون على وجوههم تعظيما لامرالله أوشكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمدصلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ﴿ويقولون سبحان ربنا﴾ عن خلف الموعد ﴿ان كان وعد ربنا لمفعولا﴾ انه كان وعده كائنا لامحالة ﴿ويخرون للاذقان يبكون﴾ كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه أول مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ﴿ويزيدهم﴾ سماع القرآن ﴿خشوعا﴾ كما يزيدهم علما ويقينا بالله ﴿قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن﴾ نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يارحمن فقالوا انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أوقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله فى التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو أجود لقوله ﴿أياماتدعوا فله الاسماء الحسنى﴾ والدعاء فى الآية بمعنى التسمية وهويتعدى الى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في أياعوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد مافى أيا من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لاللاسم وكان أصل الكلام أياماتدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ماهو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ﴿ولاتجهر بصلاتك﴾ بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ﴿ولاتخافت بها﴾ حتى لاتسمع من خلفك من المؤمنين ﴿وابتغ بين ذلك﴾ بين الجهر والمخافتة ﴿سبيلا﴾ وسطافان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب * روى ان أبا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول أناجى ربي وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه لاتجهر بصلاتك كلها ولاتخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا ﴿وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك﴾ فى الالوهية ﴿ولم يكن له ولى من الذل﴾ ولى يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه أن يكون له مايشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا ومايعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذى يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وماعداه ناقص مملوك نعمة أومنعم عليه ولذلك عطف عليه قوله ﴿وكبره تكبيرا﴾ وفيه تنبيه على أن العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغى أن يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك * روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝

تم النصف الاول من تفسير البيضاوى ويليه النصف الثانى وأوله سورة الكهف

فهرست

النصف الاول من تفسير البيضاوى

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾

٢٣٦

النصف الثاني

(من)

القرآن الكريم

(وبهامشه التفسير المسمى)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

(تأليف)

امام المحققين وقدوة المدققين القاضى ناصر الدين
أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى
وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز
توفى رحمه الله سنة احدى وتسعين وسبعمائة هجرية

طبع بمطبعة
مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
صفر — ١٣٤٤ هجرية

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجا ۞ قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصلحت ان لهم اجرا حسنا ۞ ماكثين فيه ابدا ۞ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ۞ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ۞ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ۞ انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ۞ وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ۞ ام حسبت ان اصحب الكهف والرقيم كانوا من آيتنا عجبا ۞ اذ اوى الفتية الى الكهف

مكية

﴿ سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهى مائة واحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه أعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى مافيه كمال العباد والداعى الى مابه ينتظم صلاح المعاش والمعاد ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ شيأ من العوج باختلال في اللفظ وتناف فى المعنى أوانحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو فى المعاني كالعوج في الاعيان ﴿ قيما ﴾ مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولاتفريط أوقيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير فى له أو من الكتاب على أن الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين أبعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما ﴿ لينذر بأسا شديدا ﴾ أى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه ﴿ من لدنه ﴾ صادرا من عنده وقرأ أبوبكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ﴾ هو الجنة ﴿ ماكثين فيه ﴾ فى الاجر ﴿ أبدا ﴾ بلاانقطاع ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾ خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ﴿ مالهم به من علم ﴾ أى بالولد أوباتخاذه أوبالقول والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أوتقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذى أرادوا به فانهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والاثر أوبالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ﴿ ولا لآبائهم ﴾ الذين تقولوه بمعنى التبنى ﴿ كبرت كلمة ﴾ عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التميز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول أبلغ وأدل على المقصود ﴿ تخرج من أفواههم ﴾ صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من أفواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لأن كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ﴿ ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك ﴾ قاتلها ﴿ على آثارهم ﴾ اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ﴿ ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ﴾ بهذا القرآن ﴿ أسفا ﴾ للتأسف عليهم أومتأسفا عليهم والأسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح على لأن فلايجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية ﴿ انا جعلنا ماعلى الارض ﴾ من الحيوان والنبات والمعادن ﴿ زينة لها ﴾ ولأهلها ﴿ لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به أيامه وصرفه على ماينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا ﴾ تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ماعليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه ﴿ أم حسبت ﴾ بل أحسبت ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم ﴾ فى ابقاء حياتهم مدة مديدة ﴿ كانوا من آياتنا عجبا ﴾ وقصتهم بالاضافة الى خلق ماعلى الارض من الاجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذى فيه كهفهم أواسم قريتهم أوكلبهم * قال أمية بن أبى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف هجد

أو لوح رصاصى أوحجرى رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف * وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال أحدهم استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره لى حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فى فضل

وهي مائة

فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ
أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا
لَبِثُوا أَمَدًا ۞ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ
فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۞
هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى
الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن
رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞

وعشر آية

وأصابت الناس شدّة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت الىّ نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت أخاف الله فقلت لها خفته فى الشدّة ولم أخفه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى أبوان همان وكانت لى غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمى فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت فأتيت أهلى وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علىّ أن أوقظهما فتوقعت جالساً ومحلبي على يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير ﴿اذ أوى الفتية الى الكهف﴾ يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف

﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدوّ ﴿وهيئ لنا من أمرنا﴾ من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار ﴿رشدا﴾ نصير بسببه راشدين مهتدين أواجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة احداث هيئة الشئ ﴿فضربنا على آذانهم﴾ أى ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته ﴿فى الكهف سنين﴾ ظرفان لضربنا ﴿عددا﴾ أى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ﴿ثم بعثناهم﴾ أيقظناهم ﴿لنعلم﴾ ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أوّلا تعلقا استقباليا ﴿أيّ الحزبين﴾ المختلفين منهم أومن غيرهم فى مدة لبثهم ﴿أحصى لما لبثوا أمدا﴾ ضبط أمد الزمان لبثهم ومافي أى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه أومفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل دلّ عليه أحصى كقوله

* وأضرب منا بالسيوف القوانسا * ﴿نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق﴾ بالصدق ﴿انهم فتية﴾ شبان جمع فتىً كصبي وصبية ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ بالتثبيت ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ وقوّيناها بالصبر على هجر الوطن والأهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار ﴿اذ قاموا﴾ بين يديه ﴿فقالوا ربنا ربّ السموات والارض لن ندعوامن دونه الها لقد قلنا اذا شططا﴾ والله لقد قلنا قولا ذا شطط أى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم ﴿هؤلاء﴾ مبتدأ ﴿قومنا﴾ عطف بيان ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو اخبار في معنى انكار ﴿لولا يأتون﴾ هلايأتون ﴿عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطان بين﴾ ببرهان ظاهر فان الدين لايؤخذ الا به وفيه دليل على أن مالا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ بنسبة الشريك اليه ﴿واذ اعتزلتموهم﴾ خطاب بعضهم لبعض ﴿ومايعبدون الا الله﴾ عطف على الضمير المنصوب أى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون مامصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم ﴿فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم﴾ يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم ﴿من رحمته﴾ فى الدارين ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ ماترتفقون به أى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوّة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا
غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ
اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا
مُرْشِدًا ۞ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۞ وَكَذَٰلِكَ
بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۞ إِنَّهُمْ
إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا
إِذًا أَبَدًا ۞ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ
فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ
الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۞

﴿ وترى الشمس ﴾ لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ﴿ اذا طلعت تزاور عن كهفهم ﴾ تميل عنه ولايقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبيا أولأن الله تعالى زوّرها عنهم وأصله تتزاور فادغمت التاء في الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزورّ كتحمر وقرئ تزوارّ كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ﴿ ذات اليمين ﴾ جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين ﴿ واذا غربت تقرضهم ﴾ تقطعهم وتصرم عنهم ﴿ ذات الشمال ﴾ يعنى يمين الكهف وشماله لقوله ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ أى وهم في متسع من الكهف يعنى في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولايؤذيهم كرب الغار ولاحرّ الشمس وذلك لأن باب الكهف فى مقابلة بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولايقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويبلى ثيابهم ﴿ ذلك من آيات الله ﴾ أى شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك أواخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله ﴿ من يهد الله ﴾ بالتوفيق ﴿ فهو المهتد ﴾ الذى أصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم أوالتنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها ﴿ ومن يضلل ﴾ ومن يخذله ﴿ فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ من يليه ويرشده ﴿ وتحسبهم أيقاظا ﴾ لانفتاح عيونهم أولكثرة تقلبهم ﴿ وهم رقود ﴾ نيام ﴿ ونقلبهم ﴾ فى رقدتهم ﴿ ذات اليمين وذات الشمال ﴾ كيلا تأكل الارض مايليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أي وترى تقلبهم ﴿ وكلبهم ﴾ هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فأنطقه الله تعالى فقال أنا أحبّ أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم أوكلب راع مرّوا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أى وصاحب كلبهم ﴿ باسط ذراعيه ﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل ﴿ بالوصيد ﴾ بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ﴿ ولملئت منهم رعبا ﴾ خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم * وعن معاوية رضى الله عنه أنه غزا الروم فمرّ بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ ليسأل بعضهم بعضا فيتعرّفوا حالهم وماصنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم ﴿ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ﴾ بناء على غالب ظنهم لأن النائم لايحصى مدة نومه ولذلك أحالوا العلم الى الله تعالى ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم فى يومهم أواليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم الى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة ﴾ والورق الفضة مضروبة كانت أوغير مضروبة وقرأ أبوبكر وأبوعمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزوّد رأى المتوكلين والمدينة طرسوس ﴿ فلينظر أيها ﴾ أى أهلها ﴿ أزكى طعاما ﴾ أحل وأطيب أوأكثر وأرخص ﴿ فليأتكم برزق منه وليتلطف ﴾ وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لايغبن أوفى التخفى حتى لايعرف ﴿ ولايشعرنّ بكم أحدا ﴾ ولا يفعلن مايؤدى الى الشعور ﴿ انهم ان يظهروا عليكم ﴾ أى يطلعوا عليكم أويظفروا بكم والضمير للأهل المقدّر فى أيها ﴿ يرجموكم ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿ أويعيدوكم فى ملتهم ﴾ أويصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أوّلا على دينهم فآمنوا ﴿ ولن تفلحوا اذا أبدا ﴾ ان دخلتم فى ملتهم ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم ﴿ ليعلموا ﴾ ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿ أن وعد الله ﴾ بالبعث أوالموعود الذى هو البعث ﴿ حقّ ﴾ لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث ﴿ وأن الساعة لاريب فيها ﴾ وأن القيامة لاريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنين حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم أرسلها اليها قدر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى أن يحشر أبدانهم فيردّها عليها ﴿ اذ يتنازعون ﴾ ظرف لأعثرنا أى أعثرنا عليهم حين يتنازعون ﴿ بينهم أمرهم ﴾ أمر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الأرواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما يبعثان معا أوأمر الفتية حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة أوقالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذنّ عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى ﴿ فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا ﴾ وقوله ربهم أعلم بهم اعتراض اما من الله ردّا على الخائضين فى أمرهم من أولئك المتنازعين أومن المتنازعين فى زمانهم أومن المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أومن المتنازعين للردّ الى الله بعد ماتذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام فى أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك * حكى أن المبعوث لما دخل السوق وأخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس أتهموه بأنه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقصّ عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا أخبرونا أن فتية فرّوا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شرّ الجنّ والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أوّلا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا

سَيَقُولُونَ ثَلٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ
كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ
إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَلَا
تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا ۞ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ
مِنْ هٰذَا رَشَدًا ۞ وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ
وَٱزْدَادُوا تِسْعًا ۞ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمٰوٰتِ
وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا
يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ۞ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۞
وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ
وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ
زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ
عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۞

﴿ سيقولون ﴾ أي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ أى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ﴿ ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ﴾ قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا ﴿ رجما بالغيب ﴾ يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به أوظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذاظن وانمالم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ماهو فيه ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وايماء الله تعالى اليه بان أتبعه قوله ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل ﴾ وأتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان أثبت العلم بهم لطائفة بعد ماحصر أقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع أن الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان أتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان أدخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت * وعن على رضى عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم وأسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعي الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم أفسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم ﴿ فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا ﴾ فلاتجادل فى شأن الفتية الاجدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم مافي القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ﴿ ولاتستفت فيهم منهم أحدا ﴾ ولاتسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما أوحى اليك لمندوحة عن غيره مع أنه لاعلم لهم بها ولاسؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل وتزييف ماعنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ﴿ ولاتقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ﴾ نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى أي ولاتقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بأن يشاء الله أى الاملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله أو الاوقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولايجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لايناسب النهى ﴿ واذكر ربك ﴾ مشيئة ربك وقل ان شاء الله * كما روى أنه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ﴿ اذانسيت ﴾ اذافرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولوبعد سنة مالم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لوصح ذلك لم يتقرر اقرار ولاطلاق ولاعتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذانسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ماأمرك به ليبعثك على التدارك أواذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى ﴿ وقل عسى أن يهدين ربي ﴾ يدلني ﴿ لأقرب من هذا رشدا ﴾ لاقرب رشدا وأظهر دلالة على أنى نبى من نبا أصحاب الكهف وقدهداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه أيامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة أو لاقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسى ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴾ يعنى لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما أجمل قبل وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وأن الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين من ثلثمائة ﴿ قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ﴾ له ماغاب فيهما وخفى من أحوال أهلهما فلاخلق يخفى عليه علما ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذلايحجبه شئ ولايتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر أى صار ذابصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة له أولزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ﴿ مالهم ﴾ الضمير لاهل السموات والارض ﴿ من دونه من ولى ﴾ من يتولى أمورهم ﴿ ولايشرك فى حكمه ﴾ فى قضائه ﴿ أحدا ﴾ منهم ولايجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل أحد عن الاشراك ثم لمادل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحى معجز أمره أن يداوم درسه ويلازم أصحابه فقال ﴿ واتل ماأوحى اليك من كتاب ربك ﴾ من القرآن ولاتسمع لقولهم ائت بقرآن غيرهذا أوبدله ﴿ لامبدل لكلماته ﴾ لاأحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ﴿ ولن تجد من دونه ملتحدا ﴾ ملتجأ تعدل عليه ان هممت به ﴿ واصبر نفسك ﴾ واحبسها وثبتها ﴿ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ﴾ فى مجامع أوقاتهم أوفي طرفى النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير ﴿ يريدون وجهه ﴾ رضا الله وطاعته ﴿ ولاتعد عيناك عنهم ﴾ ولايجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولاتعد عينيك ولاتعد من أعداه وعداه والمراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلوعينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ حال من الكاف فى المشهورة ومن المستكن في الفعل فى غيرها ﴿ ولاتطع من أغفلنا قلبه ﴾ من جعلنا قلبه غافلا ﴿ عن ذكرنا ﴾ كامية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على أن الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه أن الشرف بحلية النفس لابزينة الجسد وأنه لوأطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل أجبنته اذا وجدته كذلك أونسبته اليه أومن أغفل ابله اذاتركها بغير سمة أى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على أن المراد ليس ظاهر ماذكر أولا بقوله ﴿ واتبع هواه ﴾ وجوابه مامر غير مرة وقرئ أغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة ﴿ وكان أمره فرطا ﴾ أى تقدما على الحق ونبذاله وراء ظهره يقال فرس فرط أى متقدم للخيل ومنه الفرط

﴿وقل الحق من ربكم﴾ الحق مايكون من جهة الله لامايقتضيه الهوى ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حالا ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ لاأبالي بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لايقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته ﴿انا أعتدنا﴾ هيأنا ﴿للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها﴾ فسطاطها شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿وان يستغيثوا﴾ من العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ كالجسد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله * فاعتبوا بالصيلم * ﴿يشوى الوجوه﴾ اذاقدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء أوحال من المهل أوالضمير فى الكاف ﴿بئس الشراب﴾ المهل ﴿وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلاارتفاق لاهل النار ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا﴾ خبر ان الاولى هي الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أومستغني عنه بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد أوواقع موقعه الظاهر فان من أحسن عملا لايحسن اطلاقه على الحقيقة الاعلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار﴾ ومابينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجرا وخبر ثان ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع أسورة أواسوار فى جمع سوار ﴿ويلبسون ثيابا خضرا﴾ لان الخضرة أحسن الالوان وأكثرها طراوة ﴿من سندس واستبرق﴾ ممارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ﴿متكئين فيها على الارائك﴾ على السرر كماهو هيئة المتنعمين ﴿نعم الثواب﴾ الجنة ونعيمها ﴿وحسنت﴾ الارائك ﴿مرتفقا﴾ متكأ ﴿واضرب لهم مثلا﴾ للكافر والمؤمن ﴿رجلين﴾ حال رجلين مقدرين أوموجودين هما أخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل أمرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿جعلنا لاحدهما جنتين﴾ بستانين ﴿من أعناب﴾ من كروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أوصفة للرجلين ﴿وحففناهما بنخل﴾ وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا أطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به ﴿وجعلنا بينهما﴾ وسطهما ﴿زرعا﴾ ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى أكله ﴿ولم تظلم منه﴾ ولم تنقص من أكلها ﴿شيأ﴾ يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف ﴿وكان له ثمر﴾ أنواع من المال سوي الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وأبوعمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك فى قوله وأحيط بثمره ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ يراجعه فى الكلام من حاراذا رجع ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ حشما وأعوانا وقيل أولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ﴿ودخل جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ماهو جنته وهو مامتع به من الدنيا تنبيها على أن لاجنة له غيرها ولاحظ له في الجنة التى وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى أولان الدخول يكون فى واحدة واحدة ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ ضار لها بعجبه وكفره ﴿قال ماأظن أن تبيد﴾ أن تفنى ﴿هذه﴾ الجنة ﴿أبدا﴾ لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته ﴿وماأظن الساعة قائمة﴾ كائنة ﴿ولئن رددت الى ربي﴾ بالبعث كما زعمت ﴿لأجدن خيرا منها﴾ من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما أى من الجنتين ﴿منقلبا﴾ مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى انما أولاه ماأولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه أينما تلقاه

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝

﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب﴾ لانه أصل مادتك أومادة أصلك ﴿ثم من نطفة﴾ فانهامادتك القريبة ﴿ثم سوّاك رجلا﴾ ثم عدّلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه ﴿لكنا هو الله ربى ولاأشرك بربى أحدا﴾ أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل الحركة أودونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة أولاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن أنا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر أنا أوضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبرأنا والاستدراك من أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربى ولكن أنالااله الاهوربي ﴿ولولااذدخلت جنتك قلت﴾ وهلا قلت عند دخولها ﴿ماشاء الله﴾ الامرماشاء الله أوماشاء كائن على أنماموصولة أوأيّشئ شاء الله كان على أنهاشرطية والجواب محذوف اقرارا بأنها ومافيها بمشيئة الله انشاء أبقاها وانشاء أبادها ﴿لاقوّة الابالله﴾ وقلت لاقوّة الابالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وانماتيسرلك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته واقداره *وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوّة الابالله لم يضره ﴿انترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ يحتمل أن يكون أنافصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبرأنا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد ﴿فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك﴾ فى الدنيا أوفى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط ﴿ويرسل عليها﴾ على جنتك لكفرك ﴿حسبانا من السماء﴾ مرامى جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمرادبه التقدير بتخريبها أوعذاب حساب الاعمال السيئة ﴿فتصبح صعيدا زلقا﴾ أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها ﴿أويصبح

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ
مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ۝ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّى
وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ
مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا
وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا
حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا
غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ
يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ
هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا
۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ
الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝

ماؤها غورا﴾ أى غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق ﴿فلن تستطيع له طلبا﴾ للماء الغائر ترددا فى رده ﴿وأحيط بثمره﴾ وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه وهو مأخوذ من أحاط به العدوفانه اذا أحاط به غلبه واذاغلبه أهلكه ونظيره أتي عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدوّ اذاجاءهم مستعليا عليهم ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا ﴿على ماأنفق فيها﴾ فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أوحال أى متحسرا على ماأنفق فيها ﴿وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ بأن سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها عليها ﴿ويقول﴾ عطف على يقلب أوحال من ضميره ﴿ياليتنى لم أشرك بربى أحدا﴾ كانه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل شركه فتمنى لولم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ماسبق منه ﴿ولم تكن له فئة﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه ﴿ينصرونه﴾ يقدرون على نصره بدفع الاهلاك أورد المهلك أوالاتيان بمثله ﴿من دون الله﴾ فانه القادر على ذلك وحده ﴿وما كان منتصرا﴾ وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه ﴿هنالك﴾ فى ذلك المقام وتلك الحال ﴿الولاية لله الحق﴾ النصرة له وحده لايقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أوينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله ﴿هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ أى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائى بالكسر ومعناها السلطان والملك أى هنالك السلطان له لايغلب ولايمنع منه أولايعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله ياليتنى لم أشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ أبوعمرو والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة ﴿واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا﴾ واذكر لهم مايشبه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها أوصفتها الغريبة ﴿كماء﴾ هي كماء ويجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير ﴿أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض﴾ فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أونجع فى النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكنه لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته ﴿فأصبح هشيما﴾ مهشوما مكسورا ﴿تذروه الرياح﴾ تفرقه وقرئ تذريه من أذري والمشبه به ليس الماء ولاحاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن ﴿وكان الله على كل شئ﴾ من الانشاء والافناء ﴿مقتدرا﴾ قادرا ﴿المال والبنون زينة الحيوة الدنيا﴾ يتزين بها الانسان فى دنياه وتفني عنه عما قريب ﴿والباقيات الصالحات﴾ وأعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج فيها مافسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله أكبر والكلام الطيب ﴿خير عند ربك﴾ من المال والبنين ﴿ثوابا﴾ عائدة ﴿وخير أملا﴾ لان صاحبها ينال بها فى الآخرة ماكان يؤمل بها فى الدنيا

﴿ويوم نسير الجبال﴾ واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو أو نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك أى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت ﴿وترى الارض بارزة﴾ بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها مايسترها وقرئ وترى على بناء المفعول ﴿وحشرناهم﴾ وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ماوعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد ﴿فلم نغادر﴾ فلم نترك ﴿منهم أحدا﴾ يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لماغادره السيل وقرئ بالياء ﴿وعرضوا على ربك﴾ شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لاليعرفهم بل ليأمر فيهم ﴿صفا﴾ مصطفين لايحجب أحد أحدا ﴿لقد جئتمونا﴾ على اضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا فى يوم نسير ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ عراة لاشئ معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى أو أحياء كخلقتكم الاولى لقوله ﴿بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا﴾ وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وأن الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى أخرى ﴿ووضع الكتاب﴾ صحائف الاعمال فى الأيمان والشمائل أوفى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب ﴿فترى المجرمين مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من الذنوب ﴿ويقولون ياويلتنا﴾ ينادون هلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات ﴿مال هذا الكتاب﴾ تعجبا من شأنه ﴿لايغادر صغيرة﴾ هنة صغيرة ﴿ولا كبيرة الا أحصاها﴾ الاعددها وأحاط بها ﴿ووجدوا ماعملوا حاضرا﴾ مكتوبا فى الصحف ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ فيكتب عليه مالم يفعل أو يزيد فى عقابه الملائم لعمله ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس﴾ كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس أولما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم أولا فى زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وأبقى من أنفسها وأعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير مابينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن ﴿كان من الجن﴾ حال باضمار قد أو استئناف للتعليل كانه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ فخرج عن أمره بترك السجود والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لايعصى ألبتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى أصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة ﴿أفتتخذونه﴾ أعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب ﴿وذريته﴾ أولاده أو أتباعه وسماهم ذرية مجازا ﴿أولياء من دوني﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتى ﴿وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ من الله تعالى ابليس وذريته ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق أنفسهم﴾ نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ أى أعوانا ردا لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وماخصصتهم بعلوم لايعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لاينبغى لى أن أعتضد بالمضلين لدينى ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذاقواه ﴿ويوم يقول﴾ أى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون ﴿نادوا شركائى الذين زعمتم﴾ أنهم شركائى وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ماعبد من دونه وقيل ابليس وذريته ﴿فدعوهم﴾ فنادوهم للاغاثة ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يغيثوهم ﴿وجعلنا بينهم﴾ بين الكفار وآلهتهم ﴿موبقا﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لايكن حبك كلفا ولابغضك تلفا اسم مكان أو مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا﴾ فأيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفا﴾ انصرافا أو مكانا ينصرفون اليه

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ
فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۞ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا
لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۞ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۞
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۞
مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ
وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۞ وَيَوْمَ يَقُولُ
نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۞ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ
فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۞

﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل﴾ من كل جنس يحتاجون اليه ﴿وكان الانسان أكثر شئ﴾ يتأتى منه الجدل ﴿جدلا﴾ خصومة بالباطل وانتصابه على التميز ﴿ومامنع الناس أن يؤمنوا﴾ من الايمان ﴿اذجاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ﴿ويستغفروا ربهم﴾ ومن الاستغفار من الذنوب ﴿الا أن تأتيهم سنة الاوّلين﴾ الاطلب أوانتظار أوتقدير أن تأتيهم سنة الاوّلين وهي الاستئصال فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ﴿أويأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة ﴿قبلا﴾ عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهولغة فيه أوجمع قبيل بمعني أنواع وقرئ بفتحتين وهوأيضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضميرأو العذاب ﴿وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا ﴿ليدحضوا به﴾ ليزيلوا بالجدال ﴿الحق﴾ عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما أنتم الابشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك ﴿واتخذوا آياتي﴾ يعنى القرآن ﴿وما أنذروا﴾ وانذارهم أو والذي أنذروا به من العقاب ﴿هزوا﴾ استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه﴾ بالقرآن ﴿فأعرض عنها﴾ فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ﴿ونسى ماقدمت يداه﴾ من الكفروالمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتهما ﴿انا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى ﴿وفى آذانهم وقرا﴾ يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه ﴿وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا﴾ تحقيقا ولاتقليدا لانهم لايفقهون ولايسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لا أدعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم يدل عليه ﴿وربك الغفور﴾ البليغ المغفرة ﴿ذو الرحمة﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۞ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ۞ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۞ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ۞ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۞ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۞

الموصوف بالرحمة ﴿لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب﴾ استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بل لهم موعد﴾ وهو يوم بدر أويوم القيامة ﴿لن يجدوا من دونه موئلا﴾ منجا ولاملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه ﴿وتلك القرى﴾ يعنى قرى عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره ﴿أهلكناهم﴾ أو مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف فى أحدهما ليكون مرجع الضمائر ﴿لما ظلموا﴾ كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصى ﴿وجعلنا لمهلكهم موعدا﴾ لاهلاكهم وقتا معلوما لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون فليعتبروا بهم ولايغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ماشذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض ﴿واذ قال موسى﴾ مقدرباذكر ﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده ﴿لا أبرح﴾ أى لاأزال أسيرفحذف الخبر لدلالة حاله وهوالسفر وقوله ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ من حيث انهاتستدعي ذاغاية عليه ويجوز أن يكون أصله لايبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح هو بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلايستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم ممايلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحرعلم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع ﴿أو أمضى حقبا﴾ أو أسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع امابلوغ المجمع أو مضى الحقب أو حتى أبلغ الا أن أمضى زمانا أتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون * روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى أيام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى *وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أىّ عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فأىّ عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى قال فأىّ عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أوترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان ﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾ أى مجمع البحرين وبينهما ظرف أضيف اليه على الاتساع أوبمعنى الوصل ﴿نسيا حوتهما﴾ نسى موسى عليه الصلاة والسلام أن يطلبه ويتعرف حاله ويوشع أن يذكر له مارأى من حياته ووقوعه في البحر

* روى أن موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى أوالخضر وقيل توضا يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد أمره ومايكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب ﴿فاتخذ سبيله فى البحر سربا﴾ فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ

﴿ فلما جاوزا ﴾ مجمع البحرين ﴿ قال لفتاه آتنا غداءنا ﴾ مانتغدى به ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ قيل لم ينصب حتى جاز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غـيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة ﴿ قال أرأيت اذ أوينا ﴾ أرأيت مادهاني اذ أوينا ﴿ الى الصخرة ﴾ يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت ﴿ فاني نسيت الحوت ﴾ فقدته أونسيت ذكره بما رأيت منه ﴿ وما أنسانيـه الا الشيطان أن أذكره ﴾ أى وما أنساني ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ أن أذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لاينسى مثلها لـكنه لما ضرى بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها قلّ اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه أولأن عدم احتمال القوّة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعدّ من نقصان ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أواتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر أى قال في آخر كلامه أو موسى فى جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى أى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا ﴿ قال ذلك ﴾ أى أمر الحوت ﴿ ماكنا نبغ ﴾ نطلب لأنه أمارة المطلوب ﴿ فارتدّا على آثارهما ﴾ فرجعا في الطريق الذي جاآ فيه ﴿ قصصا ﴾ يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة ﴿ فوجدا عبدا من عبادنا ﴾ الجمهور على أنه الخضر عليه السلام واسمه بليا بن ملـكان وقيل اليسع وقيل الياس ﴿ آتيناه رحمة من عنـدنا ﴾ هي الوحى والنبوّة ﴿ وعلمناه من لدنا علما ﴾ مما يختصّ بنا ولايعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن ﴾ على شرط أن تعلمنى وهو في موضع الحال من الـكاف ﴿ مما علمت رشدا ﴾ علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحـذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز أن يكون رشدا علة لأتبعك أومصدرا باضمار فعله ولاينافى نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في أبواب الدين فان الرسول ينبغى أن يكون أعلم ممن أرسل اليه فيما بعث به من أصول الدن وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعا له وسأل منـه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه ﴿ قال انك لن تستطيع معى صـبرا ﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لايصح ولايستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله ﴿ وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ﴾ أى وكيف تصبر وأنت نبيّ على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تميز أو مصـدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره ﴿ قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ﴾ معك غير منكر عليك ﴿ ولا أعصى لك أمرا ﴾ عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص أوعلى ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن وخلفه ناسيا لايقدح فى عصمته أولعلمه بصعوبة الأمر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلاخلف وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعـة بمشيئة الله تعالى ﴿ قال فان اتبعتني فلاتسألنى عن شئ ﴾ فلاتفاتحنى بالسؤال عن شئ أنـكرته منى ولم تعلم وجه صحته ﴿ حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ حتى أبتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلاتسألنى بالنون الثقيـلة ﴿ فانطلقا ﴾ على الساحل يطلبان السفينة ﴿ حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها ﴾ أخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها ﴿ قال أخرقتها لتغرق أهلها ﴾ فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتـكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق أهلها على اسناده الى الأهل ﴿ لقد جئت شيأ امرا ﴾ أتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَيٰهُ اٰتِنَا غَدَاۤءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هٰذَا نَصَبًا ۝ قَالَ اَرَاَيْتَ اِذْ اَوَيْنَاۤ اِلَى الصَّخْرَةِ فَاِنّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَاۤ اَنْسٰنِيهُ اِلَّا الشَّيْطٰنُ اَنْ اَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ ذٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلٰۤى اٰثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَاۤ اٰتَيْنٰهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنٰهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسٰى هَلْ اَتَّبِعُكَ عَلٰۤى اَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلٰى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِىۤ اِنْ شَاۤءَ اللّٰهُ صَابِرًا وَلَاۤ اَعْصِى لَكَ اَمْرًا ۝ قَالَ فَاِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْئَلْنِى عَنْ شَىْءٍ حَتّٰۤى اُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتّٰۤى اِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ اَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ اَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا اِمْرًا ۝ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ اِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ اَمْرِى عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتّٰۤى اِذَا لَقِيَا غُلٰمًا فَقَتَلَهُ قَالَ اَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۞ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ
عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ۞
فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ
لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ
سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا السَّفِينَةُ
فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ
وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ
فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ
رُحْمًا ۞ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ
وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا
أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ ع
وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۞

﴿ قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ تذكير لما ذكره قبل ﴿ قال لاتؤاخذنى بما نسيت ﴾ بالذى نسيته أو بشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه أو بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أى لاتؤاخذني بما تركت من وصيتك أوّل مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه ﴿ ولا ترهقنى من أمرى عسرا ﴾ ولا تغشنى عسرا من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين ﴿ فانطلقا ﴾ أى بعد ماخرجا من السفينة ﴿ حتى اذا لقيا غلاما فقتله ﴾ قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه والفاء للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك ﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس ﴾ أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاوّل أبلغ وقال أبوعمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التى أذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبا يقتضى قتلها أو قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على أن القتل انما يباح حدّا أو قصاصا وكلا الامرين منتف ولعلّ تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه الصلاة والسلام مستأنفا فى الأولى وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لأن القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله ﴿ لقد جئت شيأ نكرا ﴾ أى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وأبوبكر نكرا بضمتين ﴿ قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ﴾ زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرّر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أوّل مرة حتى زاد في الاستنكار ثانى مرة ﴿ قال ان سألتك عن شئ بعدها فلاتصاحبنى ﴾ وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلاتصحبنى أى فلاتجعلنى صاحبك ﴿ قد بلغت من لدني عذرا ﴾ قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات ❊ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله ❊ قدني من نصر الخبيبين قدى ❊ وأبو بكر لدني بتحريك النون واسكان الضاد من عضد ﴿ فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية ﴾ قرية انطاكية وقيل أبلة البصرة وقيل باجروان أرمينية ﴿ استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال ﴿ فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقضّ ﴾ يدانى أن يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهمّ والعزم ❊ قال

يريد الرمح صدر أبى براء ❊ ويعدل عن دماء بنى عقيل

وقال ان دهرا يلم شملى بجمل ❊ لزمان يهمّ بالاحسان

وانقضّ انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه أو افعلّ من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السنّ اذا انشقت طولا ﴿ فأقامه ﴾ بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه ﴿ قال لوشئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بانه فضول لما في لو من النفى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أى لأخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك ﴾ الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلاتصاحبنى أو الى الاعتراض الثالث أو الوقت أى هذا الاعتراض سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الأصل ﴿ سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر ﴾ لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ أن أجعلها ذات عيب ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى ﴿ يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ من أصحابها وكان حق النظم أن يتأخر قوله ـ فأردت أن أعيبها ـ عن قوله ـ وكان وراءهم ملك ـ لأن ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدّم للعناية أو لأن السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزأين وأدعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعني عليها ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما ﴾ أن يغشيهما ﴿ طغيانا وكفرا ﴾ لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرّا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدّا باضلاله أو بممالأته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لأن الله تعالى أعلمه ❊ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ماعلمه عالم موسى فلك أن تقتل وقرئ فخاف ربك أى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عزّ وجل ﴿ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه ﴾ أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه ﴿ زكاة ﴾ طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة ﴿ وأقرب رحما ﴾ رحمة وعطفا على والديه ❊ قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت له نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبوعمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة ﴾ قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله تعالى ـ والذين يكنزون الذهب والفضة ـ لمن لا يؤدّى زكاتهما وماتعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله ﴿ وكان أبوهما صالحا ﴾ تنبيه على أن سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذى حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح ﴿ فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما ﴾ أى الحلم وكمال الرأى ﴿ ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ﴾ مرحومين من ربك ويجوز أن يكون علة

أومصدرا لأ راد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت مافعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة أوّلا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لأن التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لامدخل له فى بلوغ الغلامين أو لأن الاول فى نفسه شرّ والثالث خير والثانى ممتزج أو لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط ﴿ ومافعلته ﴾ ومافعلت مارأيته ﴿ عن أمرى ﴾ عن رأيي وانما فعلته بأمر الله عزّوجل ومبنى ذلك على أنه اذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غير أن الشرائع فى تفاصيله مختلفة ﴿ ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ﴾ أى مالم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة أن لايعجب المرء بعلمه ولايبادر الى انكار مالم يستحسنه فلعلّ فيه سرّا لايعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب فى المقابل وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ﴿ ويسئلونك عن ذى القرنين ﴾ يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذا القرنين أولانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه واختلف فى نبوّته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا أو مشركو مكة ﴿ قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴾ خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله ﴿ انا مكنا له فى الأرض ﴾ أى مكنا له أمره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول ﴿ وآتيناه من كل شئ ﴾ أراده وتوجه اليه ﴿ سببا ﴾ وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة ﴿ فأتبع سببا ﴾ أي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ﴾ ذات حمأ من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر حامية أى حارة ولاتنافي بينهما لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين أوحمية على أن ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ماقبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال ـ وجدها تغرب ـ ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده في التوراة ﴿ ووجد عندها ﴾ عند تلك العين ﴿ قوما ﴾ قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا نخيره الله بين أن يعذبهم أويدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله ﴿ قلنا ياذا القرنين اما أن تعذّب ﴾ أى بالقتل على كفرهم ﴿ واما أن تتخذ فيهم حسنا ﴾ بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والأسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله ﴿ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يردّ الى ربه فيعذّبه عذابا نكرا ﴾ أى فاختار الدعوة وقال أما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره أواستمرّ على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه أنا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله ﴿ وأما من آمن وعمل صالحا ﴾ وهو مايقتضيه الايمان ﴿ فله ﴾ فى الدارين ﴿ جزاء الحسنى ﴾ فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال أى فله المثوبة الحسني مجزيا بها أوعلى المصدر لفعله المقدر حالا أى يجزى بها جزاء أوالتميز وقرئ منصوبا غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على أنه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز أن يكون اما واما للتقسيم دون التخيير أى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن أصرّ على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام أوعلى لسان نبي ﴿ وسنقول له من أمرنا ﴾ مما نأمر به ﴿ يسرا ﴾ سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ﴿ ثم أتبع سببا ﴾ ثم أتبع طريقا يوصله الى المشرق ﴿ حتى اذا بلغ مطلع الشمس ﴾ يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أوّلا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف أي مكان مطلع الشمس فانه مصدر ﴿ وجدها تطلع علي قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾ من اللباس اوالبناء فان أرضهم لاتمسك الابنية أوأنهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية ﴿ كذلك ﴾ أي أمر ذى القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك أوأمره فيهم كأمره فى أهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد أونجعل أوصفة قوم أى على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم ﴿ وقد أحطنا بما لديه ﴾ من الجنود والآلات والعدد والاسباب ﴿ خبرا ﴾ علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لايحيط به الا علم اللطيف الخبير ﴿ ثم أتبع سببا ﴾ يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ﴿ حتى اذا بلغ بين السدّين ﴾ بين الجبلين المبنى بينهما سدّه وهما جبلا أرمينية وأذربيجان وقيل جبلان منيفان فى أواخر الشمال فى منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وأبوبكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة ﴿ وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ﴾ لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لايفقهون أي لايفهمون السامع كلامهم ولايبينونه لتلعثمهم فيه ﴿ قالوا ياذا القرنين ﴾ أى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ﴿ ان يأجوج ومأجوج ﴾ قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجبل وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث ﴿ مفسدون فى الارض ﴾ أى فى أرضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع * قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلايتركون أخضر الاأكلوه ولايابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ﴿ فهل نجعل لك خرجا ﴾ جعلا نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر ﴿ على أن تجعل بيننا وبينهم سدّا ﴾ يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي ﴿ قال مامكني فيه ربى خير ﴾ ماجعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولاحاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل ﴿ فأعينوني بقوّة ﴾ أى بقوّة فعلة أوبما أتقوى به من الآلات ﴿ أجعل بينكم وبينهم ردما ﴾ حاجزا حصينا وهو أكبر من السدّ من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع ﴿ آتونى زبر الحديد ﴾ قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لاينافى ردّ الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة أبى بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ سَبَبًا
۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ
وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۝ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ
ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۝ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ
سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ
لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ
خُبْرًا ۝ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ
مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ
إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ
رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝
آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا
حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝

على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى أمرتك الخير ولأن اعطاء الآلة من الاعانة بالقوّة دون الخراج على العمل ﴿ حتى اذا ساوى بين الصدفين ﴾ بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لأن كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل ﴿ قال انفخوا ﴾ أى قال للعملة انفخوا فى الأكوار والحديد ﴿ حتى اذا جعله ﴾ جعل المنفوخ فيه ﴿ نارا ﴾ كالنار بالاحماء ﴿ قال آتونى أفرغ عليه قطرا ﴾ أى آتوني قطرا أى نحاسا مذابا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على أن اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول أفرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال ائتوني موصولة الالف ﴿ فما اسطاعوا ﴾ بحذف التاء حذرا من تلاق متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ﴿ أن يظهروه ﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ﴿ وما استطاعوا له نقبا ﴾ لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها ﴿ قال هذا ﴾ هذا السد أو الاقدار على تسويته ﴿ رحمة من ربى ﴾ على عباده ﴿ فاذا جاء وعد ربى ﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة ﴿ جعله دكا ﴾ مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أى أرضا مستوية ﴿ وكان وعد ربي حقا ﴾ كائنا لامحالة وهذا آخر حكاية قول ذى القرنين ﴿ وتركنا بعضهم يؤمئذ يموج في بعض ﴾ وجعلنا بعض يأجوج

فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ۞ قال هذا
رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى
حقا ۞ وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور
فجمعناهم جمعا ۞ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا ۞ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا
لا يستطيعون سمعا ۞ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى
من دونى أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ۞
قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ۞ الذين ضل سعيهم فى الحيوة
الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ۞ أولئك
الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا ۞ ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا
آياتى ورسلى هزوا ۞ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا ۞ خالدين فيها لا يبغون
عنها حولا ۞ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر
قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ۞

ومأجوج حين يخرجون مما وراء السدّ يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد أو يموج بعض الخلق فى بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده قوله ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ لقيام الساعة ﴿ فجمعناهم جمعا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ﴾ وأبرزناها واظهرناها لهم ﴿ الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى ﴾ عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم ﴿ وكانوا لا يستطيعون سمعا ﴾ استماعا لذكري وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية ﴿ أفحسب الذين كفروا ﴾ أفظنوا والاستفهام للانكار ﴿ أن يتخذوا عبادى ﴾ اتخاذهم الملائكة والمسيح ﴿ من دونى أولياء ﴾ معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم فى النجاة وأن بما فى حيزها مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل أو خبر له ﴿ انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾ مايقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ماتستحقر دونه ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا ﴾ نصب على التميز وجمع لانه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم ﴿ الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا ﴾ ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ بعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ﴾ بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوّة ﴿ ولقائه ﴾ بالبعث على ماهو عليه أو لقاء عذابه ﴿ فحبطت أعمالهم ﴾ بكفرهم فلا يثابون عليها ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها ﴿ ذلك ﴾ أى الامر ذلك وقوله ﴿ جزاؤهم جهنم ﴾ جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر ﴿ بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾ فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل ﴿ خالدين فيها ﴾ حال مقدرة ﴿ لا يبغون عنها حولا ﴾ تحوّلا اذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم اليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود ﴿ قل لو كان البحر مدادا ﴾ ما يكتب به وهو اسم مايمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج ﴿ لكلمات ربى ﴾ لكلمات علمه وحكمته ﴿ لنفد البحر ﴾ لنفد جنس البحر بأسره لان كل جسم متناه ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربى ﴾ فانها غير متناهية لاتنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائى بالياء ﴿ ولو جئنا بمثله ﴾ بمثل البحر الموجود ﴿ مددا ﴾ زيادة ومعونة لان مجموع المتناهين متناه بل مجموع مايدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل أن ينفد غير المتناهي لامحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي مايستمده الكاتب ومدادا ＊وسبب نزولها أن اليهود قالوا فى كتابكم ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ وتقرؤن ـ وما أوتيتم من العلم الا قليلا ـ

﴿ قل انما أنا بشر مثلكم ﴾ لاأدعي الاحاطة على كلماته ﴿ يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴾ وانما تميزت عنكم بذلك ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ يؤمل حسن لقائه أويخاف سوء لقائه ﴿فليعمل عملا صالحا ﴾ يرتضيه الله ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ بان يرائيه أويطلب منه أجرا * روى أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لايقبل ماشورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

﴿ سورة مريم مكية الا آية السجدة وهى ثمان أو تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * كهيعص ﴾ أمال أبو عمرو الهاء لان ألفات أسماء التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وأبو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ﴿ ذكر رحمت ربك ﴾ خبر ماقبله ان أول بالسورة أو بالقرآن فانه مشتمل عليه أو خبر محذوف أى هذا المتلوّ ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أى فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضي وذكر على الامر ﴿عبده﴾ مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۞

سورة مريم مكية وثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
كهيعص ۞ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۞ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً
خَفِيًّا ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا
وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۞ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي
وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۞ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۞ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۞ قَالَ
رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ
مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ
وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۞ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي
آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۞

فخرج

على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد ﴿ زكريا ﴾ بدل منه أو عطف بيان له ﴿ اذ نادى ربه نداء خفيا ﴾ لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء أشد اخباتا وأكثر اخلاصا أولئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر أولئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم أولان ضعف الهرم أخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون ﴿ قال رب انى وهن العظم مني ﴾ تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن وأصل بنائه ولانه أصلب مافيه فاذا وهن كان ماوراءه أوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن ووهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث ﴿واشتعل الرأس شيبا ﴾ شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوّه فى الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾ بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعوّ له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وأنه تعالى عوّده بالاجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لايخيب من أطمعه ﴿وانى خفت الموالى ﴾ يعنى بنى عمه وكانوا أشرار بنى اسرائيل فخاف أن لايحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم ﴿من ورائي ﴾ بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف أو بمعنى الموالى أى خفت فعل الموالى من ورائى أو الذين يلون الامر من ورائى وقرئ خفت الموالى من ورائي أى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى أو خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت ﴿ وكانت امرأتي عاقرا ﴾ لاتلد ﴿ فهب لى من لدنك ﴾ فان مثله لايرجى الامن فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لاتصلح للولادة ﴿ وليا ﴾ من صلبي ﴿ يرثنى ويرث من آل يعقوب ﴾ صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائى على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لايورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من أحد الضميرين وأويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على أنه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور أولا مع أنه المراد ﴿واجعله رب رضيا ﴾ ترضاه قولا وعملا ﴿ يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي ﴾ جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له ﴿ لم نجعل له من قبل سميا ﴾ لم يسم أحد بيحيي قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم والاظهر أنه أعجمى وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حي به رحم أمه أولان دين الله حي بدعوته ﴿قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾ جساوة وقحولا فى المفاصل وأصله عتو وكقعود فاستثقلوا توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك ﴿ قال ﴾ أى الله تعالى أو الملك المبلغ للبشارة تصديقا له ﴿ كذلك ﴾ الامر كذلك ويجوز أن تكون الكاف منصوبة بقال فى ﴿ قال ربك ﴾ وذلك اشارة الى مبهم يفسره ﴿هو علىّ هين ﴾ ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين أى الامر كما قلت أو كما وعدت وهو على ذلك يهون على أو كما وعدت وهو على هين لاأحتاج فيما أريد أن أفعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ ﴾ بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك ﴿قال رب اجعل لى آية ﴾ علامة أعلم بها وقوع مابشرتنى به ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى هنا والايام فى آل عمران للدلالة على أنه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة أيام ولياليهن

﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ من المصلى أومن الغرفة ﴿فاوحى اليهم﴾ فأومأ اليهم لقوله الارمزا وقيل كتب لهم على الارض ﴿أن سبحوا﴾ صلوا أونزهوا ربكم ﴿بكرة وعشيا﴾ طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وأن تحتمل أن تكون مصدرية وأن تكون مفسرة ﴿يايحيي﴾ على تقدير القول ﴿خذ الكتاب﴾ التوراة ﴿بقوة﴾ بجدواستظهار بالتوفيق ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة أحكم الله عقله فى صباه واستنباه ﴿وحنانا من لدنا﴾ ورحمة مناعليه أورحمة وتعطفا فى قلبه على أبويه وغيرهما عطف على الحكم ﴿وزكاة﴾ وطهارة من الذنوب أوصدقة أى تصدق الله به على أبويه أومكنه ووفقه للتصدق على الناس ﴿وكان تقيا﴾ مطيعا متجنبا عن المعاصى ﴿وبرا بوالديه﴾ وبارا بهما ﴿ولم يكن جبارا عصيا﴾ عاقا أوعاصى ربه ﴿وسلام عليه﴾ من الله ﴿يوم ولد﴾ من أن يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم ﴿ويوم يموت﴾ من عذاب القبر ﴿ويوم يبعث حيا﴾ من عذاب النار وهول القيامة ﴿واذكر فى الكتاب﴾ فى القرآن ﴿مريم﴾ يعنى قصتها ﴿اذ انتبذت﴾ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على مافيها أوبدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد أوظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى أن المصدرية كقولك أكرمتك اذلم تكرمنى فتكون بدلا لامحالة ﴿من أهلها مكانا شرقيا﴾ شرقى بيت المقدس أوشرقى دارها ولذلك اتخذ النصاري المشرق قبلة ومكانا ظرف أو مفعول لان انتبذت متضمن معنى أتت ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾ سترا ﴿فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾ قيل قعدت فى مشرقة للاغتسال من الحيض متحجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذاحاضت وتعود اليه اذاطهرت فبينما هي فى مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب أمرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهييج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها ﴿قالت انى أعوذ بالرحمن منك﴾ من غاية عفافها ﴿ان كنت تقيا﴾ تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله أى فانى عائذة منك أوفتتعظ بتعويذى أوفلا تتعرض لى ويجوز أن يكون للمبالغة أى ان كنت تقيا متورعا فانى أتعوذ منك فكيف اذالم تكن كذلك ﴿قال انما أنا رسول ربك﴾ الذى استعذت به ﴿لأهب لك غلاما﴾ أى لأكون سببا في هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز أن يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة أبي عمرووالاكثر عن نافع ويعقوب بالياء ﴿زكيا﴾ طاهرا من الذنوب أوناميا على الخير أى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح ﴿قالت أني يكون لى غلام ولم يمسسني بشر﴾ ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه أما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ﴿ولم أك بغيا﴾ عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أوفعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة أوللنسب كطالق ﴿قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله﴾ أى ونفعل ذلك لنجعله آية أولنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات ﴿آية للناس﴾ علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ﴿ورحمة منا﴾ على العباد يهتدون بارشاده ﴿وكان أمرا مقضيا﴾ أي تعلق به قضاء الله فى الازل أوقدر وسطر فى اللوح أوكان أمرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة ﴿فحملته﴾ بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكان مدة حملها سبعة أشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقدحاضت حيضتين ﴿فانتبذت به﴾ فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * والجار والمجرور فى موضع الحال ﴿مكانا قصيا﴾ بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار ﴿فأجاءها المخاض﴾ فألجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى فى أعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج ﴿الى جذع النخلة﴾ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو مابين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لارأس لها ولاخضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس أوللعهد اذلم يكن ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياته مايسكن روعتها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ﴿قالت ياليتنى مت قبل هذا﴾ استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ أبوعمرووابن كثيروابن عامر وأبوبكر مت من مات يموت ﴿وكنت نسيا﴾ مامن شأنه أن ينسى ولايطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه أومصدر سمى به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته ﴿منسيا﴾ منسى الذكر بحيث لايخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع ﴿فناداها من تحتها﴾ عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها أسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على أن في نادى ضمير أحدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة ﴿ألا تحزني﴾ أى لاتحزني أوبان لاتحزنى ﴿قد جعل ربك تحتك سريا﴾ جدولا هكذا * روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿وهزى اليك بجذع النخل﴾ وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد أوافعلى الهز والامالة به أوهزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع ﴿تساقط عليك﴾ تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى أسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع ﴿رطبا جنيا﴾ تمييز أومفعول * روى أنها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولاثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لايتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر أن يحبلها من غير فحل وأنه ليس ببدع من شأنها مع مافيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا
۞ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۞ وَحَنَانًا
مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۞ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا
عَصِيًّا ۞ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ
حَيًّا ۞ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ
إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بَغِيًّا ۞ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً
لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۞ فَحَمَلَتْهُ
فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ۞
فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞

﴿فكلى واشربى﴾ أى من الرطب وماء السرى أو من الرطب وعصيره ﴿وقرى عينا﴾ وطيبى نفسك وارفضى عنها ما أحزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت مايسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره أو من القرفان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه ﴿فاما ترين من البشر أحدا﴾ فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين ﴿فقولى انى نذرت للرحمن صوما﴾ صمتا وقد قرئ به أو صياما وكانوا لايتكلمون فى صيامهم ﴿فلن أكلم اليوم انسيا﴾ بعد أن أخبرتكم بنذري وانما أكلم الملائكة وأناجى ربى وقيل أخبرتهم بنذرها بالاشارة وأمرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام فانه قاطع فى قطع الطاعن ﴿فأتت به﴾ أى مع ولدها ﴿قومها﴾ راجعة اليهم بعد ماطهرت من النفاس ﴿تحمله﴾ حاملة اياه ﴿قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا﴾ أي بديعا منكرا من فرى الجلد ﴿يا أخت هرون﴾ يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من أعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما أو لما رأوا قبل من صلاحها أو شتموها به ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ تقرير لان ماجاءت به فرى وتنبيه على أن الفواحش من أولاد الصالحين أفحش ﴿فاشارت اليه﴾ الى عيسى عليه الصلاة والسلام أي كلموه ليجيبكم ﴿قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا﴾ ولم نعهد صبيا فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كقوله تعالى ـ وكان الله عليما حكيما ـ أو بمعنى صار ﴿قال اني عبد الله﴾ أنطقه الله تعالى به أولا لانه أول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته ﴿آتانى الكتاب﴾ الانجيل ﴿وجعلني نبيا وجعلنى مباركا﴾ نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ماسبق فى قضائه أو بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا ﴿أينما كنت﴾ حيث كنت ﴿وأوصاني﴾ وأمرني ﴿بالصلاة والزكاة﴾ زكاة المال ان ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل ﴿مادمت حيا وبرا بوالدتى﴾ وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصانى أى وكلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ عند الله من فرط تكبره ﴿والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ كما هو على يحيي والتعريف للعهد والاظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى ـ والسلام على من اتبع الهدى ـ فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾ أى الذى تقدم نعته هو عيسى ابن مريم لا مايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم ﴿قول الحق﴾ خبر محذوف أي هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول ﴿الذى فيه يمترون﴾ فى أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾ تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه ﴿اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون﴾ تبكيت لهم فان من اذا أراد شيأ أوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق الى الحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب ﴿وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولان وقيل أنه معطوف على الصلاة ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾ اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيامة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وآرابهم وأرجلهم بالكفر والفسق او من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ماشهدوا به في عيسى وأمه ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ تعجب معناه أن استماعهم وابصارهم ﴿يوم يأتوننا﴾ أى يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم ومايحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب ﴿لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين﴾ أوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۝ فَأَتَتْ بِهِ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۝ يَا أُخْتَ
هٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ
إِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا
بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ
مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝
وَإِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
۝ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
لٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝

﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ يوم يتحسر الناس المسيء على اساءته والمحسن على قلة احسانه ﴿اذ قضى الامر﴾ فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم أوظرف للحسرة ﴿وهم فى غفلة وهم لايؤمنون﴾ حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين ومابينهما اعتراض أو بانذرهم أى أنذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة للتعليل ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ لايبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولاملك أو نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه ﴿والينا يرجعون﴾ يردّون للجزاء ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صدّيقا﴾ ملازما للصدق أو كثير التصديق لكثرة ماصدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله ﴿نبيا﴾ استنبأه الله ﴿اذ قال﴾ بدل من ابراهيم ومابينهما اعتراض أومتعلق بكان أو بصدّيقا نبيا ﴿لابيه يا أبت﴾ التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لايقال يا أبتى ويقال يا أبتا وانما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها ﴿لم تعبد مالايسمع ولايبصر﴾ فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ﴿ولايغنى عنك شيأ﴾ فى جلب نفع أودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة مايستخف به العقل الصريح ويابي الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولاتحق الالمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغى أن يفعل مايفعل لغرض صحيح والشئ لوكان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لايسمع ولايبصر ثم دعاه الى أن يتبعه ليهديه الى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوىّ فقال ﴿يا أبت انى قدجاءني من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا﴾ ولم يسم أباه بالجهل المفرط ولانفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون أعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال ﴿يا أبت لاتعبد الشيطان﴾ ولما استهجن ذلك بين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ﴿ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ ومعلوم أن المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته ومايجرّ اليه فقال ﴿يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾ قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك أوثابتا في موالاته فانه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من بين جناياته لارتقاء همته فى الربانية أولانه ملاكها أو لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم﴾ قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيابنى وأخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لايرغب عنها عاقل ثم هدده فقال ﴿لئن لم تنته﴾ عن مقالك فيها أو الرغبة عنها ﴿لارجمنك﴾ بلساني يعنى الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد منى ﴿واهجرني﴾ عطف على مادل عليه لارجمنك أى فاحذرني واهجرني ﴿مليا﴾ زمانا طويلا من الملاوة أومليا بالذهاب عنى ﴿قال سلام عليك﴾ توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة أى لاأصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد مايؤذيك ولكن ﴿ساستغفرلك ربى﴾ لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره فى سورة التوبة ﴿انه كان بى حفيا﴾ بليغا فى البر والالطاف ﴿وأعتزلكم وماتدعون من دون الله﴾ بالمهاجرة بدينى ﴿وأدعو ربى﴾ وأعبده وحده ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا﴾ خائبا ضائع السعى مثلكم فى دعاء آلهتكم وفى تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن الاجابة والاثابة تفضل غير واجبتين وأن ملاك الامر خاتمته وهو غيب ﴿فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله﴾ بالهجرة الى الشام ﴿وهبنا له اسحق ويعقوب﴾ بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لماقصد الشام أتي أوّلا حران وتزوج سارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء أولانه أراد أن يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد ﴿وكلا جعلنا نبيا﴾ وكلا منهما أومنهم ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ النبوة والاموال والأولاد ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والمراد باللسان مايوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بمايثنون عليهم وأن محامدهم لاتخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل ﴿واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا﴾ موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أوأسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه ﴿وكان رسولا نبيا﴾ أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخلص وأعلى

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي
عَنْكَ شَيْئًا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ
إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ
عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۝
قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا
لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَاذْكُرْ
فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝

وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ
مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُولَئِكَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا
مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ فَخَلَفَ
مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ
يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا
مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا
وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝

رَبُّ

﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة ﴿ وقربناه ﴾ تقريب تشريف شبهه بمن قرّبه الملك لمناجاته ﴿ نجيا ﴾ مناجيا حال من أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع * لما روى أنه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ﴿ ووهبنا له من رحمتنا ﴾ من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿ أخاه ﴾ معاضدة أخيه وموازرته اجابة لدعوته ـ واجعل لى وزيرا من أهلي ـ فانه كان أسنّ من موسى وهو مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعيض ﴿ هرون ﴾ عطف بيان له ﴿ نبيا ﴾ حال منه ﴿ واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ﴾ ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال ـ ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ـ فوفى ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعته ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكوة ﴾ اشتغالا بالأهم وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ وأمر أهلك بالصلوة ـ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ـ وقيل أهله أمته فان الانبياء آباء الامم ﴿ وكان عند ربه مرضيا ﴾ لاستقامة أقواله وأفعاله ﴿ واذكر في الكتاب ادريس ﴾ وهو سبط شيث وجدّ أبى نوح عليهم الصلاة والسلام واسمه أخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وانه أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب ﴿ انه كان صدّيقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ﴾ يعنى شرف النبوّة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس عليهم الصلاة والسلام ﴿ الذين أنعم الله عليهم ﴾ بانواع النعم الدينية والدنيوية ﴿ من النبيين ﴾ بيان للموصول ﴿ من ذرّية آدم ﴾ بدل منه باعادة الجار ويجوز أن تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم أعمّ من الانبياء وأخصّ من الذرّية ﴿ وممن حملنا مع نوح ﴾ أى ومن ذرّية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿ ومن ذرية ابراهيم ﴾ الباقون ﴿ واسرائيل ﴾ عطف على ابراهيم أى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرّية ﴿ وممن هدينا ﴾ ومن جملة من هديناهم الى الحق ﴿ واجتبينا ﴾ للنبوّة والكرامة ﴿ اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا ﴾ خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علوّ الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى * وعن النبي عليه الصلاة والسلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكىّ جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون ﴿ أضاعوا الصلوة ﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الأب والانهماك فى المعاصى * وعن علىّ رضى الله تعالى عنه فى قوله ـ واتبعوا الشهوات ـ من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾ شرّا كقوله

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغىّ لائما

أو جزاء غىّ كقوله تعالى ـ يلق أثاما ـ أو غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم يستعيذ منه أوديتها ﴿ الا من تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ يدل على أن الآية فى الكفرة ﴿ فاولئك يدخلون الجنة ﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من أدخل ﴿ ولا يظلمون شيأ ﴾ ولا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم ويجوز أن ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم ﴿ جنات عدن ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها أو منصوب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم أو علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صحّ وصف ما أضيف اليه بقوله ﴿ التى وعد الرحمن عباده بالغيب ﴾ أى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم أو وهم غائبون عنها أو وعدهم بايمانهم بالغيب ﴿ انه ﴾ ان الله ﴿ كان وعده ﴾ الذى هو الجنة ﴿ مأتيا ﴾ يأتيها أهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من أتى اليه احسانا أى مفعولا منجزا ﴿ لا يسمعون فيها لغوا ﴾ فضول كلام ﴿ الا سلاما ﴾ ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة أو تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع أو على معنى أن التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهنّ فلول من قراع الكتائب

أو على أن معناه الدعاء بالسلامة وأهلها أغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة أقوى لفظ يستعمل فى التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل بردّ ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد ﴿ وما نتنزّل الا بأمر ربك ﴾ حكاية قول جبريل عليه الصلاة والسلام حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا أن يوحى اليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما حتى قال المشركون ودّعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحى ﴿ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل فى زمان دون زمان الا بأمره ومشيئته ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ تاركا لك أى ما كان عدم النزول الا لعدم الأمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بأمر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله ـ وما كان ربك نسيا ـ تقرير من الله لقولهم أى وما كان ربك نسيا لأعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله

﴿رب السموات والارض ومابينهما﴾ بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف أو بدل من ربك ﴿فاعبده واصطبر لعبادته﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه أى لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له أن ينساك أو اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بأبطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك ﴿هل تعلم له سميا﴾ مثلا يستحق أن يسمي الها أو أحدا سمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور أحديته تعالى وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر أى اذا صح أن لا أحد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ﴿ويقول الانسان﴾ المراد به الجنس بأسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبى بن خلف فانه أخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد أنا نبعث بعدما نموت ﴿أئذا مامت لسوف أخرج حيا﴾ من الارض أو من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لأن المنكر كونما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا ألله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال * وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر ﴿أولا يذكر الانسان﴾ عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل أن يتقدمهما للدلالة على أن المنكر بالذات هو المعطوف وأن المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل ﴿أنا خلقناه من قبل ولم يك شيا﴾ بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه أعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ أقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه تحقيقا للأمر وتفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿والشياطين﴾ عطف أو مفعول معه لما روى أن الكفرة يحشرون مع

رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهٖ

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ وَيَقُولُ الْاِنْسَانُ ءَاِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ

اُخْرَجُ حَيًّا ۝ اَوَلَا يَذْكُرُ الْاِنْسَانُ اَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

شَيْـًٔا ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ

جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ اَيُّهُمْ اَشَدُّ عَلَى

الرَّحْمٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ اَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ اَوْلٰى بِهَا صِلِيًّا ۝ وَاِنْ

مِنْكُمْ اِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلٰى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ

اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ اٰمَنُوا اَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

خَيْرٌ مَقَامًا وَاَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ

مِنْ قَرْنٍ هُمْ اَحْسَنُ اَثَاثًا وَرِئْيًا ۝ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ

فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا حَتّٰى اِذَا رَاَوْا مَا يُوعَدُونَ اِمَّا الْعَذَابَ

وَاِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَاَضْعَفُ

جُنْدًا ۝ وَيَزِيدُ اللّٰهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ

الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۝

قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم ﴿جثيا﴾ على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع أو لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب وأهل الموقف جاثون لقوله تعالى ـ وترى كل أمة جاثية ـ على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم أو لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ من كل أمة شاعت دينا ﴿أيهم أشد على الرحمن عتيا﴾ من كان أعصى وأعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من أهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد أنه يميز طوائفهم أعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقتها التى تليق به وأيهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه أن يبنى كسائر الموصولات لكنه أعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على أنه استفهامي وخبره أشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم أيهم أشد أو معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم أو مستأنفة والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من أو على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان أو متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بالصلى أو صليهم أولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز أن يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد ﴿وان منكم﴾ وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده أنه قرئ وان منهم ﴿الا واردها﴾ الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم * وعن جابر رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وأما قوله تعالى ـ أولئك عنها مبعدون ـ فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها ﴿كان على ربك حتما مقضيا﴾ كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى به بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل أقسم عليه ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء أى هناك ﴿ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيآتهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ مرتلات الالفاظ مبينات المعانى بنفسها أو ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم أو واضحات الاعجاز ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ لاجلهم او معهم ﴿أي الفريقين﴾ المؤمنين والكافرين ﴿خير مقاما﴾ موضع قيام أو مكانا وقرأ ابن كثير بالضم أي موضع اقامة ومنزل ﴿وأحسن نديا﴾ مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمى اهل كل عصر قرنا أى مقدما من قرن الدابة وهو مقدمها لانه يتقدم من بعده وهم أحسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ماجد منه والخرثي مارث والرئى المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها أو على انه من الرى الذي هو النعمة وقرأ ابو بكر رييا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بأن امهاله مما ينبغي أن يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى ـ انما نملي لهم ليزدادوا اثما ـ وكقوله ـ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴿حتى اذا رأوا ما يوعدون﴾ غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا أي قالوا أى الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون ﴿اما العذاب واما الساعة﴾ تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال ﴿فسيعلمون من هو شر مكانا﴾ من الفريقين بأن عاينوا الأمر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى ﴿وأضعف جندا﴾ أى فئة وانصارا قابل به أحسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن امهال الكافر وتمتيعه

٣١٢ سورة مريم

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ۞
أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ۞ كلا سنكتب
ما يقول ونمد له من العذاب مدا ۞ ونرثه ما يقول ويأتينا
فردا ۞ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ۞
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ۞
ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا
۞ فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا ۞ يوم نحشر
المتقين إلى الرحمن وفدا ۞ ونسوق المجرمين إلى جهنم
وردا ۞ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند
الرحمن عهدا ۞ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ۞ لقد جئتم
شيئا إدا ۞ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض
وتخر الجبال هدا ۞ أن دعوا للرحمن ولدا ۞ وما
ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ۞ إن كل من في السموات
والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ۞ لقد أحصيهم
وعدهم عدا ۞ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ۞

ان

بالحياة الدنيا ليس لفضله أراد أن يبين أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله عز وجل اراد به ماهو خير له وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كأنه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية ﴿والباقيات الصالحات﴾ الطاعات التى تبقى عائدتها أبد الآباد ويدخل فيها ماقيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ﴿خير عند ربك ثوابا﴾ عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله ﴿وخير مردا﴾ والخير ههنا اما لمجرد الزيادة أو على طريقة قولهم الصيف أحر من الشتاء أي ابلغ فى حره منه فى برده ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاذا بعثت جئتنى فيكون لى ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها فى التعقيب والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد فى اسد أو لغة فيه كالعرب والعرب ﴿أطلع الغيب﴾ أقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه ﴿سنكتب ما يقول﴾ سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ماانتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتابة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ــ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ــ ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ ونطول له من العذاب مايستأهله أو نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه واستهزائه على الله جلت عظمته ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ﴿ونرثه﴾ بموته ﴿ما يقول﴾ يعنى المال والولد ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فردا﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده ﴿كلا﴾ ردع وانكار لتعززهم بها ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله تعالى ــ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ــ أو سينكر الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله تعالى ــ ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ﴿ويكونون عليهم ضدا﴾ يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز أى ويكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى أنها تكون معونة فى عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة أى يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله
* أقلى اللوم عاذل والعتابن * أو على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده أى سيجحدون ــ كلا سيكفرون بعبادتهم ــ ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء ﴿تؤزهم أزا﴾ تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة ﴿فلا تعجل عليهم﴾ بان يهلكوا حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم ﴿انما نعد لهم﴾ ايام آجالهم ﴿عدا﴾ والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة ﴿يوم نحشر المتقين﴾ نجمعهم ﴿الى الرحمن﴾ الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق هذا الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها ﴿وفدا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ﴿ونسوق المجرمين﴾ كما تساق البهائم ﴿الى جهنم وردا﴾ عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش أو كالدواب التي ترد الماء ﴿لا يملكون الشفاعة﴾ الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم ﴿الا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل أن يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ماوعد الله تعالى أو الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله تعالى ــ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ــ من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به ومحله الرفع على البدل من الضمير أو النصب على تقدير مضاف أى الا شفاعة من اتخذ أو على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به أن يشفع له بالاسلام ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم ﴿لقد جئتم شيأ ادا﴾ على الالتفات للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالي والأد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وأدنى الامر وآدنى أثقلنى وعظم على ﴿تكاد السموات﴾ وقرأ نافع والكسائي بالياء ﴿يتفطرن منه﴾ يتشققن مرة بعد أخرى وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل التفعل التكلف ﴿وتنشق الارض وتخر الجبال هدا﴾ تهد هدا أو مهدودة أو لانها تهد أي تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى أن هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ يحتمل النصب على العلة لتكاد أو لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام أو بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك أن دعوا أو فاعل هدا أى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه ﴿وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا﴾ ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن أن يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله ﴿ان كل من فى السموات والأرض﴾ أى مامنهم ﴿الا آتى الرحمن عبدا﴾ الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل ﴿لقد أحصاهم﴾ حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته ﴿وعدهم عدا﴾ عد أشخاصهم وانفاسهم وأفعالهم فان كل شئ عنده بمقدار ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي فى أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فاحبوه فيحبه أهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين امالان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذاجا الاسلام أولان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافى صدورهم من الغل ﴿فانما يسرناه بلسانك﴾ بان أنزلناه بلغتك والباء بمعني على أوعلى أصله لتضمن يسرناه معني أنزلناه أى أنزلناه بلغتك ﴿لتبشربه المتقين﴾ الصائرين الى التقوى ﴿وتنذربه قوما لدا﴾ أشداء الخصومة آخذين فى كل لديد أى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشربه وأنذر ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ هل تشعر باحد منهم وتراه ﴿أوتسمع لهم ركزا﴾ وقرئ تسمع من أسمعت والركز الصوت الخفى وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذاغيب طرفه فى الارض والركاز المال المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحي ومريم وعيسى وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورين فيها وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن لم يدع الله

﴿ سورة طه مكية وهى مائة وخمس وثلاثون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * طه﴾ فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده أبو عمرو وورش لاستعلائه وأمالهما الباقون

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝ فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝ وَكَمْ
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝

سورة طه مكية وهي مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ
يَخْشَى ۝ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ۝
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ۝ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ
عَلَى النَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۝ إِنِّي أَنَا
رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝

وهما من أسماء الحروف وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل أصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله

ان السفاهة طاها في خلائقكم * لاقدس الله أخلاق الملاعين

ضعيف لجواز أن يكون قسما كقوله حم لاينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه وأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أوقلبت فى يطأ الفا كقوله * لاهناك المرتع * ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتابتهما على صورة الحرف وكذا التفسير يارجل أواكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ خبر طه ان جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أوالقرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجوابه ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية أواسمية باضمار مبتدا أوطائفة من الحروف محكية والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذما عليك الا أن تبلغ أوبكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه أنزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن أنزل عليك لتشقى به ﴿الا تذكرة﴾ لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولايجوز أن يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولامفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لايتعدى الى علتين وقيل هو مصدر فى موقع الحال من الكاف أوالقرآن أومفعول له على أن لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن أى ما أنزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة ﴿لمن يخشى﴾ لمن فى قلبه خشية ورقة تتأثر بالانذار أولمن علم الله منه أنه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به ﴿تنزيلا﴾ نصب باضمار فعله أو بيخشى أوعلى المدح أوالبدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا أومعني فلا لان الشئ لايعلل بنفسه ولابنوعه ﴿ممن خلق الارض والسموات العلى﴾ مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بفرط تعظيم المنزل بذكر أفعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التى هي أصول العالم وقدم الارض لانها أقرب الى الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى *ثم أشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير أمرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وأنزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال ﴿الرحمن على العرش استوى له مافي السموات ومافى الارض ومابينهما وماتحت الثرى﴾ ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لاتنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال ﴿وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى﴾ أى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن جهرك فانه سبحانه يعلم السر وأخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات الالوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال ﴿الله لااله الاهو له الاسماء الحسنى﴾ ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا أوصفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على أنه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز أن يكون أنزلناه حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثري الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعانى وافضلها ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من أوائل مانزل ﴿اذرأى نارا﴾ ظرف للحديث لانه حدث أومفعول لاذكر *قيل انه استاذن شعيبا عليهما الصلاة والسلام فى الخروج الى أمه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذرأي من جانب الطور نارا ﴿فقال لاهله امكثوا﴾ أقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا ههنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها ﴿اني آنست نارا﴾ أبصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار مايؤنس به ﴿لعلى آتيكم منها بقبس﴾ بشعلة من النار وقيل جمرة ﴿أوأجد على النار

هدى﴾ هاديا يدلني على الطريق أويهديني أبواب الدين فان أفكار الابرار مائلة اليها في كل مايعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بني الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهلها مشرفون عليها أومستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه ﴿فلما أتاها﴾ أى النار وجدنارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء ﴿نودى ياموسى اني أنا ربك﴾ فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بأني وكسره الباقون باضمار القول أواجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق*قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال اني أنا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى أنه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة ﴿فاخلع نعليك﴾ أمره بذلك لان الحفوة تواضع وأدب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال ﴿انك بالواد المقدس﴾ تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين ﴿طوى﴾ عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثني من الطى مصدر لنودى أوالمقدس أى نودى نداءين أوقدس مرتين*﴿وأنا اخترتك﴾ اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك ﴿فاستمع لما يوحى﴾ للذى يوحى اليك أوللوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين ﴿انني أنا الله لااله الاأنا فاعبدني﴾ بدل مما يوحى دال على أنه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ خصها بالذكر وأفردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالثناء أولذكرى خاصة لاترائى بها ولاتشوبها

٣١٤ سورة طه

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۞ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي ۞ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ۞ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ۞ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۞ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ۞ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۞ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۞ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ۞ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ۞ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ۞ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۞

اذ

بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلاة أولذكر صلاتى * لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة أونسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكري ﴿ان الساعة آتية﴾ كائنة لامحالة ﴿أكاد أخفيها﴾ أريد اخفاء وقتها أوأقرب أن أخفيها فلا أقول انها آتية ولولا مافى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما أخبرت به أوأكاد أظهرها من أخفاه اذاسلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذاأظهره ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ متعلق بآتية أوباخفيها على المعنى الاخير ﴿فلا يصدنك عنها﴾ عن تصديق الساعة أوعن الصلاة ﴿من لا يؤمن بها﴾ نهي الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لاأرينك ههنا تنبيها على أن فطرته السليمة لوخليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغى أن يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه ﴿واتبع هواه﴾ ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها ﴿فتردى﴾ فتهلك بالانصداد بصده ﴿وماتلك﴾ استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب ﴿بيمينك﴾ حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك ﴿ياموسى﴾ تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه ﴿قال هي عصاى﴾ وقرئ عصيّ على لغة هذيل ﴿أتوكأ عليها﴾ أعتمد عليها اذا أعييت أووقفت على رأس القطيع ﴿وأهش بها على غنمى﴾ وأخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أى أنحى عليها زاجرا لها ﴿ولى فيها مآرب أخرى﴾ حاجات أخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها ومايرى من منافقها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصى تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه ﴿قال ألقها ياموسى فألقاها فاذاهي حية تسعى﴾ قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى باعتبار الاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان ﴿قال خذها ولا تخف﴾ فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها ﴿سنعيدها سيرتها الاولى﴾ هيئتها وحالتها المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أوعلى أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه أوعلى الظرف أي سنعيدها في طريقتها أوعلى تقدير فعلها أى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل*قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها ﴿واضمم يدك الى جناحك﴾ الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران ﴿تخرج بيضاء﴾ كأنها مشعة ﴿من غير سوء﴾ من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ﴿آية أخرى﴾ معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء أومن ضميرها أومفعول باضمار خذ أودونك ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ متعلق بهذا المضمر أوبما دل عليه آية أوالقصة أى دللنا بها أوفعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا أومفعول نريك ومن آياتنا حال منها ﴿اذهب الى فرعون﴾ بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة ﴿انه طغى﴾ عصى وتكبر ﴿قال رب اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى﴾ لما أمره الله بخطب عظيم وأمر جسيم ساله أن يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل أعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر أولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة ﴿واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى﴾ فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوما فاخذ بلحيته ونتفها فغضب وأمر بقتله فقالت آسية انه صبى لايفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى أى رب تدعوني قال الى الذى أبرأيدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد أوتيت سؤلك ياموسى ومن لم يقل احتج بقوله هو أفصح منى لسانا وقوله ولايكاد يبين وأجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل

يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل أن يكون صفة عقدة وأن يكون صلة احلل ﴿واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى﴾ يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير امامن
الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره أومن الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجىء اليه فى أموره ومنه الموازرة وقيل أصله أزير من الازر بمعني القوة فعيل بمعنى
مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة أوحال أولى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير
أووزيرا من أهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد وأخى على الوجوه بدل من هرون أومبتدأ خبره ﴿اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى﴾ على لفظ الامر وقرأهما
ابن عامر بلفظ الخبر على أنهما جواب الامر ﴿كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا﴾ فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده ﴿انك كنت بنا بصيرا﴾
عالما باحوالنا وأن التعاون مما يصلحنا وأن هرون نعم المعين لى فيما أمرتنى به ﴿قال قد أوتيت سؤلك ياموسى﴾ أي مسؤلك فعل بمعني مفعول كالخبز والاكل بمعني
المخبوز والمأكول ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ أي أنعمنا عليك فى وقت آخر * ﴿اذ أوحينا الى أمك﴾ بالهام أوفى منام أوعلى لسان نبيٍّ فى وقتها أوملك لاعلى وجه
النبوة كما أوحى الى مريم ﴿مايوحى﴾ مالايعلم الابالوحى أومما ينبغى أن يوحى ولايخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ﴿أن اقذفيه فى التابوت﴾ بان اقذفيه أواي اقذفيه
لان الوحى بمعنى القول ﴿فاقذفيه فى اليم﴾ والقذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله * غلام رماه الله بالحسن يافعا *
﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ لما كان القاء البحر اياه الى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذوتمييز مطيع أمره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر
والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم فالمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض ﴿ياخذه عدوٌّ لى وعدوٌّ له﴾ جواب فليلقه

إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ۝ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له
وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ۝ إذ تمشي
أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك
كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على
قدر يا موسى ۝ واصطنعتك لنفسي ۝ اذهب أنت وأخوك
بآياتي ولا تنيا في ذكري ۝ اذهبا إلى فرعون إنه طغى ۝
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ۝ قالا ربنا
إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ۝ قال لا تخافا إنني
معكما أسمع وأرى ۝ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك
فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية
من ربك والسلام على من اتبع الهدى ۝ إنا قد أوحي
إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ۝ قال فمن ربكما يا موسى
۝ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ۝

وتكرير عدوٌّ للمبالغة أولان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع * قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبيٌّ أصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال سبحانه وتعالى ﴿وألقيت عليك محبة منى﴾ أى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق مني بالقيت أى أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لايبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ﴿ولتصنع على عينى﴾ لتربى ويحسن اليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أوعلى الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أى وليكن عملك على عين منى لئلا تخالف به عن أمرى ﴿اذ تمشى أختك﴾ ظرف لالقيت أولتصنع أوبدل من اذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع ﴿فتقول هل أدلكم على من يكفله﴾ وذلك لانه كان لايقبل ثدى المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بامه فقبل ثديها ﴿فرجعناك الى أمك﴾ وفاء بقولنا انا رادوه اليك ﴿كي تقرّ عينها﴾ بلقائك ﴿ولاتحزن﴾ هي بفراقك أوأنت على فراقها وفقد اشفاقها ﴿وقتلت نفسا﴾ نفس القبطى الذي استغاثه عليه الاسرائيلى ﴿فنجيناك من الغم﴾ غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين ﴿وفتناك فتونا﴾ وابتليناك ابتلاء أوأنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أوفتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهواجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه الى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره ﴿فلبثت سنين فى أهل مدين﴾ لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر ﴿ثم جئت على قدر﴾ قدرته لان أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أوعلى مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء ﴿ياموسى﴾ كرره عقيب ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتى﴾ بمعجزاتى ﴿ولاتنيا﴾ ولاتفترا ولاتقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء ﴿فى ذكرى﴾ لاتنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء اليَّ ﴿اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ أمر به أوَّلا موسى عليه الصلاة والسلام وحده وههنا اياه وأخاه فلاتكرير قيل أوحى الى هرون أن يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله ﴿فقولا له قولا لينا﴾ مثل هل لك الى أن تزكي وأهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أواحتراما لماله من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبوالعباس وأبوالوليد وأبومرة وقيل عداه شبابا لايهرم بعده وملكا لايزول الابالموت ﴿لعله يتذكر أويخشى﴾ متعلق باذهبا أوقولا أى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولايخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث فى تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول أى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى ﴿قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أن يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطته اذا حملته على العجلة أى نخاف أن يحمله حامل من استكبار أوخوف على الملك أوشيطان انسى أوجنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية ﴿أو أن يطغى﴾ أوأن يزداد طغيانا فيتخطى الى أن يقول فيك مالاينبغى لجراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب ﴿قال لاتخافا اننى معكما﴾ بالحفظ والنصر ﴿أسمع وأرى﴾ مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز أن لايقدر شئ على معنى اننى حافظكما سامعا ومبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ ﴿فائتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل﴾ أطلقهم ﴿ولاتعذبهم﴾ بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى أيدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون ذكور أولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز أن يكون للتدريج فى الدعوة ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوي الرسالة وانما وحد الآية وكان معه

آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قدجئتكم ببينة فائت بآية قال أولو جئتك بشئ مبين ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أوالسلامة في الدارين لهم ﴿ انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴾ أن عذاب المنزلين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى أول الامر أهم وأنجع وبالواقع أليق ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾ أى بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا أمر بشئ فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى عليه الصلاة والسلام بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه أولانه عرف أن له رتة ولاخيه فصاحة فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ـ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولايكاد يبين ـ ﴿قال ربنا الذى أعطى كل شئ﴾ من الانواع ﴿خلقه﴾ صورته وشكله الذى يطابق كماله المكن له أوأعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره فى الخلق والصورة زوجاوقرئ خلقه صفة للمضاف اليه أوالمضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا أى أعطى كل مخلوق مايصلحه ﴿ثم هدى﴾ ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا أوطبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على أن الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وأن جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه فى حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذى كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الاصرف الكلام عنه ﴿قال فما بال القرون الاولى ﴾ فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة ﴿قال علمها عند ربى﴾ أى هو غيب لايعلمه الاهو وانما أنا عبد مثلك لا أعلم منه الاما أخبرني به ﴿فى كتاب﴾ مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده ﴿لايضل ربي ولا ينسى﴾ والضلال أن تخطئ الشئ

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ۞ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ
لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ
لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ
شَتَّى ۞ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ۞
مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۞ وَلَقَدْ
أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ۞ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا
بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ۞ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ۞ قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۞ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ
ثُمَّ أَتَى ۞ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ۞ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ
بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ۞ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ
مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ۞ فَأَجْمِعُوا
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ۞ قَالُوا
يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ۞

فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لايخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وباجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لايضل ولاينسى ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا﴾ مرفوع صفة لربى أوخبر لمحذوف أومنصوب على المدح وقرأ الكوفيون هنا وفى الزخرف مهدا أى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش أوجمع مهد ولم يختلفوا فى الذى فى النبأ ﴿وسلك لكم فيها سبلا﴾ وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من أرض الى أرض لتبلغوا منافعها ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ مطرا ﴿فأخرجنا به﴾ عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ـ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ـ أم من خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق الآية ﴿أزواجا﴾ أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض ﴿من نبات﴾ بيان أوصفة لازواجا وكذلك ﴿شتى﴾ ويحتمل أن يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى أى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾ وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول أى أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ﴿ان فى ذلك لآيات لاولى النهى﴾ لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية ﴿منها خلقناكم﴾ فان التراب أصل خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم ﴿وفيها نعيدكم﴾ بالموت وتفكيك الاجزاء ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الارواح اليها ﴿ولقد أريناه آياتنا﴾ بصرناه اياها أوعرفناه صحتها ﴿كلها﴾ تأكيد لشمول الانواع أولشمول الافراد على أن المراد بآياتنا آيات معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عليه السلام أراه آياته وعدد عليه ما أوتي غيره من المعجزات ﴿فكذب﴾ موسى من فرط عناده ﴿وأبى﴾ الايمان والطاعة لعتوه ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ أرض مصر ﴿بسحرك ياموسى﴾ هذا تعلل وتحير ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر أن يخرج ملكا مثله من أرضه ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ مثل سحرك ﴿فاجعل بيننا وبينك موعدا﴾ وعدا لقوله ﴿لانخلفه نحن ولا أنت﴾ فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب ﴿مكانا سوى﴾ بفعل دل عليه المصدر لابه لانه موصوف أوبانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم أوباضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء أويوم النيروز أويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ عطف على اليوم أوالزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على أن فيه ضمير اليوم أوضمير فرعون على أن الخطاب لقومه ﴿فتولى فرعون فجمع كيده﴾ مايكاد به يعنى السحرة وآلاتهم ﴿ثم أتي﴾ الموعد ﴿قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا﴾ بان تدعوا آياته سحرا ﴿فيسحتكم بعذاب﴾ فيهلككم ويستأصلكم وبه قرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز ﴿وقد خاب من افترى﴾ كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أى تنازعت السحرة فى أمر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة ﴿وأسروا النجوى﴾ بان موسى ان غلبنا اتبعناه أوتنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله ﴿قالوا ان هذان لساحران﴾ تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحرث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية وأعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لاتدخل خبر المبتدا وقيل أصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ

أبو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافيـة واللام بمعنى الا ﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾ بالاستيلاء عليها ﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب باظهار مذهبهما واعلاء دينهما لقوله اني أخاف أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ فازمعوه واجعلوه مجمعا عليـه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ﴿ثم ائتوا صفا﴾ مصطفين لانه أهيب فى صدور الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض ﴿قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون أول من ألقى﴾ اى بعد ما أتوا مراعاة للادب وأن بما بعده منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية محذوف اى اختر القاءك أولا أو القاءنا أو الامر القاؤك أو القاؤنا * ﴿قال بل ألقوا﴾ مقابلة ادب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما أوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه أبلغ ولأن يبرزوا مامعهم ويستنفذوا أقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى﴾ أى فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها اختصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى عليه الصلاة والسلام وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه أنها تتحرك وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله تعالى وتخيل

قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها
تسعى ۞ فأوجس في نفسه خيفة موسى ۞ قلنا لا تخف
إنك أنت الأعلى ۞ وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما
صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ۞ فألقي السحرة سجدا
قالوا آمنا برب هرون وموسى ۞ قال آمنتم له قبل أن آذن
لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن
أينا أشد عذابا وأبقى ۞ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا
من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي
هذه الحيوة الدنيا ۞ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ۞
إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها
ولا يحيى ۞ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
فأولئك لهم الدرجات العلى ۞ جنات عدن تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ۞

بمعنى تتخيل ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية أو من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه ﴿قلنا لا تخف﴾ ماتوهمت ﴿انك أنت الاعلى﴾ تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ﴿وألق ما في يمينك﴾ أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التي في يدك أو تعظيما لها أى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ماهو أعظم منها أثرا فالقه ﴿تلقف ماصنعوا﴾ تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذفت احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال أو الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته ﴿انما صنعوا﴾ ان الذى زوروا وافتعلوا ﴿كيد ساحر﴾ وقرئ بالنصب على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ﴿ولا يفلح الساحر﴾ أى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ما أعدت * فى سعى دنيا طالما قدمدت

كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى ﴿حيث أتى﴾ حيث كان وأين أقبل ﴿فألقى السحرة سجدا﴾ أى فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا ﴿قالوا آمنا برب هرون وموسى﴾ قدم هرون لكبر سنه أو لروى الآية أو لان فرعون ربي موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره لربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع * روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها ﴿قال آمنتم له﴾ أى لموسى واللام لتضمن الفعل معنى الاتباع وقرأ قنبل وحفص آمنتم له على الخبر والباقون على الاستفهام ﴿قبل ان آذن لكم﴾ فى الايمان له ﴿انه لكبيركم﴾ لعظيمكم فى فنكم وأعلمكم به أو لاستاذكم ﴿الذى علمكم السحر﴾ وأنتم تواطأتم على مافعلتم ﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها فى حيز النصب على الحال أى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول من صلب ﴿ولتعلمن أينا﴾ يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله أراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب فى شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به ﴿أشد عذابا وأبقى﴾ وأدوم عقابا ﴿قالوا لن نؤثرك﴾ لن نختارك ﴿على ماجاءنا﴾ موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما ﴿من البينات﴾ المعجزات الواضحات ﴿والذى فطرنا﴾ عطف على ماجاءنا أو قسم ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ ما أنت قاضيه أى صانعه أو حاكم به ﴿انما تقضى هذه الحيوة الدنيا﴾ انما تصنع ماتهواه أو تحكم بماتراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة ﴿انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ من معارضة المعجزة * روى انهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا أن يعارضوه ﴿والله خير وأبقى﴾ جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا ﴿انه﴾ ان الامر ﴿من يأت ربه مجرما﴾ بان يموت على كفره وعصيانه ﴿فان له جهنم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيا﴾ حياة مهنأة ﴿ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات﴾ فى الدنيا ﴿فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ المنازل الرفيعة ﴿جنات عدن﴾ بدل من الدرجات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها﴾ حال والعامل فيها معنى الاشارة أو الاستقرار ﴿وذلك جزاء من تزكي﴾ تطهر من أدناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل أن تكون من كلام السحرة وأن تكون ابتداء كلام من الله تعالى

وَلَقَدْ اَوْحَيْنَا اِلَى مُوسَى اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِى فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ
يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ❁ فَاَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ❁ وَاَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى
❁ يَبَنِى اِسْرَائِيلَ قَدْ اَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ
الطُّورِ الْاَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ❁ كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى وَمَنْ
يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى ❁ وَاِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ❁ وَمَا اَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى
❁ قَالَ هُمْ اُولَاءِ عَلَى اَثَرِى وَعَجِلْتُ اِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ❁
قَالَ فَاِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَاَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ ❁
فَرَجَعَ مُوسَى اِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ اَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ اَلَمْ يَعِدْكُمْ
رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا اَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ اَمْ اَرَدْتُمْ
اَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِى ❁ قَالُوا
مَا اَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا اَوْزَارًا
مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ اَلْقَى السَّامِرِىُّ ❁

فاخرج

﴿ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى﴾ أى من مصر ﴿فاضرب لهم طريقا﴾ فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما أوفاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله ﴿فى البحر يبسا﴾ يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهواما مخفف منـه أو وصف على فعل كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلى حين ضمت * حوالب غرزا ومعى جياعا أولتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا ﴿لاتخاف دركا﴾ حال من المأمور أى آمنا من ان يدرككم العدو أوصفة ثانية والعائدمحذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر ﴿ولاتخشى﴾ استئناف أى وأنت لاتخشى أوعطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا أوحال بالواو والمعنى ولاتخشى الغرق ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ وذلك ان موسى عليه السلام خرج بهم أول الليل فأخبرفرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم ﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾ الضمير لجنوده أوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة أى غشيهم ماسمعت قصته ولايعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ماغشاهم أى غطاهم ماغطاهم والفاعل هوالله تعالى أوماغشاهم أوفرعون لانه الذى ورطهم للهلاك ﴿وأضل فرعون قومه وماهدى﴾ أى أضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله ـ وما أهديكم الاسبيل الرشاد ـ أوأضلهم في البحر ومانجا ﴿يابنى اسرائيل﴾ خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على أضمار قلنا أوللذين منهم فى عهدالنبي عليه الصلاة والسلام بمافعل بآبائهم ﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون وقومه ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن﴾ بمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدةاليهم وهي لموسى أوله وللسبعين المختارين للملابسة ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ يعنى فى التيه ﴿كلوا من طيبات مارزقناكم﴾ لذائذه أوحلالاته وقرأ حمزة والكسائى أنجيتكم وواعدتكم ومارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ﴿ولاتطغوا فيه﴾ فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لماحد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب أداؤه ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل ﴿وانى لغفار لمن تاب﴾ عن الشرك ﴿وآمن﴾ بما يجب الايمان به ﴿وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ ثم استقام على الهدي المذكور ﴿وما أعجلك عن قومك ياموسى﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك أجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه أهم ﴿قال﴾ موسى ﴿هم أولاء على أثرى﴾ أى ماتقدمتهم الابخطايسيرة لايعتد بهاعادة وليس بينى وبينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا ﴿وعجلت اليك رب لترضى﴾ فان المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك ﴿قال فانا قد فتنا قومك من بعدك﴾ ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف مانجا من عبادة العجل منهم الااثنا عشر ألفا ﴿وأضلهم السامرى﴾ باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ وأضلهم أى أشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم أقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية مايدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان أصل وقوع الشئ ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا ﴿فرجع موسى الى قومه﴾ بعد ما استوفى الاربعين وأخذ التوراة ﴿غضبان﴾ عليهم ﴿أسفا﴾ حزينا بما فعلوا ﴿قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور ﴿أفطال عليكم العهد﴾ اى الزمان يعنى زمان مفارقته لهم ﴿أم اردتم أن يحل عليكم﴾ يجب عليكم ﴿غضب من ربكم﴾ بعبادة ماهو مثل فى الغباوة ﴿فأخلفتم موعدي﴾ وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه أى فوجدتم الخلف في وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لايناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ بان ملكنا أمرنا اذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا السامرى لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثتها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ ﴿ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم﴾ حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد أولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي ﴿فقذفناها﴾ أى فى النار ﴿فكذلك ألقى السامرى﴾ اي ما كان معه منها * روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامرى انما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل مامعنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ
وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ
يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا
أَمْرِي ۞ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ۞ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۞ أَلَّا
تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي
وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ
تَرْقُبْ قَوْلِي ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ۞
قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ
فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۞ قَالَ فَاذْهَبْ
فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا
لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۞ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۞

﴿ فأخرج لهم عجلا جسدا ﴾ من تلك الحلى المذابة ﴿ له خوار ﴾ صوت العجل ﴿ فقالوا ﴾ يعنى السامرى ومن افتتن به اول مارآه ﴿ هذا الهكم واله موسى فنسى ﴾ أى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور أوفنسى السامرى أي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان ﴿ أفلايرون ﴾ أفلايعلمون ﴿ ألايرجع اليهم قولا ﴾ انه لايرجع اليهم كلاما ولايردّ عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لاتقع بعد أفعال اليقين ﴿ ولايملك لهم ضرّا ولانفعا ﴾ ولايقدر على انفاعهم واضرارهم ﴿ ولقد قال لهم هرون من قبل ﴾ من قبل رجوع موسى عليه الصلاة والسلام أوقول السامرى كأنه اول ماوقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم ﴿ ياقوم انما فتنتم به ﴾ بالعجل ﴿ وان ربكم الرحمن ﴾ لاغير ﴿ فاتبعونى وأطيعوا امرى ﴾ فى الثبات على الدين ﴿ قالوا لن نبرح عليه ﴾ على العجل وعبادته ﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع الينا موسى ﴾ وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول ﴿ قال ياهرون ﴾ أى قال له موسى حين رجع ﴿ مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ﴾ بعبادة العجل ﴿ ألاتتبعن ﴾ أن تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به أو ان تأتى عقبى وتلحقنى ولامزيدة كما في قوله مامنعك أن لاتسجد ﴿ أفعصيت أمرى ﴾ بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه ﴿ قال يا ابن أمّ ﴾ خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان أخاه من الام والجمهور على انهما كانا من أب وأم ﴿ لاتأخذ بلحيتى ولابرأسى ﴾ أى بشعر رأسى قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ﴿ انى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى اسرائيل ﴾ لو قاتلت أوفارقت بعضهم ببعض ﴿ ولم ترقب قولى ﴾ حين قلت ـ اخلفنى فى قومى واصلح ـ فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة لهم الى أن ترجع اليهم فتتدارك الامر برأيك ﴿ قال فما خطبك ياسامرى ﴾ أى ثم أقبل عليه وقال له منكرا ماخطبك أى ماطلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه ﴿ قال بصرت بما لم يبصروا به ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب أي علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذى جاءك روحاني محض لايمس اثره شيأ الا احياه أو رأيت مالم تروه وهو أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان أمه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل ﴿ فقبضت قبضة من أثر الرسول ﴾ من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول للأخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبريل أو أراد أن ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور ﴿ فنبذتها ﴾ فى الحلى المذاب أوفى جوف العجل حتى حي ﴿ وكذلك سوّلت لى نفسى ﴾ زينته وحسنته لى ﴿ قال فاذهب فان لك في الحياة ﴾ عقوبة على مافعلت ﴿ أن تقول لامساس ﴾ خوفا من أن يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة ﴿ وان لك موعدا ﴾ فى الآخرة ﴿ لن تخلفه ﴾ لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعد ماعاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أى لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز أن يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله ﴿ وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ﴾ ظلت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها ﴿ لنحرّقنه ﴾ أى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه أوبالمبرد على أنه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ﴿ ثم لننسفنه ﴾ ثم لنذرينه رمادا أو مبرودا ﴿ فى اليمّ نسفا ﴾ فلايصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر ﴿ انما الهكم ﴾ المستحق لعبادتكم ﴿ الله الذى لا اله الا هو ﴾ اذ لا احد يماثله أويدانيه فى كمال العلم والقدرة ﴿ وسع كل شئ علما ﴾ وسع علمه كل مايصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التميز فى المشهورة لكنه فاعل فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا

كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من
لدنا ذكرا ۝ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ۝
خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ۝ يوم ينفخ في الصور
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ۝ يتخافتون بينهم إن لبثتم
إلا عشرا ۝ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة
إن لبثتم إلا يوما ۝ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا ۝ فيذرها قاعا صفصفا ۝ لا ترى فيها عوجا
ولا أمتا ۝ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت
الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ۝ يومئذ لا تنفع
الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا ۝
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ۝
وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ۝ ومن
يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما
ولا هضما ۝ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه
من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ۝

فتعلى

﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ نقص عليك من أنباء ماقد سبق ﴾ من اخبار الامور الماضية والأمم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من أمتك ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ كتابا مشتملا على هذه الأقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس ﴿ من أعرض عنه ﴾ عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله ﴿ فانه يحمل يوم القيامة وزرا ﴾ عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره أوإثما عظيما ﴿ خالدين فيه ﴾ فى الوزر أوفى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾ أى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولوجعلت ساء بمعنى أحزن والضمير الذى فيه للوزر أشكل أمر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له أو للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله أوضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ﴿ ونحشر المجرمين يومئذ ﴾ وقرئ ويحشر المجرمون ﴿ زرقا ﴾ زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدو أسود الكبد اصهب السبال ازرق العين أوعميا فان حدقة الاعمى تزراق ﴿ يتخافتون بينهم ﴾ يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ﴿ ان ﴾ ما ﴿ لبثتم الا عشرا ﴾ أى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها أولاستطالتهم مدة الآخرة أولتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات أوفى القبر لقوله ـ ويوم تقوم الساعة ـ الى آخر الآيات ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ وهو مدة لبثهم ﴿ اذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ اعد لهم رأيا أوعملا ﴿ ان لبثتم الا يوما ﴾ استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ﴿ ويسئلونك عن الجبال ﴾ عن مآل امرها وقد سال عنها رجل من ثقيف ﴿ فقل ﴾ لهم ﴿ ينسفها ربى نسفا ﴾ يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها ﴿ فيذرها ﴾ فيذر مقارها أوالارض واضمارها من غيرذكر لدلالة الجبال عليها كقوله تعالى ـ ماترك عليها من دابة ـ ﴿ قاعا ﴾ خاليا ﴿ صفصفا ﴾ مستويا كأن اجزاءها على صف واحد ﴿ لاترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾ اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالأولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص بالمعانى والأمت وهو النتوء اليسير وقيل لاترى استئناف مبين للحالين ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز أن يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة ﴿ يتبعون الداعى ﴾ داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب الى صوبه ﴿ لا عوج له ﴾ لايعوج له مدعو ولايعدل عنه ﴿ وخشعت الاصوات للرحمن ﴾ خفضت لمهابته ﴿ فلاتسمع الا همسا ﴾ صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها الى المحشر ﴿ يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ﴾ الاستثناء من الشفاعة أى الا شفاعة من أذن له أومن أعم المفاعيل أى الا من أذن فى أن يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية وأذن يحتمل ان يكون من الاذن ومن الأذن ﴿ ورضي له قولا ﴾ أى ورضي لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة أورضى لاجله قول الشافع فى شأنه أوقوله لاجله وفي شأنه ﴿ يعلم مابين أيديهم ﴾ ماتقدمهم من الاحوال ﴿ وماخلفهم ﴾ ومابعدهم مما يستقبلونه ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ ولايحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لأحد الموصولين أولمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولاتفصيل ماعلموا منه ﴿ وعنت الوجوه للحى القيوم ﴾ ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ وهو يحتمل الحال والاستئناف ما لاجله عنت وجوههم ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ بعض الطاعات ﴿ وهو مؤمن ﴾ اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات ﴿ فلا يخاف ظلما ﴾ منع ثواب مستحق بالوعد ﴿ ولا هضما ﴾ ولا كسرا منه بنقصان أوجزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلايخف على النهى ﴿ وكذلك ﴾ عطف على كذلك نقص أي مثل ذلك الانزال أومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد ﴿ أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ كله على هذه الوتيرة ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ مكررين آيات الوعيد ﴿ لعلهم يتقون ﴾ المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة ﴿ أويحدث لهم ذكرا ﴾ عظة واعتبارا حين يسمعونها فتثبطهم عنها ولهذه النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن

﴿فتعالى الله﴾ فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا تماثل ذاته ذاتهم ﴿الملك﴾ النافذ أمره ونهيه الحقيق بأن يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿الحق﴾ فى ملكوته يستحقه لذاته أو الثابت فى ذاته وصفاته ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه﴾ نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل عليه السلام ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل أن يأتى بيانه ﴿وقل رب زدنى علما﴾ أى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحى اليك تناله لا محالة ﴿ولقد عهدنا الى آدم﴾ ولقد أمرناه يقال تقدم الملك اليه وأوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا أمره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان أساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان ﴿من قبل﴾ من قبل هذا الزمان ﴿فنسى﴾ العهد ولم يعن به حتى غفل عنه أو ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ﴿ولم نجد له عزما﴾ تصميم رأى وثباتا على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء أمره قبل أن يجرب الامور ويذوق شريها وأريها* وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه أخطأ ولم يتعمده ونجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما أو متعلق بنجد ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ مقدر باذكر أى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من أولى العزيمة والثبات ﴿فسجدوا الا ابليس﴾ قد سبق القول فيه ﴿أبى﴾ جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى أظهر الاباء عن المطاوعة ﴿فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما﴾ فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما ﴿من الجنة فتشقى﴾ وأفرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل أو لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ﴿ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ فانه بيان وتذكير لما له فى الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التى هي الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر عنها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وأبو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها ﴿فوسوس اليه الشيطان﴾ فانهى اليه وسوسته ﴿قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾ الشجرة التى من أكل منها خلد ولم يمت أصلا فاضافها الى الخلد أى الخلود لانها سببه بزعمه ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يزول ولا يضعف ﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين ﴿وعصى آدم ربه﴾ بأكل الشجرة ﴿فغوى﴾ فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى النعى عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من أجبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها وأصل معنى الكلمة الجمع ﴿فتاب عليه﴾ فقبل توبته لما تاب ﴿وهدى﴾ الى الثبات على التوبة والتشبث بأسباب العصمة ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ الخطاب لآدم وحواء أوله ولابليس ولما كانا أصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله ﴿فاما يأتينكم منى هدى﴾ كتاب ورسول ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل﴾ فى الدنيا ﴿ولا يشقى﴾ فى الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾ عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر ﴿ونحشره﴾ قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط ﴿يوم القيامة أعمى﴾ أعمى البصر أو القلب ويؤيد الاول ﴿قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا﴾ وقد أمالهما حمزة والكسائى لان الالف منقلبة من الياء وفرق أبو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير

فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل
أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ۞ ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ۞ واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى ۞ فقلنا يا آدم ان
هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى
۞ ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ۞ وأنك لا تظمؤا
فيها ولا تضحى ۞ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم
هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ۞ فأكلا منها
فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ۞ ثم اجتبيه ربه
فتاب عليه وهدى ۞ قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى
فلا يضل ولا يشقى ۞ ومن أعرض عن ذكرى فان له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى ۞
قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ۞

﴿ قال كذلك ﴾ أى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال ﴿ أتتك آياتنا ﴾ واضحة نيرة ﴿ فنسيتها ﴾ فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها ﴿ وكذلك ﴾ ومثل تركك اياها ﴿ اليوم تنسى ﴾ تترك في العمى والعذاب ﴿ وكذلك نجزى من أسرف ﴾ بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات ﴿ ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ بل كذب بها وخالفها ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى وللنار بعد ذلك ﴿ أشدّ وأبقى ﴾ من ضنك العيش أومنه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أومما فعله من ترك الآيات والكفربها ﴿ أفلم يهد لهم ﴾ مسند الى الله تعالى أوالرسول أومادل عليه ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ أى اهلاكنا اياهم أوالجملة بمضمونها والفعل على الاوّلين معلق يجرى مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون ﴿ يمشون فى مساكنهم ﴾ ويشاهدون آثار هلاكهم ﴿ ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ﴾ لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة ﴿ لكان لزاما ﴾ لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أواسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم ﴿ وأجل مسمى ﴾ عطف على كلمة أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لاعمارهم أولعذابهم وهو يوم القيامة أويوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن فى كان أى لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له ﴿ فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك ﴾ وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أونزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على مامیزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعنى الفجر ﴿ وقبل غروبها ﴾ يعنى الظهر والعصر لانهما فى آخر النهار أوالعصر وحده ﴿ ومن آناء الليل ﴾ ومن ساعاته جمع انا بالكسر والقصر أوأناء بالفتح والمد ﴿ فسبح ﴾ يعنى المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه أجمع والنفس أميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز ولذلك قال سبحانه وتعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطا وأقوم قيلا ﴿ وأطراف النهار ﴾ تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله * ظهراهما مثل ظهور الترسين * أوأمر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاوّل من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين أولان النهار جنس أوبالتطوّع فى أجزاء النهار ﴿ لعلك ترضى ﴾ متعلق بسبح أى سبح فى هذه الاوقات طمعا أن تنال عند الله مابه ترضى نفسك وقرأ الكسائى وأبوبكر بالبناء للمفعول أى يرضيك ربك ﴿ ولاتمدنّ عينيك ﴾ أي نظر عينيك ﴿ الى مامتعنا به ﴾ استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله ﴿ أزواجا منهم ﴾ أصنافا من الكفرة ويجوز أن يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم أى الى الذى متعنا به وهو أصناف بعضهم أوناسا منهم ﴿ زهرة الحياة الدنيا ﴾ منصوب بمحذوف دل عليه متعنا أوبه على تضمينه معنى أعطينا أوبالبدل من محل به أومن أزواجا بتقدير مضاف ودونه أوبالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة أوجمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم فى الآخرة بسببه ﴿ ورزق ربك ﴾ وماادخر لك فى الآخرة أومارزقك من الهدى والنبوّة ﴿ خير ﴾ مما منحهم فى الدنيا ﴿ وأبقى ﴾ فانه لاينقطع ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ أمره بان يأمر أهل بيته أوالتابعين له من أمته بالصلاة بعد ماأمره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولايهتموا بامر المعيشة ولايلتفتوا لفت أرباب الثروة ﴿ واصطبر عليها ﴾ وداوم عليها ﴿ لانسألك رزقا ﴾ أى أن ترزق نفسك ولاأهلك ﴿ نحن نرزقك ﴾ واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة ﴿ والعاقبة ﴾ المحمودة ﴿ للتقوى ﴾ لذوى التقوى * روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ﴾ بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم أوالعمل على وجه خارق للعادة ولاشك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال ﴿ أولم يأتهم بينة مافى الصحف الاولى ﴾ من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها أمى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوّته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى مايشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف وقرا نافع وأبوعمرو وحفص عن عاصم أولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله ﴾ من قبل محمد عليه الصلاة والسلام أوالبينة والتذكير لانها فى معنى البرهان أوالمراد بها القرآن ﴿ لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ﴾ بالقتل والسبي في الدنيا ﴿ ونخزى ﴾ بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما ﴿ قل كل ﴾ اى كل واحد منا ومنكم ﴿ متربص ﴾ منتظر لما يؤل اليه أمرنا وأمركم ﴿ فتربصوا ﴾ وقرئ فتمتعوا ﴿ فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ﴾ المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوآى والسوء أى الشر والسوى وهو تصغيره ﴿ ومن اهتدى ﴾ من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أوعلى أصحاب أوعلى الصراط على أن المراد به النبى صلى الله عليه وسلم *وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم أجمعين

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ۞ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ۞ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۞ فَاصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۞
وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۞ وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۞ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ
تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۞ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم
بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۞ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۞

﴿ سورة الانبياء مكية وآيها مائة واثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ❁ اقترب للناس حسابهم ﴾ بالاضافة الى مامضى أوعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أولان كل ماهو آت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضي واللام صلة لاقترب أوتأكيد للاضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله ﴿ وهم في غفلة ﴾ أى فى غفلة عن الحساب ﴿ معرضون ﴾ عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون ﴿ ماياتيهم من ذكر ﴾ ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة ﴿ من ربهم ﴾ صفة لذكر أوصلة ليأتيهم ﴿ محدث ﴾ تنزيله ليكرر على أسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل ﴿ الااستمعوه وهم يلعبون ﴾ يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أى استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز أن يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على أنها خبر آخر للضمير ﴿ وأسروا النجوى ﴾ بالغوا فى اخفائها أوجعلوها بحيث خفى تناجيهم بها ﴿ الذين ظلموا ﴾ بدل من واو وأسروا للايماء بأنهم ظالمون فيما أسروا به أوفاعل له والواو لعلامة الجمع أومبتدأ والجملة المتقدمة خبره وأصله وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم أومنصوب على الذم ﴿ هل هذا الابشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ﴾ بامره فى موضع النصب بدلا من النجوى أومفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه فى ادعاء الرسالة لاعتقادهم أن الرسول لا يكون الاملكا واستلزموا منه ان ماجاء به من الخوارق كالقرآن سحر فأنكروا حضوره وانما أسروا به تشاورا فى استنباط مايهدم أمره ويظهر فساده للناس عامة ﴿ قل ربي يعلم القول في السماء والارض ﴾ جهرا كان أوسرا فضلا عما أسروا به فهو آكد من قوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله وأسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائى وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وهو السميع العليم ﴾ فلايخفى عليه مايسرون ولامايضمرون ﴿ بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام افتراه ثم الى أنه قول شاعر والظاهر أن بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى أوللاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وماظهر عليه من الآيات الى تقاولهم فى أمر القرآن والثانيــة والثالثة لاضرابهم عن كونه أباطيل خيلت اليــه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى أنه كلام شعرى يخيل الى السامع معانى لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز أن يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم فى درج الفساد لان كونه شعرا أبعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيــه مايناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفتري لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وأربعين سنة وماسمعوا منه كذبا قط وهو أبعد من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق ﴿ فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ﴾ أى كما أرسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتي وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ﴿ ما آمنت قبلهم من قرية ﴾ من أهل قرية ﴿ أهلكناها ﴾ باقتراح الآيات لما جاءتهم ﴿ أفهم يؤمنون ﴾ لوجئتهم بها وهم أعتى منهم وفيه تنبيه على أن عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لوأتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم ﴿ وما أرسلنا قبلك الارجالا يوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ﴾ جواب لقولهم هل هذا الابشر مثلكم فامرهم أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اماللالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى أمر النبي عليه الصلاة والسلام ويثقون بقولهم أو لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحى بالنون ﴿ وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين ﴾ نفى لما اعتقدوا أنها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس أولانه مصــدر فى الاصل أوعلى حذف المضاف أوتأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذولون فلذلك لايطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذوتركيب لان أصله لجمع الشئ واشتداده ﴿ ثم صدقناهم الوعد ﴾ أي فى الوعد ﴿ فأنجيناهم ومن نشاء ﴾ يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو أوأحد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال ﴿ وأهلكنا المسرفين ﴾ في الكفر والمعاصى ﴿ لقد أنزلنا اليكم ﴾ ياقريش ﴿ كتابا ﴾ يعني القرآن ﴿ فيه ذكركم ﴾ صيتكم كقوله وانه لذكر لك ولقومك أوموعظتكم أوماتطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتؤمنون

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ❁ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ❁ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ❁ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❁ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ❁ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ❁ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ❁ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ❁ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ❁ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ❁

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ۞ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۞
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُسْأَلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ
دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا
لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ۞ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۞
وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْتُرُونَ ۞ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ۞
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ ۞ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۞ أَمِ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ
مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۞

﴿ وكم قصمنا من قرية ﴾ وارادة عن غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم ﴿ كانت ظالمة ﴾ صفة لاهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه ﴿ وأنشأنا بعدها ﴾ بعد اهلاك أهلها ﴿ قوما آخرين ﴾ مكانهم ﴿ فلما أحسوا باسنا ﴾ فلما أدركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف ﴿ اذاهم منها يركضون ﴾ يهربون مسرعين راكضين دوابهم أومشبهين بهم من فرط اسراعهم ﴿ لاتركضوا ﴾ على ارادة القول أى قيل لهم استهزاء لاتركضوا امابلسان الحال أوالمقال والقائل ملك أومن ثم من المؤمنين ﴿ وارجعوا الى ماأترفتم فيه ﴾ من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ﴿ ومساكنكم ﴾ التى كانت لكم ﴿ لعلكم تسئلون ﴾ غدا عن أعمالكم أوتعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب أوتقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل ﴿ قالواياويلنا اناكنا ظالمين ﴾ لمارأو العذاب ولم يرواوجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان أهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء ياثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك ﴿ فما زالت تلك دعواهم ﴾ فمازالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية ﴿ حتى جعلناهم حصيدا ﴾ مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع ﴿ خامدين ﴾ ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذالمعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أوصفة له أوحال من ضميره ﴿ وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين ﴾ وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسببا لما ينتظم به أمور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى أن يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولايغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال ﴿ لوأردنا أن نتخذ لهوا ﴾ مايتلهى به ويلعب ﴿ لاتخذناه من لدنا ﴾ من جهة قدرتنا أومن عندنا ممايليق بحضرتنا من المجردات لامن الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى ﴿ ان كنا فاعلين ﴾ ذلك ويدل على جواب الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل ﴾ اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب أى بل من شأننا أن نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو ﴿ فيدمغه ﴾ فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله

ساترك منزلى لبنى تميم * وألحق بالحجاز فاستريحا

ووجه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق ﴿ فاذاهو زاهق ﴾ هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ﴿ ولكم الويل مما تصفون ﴾ مما تصفونه به مما لايجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية أوموصولة أوموصوفة ﴿ وله من في السموات والارض ﴾ خلقا وملكا ﴿ ومن عنده ﴾ يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم أولانه أعم منه من وجه أوالمراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوؤ فى السماء والارض أومبتدأ خبره ﴿ لايستكبرون عن عبادته ﴾ لايتعظمون عنها ﴿ ولايستحسرون ﴾ ولايعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذى هو أبلغ من الحسور تنبيها على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولايستحسرون ﴿ يسبحون الليل والنهار ﴾ ينزهونه ويعظمونه دائما ﴿ لايفترون ﴾ حال من الواو فى يسبحون وهو استئناف أوحال من ضمير قبله ﴿ أم اتخذوا آلهة ﴾ بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم ﴿ من الارض ﴾ صفة لآلهة أومتعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص ﴿ هم ينشرون ﴾ الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم ﴿ لوكان فيهما آلهة الاالله ﴾ غير الله وصف بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا أومعه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولايجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب ﴿ لفسدتا ﴾ لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه ﴿ فسبحان الله رب العرش ﴾ المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ التقادير ﴿ عما يصفون ﴾ من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ﴿ لايسئل عما يفعل ﴾ لعظمته وقوّة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية ﴿ وهم يسئلون ﴾ لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة أوللعباد ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة ﴾ كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم أوضما لانكار مايكون لهم سندا من النقل الى انكار مايكون لهم دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية أووجدوا فى الكتب الالهية الأمر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك أنه رتب على الاول مايدل على فساده عقلا وعلى الثانى مايدل على فساده نقلا ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على ذلك اما من العقل أومن النقل فانه لايصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا ﴿ هذا ذكر من معى وذكر من قبلى ﴾ من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى أمته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدمها ﴿ بل أكثرهم لايعلمون الحق ﴾ ولايميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب ﴿ فهم معرضون ﴾ عن التوحيد واتباع الرسول من أجل ذلك

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ ۞ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ
بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۞ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ
۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا
لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ
إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
۞ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ
۞ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا
فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ
سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ۞ وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۞ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ
أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۞

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون﴾ تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى اليه بالنون و كسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا﴾ نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيه له عن ذلك ﴿بل عباد﴾ بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا بالاولاد ﴿مكرمون﴾ مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد ﴿لايسبقونه بالقول﴾ لايقولون شيأ حتى يقوله كماهو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لايسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله وأداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله مالم يقله وأنيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لايسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه ﴿وهم بأمره يعملون﴾ لايعملون قط مالم يأمرهم به ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ لاتخفى عليه خافية مماقدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لمابعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ﴿ولايشفعون الالمن ارتضى﴾ أن يشفع له مهابة منه ﴿وهم من خشيته﴾ عظمته ومهابته ﴿مشفقون﴾ مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس ﴿ومن يقل منهم﴾ من الملائكة أومن الخلائق ﴿انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ يريد به نفى البنوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية ﴿أولم ير الذين كفروا﴾ أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ﴿أن السموات والارض كانتا رتقا﴾ ذات رتق أومرتوقتين وهو الضم والالتحام أى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة ﴿ففتقناهما﴾ بالتنويع والتمييز أوكانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها وأحوالها طبقات أوأقاليم وقيل كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لاتمطر ولاتنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعهاباعتبار الآفاق أوالسموات بأسرها على أن لهامدخلا مافى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء أوبوسط أواستفسارا من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا ولم يقل كنّ لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا أى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حىّ﴾ وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى ـ والله خلق كل دابة من ماء ـ وذلك لانه من أعظم مواده أولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه أوصيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لايحيا دونه وقرئ حيا على أنه صفة كل أومفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان ﴿أفلا يؤمنون﴾ مع ظهور الآيات ﴿وجعلنا فى الارض رواسى﴾ ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت ﴿أن تميد بهم﴾ كراهة أن تميل بهم وتضطرب وقيل لأن لاتميد فحذف لا لأمن الالباس ﴿وجعلنافيها﴾ في الارض أوالرواسى ﴿فجاجا سبلا﴾ مسالك واسعة وانماقدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالافيدل على أنه حين خلقها خلقها كذلك أوليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه خلقها ووسعها للسابلة مع مايكون فيه من التوكيد ﴿لعلهم يهتدون﴾ الى مصالحهم ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ عن الوقوع بقدرته أوالفساد والاخلال الى الوقت المعلوم بمشيئته أواستراق السمع بالشهب ﴿وهم عن آياتها﴾ عن أحوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة ﴿معرضون﴾ غيرمتفكرين ﴿وهوالذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر﴾ بيان لبعض تلك الآيات ﴿كل فى فلك﴾ أى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة ﴿يسبحون﴾ يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهماوانماجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة فعلهم ﴿وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون﴾ نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله

فقل للشامتين بنا أفيقوا ❊ سيلقى الشامتون كما لقينا

والفاء لتعلق الشرط بماقبله والهمزة لانكاره بعد ماتقرر ذلك ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما أنكروه ﴿ونبلوكم﴾ ونعاملكم معاملة المختبر ﴿بالشر والخير﴾ بالبلايا والنعم ﴿فتنة﴾ ابتلاء مصدر من غيرلفظه ﴿والينا ترجعون﴾ فنجازيكم حسب مايوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لماسبق

﴿واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك﴾ مايتخذونك ﴿الاهزوا﴾ الامهزوأ به ويقولون ﴿أهذا الذى يذكر آلهتكم﴾ أى بسوء وانما أطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لايكون الابسوء ﴿وهم بذكر الرحمن﴾ بالتوحيد أوبارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم أوبالقرآن ﴿هم كافرون﴾ منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر ﴿خلق الانسان من عجل﴾ كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ماطبع عليه بمنزلة المطبوع وهومنه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد * روى أنها نزلت فى النضر بن الحرث حين استعجل العذاب ﴿سأريكم آياتي﴾ نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار ﴿فلا تستعجلون﴾ بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ وقت وعد العذاب أوالقيامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ يعنون النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم ﴿لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون﴾ محذوف الجواب وحين مفعول يعلم أى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لايقدرون على دفعها ولايجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز أن يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لوكان لهم علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ماهم عليه حين لايكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك ﴿بل تأتيهم﴾ العدة أوالنار أوالساعة ﴿بغتة﴾ فجأة مصدر أوحال وقرئ بفتح الغين ﴿فتبهتهم﴾ فتغلبهم أوتحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد أوالحين وكذا في قوله ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ لان الوعد بمعنى النار أوالعدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار أوللبغتة ﴿ولاهم ينظرون﴾ يمهلون وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ وعدله بأن مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء مافعلوا يعنى جزاءه ﴿قل﴾ يامحمد للمستهزئين ﴿من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ من بأسه ان أراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه على أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ لايخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى اذا كلؤا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا﴾ بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أومن عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد ﴿لايستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون﴾ استئناف بابطال ما اعتقدوه فان من لايقدر على نصر نفسه ولايصحبه نصر من الله فكيف ينصر غيره ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بماقدر لهم من الاعمار أوعن الدلالة على بطلانه ببيان ماأوهمهم ذلك وهو أنه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طالت أعمارهم فحسبوا أن لايزالوا كذلك وأنه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال ﴿أفلا يرون أنا نأتي الارض﴾ أرض الكفرة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على أيدى المسلمين ﴿أفهم الغالبون﴾ رسول الله والمؤمنين ﴿قل انما أنذركم بالوحى﴾ بما أوحى الى ﴿ولايسمع الصم الدعاء﴾ وقرأ ابن عامر ولاتسمع الصم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على أن فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ﴿اذا ماينذرون﴾ منصوب بيسمع أوبالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار أوللمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم ﴿ولئن مستهم نفحة﴾ أدنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس ومافى النفحة من معنى القلة فان أصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة ﴿من عذاب ربك﴾ من الذى ينذرون به ﴿ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين﴾ لدعوا على أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم

وَاِذَا رَاٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا اِنْ يَتَّخِذُونَكَ اِلَّا هُزُوًاۜ اَهٰذَا الَّذ۪ي
يَذْكُرُ اٰلِهَتَكُمْۚ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ۞ خُلِقَ
الْاِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍۜ سَاُر۪يكُمْ اٰيَات۪ي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۞ وَيَقُولُونَ
مَتٰى هٰذَا الْوَعْدُ اِنْ كُنْتُمْ صَادِق۪ينَ ۞ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
ح۪ينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ ۞ بَلْ تَأْت۪يهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَط۪يعُونَ
رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِه۪ يَسْتَهْزِؤُ۫نَ ۞ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ
بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمٰنِۜ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ۞
اَمْ لَهُمْ اٰلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَاۜ لَا يَسْتَط۪يعُونَ نَصْرَ اَنْفُسِهِمْ
وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ۞ بَلْ مَتَّعْنَا هٰٓؤُ۬لَٓاءِ وَاٰبَٓاءَهُمْ حَتّٰى طَالَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُۜ اَفَلَا يَرَوْنَ اَنَّا نَأْتِي الْاَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ اَطْرَافِهَاۜ
اَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ۞ قُلْ اِنَّمَٓا اُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِۘ وَلَا يَسْمَعُ
الصُّمُّ الدُّعَٓاءَ اِذَا مَا يُنْذَرُونَ ۞ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ
مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَٓا اِنَّا كُنَّا ظَالِم۪ينَ ۞

ونضع

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْـًٔا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا
وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ
الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۞ وَهَذَا
ذِكْرٌ مُبَرَكٌ أَنْزَلْنَهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ۞ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا إِبْرَهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِمِينَ ۞
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَكِفُونَ ۞ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَبِدِينَ ۞ قَالَ
لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَلٍ مُبِينٍ ۞ قَالُوا
أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّعِبِينَ ۞ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ
رَبُّ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ
مِنَ الشَّهِدِينَ ۞ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ
بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۞ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا
إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۞

﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوىّ والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ﴿ليوم القيامة﴾ لجزاء يوم القيامة أولا هله أوفيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر ﴿ فلاتظلم نفس شيأ ﴾ من حقها أومن الظلم ﴿وان كان مثقال حبة من خردل ﴾ أى وان كان العمل أوالظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة ﴿ أتينا بها ﴾ أحضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا أومن المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ اذ لامزيدة على علمنا وعدلنا ﴿ ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين ﴾ أى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أوذكر مايحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان ﴿ الذين يخشون ربهم ﴾ صفة للمتقين أومدح لهم منصوب أومرفوع ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل أوالمفعول ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض ﴿ وهذا ذكر ﴾ يعنى القرآن ﴿مبارك﴾ كثير خيره ﴿أنزلناه﴾ على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ أفأنتم له منكرون ﴾ استفهام توبيخ ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده ﴾ الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على أنه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة ﴿من قبل﴾ موسى وهرون أو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل من قبل استنبائه أوبلوغه حيث قال انى وجهت ﴿ وكنا به عالمين ﴾ علمنا أنه أهل لما آتيناه أوجامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى أن فعله سبحانه وتعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات ﴿ اذ قال لأبيه وقومه ﴾ متعلق بآتينا أوبرشده أوبمحذوف أى اذكر من أوقات رشده وقت قوله ﴿ ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ﴾ تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لاروح فيها لايضرّ ولاينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أويضمن العكوف معنى العبادة ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها ﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين﴾ منخرطين في سلك ضلال لايخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة أنه على حق ﴿ قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ﴾ كأنهم لاستبعادهم تضليله اياهم ظنوا أن ماقاله انما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجدّ تقوله أم تلعب به ﴿ قال بل ربكم ربّ السموات والارض الذي فطرهنّ ﴾ اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادّعاه وهن للسموات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم ﴿ وأنا على ذلكم ﴾ أى المذكور من التوحيد ﴿ من الشاهدين ﴾ من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه ﴿وتالله﴾ وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب ﴿ لأكيدنّ أصنامكم ﴾ لاجتهدنّ فى كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل ﴿ بعد أن تولوا ﴾ عنها ﴿مدبرين﴾ الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا ﴿ فجعلهم جذاذا ﴾ قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة أوجمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة ﴿الا كبيرا لهم﴾ للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفاس على عنقه ﴿ لعلهم اليه يرجعون ﴾ لانه غلب على ظنه أنهم لايرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو أنهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود أن يرجع اليه فى حلّ العقد فيبكتهم بذلك أو الى الله أى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم

﴿ قالوا ﴾ حين رجعوا ﴿ من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ﴾ بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام أو بافراطه فى حطمها أو بتوريط نفسه للهلاك ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم ﴾ يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع أوصفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو أبلغ فى نسبة الذكر اليه ﴿ يقال له ابراهيم ﴾ خبر محذوف أى هو ابراهيم ويجوز أن يرفع بالفعل لان المراد به الاسم ﴿ قالوا فائتوا به على أعين الناس ﴾ بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى أعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿ لعلهم يشهدون ﴾ بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له ﴿ قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم ﴾ حين أحضروه ﴿ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ﴾ أسند الفعل اليه تجوّزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه أو تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضى كما لوقال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت أوحكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله - ان كانوا ينطقون - ومابينهما اعتراض أوالى ضمير فتى أو ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله* وماروي أنه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ﴿ فرجعوا الى أنفسهم ﴾ وراجعوا عقولهم ﴿ فقالوا ﴾ فقال بعضهم لبعض ﴿ انكم أنتم الظالمون ﴾ بهذا السؤال أو بعبادة من لاينطق ولايضرّ ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم ﴾ انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة أسفل الشئ مستعليا على أعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا أى نكسوا أنفسهم ﴿ لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيأ ولايضرّكم ﴾ انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لاتنفع ولا تضرّ فانه ينافى الالوهية ﴿ أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأفّ صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له ﴿ أفلا تعقلون ﴾ قبح صنيعكم ﴿ قالوا ﴾ أخذا فى المضارّة لما عجزوا عن المحاجة ﴿ حرّقوه ﴾ فان النار أهول مايعاقب به ﴿ وانصروا آلهتكم ﴾ بالانتقام لها ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل فيهم رجل من أكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمروذ ﴿ قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ﴾ ذات برد وسلام أى ابردى بردا غير ضارّ وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله أى وسلمنا سلاما عليه * روى أنهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال أما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالى علمه بحالى فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال انى مقرّب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان اذ ذاك ابن ستّ عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه سبحانه وتعالى دفع عنه أذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم ﴿ وأرادوا به كيدا ﴾ مكرا في اضراره ﴿ فجعلناهم الأخسرين ﴾ أخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على أنهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم أشدّ العذاب ﴿ ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ أى من العراق الى الشام وبركاته العامة أن أكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب * روي أنه عليه الصلاة والسلام نزل بفلسطين ولوط عليه الصلاة والسلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿ ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ﴾ عطية فهى حال منهما أو ولد ولد أو زيادة على ماسأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولابأس به للقرينة ﴿ وكلا ﴾ يعنى الأربعة ﴿ جعلنا صالحين ﴾ بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا
سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالُوا
فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۞ قَالُوا
أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۞ فَرَجَعُوا
إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۞ ثُمَّ
نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۞ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
۞ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
۞ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ
۞ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۞

وجعلناهم

﴿ وجعلناهم أئمة ﴾ يقتدى بهم ﴿ يهدون ﴾ الناس الى الحق ﴿ بأمرنا ﴾ لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين ﴿ وأوحينا اليهم فعـل الخيرات ﴾ ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم وأصله أن تفعل الخيرات ثم فعـلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله ﴿ واقام الصلوة وايتاء الزكوة ﴾ وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذفت تاء الاقامة المعوّضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها ﴿ وكانوا لنا عابدين ﴾ موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصـلة ﴿ ولوطا آتيناه حكما ﴾ حكمة أونبوّة أوفصلا بين الخصوم ﴿ وعلما ﴾ بما ينبغى علمه للانبياء ﴿ ونجيناه من القرية ﴾ قرية سدوم ﴿ التى كانت تعمل الخبائث ﴾ يعنى اللواطة وصـفها بصفة أهلها أوأسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه ﴿ انهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ فانه كالتعليل له ﴿ وأدخلناه فى رحمتنا ﴾ فى أهل رحمتنا أوجنتنا ﴿ انه من الصالحين ﴾ الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ ونوحا اذ نادى ﴾ اذ دعا الله سبحانه على قومه بالهلاك ﴿ من قبل ﴾ من قبل المذكورين ﴿ فاستجبنا له ﴾ دعاءه ﴿ فنجيناه وأهله من الـكرب العظيم ﴾ من الطوفان أوأذى قومه والـكرب الغمّ الشـديد ﴿ ونصرناه ﴾ مطاوع انتصر أى جعلناه منتصرا ﴿ من القوم الذين كذّبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴾ لاجتماع الامرين تـكذيب الحق والانهماك فى الشرّ ولعلهما لم يجتمعا فى قوم الا وأهلـكهم الله تعالى ﴿ وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث ﴾ فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده ﴿ اذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ رعتـه ليلا ﴿ وكنا لحكمهم شاهـدين ﴾ لحـكم الحا كمين والمتحا كمين اليهما عالمين ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ الضمير للحكومة أوالفتوى وقرئ فأفهمناها * روى أن داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بهما فأمر بدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها والحرث الى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادّان ولعلهما قالا اجتهادا والأول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى والثانى مثـل قول الشافعى بغرم الحيلولة فى العبـد المغصوب اذا أبق وحكمه فى شرعنا عنـد الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضـبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبى صلى الله عليه وسـلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل وعند أبى حنيفة لا ضمان الا أن يكون معها حافظ لقوله صـلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ دليل على أن خطأ المجتهد لايقدح فيه وقيـل على أن كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على أن قوله ففهمناها لاظهار ماتفضـل عليه فى صـغره ﴿ وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ﴾ يقدّسن الله معه اما بلسان الحال أوبصوت يتمثل له أوبخلق الله تعالى فيها الـكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال أواستئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا أو يسبحن ﴿ والطير ﴾ عطف على الجبال أو مفعول معـه وقرئ بالرفع على الابتـداء أو العطف على الضمير على ضعف ﴿ وكنا فاعلين ﴾ لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجبا عندكم ﴿ وعلمناه صنعة لبوس ﴾ عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس * قال

البس لـكل حالة لبوسها * اما نعيمها واما بوسـها

قيل كانت صفائح فحلقها وسردها ﴿ لـكم ﴾ متعلق بعلم أوصفة للبوس ﴿ ليحصنكم من بأسكم ﴾ بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه الصـلاة والسلام أوللبوس وفى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة أوللبوس على تأويل الدرع وفى قراءة أبى بكر ورويس بالنون لله عزّوجل ﴿ فهـل أنتم شاكرون ﴾ ذلك أمر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴿ ولسليمان ﴾ وسخرنا له ولعلّ اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول أمر يظهر فى الجبال والطير مع داود وبالاضافة اليه ﴿ الريح عاصـفة ﴾ شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال تعالى ـ غدوّها شهر ورواحها شهر ـ وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيـل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب ارادته ﴿ تجرى بأمره ﴾ بمشيئته حال ثانية أوبدل من الاولى أوحال من ضميرها ﴿ الى الارض التى باركنا فيها ﴾ الى الشام رواحا بعـد ماسارت به منه بكرة ﴿ وكنا بكل شئ عالمين ﴾ فنجريه على ما تقتضيه الحـكمة

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَٰتِ
وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَٰبِدِينَ
۝ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِى
كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ
۝ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَنُوحًا
إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَدَاوُۥدَ
وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ
وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا
ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ
وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ
لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ۝
وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى الْأَرْضِ
الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ۝

﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾ في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح أومبتدأ خبره ماقبله وهي نكرة موصوفة ﴿ويعملون عملا دون ذلك﴾ ويتجاوزون ذلك الى أعمال أخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل ﴿وكنا لهم حافظين﴾ أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ماهو مقتضى جبلتهم ﴿وأيوب اذنادى ربه أني مسني الضر﴾ باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول أوتضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرروبالضم خاص بمافي النفس كمرض وهزال ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ وصف ربه بغاية الرحمة بعد ماذكر نفسه بمايوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفافي السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أوثلاث عشرة سنة أوسبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات * روى أن امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف أورحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من الله أن أدعوه ومابلغت مدة بلائي مدة رخائي ﴿فاستجبناله فكشفنا مابه من ضر﴾ بالشفاء من مرضه ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ بأن ولدله ضعف ماكان أوأحي ولده وولدله منهم نوافل ﴿رحمة من عندنا وذكري للعابدين﴾ رحمة على أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كماصبر فيثابوا كماأثيب أولرحمتنا للعابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولاننساهم ﴿واسمعيل وادريس وذا الكفل﴾ يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان ذاحظ من الله تعالى أوتكفل أمته أوله ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف ﴿كل﴾ كل هؤلاء ﴿من الصابرين﴾ على مشاق التكاليف وشدائد النوب ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾ يعنى النبوة أونعمة الآخرة ﴿انهم من الصالحين﴾ الكاملين في الصلاح وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد ﴿وذا النون﴾ وصاحب الحوت يونس بن متى ﴿اذذهب مغاضبا﴾ لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادى اصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أولانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ لن نضيق عليه أولن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده أنه قرى مثقلا أولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا أوخطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا ﴿فنادى في الظلمات﴾ في الظلمة الشديدة المتكاثفة أوظلمات بطن الحوت والبحر والليل ﴿أن لااله الاأنت﴾ بانه لااله الاأنت ﴿سبحانك﴾ من أن يعجزك شئ ﴿انى كنت من الظالمين﴾ لنفسى بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي عليه الصلاة والسلام مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الااستجيب له ﴿فاستجبناله ونجيناه من الغم﴾ بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة ﴿وكذلك ننجى المؤمنين﴾ من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجى ولذلك أخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وأبوبكر بتشديد الجيم على أن أصله ننجى فحذفت النون الثانية كماحذفت التاء الثانية في تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعني ولايقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لايسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لايسكن آخره ﴿وزكريا اذنادى ربه رب لاتذرني فردا﴾ وحيدا بلاولد يرثني ﴿وأنت خير الوارثين﴾ فان لم ترزقنى من يرثني فلاأبالي به ﴿فاستجبناله ووهبنا له يحي وأصلحنا له زوجه﴾ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة ﴿انهم﴾ يعنى المتوالدين أوالمذكورين من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿كانوا يسارعون في الخيرات﴾ يبادرون الى أبواب الخير ﴿ويدعوننا رغباورهبا﴾ ذوى رغب ورهب أوراغبين في الثواب راجين للاجابة أوفي الطاعة وخائفين العقاب أوالمعصية ﴿وكانوا لناخاشعين﴾ مخبتين أودائبين الوجل والمعني انهم نالوا من الله مانالوابهذه الخصال

وَمِنَ الشَّيٰطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حٰفِظِينَ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادٰى رَبَّهُ
أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّٰحِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنٰهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرٰى لِلْعٰبِدِينَ ۞
وَإِسْمٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصّٰبِرِينَ ۞
وَأَدْخَلْنٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصّٰلِحِينَ ۞
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغٰضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادٰى فِي الظُّلُمٰتِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحٰنَكَ
إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّٰلِمِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنٰهُ
مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا
إِذْ نَادٰى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوٰرِثِينَ
۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيٰى وَأَصْلَحْنَا لَهُ
زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسٰرِعُونَ فِي الْخَيْرٰتِ وَيَدْعُونَنَا
رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ۞

والتي

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۞ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۞ وَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ
الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ
كَاتِبُونَ ۞ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا
يَرْجِعُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ
مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ۞ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ
فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا
قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ إِنَّكُمْ
وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ ۞ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا
وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ
وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۞

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ من الحلال والحرام يعنى مريم ﴿فنفخنا فيها﴾ أى عيسى عليه الصلاة والسلام فيها أى أحييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها ﴿من روحنا﴾ من الروح الذى هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿وجعلناها وابنها﴾ أى قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله ﴿آية للعالمين﴾ فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ﴿ان هذه أمتكم﴾ أى ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم التى يجب أن تكونوا عليها فكونوا عليها ﴿أمة واحدة﴾ غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولامشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل وأمة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على أنهما خبران ﴿وأنا ربكم﴾ لااله لكم غيرى ﴿فاعبدون﴾ لاغير ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا أمره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم ﴿كل﴾ من الفرق المتحزبة ﴿الينا راجعون﴾ فنجازيهم ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ بالله ورسله ﴿فلا كفران﴾ فلاتضييع ﴿لسعيه﴾ استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة ﴿وانا له﴾ لسعيه ﴿كاتبون﴾ مثبتون فى صحيفة عمله لايضيع بوجه ما ﴿وحرام على قرية﴾ وممتنع على أهلها غير متصوّر منهم وقرأ أبوبكر وحمزة والكسائى وحرم بكسر الحاء واسكان الراء وقرئ حرم ﴿أهلكناها﴾ حكمنا باهلاكها أو وجدناها هالكة ﴿أنهم لايرجعون﴾ رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه وتقديره توبتهم أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لانهم لايرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم أنهم لايرجعون ﴿حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ متعلق بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهى حتى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد ﴿وهم﴾ يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم ﴿من كل حدب﴾ نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ﴿ينسلون﴾ يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين ﴿واقترب الوعد الحق﴾ وهو القيامة ﴿فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار ﴿ياويلنا﴾ مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول ﴿قد كنا فى غفلة من هذا﴾ لم نعلم أنه حق ﴿بل كنا ظالمين﴾ لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر ﴿انكم وماتعبدون من دون الله﴾ يحتمل الاوثان وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم * لما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ماموّلا بمن أو بما يعمه * ويدل عليه ماروى أن ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوّز أو للتخصيص تأخر عن الخطاب ﴿حصب جهنم﴾ مايرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر ﴿أنتم لها واردون﴾ استئناف أو بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على أن ورودهم لاجلها ﴿لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها﴾ لان المؤاخذ بالعذاب لايكون الها ﴿وكل فيها خالدون﴾ لاخلاص لهم عنها ﴿لهم فيها زفير﴾ أنين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان أريد بماتعبدون الاصنام ﴿وهم فيها لايسمعون﴾ من الهول وشدة العذاب وقيل لايسمعون مايسرهم ﴿ان الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ أى الخصلة الحسنى وهى السعادة أو التوفيق بالطاعة أو البشرى بالجنة ﴿أولئك عنها مبعدون﴾ لانهم يرفعون الى أعلى عليين * روى أن عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول

﴿لايسمعون حسيسها﴾ وهو بدل من مبعدون أوحال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به ﴿وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ دائمون فى غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به ﴿لايحزنهم الفزع الاكبر﴾ النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض أوالانصراف الى النار أوحين يطبق على النار أويذبح الموت ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ تستقبلهم مهنئين لهم ﴿هذا يومكم﴾ يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول ﴿الذى كنتم توعدون﴾ فى الدنيا ﴿يوم نطوى السماء﴾ مقدر باذكر أوظرف للايحزنهم أوتتلقاهم أوحال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطى ضد النشر أوالمحو من قولك اطوعنى هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول ﴿كطى السجل للكتاب﴾ طيا كطى الطومار لاجل الكتابة أولما يكتب أوكتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع أى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت اليه أوكاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ أى نعيد ماخلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه فى كونهما ايجادا عن العدم أوجمعا بين الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة أومصدرية وأول مفعول لبدأنا أولفعل يفسره نعيده أوموصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده أي نعيد مثل الذي بدأنا وأول خلق ظرف لبدأنا أوحال من ضمير الموصول المحذوف ﴿وعدا﴾ مقدر بفعله تأكيدا لنعيده أومنتصب به لانه عدة بالاعادة ﴿علينا﴾ أى علينا انجازه ﴿انا كنا فاعلين﴾ ذلك لامحالة ﴿ولقد كتبنا فى الزبور﴾ في كتاب داود عليه السلام ﴿من بعد الذكر﴾ أى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ﴿أن الارض﴾ أى أرض الجنة أوالارض المقدسة ﴿يرثها عبادى الصالحون﴾ يعنى عامة المؤمنين أوالذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها أو أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان فى هذا﴾ أى فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لبلاغا﴾ لكفاية أولسبب بلوغ الى البغية ﴿لقوم عابدين﴾ همهم العبادة دون العادة ﴿وماأرسلناك الارحمة للعالمين﴾ لان مابعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار أمنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ﴿قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد﴾ أى مايوحى الى الا أنه لااله لكم الااله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت أن التوحيد مما يصح اثباته بالسمع ﴿فان تولوا﴾ عن التوحيد ﴿فقل آذنتكم﴾ أى أعلمتكم ماأمرت به أوحربى لكم ﴿على سواء﴾ مستوين فى الاعلام به أومستوين أنا وأنتم فى العلم بما أعلمتكم به أوفى المعاداة أوايذانا على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أى عدل واستقامة رأي بالبرهان النير ﴿وان أدرى﴾ وماأدرى ﴿أقريب أم بعيد ماتوعدون﴾ من غلبة المسلمين أوالحشر لكنه كائن لامحالة ﴿انه يعلم الجهر من القول﴾ ماتجاهرون به من الطعن في الاسلام ﴿ويعلم ماتكتمون﴾ من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه ﴿وان أدرى لعله فتنة لكم﴾ وما أدرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم أوامتحان لينظر كيف تعملون ﴿ومتاع الى حين﴾ وتمتيع الى أجل مقدر تقتضيه مشيئته ﴿قل رب احكم بالحق﴾ اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربي أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام ﴿وربنا الرحمن﴾ كثير الرحمة على خلقه ﴿المستعان﴾ المطلوب منه المعونة ﴿على ماتصفون﴾ من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الاسلام تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لوكان حقا لنزل بهم فأجاب الله تعالى دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب أمانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء عليهم *وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن والله تعالى أعلم

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۝ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ۝ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ۝ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۝ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ۝

سورة الحج وهي مدنية ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يا ايها

﴿ سورة الحج مكية الاست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وآيها ثمان وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة) تحريكها الاشياء على الاسناد المجازى أوتحريك الاشياء فيها فأضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى أواضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانهامن أشراطها (شئ عظيم) هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لايؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعروفا أى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث اذا دهشت التى ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه ومامووصولة أومصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تميزهم وقرئ ترى من أريتك قائما أو رؤيت قائمابنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع وأثر السكر انما يراه كل أحد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولابعث بعد الموت وهى تعمه وأضرابه (ويتبع) فى المجادلة أوفى عامة أحواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد وأصله العرى

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ۞ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى وما هم بسكرى ولكن عذاب الله شديد ۞ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطن مريد ۞ كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير ۞ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقنكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ۞ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شئ قدير ۞

(كتب عليه) على الشيطان (أنه من تولاه) تبعه والضمير للشأن (فانه يضله) خبر لمن أوجواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه أنه يضله لاعلى العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب أواضمار القول أوتضمين الكتب معناه (ويهديه الى عذاب السعير) بالحمل على مايؤدى اليه (يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) أى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم (من تراب) بخلق آدم منه أو الاغذية التى يتكون منها المنى (ثم من نطفة) منى من النطف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر مايمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسواة لانقص فيهاولاعيب وغير مسواة أوتامة وساقطة أومصورة وغير مصورة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتناوحكمتنا وأن ماقبل التغير والفسادوالتكون مرةقبلها أخرى وأن من قدر على تغييره وتصويره أولا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى أن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به الذكر (ونقر فى الارحام مانشاء) أن نقره (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه بعدستة أشهر وأقصاه أربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا) عطفاعلى نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشؤا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال أجريت على تأويل كل واحد أوللدلالة على الجنس أولانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا أشدكم) كمالكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كأنها شدة فى الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد أوقبله وقرئ يتوفى أى يتوفاه الله تعالى (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم (لكيلا يعلم من بعد علم شيا) ليعود كهيئته الاولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ماعلمه وينكر ماعرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بمايعترى الانسان فى اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ وربات أى ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى فى كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشاره الى ماذكر من خلق الانسان فى أطوار مختلفة وتحويله على أحوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) أى بسبب أنه الثابت فى نفسه الذى به تتحقق الاشياء (وأنه يحيي الموتى) وأنه يقدر على احيائها والا لما أحيا النطفة والارض الميتة (وأنه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي
الْقُبُورِ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۞ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَذَابَ الْحَرِيقِ ۞ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ
فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى
وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ
۞ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ
هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۞ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ
لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۞ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ
ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ۞

وكذلك

﴿وأن الساعة آتية لاريب فيها﴾ فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه ﴿وأن الله يبعث من فى القبور﴾ بمقتضى وعده الذى لايقبل الخلف ﴿ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم﴾ تكرير للتأكيد ولمانيط به من الدلالة بقوله ﴿ولا هدى ولا كتاب منير﴾ على أنه لاسند له من استدلال أو وحى أوالاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ﴿ثاني عطفه﴾ متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد أومعرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين أى مانع تعطفه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء على أن اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدي الى الضلال وأنه من حيث مؤداه كالغرض له ﴿له فى الدنيا خزى﴾ وهو ما أصابه يوم بدر ﴿ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق﴾ المحروق وهو النار ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ على الالتفات أو ارادة القول أى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ وانما هو مجاز لهم على أعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ على طرف من الدين لاثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان أحس بظفر قرّ والافر ﴿فان أصابه خير اطمأنّ به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ * روى أنها نزلت فى أعاريب قدموا المدينة فكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الاخيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت الاشرا وانقلب* وعن أبي سعيد أن يهوديا أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلنى فقال ان الاسلام لايقال فنزلت ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أوعلى أنه خبر محذوف ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾ اذ لاخسران مثله ﴿يدعو من دون الله مالايضره ومالاينفعه﴾ يعبد جمادا لايضر بنفسه ولاينفع ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ عن المقصد مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا ﴿يدعو لمن ضره﴾ بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿أقرب من نفعه﴾ الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد أوداخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجري يقول أى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به أو مستأنفة على أن يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره ﴿لبئس المولى﴾ الناصر ﴿ولبئس العشير﴾ الصاحب ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل مايريد﴾ من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك الطالح لادافع له ولامانع ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة﴾ كلام فيه اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن ﴿فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع﴾ فليستقص فى ازالة غيظه أوجزعه بان يفعل كل مايفعله الممتلئ غيظا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره أو تحصيل رزقه وقرأ ورش وأبوعمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام ﴿فلينظر﴾ فليتصوّر فى نفسه ﴿هل يذهبن كيده﴾ فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى مايقدر عليه ﴿مايغيظ﴾ غيظه أو الذى يغيظه من نصر الله* وقيل نزلت فى قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين

﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿أنزلناه﴾ أنزلنا القرآن كله ﴿ ايات بينات ﴾ واضحات ﴿وأن الله يهدى﴾ ولأن الله يهدي به أو يثبت على الهدى ﴿ من يريد ﴾
هدايته أو اثباته أنزله كذلك مبينا ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ بالحكومة بينهم
واظهار المحق منهم على المبطل أو الجزاء فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعدّ له وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد ﴿ ان الله على كل شئ
شهيد ﴾ عالم به مراقب لأحواله ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض ﴾ يتسخر لقدرته ولايتأتى عن تدبيره أو يدل بذلته على عظمة مدبره ومن
يجوز أن يعم أولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله ﴿ والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدّواب ﴾ افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها
وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع بين الساكنين ﴿ وكثير من الناس ﴾ عطف عليها ان جوّز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه
واسناده باعتبار أحدهما الى أمر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه خبر قسيمه نحو حق له
الثواب أو فاعل فعل مضمر أى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة ﴿ وكثير حقّ عليه العذاب ﴾ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز أن يجعل وكثيرا تكريرا للاول
مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حقّ بالضم وحقا باضمار فعله ﴿ ومن يهن الله ﴾ بالشقاوة ﴿ فما له
من مكرم ﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ﴿ ان الله يفعل مايشاء ﴾ من الاكرام والاهانة ﴿ هذان خصمان ﴾ أى فوجان مختصمان ولذلك قال
﴿ اختصموا ﴾ حملا على المعنى ولوعكس لجاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون ﴿ فى ربهم ﴾ فى دينه أو فى ذاته وصفاته ＊ وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ
۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ
مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا
لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ
ٱخْتَصَمُوا فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ
يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۞ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ
وَٱلْجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا
أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۞

نحن أحقّ بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا
بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت ﴿ فالذين كفروا ﴾ فصل لخصومتهم وهو المعنىّ بقوله تعالى — ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة — ﴿ قطعت لهم ﴾ قدّرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ﴿ ثياب
من نار ﴾ نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴿ يصبّ من فوق رؤسهم الحميم ﴾ حال من
الضمير فى لهم أو خبر ثان والحميم الماء الحار ﴿ يصهر به مافى بطونهم والجلود ﴾ أى يؤثر
من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فتذاب به أحشاؤهم كما تذاب به جلودهم
والجملة حال من الحميم أو من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ ولهم مقامع من حديد ﴾
سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها مايقمع به أى يكف بعنف ﴿ كلما أرادوا أن
يخرجوا منها ﴾ من النار ﴿ من غمّ ﴾ من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار ﴿ أعيدوا
فيها ﴾ أى فخرجوا أعيدوا لان الاعادة لاتكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب
النار فيرفعهم الى أعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها ﴿ وذوقوا ﴾ أى وقيل لهم ذوقوا
﴿ عذاب الحريق ﴾ أى النار البالغة في الاحراق ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ غير الاسلوب فيه وأسند الادخال الى الله
تعالى وأكده بان احماد الحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم ﴿ يحلون فيها ﴾ من حليت
المرأة اذا ألبستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد ﴿ من أساور ﴾ صفة مفعول
محذوف وأساور جمع اسورة وهي جمع سوار ﴿ من ذهب ﴾ بيان له ﴿ ولؤلؤ ﴾ عطف
عليها لاعلى ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا أن يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم
عطفا على محلها أو اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك أبو بكر
والسوسى عن أبي عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلوا بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما
واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كأدل ﴿ ولباسهم فيها حرير ﴾ غير
أسلوب الكلام فيه للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو للمحافظة على هيئة الفواصل

﴿ وهدوا الى الطيب من القول ﴾ وهو قولهم ـ الحمد لله الذى صدقنا وعده ـ أوكلمة التوحيد ﴿ وهدوا الى صراط الحميد ﴾ المحمود نفسه أوعاقبته وهو الجنة أوالحق أوالمستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الاسلام ﴿ ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله ﴾ لايريد به حالا واستقبالا وانما يريد به استمرار الصدّ منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دلّ عليه آخر الآية أى معذبون ﴿ والمسجد الحرام ﴾ عطف على اسم الله وأوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله ﴿ الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ﴾ أي المقيم والطاري على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى ـ الذين أخرجوا من ديارهم ـ وشراء عمر رضى الله تعالى عنه دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على أنه المفعول أو الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل من الناس ﴿ ومن يرد فيه ﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود ﴿ بالحاد ﴾ عدول عن القصد ﴿ بظلم ﴾ بغير حقّ وهما حالان مترادفان أوالثانى بدل من الاول باعادة الجار أوصلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿ نذقه من عذاب أليم ﴾ جواب لمن ﴿ واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت ﴾ أى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أى واذ أنزلناه فيه * قيل رفع البيت الى السماء وانطمس أيام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح أرسلها فكنست ماحوله فبناه على أسه القديم ﴿ أن لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ أن مفسرة لبوّأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لأن التبوئة من أجل العبادة أومصدرية موصولة بالنهى أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وطهر بيتى من الأوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وقرأ نافع وحفص وهشام بيتى بفتح الياء ﴿ وأذّن في الناس ﴾ ناد فيهم وقرئ وآذن ﴿ بالحجّ ﴾ بدعوة الحج والامر به * روى أنه عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس فقال ياأيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه أن يحج * وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع ﴿ يأتوك رجالا ﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد السفر فهزله ﴿ يأتين ﴾ صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان أواستئناف فيكون الضمير للناس ﴿ من كل فجّ ﴾ طريق ﴿ عميق ﴾ بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ﴿ ليشهدوا ﴾ ليحضروا ﴿ منافع لهم ﴾ دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ﴿ ويذكروا اسم الله ﴾ عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لاينفك عنه تنبيها على أنه المقصود مما يتقرّب به الى الله تعالى ﴿ فى أيام معلومات ﴾ هي عشر ذى الحجة وقيل أيام النحر ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرّب وتنبيها على مقتضى الذكر ﴿ فكلوا منها ﴾ من لحومها أمر بذلك اباحة وازاحة لما عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أوندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى المتطوّع به دون الواجب ﴿ وأطعموا البائس ﴾ الذى أصابه بؤس أى شدّة ﴿ الفقير ﴾ المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ثم ليزيلوا وسخهم بقصّ الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ماينذرون من البرّ في حجهم وقيل مواجب الحجّ وقرأ أبو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿ وليطوّفوا ﴾ طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع وقرأ ابن عامر وحده بكسر اللام فيهما ﴿ بالبيت العتيق ﴾ القديم لانه أوّل بيت وضع للناس أوالمعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله تعالى وأما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ﴿ ذلك ﴾ خبر محذوف أى الامر ذلك وهو وأمثاله تطلق للفصل بين كلامين ﴿ ومن يعظم حرمات الله ﴾ أحكامه وسائر مالايحل هتكه أوالحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم ﴿ فهو خير له ﴾ فالتعظيم خير له ﴿ عند ربه ﴾ ثوابا ﴿ وأحلت لكم الانعام الا مايتلى عليكم ﴾ الا المتلو عليكم تحريمه وهو ماحرم منها لعارض كالميتة وما أهلّ به لغير الله فلا تحرموا منها غير ماحرّمه الله كالبحيرة والسائبة ﴿ فاجتنبوا الرّجس من الأوثان ﴾ فاجتنبوا الرّجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها ﴿ واجتنبوا قول الزور ﴾ تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حثّ على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور * لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۞ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۞

حُنَفَآءَ لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ
فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۞ ذٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ اللّٰهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ۞ لَكُمْ
فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞
وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم
مِّنۢ بَهِيمَةِ الْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُخْبِتِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّٰبِرِينَ
عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِى الصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ
۞ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ اللّٰهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ
فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا
مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ۞ لَن يَنَالَ اللّٰهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ
التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ اللّٰهَ يُدَٰفِعُ عَنِ الَّذِينَ
ءَامَنُوٓا إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۞

﴿ حنفاء لله ﴾ مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ وهما حالان من الواو ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء ﴾ لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿ فتخطفه الطير ﴾ فان الاهواء الرديئة توزع أفكاره وقرأ نافع وحده فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء ﴿ أوتهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ بعيد فان الشيطان قد طوّح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله تعالى ـ أوكصيب من السماء ـ أوللتنويع فان من المشركين من لاخلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة لكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله ﴾ دين الله أوفرائض الحجّ ومواضع نسكه أوالهدايا لانها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر مابعده وتعظيمها أن تختارها حسانا سمانا غالية الاثمان * روى أنه صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضى الله تعالى عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار ﴿ فانها من تقوى القلوب ﴾ فان تعظيمها منه من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور أوالآمرة بهما ﴿ لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق ﴾ أى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت أى مايليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخى فى الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية أعظم منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها أوالمراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أوالجنة وعلى الثاني لكم فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ﴿ ولكل أمة ﴾ ولكل أهل دين ﴿ جعلنا منسكا ﴾ متعبدا أوقربانا يتقرّبون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر أى موضع نسك ﴿ ليذكروا اسم الله ﴾ دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود من المناسك تذكر المعبود ﴿ على مارزقهم من بهيمة الانعام ﴾ عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعما ﴿ فالهكم اله واحد فله أسلموا ﴾ أخلصوا التقرّب أوالذكر ولاتشوبوه بالاشراك ﴿ وبشر المخبتين ﴾ المتواضعين أوالمخلصين فان الاخبات صفتهم ﴿ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ هيبة منه لاشراق أشعة جلاله عليها ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ من الكلف والمصائب ﴿ والمقيمى الصلاة ﴾ فى أوقاتها وقرئ والمقيمين الصلاة على الاصل ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ في وجوه الخير ﴿ والبدن ﴾ جمع بدنة كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولايلزم من مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره ﴿ جعلناها لكم ﴾ ومن رفعه جعله مبتدأ ﴿ من شعائر الله ﴾ من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى ﴿ لكم فيها خير ﴾ منافع دينية ودنيوية ﴿ فاذكروا اسم الله عليها ﴾ بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لااله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك ﴿ صوافّ ﴾ قائمات قد صففن أيديهنّ وأرجلهنّ وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف حافر الرابعة لأن البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى أى خوالص لوجه الله وصوافى بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها ﴿ فاذا وجبت جنوبها ﴾ سقطت على الارض وهو كناية عن الموت ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع ﴾ الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده قراءة القنع أوالسائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال ﴿ والمعتر ﴾ والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه ﴿ كذلك ﴾ مثل ماوصفنا من نحرها قياما ﴿ سخرناها لكم ﴾ مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص ﴿ لن ينال الله ﴾ لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول ﴿ لحومها ﴾ المتصدّق بها ﴿ ولادماؤها ﴾ المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ﴿ ولكن يناله التقوى منكم ﴾ ولكن يصيبه مايصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم أمره تعالى والتقرّب اليه والاخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت ﴿ كذلك سخرها لكم ﴾ كرّره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله ﴿ لتكبروا الله ﴾ أي لتعرفوا عظمته باقتداره على مالايقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أوالذبح ﴿ على ماهداكم ﴾ أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرّب بها وماتحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر ﴿ وبشر المحسنين ﴾ المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ﴿ انّ الله يدفع عن الذين آمنوا ﴾ غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع أى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ﴿ انّ الله لايحبّ كل خوّان ﴾ فى أمانة الله ﴿ كفور ﴾ لنعمته كمن يتقرّب الى الاصنام بذبيحته فلايرتضى فعلهم ولاينصرهم

﴿أذن﴾ رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل وهو الله ﴿للذين يقاتلون﴾ المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون ﴿بأنهم ظلموا﴾ بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي أول آية نزلت في القتال بعد مانهى عنه في نيف وسبعين آية ﴿وان الله على نصرهم لقدير﴾ وعدهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ يعني مكة ﴿بغير حق﴾ بغير موجب استحقوه به ﴿الاأن يقولوا ربنا الله﴾ على طريقة قول النابغة ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين ﴿لهدمت﴾ لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرأ نافع دفاع وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بالتخفيف ﴿صوامع﴾ صوامع الرهبانية ﴿وبيع﴾ بيع النصارى ﴿وصلوات﴾ كنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرانية فعربت ﴿ومساجد﴾ مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ صفة للاربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿ان الله لقوى﴾ على نصرهم ﴿عزيز﴾ لايمانعه شئ ﴿الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين﴾ تسلية له صلى الله عليه وسلم بان قومه ان كذبوه فهو ليس بأوحدى في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه ﴿وكذب موسى﴾ غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع ﴿فأمليت للكافرين﴾ فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ﴿ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ أي انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا ﴿فكأين من قرية أهلكناها﴾ باهلاك أهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم ﴿وهي ظالمة﴾ أي أهلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكناها لاعلى وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلامحل لها ان نصبت كأي بمقدر يفسره أهلكنا وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لايستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله ﴿وقصر مشيد﴾ مرفوع أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى أن معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضر موت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما ﴿أفلم يسيروا في الارض﴾ حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فلم يسافروا لذلك ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ مايجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال ﴿أو آذان يسمعون بها﴾ مايجب أن يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم ﴿فانها﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر أقيم مقامه ﴿لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ عن الاعتبار أي ليس الخلل في مشاعرهم وانما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر * قيل لما نزل ومن كان في هذه أعمى قال ابن أم مكتوم يارسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت فانها لاتعمى الابصار

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا
أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝
وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ
مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ
قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۞ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ
أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ۞
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ فَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ
۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي
الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۞ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۞

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ المتوعد به ﴿وان يخلف الله وعده﴾ لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ماأوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لايعجل بالعقوبة ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون﴾ بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال أولتمادى عذابه وطول أيامه حقيقة أومن حيث ان أيام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء ﴿وكأين من قرية﴾ وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ماتقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لامحالة وأن تأخيره لعادته تعالى ﴿أمليت لها﴾ كما أمهلتكم ﴿وهي ظالمة﴾ مثلكم ﴿ثم أخذتها﴾ بالعذاب ﴿والىّ المصير﴾ والى حكمي مرجع الجميع ﴿قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين﴾ أوضح لكم ماأنذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ لما بدر منهم ﴿ورزق كريم﴾ هي الجنة والكريم من كل نوع مايجمع فضائله ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بالرد والابطال ﴿معاجزين﴾ مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحوق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين على أنه حال مقدرة ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾ النار الموقدة وقيل اسم دركة ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام ﴿الا اذا تمنى﴾ زوّر في نفسه مايهواه ﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ﴿فينسخ الله مايلقى الشيطان﴾ فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى مايزيحه ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في أمر الآخرة ﴿والله عليم﴾ باحوال الناس ﴿حكيم﴾ فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه مايقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومنات الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم لذلك فعزاه الله بهذه الآية* وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أوّل ليله * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم* وقد رد أيضا بانه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ﴿ليجعل مايلقى الشيطان﴾ علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على أن الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ المشركين ﴿وان الظالمين﴾ يعنى الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم ﴿لفي شقاق بعيد﴾ عن الحق أوعن الرسول والمؤمنين ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾ ان القرآن هو الحق النازل من عند الله أو تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في الانس من لدن آدم ﴿فيؤمنوا به﴾ بالقرآن أو بالله ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ بالانقياد والخشية ﴿وان الله لهادى الذين آمنوا﴾ فيما أشكل ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو نظر صحيح يوصلهم الى ماهو الحق فيه ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ في شك ﴿منه﴾ من القرآن أو الرسول أو مما ألقى الشيطان في أمنيته يقولون ماباله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ﴿حتى تأتيهم الساعة﴾ القيامة أو أشراطها أو الموت ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم أو لان المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا أو لانه لامثل له لقتال الملائكة فيه أو يوم القيامة على أن المراد بالساعة غيره أو على وضعه موضع ضميرها للتهويل

﴿الملك يومئذ لله﴾ التنوين فيه ينوب عن الجملة التى دلت عليها الغاية أي يوم تزول مريتهم ﴿يحكم بينهم﴾ بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين﴾ وادخال الفاء فى خبر الثانى دون الاول تنبيه على أن اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وأن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم فلذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا﴾ فى الجهاد ﴿أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ الجنة ونعيمها وانما سوّى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف أنفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد وأصل العمل * روى أن بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا قدعلمنا ماأعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا انمتنا فنزلت ﴿وان الله لهو خير الرازقين﴾ فانه يرزق بغير حساب ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ هو الجنة فيها مايحبونه ﴿وان الله لعليم﴾ باحوالهم وأحوال معادهم ﴿حليم﴾ لايعاجل فى العقوبة ﴿ذلك﴾ أى الامر ذلك ﴿ومن عاقب بمثل ماعوقب به﴾ ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج أولانه سببه ﴿ثم بغى عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ لامحالة ﴿ان الله لعفوّ غفور﴾ للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام وأعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك أولى وتنبيه على أنه تعالى قادر على العقوبة اذلا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ذلك﴾ أى ذلك النصر ﴿بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار في الليل﴾ بسبب أن الله تعالى قادر على تغليب الامور بعضها على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج أحد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ماينقص منه أو بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها ﴿وأن الله سمع﴾ يسمع قول المعاقب والمعاقب ﴿بصير﴾ يرى أفعالهما فلايهملهما ﴿ذلك﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿بان الله هو الحق﴾ الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ لكل مايوجد سواه عالما بذاته وبما عداه أو الثابت الالهية ولا يصلح لها الامن كان قادرا عالما ﴿وأن مايدعون من دونه﴾ الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبوبكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو لما فانه فى معنى الآلهة ﴿هو الباطل﴾ المعدوم فى حد ذاته أو باطل الالوهية ﴿وان الله هو العلى﴾ على الاشياء ﴿الكبير﴾ عن أن يكون له شريك لاشئ أعلى منه شأنا وأكبر منه سلطانا ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ استفهام تقرير ولذلك رفع ﴿فتصبح الارض مخضرة﴾ عطف على أنزل اذلو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما في قولك ألم تر أنى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان ﴿ان الله لطيف﴾ يصل علمه أو لطفه الى كل ماجل ودق ﴿خبير﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة ﴿له مافى السموات ومافي الارض﴾ خلقا وملكا ﴿وان الله لهو الغنى﴾ فى ذاته عن كل شئ ﴿الحميد﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ۝ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا
أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ
خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ
مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ
لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ
فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهُوَ الَّذِي
أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ۞
لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۞
وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ
ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
مِن نَّصِيرٍ ۞ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ
وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞

﴿ألم تر أن الله سخر لكم مافي الارض﴾ جعلها مذللة لكم معدّة لمنافعكم ﴿والفلك﴾ عطف على ما أو على اسم أن وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿تجرى في البحر بأمره﴾ حال منها أو خبر ﴿ويمسك السماء أن تقع على الارض﴾ من أن تقع أو كراهة أن تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك ﴿الا باذنه﴾ الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ﴿ان الله بالناس لرؤف رحيم﴾ حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح عليهم أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار ﴿وهو الذى أحياكم﴾ بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا ﴿ثم يميتكم﴾ اذا جاء أجلكم ﴿ثم يحييكم﴾ فى الآخرة ﴿ان الانسان لكفور﴾ لجحود لنعم الله مع ظهورها ﴿لكل أمة﴾ أهل دين ﴿جعلنا منسكا﴾ متعبدا أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا ﴿هم ناسكوه﴾ ينسكونه ﴿فلا ينازعنك﴾ سائر أرباب الملل ﴿فى الامر﴾ فى أمر الدين أو النسائك لانهم بين جهال وأهل عناد أو لان أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء أهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لايضارك زيد وهذا انما يجوز في أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه من نازعته فنزعته اذا غلبته ﴿وادع الى ربك﴾ الى توحيده وعبادته ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ طريق الى الحق سوى ﴿وان جادلوك﴾ وقد ظهر الحق ولزمت الحجة ﴿فقل الله أعلم بما تعملون﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب ﴿يوم القيامة﴾ كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيما كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين ﴿ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض﴾ فلا يخفى عليه شئ ﴿ان ذلك فى كتاب﴾ هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له ﴿ان ذلك﴾ ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ أو الحكم بينكم ﴿على الله يسير﴾ لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا﴾ حجة تدل على جواز عبادته ﴿وماليس لهم به علم﴾ حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله ﴿وما للظالمين﴾ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم ﴿من نصير﴾ يقرر مذهبهم أو يدفع العذاب عنهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على العقائد الحقية والاحكام الالهية ﴿تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر﴾ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل أخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير أو مايقصدونه من الشر ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ يثبون ويبطشون بهم ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم ﴿النار﴾ أى هو النار كانه جواب سائل قال ماهو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا أو حالا منها ﴿وبئس المصير﴾ النار

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
۞ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ اللَّهُ
يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا
رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ
هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۞

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وثمان عشرة آية

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ بين لكم حال مستغربة أوقصة رائعة ولذلك سماها مثلا أوجعل لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة ﴿فاستمعوا له﴾ للمثل أولشأنه استماع تدبر وتفكر ﴿ان الذين تدعون من دون الله﴾ يعني الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين ﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة مابين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه أذبة وذبان ﴿ولو اجتمعوا له﴾ أي للخلق هو بجوابه المقدر في موضع حال جيء به للمبالغة أي لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين ﴿وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه﴾ جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق أقل الاحياء وأذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها*قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب مايسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه السلب أوالصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه مايسلبه ولوحققت وجدت الصنم أضعف بدرجات ﴿ماقدروا الله حق قدره﴾ ماعرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ماهو أبعد الاشياء عنه مناسبة ﴿ان الله لقوى﴾ على خلق الممكنات بأسرها ﴿عزيز﴾ لايغلبه شيء وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة عن أقلها مقهورة من أذلها ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي ﴿ومن الناس﴾ يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم مانزل عليهم كانه لماقرر وحدانيته في الالوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن سواه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله تعالى ونحو ذلك ﴿ان الله سميع بصير﴾ مدرك للاشياء كلها ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ عالم بواقعها ومترقبها ﴿والى الله ترجع الامور﴾ واليه ترجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لايسئل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ في صلاتكم أمرهم بهما لانهم ماكانوا مايفعلونهما أول الاسلام أوصلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله وخروا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ماتعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ماهوخير وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرؤها ﴿وجاهدوا في الله﴾ أي لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس*وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ﴿حق جهاده﴾ أي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله تعالى ومن أجله ﴿هو اجتباكم﴾ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعي اليه وفي قوله ﴿وماجعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم اشارة الى أنه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم في تركه أو الى الرخصة في اغفال بعض ما أمرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ﴿ملة أبيكم ابراهيم﴾ منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أبيكم أوعلى الاغراء أوعلى الاختصاص وانما جعله أباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أولان أكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ من قبل القرآن في الكتب المتقدمة ﴿وفي هذا﴾ وفي القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بمسلمين في القرآن وان لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في قوله - ومن ذريتنا أمة مسلمة لك - وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيدا عليكم﴾ بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل اليهم ﴿فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ فتقربوا الى الله تعالى بأنواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف ﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا به في مجامع أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الامنه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو اذ لامثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لامولى ولانصير سواه في الحقيقة*عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

﴿ سورة المؤمنون مكية وهى مائة وتسع عشرة آية عند البصريين وثمانى عشرة عند الكوفيين ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قد أفلح المؤمنون ۝ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ۝ والذين هم
عن اللغو معرضون ۝ والذين هم للزكوٰة فاعلون ۝ والذين هم
لفروجهم حافظون ۝ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم
فإنهم غير ملومين ۝ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم
العادون ۝ والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون ۝
والذين هم على صلوٰتهم يحافظون ۝ أولئك هم الوارثون
۝ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ۝ ولقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين ۝ ثم جعلناه نطفة فى قرار
مكين ۝ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم
أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ۝
ثم إنكم بعد ذلك لميتون ۝ ثم إنكم
يوم القيامة تبعثون ۝ ولقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ۝

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * قد أفلح المؤمنون ﴾ قد فازوا بأمانيهم وقد تثبت المتوقع كما أن لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت على الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة أكلونى البراغيث أوعلى الابهام والتفسير وأفلح بالضم اجتزاء بالضمة عن الواو وأفلح على البناء للمفعول ﴿ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ خائفون من الله سبحانه وتعالى متذللون له ملزمون أبصارهم مساجدهم * روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴿ والذين هم عن اللغو ﴾ عما لايعنيهم من قول أوفعل ﴿ معرضون ﴾ لما بهم من الجد ماشغلهم عنه وهو أبلغ من الذين لايلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون فى عرض غير عرضه وكذلك قوله ﴿ والذين هم للزكوة فاعلون ﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ماتوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الأول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذى هو موقعه أوالثانى على تقدير مضاف ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون ﴾ لايبذلونها ﴿ الا على أزواجهم أوماملكت أيمانهم ﴾ زوجتهم أو سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسى أوحال أى حافظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج اوالتسرى أوبفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك أصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله ـ والذين هم عن اللغو معرضون ـ لأن المباشرة أشهى الملاهي الى النفس وأعظمها خطرا ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ الضمير لحافظون أولمن دل عليه الاستثناء أى فان بذلوها لأزواجهم أواماءهم فانهم غير ملومين على ذلك ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ المستثنى ﴿ فأولئك هم العادون ﴾ الكاملون فى العدوان ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم ﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أوالخلق ﴿ راعون ﴾ قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج لأمانتهم على الافراد لأمن الالباس أولأنها فى الاصل مصدر ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴾ يواظبون عليها ويؤدونها فى أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به أولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها ﴿ أولئك ﴾ الجامعون لهذه الصفات ﴿ هم الوارثون ﴾ الاحقاء بأن يسموا وراثا دون غيرهم ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من أعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار ﴿ هم فيها خالدون ﴾ أنث الضمير لانه اسم للجنة أولطبقتها العليا ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة ﴾ من خلاصة سلت من بين الكدر ﴿ من طين ﴾ متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة أومن بيانية أوبمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم عليه الصلاة والسلام خلق من صفوة سلت من الطين أو الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ﴿ ثم جعلناه ﴾ ثم جعلنا نسله فحذف المضاف ﴿ نطفة ﴾ بأن خلقناه منها أوثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر أوالمسلول أوالماء ﴿ فى قرار مكين ﴾ مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الأصل صفة للمستقر وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ فصيرناها قطعة لحم ﴿ فخلقنا المضغة عظاما ﴾ بأن صلبناها ﴿ فكسونا العظام لحما ﴾ مما بقى من المضغة أومما أنبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها فى الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وأبو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد أحدهما وجمع الآخر ﴿ ثم أنشأناه خلقا آخر ﴾ وهو صورة البدن أوالروح أوالقوى بنفخة فيه أو المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به أبوحنيفة على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر ﴿ فتبارك الله ﴾ فتعالى شأنه فى قدرته وحكمته ﴿ أحسن الخالقين ﴾ المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ﴿ ثم انكم بعد ذلك لميتون ﴾ لصائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ﴿ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾ للمحاسبة والمجازاة ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل مافوقه مثله فهو طريقه أولأنها طرق الملائكة أوالكواكب فيها مسيرها ﴿ وما كنا عن الخلق ﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أوعن جميع المخلوقات ﴿ غافلين ﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ماقدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره أو بمقدار ماعلمنا من صلاحهم ﴿ فأسكناه ﴾ فجعلناه ثابتا مستقرا ﴿ في الارض وانا على ذهاب به ﴾ على ازالته بالافساد أو التصعيد أو التعميق بحيث يتعذر استنباطه ﴿ لقادرون ﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى ـ قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ـ ﴿ فأنشأنا لكم به ﴾ بالماء ﴿ جنات من نخيل وأعناب لكم فيها ﴾ في الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ تتفكهون بها ﴿ ومنها ﴾ ومن الجنات ثمارها وزروعها ﴿ تأكلون ﴾ تغذيا أو ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يكون الضميران للنخيل والاعناب أى لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿ وشجرة ﴾ عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء أى ومما أنشأنا لكم به شجرة ﴿ تخرج من طور سيناء ﴾ جبل موسى عليه الصلاة والسلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولايخلو من أن يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمدّ وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامى ويعقوب فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء لافعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر ﴿ تنبت بالدهن ﴾ أي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز أن تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من أنبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم ❊ قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان ﴿ وصبغ للآكلين ﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفى الشئ على الآخر أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنيا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ ﴿ وان لكم في الانعام لعبرة ﴾ تعتبرون بحالها وتستدلون بها ﴿ نسقيكم مما في بطونها ﴾ من الالبان أو من العلف فان اللبن يتكوّن منه فمن للتبعيض أو للابتداء وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون ﴿ ولكم فيها منافع كثيرة ﴾ في ظهورها وأصوافها وشعورها ﴿ ومنها تأكلون ﴾ فتنتفعون بأعيانها ﴿ وعليها ﴾ وعلى الانعام فان منها مايحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البرّ قال ذو الرمة ❊ سفينة بر تحت خدّى زمامها ❊ فيكون الضمير فيه كالضمير في ـ وبعولتهنّ أحقّ بردّهن ـ ﴿ وعلى الفلك تحملون ﴾ في البر والبحر ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله ﴾ الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ماعدد عليهم من النعم المتلاحقة وماحاق بهم من زوالها ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجرّ على اللفظ ﴿ أفلا تتقون ﴾ أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لاتحصونها ﴿ فقال الملأ ﴾ الاشراف ﴿ الذين كفروا من قومه ﴾ لعوامهم ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ﴾ أن يطلب الفضل عليكم ويسودكم ﴿ ولوشاء الله ﴾ أن يرسل رسولا ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ رسلا ﴿ ماسمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين ﴾ يعنون نوحا عليه الصلاة والسلام أي ماسمعنا به أنه نبى أو ما كلمهم به من الحثّ على عبادة الله سبحانه وتعالى ونفى اله غيره أو من دعوى النبوّة وذلك اما لفرط عنادهم أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة ﴿ ان هو الا رجل به جنة ﴾ أى جنون ولأجله يقول ذلك ﴿ فتربصوا به ﴾ فاحتملوه وانتظروا ﴿ حتى حين ﴾ لعله يفيق من جنونه ﴿ قال ﴾ بعد ماأيس من ايمانهم ﴿ ربّ انصرنى ﴾ باهلاكهم أو بانجاز ماوعدتهم من العذاب ﴿ بما كذبون ﴾ بدل تكذيبهم اياى أو بسببه ﴿ فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا ﴾ بحفظنا نحفظه أن تخطئ فيه أو يفسده عليك مفسد ﴿ ووحينا ﴾ وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿ فاذا جاء أمرنا ﴾ بالركوب أو نزول العذاب ﴿ وفار التنور ﴾ ❊ روى أنه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها في هود ﴿ فاسلك فيها ﴾ فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ـ ماسلككم في سقر ـ ﴿ من كل زوجين اثنين ﴾ من كل أمتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين أى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد ﴿ وأهلك ﴾ وأهل بيتك أو من آمن معك ﴿ الا من سبق عليه القول منهم ﴾ أي القول من الله تعالى باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لأن السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا في قوله تعالى ـ ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ـ ﴿ ولا تخاطبنى في الذين ظلموا ﴾ بالدعاء لهم بالانجاء ﴿ انهم مغرقون ﴾ لامحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لايشفع له ولايشفع فيه كيف وقد أمره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ❁ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ❁ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ❁ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ❁ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ❁ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ❁ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ❁ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ❁ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ❁ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ❁

فَاِذَا اسْتَوَيْتَ اَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى
نَجّٰينَا مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ❁ وَقُلْ رَبِّ اَنْزِلْنِى مُنْزَلًا
مُبٰرَكًا وَاَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ❁ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ وَاِنْ كُنَّا
لَمُبْتَلِينَ ❁ ثُمَّ اَنْشَاْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا اٰخَرِينَ ❁ فَاَرْسَلْنَا فِيهِمْ
رَسُولًا مِنْهُمْ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ اَفَلَا تَتَّقُونَ ❁
وَقَالَ الْمَلَاُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاۤءِ الْاٰخِرَةِ
وَاَتْرَفْنٰهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مَا هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَاْكُلُ مِمَّا
تَاْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ❁ وَلَئِنْ اَطَعْتُمْ بَشَرًا
مِثْلَكُمْ اِنَّكُمْ اِذًا لَخٰاسِرُونَ ❁ اَيَعِدُكُمْ اَنَّكُمْ اِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ
تُرَابًا وَعِظَامًا اَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ❁ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ❁
اِنْ هِىَ اِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ❁ اِنْ هُوَ
اِلَّا رَجُلٌ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ❁
قَالَ رَبِّ انْصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ❁ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ
نٰدِمِينَ ❁ فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنٰهُمْ غُثَاۤءً فَبُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ❁ ثُمَّ اَنْشَاْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا اٰخَرِينَ ❁

﴿ فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ﴾ كقوله تعالى – فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين – ﴿ وقل ربّ أنزلنى ﴾ فى السفينة أوفى الارض ﴿ منزلا مباركا ﴾ يتسبب لمزيد الخير فى الدارين على قراءة أبى بكر وقرئ منزلا بمعنى انزالا أوموضع انزال ﴿ وأنت خير المنزلين ﴾ ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما أفرده بالامر والمعلق به أن يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بأن فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ﴿ انّ فى ذلك ﴾ فيما فعل بنوح وقومه ﴿ لآيات ﴾ يستدل بها ويعتبر أولو الاستبصار والاعتبار ﴿ وان كنا لمبتلين ﴾ لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هى الفارقة ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ هم عاد أوثمود ﴿ فأرسلنا فيهم رسولا منهم ﴾ هو هود أوصالح وانما جعل القول موضع الارسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما أوحى اليه وهو بين أظهرهم ﴿ أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ تفسير لأرسلنا أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله ﴿ أفلا تتقون ﴾ عذاب الله ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا ﴾ لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال ﴿ وكذبوا بلقاء الآخرة ﴾ بلقاء مافيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿ وأترفناهم ﴾ ونعمناهم ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بكثرة الاموال والاولاد ﴿ ماهذا الا بشر مثلكم ﴾ فى الصفة والحالة ﴿ يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ تقرير للمماثلة وماخبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أومجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه ﴿ ولئن أطعتم بشرا مثلكم ﴾ فيما يأمركم به ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ حيث أذللتم أنفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ﴿ أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما ﴾ مجرّدة عن اللحوم والاعصاب ﴿ أنكم مخرجون ﴾ من الاجداث أومن العدم تارة أخرى الى الوجود وأنكم تكرير للاوّل أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره أوأنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم أوفاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول أى انكم اخراجكم اذا متم أو انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز أن يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا أن يكون الظرف لان اسمه جثة ﴿ هيهات هيهات ﴾ بعد التصديق أوالصحة ﴿ لما توعدون ﴾ أوبعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فماله هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ﴿ ان هي الا حياتنا الدنيا ﴾ أصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله * هي النفس ماحملتها تتحمل * ومعناه لا حياة الا هذه الحياة لان ان نافية دخلت على هي التى في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التى تنفى مابعدها نفى الجنس ﴿ نموت ونحيا ﴾ يموت بعضنا ويولد بعض ﴿ ومانحن بمبعوثين ﴾ بعد الموت ﴿ ان هو ﴾ ماهو ﴿ الا رجل افترى على الله كذبا ﴾ فيما يدّعيه من ارساله له وفيما يعدنا من البعث ﴿ ومانحن له بمؤمنين ﴾ بمصدّقين ﴿ قال ربّ انصرنى ﴾ عليهم وانتقم لى منهم ﴿ بما كذبون ﴾ بسبب تكذيبهم اياى ﴿ قال عما قليل ﴾ عن زمان قليل وماصلة لتوكيد معنى القلة أونكرة موصوفة ﴿ ليصبحن نادمين ﴾ على التكذيب اذا عاينوا العذاب ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدّعت منها قلوبهم فماتوا واستدلّ به على أن القرن قوم صالح ﴿ بالحقّ ﴾ بالوجه الثابت الذى لا دافع له أوبالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحقّ أوبالوعد الصدق ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك ﴿ فبعدا للقوم الظالمين ﴾ يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بأفعال لايستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين ﴾ هي قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم

﴿ ماتسبق من أمة أجلها﴾ الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق ﴿ومايستأخرون﴾ الاجل ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى ﴾ متواترين واحدا بعدواحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ أبوعمرو وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا وأماله حمزة وابن عامر والكسائى ﴿كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ اضافة الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجيء الذى هو منتهاه اليهم ﴿ فاتبعنا بعضهم بعضا ﴾ فى الاهلاك ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ لم نبق منهم الاحكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أوجمع أحدوثة وهى مايتحدث به تلهيا ﴿ فبعدا لقوم لايؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا ﴾ بالآيات التسع ﴿وسلطان مبين﴾ وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وافرادها لانها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ماأفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على مايدعيه النبى صلى الله عليه وسلم ﴿الى فرعون وملائه فاستكبروا﴾ عن الايمان والمتابعة ﴿وكانوا قوما عالين ﴾ متكبرين ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ﴾ ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاماترين من البشر أحدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على أحوالهم لمابينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى أصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان أغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن أن يكون فى طرف الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم فى أكثر الاشياء وأغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم ويعلمون مالاينتهى اليه علمهم واليه أشار بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴿وقومهما﴾ يعني بني اسرائيل ﴿لنا عابدون﴾ خادمون منقادون كالعباد ﴿ فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴾ بالغرق فى بحر قلزم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿لعلهم﴾ لعل بنى اسرائيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم ﴿ يهتدون ﴾ الى المعارف والاحكام ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ بولادتها اياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف اليهما أوجعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ﴿ وآويناهما الى ربوة ﴾ أرض بيت المقدس فانها مرتفعة أودمشق أورملة فلسطين أومصر فان قراها على الربي وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ﴿ ذات قرار﴾ مستقر من الارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ﴿ومعين﴾ وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذاجرى وأصله الابعاد فى الشئ أومن الماعون وهو المنفعة لانه نفاع أومفعول من عانه اذا أدركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان ﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ نداء وخطاب لجميع الانبياء لاعلى أنهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلامنهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا أوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات أوحكاية لماذكر لعيسى وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل فى تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ به من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال مالايعصى الله فيه والصافى مالاينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل ﴿واعملوا صالحا﴾ فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿اني بما تعملون عليم﴾ فاجازيكم عليه ﴿وأن هذه﴾ أى ولان هذه والمعلل به فاتقون أوواعلموا أن هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف ﴿أمتكم أمة واحدة﴾ ملتكم ملة واحدة أى متحدة فى الاعتقاد وأصول الشرائع أوجماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة ونصب أمة على الحال ﴿وأنا ربكم فاتقون ﴾ فى شق العصا ومخالفة الكلمة ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أوفتفرقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أوالتمييز والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أولها ﴿زبرا﴾ قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من أمرهم أومن الواو أومفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أوحالا من أمرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل ﴿كل حزب﴾ من المتحزبين ﴿بما لديهم﴾ من الدين ﴿فرحون﴾ معجبون معتقدون أنهم على الحق ﴿فذرهم فى غمرتهم﴾ في جهالتهم شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها أولاعبون بها وقرئ في غمراتهم ﴿حتى حين﴾ الى أن يقتلوا أويموتوا ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به ﴾ أن مانعطيهم ونجعله لهم مددا ﴿من مال وبنين﴾ بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم خبره ﴿ نسارع لهم فى الخيرات﴾ والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم ﴿بل لايشعرون﴾ بل هم كالبهائم لافطنة لهم ولاشعور ليتأملوا فيه فيعلموا أن ذلك الامداد استدراج لامسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ﴿ان الذين هم من خشية ربهم﴾ من خوف عذابه ﴿مشفقون﴾ حذرون ﴿والذين هم بآيات ربهم﴾ المنصوبة والمنزلة ﴿يؤمنون﴾ بتصديق مدلولها

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
تَتْرَا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ ثُمَّ أَرْسَلْنَا
مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ۞ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ
لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ۞ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
مِنَ الْمُهْلَكِينَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۞
وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ۞ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا
إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۞ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا
رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۞ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ
حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ۞
أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي
الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ
مُشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞

والذين هم

﴿ والذين هم بربهم لايشركون ﴾ شركا جليا ولاخفيا ﴿ والذين يؤتون ما آتوا ﴾ يعطون ماأعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ماأتوا أى يفعلون مافعلوا من الطاعات ﴿ وقلوبهم وجلة ﴾ خائفة أن لايقبل منهم وأن لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به ﴿ أنهم الى ربهم راجعون ﴾ لان مرجعهم اليه أو من أن مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم ﴿ أولئك يسارعون فى الخيرات ﴾ يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتالهم مانفى عن اضدادهم ﴿ وهم لها سابقون ﴾ لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله تعالى هم لها عاملون ﴿ ولانكلف نفسا الا وسعها ﴾ قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ﴿ ولدينا كتاب ﴾ يريد به اللوح أو صحيفة الاعمال ﴿ ينطق بالحق ﴾ بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بزيادة عقاب أو نقصان ثواب ﴿ بل قلوبهم ﴾ قلوب الكفرة ﴿ فى غمرة ﴾ فى غفلة غامرة لها ﴿ من هذا ﴾ من الذى وصف به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ﴿ ولهم أعمال ﴾ خبيثة ﴿ من دون ذلك ﴾ متجاوزة لما وصفوا به أو متخطية عماهم عليه من الشرك ﴿ هم لها عاملون ﴾ معتادون فعلها ﴿ حتى اذا أخذنا مترفيهم ﴾ متنعميهم ﴿ بالعذاب ﴾ يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة ﴿ اذاهم يجأرون ﴾ فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب ﴿ لاتجأروا اليوم ﴾ فانه مقدر بالقول أى قيل لهم لاتجأروا اليوم ﴿ انكم منا لاتنصرون ﴾ تعليل للنهى أى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذلاتمنعون منا أو لايلحقكم نصر ومعونة من جهتنا ﴿ قد كانت آياتي تتلى عليكم ﴾ يعنى

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا
وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ۝ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ
مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا
أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ۝ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ
إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ۝ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ
عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ۝ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ۝
أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۝
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ
بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ۝ وَلَوِ اتَّبَعَ
الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ۝
أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ۝ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝

القرآن ﴿ فكنتم على أعقابكم تنكصون ﴾ تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى ﴿ مستكبرين به ﴾ الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لآياتى فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين أو لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله ﴿ سامرا ﴾ أى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر ﴿ تهجرون ﴾ من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة أو الهذيان أى تعرضون عن القرآن أو تهذون فى شأنه أو الهجر بالضم أى الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ أى القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ﴿ أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ﴾ من الرسول والكتاب أو من الامن من عذاب الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل وأعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه ﴿ أم لم يعرفوا رسولهم ﴾ بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ فهم له منكرون ﴾ دعواه لأحد هذه الوجوه اذلاوجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا أو ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى مايمكن فلم يوجد ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ فلايبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه صلى الله عليه وسلم أرجحهم عقلا وأدقهم نظرا ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾ لانه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم ﴾ بان كان فى الواقع آلهة شتى ﴿ لفسدت السموات والارض ومن فيهن ﴾ كما سبق تقريره فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق أهواءهم وانقلب باطلا لذهب ماقام به العالم فلم يبق أو لو اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة وأهلك العالم من فرط غضبه أو لو اتبع الله أهواءهم بان أنزل مايشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على أصل المعتزلة ﴿ بل أتيناهم بذكرهم ﴾ بالكتاب الذي هو ذكرهم أى وعظهم أو صيتهم أو الذكر الذى تمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم ﴿ فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ لايلتفتون اليه ﴿ أم تسألهم ﴾ قيل انه قسيم قوله أم به جنة ﴿ خرجا ﴾ أجرا على أداء الرسالة ﴿ فخراج ربك ﴾ رزقه فى الدنيا أو ثوابه فى العقبى ﴿ خير ﴾ لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ماتخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون أبلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ تقرير لخيرية خراجه تعالى ﴿ وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ﴾ تشهد العقول السليمة على استقامته لاعوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم أنه سبحانه ألزمهم الحجة وأزاح العلة فى هذه الآيات بأن حصر أقسام مايؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ماعدا كراهة الحق وقلة الفطنة

﴿ وان الذين لايؤمنون بالآخرة عن الصراط ﴾ عن الصراط السوى ﴿ لناكبون ﴾ لعادلون عنه فان خوف الآخرة أقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر ﴾ يعنى القحط ﴿ للجوا ﴾ لثبتوا واللجاج التمادي فى الشئ ﴿ في طغيانهم ﴾ افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين ﴿ يعمهون ﴾ عن الهدى * روي أنهم قحطوا حتى أكلوا العلهز فجاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ يعنى القتل يوم بدر ﴿ فما استكانوا لربهم ﴾ بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون أو افتعل من السكون أشبعت فتحته ﴿ ومايتضرعون ﴾ وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ماقبله ﴿ حتي اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد ﴾ يعني الجوع فانه أشد من القتل والاسر ﴿ اذاهم فيه مبلسون ﴾ متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك أعتاهم يستعطفك ﴿ وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار ﴾ لتحسوا بها مانصب من الآيات ﴿ والأفئدة ﴾ لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وماصلة للتأكيد ﴿ وهو الذى ذرأكم في الارض ﴾ خلقكم وبثكم فيها بالتناسل ﴿ واليه تحشرون ﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿ وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ﴾ ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة أو لامره وقضائه تعاقبهما أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر ﴿ أفلاتعقلون ﴾ بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها وقرئ بالياء على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين ﴿ بل قالوا ﴾ أى كفار مكة ﴿ مثل ماقال الأولون ﴾ آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿ قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ استبعادا ولم يتاملوا أنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين ﴾ الا أكاذيبهم التى كتبوها جمع أسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح الزاما بما لايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا فقال ﴿ سيقولون لله ﴾ لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بأنه خالقها ﴿ قل ﴾ أى بعد ماقالوه ﴿ أفلاتذكرون ﴾ فتعلمون أن من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس أهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴾ فانها أعظم من ذلك ﴿ سيقولون لله ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على مايقتضيه لفظ السؤال ﴿ قل أفلاتتقون ﴾ عقابه فلاتشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته ﴿ قل من بيده ملكوت كل شئ ﴾ ملكه غاية مايمكن وقيل خزائنه ﴿ وهو يجير ﴾ يغيث من يشاء ويحرسه ﴿ ولايجار عليه ﴾ ولايغاث أحد ولايمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ﴿ ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الأدلة

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ۝ وَلَوْ
رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَلَقَدْ
أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ
۝ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ
فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ۝
قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ لَقَدْ
وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
۝ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝
قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ۝

(بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث أنكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة أحد (وما كان معه من اله) يساهمه في الالوهية (اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ماقبله عليه أى لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين وظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدا محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم في أنه المنفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اماتريني) ان كان لابد من أن تريني لان ما والنون للتأكيد (مايوعدون) من العذاب فى الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس أولان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى - واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة - عن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه عليه السلام أن له فى أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار (وانا على أن نريك مانعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون أولانا لانعذبهم وأنت فيهم ولعله ردلانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر أوفتح مكة (ادفع بالتى هي أحسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان فى مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن فى الدين وقيل هى كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لمافيه من التنصيص على التفضيل (نحن أعلم

بل أتينهم بالحق وإنهم لكذبون ۞ ما اتخذ الله من ولد
وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض سبحن الله عما يصفون ۞ علم الغيب والشهادة
فتعلى عما يشركون ۞ قل رب إما تريني ما يوعدون ۞
رب فلا تجعلني في القوم الظلمين ۞ وإنا على أن نريك
ما نعدهم لقدرون ۞ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما
يصفون ۞ وقل رب أعوذ بك من همزت الشيطين ۞
وأعوذ بك رب أن يحضرون ۞ حتى إذا جاء أحدهم الموت
قال رب ارجعون ۞ لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها
كلمة هو قائلها ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون ۞ فإذا
نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ۞
فمن ثقلت موزينه فأولئك هم المفلحون ۞ ومن خفت
موزينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم
خلدون ۞ تلفح وجوههم النار وهم فيها كلحون ۞
ألم تكن ءايتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ۞

بما يصفون) بما يصفونك به أو بوصفهم اياك على خلاف حالك وأقدر على جزائهم فكل الينا أمرهم (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصى بهمز الراضة للدواب على المشى والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه (وأعوذ بك رب أن يحضرون) يحوموا حولى فى شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها أحري الاحوال بأن يخاف عليه (حتى اذا جاء أحدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام أو بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على مافرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا وأطرقا (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) في الايمان الذى تركته أى لعلى آتي بالايمان وأعمل فيه وقيل فى المال أو في الدنيا*وعنه عليه الصلاة والسلام قال اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها (انها كلمة) يعنى قوله رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليه (ومن ورائهم) أمامهم والضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم أنه لارجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد يؤيد أن الصور أيضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (ولا يتساءلون) ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لايناقض قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة أودخول أهل الجنة الجنة والنار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده وأعماله أى فمن كانت له عقائد وأعمال صالحة يكون لها وزن عند الله تعالى وقدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والدرجات (ومن خفت موازينه) ومن لم يكن له مايكون له وزن وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة أوخبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمار القول أى يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة ﴿وكنا قوما ضالين﴾ عن الحق ﴿ربنا أخرجنا منها﴾ من النار ﴿فان عدنا﴾ الى التكذيب ﴿فانا ظالمون﴾ لأنفسنا ﴿قال اخسؤا فيها﴾ اسكتوا سكوت هوان فى النار فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ ﴿ولاتكلمون﴾ في رفع العذاب أو لاتكلمون رأسا*قيل ان أهل النار يقولون ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم فيقولون ألفا يامالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب فيجابون أولم تكونوا أقسمتم من قبل فيقولون ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لايكون لهم فيها الازفير وشهيق وعواء ﴿انه﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح أى لانه ﴿كان فريق من عبادى﴾ يعنى المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفر لناوارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا﴾ هزؤاوقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية ﴿حتى أنسوكم ذكرى﴾ من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني فى أوليائى ﴿وكنتم منهم تضحكون﴾ استهزاء بهم ﴿انى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ على أذاكم ﴿أنهم هم الفائزون﴾ فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا ﴿قال﴾ أى الله أوالملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك أولبعض رؤساء أهل النار ﴿كم لبثتم فى الارض﴾ أحياء أو أمواتا فى القبور ﴿عدد سنين﴾ تميز لكم ﴿قالوا لبثنا يوما أوبعض يوم﴾ استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار أولانها كانت أيام سرورهم وأيام السرور قصار أولانها منقضية والمنقضى فى حكم المعدوم ﴿فاسأل العادين﴾ الذين يتمكنون من عد أيامها ان أردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم يقولون مانقول والعاديين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون ﴿قال﴾ وفي قراءة حمزة والكسائى قل ﴿ان لبثتم الاقليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾ تصديق لهم في مقالهم ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين أو مفعول له أى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث ﴿وأنكم الينا لاترجعون﴾ معطوف على أنما خلقناكم أوعبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال ﴿لااله الاهو﴾ فان ماعداه عبيد له ﴿رب العرش الكريم﴾ الذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على أنه صفة الرب ﴿ومن يدع مع الله الها آخر﴾ يعبده افرادا أواشراكا ﴿لابرهان له به﴾ صفة أخرى لالها لازمة له فان الباطل لابرهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بمالا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك ﴿فانما حسابه عند ربه﴾ فهو مجاز له مقدار مايستحقه ﴿انه لايفلح الكافرون﴾ ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل أوالخبر أى حسابه عدم الفلاح*بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسوله بأن يستغفره ويسترحمه فقال ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾*عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وماتقر به عينه عند نزول ملك الموت*وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر * وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ۞ ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظلمون ۞ قال اخسؤا فيها ولا تكلمون ۞ انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الرحمين ۞ فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون ۞ انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون ۞ قل كم لبثتم فى الارض عدد سنين ۞ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فسئل العادين ۞ قل ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ۞ أفحسبتم أنما خلقنكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ۞ فتعلى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ۞ ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكفرون ۞ وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الرحمين ۞

سورة النور مدنية وهى أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة النور مدنية وهى أربع وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * سورة ﴾ أى هذه سورة أوفيما أوحينا اليك سورة ﴿ أنزلناها ﴾ صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلايكون له محل الا اذا قدر اتل أودونك أونحوه ﴿ وفرضناها ﴾ وفرضنا مافيها من الاحكام وشدّده ابن كثير وأبو عمرو لكثرة فرائضها أوالمفروض عليهم أوللمبالغة فى ايجابها ﴿ وأنزلنا فيها آيات بينات ﴾ واضحات الدلالة ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال ﴿ الزانيـة والزاني ﴾ أى فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن يرفعا بالابتداء والخبر ﴿ فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلاياء وانما قدّم الزانية لأن الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخصّ بمن ليس بمحصن لما دلّ على أن حدّ المحصن هو الرّجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحرّ سنة لقوله عليه الصلاة والسلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية مايدفعه لينسخ أحدهما الآخر نسخا مقبولا أومردودا وله في العبد ثلاثة أقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسـلام أيضا وهو مردود برجمه عليه الصلاة والسلام يهوديين ولايعارضه من أشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذى يقتصّ له من المسلم ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة ﴾ رحمة ﴿ فى دين الله ﴾ فى طاعته واقامة حدّه فتعطلوه أوتسامحوا فيه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۞ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۞

بفتح الهمزة وقرئت بالمدّ على فعالة ﴿ ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ فان الايمان يقتضى الجدّ فى طاعة الله تعالى والاجتهاد فى اقامة حدوده وأحكامه وهو من باب التهييج ﴿ وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر ممايُنكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شئ من الطوف وأقلها ثلاثة وقيل واحد أواثنان والمراد جمع يحصل به التشهير ﴿ الزانى لاينكح الا زانيـة أومشركة والزانية لاينكحها الا زان أومشرك ﴾ اذ الغالب أن المائل الى الزنا لايرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لايرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة للالفة والتضامّ والمخالفـة سبب للنفرة والافتراق وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لاتنكح الا من هو زان أومشرك لكن المراد بيان أحوال الرجال فى الرغبة فيهن لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدّم الزانى ﴿ وحرّم ذلك على المؤمنـين ﴾ لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمـة وتسبب لسوء القالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيـل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه أومنسوخ بقوله تعالى ـ وأنكحوا الأيامى منكم ـ فانه يتناول المسافحات ويؤيده أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن ذلك فقال أوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرم الحلال وقيـل المراد بالنكاح الوطء فيؤل الى نهى الزانى عن الزنا الا بزانية والزانية أن يزنى بها الا زان وهو فاسد ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهنّ عقيب الزوانى واعتبار أربعة شهداء بقوله ﴿ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ﴾ والقذف بغيره مثل يافاسق وياشارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أولأن قذف النساء أغلب وأشنع ولايشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولاتعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابى حنيفة وليكن ضربه أخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ﴿ ولاتقبلوا لهم شهادة ﴾ أىّ شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم فى القذف ولايتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابى حنيفة فان الامر بالجلد والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لاترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد أسوأ مما بعده ﴿ أبدا ﴾ مالم يتب وعند أبى حنيفة الى آخر عمره ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾ المحكوم بفسقهم ﴿ الا الذين تابوا ﴾ عن القذف ﴿ من بعد ذلك وأصلحوا ﴾ أعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحدّ أوالاستحلال من المقذوف والاستثناء راجع الى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولايلزمه سقوط الحدّ به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له أوالاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجرّ على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصـل بما بعده ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ علة للاستثناء ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم ﴾ نزلت فى هلال بن أمية رأى رجلا على فراشـه وأنفسهم بدل من شهداء أو صفة لهم على أن الا بمعنى غير ﴿ فشهادة أحدهم أربع شهادات ﴾ فالواجب شهادة أحدهم أو فعليهم شهادة أحدهم وأربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على أنه خبر شهادة ﴿ بالله ﴾ متعلق بشهادات لانها أقرب وقيل بشهادة لتقدمها ﴿ انه لمن الصادقين ﴾ أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا ﴿ والخامسة ﴾ والشهادة الخامسة ﴿ أن لعنة الله عليه ان كان من الـكاذبين ﴾ فى الرّمى هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حدّ القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام المتلاعنان لايجتمعان أبدا وتفريق الحاكم فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت حدّ الزنا على المرأة لقوله ﴿ ويدرأ عنها العذاب ﴾ أى الحدّ ﴿ أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الـكاذبين ﴾ فيما رمانى به ﴿ والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ﴾ فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء ومابعـدها الخبر أوبالعطف على أن تشهد ونصبها حفص عطفا على أربع وقرأ نافع ويعقوب أن لعنة الله وأن غضب الله بتخفيف النون فيهما وكسر الضاد وفتح الباء من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون بتشديد النون فيهما ونصب التاء وفتح الضاد وجرّ الهاء ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله توّاب حكيم ﴾ متروك الجواب للتعظيم أى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة

﴿ ان الذين جاؤا بالافك ﴾ بأبلغ مايكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضى الله تعالى عنها*وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظنّ الذى كان يرحلها أنها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة أحدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى رضى الله تعالى عنه قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فأناخ راحلته فركبتها فقادها حتى أتيا الجيش فاتهمت به ﴿ عصبة منكم ﴾ جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن أبيّ وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبران وقوله ﴿ لاتحسبوه شرّا لكم ﴾ مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم والهاء للافك ﴿ بل هو خير لكم ﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظنّ بكم خيرا ﴿ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ﴾ لكل جزاء ما اكتسب بقدر ماخاض فيه مختصا به ﴿ والذي تولى كبره ﴾ معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه ﴿ منهم ﴾ من الخائضين وهو ابن أبيّ فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوهو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين ﴿ له عذاب عظيم ﴾ في الآخرة أوفى الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبيّ مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعمى أشلّ اليدين ومسطح مكفوف البصر ﴿ لولا ﴾ هلا ﴿ اذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا ﴾ بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ــ ولاتلمزوا أنفسكم ــ وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بأن الايمان يقتضى ظنّ الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذبّ الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن أنفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لاينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالايتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف أهم فان التحضيض على أن لايخلوا بأوله ﴿ وقالوا هذا افك مبين ﴾ كما يقول المستيقن المطلع على الحال ﴿ لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالاحجة عليه كذب عند الله أي فى حكمه ولذلك رتب الحدّ عليه ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة ﴾ لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدّران لكم ﴿ لمسكم ﴾ عاجلا ﴿ فيما أفضتم ﴾ خضتم ﴿ فيه عذاب عظيم ﴾ يستحقر دونه اللوم والجلد ﴿ اذ ﴾ ظرف لمسكم أو أفضتم ﴿ تلقونه بألسنتكم ﴾ يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الألق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه ﴿ وتقولون بأفواهكم ﴾ أى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلامساعدة من القلوب ﴿ ماليس لكم به علم ﴾ لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى ـ يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم ـ ﴿ وتحسبونه هينا ﴾ سهلا لاتبعة له ﴿ وهو عند الله عظيم ﴾ فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مسّ العذاب العظيم تلقى الافك بألسنتهم والتحدّث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ﴾ ماينبغى ومايصحّ لنا ﴿ أن نتكلم بهذا ﴾ يجوز أن تكون الاشارة الى القول المخصوص وأن تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرّم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ سبحانك ﴾ تعجب من ذلك الافك أوممن يقول ذلك وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من أن يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب أوتنزيه لله تعالى من أن تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله ﴿ هذا بهتان عظيم ﴾ لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله ﴾ كراهة أن تعودوا أوفى أن تعودوا ﴿ أبدا ﴾ مادمتم أحياء مكلفين ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ﴿ ويبين الله لكم الآيات ﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتأدبوا ﴿ والله عليم ﴾ بالاحوال كلها ﴿ حكيم ﴾ فى تدابيره ولايجوز الكشخنة على نبيه ولايقرره عليها ﴿ ان الذين يحبون ﴾ يريدون ﴿ أن تشيع ﴾ أن تنتشر ﴿ الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ﴾ بالحدّ والسعير الى غير ذلك ﴿ والله يعلم ﴾ مافى الضمائر ﴿ وأنتم لاتعلمون ﴾ فعاقبوا فى الدنيا على مادلّ عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على مافى القلوب من حبّ الاشاعة ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله ﴿ وأنّ الله رؤف رحيم ﴾ على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة

إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ۞ لَوْلَا جَاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ۞ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ۞ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞

يا ايها

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ
الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ
يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ
مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ يَوْمَئِذٍ
يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۞
الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ
أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ﴾ باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وأبوعمرو وأبوبكر وحمزة بسكونها ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ ما زكى ﴾ ماطهر من دنسها ﴿ منكم من أحد أبدا ﴾ آخر الدهر ﴿ ولكنّ الله يزكي من يشاء ﴾ بحمله على التوبة وقبولها ﴿ والله سميع ﴾ لمقالهم ﴿ عليم ﴾ بنياتهم ﴿ ولا يأتل ﴾ ولايحلف افتعال من الالية أو ولايقصر من الألو ويؤيد الاول أنه قرئ ولايتال وأنه نزل فى أبي بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه وقد حلف أن لاينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ﴿ أولوا الفضل منكم ﴾ فى الدين ﴿ والسعة ﴾ فى المال وفيه دليل على فضل أبي بكر وشرفه رضى الله تعالى عنه ﴿ أن يؤتوا ﴾ على أن لايؤتوا أوفى أن يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات ﴿ أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ﴾ صفات لموصوف واحد أى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك أولموصوفات أقيمت مقامها فيكون أبلغ فى تعليل المقصود ﴿ وليعفوا ﴾ مافرط منهم ﴿ وليصفحوا ﴾ بالاغماض عنه ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه * روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر رضى الله تعالى عنه فقال بلى أحب ورجع الى مسطح نفقته ﴿ ان الذين يرمون المحصنات ﴾ العفائف ﴿ الغافلات ﴾ عما قذفن به ﴿ المؤمنات ﴾ بالله وبرسوله استباحة لعرضهنّ وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن أبيّ ﴿ لعنوا فى الدنيا والآخرة ﴾ لما طعنوا فيهنّ ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف مالم يتب وقيل مخصوص بمن قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد أغلظ مما نزل فى افك عائشة رضى الله تعالى عنها ﴿ يوم تشهد عليهم ﴾ ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لأنه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل ﴿ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ يعترفون بها بانطاق الله تعالى اياها بغير اختيارهم أو بظهور آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحقّ ﴾ جزاءهم المستحق ﴿ ويعلمون ﴾ لمعاينتهم الامر ﴿ أن الله هو الحق المبين ﴾ الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لايشاركه فى ذلك غيره ولايقدر على الثواب والعقاب سواه أوذوالحق البين أى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لامحالة ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ أى الخبائث يتزوّجن الخباث وبالعكس وكذلك أهل الطيب فيكون كالدليل على قوله ﴿ أولئك ﴾ يعنى أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم أو الرسول وعائشة وصفوان رضى الله تعالى عنهم ﴿ مبرّؤن ممايقولون ﴾ اذ لو صدق لم تكن زوجته عليه الصلاة والسلام ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين أى مبرّؤن مما يقولون فيهم أو للخبيثين والخبيثات أى مبرّؤن من أن يقولوا مثل قولهم ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ يعني الجنة ولقد برّأ الله أربعة بأربعة برّأ يوسف عليه الصلاة والسلام بشاهد من أهلها وموسى عليه الصلاة والسلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله تعالى عنها بهذه الآيات الكريمة مع هذه المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ التى لاتسكنونها فان الآجر والمعير أيضا لايدخلان الا باذن ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا أبصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنه هل يراد دخوله أويؤذن له أومن الاستئناس الذى هوخلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف أن لايؤذن له فاذا أذن له استأنس أوتتعرّفوا هل ثمّ انسان من الانس ﴿ وتسلموا على أهلها ﴾ بأن تقولوا السلام عليكم أأدخل * وعنه عليه الصلاة والسلام التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أى الاستئذان أوالتسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أومن تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا أوحييتم مساء ودخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف * وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمى قال نعم قال انها ليس لها خادم غيرى أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحبّ أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ متعلق بمحذوف أى أنزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتعملوا بما هو أصلح لكم

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن
قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ۞ قُل
لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ
أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا
يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞

وانكحوا

﴿ فان لم تجدوا فيها أحدا ﴾ يأذن لكم ﴿ فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم ﴾ حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى مايخفيه الناس عادة مع أن التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ماإذا عرض فيه حرق أو غرق أو كان فيه منكر ونحوها ﴿ وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ ولاتلحوا ﴿ هو أزكي لكم ﴾ الرجوع أطهر لكم عمالا يخلوا لالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروأة أو أنفع لدينكم ودنياكم ﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ فيعلم ماتأتون وماتذرون مماخوطبتم به فيجازيكم عليه ﴿ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة ﴾ كالربط والحوانيت والخانات والخانقات ﴿ فيها متاع ﴾ استمتاع ﴿ لكم ﴾ كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها ﴿ والله يعلم ماتبدون وماتكتمون ﴾ وعيد لمن دخل مدخلا لفساد أو تطلع على عورات ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ أى مايكون نحو محرم ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ الا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض أطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ﴿ ذلك أزكي لهم ﴾ أنفع لهم أو أطهر لما فيه من البعد عن الريبة ﴿ ان الله خبير بمايصنعون ﴾ لايخفى عليه اجالة أبصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم ومايقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة وسكون ﴿ وقل المؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ فلا ينظرن الى مالايحل لهن النظر اليه من الرجال ﴿ ويحفظن فروجهن ﴾ بالتستر أو التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لايحل أن تبدى له ﴿ الاماظهر منها ﴾ عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أومايعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر أن هذا فى الصلاة لافى النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الالضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ ستر الاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وأبوعمرو وهشام بضم الجيم ﴿ ولايبدين زينتهن ﴾ كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له ﴿ الالبعولتهن ﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن ﴾ لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان أو لان الاحوط أن يتسترن عنهم حذرا أن يصفوهن لابنائهم ﴿ أو نسائهن ﴾ يعنى المؤمنات فان الكافرات لايتحرجن عن وصفهن للرجال أو النساء كلهن ٭ وللعلماء فى ذلك خلاف ﴿ أوماملكت أيمانهن ﴾ يعم الاماء والعبيد ٭ لماروى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها ﴿ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ﴾ أي أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولايعرفون شيأ من أمور النساء وقرأ ابن عامر وأبوبكر غير بالنصب على الحال ﴿ أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ﴿ ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن ﴾ ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو أبلغ من النهى عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت ﴿ وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون ﴾ اذ لا يكاد يخلو أحد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون وفى الزخرف ياأيه الساحر وفى الرحمن أيه الثقلان بضم الهاء فى الوصل فى الثلاثة والباقون بفتحها ووقف أبوعمرو والكسائى عليهن بالالف ووقف الباقون بغير الالف ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بسعادة الدارين

وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۞ وَلْيَسْتَعْفِفِ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا
وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ
إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۞

(وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بأمر النكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بأن المرأة والعبد لايستبدان به اذلواستبدا لما وجب على الولى والمولى وأيامى مقلوب أيايم كيتامى جمع أيم وهو العزب ذكرا كان أوأنثى بكرا كان أوثيبا قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى ✻ وان كنت أفتى منكم أتأيم

وتخصيص الصالحين لأن احصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لايمنعن فقر الخاطب أوالمخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غادورائح أووعد من الله بالاغناء ✻لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله انشاء (والله واسع) ذوسعة لاتنفد نعمته اذلاتنتهى قدرته (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ماتقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لايجدون نكاحا) أسبابه ويجوز أن يراد بالنكاح ماينكح به أوبالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا مايتزوجون به (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا أدى المال أولانه مما يكتب لتأجيله أومن الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت أيمانكم) عبدا كان أوأمة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) أومفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند أكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالية ضعيف لان المطلق لايعم مع أن العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لايوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف ✻ وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلايلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للموالى كما قبله بأن يبذلوا لهم شيأ من أموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى أقل مايتمول ✻وعن على رضى الله تعالى عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وقيل أمر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لايأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولاتكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنا كانت لعبد الله بن أبى ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان أردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لايوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أي لهن أوله ان تاب والاول أوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رضى الله تعالى عنه من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولايرد عليه أن المكرهة غير آثمة فلاحاجة الى المغفرة لان الاكراه لاينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل وأوجب عليه القصاص (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التي بينت فى هذه السورة وأوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى بالكسر فى هذا وفى الطلاق لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعني تبين أولانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أى ومثلا من أمثال من قبلكم أى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة رضى الله تعالى عنها فانها كقصة يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) يعني ماوعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته (الله نور السموات والارض) النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعني لايصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذوكرم أوعلى تجوز امابمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب ومايفيض عنها من الانوار أوبالملائكة والانبياء أومدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور أوموجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه أوالذى به تدرك أويدرك أهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به أولمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها أقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء أوبتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا أنوارا ويقرب منه قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه أولاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على أن اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكوة) كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة وقرأ الكسائى برواية الدورى بالامالة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح فى زجاجة) فى قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب درى) مضئ متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر أو فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه أوبعض ضوئه بعضا من لمعانه الا أنه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وأبى بكر على الاصل وقراءة أبى عمرو والكسائى درىء كشريب وقد قرئ به مقلوبا (يوقد من شجرة مباركة زيتونة) أى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد وحمزة والكسائى وأبوبكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد من تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب (لاشرقية ولاغربية)

تقع الشمس عليها حينا بعد حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة أوصحراء واسعة فان ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أولانابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون أولافى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها أوفى مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيأ وفى الحديث لاخير فى شجرة ولانبات في مقناة ولاخير فيهما فى مضحى ﴿ يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار ﴾ أى يكاد يضىء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه ﴿ نور على نور ﴾ نور متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الآيات المبينات في جلاء مدلولها وظهور ماتضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أوتشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أوتمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أبى مثل نور المؤمن أوتمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التى منوط بها المعاش والمعادوهي الحساسة التى تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التى تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم مالم تعلم والقوة القدسية التى تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها الزيتونة المثمرة بالزيت الذى هو مادة المصابيح التى لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أولوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضىء بالمعارف من غير تفكر ولاتعلم أوتمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالتى يكاد زيتها يضىء لانها تكاد تعلم ولولم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنه ثم اذاحصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح فاذا استحضرتها كانت نورا على نور ﴿ يهدى الله لنوره ﴾ لهذا النور الثاقب ﴿ من يشاء ﴾ فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذبها تمامها ﴿ ويضرب الله الامثال للناس ﴾ ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا ﴿ والله بكل شىء عليم ﴾ معقولا كان أومحسوسا ظاهرا كان أوخفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها ﴿ في بيوت ﴾ متعلق بماقبله أى كمشكاة في بعض بيوت أوتوقد فى بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون أعظم أوتمثيلا لصلاة المؤمنين أوابدانهم بالمساجد ولاينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذالمراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة أوبما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لايذكر لانه من صلة أن فلايعمل فيما قبله أوبمحذوف مثل سبحوا في بيوت والمرادبها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم ﴿ أذن الله أن ترفع ﴾ بالبناء أوالتعظيم ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى أفعاله والمباحثة فى أحكامه ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ ينزهونه أي يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر أطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وأبوبكر يسبح بالفتح على اسناده الى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ تسبح بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى أوقات الغدو

﴿ رجال لاتلهيهم تجارة ﴾ لاتشغلهم معاملة رابحة ﴿ ولابيع عن ذكر الله ﴾ مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان أريد به مطلق المعاوضة أوبافراد ماهو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشراء وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه أصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار ﴿ واقام الصلوة ﴾ عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله

* وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا * ﴿ وايتاء الزكوة ﴾ مايجب اخراجه من المال للمستحقين ﴿ يخافون يوما ﴾ مع ماهم عليه من الذكر والطاعة ﴿ تتقلب فيه القلوب والابصار ﴾ تضطرب وتتغير من الهول أوتتقلب أحوالها فتفقه القلوب مالم تكن تفقه وتبصر الابصار مالم تكن تبصر أوتتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من أى ناحية يؤخذ بهم ويؤتي كتبهم ﴿ ليجزيهم الله ﴾ متعلق بيسبح أولاتلهيهم أويخافون ﴿ أحسن ماعملوا ﴾ أحسن جزاء ماعملوا الموعود لهم من الجنة ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أشياء لم يعدهم بها على أعمالهم ولم تخطر ببالهم ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ﴾ والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو مايري فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب أى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض الخالية عن النبات وغيره المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة ﴿ يحسبه الظمآن ماء ﴾ أى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة ﴿ حتى اذاجاءه ﴾ جاء ماتوهمه ماء أوموضعه ﴿ لم يجده شيأ ﴾ مماظنه ﴿ ووجد الله عنده ﴾ عقابه أوزبانيته أووجده محاسبا اياه ﴿ فوفاه حسابه ﴾ استعراضا أومجازاة ﴿ والله سريع الحساب ﴾ لايشغله حساب عن حساب * روى أنها نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿ أوكظلمات ﴾ عطف على كسراب وأو للتخيير فان أعمالهم لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب أوللتنويع فان أعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات أوللتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الآخرة ﴿ في بحر لجى ﴾ ذى لج أى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء ﴿ يغشاه ﴾ يغشى البحر ﴿ موج من فوقه موج ﴾

رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ۞ ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ۞ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله سريع الحساب ۞ أوكظلمت فى بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمت بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ۞ ألم تر أن الله يسبح له من فى السموت والارض والطير صفت كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بمايفعلون ۞ ولله ملك السموت والارض والى الله المصير ۞ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ۞

يقلب

اى أمواج مترادفة متراكمة ﴿من فوقه﴾ من فوق الموج الثاني ﴿سحاب﴾ غطى النجوم وحجب أنوارها والجملة صفة أخرى للبحر ﴿ظلمات﴾ أى هذه ظلمات ﴿بعضها فوق بعض﴾ وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى أو باضافة السحاب اليها في رواية البزى ﴿اذا أخرج يده﴾ وهي أقرب مايرى اليه ﴿لم يكد يراها﴾ لم يقرب أن يراها فضلا أن يراها كقول ذى الرمة اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ﴿ومن لم يجعل الله له نورا﴾ ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها ﴿فماله من نور﴾ خلاف الموفق الذي له نور على نور ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى أو الاستدلال ﴿أن الله يسبح له من فى السموات والارض﴾ ينزه ذاته عن كل نقص وآفة أهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء أو الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال أو دلالة حال ﴿والطير﴾ على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله ﴿صافات﴾ فان اعطاء الاجرام الثقيلة مابه تقوى على الوقوف في الجو باسطة أجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع تعالى ولطف تدبيره ﴿كل﴾ كل واحد مما ذكر أو من الطير ﴿قد علم صلاته وتسبيحه﴾ أي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا أو طبعا لقوله ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أو علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع أنه لا يبعد أن يلهم الله تعالى الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة فى أسباب تعيشها لا تكاد تهتدى اليها العقلاء ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ فانه الخالق لهما ومافيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب ﴿والى الله المصير﴾ مرجع الجميع ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابا﴾ يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فانه يزجيها كل أحد ﴿ثم يؤلف بينه﴾ بأن يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين أجزائه

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ۞
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا
أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ
مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ
قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا
طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞

وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ﴿ثم يجعله ركاما﴾ متراكما بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله ﴿وينزل من السماء﴾ من الغمام وكل ماعلاك فهو سماء ﴿من جبال فيها﴾ من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها ﴿من برد﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف أي ينزل مبتدأ من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز أن تكون من الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور أن الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك لابد أن يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على أنها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها وأوقاتها واليه أشار بقوله ﴿فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء﴾ والضمير للبرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع ﴿يذهب بالابصار﴾ بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك أقوى دليل على كمال قدرته من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء * ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك ﴿ان فى ذلك﴾ فيما تقدم ذكره ﴿لعبرة لأولى الابصار﴾ لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة ﴿والله خلق كل دابة﴾ حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة ﴿من ماء﴾ هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس بصلة لخلق ﴿فمنهم من يمشى على بطنه﴾ كالحية وانما سمى الزحف مشيا على الاستعارة أو المشاكلة ﴿ومنهم من يمشى على رجلين﴾ كالانس والطير ﴿ومنهم من يمشى على أربع﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله أكثر من أربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على أربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو أعرف فى القدرة ﴿يخلق الله مايشاء﴾ مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ فيفعل مايشاء ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات﴾ للحقائق بأنواع الدلائل ﴿والله يهدى من يشاء﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها ﴿الى صراط مستقيم﴾ هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول﴾ نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه في أرض فأبي أن يحاكمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وأطعنا﴾ أى وأطعناهما ﴿ثم يتولى﴾ بالامتناع عن قبول حكمه ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ بعد قولهم هذا ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾ اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله تعالى بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ أى ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة حكم الله تعالى ﴿اذا فريق منهم معرضون﴾ فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه ﴿وان يكن لهم الحق﴾ أى الحكم لا عليهم ﴿يأتوا اليه مذعنين﴾ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم واليه صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص ﴿أفى قلوبهم مرض﴾ كفر أو ميل الى الظلم ﴿أم ارتابوا﴾ بان رأوا منك تهمة فزال يقينهم وثقتهم بك ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ فى الحكومة ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم أن امتناعهم اما لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني اما أن يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط أمانته صلى الله عليه وسلم يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه ﴿انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ على عادته تعالى فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ماينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى

ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما يأمرانه أو فى الفرائض والسنن ﴿ويخش الله﴾ على ماصدر عنه من الذنوب ﴿ويتقه﴾ فيما بقى من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو بكر وأبو عمرو بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء ساكنة في الوقف بالاتفاق ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ انكار للامتناع عن حكمه ﴿لئن أمرتهم﴾ بالخروج عن ديارهم وأموالهم ﴿ليخرجن﴾ جواب لأقسموا على الحكاية ﴿قل لاتقسموا﴾ على الكذب ﴿طاعة معروفة﴾ أى المطلوب منكم طاعة معروفة لااليمين على الطاعة النفاقية المنكرة أوطاعة معروفة أمثل منها أولتكن طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة ﴿ان الله خبير بماتعملون﴾ فلا يخفى عليه سرائركم * ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ أمر بتبليغ ماخاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم ﴿فان تولوا فانما عليه﴾ أى على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ماحمل﴾ من التبليغ ﴿وعليكم ماحملتم﴾ من الامتثال ﴿وان تطيعوه﴾ فى حكمه ﴿تهتدوا﴾ الى الحق ﴿وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وانما بقى ماحملتم فان أديتم فلكم وان توليتم فعليكم ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وللامة أوله ولمن معه ومن للبيان ﴿ليستخلفنهم فى الارض﴾ ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أوالوعد في تحققه منزل منزلة القسم ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ يعنى بني اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ أبو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤا كسروا الالف ﴿وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم﴾ وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت ﴿وليبدلنهم من بعد خوفهم﴾ من الاعداء وقرأ ابن كثير وأبو بكر بالتخفيف ﴿أمنا﴾ منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار عن الغيب على ماهو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة ﴿يعبدوننى﴾ حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن ﴿لايشركون بى شيأ﴾ حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين ﴿ومن كفر﴾ ومن ارتد أوكفر هذه النعمة ﴿بعد ذلك﴾ بعد الوعد أوحصول الخلافة ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول﴾ في سائر ماأمركم به ولايبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أوبالمندرجة هي فيه بقوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ كما علق به الهدى ﴿لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض﴾ لاتحسبن يامحمد الكفار معجزين لله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء على أن الضمير فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى كما هو فى القراءة بالتاء أوالذين كفروا فاعل والمعنى ولايحسبن الكفار فى الارض أحدا معجزا لله فيكون معجزين فى الارض مفعوليه أو لايحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث ﴿ومأواهم النار﴾ عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿ولبئس المصير﴾ المأوى الذى يصيرون اليه ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال * لما روى أن غلام أسماء بنت أبي مرشد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله تعالى عنه لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لايدخلوا هذه الساعات علينا الاباذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت هذه الآية ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه أقوى دلائله ﴿ثلاث مرات﴾ في اليوم والليلة مرة ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات أوالرفع خبرا لمحذوف أى هي من قبل صلاة الفجر ﴿وحين تضعون ثيابكم﴾ أى ثيابكم لليقظة للقيلولة ﴿من الظهيرة﴾ بيان للحين ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ﴿ثلاث عورات لكم﴾ أى هي ثلاث أوقات يختل فيها تستركم ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره مابعده وأصل العورة الخلل ومنها أعور المكان ورجل أعور وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائى ثلاث بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ بعد هذه الاوقات فى ترك الاستئذان وليس فيه ماينافى آية الاستئذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين ﴿طوافون عليكم﴾ أى هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بأنها عورات ﴿بعضكم على بعض﴾ بعضكم طائف على بعض أويطوف بعضكم على بعض ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ أى الاحكام ﴿والله عليم﴾ بأحوالكم ﴿حكيم﴾ فيما شرع لكم

قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا
البلغ المبين ۞ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصلحت ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم
وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك
فأولئك هم الفسقون ۞ وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ۞ لا تحسبن الذين
كفروا معجزين فى الارض ومأويهم النار ولبئس المصير
۞ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر
وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة
العشاء ثلث عورت لكم ليس عليكم ولا عليهم
جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض
كذلك يبين الله لكم الآيت والله عليم حكيم ۞

واذا

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي
لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ
ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ
خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم
مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا
جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ
أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞

﴿ واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استاذن لذين من قبلهم ﴾ الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من أوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه أن المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلايندرجون فيهم ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ كرّره تأكيدا ومبالغة فى الامر بالاستئذان ﴿ والقواعد من النساء ﴾ العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل ﴿ اللاتى لايرجون نكاحا ﴾ لايطمعن فيه لكبرهن ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ أى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى أولوصفها بها ﴿ غير متبرّجات بزينة ﴾ غير مظهرات زينة مما أمرن باخفائه فى قوله تعالى ـ ولايبدين زينتهن ـ وأصل التبرج التكلف فى اظهار مايخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لايغيب منه شئ الا أنه خص بتكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال ﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴾ من الوضع لانه أبعد من التهمة ﴿ والله سميع ﴾ لمقالتهن للرجال ﴿ عليم ﴾ بمقصودهن ﴿ ليس على الاعمى حرج ولاعلى الاعرج حرج ولاعلى المريض حرج ﴾ نفى لما كانوا يتحرّجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم أوأكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة أن لايكون ذلك من طيب قلب أومن اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم وأولادهم وأقاربهم فيطعمونهم كراهة أن يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أوقرينة أوكان فى أول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله ـ لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام ـ وقيل نفى الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لايلائم ماقبله ولامابعده ﴿ ولاعلى أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم ﴾ من البيوت التى فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه الصلاة والسلام انّ أطيب ما يأكل المؤمن من كسبه وان ولده من كسبه ﴿ أوبيوت آبائكم أوبيوت أمهاتكم أوبيوت اخوانكم أوبيوت أخواتكم أوبيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتم مفاتحه ﴾ وهو ما يكون تحت أيديكم وتصرفكم من ضيعة أو ماشية وكالة أوحفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو مايفتح به وقرئ مفتاحه ﴿ أوصديقكم ﴾ أو بيوت صديقكم فانهم أرضى بالتبسط فى أموالهم وأسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن أوقرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم أوكان ذلك فى أول الاسلام فنسخ فلااحتجاج للحنفية به على أن لاقطع بسرقة مال المحرم ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ﴾ مجتمعين أومتفرقين * نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده أوفى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لايأكلون الا معه أوفي قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطبائع فى القذارة والنهمة ﴿ فاذا دخلتم بيوتا ﴾ من هذه البيوت ﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾ على أهلها الذين هم منكم دينا وقرابة ﴿ تحية من عند الله ﴾ ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن تكون صلة للتحية فانه طلب الحياة وهي من عنده تعالى وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم ﴿ مباركة ﴾ لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب ﴿ طيبة ﴾ تطيب بها نفس المستمع * وعن أنس رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال لى متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصلّ صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الأوّابين ﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات ﴾ كرّره ثلاثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المتقضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى الحق والخير فى الامور

﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الكاملون فى الايمان ﴿ الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ من صميم قلوبهم ﴿ واذا كانوا معه على أمر جامع ﴾ كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع ﴿لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لأنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ فقال ﴿ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ فانه يفيد أن المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك ﴿فاذا استأذنوك لبعض شأنهم﴾ مايعرض لهم من المهامّ وفيه أيضا مبالغة وتضييق للأمر ﴿ فأذن لمن شئت منهم ﴾ تفويض للامر الى رأى الرسول صلى الله عليه وسلم واستدلّ به على أن بعض الاحكام مفوّضة الى رأيه ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقه فكأن المعنى فأذن لمن علمت أن له عـذرا ﴿ واستغفر لهم الله ﴾ بعد الاذن فان الاستئذان ولولعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على أمر الدين ﴿ انّ الله غفور ﴾ لفرطات العباد ﴿رحيم﴾ بالتيسير عليهم ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته عليه الصلاة والسلام واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يانبى الله ويارسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت أولاتجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلاتبالوا بسخطه فان دعاءه موجب أولاتجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فان دعاءه مستجاب ﴿ قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ﴾ ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسال تدرّج وتدخل ﴿ لواذا ﴾ ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج أويلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض أويصدّون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صدّ عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى فان الامر له فى الحقيقة أو للرسول فانه المقصود بالذكر ﴿ أن تصيبهم فتنة ﴾ محنة فى الدنيا ﴿ أويصيبهم عذاب أليم ﴾ فى الآخرة واستدل به على أن الامر للوجوب فانه يدل على أن ترك مقتضى الامر مقتض لأحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب ﴿ ألا ان لله مافي السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ أيها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما أكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ﴿ ويوم يرجعون اليه ﴾ يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز أن يكون الخطاب أيضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات وقرأ يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ لايخفى عليه خافية * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

﴿ سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ﴾ تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير أوتزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وأفعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزاله الفرقان لما فيه من كثرة الخير أولدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لايتصرف فيه ولايستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحقّ والباطل بتقريره أوالمحق والمبطل باعجازه أولكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كقوله تعالى ـ ولقد أنزلنا اليكم آيات ـ أوالانبياء على أن الفرقان اسم جانس للكتب السماوية ﴿ليكون﴾ العبد أوالفرقان ﴿للعالمين﴾ للجنّ والانس ﴿نذيرا﴾ منذرا أوانذارا كالنكير بمعنى الانكار هذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ بدل من الاول أومدح مرفوع أومنصوب ﴿ ولم يتخذ ولدا ﴾ كزعم النصارى ﴿ولم يكن له شريك فى الملك ﴾ كقول الثنوية أثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال ﴿ وخلق كل شئ ﴾ أحدثه احداثا مراعي فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة ﴿ فقدّره تقديرا ﴾ فقدّره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوّعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك أوفقدّره للبقاء الى أجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شئ فقدّره في ايجاده حتى لايكون متفاوتا

اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَاِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلٰۤى اَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّٰى يَسْتَاْذِنُوهُ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَاْذِنُونَكَ اُولٰۤئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَاِذَا اسْتَاْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَاْنِهِمْ فَاْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لَا تَجْعَلُوا دُعَاۤءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاۤءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ اَمْرِهِ اَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ۞ اَلَاۤ اِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَاۤ اَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ اِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞

سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۞ اَلَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۞

واتخذوا

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيٰوةً وَلَا نُشُورًا ۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرٰيهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
فَقَدْ جَاؤُ ظُلْمًا وَزُورًا ۞ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا
فَهِيَ تُمْلٰى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَقَالُوا
مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۞ أَوْ يُلْقٰى
إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظّٰلِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۞ اُنْظُرْ كَيْفَ
ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۞
تَبٰرَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذٰلِكَ جَنّٰتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ۞ بَلْ كَذَّبُوا
بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۞

﴿ واتخذوا من دونه آلهة ﴾ لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوّة أخذ فى الردّ على المخالفين فيهما ﴿ لايخلقون شيأ وهم يخلقون ﴾ لان عبدتهم ينحتونهم ويصوّرونهم ﴿ ولايملكون ﴾ ولايستطيعون ﴿ لأنفسهم ضرّا ﴾ دفع ضرّ ﴿ ولانفعا ﴾ ولاجلب نفع ﴿ ولايملكون موتا ولاحياة ولانشورا ﴾ ولايملكون اماتة أحد واحياءه أوّلا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهيـة لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على البعث والجزاء ﴿ وقال الذين كفروا ان هذا الا افك ﴾ كذب مصروف عن وجهه ﴿ افتراه ﴾ اختلقه ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ أى اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الأمم وهو يعبر عنها بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر ﴿ فقد جاؤا ظلما ﴾ بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود ﴿ وزورا ﴾ بنسبة ماهو برىء منه اليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته ﴿ وقالوا أساطير الاوّلين ﴾ ماسطره المتقدمون ﴿ اكتتبها ﴾ كتبها لنفسه أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه أمىّ وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه ﴿ فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ ليحفظها فانه أمى لايقدر أن يكرر من الكتاب أولتكتب ﴿ قل أنزله الذى يعلم السرّ فى السموات والأرض ﴾ لانه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه أخبارا عن مغيبات مستقبلة وأشياء مكنونة لايعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه أساطير الأوّلين ﴿ انه كان غفورا رحيما ﴾ فلذلك لايعجل فى عقوبتكم على ماتقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم أن يصبّ عليكم العذاب صبا ﴿ وقالوا مال هذا الرسول ﴾ مالهذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ﴿ يأكل الطعام ﴾ كما نأكل ﴿ ويمشى فى الاسواق ﴾ لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صحّ دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بأحوال نفسانية كما أشار اليه تعالى بقوله ـ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد ـ ﴿ لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴾ لنعلم صدقه بتصديق الملك ﴿ أويلقى اليه كنز ﴾ فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش ﴿ أوتكون له جنة يأكل منها ﴾ هـذا على سبيل التنزّل أى ان لم يلق اليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير للكفار ﴿ وقال الظالمون ﴾ وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ﴿ ان تتبعون ﴾ ماتتبعون ﴿ الا رجلا مسحورا ﴾ سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة أي بشرا لاملكا ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ أى قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة ﴿ فضلوا ﴾ عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء ﴿ فلايستطيعون سبيلا ﴾ الى القدح فى نبوّتك أوالى الرشد والهدى ﴿ تبارك الذي ان شاء جعل لك ﴾ فى الدنيا ﴿ خيرا من ذلك ﴾ مما قالوا لكن أخره الى الآخرة لأنه خير وأبقى ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ بدل من خيرا ﴿ ويجعل لك قصورا ﴾ عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبوبكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لاغائب مالى ولا حرم

ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو ﴿ بل كذّبوا بالساعة ﴾ فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا أن الكرامة انما هى بالمال فطعنوا فيك لفقرك أوفلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة أوفكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدّقونك بما وعد الله لك فى الآخرة أوفلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه أعجب منه ﴿ وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيرا ﴾ نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان

﴿اذا رأتهم﴾ اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه السلام لاتتراءى ناراهما أى لاتتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار أو جهنم ﴿من مكان بعيد﴾ هو أقصى مايمكن أن يرى منه ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف ﴿واذا ألقوا منها مكانا﴾ فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ﴿ضيقا﴾ لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها كعرض السموات والارض ﴿مقرنين﴾ قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل ﴿دعوا هنالك﴾ فى ذلك المكان ﴿ثبورا﴾ هلاكا أى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون تعال ياثبوراه فهذا حينك ﴿لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا﴾ أى يقال لهم ذلك ﴿وادعوا ثبورا كثيرا﴾ لان عذابكم أنواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته أولانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أولانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون﴾ الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم أوالى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح أوللدلالة على خلودها أوالتميز عن جنات الدنيا ﴿كانت لهم﴾ فى علم الله أواللوح أولان ماوعده الله تعالى فى تحققه كالواقع ﴿جزاء﴾ على أعمالهم بالوعد ﴿ومصيرا﴾ ينقلبون اليه ولايمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقى الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلتهم ﴿لهم فيها مايشاؤن﴾ مايشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على مايليق برتبته اذالظاهر أن الناقص لايدرك شأوالكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لاتحصل الافى الجنة ﴿خالدين﴾ حال من أحد ضمائرهم ﴿كان على ربك وعدا

إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ۞
وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك
ثبورا ۞ لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا ۞ قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون
كانت لهم جزاء ومصيرا ۞ لهم فيها ما يشاؤن
خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا ۞ ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله فيقول ءأنتم أضللتم عبادى
هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ۞ قالوا سبحانك ما كان
ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن
متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا ۞
فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا
نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا ۞ وما
أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام
ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا ۞

وقال

مسؤلا﴾ الضمير فى كان لما يشاؤن والوعد الموعود أى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب أومسؤلا سأله الناس فى دعائهم ـ ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ـ أوالملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومافى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده تعالى ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ﴿ويوم نحشرهم﴾ للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء ﴿ومايعبدون من دون الله﴾ يعم كل معبود سواه تعالى واستعمال ما امالان وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولايعرف أولانه أريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم أولتغليب الاصنام تحقيرا أواعتبارا لغلبة عبادها أويخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب أوالاصنام ينطقها الله أوتتكلم بلسان الحال كما قيل فى كلام الايدى والارجل ﴿فيقول﴾ أى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ﴿أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة وأصله أأضللتم أم ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة الضل مبالغة ﴿قالوا سبحانك﴾ تعجبا مما قيل لهم لانهم اماملائكة أوأنبياء معصومون أوجمادات لاتقدر على شئ أواشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده أوتنزيها لله تعالى عن الانداد ﴿ماكان ينبغى لنا﴾ مايصح لنا ﴿أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ للعصمة أولعدم القدرة فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحدا دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى ـ واتخذ الله ابراهيم خليلا ـ ومفعوله الثانى من أولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ بأنواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى غفلوا عن ذكرك أوالتذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده الى مافعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ماذهبنا اليه فلاينتهض حجة علينا للمعتزلة ﴿وكانوا﴾ فى قضائك ﴿قوما بورا﴾ هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أوجمع بائر كعائذ وعوذ ﴿فقد كذبوكم﴾ التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون ﴿بما تقولون﴾ فى قولكم انهم آلهة أوهؤلاء أضلونا والباء بمعنى فى أومع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا ﴿فما يستطيعون﴾ أى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين ﴿صرفا﴾ دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف أى يحتال ﴿ولانصرا﴾ يعينكم عليه ﴿ومن يظلم منكم﴾ أيها المكلفون ﴿نذقه عذابا كبيرا﴾ هى النار والشرط وان عم كل من كفر أوفسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا ﴿وماأرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق﴾ أى الارسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى ومامنا الاله مقام معلوم ويجوز أن تكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون أى تمشيهم حوائجهم أوالناس ﴿وجعلنا بعضكم﴾ أيها الناس ﴿لبعض فتنة﴾ ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر ﴿أتصبرون﴾ علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أوحث على الصبر على ماافتتنوا به ﴿وكان ربك بصيرا﴾ بمن يصبر أوبالصواب فيما يبتلى به وغيره

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ
أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۞
يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ
حِجْرًا مَحْجُورًا ۞ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً
مَنْثُورًا ۞ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ
مَقِيلًا ۞ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا
۞ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
عَسِيرًا ۞ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا
۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۞ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۞
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۞

(وقال الذين لايرجون) لايأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث أولا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) فتخبرنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونوا رسلا الينا (أونرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى في شأنها حتى أرادوا لها مايتفق لأفراد من الانبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتها وماهو أعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس أبأنا بنابها * كليبا علت ناب كليب بواؤها (يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت أوالعذاب ويوم نصب باذكر أوبما دل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى أويعدمونها ويومئذ تكرير أوخبر وللمجرمين تبيين أوخبر ثان أوظرف لما يتعلق به اللام أولبشرى انقدرت منونة غير مبنية معلا فانها لاتعمل والمجرمين اماعام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولايلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واماخاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشري والموجب لما يقابلها (ويقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول أى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أوهجوم مكروه أوتقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة أوالبشرى وقرئ حجرا بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لايتصرف فيه ولايظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أى وعمدنا الى ماعملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ماهو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا على سلطانهم فقدم الى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهاء غبار يرى فى شعاع يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه عملهم المحبط بالهباء فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتثاره بحيث لايمكن نظمه أوتفرقه نحو أغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها أومفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا يستقر فيه فى أكثر الاوقات للتجالس والتحادث (وأحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه أولانه لايخلو من ذلك غالبا اذلانوم فى الجنة وفى أحسن رمز الى مايتميز به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر أوالزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب مايتخيل من الامكنة والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا أو بالاضافة الى ماللمترفين فى الدنيا * روى أنه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (ويوم تشقق السماء) أصله تتشقق فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الاأن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولايبقى الاملكه فهو الخبر وللرحمن صلته أوتبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر أوصفته والخبر يومئذ أوللرحمن (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن أبى معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافته فابى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن آلي أن لا يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال لاأرضى منك الاأن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لاألقاك خارجا من مكة الاعلوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن أبيا بأحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات (يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة أوطريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة (ياويلتى) وقرئ بالياء على الاصل (ليتني لم أتخذ فلانا خليلا) يعني من أضله وفلان كناية عن الأعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد أضلني عن الذكر) عن ذكر الله أوكتابه أوموعظة الرسول أوكلمة الشهادة (بعد اذجاءنى) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعنى الخليل المضل أوابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أوكل من تشيطن من جن وانس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولاينفعه فعول من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ أوفى الدنيا بثا الى الله تعالى (يارب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعاق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بيني وبينه أوهجروا ولغوا فيه اذاسمعوه أوزعموا أنه هجر وأساطير الاولين فيكون أصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه فان الانبياء عليهم الصلاه والسلام اذاشكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن) أى أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لاطائل تحته لان الاعجاز لايختلف بنزوله جملة أومفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ماأشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) أى كذلك أنزلناه مفرقا فنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان عليه الصلاة والسلام أميا وكانوا يكتبون فلوألقى عليه جملة لعيل بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لايتأتى الاشيأ فشيأ ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذانزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذانزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على

البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليـه القرآن جملة واحدة ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف
عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ﴿ ورتلناه ترتيلا ﴾ وقرأناه عليك شيأ بعد شئ على تؤدة وتمهل فى عشرين سنة أو ثلاث
وعشرين وأصل الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها
﴿ ولا يأتونك بمثل ﴾ سؤال عجيب كانه مثل فى البطلان يريدون به القدح فى نبوتك ﴿ الا جئناك بالحق ﴾ الدامغ له فى جوابه ﴿ وأحسن تفسيرا ﴾ وبما هو أحسن بيانا أو معنى
من سؤالهم أولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا أعطيناك من الاحوال ما يحق لك فى حكمتنا وما هو أحسن كشفا لما بعثت له ﴿ الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم ﴾ أى مقلوبين أو مسحوبين عليها أو متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها * وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على
الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿ أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ﴾ والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه
وسلم على طريقة قوله تعالى ـ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ـ كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا ﴾ يوازره فى الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافى ذلك مشاركته فى النبوة لان المتشاركين فى الامر متوازرون عليه ﴿ فقلنا اذهبا الى
القوم الذين كذبوا ﴾ يعنى فرعون وقومه ﴿ بآياتنا فدمرناهم تدميرا ﴾ أى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو

٣٦٤ سورة الفرقان

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۞
ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۞ فَقُلْنَا ٱذْهَبَا إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ۞ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا
ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا
لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ
وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۞ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ
ٱلْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۞ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى
ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ۞ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۞ إِنْ كَادَ
لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۞ أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ
إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞

أم تحسب

الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾ كذبوا نوحا ومن قبله أو نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل أو بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة ﴿ أغرقناهم ﴾ بالطوفان ﴿ وجعلناهم ﴾ وجعلنا اغراقهم أو قصتهم ﴿ للناس آية ﴾ عبرة ﴿ وأعتدنا للظالمين عذابا أليما ﴾ يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم ﴿ وعادا وثمودا ﴾ عطف على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبيلة ﴿ وأصحاب الرس ﴾ قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا فكذبوه فبينماهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبى ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فأهلكوا وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أى دسوه فى بئر ﴿ وقرونا ﴾ وأهل أعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون ﴿ بين ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر ﴿ كثيرا ﴾ لا يعلمها الا الله ﴿ وكلا ضربنا له الامثال ﴾ بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما أصروا أهلكوا كما قال ﴿ وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ ﴿ ولقد أتوا ﴾ يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام ﴿ على القرية التى أمطرت مطر السوء ﴾ يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة ﴿ أفلم يكونوا يرونها ﴾ في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من آثار عذاب الله ﴿ بل كانوا لا يرجون نشورا ﴾ بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم أو لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب أو لا يخافونه على اللغة التهامية ﴿ واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ﴾ ما يتخذونك الا موضع هزء أو مهزوأ به ﴿ أهذا الذى بعث الله رسولا ﴾ محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعثه الله رسولا ﴿ ان ﴾ انه ﴿ كاد ليضلنا عن آلهتنا ﴾ ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يوردها مما يسبق الى الذهن بانها حجج ومعجزات ﴿ لولا أن صبرنا عليها ﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ ﴿ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا ﴾ كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وان أمهلهم ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ بان أطاعه وبني عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به ﴿ أفأنت تكون عليه وكيلا ﴾ حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار

(أم تحسب) بل أتحسب (أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) فتجدي لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرئاسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسئ اليها وتطلب ماينفعها وتتجنب مايضرها وهؤلاء لاينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولايطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لاتضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلاتقصير منها ولاذم وهؤلاء مقصرون ومستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بأنه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولو شاء الله لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام أولا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) أى أزلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا

أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا
كالأنعام بل هم أضل سبيلا ۞ ألم تر إلى ربك
كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا
الشمس عليه دليلا ۞ ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا
۞ وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا ۞ وهو الذي أرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا ۞
لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي
كثيرا ۞ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى
أكثر الناس إلا كفورا ۞ ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا ۞ فلا تطع الكافرين وجاهدهم
به جهادا كبيرا ۞ وهو الذي مرج البحرين
هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما
برزخا وحجرا محجورا ۞ وهو الذي خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ۞

قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به مالايحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور أو لتفاضل مبادى أوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلانير ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولوشاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا أى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المداول أو دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى أن تنتهى غاية نقصانه أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع أو موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت الميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور أى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أو بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور * وعن لقمان عليه السلام يابنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على أنه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به * قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء أحدكم اذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى (لنحيى به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) يعنى أهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنافع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلة معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسى بحذف ياء وهو جمع انسى أو انسان كظرابي فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات

المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنه ماعام أمطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية أوفى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى أكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لايرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى أنها من خلق الله والانواء وسائط وأمارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن أو بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى أنهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف أو لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر مايقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت وتلاصقت وتشابهت فى

الكيفية ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا﴾ يعني الذي خمر به طينة آدم أوجعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيآت بسهولة أوالنطفة ﴿فجعله نسبا وصهرا﴾ أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى ـ فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ـ ﴿وكان ربك قديرا﴾ حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى ﴿ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم﴾ يعنى الاصنام أوكل ماعبد من دون الله اذ مامن مخلوق يستقل بالنفع والضر ﴿وكان الكافر على ربه ظهيرا﴾ يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أوأبو جهل وقيل هينامهينا لاوقع له عنده من قولهم ظهرت به اذانبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ـ ولايكلمهم الله ولا ينظر اليهم ـ ﴿وما أرسلناك الامبشرا ونذيرا﴾ للمؤمنين والكافرين ﴿قل ما أسئلكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الامبشرا ونذيرا ﴿من أجر الامن شاء﴾ الافعل من شاء ﴿أن يتخذ الى ربه سبيلا﴾ أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوّر ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب أجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بأن طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل ﴿وتوكل على الحى الذى لايموت﴾ في استكفاء شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿وسبح بحمده﴾ ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه ﴿وكفى به بذنوب عباده﴾ ماظهر منها ومابطن ﴿خبيرا﴾ مطلعا فلاعليك أن آمنوا أوكفروا ﴿الذى خلق السموات والارض ومابينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن﴾ قدسبق

ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر
على ربه ظهيرا ۞ وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ۞ قل ما
أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا
۞ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب
عباده خبيرا ۞ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما
في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا ۞
وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا
وزادهم نفورا ۞ تبارك الذي جعل في السماء بروجا
وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ۞ وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ۞ وعباد الرحمن
الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
۞ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ۞ والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ۞
إنها ساءت مستقرا ومقاما ۞ والذين إذا أنفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ۞

والذين

الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتانى في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج والرحمن خبر للذى ان جعلته مبتدأ ولمحذوف ان جعلته صفة للحى أوبدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحى ﴿فاسئل به خبيرا﴾ فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أوجبريل أومن وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجىء مايرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر مابعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا ﴿واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ لانهم ما كانوا يطلقونه على الله أولانهم ظنوا أنه أراد به غيره ولذلك قالوا ﴿أنسجد لما تامرنا﴾ أى للذى تامرناه يعنى تامرنا بسجوده أولامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض ﴿وزادهم﴾ أى الامر بالسجود للرحمن ﴿نفورا﴾ عن الايمان ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا﴾ يعني البروج الاثنى عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره ﴿وجعل فيها سراجا﴾ يعنى الشمس لقوله ـ وجعل الشمس سراجا ـ وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار ﴿وقمرا منيرا﴾ مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ أى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغى أن يعمل فيه أوبأن يعتقبا لقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ بأن يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم أن لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد ﴿أو أراد شكورا﴾ أن يشكر الله تعالى على مافيه من النعم أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى أحدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه ﴿وعباد الرحمن﴾ مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أو ﴿الذين يمشون على الارض﴾ واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل أولانهم الراسخون فى عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار ﴿هونا﴾ هينين أومشيا هينا مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ تسلما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا ولاشر أوسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل أحمز وأبعد عن الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم أومصدر أجرى مجراه ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما﴾ لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم ﴿انها ساءت مستقرا ومقاما﴾ اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان أوأحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال أوتمييز والجملة تعليل للعلة الاولى أو تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ ابن كثير وأبوعمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء وكسر التاء من أقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد ﴿وكان بين ذلك قواما﴾ وسطا عدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو مايقام به الحاجة لايفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَاعَفْ لَهُ
الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ۞ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ۞ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ
مَرُّوا كِرَامًا ۞ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۞ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا
صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا
حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۞ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۞

سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية

(والذين لايدعون مع الله الها آخر ولايقتلون النفس التى حرّم الله) أي حرمها بمعنى حرّم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف أو بلايقتلون (ولايزنون) نفى عنهم أمهات المعاصى بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بأن الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) جزاء اثم أو اثما باضمار الجزاء وقرئ أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام أى صعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لانه فى معناه كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف فى يضعف وقرئ ويخلد على بناء المفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب مضاعفته لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أويبدل ملكة المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ماسلف منه أوبأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيآت ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصى بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به مافرط أوخرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب أويتوب متابا الى الله الذى يحبّ التائبين ويصطنع بهم أوفانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهو تعميم بعد تخصيص (والذين لايشهدون الزور) لايقيمون الشهادة الباطلة أو لايحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مرّوا باللغو) مايجب ان يلقى ويطرح (مرّوا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ أو القراءة (لم يخرّوا عليها صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولامتبصرين بما فيها كمن لايسمع ولايبصر بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لايلقانى زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه أهله في طاعة الله سرّ بهم قلبه وقرّت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية أوبيانية كقولك رأيت منك أسدا وقرأ حمزة وأبوعمرو والكسائى وأبوبكر وذرّيتنا وقرأ ابن عامر والحرميان وحفص ويعقوب وذرياتنا بالالف وتنكير الاعين لارادة تنكير القرّة تعظيما وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا في أمر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده اما للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا أولانه مصدر فى أصله أولأن المراد واجعل كل واحد منا أولأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (أولئك يجزون الغرفة) أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى — وهم فى الغرفات آمنون — وللقراءة بها وقيل هي من أسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أويحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أوتبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وأبوبكر يلقون من لقى (خالدين فيها) لايموتون فيها ولايخرجون (حسنت مستقرّا ومقاما) مقابل ساءت مستقرّا معنى ومثله اعرابا (قل مايعبؤ بكم ربى) مايصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أولايعتدّ بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كأنه قيل أي عبء يعبأ بكم (فقد كذّبتم) بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لامحالة أوأثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه مما لايكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لاريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

﴿ سورة الشعراء مكية الا قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وهى مائتان وست أوسبع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * طسم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبوبكر بالامالة ونافع بين بين كراهة للعود الى الياء المهروب منها وأظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده ﴿ تلك آيات الكتاب المبين ﴾ الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة أوالقرآن على ماقرر فى أول البقرة ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حدّ الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعلّ للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة ﴿ ألا يكونوا مؤمنين ﴾ لئلا يؤمنوا أوخيفة أن لايؤمنوا ﴿ ان نشأ ننزّل عليهم من السماء آية ﴾ دلالة ملجئة الى الايمان أوبلية قاسرة عليه ﴿ فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء أوالجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف وأكن على فأصدق لانه لوقيل أنزلنا بدله لصح ﴿ وما يأتيهم من ذكر ﴾ موعظة أوطائفة من القرآن ﴿ من الرحمن ﴾ يوحيه الى نبيه ﴿ محدث ﴾ مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير ﴿ الا كانوا عنه معرضين ﴾ الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه ﴿ فقد كذبوا ﴾ أى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث أدى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله ﴿ فسيأتيهم ﴾ أى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر أويوم القيامة ﴿ أنباء ما كانوا به يستهزؤن ﴾ من أنه كان حقا أم باطلا وكان حقيقا بأن يصدق ويعظم قدره أويكذب فيستخف أمره ﴿ أولم يروا الى الارض ﴾ أولم ينظروا الى عجائبها ﴿ كم أنبتنا فيها من كل زوج ﴾ صنف ﴿ كريم ﴾ محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل مايحمد ويرضى وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده أومع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ﴿ ان فى ذلك ﴾ ان فى انبات تلك الاصناف أوفى كل واحد ﴿ لآية ﴾ على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين ﴾ فى علم الله وقضائه فلذلك لاينفعهم امثال هذه الآيات العظام ﴿ وان ربك لهو العزيز ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿ الرحيم ﴾ حيث أمهلهم أوالعزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن ﴿ واذ نادى ربك موسى ﴾ مقدر باذكر أوظرف لما بعده ﴿ أن ائت ﴾ أى ائت أوبأن ائت ﴿ القوم الظالمين ﴾ بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم ﴿ قوم فرعون ﴾ بدل من الاول أوعطف بيان له ولعلّ الاقتصار على القوم للعلم بأن فرعونهم كان أولى بذلك ﴿ ألا يتقون ﴾ استئناف أتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ أجروامجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع مافيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل أن يكون بمعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا ﴿ قال ربّ اني أخاف أن يكذّبون ويضيق صدرى ولاينطلق لسانى فأرسل الى هرون ﴾ رتب استدعاء ضم أخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لاينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوّى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لاتختل دعوته ولاتنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولاينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ماخاف منه ﴿ ولهم علىّ ذنب ﴾ أى تبعة ذنب فحذف المضاف أو سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع ﴿ فأخاف أن يقتلون ﴾ به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استعداد واستظهار فى أمر الدعوة وقوله ﴿ قال كلا فاذهبا بآياتنا ﴾ اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم أخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت والذى طلبته ﴿ انا معكم ﴾ يعنى موسى وهرون وفرعون ﴿ مستمعون ﴾ سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد أوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوّز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان أوالخبر وحده ومعكم لغو ﴿ فائتيا فرعون فقولا انا رسول ربّ العالمين ﴾ أفرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة * قال الشاعر

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسرّ ولا أرسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أولاتحادهما للاخوة أولوحدة المرسل والمرسل به أولأنه أراد أن كل واحد منا ﴿ أن أرسل معنا بنى اسرائيل ﴾ أى أرسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم ليذهبوا معنا الى الشأم ﴿ قال ﴾ أى فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك ﴿ ألم نربك فينا ﴾ فى منازلنا ﴿ وليدا ﴾ طفلا سمى به لقربه من الولادة ﴿ ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ * قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين ﴿ وفعلت فعلتك التى فعلت ﴾ يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ماعدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى أوممن تكفرهم الآن فانه عليه الصلاة والسلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أوبنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أومن الذين كانوا يكفرون فى دينهم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

طٰسٓمٓ ۞ تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ اَلَّا
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ اِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاۤءِ اٰيَةً فَظَلَّتْ
اَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ اِلَّا
كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۞ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ اَنْبٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِؤُنَ ۞ اَوَلَمْ يَرَوْا اِلَى الْاَرْضِ كَمْ اَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ۞ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَاِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ وَاِذْ نَادٰى رَبُّكَ مُوسٰٓى اَنِ ائْتِ
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ اَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ اِنِّىٓ اَخَافُ
اَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِى فَاَرْسِلْ اِلٰى هٰرُونَ
۞ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ فَاَخَافُ اَنْ يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِاٰيَاتِنَا اِنَّا
مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۞ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا اِنَّا رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۞ اَنْ اَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ اِسْرَاۤئِيلَ ۞ قَالَ اَلَمْ نُرَبِّكَ
فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَاَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞

قال

قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ۞ ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ۞ وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل ۞ قال فرعون وما رب العلمين ۞ قال رب السموات والارض ومابينهما ان كنتم موقنين ۞ قال لمن حوله الا تستمعون ۞ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ۞ قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ۞ قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون ۞ قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين ۞ قال أولو جئتك بشئ مبين ۞ قال فأت به ان كنت من الصدقين ۞ فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ۞ ونزع يده فاذا هى بيضاء للنظرين ۞ قال للملأ حوله ان هذا لسحر عليم ۞ يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ۞ قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حشرين ۞ يأتوك بكل سحار عليم ۞ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ۞ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ۞

(قال فعلتها اذا وأنا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه أومن الخاطئين لانه لم يتعمد قتله أومن الذاهلين عما يؤل اليه الوكز لانه أراد به التأديب أوالناسين من قوله تعالى — أن تضل احداهما — (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) رد أولا بذلك ماوبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ماعد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على أنه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) أى وتلك التربية نعمة تمنها على ظاهرا وهى في الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أى أوتلك نعمة تمنها على وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على انه خبر محذوف أو بدل نعمة أوالجر باضمار الباء أوالنصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون وما رب العالمين) لما سمع جواب ماطعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع فى الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل (قال رب السموات والأرض ومابينهما) عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه أشار بقوله (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم أن هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدئ لابد وأن يكون مبدئا لسائر الممكنات مايمكن أن يحس بها ومالايمكن والا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لايمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب فى ذاته (قال لمن حوله ألاتستمعون) جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله أويزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية أوغير معلوم افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم الأولين) عدولا الى مالايمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك فى افتقاره الى مصور حكيم ويكون أقرب الى الناظر وأوضح عند التأمل (قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية (قال رب المشرق والمغرب ومابينهما) تشاهدون كل يوم أنه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنتظم به أمور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لاينهم أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم (قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره الصانع وان تعجبه بقوله ألاتستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد أن من ملك قطرا أوتولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام فى المسجونين للعهد أى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك (قال أولوجئتك بشئ مبين) أي أتفعل ذلك ولوجئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فأت به ان كنت من الصادقين) فى أن لك بينة أوفى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) * روى أن فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه (قالوا أرجه وأخاه) أي أخر أمرهما وقيل احبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبوعمرو والكسائى وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هـل أنت باعث دينار لحاجتنا * أوعبد رب أخا عون بن مخراق

أى ابعث أحدهما الينا سريعا

﴿لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا والترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلى أن لايتبعوا موسى لاأن يتبعوا السحرة فساقوا الـكلام مساق الـكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانـكم اذا لمن المقربين ﴾ التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على مايقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالـكسر وهما لغتان ﴿ قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون﴾ أى بعد ماقالوا له اما أن تلقى واما أن نـكون نحن الملقين ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ماهم فاعلوه لامحالة توسلا به الى اظهار الحق ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ﴾ أقسموا بعزته على أن الغلبـة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم أو لاتيانهم باقصى مايمكن أن يؤتى به من السحر ﴿ فألقى موسى عصاه فاذاهي تلقف﴾ تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴿مايأفكون ﴾ مايقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أوافكهم تسمية للمأفوك به مبالغة ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ لعلمهم بان مثله لايتأتي بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لاحقيقة له وأن التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ماقبله ويدل على أنهم لما رأوا مارأوا لم يتمالـكوا أنفسهم كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم وأنه تعالى ألقاهم بما خوّلهم من التوفيق ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ بدل من ألقى بدل الاشتمال أوحال باضمار قد ﴿رب موسى وهرون﴾ ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على أن الموجب لايمانهم ماأجراه على أيديهما ﴿قال آمنتم له قبل أن آذن لـكم انه لـكبيركم الذى علمكم السحر﴾ فعلمكم شيأ دون شيء ولذلك غلبكم أوفوا عدكم على ذلك وتواطأتم عليه وأراد به التلبيس على قومه كي لايعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والـكسائي وأبوبكر وروح أآمنتم بهمزتين ﴿ فلسوف تعلمون ﴾ وبال مافعلتم وقوله ﴿ لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنـكم أجمعين﴾ بيان له ﴿ قالوا لاضير ﴾ لاضرر علينا فى ذلك ﴿ انا الى ربنا منقلبون ﴾ بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى أوبسبب من أسباب الموت والقتل أنفعها وأرجاها ﴿انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ لأن كنا ﴿ أوّل المؤمنين﴾ من أتباع فرعون أومن أهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير أوتعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعـدم الثقة بالخاتمة أوعلى طريقة المدل بامره نحوان أحسنت اليـك فلاتنس حقى ﴿ وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى ﴾ وذلك بعد سنين أقامها بين أظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهرلهم الآيات فلم يزيدوا الاعتوّا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع أن اسر بعبادى بكسر النون ووصل الالف من سري وقرئ أن سر من السير﴿انـكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء أي أسربهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لـكم تقـدم عليهم بحيث لايدركونـكم قبل وصولـكم الى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلـكم فاطبقه عليهم فاغرقهم ﴿فأرسل فرعون ﴾ حين أخبر بسراهم ﴿ فى المدائن حاشرين﴾ العساكر ليتبعوهم ﴿ ان هؤلاء لشر ذمة قليلون ﴾ على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة ألف وسـبعين ألفا بالاضافة الى جنوده ＊ اذروى أنه خرج وكانت مقدمتـه سبعمائة ألف والشرذمة الطائفـة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل ﴿وانهم لنا لغائظون﴾ لفاعلون مايغيظنا ﴿وانا لجميع حذرون ﴾ وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور أشار أوّلا الى عدم مايمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق مايدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا عليـه أواعتـذر بذلك الى أهل المدائن كي لايظن به مايكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والـكوفيون حاذرون والأوّل للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو أيضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء قال

أحب الصبي السوء من أجل أمه ＊ وأبغضه من بغضها وهو حادر

أوتامو السلاح فاذلك يوجب حدارة فى أجسامهم ﴿ فأخرجناهم﴾ بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴿ من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾ يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاخراج أخرجنا فهو مصـدر أومثل ذلك المقام الذى كان لهم على أنه صفة مقام أوالامر كذلك فيكون خبر المحذوف ﴿ وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم﴾ وقرئ فاتبعوهم ﴿مشرقين ﴾ داخلين فى وقت شروق الشمس

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَٰلِبِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا
لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ۞ فَأَلْقَوْا
حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ۞ فَأَلْقَىٰ
مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ
۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ آمَنتُمْ
لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ ۞ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۞ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ
لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ
أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۞ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ
حَٰشِرِينَ ۞ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۞ وَإِنَّهُمْ لَنَا
لَغَائِظُونَ ۞ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۞ فَأَخْرَجْنَٰهُم
مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ كَذَٰلِكَ
وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۞

فلما

فلما تراءا الجمعان قال أصحب موسى إنا لمدركون ۞ قال كلا إن
معي ربي سيهدين ۞ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك
البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ۞ وأزلفنا
ثم الآخرين ۞ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ۞ ثم أغرقنا
الآخرين ۞ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ۞
وإن ربك لهو العزيز الرحيم ۞ واتل عليهم نبأ إبرهيم
إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ۞ قالوا نعبد أصناما
فنظل لها عكفين ۞ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ۞
أو ينفعونكم أو يضرون ۞ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون ۞ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ۞ أنتم
وآباؤكم الأقدمون ۞ فإنهم عدو لي إلا رب
العلمين ۞ الذي خلقني فهو يهدين ۞ والذي هو
يطعمني ويسقين ۞ وإذا مرضت فهو يشفين ۞ والذي
يميتني ثم يحيين ۞ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم
الدين ۞ رب هب لي حكما وألحقني بالصلحين ۞

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان ﴿قال أصحاب موسى انا لمدركون﴾ لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففني أي لمتتابعون في الهلاك على أيديهم ﴿قال كلا﴾ لن يدركوكم فان الله وعدكم بالخلاص منهم ﴿ان معي ربي﴾ بالحفظ والنصرة ﴿سيهدين﴾ طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون فقال أمرت بالبحر ولعلي أومر بما أصنع ﴿فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ بحر القلزم أو النيل ﴿فانفلق﴾ أي فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب ﴿وأزلفنا﴾ وقربنا ﴿ثم الآخرين﴾ فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ باطباقه عليهم ﴿ان في ذلك لآية﴾ وأية آية ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ وما تنبه عليها أكثرهم اذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ المنتقم من أعدائه ﴿الرحيم﴾ بأوليائه ﴿واتل عليهم﴾ على مشركي العرب ﴿نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون﴾ سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ﴿قال هل يسمعونكم﴾ يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة ﴿اذ تدعون﴾ عليه وقرئ يسمعونكم أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها ﴿أو ينفعونكم﴾ على عبادتكم لها ﴿أو يضرون﴾ من أعرض عنها ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجؤا الى التقليد ﴿قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون﴾ فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا ﴿فانهم عدو لي﴾ يريد أنهم أعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو أن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه أنفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى الى القبول وأفراد العدو لانه في الاصل مصدر أو بمعنى النسب ﴿الا رب العالمين﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه تعالى لان المقصود تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبليات ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة الله العزيز العليم ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ في الآخرة ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله هي أختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا ﴿رب هب لي حكما﴾ كمالا في العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وألحقني بالصالحين﴾ ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره

﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾ جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك مامن أمة الاوهم محبون له مثنون عليه أوصادقا من ذريتى يجدد أصل دا
ويدعو الناس الى ماكنت أدعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿واجعلنى من ورثة جنة النعيم﴾ فى الآخرة وقدم معنى الوراثة فيها ﴿واغفر لابى﴾ بالهداية والتوفيق
للايمان ﴿انه كان من الضالين﴾ طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفى الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أولانه لم يمتنع بعهد
الاستغفار للكفار ﴿ولاتخزنى﴾ بمعاتبتى على مافرطت أوبنقص رتبتى عن رتبة بعض الوراث أوبتعذيبى لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أوبتعذيب والدي أو ببعثه فى عداد
الضالين وهو من الخزى بمعنى الهوان أومن الخزاية بمعنى الحياء ﴿يوم يبعثون﴾ الضمير للعباد لانهم معلومون أوللضالين ﴿يوم لاينفع مال ولا بنون الامن أتى الله بقلب سليم﴾
أى لاينفعان أحدا الامخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصى وسائر آفاته أولاينفعان الامال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله فى سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق
وحثهم على الخير وقصدبهم أن يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أى لاينفع غنى الاغناء وقيل منقطع والمعنى لكن
سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ فيرونها مكشوفة
ويتحسرون على أنهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله﴾ أين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم
﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أوينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ أى الآلهة وعبدتهم
والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها ﴿وجنود ابليس﴾ متبعوه من عصاة الثقلين أوشياطينه
﴿أجمعون﴾ تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده أوللضمير وماعطف عليه وكذا
الضمير المنفصل ومايعود اليه فى قوله ﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين﴾
على أن الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله ﴿اذ نسويكم برب
العالمين﴾ أى فى استحقاق العبادة ويجوز أن تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب
للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى أنهم مع تخاصمهم فى مبدا ضلالهم معترفون بانهما كهم
فى الضلالة متحسرون عليها ﴿وما أضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين﴾ كما للمؤمنين من
الملائكة والانبياء ﴿ولاصديق حميم﴾ اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
أوفمالنا من شافعين ولاصديق ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء أووقعنا فى مهلكة لايخلصنا
منها شافع ولاصديق وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق
أولان الصديق الواحد يسعى أكثر ممايسعى الشفعاء أولاطلاق الصديق على الجمع كالعدو
لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل ﴿فلو أن لنا كرة﴾ تمن للرجعة أقيم فيه لومقام
ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير أوشرط حذف جوابه ﴿فنكون من المؤمنين﴾ جواب
التمنى أوعطف على كرة أي لوأن لنا أن نكر فنكون من المؤمنين ﴿ان فى ذلك﴾ أى
فيماذكر من قصة ابراهيم ﴿لآية﴾ لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فانها
جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لمافيها من الاشارة
الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم
وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية
تعريضا وايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع والقبول ﴿وما كان أكثرهم﴾ أكثر
قومه ﴿مؤمنين﴾ به ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿الرحيم﴾
بالامهال لكى يؤمنوا هم أوأحد من ذريتهم ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ القوم مؤنثة
ولذلك تصغر على قويمة وقدم الكلام فى تكذيبهم المرسلين ﴿اذ قال لهم أخوهم نوح﴾
لانه كان منهم ﴿ألا تتقون﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿انى لكم رسول أمين﴾ مشهور
بالامانة فيكم ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله سبحانه
﴿وماأسئلكم عليه﴾ على ماأنا عليه من الدعاء والنصح ﴿من أجران أجرى الا على
رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون﴾ كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته
وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر
وأبوعمرو وحفص بفتح الياء فى أجرى فى الكلمات الخمس ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون﴾
الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد
وأشهاد أوتبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية
حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بمايدعوهم اليه ودليلا على بطلانه
وأشاروا بذلك الى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك

وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ
النَّعِيمِ ۝ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ۝ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ
۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ
أَوْ يَنْتَصِرُونَ ۝ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ
إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ
۝ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً
فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ۝ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ۝

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ
۞ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ قَالُوا
لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ
۞ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ۞ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتَبْنُونَ
بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ
۞ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞
قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ۞
إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞

(قال وماعلمي بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا أوطمعا فى طعمة وماعلىّ الاعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربي) ماحسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون مالاتعلمون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان أنا الانذير مبين) كالعلة له أي ما أنا الارجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سواء كانوا أعزاء أوأذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أوماعلىّ الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلاعلىّ أن أطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين أوالمضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) اظهارا لمايدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لاتخويفهم له واستخفافهم عليه (فافتح بيني وبينهم فتحا) فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة (ونجني ومن معي من المؤمنين) من قصدهم أوشؤم عملهم (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان فى ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) أنثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم أبيهم (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيمايقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) ببنائها اذكانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلايحتاجون اليها أوبروج الحمام أوبنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم أوقصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسيف أوسوط (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلارأفة ولاقصد تاديب ونظر فى العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه فانه أنفع لكم (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بمايعرفونه من أنواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى ألاتتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال (أمدّكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) ثم أوعدهم فقال (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فانه كماقدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لانرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عماتقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الاخلق الاولين) ماهذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين أوماخلقنا هذا الاخلقهم نحيا ونموت مثلهم ولابعث ولاحساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق الاولين بضمتين أى ماهذا الذى جئت به الاعادة الاولين كانوا يلفقون مثله أوماهذا الذى نحن عليه من الدين الاخلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ماهذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الاعادة قديمة لم تزل الناس عليها (ومانحن بمعذبين) على مانحن عليه

﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾ بسبب التكذيب بريح صرصر ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين﴾ انكار لان يتركوا كذلك أو تذكير للنعمة فى تخلية الله اياهم وأسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله ﴿فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ لطيف لين للطف الثمر أو لان النخل أنثى وطلع اناث النخل ألطف وهو مايطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لان المراد بها غيرها من الاشجار ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين وهو أبلغ من فارهين ﴿فاتقوا الله وأطيعون ولاتطيعوا أمر المسرفين﴾ استعير الطاعة التى هي انقياد الامر لامتثال الامر أو نسب حكم الآمر الى أمره مجازا ﴿الذين يفسدون فى الارض﴾ وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ﴿ولايصلحون﴾ على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم ﴿قالوا انما أنت من المسحرين﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم أو من ذوى السحر وهي الرئة أى من الاناسى فيكون ﴿ما أنت الا بشر مثلنا﴾ تأكيدا له ﴿فائت بآية ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ﴿قال هذه ناقة﴾ أى بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لها شرب﴾ نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ بالضم ﴿ولكم شرب يوم معلوم﴾ فاقتصروا على شربكم ولاتزاحموها في شربها ﴿ولاتمسوها بسوء﴾ كضرب وعقر ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ عظم اليوم لعظم مايحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب ﴿فعقروها﴾ أسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك أخذوا جميعا ﴿فأصبحوا نادمين﴾ على عقرها خوفا من حلول العذاب لاتوبة أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم ﴿فأخذهم العذاب﴾ أى العذاب الموعود ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ فى نفى الايمان عن أكثرهم فى هذا المعرض ايماء بانه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم ﴿وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا
آمِنِينَ ۞ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ
۞ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞
وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۞ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا
يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۞ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ
وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۞ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ۞ فَأَخَذَهُمُ
الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۞
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ
الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞

انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على ربّ العالمين أتأتون الذكران من العالمين ﴾ أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لايشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كأنهن قد أعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس ﴿ وتذرون ماخلق لكم ﴾ لاجل استمتاعكم ﴿ ربكم من أزواجكم ﴾ من للبيان ان أريد به جنس الاناث أوللتبعيض ان أريد به العضو المباح منهن يكون تعريضا بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضا ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ متجاوزون عن حدّ الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات أومفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذاك أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة ﴿ قالوا لئن لم تنته يالوط ﴾ عما تدعيه أوعن نهينا وتقبيح أمرنا ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ من المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال ﴿ قال انى لعملكم من القالين ﴾ من المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو أبلغ من أن يقول انى لعملكم قال لدلالته على أنه معدود فى زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم ﴿ ربّ نجنى وأهلي مما يعملون ﴾ أي من شؤمه وعذابه ﴿ فنجيناه وأهله أجمعين ﴾ أهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم ﴿ الا عجوزا ﴾ هي امرأة لوط ﴿ فى الغابرين ﴾ مقدرة فى الباقين فى العذاب اذ أصابها حجر فى الطريق فأهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كائنة فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ أهلكناهم ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ وقيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذمّ محذوف وهو مطرهم ﴿ انّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وانّ ربك لهو العزيز الرحيم كذّب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعثه الى مدين وكان أجنبيا منهم فلذلك قال ﴿ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ﴾ ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وابقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدتهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا للفظ ﴿ اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على ربّ العالمين أوفوا الكيل ﴾ أتموه ﴿ ولا تكونوا من المخسرين ﴾ الناقصين حقوق الناس بالتطفيف ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾ بالميزان السوىّ وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف ﴿ ولاتبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم ﴿ ولاتعثوا فى الأرض مفسدين ﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿ واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأوّلين ﴾ وذوى الجبلة الأوّلين يعنى من تقدمهم من الخلائق

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ
مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ۞ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ
۞ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۞ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا
يَعْمَلُونَ ۞ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ
۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ
الْمُنْذَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ
الْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۞ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۞
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
۞ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ۞

﴿قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا﴾ أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه ﴿وان نظنك لمن الكاذبين﴾ فى دعواك ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء﴾ قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين ﴿ان كنت من الصادقين﴾ في دعواك ﴿قال ربى أعلم بما تعملون﴾ وبعذابه منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لامحالة ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ على نحو مااقترحوا بأن سلط الله عليهم الحرّ سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا ﴿انه كان عذاب يوم عظيم انّ فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وانّ ربك لهو العزيز الرحيم﴾ هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع أن يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية أوكان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم ﴿وانه لتنزيل ربّ العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لايكون الا وحيا من الله عزّوجل والقلب ان أراد به الروح فذاك وان أراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل أوّلا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق؛ ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام فانه أمين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وأبوبكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح الأمين ﴿لتكون من المنذرين﴾ عما يؤدّى الى عذاب من فعل أوترك ﴿بلسان عربىّ مبين﴾ واضح المعنى لئلا يقولوا مانصنع بما لانفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أى لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿وانه لفى زبر الأوّلين﴾ وان ذكره أو معناه لفى الكتب المتقدمة ﴿أولم يكن لهم آية﴾ على صحة القرآن أونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أن يعلمه علماء بنى اسرائيل﴾ أن يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أوالفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أوأن الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن ﴿ولو نزّلناه على بعض الاعجمين﴾ كما هو زيادة في اعجازه أوبلغة العجم ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة ﴿كذلك سلكناه﴾ أدخلناه ﴿في قلوب المجرمين﴾ والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ـ ما كانوا بهمؤمنين ـ فتدل الآية على أنه بخلق الله وقيل للقرآن أى أدخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا ﴿لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ الملجئ الى الايمان ﴿فيأتيهم بغتة﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وهم لايشعرون﴾ باتيانه ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ تحسرا وتأسفا ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة ﴿أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه

قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝
بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ۝ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ
ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ
۝ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ
فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَلِيمَ ۝ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝
فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ
۝ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟
يُوعَدُونَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ۝

(وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) أنذروا أهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار أو الرفع على أنها صفة منذرون باضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة أو خبر محذوف والجملة اعتراضية (وماكنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين أوقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أنه من قبيل مايلقى الشياطين على الكهنة (وما ينبغى لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به (ومايستطيعون) وما يقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة فى صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الا من الملائكة (فلاتدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم * روى أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقىّ قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لان من اتبع أعمّ ممن اتبع لدين أوغيره أوللتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للايمان أو المصدّقون باللسان (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل انى برىء مما تعملون) مما تعملونه أومن أعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شرّ من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط (الذى يراك حين تقوم) الى التهجد (وتقلبك فى الساجدين) وتردّدك فى تصفح أحوال المجتهدين * كما روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نسخ قيام فرض الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك

وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۞ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ۞ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۞ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۞ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۞ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۞ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۞ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۞ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ۞ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۞ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۞

سورة النمل مكية وثلاث وتسعون آية

الليلة ببيوت أصحابه لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن أوتصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التى بها يستأهل ولايته بعد وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) لما بين أن القرآن لايصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لايصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله (يلقون السمع وأكثرهم كاذبون) أي الأفاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرّها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه أخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله تعالى ــ كل أفاك أثيم ــ والأظهر أن الاكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلّ من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى أوليائهم أويلقون مسموعهم منهم الى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم أولقصور فهمهم أوضبطهم أو افهامهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه عليه الصلاة والسلام شاعرا وقرره بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) لان أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطراء فيه واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون مالا يفعلون) وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا واعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحثّ على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك * وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشدّ عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أىّ منقلب ينقلبون أى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها أبوبكر لعمر رضى الله تعالى عنهما حين عهد اليه وقرئ أىّ منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون أن ينفلتوا عن عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بنوح وكذّب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدّق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث أوأربع أوخمس وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾ الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته أنه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود أوالقرآن وابانته لما أودع فيه من الحكم والاحكام أولصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة أوبدل لان منها أوخبران آخران أوخبران لمحذوف ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ﴾ الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة ﴿ وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ من تتمة الصلة والواو للحال أوللعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الاوحدون فيه أوجملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ﴿ ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم ﴾ زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس أوالاعمال الحسنة التى وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها ﴿ فهم يعمهون ﴾ عنها لايدركون مايتبعها من ضر أونفع ﴿ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ كالقتل والاسر يوم بدر ﴿ وهم فى الآخرة هم الاخسرون ﴾ أشد الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة ﴿ وانك لتلقى القرآن ﴾ لتؤتاه ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾ أىّ حكيم وأىّ عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل

٢٧٨ سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ۞ هدى وبشرى للمؤمنين ۞ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ۞ ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ۞ أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون ۞ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ۞ اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ۞ فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ۞ يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم ۞ وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون ۞ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ۞ وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين ۞ فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ۞

ويجحدوا

والاشعار بان علوم القرآن منها ماهو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ماليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات * ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله ﴿ اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا ﴾ أى اذكر قصته اذ قال ويجوز أن يتعلق بعليم ﴿ سآتيكم منها بخبر ﴾ أي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان وان أبطأ ﴿ أو آتيكم بشهاب قبس ﴾ شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه قد يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على أن القبس بدل منه أووصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على أنه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر أوثقة بعبادة الله تعالى أنه لايكاد يجمع حرمانين على عبده ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ رجاء أن تستدفؤا بها والصلاء النار العظيمة ﴿ فلما جاءها نودى أن بورك ﴾ أى بورك فان النداء فيه معنى القول أوبأن بورك على أنها مصدرية أومخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا أوقد أوالسين أوسوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى أحكام كثيرة ﴿ من فى النار ومن حولها ﴾ من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر أنه عام فى كل من فى تلك الارض وفى ذلك الواد وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له أمر عظيم تنتشر بركته فى أقطار الشام ﴿ وسبحان الله رب العالمين ﴾ من تمام مانودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر أوتعجب من موسى لما دهاه من عظمته ﴿ ياموسى انه أنا الله ﴾ الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له أوللمتكلم وأنا خبره والله بيان له ﴿ العزيز الحكيم ﴾ صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره يريد أنا القوي القادر على مايبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير ﴿ وألق عصاك ﴾ عطف على بورك أى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى أنا الله بتكرير أن ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ تتحرك باضطراب ﴿ كأنها جانّ ﴾ حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ﴿ ولى مدبرا ولم يعقب ﴾ ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه أن ذلك الامر أريد به ويدل عليه قوله ﴿ ياموسى لاتخف ﴾ أى من غيرى ثقة بى اومطلقا لقوله ﴿ انى لايخاف لدىّ المرسلون ﴾ أى حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس أى من الله تعالى أولا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه ﴿ الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم ﴾ استثناء منقطع استدرك به مايختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها مايبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لايخاف أيضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أى عن ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة ﴿ وأدخل يدك فى جيبك ﴾ لانه كان بمدرعة صوف لا كمّ لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع ﴿ تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ آفة كبرص ﴿ فى تسع آيات ﴾ فى جملتها أومعها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع أن يعد الاخيرين واحدا ولايعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون أواذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿ الى فرعون وقومه ﴾ وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا أومرسلا ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ تعليل للارسال ﴿ فلما جاءتهم آياتنا ﴾ بان جاءهم موسى بها ﴿ مبصرة ﴾ بينة اسم فاعل أطلق للمفعول واشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لوكانت مما يبصر أوذات تبصر من حيث انها تهدي والعمى لاتهتدى فضلا عن أن تهدى أومبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة أي مكانا يكثر فيه التبصر ﴿ قالوا هذا سحر مبين ﴾ واضح سحريته

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين ۝ ولقد آتينا داود وسليمن علما
وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين
۝ وورث سليمن داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق
الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين
۝ وحشر لسليمن جنوده من الجن والإنس والطير فهم
يوزعون ۝ حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها
النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم
لا يشعرون ۝ فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب
أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن
أعمل صالحا ترضيه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصلحين
۝ وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان
من الغائبين ۝ لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه
أو ليأتينى بسلطن مبين ۝ فمكث غير بعيد فقال أحطت
بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين ۝

﴿وجحدوا بها﴾ وكذبوا بها ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ وقد استيقنتها لان الواو للحال ﴿ظلما﴾ لانفسهم ﴿وعلوا﴾ ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علما أى علم ﴿وقالا الحمد لله﴾ عطفه بالواو اشعارا بان ماقالاه بعض ماأتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له مافعلا وقالا الحمد لله ﴿الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ يعنى من لم يؤت علما أو مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ماأوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وأن يتواضع ويعتقد أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير ﴿وورث سليمان داود﴾ النبوة أو العلم أو الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر ﴿وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ﴾ تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ماأوتيه والنطق والمنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق لكل مايصوت به على التشبيه أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها مايتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها مامن جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ✿ ومن ذلك ماحكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا وأوتينا له ولأبيه عليهما الصلاة والسلام أوله وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ماأوتى كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ ﴿ان هذا لهو الفضل المبين﴾ الذي لايخفى على أحد ﴿وحشر﴾ وجمع ﴿لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون﴾ يحبسون بحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ﴿حتى اذا أتوا على وادى النمل﴾ واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى امالان اتيانهم كان من عال أولان المراد قطعه من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادى ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها مابحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لايمتنع أن خلق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق ﴿لايحطمنكم سليمان وجنوده﴾ نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لاأرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر لاجواب له فان النون لاتدخله فى السعة ﴿وهم لايشعرون﴾ بأنهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف أى فهم سليمان والقوم لايشعرون ﴿فتبسم ضاحكا من قولها﴾ تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها وسرورا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره ﴿وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك﴾ أى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى أي أكفه وأرتبطه لاينفلت عنى بحيث لاأنفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء أوزعنى ﴿التى أنعمت على وعلى والدى﴾ ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة أو تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ اتماما للشكر واستدامة للنعمة ﴿وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين﴾ فى عدادهم الجنة ﴿وتفقد الطير﴾ وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد ﴿فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ أم منقطعة كأنه لمالم يره ظن أنه حاضر ولايراه لساتر أو غيره فقال مالى لاأراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له ﴿لأعذبنه عذابا شديدا﴾ كنتف ريشه والقائه فى الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده فى قفص ﴿أولأذبحنه﴾ ليعتبر به أبناء جنسه ﴿أوليأتينى بسلطان مبين﴾ بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على أحد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أوليأتيننى بنونين الاولى مفتوحة مشددة ﴿فمكث غير بعيد﴾ زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف ﴿فقال أحطت بمالم تحط به﴾ يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على أن فى أدنى خلق الله تعالى من أحاط علما بمالم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق ﴿وجئتك من سبأ﴾ وقرأ ابن كثير برواية البزى وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة والبلدة والقواس بهمزة ساكنة ﴿بنبأ يقين﴾ بخبر متحقق ✿ روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام بها ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ماوصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ماحكى ولعل فى عجائب قدرة الله وماخص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها

﴿اني وجدت امرأة تملكهم﴾ يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ أو لاهلها ﴿وأوتيت من كل شئ﴾ يحتاج اليه الملوك ﴿ولها عرش عظيم﴾ عظيم بالنسبة اليها أو الى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ كانهم كانوا يعبدونها ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ عبادة الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم ﴿فصدهم عن السبيل﴾ عن سبيل الحق والصواب ﴿فهم لايهتدون﴾ اليه ﴿ألا يسجدوا لله﴾ فصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لايسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أو لايهتدون الى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أى ألا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت ألا يا اسمع أعظك بخطة * فقلت سميعا فانطق وأصيبي وعلى هذا صح أن يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على لايهتدون فيكون أمرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم مايخفون ومايعلنون﴾ وصفه له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ماخفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج مافى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج مافى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ماتخفون وماتعلنون بالتاء ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ الذى هو أول الاجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون ﴿قال سننظر﴾ سنعرف من النظر بمعنى التأمل ﴿أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ أى أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل ﴿اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم﴾ ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ مايرجع بعضهم الى بعض من القول ﴿قالت﴾ أى بعد ماألقى اليها ﴿ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم﴾ لكرم مضمونه أو مرسله أو لانه كان مختوما أو لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به ﴿انه من سليمان﴾ استئناف كأنه قيل لها ممن هو وماهو فقالت انه أى ان الكتاب أو العنوان من سليمان ﴿وانه﴾ أى وان المكتوب أو المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب أو التعليل لكرمه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على﴾ أن مفسرة أو مصدرية فتكون بصلتها خبر محذوف أى هو أو المقصود أن لاتعلوا أو بدل من كتاب ﴿وائتوني مسلمين﴾ مؤمنين أو منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحا او التزاما والنهى عن الترفع الذي هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة ﴿قالت ياأيها الملأ أفتونى في أمرى﴾ أجيبونى فى أمرى الفتى واذكروا ماتستصوبون فيه ﴿ما كنت قاطعة أمرا﴾ ما أبت أمرا ﴿حتى تشهدون﴾ الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة ﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ بالاجساد والعدد ﴿وأولوا باس شديد﴾ نجدة وشجاعة ﴿والامر اليك﴾ موكول ﴿فانظرى ماذا تأمرين﴾ من المقاتلة أو الصلح نطعك ونتبع رأيك ﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية﴾ عنوة وغلبة ﴿أفسدوها﴾ تزييف لما أحست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من أموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لاتدرى عاقبتها ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر ﴿وكذلك يفعلون﴾ تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله عز وجل ﴿واني مرسلة اليهم بهدية﴾ بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكى ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ من حاله حتى أعمل بحسب ذلك * روى أنها بعثت منذرين عمرو في وفد وأرسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فى الدرة وأمر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية

انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش
عظيم ۞ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
وزين لهم الشيطن أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون ۞
ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموت والارض ويعلم
ماتخفون وماتعلنون ۞ الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم ۞ قال سننظر أصدقت أم كنت من الكذبين ۞ اذهب
بكتبى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ۞
قالت ياأيها الملؤا انى ألقى الى كتب كريم ۞ انه من سليمن وانه
بسم الله الرحمن الرحيم ۞ ألا تعلوا على وأتونى
مسلمين ۞ قالت ياأيها الملؤا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة
أمرا حتى تشهدون ۞ قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس
شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين ۞ قالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة
أهلها أذلة وكذلك يفعلون ۞ وانى مرسلة
اليهم بهدية فنظرة بم يرجع المرسلون ۞

(فلما جاء سليمان) أى الرسول أوما أهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدّوننى بمال) خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فما آتاني الله) من النبوّة والملك الذى لامزيد عليه وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء والباقون باسكانها وبامالتها الكسائى وحده (خير مما آتاكم) فلاحاجة لى الى هديتكم ولاوقع لهاعندى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) لانكم لا تعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تهدونه افتخارا على أمثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) أيها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولاقدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون) أسراء مهانون (قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) أراد بذلك أن يريها بعض ماخصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوّة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره (قبل أن يأتوني مسلمين) فانها اذا أتت مسلمة لم يحل أخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (واني عليه) على حمله (لقوى أمين) لا أختزل منه شيأ ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك أيده الله به أو سليمان عليه السلام نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد اظهار

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ
ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ
۞ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى
مُسْلِمِينَ ۞ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ
مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۞ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ
ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ
فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۞ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ
تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ
قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۞
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ
كَٰفِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً
وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ

معجزة فى نقله فتحداهم أوّلا ثم أراهم أنه يتأتي له مالايتأتي لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله

وكنت اذا أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف بردّ الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شئ فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) أى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربي) تفضل به علىّ من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أو غيره والكلام فى امكان مثله قد مرّ فى آية الاسراء (ليبلونى أأشكر) بان أراه فضلا من الله تعالى بلاحول منى ولاقوّة واقوم بحقه (أم أكفر) بان أجد نفسى فى البين أو أقصر في أداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران (ومن كفر فان ربي غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون) الى معرفته أو الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليها الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوّتك قبل هذه الحالة أو المعجزة مما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان عليه السلام وقومه وعطفوه على جوابها لمافيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوّزت أن يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لايقدر عليها غير الله تعالى ولاتظهر الاعلى يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ماجاء به من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه ولم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكر الله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صدها على الاول أي صدها نشؤها بين أظهر الكفار أو التعليل له (قيل لها ادخلى الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) * روى أنه أمر قبل قدومها ببناء قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق وأسؤق (قال انه) ان ماظننته ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج

﴿قالت رب اني ظلمت نفسى﴾ بعبادتي الشمس وقيـل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ فيما أمر به عباده وقد اختلف فى ا
تزوجها أو زوجها من ذى تبع ملك همدان ﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله﴾ بان اعبدوا الله وقرئ بضم النون على اتباعها الباء ﴿فاذا هم فريقان يختصمون
ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا ﴿قبل الحسنة﴾ قبل التو
فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ ﴿لولا تستغفرون الله﴾ قبل نزوله ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها فانها لاتقبل حينئذ ﴿قالوا اطيرنا
تشاء منا ﴿بك وبمن معك﴾ اذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم ﴿قال طائركم﴾ سببكم الذى جاء منه شركم ﴿عند الله﴾ وهو قدره أو عملكم
المكتوب عنده ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ مايحيق بهم الى ذكر ماهو الداعي اليه ﴿وكان فى المدينة
تسعة رهط﴾ تسعة أنفس وانما وقع تميزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة أو السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة ﴿يفسدون فى الارض
ولا يصلحون﴾ أى شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح ﴿قالوا﴾ أى قال بعضهم لبعض ﴿تقاسموا بالله﴾ أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا باضمار قد ﴿لنبيتنه وأهله﴾
لنباغتن صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزه والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على أن تقاسموا خبر ﴿ثم لنقولن﴾ فيه القرا آت الثلاث ﴿لوليه﴾ لولى دمه ﴿ما
شهدنا مهلك أهله﴾ فضلا أن تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون
مصدرا ﴿وانا لصادقون﴾ ونحلف انا لصادقون أو والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم
كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذه المواضعة ﴿ومكرنا مكرا﴾
بان جعلناها سببا لاهلاكهم ﴿وهم لايشعرون﴾ بذلك * روى أنه كان لصالح فى الحجر
مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث
فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة
وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة كما أشار اليه قوله ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف
أو خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون
ويعقوب أنا دمرناهم بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال
﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ خالية من خوى البطن اذا خلا أو ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا
سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف ﴿بما ظلموا﴾
بسبب ظلمهم ﴿ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون﴾ فيتعظون ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾ صالحا
ومن معه ﴿وكانوا يتقون﴾ الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة ﴿ولوطا﴾ واذكر
لوطا أو وأرسلنا لوطا لدلالة ولقد أرسلنا عليه ﴿اذ قال لقومه﴾ بدل على الاول وظرف
على الثاني ﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف
القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون
أفحش ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة﴾ بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على
قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لاقضاء الوطر ﴿من دون النساء﴾
اللاتى خلقن لذلك ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها
لايميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معني المخاطب

قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ
اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ
تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ۞ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ۞ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۞ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ
لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ
وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ
وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝ قُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا
يُشْرِكُونَ ۝ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ
قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ أَمَّنْ
يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمَّنْ
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا بَيْنَ
يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝

(فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن أفعالنا أوعن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدّرنا كونها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مرّ مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بعد ماقصّ عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وماخصّ به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدا بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما أنعم عليهم أوعلمه ماجهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين أولوطا بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير أما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم أن لاخير فيما أشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ أبوعمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (أمن) بل أمن (خلق السموات والارض) التى هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله (وأنزل لكم) لأجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لايقدر عليه غيره كما أشار اليه بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (أاله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ أالها باضمار فعل مثل أتدعون أوأتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من أمن خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (أنهارا) جارية (وجعل لها رواسى) جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالح أوخليجى فارس والروم (حاجزا) برزخا وقد مرّ بيانه فى سورة الفرقان (أاله مع الله بل أكثرهم لايعلمون) الحق فيشركون به (أمن يجيب المضطرّ اذا دعاه) المضطرّ الذى أحوجه شدّة مابه الى الالتجا الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان مايسوؤه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم (أاله مع الله) الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قليلا ماتذكرون) أى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا ومامزيدة والمراد بالقلة العدم أوالحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبوعمرو وهشام وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى واضافتها الى البر والبحر للملابسة أومشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لامنار بها (ومن يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر ولوصحّ أن السبب الأكثرى فى تكوّن الرياح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهواء فلا شك أن الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (أاله مع الله) يقدر على مثل ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق

﴿ أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ والكفرة وان أنكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ﴿ ومن يرزقكم من السماء والارض ﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية ﴿ أاله مع الله ﴾ يفعل ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ على أن غيره يقدر على شئ من ذلك ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية ﴿ قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ﴾ لما بين اختصاصه تعالى بالقدرة التامة الفائقة العامة أتبعه ماهو كاللازم له وهو التفرّد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم أومتصل على أن المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعمّ الله تعالى وأولى العلم من خلقه وهو موصول أوموصوف ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ متى ينشرون مركبة من أى وآن وقرئت بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة ﴿ بل أدرك علمهم فى الآخرة ﴾ لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو ما لهم لامحالة بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لامحالة لايعلمونه كما ينبغى ﴿ بل هم فى شكّ منها ﴾ كمن تحير فى الأمر لايجد عليه دليلا ﴿ بل هم منها عمون ﴾ لايدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الي الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لأحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم الى وصفهم باستحكام علمهم فى أمر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لأن تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أوتتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وأبوبكر ادّرك وأصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآأدرك بألف بينهما وبل أدرك وبل تدارك وبلى أأدرك وبلى أأدرك وأم ادرك وأم تدارك ومافيه استفهام صريح أومضمن من ذلك فانكار ومافيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل انهم منها عمون أورد وانكار لشعورهم ﴿ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ﴾ كالبيان لعمههم والعامل فى اذا مادل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لالمخرجون لأن كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الأجداث أومن حال الفناء الى الحياة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي اننا لمخرجون بنونين على الخبر ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ﴾ من قبل وعد محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث أخر فالمقصود به المبعوث ﴿ ان هذا الا أساطير الأوّلين ﴾ التى هي كالاسمار ﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل مانزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا بالمؤمنين فى ترك الجرائم ﴿ ولاتحزن عليهم ﴾ على تكذيبهم واعراضهم ﴿ ولاتكن في ضيق ﴾ فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق أى أمر ضيق ﴿ مما يمكرون ﴾ من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ العذاب الموعود ﴿ ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم ﴾ تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معني فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ بعض الذى تستعجلون ﴾ حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعلّ وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واشعارا بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده ﴿ وانّ ربك لذو فضل على الناس ﴾ لتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ﴿ ولكنّ أكثرهم لايشكرون ﴾ لايعرفون حق النعمة فيه فلايشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه ﴿ وانّ ربك ليعلم ماتكنّ صدورهم ﴾ ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت أى سترت ﴿ ومايعلنون ﴾ من عداوتك فيجازيهم عليه ﴿ ومامن غائبة فى السماء والارض ﴾ خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية أواسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية وعاقبة ﴿ الا فى كتاب مبين ﴾ بين أو مبين مافيه لمن يطالعه والمراد اللوح أو القضاء على الاستعارة ﴿ انّ هذا القرآن يقصّ على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ﴾ كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح

أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ۞ قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ۞ بل ادّرك علمهم فى الاخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ۞ وقال الذين كفروا أءذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون ۞ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين ۞ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ۞ ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون ۞ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ۞ قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ۞ وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون ۞ وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ۞ وما من غائبة فى السماء والارض إلا فى كتاب مبين ۞ إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون ۞

وَاِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ اِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۞ اِنَّكَ
لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ اِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۞
وَمَا اَنْتَ بِهَادِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ اِنْ تُسْمِعُ اِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِاٰيَاتِنَا فَهُمْ
مُسْلِمُونَ ۞ وَاِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ اَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْاَرْضِ
تُكَلِّمُهُمْ اَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِاٰيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۞ وَيَوْمَ
نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِاٰيَاتِنَا فَهُمْ
يُوزَعُونَ ۞ حَتّٰى اِذَا جَاؤُ قَالَ اَكَذَّبْتُمْ بِاٰيَاتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا
عِلْمًا اَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا
فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ۞ اَلَمْ يَرَوْا اَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ
وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
۞ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى
الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ وَكُلٌّ اَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۞ وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللّٰهِ
الَّذِى اَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ اِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۞

﴿ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ فانهم المنتفعون به ﴿ انّ ربك يقضى بينهـم ﴾ بين بنى اسرائيل ﴿ بحكمه ﴾ بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويدل عليه أنه قرئ بحكمه ﴿ وهو العزيز ﴾ فلايردّ قضاؤه ﴿ العليم ﴾ بحقيقة مايقضى فيه وحكمه ﴿ فتوكل على الله ﴾ ولاتبال بمعاداتهم ﴿ انك على الحق المبين ﴾ وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره ﴿ انك لاتسمع الموتى ﴾ تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع مايتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ﴿ ولاتسمع الصمّ الدّعاء اذا ولوا مدبرين ﴾ فان اسماعهم فى هذه الحالة أبعد وقرأ ابن كثير ولايسمع الصم ﴿ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ حيث الهداية لاتحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهـدى العمى ﴿ ان تسمع ﴾ أى مايجـدى اسماعك ﴿ الا من يؤمن بآياتنا ﴾ من هو فى علم الله كذلك ﴿ فهم مسلمون ﴾ مخلصون من أسلم وجهه لله ﴿ واذا وقع القول عليهـم ﴾ اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب ﴿أخرجنا لهـم دابة من الارض ﴾ وهي الجساسة ❊ روى أن طولها ستون ذراعا ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لايفوتها هارب ولايدركها طالب ❊ وروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل من أين مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعنى المسجد الحرام ﴿تكلمهم﴾ من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم ❊ وروى أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا فى مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم فى أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ﴿ انّ الناس كانوا بآياتنا ﴾ خروجها وسائر أحوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح ﴿ لايوقنون ﴾ لايتيقنون وهو حكاية معنى قولها أوحكايتها لقول الله عزّ وجـل أوعلة خروجها أوتكلمها على حذف الجار ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ ممن يكذّب بآياتنا ﴾ بيان للفوج أي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصـدّقين والمكذبين ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ﴿ حتى اذا جاؤا ﴾ الى المحشر ﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما ﴾ الواو للحال أي أكذبتم بها بادئ الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أوالتكذيب أو للعطف أى أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها ﴿ أماذا كنتم تعملون ﴾ أم أى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿ ووقع القول عليهم ﴾ حلّ بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك ﴿ بما ظلموا ﴾ بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله ﴿ فهم لاينطقون ﴾ باعتـذار لشغلهم بالعذاب ﴿ ألم يروا ﴾ ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لايكون الا بقدرة قاهر وأن من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة فى مواد الابدان وأن من جعـل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشهم لعله لايخلّ بما هو مناط جميع مصالحهـم في معاشهم ومعادهم ﴿ أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ﴾ بالنوم والقرار ﴿ والنهار مبصرا ﴾ فان أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من أحواله المجعول عليها بحيث لاينفك عنها ﴿ انّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ لدلالتها على الامور الثلاثة ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ﴾ في الصور أو القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ﴿ ففزع من في السموات ومن في الارض ﴾ من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه ﴿ الا من شاء الله ﴾ أن لايفزع بأن يثبت قلبه ❊ قيـل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه الصلاة والسلام لانه صعق مرة ولعل المراد مايعم ذلك ﴿ وكل آتوه ﴾ حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية أوراجعون الى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه على التوحيد للفظ الكل ﴿ داخرين ﴾ صاغرين وقرئ دخرين ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾ ثابتة فى مكانها ﴿ وهي تمرّ مرّ السحاب ﴾ فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد لاتكاد تبين حركتها ﴿ صنع الله ﴾ مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله ـ وعد الله ـ ﴿ الذي أتقن كل شئ ﴾ أحكم خلقه وسوّاه على ماينبغى ﴿ انه خبير بما تفعلون ﴾ عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيكم عليها كما قال

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها ﴾ اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها أى خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء ﴿ وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول مايلحق الانسان من التهيب لمايرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم وآمن يتعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ قيل بالشرك ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾ فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم كما أريدت بالايدى في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴿ هل تجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ على الالتفات أو باضمار القول اى قيل لهم ذلك ﴿ انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ﴾ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ذلك بعد مابين المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة اشعارا بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وماعليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها ﴿ وله كل شئ ﴾ خلقا وملكا ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ أو اتباعه وقرئ واتل عليهم وأن اتل ﴿ فمن اهتدى ﴾ باتباعه اياى في ذلك ﴿ فانما يهتدى لنفسه ﴾ فان منافعه عائدة اليه ﴿ ومن ضل ﴾ بمخالفتى ﴿ فقل انما أنا من المنذرين ﴾ فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت ﴿ وقل الحمد لله ﴾ على نعمة النبوة أو على ماعلمنى ووفقنى للعمل به ﴿ سيريكم آياته ﴾ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض أو في الآخرة ﴿ فتعرفونها ﴾ فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة ﴿ وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهودا وصالحا وابراهيم وشعيبا ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿ سورة القصص مكية وقيل الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وهى ثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك ﴾ نقرؤه بقراءة جبريل ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازا ﴿ من نبأ موسى وفرعون ﴾ بعض نبئهما مفعول نتلو ﴿ بالحق ﴾ محقين ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ ان فرعون علا فى الارض ﴾ استئناف مبين لذلك البعض والارض أرض مصر ﴿ وجعل أهلها شيعا ﴾ فرقا يشيعونه فيما يريد أو يشيع بعضهم بعضا فى طاعته أو أصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل أو أحزابا بان أغرى بينهم العداوة كى لا يتفقوا عليه ﴿ يستضعف طائفة منهم ﴾ وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله ﴿ يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ﴾ بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه ﴿ انه كان من المفسدين ﴾ فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الانبياء لتخيل فاسد ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ﴾ أن نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا فى الارض من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ أو حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع أن منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن تجرى مجرى المقارن ﴿ ونجعلهم أئمة ﴾ مقدمين فى أمر الدين ﴿ ونجعلهم الوارثين ﴾ لما كان فى ملك فرعون وقومه

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۞ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞

سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم ۞ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۞ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۞

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى
أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا
تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
۞ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا
إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۞
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا
عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ
قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞
وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۞
فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞

﴿ونمكن لهم في الارض﴾ أرض مصر والشام واصل التمكين أن تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني اسرائيل ﴿ماكانوا يحذرون﴾ من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع ﴿وأوحينا الى أم موسى﴾ بالهام أورؤيا ﴿أن أرضعيه﴾ ماأمكنك اخفاؤه ﴿فاذا خفت عليه﴾ بأن يحس به ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر يريد النيل ﴿ولاتخافي﴾ عليه ضيعة ولاشدة ﴿ولاتحزني﴾ لفراقه ﴿اناراد وه اليك﴾ عن قريب بحيث تأمنين عليه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ * روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نوربين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه في قلبها بحيث منعها من السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي وحزنا ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ في كل شئ فليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفا لاجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ماكانوا يحذرون أومذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أوخاطين الصواب الى الخطأ ﴿وقالت امرأت فرعون﴾ أى لفرعون حين أخرجته من التابوت ﴿قرة عين لى ولك﴾ هوقرة عين لنا لانهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه أولانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لالى ولوقال هولى كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لاتقتلوه﴾ خطاب بلفظ الجمع للتعظيم ﴿عسى أن ينفعنا﴾ فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه ﴿أو نتخذه ولدا﴾ أونتبناه فانه أهل له ﴿وهم لايشعرون﴾ حال من الملتقطين أومن القائلة والمقول له أى وهم لايشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه أوفي طمع النفع منه والتبني له أومن أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لايشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خلاء لاعقول فيها ويؤيده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر أومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أوسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه ﴿ان كادت لتبدى به﴾ انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الضجر أوالفرح لتبنيه ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر والثبات ﴿لتكون من المؤمنين﴾ من المصدقين بوعد الله أومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة في جوار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همزواووجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله ﴿وقالت لاخته﴾ مريم ﴿قصيه﴾ اتبعي أثره وتتبعي خبره ﴿فبصرت به عن جنب﴾ عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه ﴿وهم لايشعرون﴾ أنها تقص أوأنها أخته ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ ومنعناه أن يرتضع من المرضعات جمع مرضع أومرضع وهو الرضاع أوموضعه يعني الثدى ﴿من قبل﴾ من قبل قصها أثره ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ لاجلكم ﴿وهم له ناصحون﴾ لايقصرون في ارضاعه وتربيته * روى أن هامان لما سمعه قال انها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون أن تأتي بمن يكفله فأتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى الاثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لاأوتي بصبي الاقبلني فدفعه اليها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله تعالى ﴿فرددناه الى أمه كي تقر عينها﴾ بولدها ﴿ولاتحزن﴾ بفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ علم مشاهدة ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ أن وعده حق فيرتابون فيه أوأن الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فوعون

﴿ولما بلغ أشدّه﴾ مبلغه الذى لايزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ * وروى انه لم يبعث نبيّ الاعلى رأس الاربعين سنة ﴿واستوى﴾ قدّه أوعقله ﴿آتيناه حكما﴾ أى نبوّة ﴿وعلما﴾ بالدين أوعلم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلايقول ولايفعل مايستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وأمه ﴿نجزى المحسنين﴾ على احسانهم ﴿ودخل المدينة﴾ ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف أوحابين أوعين شمس من نواحيها ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ فى وقت لايعتاد دخولها ولايتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه﴾ أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنواسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية ﴿فاستغاثه الذى من شيعته على الذى﴾ هو ﴿من عدوّه﴾ فسأله أن يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه ﴿فوكزه موسى﴾ فضرب القبطىّ بجمع كفه وقرئ فلكزه أى فضرب به صدره ﴿فقضى عليه﴾ فقتله وأصله فأنهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ لانه لم يؤمر بقتل الكفار أولانه كان مامونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولايقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم ﴿انه عدو مضلّ مبين﴾ ظاهر العداوة ﴿قال رب انى ظلمت نفسى﴾ بقتله ﴿فاغفرلى﴾ ذنبى ﴿فغفر له﴾ لاستغفاره ﴿انه هو الغفور﴾ لذنوب عباده ﴿الرحيم﴾ بهم ﴿قال رب بما أنعمت علىّ﴾ قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لأتوبنّ ﴿فلن أكون ظهيرا للمجرمين﴾ أواستعطاف أى بحق انعامك على اعصمنى فلن أكون معينا لمن أدت معاونته الى جرم * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه لم يستثن فابتلى به مرة أخرى وقيل معناه بما أنعمت على من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها فى مظاهرة أعدائك ﴿فأصبح فى المدينة خائفا يترقب﴾ يترصد الاستقادة ﴿فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه﴾ يستغيثه مشتق من الصراخ ﴿قال له موسى انك لغوىّ مبين﴾ بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدوّ لهما﴾ لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا أعداء لبنى اسرائيل ﴿قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس﴾ قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه أوالقبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرائيلى ﴿ان تريد﴾ ماتريد ﴿الا أن تكون جبارا فى الارض﴾ تطاول على الناس ولاتنظر فى العواقب ﴿وماتريد أن تكون من المصلحين﴾ بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى أحسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه وهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ يسرع صفة رجل أوحال منه اذاجعل من أقصى المدينة صفة له لاصلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف ﴿قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿فاخرج انى لك من الناصحين﴾ اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصله لايتقدم الموصول ﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفا يترقب﴾ لحوق طالب ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۞ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞

ولما

(ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم تكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) توكلا على الله وحسن ظن به وكان لايعرف الطريق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين (ولما ورد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان أسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنامهم (قال ماخطبكما) ماشأنكما تذودان (قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء) تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان مايدل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثم دونه وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أى يصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال (وأبونا شيخ كبير) كبير السن لايستطيع أن يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما) مواشيهما رحمة عليهما * قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الاسبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الىّ) لأى شئ أنزلت الى (من خير) قليل أوكثير وحمله الاكثرون على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما أنزلت الىّ من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) أى مستحية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء أوصفراء وهي التى تزوّجها موسى عليه السلام (قالت ان أبي يدعوك ليجزيك) ليكافئك (أجر ماسقيت لنا) جزاء سقيك لنا ولعل موسى عليه الصلاة والسلام انما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لاطمعا في الاجر بل روى أنه لما جاءه

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞

قدّم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا أهل بيت لانبيع ديننا بالدنيا حتى قال له شعيب عليه الصلاة والسلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان كل من فعل معروفا فأهدي بشئ لم يحرم أخذه (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه (قالت احداهما) يعني التى استدعته (يا أبت استأجره) لرعي الغنم (ان خير من استأجرت القوىّ الامين) تعليل شائع يجرى مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على أنه امرؤ مجرب معروف * روى أن شعيبا قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وأنه صوّب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشى خلفه (قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى) أى تأجر نفسك منى أوتكون لى أجيرا أوتثيبنى من أجرك الله (ثمانى حجج) ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف أى رعية ثمانى حجج (فان أتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لامن عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لانفسه فلعله جرى على أجرة معينة وبمهر آخر أوبرعية الاجل الاول ووعد له أن يوفى الأخيران تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوّجة مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك (وما أريد أن أشق عليك) بالزام اتمام العشر أوالمناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان مايصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك فى مزاولته (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بينى وبينك) أى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لانخرج عنه (أيما الاجلين) أطولهما أوأقصرهما (قضيت) وفيتك اياه (فلاعدوان علىّ) لاتعتدى علىّ بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أوفلا أكون متعديا بترك الزيادة عليه كقولك لااثم علىّ وهو أبلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين في القضاء من أن يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علىّ وقرئ أيما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره

وأى الاجلين ماقضيت فتكون مامزيدة لتأكيد الفعل أى أىّ الاجلين جردت عزمى لقضائه وعدوان بالكسر (والله على مانقول) من المشارطة (وكيل) شاهد حفيظ

﴿فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله﴾ بامرأته * روى أنه قضى أقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا أخرى ثم عزم على الرجوع ﴿آنس من جانب الطور نارا﴾ أبصر من الجهة التى تلى الطور ﴿قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر﴾ بخبر الطريق ﴿أو جذوة﴾ عود غليظ سواء كان فى رأسه نار أولم يكن قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذي غير خوّار ولادعر وقال آخر وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليه حرها والتهابها

ولذلك بينه بقوله ﴿من النار﴾ وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات ﴿لعلكم تصطلون﴾ تستدفئون بها ﴿فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن﴾ أتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى ﴿في البقعة المباركة﴾ متصل بالشاطئ أوصلة لنودى ﴿من الشجرة﴾ بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت ثابتة على الشاطئ ﴿أن ياموسى﴾ أى ياموسى ﴿اني أنا الله رب العالمين﴾ هذا وان خالف مافى طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز﴾ أي فألقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز ﴿كأنها جانّ﴾ فى الهيئة والجثة أوفى السرعة ﴿ولى مدبرا﴾ منهزما من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ ولم يرجع ﴿ياموسى﴾ نودى ياموسى ﴿أقبل ولاتخف انك من الآمنين﴾ من المخاوف فانه لايخاف لدىّ المرسلون ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ أدخلها ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ عيب ﴿واضمم اليك جناحك﴾ يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأنّ ضمهما اليه ﴿من الرهب﴾ من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات ﴿فذانك﴾ اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس ﴿برهانان﴾ حجتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن ﴿من ربك﴾ مرسلا بهما ﴿الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم ﴿قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون﴾ بها ﴿وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ﴾ معينا وهو في الاصل اسم مايعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف ﴿يصدقنى﴾ بتخليص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة ﴿اني أخاف أن يكذبون﴾ ولساني لايطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف ﴿قال سنشدّ عضدك بأخيك﴾ سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ﴿ونجعل لكما سلطانا﴾ غلبة أوحجة ﴿فلا يصلون اليكما﴾ باستيلاء أوحجاج ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف أى اذهبا بآياتنا أوبنجعل أى نسلطكما بها أوبمعنى لايصلون أى تمتنعون منهم أوقسم جوابه لايصلون أوبيان للغالبون فى قوله ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ بمعنى أنه صلة لما بينه أوصلة له على أن اللام فيه للتعريف لابمعنى الذى

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ
ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّآ
أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ
مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ وَأَنْ
أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۞
ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۞ قَالَ
رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞
وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ
رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنَشُدُّ
عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ۞

(فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر (وما سمعنا بهذا) يعنون السحر أو ادعاء النبوة (في آبائنا الأولين) كائنا في أيامهم (وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) فيعلم أني محق وأنتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قال ما قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت مجازا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء (إنه لا يفلح الظالمون) لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويتطلع على الحال بقوله (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال (وإني لأظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبني له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى ـ أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ـ فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره قوله تعالى ـ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ـ (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم أئمة) قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى ـ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ـ أو بمنع الألطاف الصارفة عنه (يدعون إلى النار) إلى موجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين أو ممن قبح وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) أقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) أنوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل (وهدى) إلى الشرائع التي هي سبل الله تعالى (ورحمة) لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله سبحانه وتعالى (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۞
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ
تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۞
وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي
فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ وَاسْتَكْبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا
لَا يُرْجَعُونَ ۞ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۞
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
لَا يُنْصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞

﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ يريد الوادي أو الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى أو الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى ما كنت حاضرا ﴿ اذ قضينا الى موسى الامر ﴾ اذ أوحينا اليه الامر الذى أردنا تعريفه ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ للوحى اليه أو على الوحي اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لاتعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله ﴿ ولـكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ﴾ أى ولـكنا أوحينا اليك لأ نا أنشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرّفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقام سببه مقامه ﴿ وما كنت ثاويا ﴾ مقيما ﴿ فى أهل مدين ﴾ شعيب والمؤمنين به ﴿ تتلوا عليهم ﴾ تقرأ عليهم تعلما منهم ﴿ آياتنا ﴾ التى فيها قصتهم ﴿ ولـكنا كنا مرسلين ﴾ اياك ومخبرين لك بها ﴿ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ﴾ لعلّ المراد به وقت ما أعطاه التوراة وبالأ ول حين ما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة ﴿ ولكن ﴾ علمناك ﴿ رحمة من ربك ﴾ وقرئت بالرفع على هذه رحمة من ربك ﴿ لتنذر قوما ﴾ متعلق بالفعل المحذوف ﴿ ماأتاهم من نذير من قبلك ﴾ لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كانت مختصة ببنى اسرائيل وماحواليهم ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا ﴾ لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها انما أجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء مايجاب به وأنه لايصـدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعني لولا قولهم اذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونـكون من المصدّقين ما أرسلناك أى انما أرسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم ﴿ فنتبع آياتك ﴾ يعنى الرسول المصدّق بنوع من المعجزات ﴿ ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عنـدنا قالوا لولا أوتي مثـل ما أوتي موسى ﴾ من الـكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا ﴿ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ﴾ يعنى أبناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى أوكان فرعون عربيا من أولاد عاد ﴿ قالوا ساحران ﴾ يعنى موسى وهرون أوموسى ومحمدا عليهما الصلاة والسلام ﴿ تظاهرا ﴾ تعاونا باظهار تلك الخوارق أو بتوافق الـكتابين وقرأ الـكوفيون سحران بتقدير مضاف أوجعلهما سحرين مبالغـة أو اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام ﴿ وقالوا انا بكل كافرون ﴾ أى بكل منهـما أو بكل الانبياء ﴿ قل فائتوا بكتاب من عنـد الله هو أهدى منهما ﴾ مما أنزل على موسى وعلى محمد واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ أتبعه ان كنتم صادقين ﴾ انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم ﴿ فان لم يستجيبوا لك ﴾ دعاءك الى الاتيان بالـكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولأ ن فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدى اليه حـذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعايا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عنـد ذاك مجيب

﴿ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ اذ لو اتبعوا حجة لأ توا بها ﴿ ومن أضلّ ممن اتبع هواه ﴾ استفهام بمعنى النفى ﴿ بغير هدى من الله ﴾ فى موضع الحال للتأ كيد أو التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ﴿ ان الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۞ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا
مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَلَوْلَا
أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا
لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا
أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ
مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ
كَافِرُونَ ۞ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا
أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا
بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝ أُولَٰئِكَ
يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ
وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
الْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ
مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ
ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ
مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۝

(ولقد وصلنا لهم القول) أتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) * نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) أي بأنه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على أن ايمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ وانما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم أتبع السيئة الحسنة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للاغين (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا أو دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغي الجاهلين) لانطلب صحبتهم ولانريدها (انك لاتهدي من أحببت) لاتقدر على أن تدخلهم في الاسلام (ولكن الله يهدي من يشاء) فيدخله في الاسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك * والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لااله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله قال يا ابن أخي قد علمت انك لصادق ولكن أكره أن يقال خدع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نخرج منها * نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) أولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء (ثمرات كل شيء) من كل أوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لايعلمون) جهلة لايتفطنون له ولايتفكرون ليعلموه وقيل انه متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم لايعلمون اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى أو حال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الامر بالعكس فانهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله على ماهم عليه بقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) من السكنى اذ لايسكنها الا المارة يوما أو بعض يوم أو لايبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو باضمار زمان مضاف اليها أو مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وما كان ربك) وما كانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث في أمها) في أصلها التي هي أعمالها لأن أهلها تكون أفطن وأنبل (رسولا يتلوا عليهم آياتنا) لالزام الحجة وقطع المعذرة (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتو في الكفر

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا
عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَأَبْقٰى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۞ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا
حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
هُوَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا
هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا
إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ۞ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ۞
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ۞ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسٰى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ۞ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللّٰهِ وَتَعَالٰى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا
يُعْلِنُونَ ۞ وَهُوَ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولٰى
وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞

﴿وما أوتيتم من شئ﴾ من أسباب الدنيا ﴿فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها﴾ تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية ﴿وماعند الله﴾ وهوثوابه ﴿خير﴾ فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة ﴿وأبقى﴾ لانه أبدى ﴿أفلاتعقلون﴾ فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هوخير وقرأ أبوعمرو بالياءوهو أبلغ فى الموعظة ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا﴾ وعدابالجنة فانحسن الوعد بحسن الموعود ﴿فهو لاقيه﴾ مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معني السببية ﴿كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا﴾ الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر على الانقطاع ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ للحساب أوالعذاب وثم للتراخى فى الزمان أوالرتبة وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتبت عليها بالفاء ﴿ويوم يناديهم﴾ عطف على يوم القيامة أومنصوب باذكر ﴿فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ أى الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله تعالى ـ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ـ وغيره من آيات الوعيد ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى هؤلاء الذين أغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ أى أغويناهم فغووا غيا مثل ماغوينا وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم الاوسوسة وتسويلا ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لاجل مااتصل به فافادة زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ أي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل مامصدرية متصلة بتبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم﴾ من فرط الحيرة ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ لعجزهم عن الاجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ لازما بهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أوالى الحق لما رأوا العذاب وقيل لوللتمنى أى تمنوا أنهم كانوا مهتدين ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ عطف على الاول فانه تعالى يسال أولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء ﴿فعميت عليهم الانباء يومئذ﴾ فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن مايحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا أخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماأجابوا به الرسل أومايعمها وغيرها فاذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء ﴿فهم لايتساءلون﴾ لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أوالعلم بانه مثله في العجز ﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحا﴾ وجمع بين الايمان والعمل الصالح ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام أوترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح ﴿وربك يخلق مايشاء ويختار﴾ لاموجب عليه ولامانع له ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف * ويؤيده ماروى أنه نزل فى قولهم ـ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ وقيل ماموصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة أى الخير والصلاح ﴿سبحان الله﴾ تنزيه له أن ينازعه أحد أويزاحم اختياره اختيار ﴿وتعالى عما يشركون﴾ عن اشراكهم أومشاركة مايشركونه ﴿وربك يعلم ماتكن صدورهم﴾ كعداوة الرسول وحقده ﴿ومايعلنون﴾ كالطعن فيه ﴿وهو الله﴾ المستحق للعبادة ﴿لااله الاهو﴾ لاأحد يستحقها الاهو ﴿له الحمد فى الاولى والآخرة﴾ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم ـ الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ـ الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿وله الحكم﴾ القضاء النافذ فى كل شئ ﴿واليه ترجعون﴾ بالنشور

﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا﴾ دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص ﴿الى يوم القيامة﴾ باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الافق الغائر ﴿من اله غير الله يأتيكم بضياء﴾ كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين ﴿أفلاتسمعون﴾ سماع تدبر واستبصار ﴿قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة﴾ باسكانها فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق ﴿من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة عن متاعب الأشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل ولان منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به ﴿أفلاتسمعون﴾ وبالليل ﴿أفلاتبصرون﴾ لان استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ فى الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ فى النهار بانواع المكاسب ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشئ أجلب لغضب الله من الاشراك به أو الاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان أنه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ﴿ونزعنا﴾ وأخرجنا ﴿من كل أمة شهيدا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فقلنا﴾ للأمم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدينون به ﴿فعلموا﴾ حينئذ ﴿أن الحق لله﴾ فى الالوهية لايشاركه فيها أحد ﴿وضل عنهم﴾ وغاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث ابن لاوى وكان ممن آمن به ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم * قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل أو حسدهم * لما روى أنه قال لموسى عليه السلام لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شئ الى متى أصبر قال موسى هذا صنع الله ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ من الاموال المدخرة

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ
غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِنْ
رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ وَنَزَعْنَا
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا
أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ إِنَّ
قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ
مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ
لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۞
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ
مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۞

﴿ما ان مفاتحه﴾ مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو مايفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح ﴿لتنوء بالعصبة أولى القوة﴾ خبران والجملة صلة وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ﴿اذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء ﴿لاتفرح﴾ لاتبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان مافيها من اللذة مفارقة لامحالة يوجب الترح كما قيل

أشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

ولذلك قال تعالى - ولاتفرحوا بما آتاكم - وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ﴿ان الله لايحب الفرحين﴾ أى بزخارف الدنيا ﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من الغنى ﴿الدار الآخرة﴾ بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه أن يكون وصلة اليها ﴿ولاتنس﴾ ولاتترك ترك المنسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك ﴿وأحسن﴾ الى عباد الله ﴿كما أحسن الله اليك﴾ فيما أنعم الله عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن اليك بالانعام ﴿ولاتبغ الفساد فى الارض﴾ بامر يكون علة للظلم والبغى نهى له عن ما كان عليه من الظلم والبغى ﴿ان الله لايحب المفسدين﴾ لسوء أفعالهم

﴿ قال انما أوتيته على علم عندى ﴾ فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل هو الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل العلم بكنوز يوسف وعندى صفة له أومتعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى أي في ظنى واعتقادى ﴿ أولم يعلم أن الله قدأهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ﴾ تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ أورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه أى أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعي ولم يعلم هـذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ﴿ ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون ﴾ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها أومعاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لماهدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بان بين أنه لم يكن مطلعا على مايخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لامحالة ﴿ فخرج على قومه فى زينتـه ﴾ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليهاسرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه ﴿قال الذين يريدون الحيوة الدنيا﴾ على ماهو عادة الناس من الرغبة ﴿ ياليت لنا مثل ماأوتى قارون ﴾ تمنوا مثله لاعينه حذرا عن الحسد ﴿ انه لذوحظ عظيم﴾ من الدنيا ﴿ وقال الذين أوتوا العلم﴾ باحوال الآخرة للمتمنين ﴿ويلكم﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عمالايرتضى ﴿ثواب الله﴾ في الآخرة ﴿ خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ مما أوتى قارون بل من الدنيا ومافيها ﴿ ومايلقاها ﴾ الضمير فيه للكلمة التى تكلم بها العلماء أوللثواب فانه بمعنى المثوبة أوالجنة أوللايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة ﴿ الاالصابرون ﴾ على الطاعات وعن المعاصى ﴿ فخسفنا به وبداره الارض ﴾*روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحـد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى بين بنى اسرائيـل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غـير محصن جلدناه ومن زني محصنا رجمناه فقال قارون ولوكنت قال ولوكنت قال ان بني اسرائيـل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى الله اليـه أن مر الارض بما شئت فقال ياأرض خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ماأفظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لودعانى مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله ﴿ فما كان له من فئة ﴾ أعوان مشتقة من فأوت رأسه اذاميلته ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ فيدفعون عنه عذابه ﴿ وما كان من المنتصرين ﴾ الممتنعين منـه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذامنعه منه فامتنع ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه ﴾ منزلته ﴿ بالامس ﴾ منـذ زمان قريب ﴿ يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقـدر ﴾ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لالكرامة تقتضى البسط ولالهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعـنى ماأشبه الامر أن الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن تقـديره ويك اعلم أن الله ﴿ لولا أن من الله علينا ﴾ فلم يعطنا ماتمنينا ﴿ لخسف بنا ﴾ لتوليده فينا ماولده فيه فخسف بنا لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسـين ﴿ ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾ لنعمة الله أوالمكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة ﴿ تلك الدار الآخرة ﴾ اشارة تعظيم كانه قال تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخـبر ﴿ نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ﴾ غلبـة وقهرا ﴿ ولافسادا ﴾ ظلما على الناس كما أرادفرعون وقارون ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿ للمتقين ﴾ مالا يرضاه الله ﴿ من جاء بالحسـنة فله خـير منها ﴾ ذاتا وقدرا ووصفا ﴿ ومن جاء بالسيئة فلايجزى الذين عملوا السيآت ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿ الاما كانوا يعملون ﴾ أى الامثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم ما كانوا يعملون مقامه مبالغة فى المماثلة

قَالَ اِنَّمَآ اُوتِيتُهُ عَلٰى عِلْمٍ عِنْدِيۜ اَوَلَمْ يَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ قَدْ اَهْلَكَ
مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاَكْثَرُ جَمْعًاۜ
وَلَا يُسْـَٔلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ۞ فَخَرَجَ عَلٰى قَوْمِهٖ فِي زِينَتِهٖ
قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ اُوتِيَ
قَارُونُ اِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ
وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللّٰهِ خَيْرٌ لِمَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًاۚ وَلَا يُلَقّٰيهَآ
اِلَّا الصَّابِرُونَ ۞ فَخَسَفْنَا بِهٖ وَبِدَارِهِ الْاَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ
مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ۞
وَاَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْاَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَاَنَّ اللّٰهَ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَيَقْدِرُۚ لَوْلَآ اَنْ مَنَّ
اللّٰهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۜ وَيْكَاَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۞
تِلْكَ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
الْاَرْضِ وَلَا فَسَادًاۜ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ مَنْ جَآءَ
بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَاۚ وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔاتِ اِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞

﴿ان للذى فرض عليك القرآن﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ﴿لرادك الى معاد﴾ أيّ معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك أن يبعثك فيه أومكة التى اعتدت بها على أنه من العادة رده اليها يوم الفتح كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين * روى أنه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ ومايستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره أعلم ﴿ومن هو فى ضلال مبين﴾ وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله ﴿وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب﴾ أى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الارحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك الكتاب لارحمة ﴿فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولايصدنك عن آيات الله﴾ عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد اذ أنزلت اليك﴾ وقرئ يصدنك من أصد ﴿وادع الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولاتكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم ﴿ولاتدع مع الله الها آخر﴾ هذا وماقبله للتهييج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم ﴿لااله الاهو كل شئ هالك الاوجهه﴾ الاذاته فان ماعداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ﴿له الحكم﴾ القضاء النافذ فى الخلق ﴿واليه ترجعون﴾ للجزاء بالحق * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الاشهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

﴿ سورة العنكبوت مكية وآيها تسع وستون آية ﴾

إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ لَرَادُّكَ اِلٰى مَعَادٍ قُلْ رَبِّى اَعْلَمُ مَنْ جَآءَ بِالْهُدٰى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلٰلٍ مُبِينٍ ۞ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا اَنْ يُلْقٰى اِلَيْكَ الْكِتٰبُ اِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكٰفِرِينَ ۞ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ بَعْدَ اِذْ اُنْزِلَتْ اِلَيْكَ وَادْعُ اِلٰى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞

سورة العنكبوت مكية وتسع وستون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۞ اَحَسِبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوا اَنْ يَقُولُوا اٰمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۞ اَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّاٰتِ اَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللّٰهِ فَاِنَّ اَجَلَ اللّٰهِ لَاٰتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ألم﴾ سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه أوبما يضمر معه ﴿أحسب الناس﴾ الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أومايسد مسدهما كقوله ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون﴾ فان معناه أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب أوأنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لايقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب * روى أنها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل فى عمار وقد عذب فى الله تعالى وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته ﴿ولقدفتنا الذين من قبلهم﴾ متصل بأحسب أوبلايفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلاينبغى أن يتوقع خلافه ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام أى وليعرفنهم الله الناس أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ﴿أم حسب الذين يعملون السيآت﴾ الكفر والمعاصى فان العمل يعم أفعال القلوب والجوارح ﴿أن يسبقونا﴾ أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان أبطل من الاول ولهذاعقبه بقوله ﴿ساء مايحكمون﴾ أى بئس الذى يحكمونه أوحكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم ﴿من كان يرجوا لقاء الله﴾ فى الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه أوالى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على أحواله فاما أن يلقاه ببشر لما رضى من أفعاله أوبسخط لماسخط منها ﴿فان أجل الله﴾ فان الوقت المضروب للقائه ﴿لآت﴾ لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لامحالة فليبادر مايحقق أمله ويصدق رجاءه أو مايستوجب به القربة والرضا ﴿وهو السميع﴾ لاقوال العباد ﴿العليم﴾ بعقائدهم وأفعالهم

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ
عَنِ الْعَالَمِينَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي
كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا
وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا
إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۞ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ
لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ
الْعَالَمِينَ ۞ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
۞ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞

﴿ومن جاهد﴾ نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات ﴿فانما يجاهد لنفسه﴾ لان منفعته لها ﴿ان الله لغنى عن العالمين﴾ فلاحاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم﴾ الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ﴿ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾ أى أحسن جزاء أعمالهم ﴿ووصينا الانسان بوالديه حسنا﴾ بايتائهما فعلا ذاحسن أوكأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى أمر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال أى وقلنا له أحسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي قلنا أولهما أوافعل بهما حسنا وهو أوفق لمابعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا ﴿وان جاهداك لتشرك بى ماليس لك به علم﴾ بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بأن مالايعلم صحته لايجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه ﴿فلا تطعهما﴾ فى ذلك فانه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولابد من اضمار القول ان لم يضمر قبل ﴿الىّ مرجعكم﴾ مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن برّ بوالديه ومن عق ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالجزاء عليه والآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص وأمه حمنة فانها لماسمعت باسلامه حلفت أنها لاتنتقل من الضح ولاتطعم ولاتشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التى في لقمان والاحقاف ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين﴾ فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله المرسلين أوفي مدخلهم وهو الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله﴾ بأن عذبهم الكفرة على الايمان ﴿جعل فتنة الناس﴾ مايصيبه من أذيتهم في الصرف عن الايمان ﴿كعذاب الله﴾ فى الصرف عن الكفر ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ فتح وغنيمة ﴿ليقولن انا كنا معكم﴾ فى الدين فأشركونا فيه والمراد المنافقون أوقوم ضعف ايمانهم فارتدوا من أذى المشركين ويؤيد الاول ﴿أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين﴾ من الاخلاص والنفاق ﴿وليعلمنّ الله الذين آمنوا﴾ بقلوبهم ﴿وليعلمن المنافقين﴾ فيجازى الفريقين ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ الذى نسلكه فى ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ ان كان ذلك خطيئة أو ان كان بعث ومؤاخذة وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله ﴿وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون﴾ من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وماهم بحاملين شيأ من خطاياهم ﴿وليحملن أثقالهم﴾ أثقال ما اقترفته أنفسهم ﴿وأثقالا مع أثقالهم﴾ وأثقالا أخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شئ ﴿وليسئلن يوم القيامة﴾ سؤال تقريع وتبكيت ﴿عما كانوا يفترون﴾ من الاباطيل التي أضلوا بها

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا
خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ۞
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ۞
وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ
وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ
أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞
أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ
ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ۞ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ
تُقْلَبُونَ ۞ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۞

﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ﴾ بعد المبعث اذ روى أنه بعث على رأس الأربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعلّ اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما فى التكرير من البشاعة ﴿ فأخذهم الطوفان ﴾ طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل أوظلام أونحوهما ﴿ وهم ظالمون ﴾ بالكفر ﴿ فأنجيناه ﴾ أى نوحا عليه الصلاة والسلام ﴿ وأصحاب السفينة ﴾ ومن أركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿ وجعلناها ﴾ أى السفينة أو الحادثة ﴿ آية للعالمين ﴾ يتعظون ويستدلون بها ﴿ وابراهيم ﴾ عطف على نوحا أونصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم ﴿ اذ قال لقومه اعبدوا الله ﴾ ظرف لأرسلنا أى أرسلناه حين كمل عقله وتمّ نظره بحيث عرف الحق وأمر الناس به أوبدل منه بدل اشتمال ان قدر باذكر ﴿ واتقوه ذلكم خير لكم ﴾ مما أنتم عليه ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير والشر وتميزون ماهو خير مما هو شرّ أوكنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل ﴿ انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ﴾ وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادّعاء شفاعتها عند الله تعالى أوتعملونها وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ماهم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلّقون من خلّق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على أنه مصدر كالكذب أونعت بمعنى خلقا ذا افك ﴿ انّ الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا ﴾ دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لايجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لايستطيعون أن يرزقوكم وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم ﴿ فابتغوا عند الله الرّزق ﴾ كله فانه المالك له ﴿ واعبدوه واشكروا له ﴾ متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره أومستعدين للقائه بهما فانه ﴿ اليه ترجعون ﴾ وقرئ بفتح التاء ﴿ وان تكذبوا ﴾ وان تكذبونى ﴿ فقد كذب أمم من قبلكم ﴾ من قبلى من الرسل فلم يضرّهم تكذيبهم وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حلّ بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ الذي يزال معه الشك وماعليه أن يصدق ولايكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل أن تكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله صلوات الله عليهما كان ممنوا بنحو مامنى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال ابراهيم فى قومه ﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ﴾ من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ﴿ ثم يعيده ﴾ اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن تؤوّل الاعادة بأن ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما وتعطف على يبدئ ﴿ ان ذلك ﴾ الاشارة الى الاعادة أوالى ماذكر من الأمرين ﴿ على الله يسير ﴾ اذ لايفتقر فى فعله الى شئ ﴿ قل سيروا في الارض ﴾ حكاية كلام الله لابراهيم أولمحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ على اختلاف الاجناس والأحوال ﴿ ثمّ الله ينشئ النشأة الآخرة ﴾ بعد النشأة الأولى التى هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود بيان الاعادة وأن من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى أن يحكم له بالقدرة على الاعادة لأنها أهون والكلام فى العطف مامرّ وقرئ النشاءة كالرآفة ﴿ انّ الله على كل شئ قدير ﴾ لأن قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الأولى ﴿ يعذب من يشاء ﴾ تعذيبه ﴿ ويرحم من يشاء ﴾ رحمته ﴿ واليه تقلبون ﴾ تردّون ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ ربكم عن ادراككم ﴿ فى الارض ولافى السماء ﴾ ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض أوالهبوط فى مهاويها والتحصن فى السماء أوالقلاع الذاهبة فيها وقيل ولامن فى السماء كقول حسان

أمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواه

﴿ ومالكم من دون الله من ولىّ ولانصير ﴾ يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض أوينزل من السماء ويدفعه عنكم

﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ بدلائل وحدانيته أو بكتبه ﴿ ولقائه ﴾ بالبعث ﴿ أولئك يئسوا من رحمتي ﴾ أي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه بالماضي للتحقق والمبالغة أو أيسوا في الدنيا لانكار البعث والجزاء ﴿ وأولئك لهم عذاب أليم ﴾ بكفرهم ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ قوم ابراهيم له وقرئ بالرفع على أنه الاسم والخبر ﴿ الا أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه ﴾ وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضى به الباقون أسند الى كلهم ﴿ فأنجاه الله من النار ﴾ أى فقذفوه في النار فأنجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ﴿ انّ في ذلك ﴾ في انجائه منها ﴿ لآيات ﴾ هي حفظه من أذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض مكانها ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها ﴿ وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودّة بينكم في الحيوة الدنيا ﴾ أى لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولى اتخذتم محذوف ويجوز أن تكون مودّة المفعول الثاني بتقدير مضاف أى اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو بتأويلها بالمودودة وقرأها نافع وابن عامر وأبوبكر منونة ناصبة بينكم والوجه ماسبق وابن كثير وأبوعمرو والكسائى ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا محذوف أى هي مودودة أو سبب مودّة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبران على أن ما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاوّل وقرئت مرفوعة منوّنة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ﴾ أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم أو بينكم وبين الأوثان على تغليب المخاطبين كقوله تعالى ــ ويكونون عليهم ضدّا ــ ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ يخلصونكم منها ﴿ فآمن له لوط ﴾ هو ابن أخيه وأوّل من آمن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه ﴿ وقال اني مهاجر ﴾ من قومى ﴿ الى ربى ﴾ الى حيث أمرنى ﴿ انه هو العزيز ﴾ الذى يمنعنى من أعدائى ﴿ الحكيم ﴾ الذى لايأمرنى الا بما فيه صلاحى * روي أنه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشأم فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ﴿ ووهبنا له اسحاق ويعقوب ﴾ ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسماعيل ﴿ وجعلنا في ذرّيته النبوّة ﴾ فكثر منهم الانبياء ﴿ والكتاب ﴾ يريد به الجنس ليتناول الكتب الأربعة ﴿ وآتيناه أجره ﴾ على هجرته الينا ﴿ في الدنيا ﴾ باعطاء الولد في غير أوانه والذرّية الطيبة واستمرار النبوّة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ لفي عداد الكاملين في الصلاح ﴿ ولوطا ﴾ عطف على ابراهيم أو على ماعطف عليه ﴿ اذ قال لقومه أئنكم لتأتون الفاحشة ﴾ الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام وأجمعوا على الاستفهام في الثاني ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾ استئناف مقرّر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزّت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طينتهم ﴿ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل ﴾ وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق أو تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث ﴿ وتأتون في ناديكم ﴾ في مجالسكم الغاصة بأهلها ولايقال للنادى الا لما فيه أهله ﴿ المنكر ﴾ كالجماع والضراط وحلّ الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمى البنادق ﴿ فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ﴾ في استقباح ذلك أو في دعوى النبوّة المفهومة من التوبيخ

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا
مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ
اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ
مِنْ نَاصِرِينَ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ
هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا
وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ
وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞

قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ
أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
الْغَابِرِينَ ۝ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ
وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ
وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝ إِنَّا مُنْزِلُونَ
عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ۝ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ۝ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا
فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝

﴿قال رب انصرني﴾ بانزال العذاب ﴿على القوم المفسدين﴾ باتباع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بأنهم أحقاء بأن يعجل عليهم العذاب ﴿ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾ بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ قرية سدوم والاضافة لفظية لأن المعنى على الاستقبال ﴿ان أهلها كانوا ظالمين﴾ تعليل لاهلاكهم لهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وأنواع المعاصى ﴿قال ان فيها لوطا﴾ اعتراض عليهم بأن فيها من لم يظلم أومعارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين أظهرهم ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وأنهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الأهل بمن عداه وأهله أوتأقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير للبيان عن الخطاب ﴿الا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقين فى العذاب أوالقرية ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سىء بهم﴾ جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء وأن صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لأن طويل الذراع ينال مالاينال قصير الذراع ﴿وقالوا﴾ لما رأوا فيه أثر الضجرة ﴿لاتخف ولاتحزن﴾ على تمكنهم منا ﴿انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم أبوبكر وابن كثير فى الثانى وموضع الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار فعل أوبالعطف على محلها باعتبار الاصل ﴿انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء﴾ عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم ﴿ولقد تركنا منها آية بينة﴾ هى حكايتها الشائعة أوآثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية أنهارها المسودة ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا أوآية ﴿والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ وافعلوا ماترجون به ثوابه فأقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ﴿ولاتعثوا فى الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل عليه السلام لأن القلوب ترجف لها ﴿فأصبحوا فى دارهم﴾ فى بلدهم أو دورهم ولم يجمع لأمن اللبس ﴿جاثمين﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وعادا وثمودا﴾ منصوبان باضمار اذكر أوفعل دل عليه ماقبله مثل أهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف على تأويل القبيلة ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أى تبين لهم بعض مساكنهم أو اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ من الكفر والمعاصى ﴿فصدهم عن السبيل﴾ السوى الذى بينه الرسل لهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا أومتبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا

وقارون وفرعون وهامان ﴾ معطوف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ﴿ ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين ﴾ فائتين بل أدركهم أمر الله من سبق طالبه اذا فاته ﴿ فكلا ﴾ من المذكورين ﴿ أخذنا بذنبه ﴾ عاقبناه بذنبه ﴿ فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ﴾ ريحا عاصفا فيها حصباء أوملكا رماهم بها كقوم لوط ﴿ ومنهم من أخذته الصيحة ﴾ كمدين وثمود ﴿ ومنهم من خسفنا به الارض ﴾ كقارون ﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذليس ذلك من عادته عزوجل ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ بالتعرض للعذاب ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ﴾ فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ﴾ فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذاك أوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما أومثلهم بالاضافة الى الموحد كمثلها بالاضافة الى رجل بني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة وأعكب ﴿ وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ لابيت أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه ﴿ لوكانوا يعلمون ﴾ يرجعون الى علم لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعني وان أوهن مايعتمد به فى الدين دينهم ﴿ ان الله يعلم ماتدعون من دونه من شئ ﴾ على اضمار القول أى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان بالياء حملا على ماقبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين أونافية ومن مزيدة وشئ مفعول تدعون أومصدرية وشئ مصدر أوموصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائدها المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك مالايعد شيأ بمن هذا شأنه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وأن من هذا وصفه قادر على مجازاتهم ﴿ وتلك الامثال ﴾ يعنى هذا المثل ونظائره ﴿ نضربها للناس ﴾ تقريبا لما بعد من افهامهم ﴿ ومايعقلها ﴾ ولايعقل حسنها وفائدتها ﴿ الاالعالمون ﴾ الذين يتدبرون الاشياء على ماينبغى * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿ خلق الله السموات والارض بالحق ﴾ محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها افادة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار اليه بقوله ﴿ ان فى ذلك لآية للمؤمنين ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ أتل ماأوحى اليك من الكتاب ﴾ تقربا الى الله تعالى بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار مالم ينكشف له أول ماقرع سمعه ﴿ وأقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث النفس خشية منه * روي أن فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولايدع شيأ من الفواحش الا ارتكبه فوصف له عليه السلام فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيآت أوولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته ﴿ والله يعلم ماتصنعون ﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة

وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
۞ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ
مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ
اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞
مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ
الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
۞ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۞

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ۞ وَمَا كُنْتَ
تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ
الْمُبْطِلُونَ ۞ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ۞ وَقَالُوا
لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ
اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً
وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۞

﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب الابالتى هى أحسن ﴾ الابالخصلة التى هى أحسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف اذلامجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد به ذووالعهد منهم ﴿ الا الذين ظلموا منهم ﴾ بالافراط فى الاعتداء والعناد أوباثبات الولد وقولهم يدالله مغلولة أوبنبذ العهد ومنع الجزية ﴿ وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم ﴾ هو من المجادلة بالتى هي أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم ﴿ والهنا والهكم واحدونحن له مسلمون ﴾ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الانزال ﴿ انزلنا اليك الكتاب ﴾ وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله ﴿ فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ﴾ هم عبد الله بن سلام وأضرابه أومن تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ﴿ ومن هؤلاء ﴾ ومن العرب أوأهل مكة أوممن فى عهد الرسول من أهل الكتابين ﴿ من يؤمن به ﴾ بالقرآن ﴿ ومايجحد بآياتنا ﴾ مع ظهورها وقيام الحجة عليها ﴿ الا الكافرون ﴾ الا المتوغلون فى الكفرفان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أشار اليه بقوله ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك ﴾ فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على أمى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير المنفى ونفى للتجوز فى الاسناد ﴿ اذا لارتاب المبطلون ﴾ أى لوكنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أوالتقطه من كتب الاولين الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم أولارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب أهل الكتاب لوجد انهم نعتك على خلاف مافى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر ﴿ بل هو ﴾ بل القرآن ﴿ آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ﴾ يحفظونه لايقدر أحد على تحريفه ﴿ ومايجحد بآياتنا الا الظالمون ﴾ المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات ﴿ قل انما الآيات عند الله ﴾ ينزلها كما يشاء لست أملكها فآتيكم بما تقترحونه ﴿ وانما أنا نذير مبين ﴾ ليس من شأني الا الانذار وابانته بما أعطيت من الآيات ﴿ أولم يكفهم ﴾ آية مغنية عما اقترحوه ﴿ أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لاتضمحل بخلاف سائر الآيات أويتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق مافى أيديهم من نعتك ونعت دينك ﴿ ان فى ذلك ﴾ الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة ﴿ لرحمة ﴾ لنعمة عظيمة ﴿ وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان أناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض مايقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ماجاء به غير نبيهم فنزلت ﴿ قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا ﴾ بصدق وقد صدقنى بالمعجزات أوبتبليغى ما أرسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت ﴿ يعلم مافى السموات والارض ﴾ فلايخفى عليه حالى وحالكم ﴿ والذين آمنوا بالباطل ﴾ وهو مايعبد من دون الله ﴿ وكفروا بالله ﴾ منكم ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان

ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب
وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون ۝ يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكفرين ۝ يوم يغشيهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ۝
يعبادى الذين امنوا ان ارضى وسعة فاياى فاعبدون ۝ كل
نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون ۝ والذين امنوا وعملوا
الصلحت لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهر
خلدين فيها نعم اجر العملين ۝ الذين صبروا وعلى ربهم
يتوكلون ۝ وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم وهو السميع العليم ۝ ولئن سألتهم من خلق
السموت والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى
يؤفكون ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له ان الله بكل شىء عليم ۝ ولئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن
الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون ۝

وما

﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولولا أجل مسمى ﴾ لكل عذاب أو قوم ﴿ لجاءهم العذاب ﴾ عاجلا ﴿ وليأتينهم بغتة ﴾ فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ باتيانه ﴿ يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب أو هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصى التى توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة أو للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم ﴿ يوم يغشاهم العذاب ﴾ ظرف لمحيطة أو مقدر مثل كان كيت وكيت ﴿ من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ من جميع جوانبهم ﴿ ويقول ﴾ الله أو بعض ملائكته بأمره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ﴿ ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾ أى جزاءه ﴿ ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون ﴾ أي اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان أرضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فاخلصوها فى غيرها ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ تناله لامحالة ﴿ ثم الينا ترجعون ﴾ للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى أن يجتهد فى الاستعداد له وقرأ أبو بكر بالياء ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم ﴾ لننزلنهم ﴿ من الجنة غرفا ﴾ علالى وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم أى لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم ﴿ تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين ﴾ وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ماقبله ﴿ الذين صبروا ﴾ على أذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ ولايتوكلون الا على الله ﴿ وكأين من دابة لاتحمل رزقها ﴾ لاتطيق حمله لضعفها أو لاتدخره وانما تصبح ولامعيشة عندها ﴿ الله يرزقها واياكم ﴾ ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لايرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلاتخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما أمروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت ﴿ وهو السميع ﴾ لقولكم هذا ﴿ العليم ﴾ بضميركم ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ﴾ المسؤل عنهم أهل مكة ﴿ ليقولن الله ﴾ لما تقرر فى العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود ﴿ فانى يؤفكون ﴾ يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ يحتمل أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على أن البسط والقبض على التعاقب وأن لايكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ﴿ ان الله بكل شىء عليم ﴾ يعلم مصالحهم ومفاسدهم ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ﴾ معترفين بانه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لايقدر على شىء من ذلك ﴿ قل الحمد لله ﴾ على ماعصمك من مثل هذه الضلالة أو على تصديقك واظهار حجتك ﴿ بل أكثرهم لايعقلون ﴾ فيتناقضون حيث يقرون بأنه المبدئ لكل ماعداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لايعقلون ماتريد بتحميدك عند مقالهم

وماهذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لوكانوا يعلمون ۞ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ۞ ليكفروا بما آتينهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ۞ أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ۞ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين ۞ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

سورة الروم مكية وهى ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۞ غلبت الروم ۞ فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ۞ فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ۞ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ۞

(وماهذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وكيف لاوهى لاتزن عندالله جناح بعوضة (الالهو ولعب) الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها أوهي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمى به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو أبلغ من الحياة لمافى بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا (لوكانوا يعلمون) لم يؤثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال (فاذا ركبوا في الفلك) متصل بمادل عليه شرح حالهم أى هم على ماوصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر (دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين حيث لايذكرون الاالله ولايدعون سواه لعلمهم بانه لايكشف الشدائد الاهو (فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون) فاجؤا المعاودة الى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه لام كي أى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة (وليتمتعوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها أولام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك حين يعاقبون (أولم يروا) يعنى أهل مكة (أنا جعلنا حرما آمنا) أى جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدى آمنا أهله عن القتل والسبى (ويتخطف الناس من حولهم) يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لايقدر عليه الاالله يؤمنون بالصنم أوالشيطان (وبنعمة الله يكفرون) حيث أشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام أوالاختصاص على طريق المبالغة (ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا (أوكذب بالحق لماجاءه) يعنى الرسول أوالكتاب وفى لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أول ماسمعوه (أليس في جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوائهم كقوله * ألستم خيرمن ركب المطايا * أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب أولاجترائهم أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا) في حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بأنواعه (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أولنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى - والذين اهتدوا زادهم هدى - وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والاعانة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

(سورة الروم مكية الاقوله فسبحان الله الآية
وآيها ستون أوتسع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم * الم غلبت الروم فى أدني الارض) أرض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم أوفى أدنى أرضهم من العرب واللام بدل من الاضافة (وهم من بعد غلبهم) من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب (سيغلبون فى بضع سنين) * روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي أدني أرض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر لايقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاه مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من أحد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدلت به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب * وأجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل (لله الامر من قبل ومن بعد) من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين أى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كأنه قيل قبلا وبعدا أى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم (يفرح المؤمنون بنصر الله) من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما أخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم أوبان ولى بعض أعدائهم بعضا حتى تفانوا (ينصر من يشاء) فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى (وهو العزيز الرحيم) ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى

﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه لان ماقبله فى معنى الوعد ﴿لايخلف الله وعده﴾ لامتناع الكذب عليه تعالى ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾ وعده ولاصحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم ﴿يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا﴾ مايشاهدونه منها والتمتع بزخارفها ﴿وهم عن الآخرة﴾ التى هي غايتها والمقصود منها ﴿هم غافلون﴾ لاتخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للأولى أومبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لايعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهراً وأما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وأنموذج لأحوالها واشعارا بانه لافرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾ أولم يحدثوا التفكر فيها أو أولم يتفكروا فى أمر أنفسهم فانها أقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر مايجتلى له في الممكنات بأسرها ليتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها مثل قدرته على ابدائها ﴿ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الابالحق﴾ متعلق بقول أوعلم محذوف يدل عليه الكلام ﴿وأجل مسمى﴾ تنتهى عنده ولاتبقى بعده ﴿وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم﴾ بلقاء جزائه عندانقضاء الاجل المسمى أوقيام الساعة ﴿لكافرون﴾ جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لاتكون ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ تقرير لسيرهم في أقطار الارض ونظرهم فى آثار المدمرين قبلهم ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ كعاد وثمود ﴿وأثاروا الارض﴾ وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البزور وغيرها ﴿وعمروها﴾ وعمروا الارض ﴿أكثر مما عمروها﴾ من عمارة أهل مكة اياها فانهم أهل واد غير ذى زرع لاتبسط لهم فى غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالافيها اذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى أقطار الارض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى دار لانفع لها ﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أوالآيات الواضحات ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ ليفعل بهم ماتفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولاتذكير ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ حيث عملوا ما أدى الى تدميرهم ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى﴾ أى ثم كان عاقبتهم العاقبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك عاقبتهم وأنهم جاؤا بمثل أفعالهم والسوأى تأنيث الاسوأ كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت به ﴿أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾ علة أوبدل أوعطف بيان للسوأى أوخبر كان والسوأى مصدر أساؤا أومفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله علي قلوبهم حتى كذبوا بآيات الله واستهزؤا بها ويجوز أن تكون السوأي صلة الفعل وأن كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل وأن تكون أن مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وأن كذبوا على الوجوه المذكورة ﴿الله يبدأ الخلق﴾ ينشئهم ﴿ثم يعيده﴾ يبعثهم ﴿ثم اليه ترجعون﴾ للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وروح بالياء على الاصل ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فأبلس اذا سكت وآيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لاترغو وقرئ بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ ممن أشركوهم بالله ﴿شفعاء﴾ يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعواء وعلمواء بنى اسرائيل بالواو وكذا السوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ أى المؤمنون والكافرون لقوله تعالى

وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝

فاما

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ
۞ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ
فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۞ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا
وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۞ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ
أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۞ وَمِنْ
آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
۞ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ
وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ
مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞

﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ﴾ أرض ذات أزهار وأنهار ﴿ يحبرون ﴾ يسرون سرورا تهللت له وجوههم ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون ﴾ مدخلون لا يغيبون عنه ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ﴾ اخبار فى معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الأوقات التى تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته أو دلالة على أن مايحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هي وسطه لأن تجدد النعم فيهما أكثر ويجوز أن يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لأنه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى أى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر على أنها فرضت بمكة * وعنه عليه الصلاة والسلام من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية * وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى ليلته ومن قاله حين يمسى أدرك مافاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أى تمسون فيه وتصبحون فيه ﴿ يخرج الحى من الميت ﴾ كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ﴿ ويخرج الميت من الحى ﴾ كالنطفة والبيضة أو يعقب الحياة الموت وبالعكس ﴿ ويحيى الأرض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك الاخراج ﴿ تخرجون ﴾ من قبوركم فانه أيضا تعقيب للحياة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ﴾ أى فى أصل الانشاء لأنه خلق أصلهم منه ﴿ ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ﴾ ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ لأن حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال أو لأنهن من جنسهم لا من جنس آخر ﴿ لتسكنوا اليها ﴾ لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر ﴿ وجعل بينكم ﴾ أى بين الرجل والنساء أو بين أفراد الجنس ﴿ مودة ورحمة ﴾ بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لأمر المعاش أو بأن تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله تعالى ـ ورحمة منا ـ ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فيعلمون مافى ذلك من الحكم ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم ﴾ لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لاتكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية ﴿ وألوانكم ﴾ بياض الجلد وسواده أو تخطيطات الأعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة ﴿ ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ لاتكاد تخفى على عاقل من ملك أو انس أو جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله ومايعقلها الا العالمون ﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ﴾ منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بأن كلا من الزمانين وان اختص بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ﴿ ومن آياته يريكم البرق ﴾ مقدر بأن المصدرية كقوله

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدى

أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق كقوله

فما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

﴿ خوفا ﴾ من الصاعقة للمسافر ﴿ وطمعا ﴾ فى الغيث للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم أوله على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع أو تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال مثل كلمته شفاها ﴿ وينزل من السماء ماء ﴾ وقرئ بالتشديد ﴿ فيحيى به الارض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ يستعملون عقولهم فى استنباط أسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره﴾ قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى عن الآلة ﴿ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون﴾ عطف على أن تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والأرض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع على دعائه وثم اما لتراخى زمانه أولعظم مافيه ومن الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من أسفل الوادي فطلع الىّ لابتخرجون لأن مابعد اذا لايعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الأولى ﴿وله من فى السموات والارض كل له قانتون﴾ منقادون لفعله فيهم لايمتنعون عليه ﴿وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ بعد هلاكهم ﴿وهو أهون عليه﴾ والاعادة أسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل أهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون أولأن الاعادة بمعنى أن يعيد ﴿وله المثل﴾ الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لااله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية ﴿الأعلى﴾ الذى ليس لغيره مايساويه أويدانيه ﴿فى السموات والارض﴾ يصفه به مافيهما دلالة ونطقا ﴿وهوالعزيز﴾ القادر الذى لايعجز عن ابداء ممكن واعادته ﴿الحكيم﴾ الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم﴾ منتزعا من أحوالها التى هي أقرب الامور اليكم ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم﴾ من مماليككم ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من الاموال وغيرها ﴿فأنتم فيه سواء﴾ فتكونون أنتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع أنهم بشر مثلكم وأنها معارة لكم ومن الأولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفى ﴿تخافونهم﴾ أن يستبدوا بتصرف فيه ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التفصيل ﴿نفصل الآيات﴾ نبينها فان التفصيل مما يكشف المعاني ويوضحها ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم فى تدبر الأمثال ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ بالاشراك ﴿أهواءهم بغير علم﴾ جاهلين لايكفهم شئ فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه ﴿فمن يهدى من أضلّ الله﴾ فمن يقدر على هدايته ﴿وما لهم من ناصرين﴾ يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ فقوّمه له غير ملتفت أوملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به ﴿فطرة الله﴾ خلقته نصب على الاغراء أوالمصدر لما دل عليه مابعدها ﴿التى فطر الناس عليها﴾ خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أوملة الاسلام فانهم لو خلوا وماخلقوا عليه أدّى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذرّيته ﴿لاتبديل لخلق الله﴾ لايقدر أحد يغيره أوماينبغى أن يغير ﴿ذلك﴾ اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له أوالفطرة ان فسرت بالملة ﴿الدّين القيم﴾ المستقيم الذى لاعوج فيه ﴿ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾ استقامته لعدم تدبرهم ﴿منيبين اليه﴾ راجعين اليه من أناب اذا رجع مرّة بعد أخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله أوفى أقم لأن الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والامة لقوله ﴿واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوامن المشركين﴾ غير أنها صدرت بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيما له ﴿من الذين فرّقوا دينهم﴾ بدلا من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى أمروا به ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا تشايع كل امامها الذى أضلّ دينها ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ مسرورون ظنا بأنه الحق ويجوز أن يجعل فرحون صفة كل على أن الخبر من الذين فرّقوا

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۞ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا
مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا
رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۞ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞
مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۞

وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم
منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ۞ ليكفروا بما
آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ۞ أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو
يتكلم بما كانوا به يشركون ۞ وإذا أذقنا الناس رحمة
فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم
يقنطون ۞ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ۞ فآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون
وجه الله وأولئك هم المفلحون ۞ وما آتيتم من ربا
ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة
تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ۞ الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما
يشركون ۞ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي
الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ۞

(واذا مسّ الناس ضرّ) شدة (دعوا ربهم منيبين اليه) راجعين اليه من دعاء غيره (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) خلاصا من تلك الشدّة (اذا فريق منهم بربهم يشركون) فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذى عافاهم (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر بمعنى التهديد لقوله (فتمتعوا) غير أنه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء التحتية على أن تمتعوا ماض (أم أنزلنا عليهم سلطانا) حجة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كقوله ـ كتابنا ينطق عليكم بالحق ـ أونطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم وصحته أوبالأمر الذى بسببه يشركون به في ألوهيته (واذا أذقنا الناس رحمة) نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطروا بسببها (وان تصبهم سيئة) شدّة (بما قدّمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (اذا هم يقنطون) فجؤا القنوط من رحمته وقرأ الكسائى وأبوعمرو بكسر النون (أولم يروا أنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين (انّ فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) كصلة الرحم واحتجّ به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به (والمسكين وابن السبيل) ماوظف لهما من الزكاة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولمن بسط له ولذلك رتب على ماقبله بالفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أوجهته أى يقصدون بمعروفهم اياه خالصا أوجهة التقرّب اليه لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربا) زيادة محرمة فى المعاملة أوعطية يتوقع بها مزيد مكافأة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ماجئتم به من اعطاء ربا (ليربو فى أموال الناس) ليزيد ويزكو في أموالهم (فلا يربو عند الله) فلا يزكو عنده ولايبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا أى لتزيدوا أولتصيروا ذوى ربا (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) تبتغون به وجهه خالصا (فاولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوّي والموسر لذى القوة واليسار أوالذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم أوللتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به أوفمؤتوه أولئك هم المضعفون (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أثبت له لوازم الالوهية ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادلّ عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن أن يكون له شركاء فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية تفيد أن شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائى بالتاء (ظهر الفساد فى البرّ والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار أوالضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أوبكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البرّ بقتل قابيل أخاه وفي البحر بأن جلندا ملك عمان كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما هم عليه

﴿ قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ﴾ لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدقه ﴿ كان أكثرهم مشركين ﴾ استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم أوكان الشرك فى أكثرهم ومادونه من المعاصى فى قليل منهم ﴿ فأقم وجهك للدين القيم ﴾ البليغ الاستقامة ﴿ من قبل أن يأتي يوم لامرد له ﴾ لايقدر أن يرده أحد وقوله ﴿من الله﴾ متعلق بيأتي ويجوز أن يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لايرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير كما قال ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أى وباله وهو النار المؤبدة ﴿ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ﴾ يسوّون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص ﴿ ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴾ علة ليمهدون أوليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله ﴿ انه لايحب الكافرين ﴾ فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على أن الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء أوالزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح ﴾ الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة الجنس ﴿مبشرات﴾ بالمطر ﴿ وليذيقكم من رحمته ﴾ يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أوالروح الذى هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات أوعليها باعتبار المعنى أوعلى يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ﴿ ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ﴾ يعني تجارة البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولتشكروا نعمة الله تعالى فيها ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ بالتدمير ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ اشعار بأن الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم ✻ وعنه عليه الصلاة والسلام مامن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه ﴾ متصلا تارة ﴿ فى السماء ﴾ فى سمتها ﴿ كيف يشاء ﴾ سائرا أوواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ﴿ ويجعله كسفا ﴾ قطعا تارة أخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على أنه مخفف أوجمع كسفة أومصدر وصف به ﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ فى التارتين ﴿ فاذا أصاب به من يشاء من عباده ﴾ يعنى بلادهم وأراضيهم ﴿اذاهم يستبشرون﴾ لمجىء الخصب ﴿ وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم ﴾ المطر ﴿ من قبله ﴾ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر أوالسحاب أوالارسال ﴿لمبلسين﴾ لآيسين ﴿ فانظر الى أثر رحمت الله ﴾ أثر الغيث من النبات والاشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ﴿ كيف يحيي الارض بعد موتها ﴾ وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ﴿ان ذلك﴾ يعني أن الذى قدر على احياء الارض بعد موتها ﴿ لمحيي الموتى﴾ لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل أن يكون من الكائنات الراهنة مايكون من مواد ماتفتتت وتبددت من جنسها فى بعض الاعوام السالفة ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء

قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
كان أكثرهم مشركين ۞ فأقم وجهك للدين القيم من قبل
أن يأتي يوم لامرد له من الله يومئذ يصدعون ۞ من كفر
فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ۞ ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لايحب الكافرين
۞ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته
ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
۞ ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم
بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر
المؤمنين ۞ الله الذى يرسل الريح فتثير سحابا فيبسطه
فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون ۞
وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين
۞ فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها
ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ۞

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
۝ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ
إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ
مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ
سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ
الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ فَيَوْمَئِذٍ
لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ
بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ۝
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ فَاصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝

﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا﴾ فرأوا الاثر أو الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ جواب سدّ مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوى يقتضى أن يتوكلوا على الله ويلتجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وأن يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولا يكفروا نعمه ﴿فانك لاتسمع الموتي﴾ وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ﴿ولاتسمع الصمّ الدعاء اذاولوامدبرين﴾ قيد الحكم به ليكون أشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيأ وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة ورفع الصم ﴿وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار اولعمى قلوبهم وقرأ حمزة وحده تهدى العمى ﴿إن تسمع الامن يؤمن باياتنا﴾ فان ايمانهم يدعوهم الى تلقى اللفظ وتدبر المعنى ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للايمان ﴿فهم مسلمون﴾ لما تأمرهم به ﴿الله الذى خلقكم من ضعف﴾ أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله خلق الانسان ضعيفا أوخلقكم من أصل ضعيف وهو النطفة ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ وذلك اذا بلغتم الحلم أوتعلق بأبدانكم الروح ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ اذا أخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد فى جميعها والضم أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم ﴿يخلق مايشاء﴾ من ضعف وقوة وشبيبة وشيبة ﴿وهو العليم القدير﴾ فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿يقسم المجرمون مالبثوا﴾ فى الدنيا أوفى القبور أوفيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث مابين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام ﴿غير ساعة﴾ استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم فى الآخرة أونسيانا ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق ﴿كانوا يؤفكون﴾ يصرفون فى الدنيا ﴿وقال الذين أوتوا العلم والايمان﴾ من الملائكة والانس ﴿لقد لبثتم فى كتاب الله﴾ فى علمه أوقضائه أوما كتبه لكم أى أوجبه أو اللوح أوالقرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ ﴿الى يوم البعث﴾ ردوا بذلك ماقالوه وحلفوا عليه ﴿فهذا يوم البعث﴾ الذى أنكرتموه ﴿ولكنكم كنتم لاتعلمون﴾ أنه حق لتفريطكم فى النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه أى فقد تبين بطلان انكاركم ﴿فيومئذ لاتنفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر أولان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما ﴿ولاهم يستعتبون﴾ لايدعون الى مايقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته أى استرضانى فأرضيته ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ ولقد وصفناهم فيه بانواع الصفات التى هي فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة فيما يقولون ومايقال لهم ومالا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب أوبينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ﴿ولئن جئتهم بآية﴾ من آيات القرآن ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم ﴿ان أنتم﴾ يعنون الرسول والمؤمنين ﴿الامبطلون﴾ مزوّرون ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الطبع ﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لايطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق ﴿فاصبر﴾ على أذاهم ﴿ان وعدالله﴾ بنصرتك واظهار دينك على الدين كله ﴿حق﴾ لابد من انجازه ﴿ولايستخفنك﴾ ولايحملنك على الخفة والقلق ﴿الذين لايوقنون﴾ بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لايستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ ولايستحقنك أى لايزيغنك فيكونوا أحق بك من المؤمنين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ماضيع فى يومه وليلته

﴿ سورة لقمان مكية ﴾

(الا آية وهي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لاينافي شرعيتهما بمكة * وقيل الاثلاثا من قوله - ولوأنمافي الارض من شجرة أقلام - وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * آلم تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ سبق بيانه في يونس ﴿ هدى ورحمة للمحسنين ﴾ حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر أوالخبر لمحذوف ﴿ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ بيان لاحسانهم أوتخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ﴿ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ﴾ مايلهى عما يعنى كالاحاديث التى لاأصل لها والاساطير التى لااعتبار بها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان أراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان أراد به الاعم منه* وقيل نزلت فى النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة* وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ دينه أوقراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبوعمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه ﴿ بغير علم ﴾ بحال مايشتريه أوبالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ﴿ ويتخذها هزوا ﴾ ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل ﴿ أولئك لهم عذاب مهين ﴾ لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه ﴿ واذاتتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا ﴾ متكبرا لايعبأ بها ﴿ كأن لم يسمعها ﴾ مشابها حاله حال من لم يسمعها ﴿ كأن فى أذنيه وقرا ﴾ مشابها من فى أذنيه ثقل لايقدر أن يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى أوفى مستكبرا والثانية بدل منها أوحال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز أن يكونا استئنافين وقرأ نافع فى أذنيه ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾ أعلمه بان العذاب يحيق به لامحالة وذكر البشارة على التهكم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ﴾ أى لهم نعيم الجنات فعكس للمبالغة ﴿ خالدين فيها ﴾ حال من الضمير فى لهم أومن جنات النعيم والعامل ما تعلق به اللام ﴿ وعد الله حقا ﴾ مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا ﴿ وهو العزيز ﴾ الذى لايغلبه شئ فيمنعه عن انجازوعده ووعيده ﴿ الحكيم ﴾ الذى لايفعل الاماتستدعيه حكمته ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها ﴾ قد سبق فى الرعد ﴿ وألقى فى الارض رواسى ﴾ جبالا شوامخ ﴿ أن تميد بكم ﴾ كراهة أن تميد بكم فان تشابه أجزائها يقتضى تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أولشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين ﴿ وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التى هي كمال القدرة وحكمته التى هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذاخلق الذين من دونه ﴾ هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق أومارتفع بالابتداء وخبره ذابصلته فأرونى معلق عنه ﴿ بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾ اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لايخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظالمون باشراكهم

سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۞ تلك ايت الكتب الحكيم ۞ هدى ورحمة للمحسنين ۞ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون ۞ اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ۞ ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين ۞ واذا تتلى عليه ايتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ۞ ان الذين امنوا وعملوا الصلحت لهم جنت النعيم ۞ خلدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم ۞ خلق السموت بغير عمد ترونها والقى فى الارض روسى ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم ۞ هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظلمون فى ضلل مبين ۞

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمٰنُ لِابْنِهِ
وَهُوَ يَعِظُهُ يٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
۞ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسٰنَ بِوٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ
وَهْنٍ وَفِصٰلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوٰلِدَيْكَ إِلَيَّ
الْمَصِيرُ ۞ وَإِنْ جٰهَدٰكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ
مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
۞ يٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ
أَوْ فِي السَّمٰوٰتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ
خَبِيرٌ ۞ يٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَلَا
تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللّٰهَ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ
مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۞

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ يعني لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه الصلاة والسلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وأن داود عليه السلام قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه أمره بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتي باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بان يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ اذا طابا وأخبث شئ اذا خبثا ﴿أن اشكر لله﴾ لأن اشكر أو أى اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ﴿ومن يشكر فانما يشكر لنفسه﴾ لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ﴿ومن كفر فان الله غني﴾ لايحتاج الى الشكر ﴿حميد﴾ حقيق بالحمد وان لم يحمد أو محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال ﴿واذ قال لقمان لابنه﴾ أنعم أو أشكم أو ماثان ﴿وهو يعظه يابني﴾ تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير هنا وفي يابني أقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يابني انها ان تك بفتح الياء ومثله البزي في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء ﴿لاتشرك بالله﴾ قيل كان كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لاتشرك جعل بالله قسما ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾ لانه تسوية بين من لانعمة الامنه ومن لانعمة منه ﴿ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا﴾ ذات وهن أو تهن وهنا ﴿على وهن﴾ أى تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لاتزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا ﴿وفصاله في عامين﴾ وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله في عامين وفيه دليل على أن أقصى مدة الرضاع حولان ﴿أن اشكر لى ولوالديك﴾ تفسير لوصينا أو علة له أو بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك ﴿الىّ المصير﴾ فأحاسبك على شكرك وكفرك ﴿وان جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم﴾ باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل أراد بنفي العلم به نفيه ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم ﴿واتبع﴾ في الدين ﴿سبيل من أناب الىّ﴾ بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ﴿ثم الىّ مرجعكم﴾ مرجعك ومرجعهما ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ بأن أجازيك على ايمانك وأجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا بمثل ماوصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لايجوز أن يستحقاه في الاشراك فما ظنك بغيرهما * ونزولها في سعد بن أبي وقاص وأمه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيأ ولذلك قيل من أناب اليه أبو بكر رضي الله عنه فانه أسلم بدعوته ﴿يابنيّ انها ان تك مثقال حبة من خردل﴾ أى ان الخصلة من الاحسان أو الاساءة ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقول الشاعر * كما شرقت صدر القناة من الدم * أولان المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض﴾ في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب السموات أو أسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته ﴿يات بها الله﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿ان الله لطيف﴾ يصل علمه الى كل خفي ﴿خبير﴾ عالم بكنهه ﴿يابنيّ أقم الصلوة﴾ تكميلا لنفسك ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ تكميلا لغيرك ﴿واصبر على ما أصابك﴾ من الشدائد سيما في ذلك ﴿ان ذلك﴾ اشارة الى الصبر أو الى كل ما أمر به ﴿من عزم الامور﴾ مما عزمه الله من الامور أى قطعه قطع ايجاب مصدر أطلق للمفعول ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر أى جد ﴿ولاتصعر خدك للناس﴾ لاتمله عنهم ولاتولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعترى البعير فيلوى عنقه وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولاتصاعر وقرئ ولاتصعر والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه ﴿ولاتمش في الارض مرحا﴾ أى فرحا مصدر وقع موقع الحال أى تمرح مرحا أو لاجل المرح وهو البطر ﴿ان الله لايحب كل مختال فخور﴾ علة للنهي وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الآى ﴿واقصد في مشيك﴾ توسط فيه بين الدبيب والاسراع * وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد مافوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية ﴿واغضض من صوتك﴾ وانقص منه واقصر ﴿ان أنكر الاصوات﴾ أوحشها ﴿لصوت الحمير﴾ والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الآحاد أولانه مصدر في الاصل

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات﴾ بأن جعله أسبابا محصلة لمنافعكم ﴿ومافي الارض﴾ بأن مكنكم من الانتفاع به بوسط أوغير وسط ﴿وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة﴾ محسوسة ومعقولة ماتعرفونه ومالاتعرفونه وقدمرّ شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ وأصبغ بالابدال وهوجار في كل سين اجتمع مع الغين أوالخاء أوالقاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ﴿ومن الناس من يجادل فى الله﴾ في توحيده وصفاته ﴿بغير علم﴾ مستفاد من دليل ﴿ولاهدى﴾ راجع الى رسول ﴿ولا كتاب منير﴾ أنزله الله بل بالتقليد كماقال ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدناعليه آباءنا﴾ وهومنع صريح من التقليد فى الاصول ﴿أولو كان الشيطان يدعوهم﴾ يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم ﴿الى عذاب السعير﴾ الى مايؤل اليه من التقليد أوالاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ﴿ومن يسلم وجهه الى الله﴾ بان فوّض أمره اليه وأقبل بشراشره عليه من أسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص ﴿وهو محسن﴾ فى عمله ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ تعلق بأوثق مايتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن أراد أن يترقى الى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرا الحبل المتدلى منه ﴿والى الله عاقبة الامور﴾ اذالكل صائر اليه ﴿ومن كفر فلايحزنك كفره﴾ فانه لايضرك فى الدنيا والآخرة وقرئ فلايحزنك من أحزن وليس بمستفيض ﴿الينا مرجعهم﴾ في الدارين ﴿فننبئهم بما عملوا﴾ بالاهلاك والتعذيب ﴿ان الله عليم بذات الصدور﴾ فمجاز عليه فضلا عما فى الظاهر ﴿نمتعهم قليلا﴾ تمتيعا أو زمانا قليلا فان مايزول بالنسبة الى مايدوم قليل ﴿ثم نضطرهم الى عذاب غليظ﴾ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أويضم الى الاحراق الضغط ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه ﴿قل الحمد لله﴾ على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ أن ذلك يلزمهم ﴿لله مافى السموات والارض﴾ لايستحق العبادة فيهما غيره ﴿ان الله هو الغنى﴾ عن حمد الحامدين ﴿الحميد﴾ المستحق للحمد وان لم يحمد ﴿ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام﴾ ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة أبحر فاغني عن ذكر المداد يمده لانه من مد الدواة وأمدها ورفعه للعطف على محل أن ومعموليها ويمده حال أوللابتداء على انه مستأنف أو الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم أن أو اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء ﴿مانفدت كلمات الله﴾ بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لايفى بالقليل فكيف بالكثير ﴿ان الله عزيز﴾ لايعجزه شئ ﴿حكيم﴾ لايخرج عن علمه وحكمته أمر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوأمروا وفد قريش أن يسألوه عن قوله تعالى ـ وماأوتيتم من العلم الاقليلا ـ وقد أنزل التوراة وفيها علم كل شئ ﴿ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة﴾ الا كخلقها وبعثها اذ لايشغله شأن عن شأن لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿ان الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مبصر لايشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ
فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
ٱتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ
كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ
وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا
مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝
نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ
أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ
كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا
بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝

(ألم تر أنّ الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كلّ يجرى) كل من النيرين يجرى فى فلكه (الى أجل مسمى) الى منتهى معلوم الشمس
الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيامة والفرق بينه وبين قوله لأجل مسمى ان الأجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة أومجازا وكلا المعنيين
حاصل فى الغايات (وأنّ الله بما تعملون خبير) عالم بكنهه (ذلك) اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها (بأنّ
الله هو الحقّ) بسبب أنه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته أوالثابت الهيته (وأن ماتدعون من دونه الباطل) المعدوم فى حدّ ذاته لأنه لايوجد ولايتصف
لا بجعله أو الباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير أبى بكر بالياء (وأنّ الله هو العلىّ الكبير) مترفع على كل شئ ومتسلط عليه (ألم تر أنّ الفلك تجرى فى
البحر بنعمة الله) باحسانه فى تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة أوالحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون
العين وقد جوّز فى مثله الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) دلائله (انّ فى ذلك لآيات لكل صبار) على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر فى الآفاق
والأنفس (شكور) يعرف النعم ويتعرف مانحها أوللمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (واذا غشيهم)علاهم وغطاهم(موج كالظلل) كمايظل
من جبل أوسحاب أوغيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدّين) لزوال ماينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف
الشديد (فلما نجاهم الى البرّ فمنهم مقتصد) مقيم على الطريق القصد الذى هو التوحيد أومتوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار (ومايجحد بآياتنا الا كل
ختار) غدّار فانه نقض للعهد الفطرى أولما كان فى البحر والختر أشدّ الغدر (كفور) للنعم (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ
هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ
لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَإِذَا
غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا
نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ
كَفُورٍ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا
لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا
إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ
بِاللهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۞

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية

لايقضى عنه وقرئ لايجزئ من أجزأ اذا أغنى والراجع الى الموصوف محذوف أى
لايجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد أومبتدأ خبره (هو جاز عن والده شيأ)
وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لايجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين
أن ينفع أباه الكافر فى الآخرة (انّ وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لايمكن
خلفه (فلاتغرّنكم الحيوة الدنيا ولايغرّنكم بالله الغرور) الشيطان بأن يرجيكم
التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى (انّ الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها *
لما روي أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة
وانى قد ألقيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتى أذكر أم أنثى وما أعمل
غدا وأين أموت فنزلت * وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية
(وينزّل الغيث) في ابانه المقدّر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم بالتشديد (ويعلم مافى الأرحام) أذكر أم أنثى أتامّ أم ناقص (وماتدري
نفس ماذا تكسب غدا) من خير أوشر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه (وما
تدرى نفس بأىّ أرض تموت) كما لاتدرى فى أىّ وقت تموت * روى أن ملك
الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من
هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقيني بالهند ففعل فقال
الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وانما
جعل العلم لله تعالى والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل
على أنه ان أعمل حيله وأنفذ فيها وسعه لم يعرف ماهو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف
بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى
كلتهن (انّ الله عليم) يعلم الأشياء كلها (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها
* وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وآيها ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ألم﴾ ان جعل اسما للسورة أوالقرآن فمبتدأ خبره ﴿تنزيل الكتاب﴾ على أن التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدا محذوف أومبتدأ خبره ﴿لا ريب فيه﴾ فيكون ﴿من ربّ العالمين﴾ حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لايعمل فيما بعد الخبر ويجوز أن يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب أواعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ﴿أم يقولون افتراه﴾ فانه انكار لكونه من ربّ العالمين وقوله ﴿بل هو الحقّ من ربك﴾ فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا أنه أشار أوّلا الى اعجازه ثم رتب عليه أن تنزيله من ربّ العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم أضرب عن ذلك الى مايقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان أم منقطعة ثم أضرب عنه الى اثبات أنه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ اذ كانوا أهل الفترة ﴿لعلهم يهتدون﴾ بانذارك اياهم ﴿الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ مرّ بيانه فى الأعراف ﴿مالكم من دونه من ولىّ ولاشفيع﴾ مالكم اذا جاوزتم رضا الله أحد ينصركم ويشفع لكم أومالكم سواه ولىّ ولاشفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على أن الشفيع متجوّز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولىّ ولاناصر ﴿أفلا تتذكرون﴾ بمواعظ الله تعالى ﴿يدبر الأمر من السماء الى الأرض﴾ يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها الى الأرض ﴿ثم يعرج اليه﴾ ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾ في برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة مابين التدبير والوقوع وقيل يدبر الأمر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه فى زمان هو كألف سنة لأن مسافة نزوله وعروجه مسيرة ألف سنة فان مابين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبرالامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيامة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الىالارض بالوحى ثم لايعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ فيدبر أمرهما على وفق الحكمة ﴿العزيز﴾ الغالب على أمره ﴿الرّحيم﴾ على العباد فى تدبيره وفيه ايماء بأنه سبحانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا ﴿الذي أحسن كل شئ خلقه﴾ خلقه موفرا عليه مايستعدله ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقل علم كيف يخلقه من قولهم قيمة المرء مايحسنه أي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل ﴿وبدأ خلق الانسان﴾ يعنى آدم ﴿من طين ثم جعل نسله﴾ ذريته سميت بذلك لأنها تنسل منه أى تنفصل ﴿من سلالة من ماء مهين﴾ ممتهن ﴿ثم سوّاه﴾ قوّمه بتصوير أعضائه على ماينبغى ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أضافه الى نفسه تشريفا له واشعارا بانه خلق عجيب وأن له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿وجعل لكم السمع والابصار والافئدة﴾ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قليلا ماتشكرون﴾ تشكرون شكرا قليلا ﴿وقالوا أئذا ضللنا فى الارض﴾ أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لانتميز منه أو غبنا فيها وقرأ ضللنا بالكسر من ضلّ يضل وصللنا من صلّ اللحم اذا أنتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه مادلّ عليه ﴿أئنا لفى خلق جديد﴾ وهو نبعث أو يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل أبي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به ﴿بل هم بلقاء ربهم﴾ بالبعث أوبتلقى ملك الموت ومابعده ﴿كافرون﴾ جاحدون ﴿قل يتوفاكم﴾ يستوفى نفوسكم لايترك منها شيأ ولايبقى منكم أحدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ﴿ملك الموت الذى وكل بكم﴾ بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ للحساب والجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ۝ تنزيل الكتب لا ريب فيه من رب العلمين ۝
أم يقولون افترىه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما
أتىهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ۝ الله الذى خلق
السموت والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى
على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون
۝ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه
فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ۝ ذلك علم
الغيب والشهدة العزيز الرحيم ۝ الذى أحسن كل
شىء خلقه وبدأ خلق الإنسن من طين ۝ ثم جعل نسله
من سللة من ماء مهين ۝ ثم سوىه ونفخ فيه من روحه
وجعل لكم السمع والأبصر والأفئدة قليلا
ما تشكرون ۝ وقالوا أءذا ضللنا فى الأرض أءنا لفى خلق
جديد بل هم بلقاء ربهم كفرون ۝ قل يتوفىكم ملك
الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ۝

ولو

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۞
وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۞ فَذُوقُوا بِمَا
نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ
الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا
ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ
نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞
أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ۞ أَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞

﴿ولو ترى اذ المجرمون نا كسوا رؤسهم عند ربهم﴾ من الحياء والخزى ﴿ربنا﴾ قائلين ربنا ﴿أبصرنا﴾ ماوعدتنا ﴿وسمعنا﴾ منك تصديق رسلك ﴿فارجعنا﴾ الى الدنيا ﴿نعمل صالحا انا موقنون﴾ اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز أن تكون للتمنى والمضى فيها وفى اذ لأن الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولايقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية فى هذا الوقت أويقدر مادل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ ماتهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ﴿ولكن حق القول منى﴾ ثبت قضائى وسبق وعيدي وهو ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من أهل النار ولايدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له ﴿انا نسيناكم﴾ تركناكم من الرحمة أوفى العذاب ترك المنسى وفى استئنافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ كرر الأمر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بأفعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها دلالة على أن كلا منهما يقتضى ذلك ﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها﴾ وعظوا بها ﴿خروا سجدا﴾ خوفا من عذاب الله ﴿وسبحوا﴾ نزهوه عما لايليق به كالعجز عن البعث ﴿بحمد ربهم﴾ حامدين له شكرا على ماوفقهم للاسلام وآتاهم الهدى ﴿وهم لايستكبرون﴾ عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا ﴿تتجافى جنوبهم﴾ ترتفع وتتنحى ﴿عن المضاجع﴾ الفرش ومواضع النوم ﴿يدعون ربهم﴾ داعين اياه ﴿خوفا﴾ من سخطه ﴿وطمعا﴾ فى رحمته * وعن النبى صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل *وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس * وقيل كان أناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فى وجوه الخير ﴿فلاتعلم نفس ماأخفى لهم﴾ لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ﴿من قرة أعين﴾ مما تقر به عيونهم * وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر بله ماأطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلاتعلم نفس ما أخفى لهم وقرأ حمزة ويعقوب أخفى لهم على أنه مضارع أخفيت وقرئ نخفى وأخفى والفاعل للكل هو الله وقرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وماموصولة أواستفهامية معلق عنها الفعل ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أى جزوا جزاء أو أخفى للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾ خارجا عن الايمان ﴿لايستوون﴾ فى الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنها لامحالة وقيل المأوى جنة من الجنان ﴿نزلا﴾ سبق تفسيره فى سورة آل عمران ﴿بما كانوا يعملون﴾ بسبب أعمالهم أوعلى أعمالهم ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار﴾ مكان جنة المأوى للمؤمنين ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون﴾ اهانة لهم وزيادة في غيظهم

وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۞ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ۞

سورة الأحزاب مدنية وثلث وسبعون آية

لبسم الله

﴿ ولنذيقنهم من العذاب الادنى ﴾ عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ﴿ دون العذاب الاكبر ﴾ عذاب الآخرة ﴿ لعلهم ﴾ لعل من بقي منهم ﴿ يرجعون ﴾ يتوبون عن الكفر * روى أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها ﴾ فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

﴿ انا من المجرمين منتقمون ﴾ فكيف ممن كان أظلم من كل ظالم ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ كما آتيناك ﴿ فلا تكن في مرية ﴾ في شك ﴿ من لقائه ﴾ من لقائك الكتاب كقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى * وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسري بي موسى صلى الله عليه وسلم رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ﴿ وجعلناه ﴾ أي المنزل على موسى ﴿ هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون ﴾ الناس الى ما فيه من الحكم والأحكام ﴿ بأمرنا ﴾ اياهم به أو بتوفيقنا له ﴿ لما صبروا ﴾ وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا ﴿ وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ لامعانهم فيها النظر ﴿ ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة ﴾ يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين ﴿ أولم يهد لهم ﴾ الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من القرون ﴾ أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية أو ضمير الله بدليل القراءة بالنون ﴿ يمشون في مساكنهم ﴾ يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ﴿ ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز ﴾ التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي لا تنبت لقوله ﴿ فنخرج به زرعا ﴾ وقيل اسم موضع باليمن ﴿ تأكل منه ﴾ من الزرع ﴿ أنعامهم ﴾ كالتبن والورق ﴿ وأنفسهم ﴾ كالحب والثمر ﴿ أفلا يبصرون ﴾ فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في الوعد به ﴿ قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ﴾ وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانهم لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال ﴿ فأعرض عنهم ﴾ ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف ﴿ وانتظر ﴾ النصرة عليهم ﴿ انهم منتظرون ﴾ الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر * وعنه من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

﴿ سورة الاحزاب مدنية وآيها ثلاث وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * ياأيها النبي اتق الله ﴾ ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعاله عما نهى عنه بقوله ﴿ ولاتطع الكافرين والمنافقين ﴾ فيما يعود بوهن في الدين * روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبىّ ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ﴿ ان الله كان عليما ﴾ بالمصالح والمفاسد ﴿ حكيما ﴾ لايحكم الا بماتقتضيه الحكمة ﴿ واتبع مايوحى اليك من ربك ﴾ كالنهى عن طاعتهم ﴿ ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ فموح اليك ماتصلح به أعمالك ويغنى عن الاستماع الى الكفرة وقرأ أبوعمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أى ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك ﴿ وتوكل على الله ﴾ وكل أمرك الى تدبيره ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ موكولا اليه الامور كلها ﴿ ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ أى ماجمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق بالنفس الانسانى أوّلا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد ﴿ وماجعل أزواجكم اللائى تظهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ وماجمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ماكانت العرب تزعم من أن اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر أوجميل بن أسد الفهرى ذوالقلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعىّ الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبىّ عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أوالمراد نفى الامومة والبنوّة عن المظاهر عنها والمتبنى

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
إن الله كان عليما حكيما ۝ واتبع ما يوحى إليك
من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا ۝ وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا ۝ ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظهرون منهن
أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم
قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
۝ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا
آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح
فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله
غفورا رحيما ۝ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم
معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا ۝

ونفى القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعيّ اللذين لاولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبوعمرو واللاى بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة خففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده وأصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعني عاقد وتظهرون من الظهور * ومعنى الظهار أن يقول للزوجة أنت على كظهر أمى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معني التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق أوالحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج أوللتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرّمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء وأدعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى ماذكر أوالى الاخير ﴿ قولكم بافواهكم ﴾ لاحقيقة له فى الاعيان كقول الهاذى ﴿ والله يقول الحق ﴾ ماله حقيقة عينية مطابقة له ﴿ وهو يهدي السبيل ﴾ سبيل الحق ﴿ أدعوهم لآبائهم ﴾ أنسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من أقواله الحقة وقوله ﴿ هو أقسط عند الله ﴾ تعليل له والضمير لمصدر ادعوهم وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق ﴿ فان لم تعلموا آباءهم ﴾ فتنسبوهم اليهم ﴿ فاخوانكم في الدين ﴾ أى فهم اخوانكم فى الدين ﴿ ومواليكم ﴾ وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخى ومولاي بهذا التأويل ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ﴾ ولااثم عليكم فيمافعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى أوبعده على النسيان أوسبق اللسان ﴿ ولكن ماتعمدت قلوبكم ﴾ ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم أوولكن ماتعمدت قلوبكم فيه الجناح ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبني لاعبرة به عندنا وعند أبى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ فى الامور كلها فانه لايأمرهم ولايرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك أطلق فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وأمره أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها * روي أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أى فى الدين فان كل نبى أب لامته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكا لاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء

﴿ وأولوا الارحام ﴾ وذووالقرابات ﴿ بعضهم أولى ببعض ﴾ فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين ﴿ فى كتاب الله ﴾ فى اللوح أوفيما أنزل وهو هذه الآية أوآية المواريث أوفيما فرض الله ﴿ من المؤمنين والمهاجرين ﴾ بيان لاولى الارحام أوصلة لاولى أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة ﴿ الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ﴾ استثناء من أعم مايقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية ومنقطع ﴿ كان ذلك فى الكتاب مسطورا ﴾ كان ماذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح أوالقرآن وقيل فى التوراة

﴿ واذأخذنا من النبيين ميثاقهم ﴾ مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ﴿ ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ خصهم بالذكر لانهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبينا عليه الصلاة والسلام تعظيما له وتكريما لشأنه ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ عظيم الشأن أومؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف تعظيما له ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾ أى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أو تصديقهم اياهم تبكيتا لهم أوالمصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق أوالمؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم ﴿ وأعدّ للكافرين عذابا أليما ﴾ عطف على أخذنا من جهة ان بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين أوعلى مادل عليه ليسأل لأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذجاءتكم جنود ﴾ يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفا ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا ﴾ ريح الصبا ﴿ وجنودا لم تروها ﴾ الملائكة * روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتي بعث الله عليهم ريحا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال ﴿ وكان الله بما تعملون ﴾ من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء أي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة ﴿ بصيرا ﴾ رائيا ﴿ اذجاؤكم ﴾ بدل من اذجاءتكم ﴿ من فوقكم ﴾ من أعلى الوادى من قبل المشرق بنو غطفان ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ من أسفل الوادى من قبل المغرب قريش ﴿ واذزاغت الابصار ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا ﴿ وبلغت القلوب الحناجر ﴾ رعبا فان الرئة تنتفخ من شدّة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب أن الله منجز وعده في اعلاء دينه أوممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكي عنهم والالف مزيدة فى أمثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد أجرى نافع وابن عامر وأبو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها أبوعمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس ﴿ هنالك ابتلى المؤمنون ﴾ اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل ﴿ وزلزلوا زلزالا شديدا ﴾ من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح ﴿ واذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ﴾ ضعف اعتقاد ﴿ ماوعدنا الله ورسوله ﴾ من الظفر واعلاء الدين ﴿ الاغرورا ﴾ وعدا باطلا * قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لايقدر أن يتبرز فرقا ماهذا الاوعد غرور ﴿ واذقالت طائفة منهم ﴾ يعنى أوس بن قيظى وأتباعه ﴿ ياأهل يثرب ﴾ أهل المدينة وقيل هو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿ لامقام ﴾ لاموضع قيام ﴿ لكم ﴾ ههنا وقرأ حفص بالضم على أنه مكان أومصدر من أقام ﴿ فارجعوا ﴾ الى منازلكم هاربين وقيل المعني لامقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك وأسلموه لتسلموا أولامقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ﴿ ويستأذن فريق منهم النبيّ ﴾ للرجوع ﴿ يقولون ان بيوتنا عورة ﴾ غير حصينة وأصلها الخلل ويجوز أن يكون تخفيف العورة من عورت الداراذا اختلت وقد قرئ بها ﴿ وماهي بعورة ﴾ بل هي حصينة ﴿ ان يريدون الافرارا ﴾ أى ومايريدون بذلك الا الفرار من القتال ﴿ ولودخلت عليهم ﴾ دخلت المدينة أوبيوتهم ﴿ من أقطارها ﴾ من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه ﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ الردة ومقاتلة المسلمين ﴿ لآتوها ﴾ لأعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها ﴿ وماتلبثوا بها ﴾ بالفتنة أوباعطائها ﴿ الايسيرا ﴾ ريثما يكون السؤال والجواب وقيل مالبثوا بالمدينة بعد تمام الارتداد الايسيرا ﴿ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار ﴾ يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لايعودوا لمثله ﴿ وكان عهد الله مسؤلا ﴾ عن الوفاء به مجازى عليه

٤٢ سورة الاحزاب

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرٰهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۞ لِيَسْئَلَ الصّٰدِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يٰأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۞ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْئُولًا ۞

قل

﴿قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل﴾ فانه لابد لكل شخص من حتف أنف أو قتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ﴿واذا لاتمتعون الاقليلا﴾ أى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الاتمتيعا أو زمانا قليلا ﴿قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة﴾ أى أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله ✽ متقلدا سيفا ورمحا ✽ أوحمل الثاني على الاول لما فى العصمة من معنى المنع ﴿ولايجدون لهم من دون الله وليا﴾ ينفعهم ﴿ولانصيرا﴾ يدفع الضر عنهم ﴿قد يعلم الله المعوّقين منكم﴾ المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ﴿والقائلين لاخوانهم﴾ من ساكنى المدينة ﴿هلمّ الينا﴾ قربوا أنفسكم الينا وقد ذكر أصله فى الانعام ﴿ولايأتون البأس الاقليلا﴾ الااتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لايقاتلون الاقليلا كقوله ماقاتلوا الاقليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه لايأتي أصحاب محمد حرب الاحزاب ولايقاومونهم الاقليلا ﴿أشحة عليكم﴾ بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر أو الغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون أو المعوّقين أو على الذم ﴿فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم﴾ فى أحداقهم ﴿كالذى يغشى عليه﴾ كنظر المغشى عليه أو كدوران عينيه أو مشبهين به أو مشبهة بعينه ﴿من الموت﴾ من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك ﴿فاذا ذهب الخوف﴾ وحيزت الغنائم ﴿سلقوكم﴾ ضربوكم ﴿بألسنة حداد﴾ ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان ﴿أشحة على الخير﴾ نصب على الحال أو الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ اخلاصا ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ فأظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم ﴿وكان ذلك﴾ الاحباط ﴿على الله يسيرا﴾ هينا لتعلق الارادة به وعدم ماتمنعه عنه ﴿يحسبون الاحزاب لم يذهبوا﴾ أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة ﴿وان يأت الاحزاب﴾ كرة ثانية ﴿يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب﴾ تمنوا أنهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب ﴿يسألون﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿عن أنبائكم﴾ عما جرى عليكم ﴿ولو كانوا فيكم﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ﴿ماقاتلوا الاقليلا﴾ رياء وخوفا من التعيير ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ خصلة حسنة من حقها أن يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحسن التاسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا أى هي فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه ﴿لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر﴾ أي ثواب الله أو لقاءه ونعيم الآخرة أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك أرجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على أن ضمير المخاطب لايبدل منه ﴿وذكر الله كثيرا﴾ وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك ﴿ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله﴾ بقوله تعالى ـ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية ـ وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الأمر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع أو عشر وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الراء وفتح الهمزة ﴿وصدق الله ورسوله﴾ وظهر صدق خبر الله ورسوله أو صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم ﴿ومازادهم﴾ فيه ضمير لما رأوا أو الخطب أو البلاء ﴿الا ايمانا﴾ بالله ومواعيده ﴿وتسليما﴾ لأوامره ومقاديره

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ
فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي
يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ
أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا
وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۞
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو
اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۞ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ
الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۞

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفي بعهده فقد صدق فيه ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان ﴿ومنهم من ينتظر﴾ الشهادة كعثمان وطلحة رضى الله عنهما ﴿وما بدلوا﴾ العهد ولاغيروه ﴿تبديلا﴾ شيأ من التبديل * روى أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أويتوب عليهم﴾ تعليل للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم أو المراد بها التوفيق للتوبة ﴿ان الله كان غفورا رحيما﴾ لمن تاب ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ يعني الاحزاب ﴿بغيظهم﴾ متغيظين ﴿لم ينالوا خيرا﴾ غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة ﴿وكان الله قويا﴾ على احداث مايريده ﴿عزيزا﴾ غالبا على كل شئ ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ ظاهروا الاحزاب ﴿من أهل الكتاب﴾ يعنى قريظة ﴿من صياصيهم﴾ من حصونهم جمع صيصية وهي مايتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف وقرئ بالضم ﴿فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ وقرئ بضم السين * روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليهما وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وأنا عامد اليهم فاذن فى الناس أن لايصلوا العصر الافى بنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عليه الصلاة والسلام فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر منهم سبعمائة ﴿وأورثكم أرضهم﴾ مزارعهم ﴿وديارهم﴾ حصونهم ﴿وأموالهم﴾ نقودهم ومواشيهم وأثاثهم * روى أنه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم وقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة ﴿وأرضا لم تطؤها﴾ كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة ﴿وكان الله على كل شئ قديرا﴾ فيقدر على ذلك ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا﴾ السعة والتنعم فيها ﴿وزينتها﴾ زخارفها ﴿فتعالين أمتعكن﴾ أعطكن المتعة ﴿وأسرحكن سراحا جميلا﴾ طلاقا من غير ضرار وبدعة * روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة رضى الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك فأنزل لايحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على أن المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه مايدل عليه وقرئ أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات ﴿يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة﴾ بكبيرة ﴿مبينة﴾ ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وأبي بكر والباقون بكسر الياء ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبياء بما لايعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لايمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۞ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۞ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۞ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۞

ومن

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۞ يَا نِسَاءَ
النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ
بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا
۞ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَآتِينَ الزَّكٰوةَ وَأَطِعْنَ اللّٰهَ
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ
مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا
۞ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۞

(ومن يقنت منكن) ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله) ولعل ذكر الله للتعظيم أولقوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي عليه الصلاة والسلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله (وأعتدنا لها رزقا كريما) في الجنة زيادة على أجرها (يانساء النبي لستن كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل (ان اتقيتن) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلاتخضعن بالقول) فلاتجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول (وقلن قولا معروفا) حسنا بعيدا عن الريبة (وقرن فى بيوتكن) من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت أقر وهو لغة فيه ويحتمل أن يكون من قار يقار اذا اجتمع (ولاتبرجن) ولاتتبخترن في مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) تبرجا مثل تبرج النساء فى أيام الجاهلية القديمة وقيل هي مابين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لأبي الدرداء رضى الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر (وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله) فى سائر ماأمركن به ونهاكن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم (أهل البيت) نصب على النداء أوالمدح (ويطهركم) عن المعاصى (تطهيرا) واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم * لماروى أنه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة رضى الله عنها فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين رضى الله عنهما فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لايناسب ماقبل الآية ومابعدها والحديث يقتضى أنهم من أهل البيت لاأنه ليس غيرهم (واذكرن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوّة ومهبط الوحى وماشاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوّة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به (ان الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر مايصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن أو يعلم من يصلح لنبوّته ومن يصلح أن يكون أهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله (والمؤمنين والمؤمنات) المصدّقين بما يجب أن يصدق به (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة (والصادقين والصادقات) فى القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصى (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدّقين والمتصدّقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعدّ الله لهم مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات (وأجرا عظيما) على طاعتهم والآية وعدلهن ولامثالهن على الطاعة والتدرّع بهذه الخصال * روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فمافينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن مانزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن اعداد المعدّ لهم للجمع بين هذه الصفات

﴿ وما كان لمؤمن ولامؤمنة ﴾ ماصحّ له ﴿ اذا قضى الله ورسوله أمرا ﴾ أي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم أمره والاشعار بأن قضاءه قضاء الله لا نه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيـل فى أمّ كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صـلى الله عليه وسلم فزوّجها من زيد ﴿ أن تـكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ أن يختاروا من أمرهم شيأ بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة مايتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الـكوفيون وهشام يكون بالياء ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ﴾ بين الانحراف عن الصواب ﴿ واذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصـه ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ زينب * وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنـكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ فقال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولـكنها لشرفها تتعظم عليّ فقال له ـ أمسك عليك زوجك ـ ﴿ واتق الله ﴾ فى أمرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ وهو نـكاحها ان طلقها أوارادة طلاقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ تعييرهم اياك به ﴿ والله أحقّ أن تخشاه ﴾ ان كان فيه مايخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافي اضماره فان الاولى فى أمثال ذلك أن يصمت أويفوّض الأمر الى ربه ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدّتها ﴿ زوّجنا كها ﴾ وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لاحاجة لى فيك وقرئ زوّجتكها والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أوجعلها زوجته بلا واسـطة عقد * ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى انكاحى وأنتن زوّجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوّة ايمانه ﴿ لـكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهنّ وطرا ﴾ علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد الا ماخصه الدليل ﴿ وكان أمر الله ﴾ أمره الذى يريده ﴿ مفعولا ﴾ مكونا لامحالة كما كان تزويج زينب ﴿ ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان ومنه فروض العسكر لأرزاقهم ﴿ سنة الله ﴾ سنّ ذلك سنة ﴿ فى الذين خلوا من قبـل ﴾ من الأنبياء وهو نفى الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ صفة للذين خلوا أومدح لهـم منصوب أومرفوع وقرئ رسالة الله ﴿ ويخشونه ولايخشون أحدا الا الله ﴾ تعريض بعـد تصريح ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ كافيا للمخاوف أو محاسبا فينبغى أن لايخشى الا منه ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالـكم ﴾ على الحقيقة فيثبت بينه وبينه مابين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغـيرها ولاينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهـم ﴿ ولـكن رسول الله ﴾ وكل رسول أبوأمته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسـول الله بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف ولـكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولـكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر ﴿وخاتم النبيين﴾ وآخرهم الذى ختمهم أوختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لـكان نبيا ولايقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع أن المراد منـه أنه آخر من نبئ ﴿ وكان الله بكل شئ عليما ﴾ فيعلم من يليق بأن يختم به النبوّة وكيف ينبغى شأنه ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ يغلب الأوقات ويعم الأنواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ أوّل النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لـكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴿ هو الذى يصلى عليكم ﴾ بالرحمة ﴿وملائكته﴾ بالاستغفار لـكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوى مأخوذ من الصـلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود واستغفار الملائـكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو السبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ﴿ ليخرجكم من الظلمات الى النور ﴾ من ظلمات الـكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ حيث اعتنى بصـلاح أمرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائـكته المقرّبين

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۞ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ
أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ۞
مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ
خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ
رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
حَسِيبًا ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ
ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۞
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۞ وَسَبِّحُوهُ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۞

تحيتهم

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۞ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى
اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ
أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ
وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ
أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا
أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ
خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ
عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞

﴿تحيتهم﴾ من اضافة المصدر الى المفعول أى يحيون ﴿يوم يلقونه﴾ يوم لقائه عند الموت أوالخروج من القبور أودخول الجنة ﴿سلام﴾ اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة ﴿وأعدّ لهم أجرا كريما﴾ هي الجنة ولعلّ اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم ﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا﴾ على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدّرة ﴿ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله﴾ الى الاقرار به وبتوحيده ومايجب الايمان به من صفاته ﴿باذنه﴾ بتيسيره وأطلق له من حيث انه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه أمر صعب لايتأتى الا بمعونة من جناب قدسه ﴿وسراجا منيرا﴾ يستضاء به عن ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ على سائر الامم أوعلى جزاء أعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك ﴿ولاتطع الكافرين والمنافقين﴾ تهييج له على ماهو عليه من مخالفتهم ﴿ودع أذاهم﴾ ايذاءهم اياك ولاتحتفل به أوايذاءك اياهم مجازاة أومؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ ﴿وتوكل على الله﴾ فانه يكفيكهم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله سبحانه وتعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة لان مابعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهى عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعى الى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفى به عن غيره ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ﴾ تجامعوهنّ وقرأ حمزة والكسائى بألف وضم التاء ﴿فما لكم عليهنّ من عدّة﴾ أيام يتربصن فيها بأنفسهنّ ﴿تعتدونها﴾ تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أوتعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة على أن العدّة حق الازواج كما أشعر به فمالكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالياء أو على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضى عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لاينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم ازاحة ماعسى أن يتوهم تراخى الطلاق ريثما تمكن الاصابة كما يؤثر فى النسب يؤثر في العدّة ﴿فمتعوهنّ﴾ أي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة ويجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما أوالأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فان المتعة سنة للمفروض لها ﴿وسرحوهنّ﴾ أخرجوهنّ من منازلكم اذ ليس لكم عليهنّ عدّة ﴿سراحا جميلا﴾ من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السنى لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهنّ ﴿ياأيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهنّ﴾ مهورهنّ لان المهر أجر على البضع وتقييد الاحلال له باعطائها معجلة لا لتوقف الحلّ عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله ﴿وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ فان المشتراة لايتحقق بدء أمرها وماجرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه فى قوله ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء ﴿وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي﴾ نصب بفعل يفسره ماقبله أوعطف على ماسبق ولايدفعه التقييد بأن التى للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل أى أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولاتطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف فى اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعا ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أى لان وهبت أومدة أن وهبت كقولك اجلس مادام زيد جالسا ﴿ان أراد النبي أن يستنكحها﴾ شرط للشرط الاول فى استيجاب الحلّ فان هبتها نفسها منه لاتوجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي صلى الله عليه وسلم مكررا ثم الرجوع اليه فى قوله ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ ايذان بأنه مما خص به لشرف نبوّته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أى خلص احلالها أواحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك أوحال من الضمير فى وهبت أوصفة لمصدر محذوف أى هبة خالصة ﴿قد علمنا مافرضنا عليهم فى أزواجهم﴾ من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء حيث لم يسم ﴿وماملكت أيمانهم﴾ من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى ﴿وكان الله غفورا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رحيما﴾ بالتوسعة في مظانّ الحرج

﴿ ترجى من تشاء منهن ﴾ تؤخرها وتترك مضاجعتها ﴿ وتؤوى اليك من تشاء ﴾ وتضم اليك من تشاء وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد ﴿ ومن ابتغيت ﴾ طلبت ﴿ ممن عزلت ﴾ طلقت بالرجعة ﴿ فلاجناح عليك ﴾ فى شئ من ذلك ﴿ ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ﴾ ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر بالبناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن ﴿ والله يعلم مافى قلوبكم ﴾ فاجتهدوا فى احسانه ﴿ وكان الله عليما ﴾ بذات الصدور ﴿ حليما ﴾ لايعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى ﴿ لايحل لك النساء ﴾ بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء ﴿ من بعد ﴾ من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا أومن بعد اليوم حتى لوماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ﴿ ولاأن تبدل بهن من أزواج ﴾ فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ﴿ ولو أعجبك حسنهن ﴾ حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من أزواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى أن الآية محكمة أومنسوخة بقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولاأن تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر ﴿ الاماملكت يمينك ﴾ استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع ﴿ وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾ فتحفظوا أمركم ولاتتخطوا ماحد لكم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم ﴾ الاوقت أن يؤذن لكم أوالامأذونا لكم ﴿ الى طعام ﴾ متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان أذن كما أشعربه قوله ﴿ غير ناظرين اناه ﴾ غير منتظرين وقته أوادراكه حال من فاعل لاتدخلوا أوالمجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هوله بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر أني الطعام اذا أدرك ﴿ ولكن اذادعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ﴾ تفرقوا ولاتمكثوا ولانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والالماجاز لاحد أن يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لهم ﴿ ولامستأنسين لحديث ﴾ لحديث بعضكم بعضا أولحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أومقدر بفعل أي ولاتدخلوا أوولاتمكثوا مستأنسين ﴿ ان ذلكم ﴾ اللبث ﴿ كان يؤذى النبى ﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واشغاله بمالايعنيه ﴿ فيستحيي منكم ﴾ من اخراجكم بقوله ﴿ والله لايستحيي من الحق ﴾ يعنى ان اخراجكم حق فينبغى أن لايترك حياء كمالم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج وقرئ لايستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء ﴿ واذا سألتموهن متاعا ﴾ شيأ ينتفع به ﴿ فاسألوهن ﴾ المتاع ﴿ من وراء حجاب ﴾ ستر * روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت * وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ﴿ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾ من الخواطر النفسانية الشيطانية ﴿ وماكان لكم ﴾ وماصح لكم ﴿ أن تؤذوا رسول الله ﴾ ان تفعلوا مايكرهه ﴿ ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ﴾ من بعد وفاته أوفراقه وخص التى لم يدخل بها لماروى أن أشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى أيام عمر رضى الله عنه فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل أن يمسها فتركها من غير نكير ﴿ ان ذلكم ﴾ يعنى ايذاءه ونكاح نسائه ﴿ كان عند الله عظيما ﴾ ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ فى الوعيد عليه فقال ﴿ ان تبدوا شيأ ﴾ كنكاحهن على ألسنتكم ﴿ أوتخفوه ﴾ فى صدوركم ﴿ فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ فيعلم ذلك فيجازيكم به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد

ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت
ممن عزلت فلاجناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن
ولايحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم مافى
قلوبكم وكان الله عليما حليما ۞ لايحل لك النساء
من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن
الا ماملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا ۞
ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم فانتشروا ولامستأنسين لحديث ان ذلكم
كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى
من الحق واذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب
ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم
أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده
أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ۞ ان تبدوا شيأ
أوتخفوه فان الله كان بكل شئ عليما ۞

لاجناح

﴿ لاجناح عليهن فى آبائهن ولاأبنائهن ولااخوانهن ولا ابناء أخوانهن اولا أبناء أخواتهن ﴾ استثناءلمن لايجب الاحتجاب عنهم * روى انهلما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أونكلمهن أيضامن وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم أبا فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق أولانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة أن يصفا لابنائهما ﴿ ولانسائهن ﴾ يعنى نساء المؤمنات ﴿ ولاماملكت أيمانهن ﴾ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر فى سورة النور ﴿ واتقين الله ﴾ فيما أمرتن به ﴿ ان الله كان على كل شئ شهيدا ﴾ لايخفى عليه خافية ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شأنه ﴿ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ اعتنوا أنتم أيضا فانكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد ﴿ وسلموا تسليما ﴾ وقولوا السلام عليك أيها النبى وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله وتجوز الصلاة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه فى العرف صار شعار الذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك كره أن يقال محمد عزوجل وان كان عزيزا وجليلا ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصى أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين ﴿ لعنهم الله ﴾ أبعدهم من رحمته ﴿ فى الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا ﴾ يهينهم مع الايلام ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا ﴾ بغير جناية استحقوا بها الايذاء ﴿ فقداحتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾ ظاهرا * قيل انها نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليا رضى الله عنه وقيل فى أهل الافك وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ﴿ ياأيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن اذابرزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتتلفع ببعض ﴿ ذلك أدني أن يعرفن ﴾ يميزن من الاماء والقينات ﴿ فلايؤذين ﴾ فلايؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿ وكان الله غفورا ﴾ لما سلف ﴿ رحيما ﴾ بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها ﴿ لئن لم ينته المنافقون ﴾ عن نفاقهم ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ ضعف ايمان وقلة ثبات عليه أوفجور عن تزلزلهم فى الدين أوفجورهم ﴿ والمرجفون فى المدينة ﴾ يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم وأصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمى به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت ﴿ لنغرينك بهم ﴾ لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أومايضطرهم الى طلب الجلاء ﴿ ثم لايجاورونك ﴾ عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم مايصيبهم ﴿ فيها ﴾ في المدينة ﴿ الاقليلا ﴾ زمانا أوجوارا قليلا ﴿ ملعونين ﴾ نصب على الشتم أوالحال والاستثناء شامل له أيضا أى لايجاورونك الاملعونين ولايجوز أن ينتصب عن قوله ﴿ أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾ لان مابعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ﴾ مصدر مؤكد أى سن الله ذلك فى الامم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ لانه لايبدلها ولايقدر أحد أن يبدلها

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا
أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞
مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ
فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۞

﴿ يسئلك الناس عن الساعة ﴾ عن وقت قيامها استهزاء وتعنتا أوامتحانا ﴿ قل انما علمها عند الله ﴾ لم يطلع عليه ملكا ولانبيا ﴿ ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ شيأ قريبا أوتكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز أن يكون التذكير لان الساعة فى معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ﴿ ان الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا ﴾ نارا شديدة الاتقاد ﴿ خالدين فيها أبدا لايجدون وليا ﴾ يحفظهم ﴿ ولانصيرا ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار ﴾ تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار أومن حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف ﴿ يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ فلن نبتلى بهذا العذاب ﴿ وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ بما زينوا لنا ﴿ ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴾ مثلى ما آتيتنا منه لانهم ضلوا وأضلوا ﴿ والعنهم لعنا كثيرا ﴾ كثير العدد وقرأ عاصم بالباء أى لعنا هو أشد اللعن وأعظمه ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ﴾ فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك أن قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص أواتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروابه حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فاخبرهم ببراءته أوقذفوه بعيب فى بدنه من برص أوأدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على أنه برىء منه ﴿ وكان عند الله وجيها ﴾ ذاقربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ فى ارتكاب مايكرهه فضلا عما يؤذى رسوله ﴿ وقولوا قولا سديدا ﴾ قاصدا الى الحق من سديسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ يوفقكم للاعمال الصالحة أويصلحها بالقبول والاثابة عليها ﴿ ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ في الاوامر والنواهي ﴿ فقد فاز فوزا عظيما ﴾ يعيش فى الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ﴾ تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها أمانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى أنها لعظمة شانها بحيث لوعرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لاجرم فاز الرفاعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين ﴿ انه كان ظلوما ﴾ حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿ جهولا ﴾ بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لايؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن أن يتأتى منه والظلم والجهالة الخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ماخلقتنا لانحتمل فريضة ولانبتغى ثوابا ولاعقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله مايشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعي الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوّة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوّتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمومنات ﴾ تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لايخليهم عن فرطات ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ حيث تاب عن فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم* قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله أوماملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ
سَعِيرًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞
يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۞ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ
لَعْنًا كَبِيرًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ
فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ۞ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ
إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۞ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞

﴿ سورة سبأ مكية وقيل الاقوله ويرى الذين أوتوا العلم الآية ﴾ وآيها أربع وخمسون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله الذى له مافى السموات ومافي الارض﴾ خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿وله الحمد فى الآخرة﴾ لان مافى الآخرة أيضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية قيدالحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة ﴿وهو الحكيم﴾ الذى أحكم أمور الدارين ﴿الخبير﴾ ببواطن الاشياء ﴿يعلم مايلج فى الارض﴾ كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات ﴿ومايخرج منها﴾ كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون ﴿وماينزل من السماء﴾ كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق ﴿وما يعرج فيها﴾ كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها أوفى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر ﴿وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة﴾ انكار لمجيئها أواستبطاء استهزاء بالوعد به ﴿قل بلى﴾ رد لكلامهم واثبات لما نفوه ﴿وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على مامر غيرمرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أومبتدأ خبره ﴿لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض﴾ وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر ﴿ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الافى كتاب مبين﴾ جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولايجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الااذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شئ الامسطورا فى اللوح ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها ﴿أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لاتعب فيه ولامنّ عليه ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بابطال وتزهيد الناس فيها ﴿معاجزين﴾ مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبوعمرو معجزين أى مثبطين عن الايمان من أراده ﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ من سيئ العذاب ﴿أليم﴾ مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة أومن مسلمى أهل الكتاب ﴿الذى أنزل اليك من ربك﴾ القرآن ﴿هو الحق﴾ ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولى يرى وهومرفوع مستأنف للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجىء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ﴿ويهدى الى صراط العزيز الحميد﴾ الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى ﴿وقال الذين كفروا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ينبئكم﴾ يحدثكم بأعجب الاعاجيب ﴿اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد﴾ انكم تنشؤن خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه مابعده فان ماقبله لم يقارنه ومابعده مضاف اليه أومحجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه

سورة سبأ مكية وهى أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له ما فى السموت وما فى الارض وله الحمد فى الاخرة وهو الحكيم الخبير ۝ يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ۝ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموت ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتب مبين ۝ ليجزى الذين امنوا وعملوا الصلحت أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ۝ والذين سعو فى ايتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ۝ ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ۝ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد ۝

أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلل البعيد ۞ أفلم يروا إلى ما بين
أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف
بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك
لآية لكل عبد منيب ۞ ولقد آتينا داود منا فضلا
يجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ۞ أن اعمل
سبغت وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون
بصير ۞ ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر
وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن
ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ۞
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب
وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي
الشكور ۞ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته
إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن
أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ۞

لقد

﴿أفترى على الله كذبا أم به جنة﴾ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لايكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء أخص من الكذب ﴿بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ ردّ من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ماهو أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لايرجى الخلاص منه وماهو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى ﴿أفلم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أونسقط عليهم كسفا من السماء﴾ تذكير بما يعاينونه ممايدل على كمال قدرة الله ومايحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم السماء وانا ان نشأ نخسف بهم الارض أونسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله أفترى على الله والكسائى وحده بادغام الفاء فى الباء وحفص كسفا بالتحريك ﴿ان فى ذلك﴾ النظر والتفكر فيهما ومايدلان عليه ﴿لآية﴾ لدلالة ﴿لكل عبد منيب﴾ راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى أمره ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ أى على سائر الانبياء وهو ماذكر بعد أوعلى سائر الناس فيندرج فيه النبوّة والكتاب والملك والصوت الحسن ﴿ياجبال أوّبي معه﴾ رجعى معه التسبيح أوالنوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها أو بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل مافيها أوسيرى معه حيث سار وقرئ أوبى من الاوب أي ارجعى فى التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أومن آتينا باضمار قولنا أوقلنا ﴿والطير﴾ عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية أوعلى فضلا أومفعول معه لاوّبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل بهذا النظم لمافيه من الفخامة والدلالة على عظم شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره فى نفاذ مشيئته فيها ﴿وألنا له الحديد﴾ جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالاته أوبقوته ﴿أن اعمل﴾ أمرناه أن اعمل فأن مفسرة أومصدرية ﴿سابغات﴾ دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو أوّل من اتخذها ﴿وقدّر فى السرد﴾ وقدّر فى نسجها بحيث يتناسب حلقها أوقدّر مساميرها فلاتجعلها دقاقا فتقلق ولاغلاظا فتنخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد ﴿واعملوا صالحا﴾ الضمير فيه لداود وأهله ﴿انى بماتعملون بصير﴾ فأجازيكم عليه ﴿ولسليمان الريح﴾ أى وسخرنا له الريح وقرئ الريح بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح ﴿غدوّها شهر ورواحها شهر﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشىّ كذلك وقرئ غدوتها وروحتها ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ النحاس المذاب أساله له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ عطف على الريح ومن الجن حال مقدّمة أوجملة من مبتدإ وخبر ﴿باذن ربه﴾ بأمره ﴿ومن يزغ منهم﴾ ومن يعدل منهم ﴿عن أمرنا﴾ عما أمرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من أزاغه ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ عذاب الآخرة ﴿يعملون له مايشاء من محاريب﴾ قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها ﴿وتماثيل﴾ وصورا هى تماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدّد * روى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما ﴿وجفان﴾ وصحاف ﴿كالجواب﴾ كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات على الاثافى لاتنزل عنها لعظمها ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ حكاية عما قيل لهم وشكرا نصب على العلة أى اعملوا له واعبدوه شكرا أو المصدر لان العمل له شكر أوالوصف له أوالحال أوالمفعول به ﴿وقليل من عبادى الشكور﴾ المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لايوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهايته ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أى على سليمان ﴿مادلهم على موته﴾ مادل الجن وقيل آله ﴿الادابة الارض﴾ أى الارضة أضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا ﴿تأكل منسأته﴾ عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة فى ميضاة ومن سأته أى طرف عصاه مستعار من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة وقرأ نافع وأبو عمرو منساته بالف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين ﴿فلما خرّ تبينت الجن﴾ علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين﴾ أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى أن خرّ أوظهرت الجن وأن بمافى حيزه بدل منه أى ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب * وذلك أن داود أسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليهما الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا أجله وأعلم به فاراد أن يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى أكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۞
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۞ وَجَعَلْنَا
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا
فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۞ فَقَالُوا
رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
۞ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ حَفِيظٌ ۞ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ۞

﴿ لقد كان لسبأ ﴾ لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وأبو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته ألفا ولعله أخرجه بين بين فلم يؤدّه الراوى كما وجب ﴿ فى مساكنهم ﴾ فى مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث أيام وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ماشذ من القياس كالمسجد والمطلع ﴿ آية ﴾ علامة دالّة على وجود الصانع المختار وأنه قادر على مايشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ﴿ جنتان ﴾ بدل من آية أوخبر محذوف تقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين ﴿ عن يمين وشمال ﴾ جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أوبستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿ كلوا من رزق ربكم واشكروا له ﴾ حكاية لما قال لهم نبيهم أولسان الحال أودلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾ استئناف للدلالة على موجب الشكر أى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم ربّ غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح * قيل كانت أخصب البلاد وأطيبها لم يكن فيها عاهة ولاهامة ﴿ فأعرضوا ﴾ عن الشكر ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العرم ﴾ سيل الامر العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أوالمطر الشديد أوالجرذ أضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار مايحتاجون اليه أوالمسناة التى عقدت سكرا على أنه جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ وبدّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط ﴾ ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة وقيل الاراك أوكل شجر لاشوك له والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا أو عطف بيان ﴿ وأثل وشيء من سدر قليل ﴾ معطوفان على أكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولاثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ أبو عمرو ذاتى أكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف أكل ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ بكفرانهم النعمة أوبكفرهم بالرسل * اذ روى أنه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص ﴿ وهل يجازى الا الكفور ﴾ وهل يجازى بمثل مافعلنا بهم الا البليغ فى الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور بالنصب ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها ﴾ بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ متواصلة يظهر بعضها لبعض أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل ﴿ وقدّرنا فيها السير ﴾ بحيث يقيل الغادي فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى أن يبلغ الشام ﴿ سيروا فيها ﴾ على ارادة القول بلسان الحال أوالمقال ﴿ ليالى وأياما ﴾ متى شئتم من ليل أونهار ﴿ آمنين ﴾ لايختلف الامن فيها باختلاف الاوقات أوسيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها أوسيروا فيها ليالى أعماركم وأيامها لاتلقون فيها الا الأمن ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ أشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزوّد الازواد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا فى الترفه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد أو بعد على النداء واسناد الفعل الى بين ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾ يتحدّث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدى سبأ ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ ففرّقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشأم وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ﴿ انّ في ذلك ﴾ فيما ذكر ﴿ لآيات لكل صبار ﴾ عن المعاصى ﴿ شكور ﴾ على النعم ﴿ ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه ﴾ أى صدق فى ظنه أوصدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز أن يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدّده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظنّ مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات أوببنى آدم حين رأى أباهم النبي ضعيف العزم أوماركب فيهم من الشهوة والغضب أوسمع من الملائكة قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها فقال لأضلنهم ولأغوينهم ﴿ فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ﴾ الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء ﴿ الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شكّ ﴾ الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء أوليتميز المؤمن من الشاك أوليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدّر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لاتخفى ﴿ وربك على كل شئ حفيظ ﴾ محافظ والزنتان متآخيتان ﴿ قل ﴾ للمشركين ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاوّل لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته مقامه ولايجوز أن يكون هو مفعوله الثانى لانه لايلتئم مع الضمير كلاما ولا لايملكون لانهم لايزعمونه ﴿ من دون الله ﴾ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أودفع ضرّ لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لايقبل المكابرة فقال ﴿ لايملكون مثقال ذرّة ﴾ من خير أوشر ﴿ فى السموات ولافي الارض ﴾ في أمر ما وذكرهما للعموم العرفى أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم ﴿ ومالهم فيهما من شرك ﴾ من شركة لا خلقا ولا ملكا ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ يعينه على تدبير أمرهما

﴿ ولاتنفع الشفاعة عنده ﴾ فلاينفعهم شفاعة أيضا كما يزعمون اذ لاتنفع الشفاعة عند الله ﴿ الا لمن أذن له ﴾ أذن له أن يشفع أوأذن أن يشفع له لعلوّ شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام فى قولك جئتك لزيد وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة ﴿ حتى اذا فزّع عن قلوبهم ﴾ غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظارا للاذن أى يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ أى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى ﴿ قالوا ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿ ماذا قال ربكم ﴾ فى الشفاعة ﴿ قالوا الحق ﴾ قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع أي مقوله الحق ﴿ وهو العلىّ الكبير ﴾ ذو العلوّ والكبرياء ليس لملك ولانبى من الأنبياء أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه ﴿ قل من يرزقكم من السموات والأرض ﴾ يريد به تقرير قوله ـ لايملكون ـ ﴿ قل الله ﴾ اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بأنهم ان سكتوا أوتلعثموا فى الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم ﴿ وانا أواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين ﴾ أى وان أحد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في أدنى المراتب الامكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبينين وهو بعد ماتقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح لانه فى صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف والنشر وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها أو ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضالّ كأنه منغمس في ظلام مرتبك لايرى شيأ أومحبوس فى مطمورة لايستطيع أن يتفصى منها ﴿ قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون ﴾ هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ فى الاخبات حيث أسند الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخاطبين ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يوم القيامة ﴿ ثم يفتح بيننا بالحقّ ﴾ يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿ وهو الفتاح ﴾ الحاكم الفاصل فى القضايا المنغلقة ﴿ العليم ﴾ بما ينبغى أن يقضى به ﴿ قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء ﴾ لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة ﴿ بل هو الله العزيز الحكيم ﴾ الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمون بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله أوللشأن ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس ﴾ الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أو الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء للمبالغة ولايجوز جعلها حالا من الناس على المختار ﴿ بشيرا ونذيرا ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ﴾ فيحملهم جهلهم على مخالفتك ﴿ ويقولون ﴾ من فرط جهلهم ﴿ متى هذا الوعد ﴾ يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله تعالى ـ يجمع بيننا ربنا ـ ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ قل لكم ميعاد يوم ﴾ وعد يوم أوزمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده أنه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار أعنى ﴿ لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون ﴾ اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ﴾ ولابما تقدمه من الكتب الدالة على النعت * قيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيامة ﴿ ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾ أى فى موضع المحاسبة ﴿ يرجع بعضهم الى بعض القول ﴾ يتحاورون ويتراجعون القول ﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾ يقول الأتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ للرؤساء ﴿ لولا أنتم ﴾ لولا اضلالكم وصدّكم ايانا عن الايمان ﴿ لكنا مؤمنين ﴾ باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۞ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ
إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ
أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
۞ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ
إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۞ قُلْ إِنَّ رَبِّي
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۞

﴿ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ أنكروا أنهم كانوا صادقين لهم عن الايمان وأثبتوا أنهم هم الذين صدّوا أنفسهم حيث أعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم ﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ﴾ اضراب عن اضرابهم أى لم يكن اجرامنا الصادّ بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى أعورتم علينا رأينا ﴿ اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ﴾ والعاطف يعطفه على كلامهم الأوّل واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكرّ الليل من الكرور ﴿ وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب ﴾ وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير أو أظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى أشكيته ﴿ وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ﴾ أى فى أعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب أغلالهم ﴿ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ﴾ أى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على أعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضى أو بنزع الخافض ﴿ وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لأن الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا ﴿ انا بما أرسلتم به كافرون ﴾ على مقابلة الجمع بالجمع ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا ﴾ فنحن أولى بما تدعونه ان أمكن ﴿ ومانحن بمعذبين ﴾ اما لأن العذاب لا يكون أولأنه أكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب ﴿قل﴾ ردّا لحسبانهم ﴿ انّ ربى يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر ﴾ ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ﴿ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ فيظنون أن كثرة الاموال والأولاد للشرف والكرامة وكثيرا مايكون للاستدراج كما قال ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقرّبكم عندنا زلفى ﴾ قربة والتى اما لأن المراد وما جماعة أموالكم وأولادكم أو لأنها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى أى بالشئ الذى يقربكم ﴿ الا من آمن وعمل صالحا ﴾ استثناء من مفعول تقربكم أى الاموال والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف ﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف ﴾ أن يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز أو المصدر لفعله الذى دلّ عليه لهم ﴿ بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس ﴿ والذين يسعون فى آياتنا ﴾ بالردّ والطعن فيها ﴿معاجزين﴾ مسابقين لأنبيائنا أو ظانين أنهم يفوتوننا ﴿ أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين فلا تكرير ﴿ وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه ﴾ عوضا اما عاجلا أو آجلا ﴿ وهو خير الرازقين ﴾ فان غيره وسط فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته

﴿ ويوم نحشرهم جميعا ﴾ المستكبرين والمستضعفين ﴿ ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ﴾ تقريعا للمشركين وتبكيتالهم واقناطالهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولانعبادتهم مبدأ الشرك وأصله وقرأ حفص ويعقوب بالياء فيهما ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ أنت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بينناوبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ أي الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم ﴿ أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ الضمير الاوّل للانس أوللمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن ﴿ فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولاضرا ﴾ اذالامر فيه كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا ﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ الارجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم ﴾ فيستتبعكم بمايستبدعه ﴿ وقالوا ماهذا ﴾ يعنون القرآن ﴿ الا افك ﴾ لعدم مطابقة مافيه الواقع ﴿ مفترى ﴾ باضافته الى الله سبحانه وتعالى ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ﴾ لامر النبوّة أوللاسلام أوللقرآن والاوّل باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ﴿ انهذا الاسحر مبين ﴾ ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة ومافى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه ومافى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ فيها دليل على صحة الاشراك ﴿ وماأرسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقدبان من قبل أنلاوجه له فمن أين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ كما كذبوا ﴿ ومابلغوا معشار ما آتيناهم ﴾ ومابلغ هؤلاء عشرما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أومابلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿ فكذبوا رسلى فكيف كان نكير ﴾ فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولاتكرير فى كذب لان الاوّل للتكثير والثانى للتكذيب أوالاوّل مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء ﴿ قل انما أعظكم بواحدة ﴾ أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي مادل عليه ﴿ أنتقوموا لله ﴾ وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أوالانتصاب فيالامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد ﴿ مثنى وفرادى ﴾ متفرقين اثنين اثنين وواحدا وحدا فانالازدحام يشوّش الخاطر ويخلط القول ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم وماجاء به لتعلموا حقيقته ومحلهالجر على البدلأوالبيانأوالرفع أوالنصب باضمار هو أوأعنى ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ فتعلموا مابه من جنون يحمله على ذلك أواستئناف منبه لهم على أنماعرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانهلايدعه أنيتصدى لادعاء أمرخطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل مااستفهامية والمعنى ثمتتفكروا أى شىء به من آثار الجنون ﴿ انهو الانذير لكم بين يدى عذاب شديد ﴾ قدامه لانه مبعوث فى نسيم الساعة ﴿قل ماسألتكم من أجر﴾ أى شىء سألتكم من أجر على الرسالة ﴿ فهو لكم ﴾ والمراد نفى السؤال عنه كانه جعل التنبي مستلزما لأحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما أن يكون لغرض أولغيره وأياما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ماموصولة مراد بها ماسألهم بقوله - ماأسألكم عليهمن أجرالامن شاء أنيتخذ الى ربه سبيلا - وقوله - لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى - واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ﴿ ان أجرى الاعلى الله وهو على كل شىء شهيد ﴾ مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرأ ابن كثير وأبوبكر وحمزة والكسائى باسكان الياء ﴿ قل ان ربى يقذف بالحق ﴾ يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أويرمى به الباطل فيدمغه أويرمى به الى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه وقرأنافع وأبوعمرو بفتح الياء ﴿ علام الغيوب ﴾ صفة محمولة على محل ان واسمها أوبدل من المستكن فى يقذف أوخبر ثان أوخبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أومقدرا باعنى وقرأ حمزة وأبوبكر الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشوروقرئ بالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ
كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَٰنَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِى
كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا
مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُكُمْ
وَقَالُوا مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَمَآ آتَيْنَٰهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا
وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَآ آتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ ۝ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُمْ بِوَٰحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ
ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ
لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ
۝ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ۝

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ❁ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ
عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ❁ وَلَوْ تَرَى
إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ❁ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى
لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ❁ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ❁ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ❁

سورة فاطر مكية وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ
مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ❁ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا
يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❁ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ❁

﴿قل جاء الحق﴾ أى الاسلام ﴿ومايبدئ الباطل ومايعيد﴾ وزهق الباطل أى الشرك بحيث لم يبق له أثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذاهلك لم يبق له ابداء ولااعادة قال أقفر من أهله عبيد * فاليوم لايبدي ولايعيد وقيل الباطل ابليس أوالصنم والمعنى لاينشئ خلقا ولايعيده أولايبدئ خيرا لاهله ولايعيده وقيل مااستفهامية منتصبة بما بعدها ﴿قل ان ضللت﴾ عن الحق ﴿فانما أضل على نفسى﴾ فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذهى الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبارقابل الشرطية بقوله ﴿وان اهتديت فبما يوحى الىّ ربي﴾ فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه ﴿انه سميع قريب﴾ يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان أخفاه ﴿ولوترى اذفزعوا﴾ عند الموت والبعث أويوم بدر وجواب لومحذوف تقديره لرأيت أمرا فظيعا ﴿فلافوت﴾ فلايفوتون الله بهرب أوتحصن ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ من ظهر الارض الى بطنها أومن الموقف الى النار أومن صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا أولافوت ويؤيده أنه قرئ وأخذ عطفا على محله أى فلافوت هناك وهناك أخذ ﴿وقالوا آمنا به﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام وقدمرذكره فى قوله مابصاحبكم ﴿وأنى لهم التناوش﴾ ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا ﴿من مكان بعيد﴾ فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل لحالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد مافات عنهم أوانه وبعد عنهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ أبوعمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمتها أوأنه من نأشت الشئ اذاطلبته قال رؤبة

أقحمنى جار أبى الجاموش * اليك نأش القدر النؤش

أومن نأشت اذا تأخرت ومنه قوله

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقدحدثت بعدالامور أمور

فيكون بمعنى التناول من بعد ﴿وقد كفروا به﴾ بمحمد عليه الصلاة والسلام أوبالعذاب ﴿من قبل﴾ من قبل ذلك أوان التكليف ﴿ويقذفون بالغيب﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بمالم يظهر لهم فى الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أوفى العذاب من البت على نفيه ﴿من مكان بعيد﴾ من جانب بعيدمن أمره وهو الشبه التى تمحلوها فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أوحال الآخرة كماحكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيأ لايراه من مكان بعيد لامجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية أوعلى قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ماضيعوه من الايمان فى الدنيا ﴿وحيل بينهم وبين مايشتهون﴾ من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء ﴿كما فعل باشياعهم من قبل﴾ باشباههم من كفرة الأمم الدارجة ﴿انهم كانوا فى شك مريب﴾ موقع فى الريبة أوذي ريبة منقول من المشكك أوالشاك نعت به الشك للمبالغة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولانبيّ الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

﴿سورة الملائكة مكية وآيها خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله فاطر السموات والارض﴾ مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعني الماضى ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة أوبينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه ﴿أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ ذوى أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت مالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أويسرعون بها نحوما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ماأمرهم به ولعله لم يرد به خصوصية الاعداد ونفى مازاد عليها * لما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح ﴿يزيد فى الخلق مايشاء﴾ استئناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لاأمر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ﴿ان الله على كل شئ قدير﴾ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ﴿مايفتح الله للناس﴾ مايطلق لهم ويرسل وهو من تجوّز السبب للمسبب ﴿من رحمة﴾ كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة ﴿فلاممسك لها﴾ يحبسها ﴿ومايمسك فلامرسل له﴾ يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاوّل مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه ﴿من بعده﴾ من بعد امساكه ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على مايشاء ليس لاحد أن ينازعه فيه ﴿الحكيم﴾ لايفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق أمر الناس بشكر انعامه فقال ﴿يأأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم﴾ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم أنكر أن يكون لغيره فى ذلك مدخل فيستحق أن يشرك به بقوله ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لااله الاهو فأنى تؤفكون﴾ فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف أوبدل فان الاستفهام بمعني النفى أولانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى حملا على لفظه وقدنصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق أواستئناف مفسر له أوكلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۞
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا
يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا
يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحٰبِ السَّعِيرِ ۞ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ ۞ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرٰتٍ
إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَاللّٰهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيٰحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَسُقْنٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذٰلِكَ
النُّشُورُ ۞ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصّٰلِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئٰتِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ۞ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوٰجًا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ
مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتٰبٍ إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ ۞

وما

﴿ وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ أى فتأس بهم فى الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على المصابرة ﴿ والى الله ترجع الامور ﴾ فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب ﴿ ياأيها الناس ان وعد الله ﴾ بالحشر والجزاء ﴿ حق ﴾ لاخلف فيه ﴿ فلاتغرنكم الحيوة الدنيا ﴾ فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها ﴿ ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر أوجمع كقعود ﴿ ان الشيطان لكم عدو ﴾ عداوة عامة قديمة ﴿ فاتخذوه عدوا ﴾ فى عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع أحوالكم ﴿ انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ﴾ وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ تقرير له أى أفمن زين له سوء عمله بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ماهى عليه فحذف الجواب لدلالة ﴿ فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة ﴿ فلاتذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ عليه ومعناه فلاتهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير أن الاولين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أوكثرة مساوى أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لاتتقدمه بل صلة تذهب أوبيان للمتحسر عليه ﴿ ان الله عليم بما يصنعون ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ والله الذي أرسل الرياح ﴾ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح ﴿ فتثير سحابا ﴾ على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده اليها ويجوز أن يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر ﴿ فسقناه الى بلد ميت ﴾ وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص بالتشديد ﴿ فاحيينا به الارض ﴾ بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أوبالسحاب فانه سبب السبب أوالصائر مطرا ﴿ بعد موتها ﴾ بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ماهو أدخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع ﴿ كذلك النشور ﴾ اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لامدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه أجساد الخلق ﴿ من كان يريد العزة ﴾ الشرف والمنعة ﴿ فلله العزة جميعا ﴾ أى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول ﴿ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما أوصعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لايقبل الابالتوحيد ويؤيده أنه نصب العمل أوللعمل فانه يحقق الايمان ويقويه أولله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى أوالمتكلم به أوالملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن* وعنه عليه الصلاة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله أكبر فاذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل ﴿ والذين يمكرون السيآت ﴾ المكرات السيآت يعنى مكرات قريش للنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ لايؤبه دونه بما يمكرون به ﴿ ومكر أولئك هو يبور ﴾ يفسد ولاينفذ لان الامور مقدرة لاتتغير به كما دل عليه بقوله ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ بخلق آدم عليه السلام منه ﴿ ثم من نطفة ﴾ بخلق ذريته منها ﴿ ثم جعلكم أزواجا ﴾ ذكرانا واناثا ﴿ وماتحمل من أنثى ولاتضع الا بعلمه ﴾ الا معلومة له ﴿ وما يعمر من معمر ﴾ ومايمد فى عمر من مصيره الى الكبر ﴿ ولاينقص من عمره ﴾ من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره أولاينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه أوللمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لايثيب الله عبدا ولايعاقبه الابحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان مايمر من عمره وينقضى فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولاينقص على البناء للفاعل ﴿ الا فى كتاب ﴾ هو علم الله تعالى أواللوح المحفوظ أوالصحيفة ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ اشارة الى الحفظ أوالزيادة أوالنقص

﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ استطراد في صفة البحرين ومافيهما من النعم أو تمام التمثيل والمعنى كما أنهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لايتساويان من حيث انهما لايتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لايتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وهي بقاء أحدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر بمايشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت ﴿وترى الفلك فيه﴾ فى كل ﴿مواخر﴾ تشق الماء بجريها ﴿لتبتغوا من فضله﴾ من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز أن تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ على ذلك وحرف الترجى باعتبار مايقتضيه ظاهر الحال ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى﴾ هي مدة دوره أومنتهاه أويوم القيامة ﴿ذلكم الله ربكم له الملك﴾ الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بأن فاعليته لهاموجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل أن يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران ﴿والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير﴾ للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ﴿ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم﴾ لانهم جماد ﴿ولوسمعوا﴾ على سبيل الفرض ﴿ما استجابوا لكم﴾ لعدم قدرتهم على الانفاع أولتبرئهم منكم مما تدعون لهم ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ باشراككم لهم يقرون ببطلانه أو يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ﴿ولاينبئك مثل خبير﴾ ولايخبرك بالامر مخبر مثل خبير به أخبرك وهو الله سبحانه وتعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى مايدعون لهم ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله﴾ في أنفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا ﴿والله هو الغني الحميد﴾ المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ماتعرفونه ﴿وماذلك على الله بعزيز﴾ بمتعذر أومتعسر ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس أخرى وأما قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ففى الضالين المضلين فانهم يحملون أثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شئ من أوزار غيرهم ﴿وان تدع مثقلة﴾ نفس أثقلها الاوزار ﴿الى حملها﴾ تحمل بعض أوزارها ﴿لايحمل منه شئ﴾ لم تجب لحمل شئ منه نفى أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها ﴿ولو كان ذا قربي﴾ ولوكان المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربي على حذف الخبر وهو أولى من جعل كان التامة فانها لاتلائم نظم الكلام ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ غائبين عن عذابه أوعن الناس فى خلواتهم أوغائبا عنهم عذابه ﴿وأقاموا الصلوة﴾ فانهم المنتفعون بالانذار لاغير واختلاف الفعلين لما مر من الاستمرار ﴿ومن تزكي﴾ ومن تطهر من دنس المعاصى ﴿فانما يتزكي لنفسه﴾ اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكي فانما يزكي وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانها من جملة التزكي ﴿والى الله المصير﴾ فيجازيهم على تزكيهم

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ
وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا
مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ
وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ
وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ
بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ۝ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ
إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ
الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَمَن
تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝

﴿ومايستوى الاعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عزّ وجل ﴿ولا الظلمات ولاالنور﴾ ولا الباطل ولاالحق ﴿ولا الظل ولاالحرور﴾ ولاالثواب ولا العقاب ولالتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم مايهب نهارا والحرور ماتهب ليلا ﴿ومايستوى الاحياء ولا الأموات﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ﴿ان الله يسمع من يشاء﴾ هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿وما أنت بمسمع من فى القبور﴾ ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم ﴿ان أنت الانذير﴾ فما عليك الا الانذار وأما الاسماع فلااليك ولاحيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم ﴿انا أرسلناك بالحق﴾ محقين أومحقا أوارسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يكون صلة لقوله ﴿بشيرا ونذيرا﴾ أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿وان من أمة﴾ أهل عصر ﴿الاخلا﴾ مضى ﴿فيها نذير﴾ من نبى أوعالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل أولان الانذار هو الاهم المقصود من البعثة ﴿وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات الشاهدة على نبوّتهم ﴿وبالزبر﴾ كصحف ابراهيم عليه السلام ﴿وبالكتاب المنير﴾ كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ﴿ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ أى انكارى بالعقوبة ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾ أجناسها وأصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أوهيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ﴿ومن الجبال جدد﴾ أي ذو جدد أى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح ﴿بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ بالشدة والضعف ﴿وغرابيب سود﴾ عطف على بيض أوعلى جدد كأنه قيل ومن الجبال ذوجدد مختلفة اللون ومنهاغرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره مابعده فان الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة قول النابغة

* والمؤمن العائذات الطير يمسحها *

وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ﴿ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك أتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ﴿ان الله عزيز غفور﴾ تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ﴿ان الذين يتلون كتاب الله﴾ يداومون على قراءته أومتابعة مافيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن أوجنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين ﴿وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة ﴿يرجون تجارة﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبران ﴿لن تبور﴾ لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ علة لمدلوله أى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم أولمدلول ماعدّ من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على مايقابل أعمالهم ﴿انه غفور﴾ لفرطاتهم ﴿شكور﴾ لطاعاتهم أي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أوخبران ويرجون حال من واو وأنفقوا

وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۞ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
۞ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۞ وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا
الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى
الْقُبُورِ ۞ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا
وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۞ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۞ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ
بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ
وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ
يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۞

﴿ والذي أوحينا اليك من الكتاب ﴾ يعنى القرآن ومن للتبيين أوالجنس ومن للتبعيض ﴿ هو الحق مصدّقا لما بين يديه ﴾ أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد وأصول الاحكام ﴿ انّ الله بعباده لخبير بصير ﴾ عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في أحوالك ماينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة فى ذلك الأمور الروحانية ﴿ ثم أورثنا الكتاب ﴾ حكمنا بتوريثه منك أونورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه أو أورثناه من الأمم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى أوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ يعنى علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أوالامة بأسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الأمم ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ يعمل به فى غالب الأوقات ﴿ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ﴾ بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيآته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ﴿ ذلك هو الفضل الكبير ﴾ اشارة الى التوريث أوالاصطفاء أوالسبق ﴿ جنات عدن يدخلونها ﴾ مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أوللذين أوللمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوب بفعل يفسره الظاهر وقرأ أبوعمرو يدخلونها على البناء للمفعول ﴿ يحلون فيها ﴾ خبر ثان أوحال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية

وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتٰبِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللّٰهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ۞ ثُمَّ أَوْرَثْنَا
الْكِتٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرٰتِ بِإِذْنِ اللّٰهِ
ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞ جَنّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ
فِيهَا حَرِيرٌ ۞ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ
إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۞ الَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ
مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۞
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضٰى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۞ وَهُمْ
يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا
نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظّٰلِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۞ إِنَّ اللّٰهَ عٰلِمُ غَيْبِ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞

﴿ من أساور من ذهب ﴾ من الأولى للتبعيض والثانية للتبيين ﴿ ولؤلؤ ﴾ عطف على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أومن ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم رحمهما الله تعالى عطفا على محل من أساور ﴿ ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ همهم من خوف العاقبة أوهمهم من أجل المعاش وآفاته أومن وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ﴿ انّ ربنا لغفور ﴾ للمذنبين ﴿ شكور ﴾ للمطيعين ﴿ الذى أحلنا دار المقامة ﴾ دار الاقامة ﴿ من فضله ﴾ من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه ﴿ لايمسنا فيها نصب ﴾ تعب ﴿ ولايمسنا فيها لغوب ﴾ كلال اذ لاتكليف فيها ولا كدّ أتبع نفى النصب نفى مايتبعه مبالغة ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم ﴾ لايحكم عليهم بموت ثان ﴿ فيموتوا ﴾ فيستريحوا ونصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ــ ولايؤذن لهم فيعتذرون ــ ﴿ ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ بل كلما خبت زيد اسعارها ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الجزاء ﴿ نجزى كل كفور ﴾ مبالغ فى الكفر أوالكفران وقرأ أبوعمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى ﴿ وهم يصطرخون فيها ﴾ يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ﴿ ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ﴾ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ماعملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه ﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل مابين العشرين الى الستين * وعنه عليه الصلاة والسلام العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فانه للتقرير كأنه قال عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى صلى الله عليه وسلم أوالكتاب وقيل العقل أوالشيب أوموت الاقارب ﴿ فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿ انّ الله عالم غيب السموات والارض ﴾ لايخفى عليه خافية فلا يخفى عليه أحوالهم ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ تعليل له لأنه اذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها

﴿ هو الذى جعلكم خلائف فى الارض ﴾ ملق اليكم مقاليد التصرّف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف ﴿ فمن كفر فعليه كفره ﴾ جزاء كفره ﴿ ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولايزيد الكافرين كفرهم الا خسارا ﴾ بيان له والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو أشدّ البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة ﴿ قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لأنهم جعلوهم شركاء الله أولانفسهم فيما يملكونه ﴿ أرونى ماذا خلقوا من الأرض ﴾ بدل من أرأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى أيّ جزء من الارض استبدوا بخلقه ﴿ أم لهم شرك فى السموات ﴾ أم لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ﴿ أم آتيناهم كتابا ﴾ ينطق على أنا اتخذناهم شركاء ﴿ فهم على بينة منه ﴾ على حجة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين كقوله تعالى ـ أم أنزلنا عليهم سلطانا ـ وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبوبكر والكسائيّ على بينات فيكون ايماء الى أن الشرك خطير لابدّ فيه من تعاضد الدلائل ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ﴾ لما نفى أنواع الحجج فى ذلك أضرب عنه بذكر ماحملهم عليه وهو تغرير الأسلاف الاخلاف أو الرؤساء الأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرّب اليه ﴿ انّ الله يمسك السموات والارض أن تزولا ﴾ كراهة أن تزولا فان الممكن حال بقائه لابدّ له من حافظ أو يمنعهما أن تزولا لأن الامساك منع ﴿ ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد ﴾ ما أمسكهما ﴿ من بعده ﴾ من بعد الله أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الأولى زائدة والثانية للابتداء ﴿ انه كان حليما غفورا ﴾ حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدّا هدّا كما قال تعالى ـ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الارض ـ ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من احدى الأمم ﴾ وذلك أن قريشا لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول لنكوننّ أهدى من احدى الأمم أي من واحدة من الأمم اليهود والنصارى وغيرهم أومن الأمة التى يقال فيها هي احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ مازادهم ﴾ أى النذير أومجيئه على التسبب ﴿ الا نفورا ﴾ تباعدا عن الحقّ ﴿ استكبارا فى الأرض ﴾ بدل من نفورا أومفعول له ﴿ ومكر السيء ﴾ أصله وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم أضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل ﴿ ولايحيق ﴾ ولايحيط ﴿ المكر السيء الا بأهله ﴾ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر أى ولايحيق الله ﴿ فهل ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ الا سنت الأوّلين ﴾ سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ اذ لايبدلها بجعله غير التعذيب تعذيبا ولايحولها بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ استشهاد علم بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين ﴿ وكانوا أشدّ منهم قوّة وما كان الله ليعجزه من شئ ﴾ ليسبقه ويفوته ﴿ فى السموات ولافى الارض انه كان عليما ﴾ بالاشياء كلها ﴿ قديرا ﴾ عليها

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ
الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ
مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۞ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا
يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ
تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۞
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ
فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۞

ولو

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من المعاصى ﴿ماترك على ظهرها﴾ ظهر الارض ﴿من دابة﴾ من نسمة تدبّ عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدّابة الانس وحده لقوله ﴿ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة ﴿فاذا جاء أجلهم فانّ الله كان بعباده بصيرا﴾ فيجازيهم على أعمالهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

﴿سورة يس مكية﴾

(وعنه عليه الصلاة والسلام يس تدعى المعمة تعمّ صاحبها خير الدّارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * يس﴾ كالم فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طيّ على أن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله فى أيمن وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كأين أوالاعراب على اتل يس أوباضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث أواعرابا على هذه يس وأمال الياء حمزة والكسائى وروح وأبو بكر وأدغم النون فى واو ﴿والقرآن الحكيم﴾ ابن عامر والكسائى وأبو بكر وورش ويعقوب وهى واو القسم أوالعطف ان جعل يس مقسما به ﴿انك لمن المرسلين﴾ لمن الذين أرسلوا ﴿على صراط مستقيم﴾ وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز أن يكون على صراط خبرا ثانيا أوحالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع صريحا بالاستقامة وان دل عليه لمن المرسلين التزاما ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ۞

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۞ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۞ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۞ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۞ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۞ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۞

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار أعنى أو فعله على أنه على أصله وقرئ بالجر على البدل من القرآن ﴿لتنذر قوما﴾ متعلق بتنزيل أو بمعنى لمن المرسلين ﴿ماأنذر آباؤهم﴾ قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله أو الذى أنذر به أو شيأ أنذر به آباؤهم الأبعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذار آبائهم على المصدر ﴿فهم غافلون﴾ متعلق بالنفى على الاول أى لم ينذروا فبقوا غافلين أوبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى أي أرسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون ﴿لقد حقّ القول على أكثرهم﴾ يعنى قوله تعالى ـ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ـ ﴿فهم لايؤمنون﴾ لانهم ممن علم الله أنهم لايؤمنون ﴿انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم ﴿فهى الى الأذقان﴾ فالاغلال واصلة الى أذقانهم فلا تخليهم يطأطؤن رؤسهم له ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم فى أنهم لايلتفتون لفت الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطؤن رؤسهم له ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لايبصرون﴾ وبمن أحاط بهم سدّان فغطى أبصارهم بحيث لايبصرون قدامهم ووراءهم فى أنهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فأعشيناهم من العشاء * وقيل الآيتان فى بنى مخزوم حلف أبوجهل أن يرضخ رأس النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون﴾ سبق فى سورة البقرة تفسيره ﴿انما تنذر﴾ انذارا يترتب عليه البغية المرومة ﴿من اتبع الذّكر﴾ أى القرآن بالتأمل فيه والعمل به ﴿وخشى الرحمن بالغيب﴾ وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة أهواله أو فى سريرته ولايغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار ﴿فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيي الموتي﴾ الأموات بالبعث أوالجهال بالهداية ﴿ونكتب ماقدّموا﴾ ما أسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة ﴿وآثارهم﴾ الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم ﴿وكل شئ أحصيناه فى امام مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ

﴿ واضرب لهم ﴾ ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد أى مثال واحد وهو يتعدّى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما ﴿ مثلا أصحاب القرية ﴾ على حذف مضاف أى اجعل لهم مثل أصحاب القرية مثلا ويجوز أن يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ أو بيانا له والقرية انطاكية ﴿ اذجاءها المرسلون ﴾ بدل من أصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه الصلاة والسلام الى أهلها واضافته الى نفسه فى قوله ﴿ اذ أرسلنا اليهم اثنين ﴾ لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيي ويونس وقيل غيرهما ﴿ فكذبوهما فعززنا ﴾ فقوينا وقرأ أبوبكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ماقبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به ﴿ بثالث ﴾ وهو شمعون ﴿ فقالوا انا اليكم مرسلون ﴾ وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعي غنما فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال حتى أنظر فى أمركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه الى الملك فآنس به فقال له يوما سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت مايقولانه قال فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال وما آيتكما قالا مايتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال شمعون أرأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا حتى يكون لك ولها الشرف قال ليس لى عنك سر آلهتنا لاتسمع ولاتبصر ولاتضر ولاتنفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فأتوا بغلام مات منذ سبعة أيام فدعوا الله فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ماأنتم فيه فآمنوا وقال فتحت

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۞
إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا
أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۞ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۞ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۞ قَالُوا
إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ
مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ
بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۞ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُوا
مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ
الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا
وَلَا يُنْقِذُونِ ۞ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِنِّي آمَنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ۞ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ۞

وما

أبواب السماء فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك من هم قال شمعون وهذان فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فهلكوا ﴿ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا ﴾ لامزية لكم علينا تقتضى اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى اعمال ما بالا ﴿ وما أنزل الرحمن من شئ ﴾ وحى ورسالة ﴿ ان أنتم الا تكذبون ﴾ فى دعوى الرسالة ﴿ قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ﴾ استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم ﴿ وما علينا الا البلاغ المبين ﴾ الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لايحسن الا ببينة ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم ﴾ تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ماادّعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه ﴿ لئن لم تنتهوا ﴾ عن مقالتكم هذه ﴿ لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم ﴾ سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم وقرئ طيركم معكم ﴿ أئن ذكرتم ﴾ وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم أو توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بألف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وان بغير الاستفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم أو فى الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه ﴿ قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لايسألكم أجرا ﴾ على النصح وتبليغ الرسالة ﴿ وهم مهتدون ﴾ الى خير الدارين ﴿ ومالى لاأعبد الذى فطرني ﴾ على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراد لهم ماأراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال ﴿ واليه ترجعون ﴾ مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاوّل فقال ﴿ أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيأ ﴾ لاتنفعني شفاعتهم ﴿ ولاينقذون ﴾ بالنصرة والمظاهرة ﴿ انى اذا لفى ضلال مبين ﴾ فان ايثار مالاينفع ولايدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضرّ واشراكه به ضلال بين لايخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وأبوعمرو بفتح الياء ﴿ انى آمنت بربكم ﴾ الذى خلقكم وقرأ نافع وابن كثير وأبوعمرو بفتح الياء ﴿ فاسمعون ﴾ فاسمعوا ايمانى وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحوهم قبل أن يقتلوه ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ قيل له ذلك لما قتلوه بشرى له بأنه من أهل الجنة أو اكراما واذنا فى دخولها كسائر الشهداء أو لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ماقاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف فى حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه فى نصر دينه وكذلك ﴿ قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة على دأب الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى أمره وأنه كان على حق وقرئ المكرّمين وما خبرية أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر أى بأى شئ غفر لى يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم

وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا
مُنزِلِينَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
۝ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ
إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا
مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ
مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟
مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا
لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم
مُّظْلِمُونَ ۝ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ
تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝

﴿ وماأنزلنا على قومه من بعده ﴾ من بعد هلاكه أورفعه ﴿ من جند من السماء ﴾ لاهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام ﴿ وماكنا منزلين ﴾ وماصح فى حكمتنا أن ننزل جندا لاهلاك قومه اذقدرنا لكل شئ سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند أى ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة ﴿ ان كانت ﴾ ماكانت الاخذة أوالعقوبة ﴿ الاصيحة واحدة ﴾ صاح بها جبريل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان التامة ﴿ فاذاهم خامدون ﴾ ميتون شبهوا بالنار رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذهو ساطع

﴿ ياحسرة على العباد ﴾ تعالى فهذه من الأحوال التى من حقها أن تحضرى فيها وهي مادل عليها ﴿ مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ﴾ فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين أحقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز أن يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ماجنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أوالمفعول وياحسره بالهاء على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف ﴿ ألم يروا ﴾ ألم يعلموا وهو معلق عن قوله ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ لان كم لايعمل فيها ماقبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام ﴿ أنهم اليهم لايرجعون ﴾ بدل من كم على المعنى أى ألم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف ﴿ وان كل لما جميع لدينا محضرون ﴾ يوم القيامة للجزاء وأن مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الافتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أولمحضرون ﴿ وآية لهم الارض الميتة ﴾ وقرأنافع بالتشديد ﴿ أحييناها ﴾ خبر للارض والجملة خبر آية أوصفة لها اذلم يرد بها معينة وهي الخبر أوالمبتدأ والآية خبرها أواستئناف لبيان كونها آية ﴿ وأخرجنا منها حبا ﴾ جنس الحب ﴿ فمنه يأكلون ﴾ قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم مايؤكل ويعاش به ﴿ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ﴾ من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿ وفجرنا فيها ﴾ وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ﴿ من العيون ﴾ أى شيأ من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أوالعيون ومن مزيدة عند الاخفش ﴿ ليأكلوا من ثمره ﴾ ثمر ماذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله تعالى على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وهو لغة فيه أوجمع ثمار وقرئ بضمة وسكون ﴿ وماعملته أيديهم ﴾ عطف على الثمر والمراد مايتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل مانافية والمراد أن الثمر بخلق الله لابفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلاهاء فان حذفه من الصلة أحسن من غيرها ﴿ أفلايشكرون ﴾ أمر بالشكر من حيث انه انكار لتركه ﴿ سبحان الذي خلق الازواج كلها ﴾ الانواع والاصناف ﴿ مما تنبت الارض ﴾ من النبات والشجر ﴿ ومن أنفسهم ﴾ الذكر والانثى ﴿ ومما لايعلمون ﴾ وأزواجا ممالم يطلعهم الله تعالى عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ﴾ نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ماسبق ﴿ فاذاهم مظلمون ﴾ داخلون فى الظلام ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾ لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذاقطع مسيره أولكبد السماء فان حركتها فيه يوجد فيها بطء بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجو تدويم

أولاستقرار لها على نهج مخصوص أولمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لاتعود اليهما الى العام القابل أولمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لامستقر لها أي لاسكون فانها متحركة دائما ولامستقر على أن لابمعنى ليس ﴿ ذلك ﴾ الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها ﴿ تقدير العزيز ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿ العليم ﴾ المحيط علمه بكل معلوم ﴿ والقمر قدرناه ﴾ قدرنا مسيره ﴿ منازل ﴾ أوسيره في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه ولايتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء ﴿ حتى عاد كالعرجون ﴾ كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون ﴿ القديم ﴾ العتيق وقيل مامر عليه حول فصاعدا ﴿ لا الشمس ينبغى لها ﴾ يصح لها ويتسهل ﴿ أن تدرك القمر ﴾ فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أوفى آثاره ومنافعه أومكانه بالنزول الى محله أوسلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لايتيسر لها الا ماأريد بها ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لأنه الملائم لسرعة سيره ﴿ وكل ﴾ وكلهم والتنوين عوض عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا مافى الذات أوللكواكب فان ذكرهما مشعر بهما ﴿ فى فلك يسبحون ﴾ يسيرون فيه بانبساط

﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم﴾ أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم ﴿في الفلك المشحون﴾ المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه الصلاة والسلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب مع الايجاز ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ من مثل الفلك ﴿مايركبون﴾ من الابل فانها سفائن البر أو من السفن والزوارق ﴿وان نشأ نغرقهم فلاصريخ لهم﴾ فلامغيث لهم يحرسهم عن الغرق أو فلا اغاثة كقولهم أتاهم الصريخ ﴿ولاهم ينقذون﴾ ينجون من الموت به ﴿الارحمة منا ومتاعا﴾ الالرحمة ولتمتيع بالحياة ﴿الى حين﴾ زمان قدر لآجالهم ﴿واذاقيل لهم اتقوا مابين أيديكم وماخلفكم﴾ الوقائع التي خلت أوالعذاب المعدّ في الآخرة أو نوازل السماء ونوائب الارض كقوله ـ أولم يروا الى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والارض ـ أو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو عكسه أو ماتقدم من الذنوب وماتأخر ﴿لعلكم ترحمون﴾ لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله ﴿وماتأتيهم من آية من آيات ربهم الاكانوا عنها معرضين﴾ كأنه قال واذاقيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا لانهم اعتادوه وتمرّنوا عليه ﴿واذاقيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ على محاويجكم ﴿قال الذين كفروا﴾ بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة ﴿للذين آمنوا﴾ تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته ﴿أنطعم من لويشاء الله أطعمه﴾ على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا أن يطعمهم ولم يطعمهم فنحن أحق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حثّ الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم له ﴿ان أنتم الافي ضلال مبين﴾ حيث أمرتمونا مايخالف مشيئة الله ويجوز أن يكون جوابا من الله لهم أو حكاية لجواب المؤمنين لهم ﴿ويقولون متى هـذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يعنون وعد البعث ﴿ماينظرون﴾ ماينتظرون ﴿الاصيحة واحدة﴾ هي النفخة الاولى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم أمرها كقوله أوتأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون وأصله يختصمون فسكنت التاء وأدغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرأ أبوبكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وأبو عمرو وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله ﴿فلايستطيعون توصية﴾ في شئ من أمورهم ﴿ولاالى أهلهم يرجعون﴾ فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم ﴿ونفخ في الصور﴾ أي مرة ثانية وقد سبق تفسيره في سورة المؤمنين ﴿فاذاهم من الاجـداث﴾ من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء ﴿الى ربهم ينسلون﴾ يسرعون وقرئ بالضم ﴿قالوا ياويلنا﴾ وقرئ ياويلتنا ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ وقرئ من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى أهبنا وفيه ترشيحٌ ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وسكت حفص وحـده عليها سكتة لطيفة والوقف عليها في سائر القراآت حسن ﴿هـذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ مبتدأ وخبر وما مصدرية أو موصولة محذوفة الراجع أو هذا صفة لمرقدنا وماوعد خبر محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أي هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون أو ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيـل جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم معـدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كماتظنون فانه ليس يبعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذوالاهوال ﴿ان كانت﴾ ماكانت الفعلة ﴿الاصيحة واحـدة﴾ هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة ﴿فاذاهم جميع لدينا محضرون﴾ بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه ﴿فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاماكنتم تعملون﴾ حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله

وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ۞ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۞ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ۞ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۞ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۞ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞

﴿ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون﴾ متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على أنه أعلى مايحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز أن يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات ﴿هم وأزواجهم فى ظلال﴾ جمع ظل كشعاب أوظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائى فى ظلل ﴿على الارائك﴾ على السرر المزينة ﴿متكؤن﴾ وهم مبتدأ خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة أوخبر ثان أومتكؤن والجار ان صلتان له أوتأكيد للضمير فى شغل أوفى فاكهون وعلى الارائك متكؤن خبر آخر لان وأزواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلاثة وفى ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه ﴿لهم فيها فاكهة ولهم مايدّعون﴾ مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذاشوى وجمل لنفسه أومايتداعونه كقولك ارتموه بمعني تراموه أويتمنون من قولهم ادّع على ماشئت بمعنى تمنه علىّ أومايدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة أوموصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله ﴿سلام﴾ بدل منها أوصفة أخرى ويجوز أن يكون خبرها أوخبر محذوف أومبتدأ محذوف الخبر أى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر أوالحال أى لهم مرادهم خالصا ﴿قولا من رب رحيم﴾ أى يقول الله أويقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أوبغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير أوتفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى ﴿ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان﴾ من جملة مايقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم مانصب لهم من الحجج

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۞ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۞ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ۞ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۞ وَٱمْتَٰزُوا۟
ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ۞ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
۞ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۞ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ
أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ
فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ۞ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ۞ وَمَن
نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ
ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۞
لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞

العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة وأحهد وأحد على لغة بنى تميم ﴿انه لكم عدوّ مبين﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه ﴿وأن اعبدونى﴾ عطف على أن لاتعبدوا ﴿هذا صراط مستقيم﴾ اشارة الى ماعهد اليهم أوالى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه أوبالشق الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم أوللتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ﴿ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون﴾ رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له أدنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وأبو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وحيلا واحد الاحيال ﴿هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون﴾ ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ نمنعها عن الكلام ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ بظهور آثار المعاصى عليها ودلالتها على أفعالها أوانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوخة ﴿فاستبقوا الصراط﴾ فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أوجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع أوبالظرف ﴿فأني يبصرون﴾ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ بتغيير صورهم وابطال قواهم ﴿على مكانتهم﴾ مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ أبو بكر مكاناتهم ﴿فما استطاعوا مضيا﴾ ذهابا ﴿ولا يرجعون﴾ ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لايرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتي ومضيا كصبي والمعنى أنهم بكفرهم ونقضهم ماعهد اليهم أحقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ﴿ومن نعمره﴾ ومن نطل عمره ﴿ننكسه فى الخلق﴾ نقلبه فيه فلايزال يتزايد ضعفه وانتقاض بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره وابن كثير على هذه يشبع ضمة الهاء على أصله وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر ﴿أفلا يعقلون﴾ أن من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير أنه على تدرج وقرأ نافع برواية ابن عامر وابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله ﴿وماعلمناه الشعر﴾ رد لقولهم ان محمدا شاعر أى ماعلمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لايماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولاموزون وليس معناه مايتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها ﴿وماينبغى له﴾ ومايصح له الشعر ولايتأتى له ان أراد قرضه على ماخبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وقوله هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت اتفاق من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على أن الخليل ماعدّ المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلااشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن أى ومايصح للقرآن أن يكون شعرا ﴿ان هو الا ذكر﴾ عظة وارشاد من الله تعالى ﴿وقرآن مبين﴾ وكتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز ﴿لينذر﴾ القرآن أوالرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء ﴿من كان حيا﴾ عاقلا فهما فان الغافل كالميت أومؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ﴿ويحق القول﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿على الكافرين﴾ المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات فى الحقيقة

﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث ﴿أنعاما﴾ خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع ﴿فهم لها مالكون﴾ متملكون لها بتمليكنا اياها أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا ﴿وذللناها لهم﴾ وصيرناها منقادة لهم ﴿فمنها ركوبهم﴾ مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم أى ذو ركوبهم أوفمن منافعها ركوبهم ﴿ومنها يأكلون﴾ أى ما يأكلون لحمه ﴿ولهم فيها منافع﴾ من الجلود والاصواف والاوبار ﴿ومشارب﴾ من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع أوالمصدر وأمال الشين ابن عامر وحده برواية هشام ﴿أفلا يشكرون﴾ نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف أمكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا أنه المتفرد بها ﴿لعلهم ينصرون﴾ رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم ﴿لايستطيعون نصرهم وهم لهم﴾ لآلهتهم ﴿جند محضرون﴾ معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون أثرهم فى النار ﴿فلا يحزنك﴾ فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من أحزن ﴿قولهم﴾ في الله بالالحاد والشرك أوفيك بالتكذيب والتهجين ﴿انا نعلم مايسرون ومايعلنون﴾ فنجازيهم عليه وكفى ذلك أن تتسلى به وهو تعليل للنهى على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا بالفتح على حذف لام التعليل جاز ﴿أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين﴾ تسلية ثانية بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ماهو أهون مما عمله فى بدء خلقه ومقابلة النعمة التى لامزيد عليها وهي خلقه من أخس شئ وأمهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب * روى أن أبيّ بن خلف أتي النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال أترى الله يحيي هذا بعد مارمّ فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذاهو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه ﴿وضرب لنا مثلا﴾ أمرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى أوتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ﴿ونسى خلقه﴾ خلقنا اياه ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ منكرا اياه مستبعدا له والرميم مابلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رمّ الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء ﴿قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرة﴾ فان قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم أجزاء الاشخاص المتفتتة المتبدّدة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوي التى كانت فيها أواحداث مثلها ﴿الذى جعل لكم من الشجر الاخضر﴾ كالمرخ والعفار ﴿نارا﴾ بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار ﴿فاذا أنتم منه توقدون﴾ لاتشكون في أنها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيتها كان أقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون ﴿أوليس الذى خلق السموات والارض﴾ مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما أومثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر ﴿بلى﴾ جواب من الله تعالى لتقرير مابعد النفى مشعر بانه لاجواب سواه ﴿وهو الخلاق العليم﴾ كثير المخلوقات والمعلومات ﴿انما أمره﴾ انما شأنه ﴿اذا أراد شيأ أن يقول له كن﴾ أى تكون ﴿فيكون﴾ فهو يكون أى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى حصول المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول ﴿فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ﴾ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للامر كله قادرا على كل شئ ﴿واليه ترجعون﴾ وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء * وعن ابن عباس رضى الله عنه كنت لا أعلم ماروى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه بهذه الآية * وعنه عليه الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس وأيما مسلم قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويشيعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۞ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۞ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۞ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۞ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۞ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۞ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞

سورة الصّفّت مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية

بسم الله

﴿ سورة الصافات مكية وآيها مائة واثنتان وثمانون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا﴾ أقسم بالملائكة الصافين فى مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الأنوار الالهية منتظرين لأمر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به فيها أوالناس عن المعاصى بالهام الخير أوالشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على أنبيائه وأوليائه أوبطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة فى بحار القدس ـ يسبحون الليل والنهار لايفترون ـ أوبنفوس العلماء الصافين فى العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه أوبنفوس الغزاة الصافين فى الجهاد الزاجرين الخيل أو العدوّ التالين ذكرالله لايشغلهم عنه مباراة العدوّ والعطف لاختلاف الذوات أوالصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يالهف زيابة للحارث الصـ* ـابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشرّ أوالاشاقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته أوالرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير أنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وأدغم أبوعمرو وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان وأصول الثنايا ﴿ انّ الهكم لواحد ﴾ جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه على ماهو المألوف في كلامهم وأما تحقيقه فبقوله تعالى ﴿ ربّ السموات والارض ومابينهما وربّ المشارق ﴾ فان وجودها وانتظامها على الوجه الأكمل مع امكان غيره دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على مامرّ غير مرة ورب بدل من واحد أوخبر ثان أوخبر محذوف ومابينهما يتناول أفعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب أومشارق الشمس فى السنة وهي ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة وماقيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال ﴿ انا زينا السماء الدّنيا ﴾ القربى منكم ﴿ بزينة الكواكب ﴾ بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه أوبزينة هي لها كاضوائها وأوضاعها أو بأن زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة أبى بكر بالتنوين والنصب على الاصل أو بأن زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت فى الكرة الثامنة وماعدا القمر من السيارات فى الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح فى ذلك فان أهل الأرض يرونها بأسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الأزرق باشكال مختلفة ﴿ وحفظا ﴾ منصوب باضمار فعله أوالعطف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا ﴿ من كل شيطان مارد ﴾ خارج من الطاعة برمى الشهب ﴿ لايسمعون الى الملأ الأعلى ﴾ كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ماحفظ السماء عنهم ولايجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضى أن يكون الحفظ من شياطين لايسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما فى جئتك أن تكرمنى ثم حذف أن واهدارها كقوله

* ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة وأشرافهم ﴿ ويقذفون ﴾ ويرمون ﴿ من كل جانب ﴾ من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده ﴿ دحورا ﴾ علة أى للدحور وهوالطرد أومصدر لانه والقذف متقاربان أوحال بمعنى مدحورين أومنزوع عنه الباء جمع دحر وهو مايطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل أيضا أن يكون مصدرا كالقبول أوصفة له أى قذفا دحورا ﴿ ولهم عذاب ﴾ أى عذاب آخر ﴿ واصب ﴾ دائم أوشديد وهو عذاب الآخرة ﴿ الا من خطف الخطفة ﴾ استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف ﴿ فأتبعه شهاب ﴾ أتبع بمعنى تبع والشهاب مايرى كأن كوكبا انقض وماقيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صحّ لم يناف ذلك اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله ـ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ـ فان كل نير يحصل فى الجوّ العالى فهو مصباح لأهل الأرض وزينة للسماء من حيث انه يرى كأنه على سطحه ولايبعد أن يصير الحادث كما ذكر فى بعض الأوقات رجما لشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وماروى أن ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صحّ فلعلّ المراد كثرة وقوعه أومصيره دحورا واختلف فى أن المرجوم يتأذى به فيرجع أويحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لايصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لايرتدعون عنه رأسا ولايقال ان الشيطان من النار فلايحترق لأنه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ﴿ ثاقب ﴾ مضيء كأنه يثقب الجوّ بضوئه ﴿ فاستفتهم ﴾ فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة أولبنى آدم ﴿ أهم أشدّ خلقا أم من خلقنا ﴾ يعنى ماذكر من الملائكة والسماء والأرض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله ﴿ انا خلقناهم من طين لازب ﴾ فانه الفارق بينهم وبينها لابينهم وبين من قبلهم وكعاد وثمود وان المراد اثبات المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره أن استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا أن الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم أوبقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلاتوسط مواقعة فلزمهم أن يجوّزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل ومن قدر على خلق هذه الأشياء قدر على مالايعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدؤهم أوّلا وقدرته ذاتية لاتتغير ﴿ بل عجبت ﴾ من قدرة الله تعالى وانكارهم للبعث ﴿ ويسخرون ﴾ من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء أى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أوعجبت من أن ينكر البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوّزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا ۞ فالزاجرات زجرا ۞ فالتاليات ذكرا ۞ إن
إلهكم لواحد ۞ رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق ۞
إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ۞ وحفظا من كل شيطان
مارد ۞ لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب ۞ دحورا
ولهم عذاب واصب ۞ إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب
ثاقب ۞ فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين
لازب ۞ بل عجبت ويسخرون ۞ وإذا ذكروا لا يذكرون ۞ وإذا
رأوا آية يستسخرون ۞ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ۞
أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ۞ أوآباؤنا
الأولون ۞ قل نعم وأنتم داخرون ۞ فإنما هي زجرة واحدة
فإذا هم ينظرون ۞ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ۞ هذا
يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ۞ احشروا الذين ظلموا
وأزواجهم وما كانوا يعبدون ۞ من دون الله فاهدوهم
إلى صراط الجحيم ۞ وقفوهم إنهم مسئولون ۞

أوعلى معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشئ وقيل انه مقدر بالقول أى قل يامحمد بل عجبت ﴿ واذا ذكروا لايذكرون ﴾ واذا وعظوا بشئ لايتعظون به أواذا ذكرلهم مايدل على صحة الحشر لاينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم ﴿ واذا رأوا آية ﴾ معجزة تدل على صدق القائل به ﴿ يستسخرون ﴾ يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر أويستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ﴿ وقالوا ان هذا ﴾ يعنون مايرونه ﴿ الا سحر مبين ﴾ ظاهر سحريته ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ أصله أنبعث اذا متنا فبدّلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرّروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بأن البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة أشد استنكارا فهو أبلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الأولى وقراءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانيــة ﴿ أوآباؤنا الأوّلون ﴾ عطف على محل ان واسمها أوعلى الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد ﴿ قل نعم وأنتم داخرون ﴾ صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال أى الله أوالرسول وقرأ الكسائى وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه ﴿ فانما هي زجرة واحدة ﴾ جواب شرط مقدر أى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة أى صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وأمرها في الاعادة كأمر كن فى الابداء ولذلك رتب عليها ﴿ فاذا هم ينظرون ﴾ فاذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينتظرون مايفعل بهم ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين ﴾ اليوم الذى نجازى بأعمالنا وقد تمّ به كلامهم وقوله ﴿ هــذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ﴾ جواب الملائكة وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أوالفرق بين المحسن والمسىء ﴿ أحشروا الذين ظلموا ﴾ أمر الله للملائكة أو أمر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيــل منه الى الجحيم ﴿ وأزواجهم ﴾ وأشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى ـ وكنتم أزواجا ثلاثة ـ أونساءهم اللاتى على دينهم أوقرناءهم من الشياطين ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ من الأصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ـ انّ الذين سبقت لهم منا الحسنى ـ الآية وفيه دليـل على أن الذين ظلموا هم المشركون ﴿ فاهــدوهم الى صراط الجحيم ﴾ فعرّفوهم طريقا ليسلكوها ﴿ وقفوهم ﴾ احبسوهم فى الموقف ﴿ انهم مسؤلون ﴾ عن عقائدهم وأعمالهم والواو لاتوجب الترتيب مع جواز أن يكون موقفهم متعددا

﴿ مالكم لا تناصرون ﴾ لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم وأصل الاستسلام طلب السلامة أومتسالمون كأنه يسلم بعضهم بعضا ويخذله ﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾ يعنى الرؤساء والاتباع أوالكفرة والقرناء ﴿ يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون ﴿ قالوا انــكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ عن أقوى الوجوه وأيمنها أوعن الدين أوعن الخير كأنــكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلــكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح أوعن القوّة والقهر فتقسروننا على الضلال أوعن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحقّ ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ﴾ أجابهم الرؤساء أولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى أنفسهم وثانيا بأنهــم ما أجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهــم كانوا قوما مختارين الطغيان ﴿ فحقّ علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين ﴾ ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان أمرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية مافعلوا بهم انهم دعوهم الى الغىّ لانهم كانوا على الغىّ فأحبوا أن يكونوا مثلهم وفيه ايماء بأن غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن أغواهم ﴿ فانهم ﴾ فان الأتباع والمتبوعين ﴿ يومئذ فى العذاب مشتركون ﴾ كما كانوا مشتركين فى الغواية ﴿ انا كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ بالمشركين لقوله تعالى ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ﴾ أى عن كلة التوحيد أوعلى من يدعوهم اليه ﴿ ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ بل جاء بالحقّ وصدّق المرسلين ﴾ ردّ عليهم بأن ماجاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون ﴿ انكم لذائقو العــذاب الأليم ﴾ بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العــذاب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل ﴿ وماتجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ الا مثل ماعملتم ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ استثناء منقطع الا أن يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ خصائصه من الدوام أوتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله ﴿ فواكه ﴾ فان الفاكهة مايقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة ﴿ وهم مكرمون ﴾ فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا ﴿ فى جنات النعيم ﴾ فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أوحال من المستكنّ فى مكرمون أوخبر ثان لأولئك وكذلك ﴿ على سرر ﴾ يحتمل الحال أوالخبر فيكون ﴿ متقابلين ﴾ حالا من المستكن فيه أوفى مكرمون وأن يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون ﴿ ويطاف عليهم بكأس ﴾ باناء فيه خمر أوخمر كقوله * وكأس شربت على لذة * ﴿ من معين ﴾ من شراب معين أونهر معين أى ظاهر للعيون أوخارج من العيون وهوصفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء أوللاشعار بأن مايكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من أنواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله ﴿ بيضاء لذّة للشاربين ﴾ وهما أيضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة أو لأنها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل * قال ولذ كطعم الصر خدىّ تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان ﴿ لا فيها غول ﴾ غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا أفسده ومنه الغول ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله أفرده بالنفى وعطفه على مايعمه لانه من عظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم فى الواقعة من أنزف الشارب اذا نفد عقله أوشرابه وأصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ ﴿ عين ﴾ نجل العيون جمع عيناء ﴿ كأنهنّ بيض مكنون ﴾ شبههنّ ببيض النعام

٤٤٨ سورة الصافات

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۞ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۞
قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۞ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۞
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۞ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞
إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ
مَجْنُونٍ ۞ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ
الْأَلِيمِ ۞ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ ۞ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۞ فَوَاكِهُ وَهُمْ
مُكْرَمُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِمْ
بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ۞ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ
عَنْهَا يُنْزَفُونَ ۞ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ
مَكْنُونٌ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۞

اذا

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۞ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ
مُطَّلِعُونَ ۞ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۞ قَالَ تَاللَّهِ
إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۞ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ۞ أَفَمَا
نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۞ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۞ إِنَّ
هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۞ أَذَلِكَ
خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۞ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۞ إِنَّهَا
شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۞ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ
الشَّيَاطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۞
ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ۞ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى
الْجَحِيمِ ۞ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۞ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ
يُهْرَعُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ۞ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ
۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
الْمُجِيبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۞ وَجَعَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۞

المصون عن الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فانه أحسن ألوان الأبدان ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ معطوف على يطاف عليهم أى يشربون فيتحادثون على الشراب * قال
وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه ألذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وماجرى لهم وعليهم فى الدنيا ﴿ قال قائل منهم ﴾ فى مكالمتهم ﴿ انى كان لى قرين ﴾ جليس في الدنيا ﴿ يقول أئنك لمن المصدقين ﴾ يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق

﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون ﴾ لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء ﴿ قال ﴾ أي ذلك القائل ﴿ هل أنتم مطلعون ﴾ الى أهل النار لأريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم وعن أبي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث أن أدب المجالسة يمنع الاستبداد به أو خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الآمرون الخير والفاعلونه *
أو شبه اسم الفاعل بالمضارع ﴿ فاطلع ﴾ عليهم ﴿ فرآه ﴾ أى قرينه ﴿ فى سواء الجحيم ﴾ وسطه ﴿ قال تالله ان كدت لتردين ﴾ لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿ ولولا نعمة ربى ﴾ بالهداية والعصمة ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ معك فيها ﴿ أفما نحن بميتين ﴾ عطف على محذوف أى أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين ﴿ الا موتتنا الأولى ﴾ التى كانت في الدنيا وهي متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله أو تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ﴿ ان هذا لهو الفوز العظيم ﴾ يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ماهم عليه من النعمة والخلود والأمن من العذاب ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ أى لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا يحتمل الامرين ﴿ أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ﴾ شجرة ثمرها نزل أهل النار وانتصاب نزلا على التمييز أو الحال وفى ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة مايقام للنازل ولهم وراء ذلك ماتقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة ﴿ انا جعلناها فتنة للظالمين ﴾ محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق ﴿ انها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿ طلعها ﴾ حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه فى الشكل أو الطلوع من الشجر ﴿ كأنه رؤس الشياطين ﴾ في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك ﴿ فانهم لآكلون منها ﴾ من الشجرة أو من طلعها ﴿ فمالؤن منها البطون ﴾ لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها ﴿ ثم ان لهم عليها ﴾ أى بعد ماشبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة ﴿ لشوبا من حميم ﴾ لشرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم مايشاب به والاول مصدر سمى به ﴿ ثم ان مرجعهم ﴾ مصيرهم ﴿ لالى الجحيم ﴾ الى دركاتها أو الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى ـ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن ـ يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم ان منقلبهم ﴿ انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بأنهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ﴿ ولقد ضل قبلهم ﴾ قبل قومك ﴿ أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين ﴾ أنبياء أنذروهم من العواقب ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ من الشدة والفظاعة ﴿ الا عباد الله المخلصين ﴾ الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح أى الذين أخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم ﴿ ولقد نادانا نوح ﴾ شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها أى ولقد دعانا حين أيس من قومه ﴿ فلنعم المجيبون ﴾ أى فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ماحذف لقيام مايدل عليه ﴿ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴾ من الغرق أو أذى قومه ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة * اذ روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وأزواجهم ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ من الامم

﴿سلام على نوح﴾ هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء ﴿في العالمين﴾ متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا ﴿انا كذلك نجزى المحسنين﴾ تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره وأصالة أمره ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعنى كفار قومه ﴿وان من شيعته﴾ ممن شايعه فى الايمان وأصول الشريعة ﴿لابراهيم﴾ ولايبعد اتفاق شرعهما فى الفروع أوغالبا وكان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح ﴿اذجاء ربه﴾ متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة أو بمحذوف هو اذكر ﴿بقلب سليم﴾ من آفات القلوب أومن العلائق خالص لله أومخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه ﴿اذقال لابيه وقومه ماذاتعبدون﴾ بدل من الاولى أوظرف لجاء أوسليم ﴿أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ أي أتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم أن يقرر أنهم على الباطل ومبنى أمرهم على الافك ويجوز أن يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك فى نفسها للمبالغة أوالمراد بها عبادتها بحذف المضاف أوحالا بمعنى آفكين ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته أوأشركتم به غيره أوأمنتم من عذابه والمعنى انكار مايوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته أويجوز الاشراك به أويقتضى الامن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ماقبله ﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ فرأى مواقعها واتصالاتها أوفي علمها أوفي كتابها ولامنع منه مع أن قصده ايهامهم وذلك حين سألوه أن يعيد معهم ﴿فقال انى سقيم﴾ أراهم أنه استدل بها لانهم كانوا منجمين على أنه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان أغلب أسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى اوأراداني سقيم القلب لكفركم أوخارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه أوبصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحني فاذا السلامة داء

﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ هاربين مخافة العدوى ﴿فراغ الى آلهتهم﴾ فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب وأصله الميل بحيلة ﴿فقال﴾ أى للاصنام استهزاء ﴿ألا تأكلون﴾ يعنى الطعام الذى كان عندهم ﴿مالكم لاتنطقون﴾ بجوابي ﴿فراغ عليهم﴾ فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ﴿ضربا باليمين﴾ مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم أولمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم ﴿فأقبلوا اليه﴾ الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد مارجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا أنه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية ﴿يزفون﴾ يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من أزفه أي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون أى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذاحداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه ﴿قال أتعبدون ماتنحتون﴾ ماتنحتونه من الاصنام ﴿والله خلقكم وماتعملون﴾ أى وماتعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من أعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه مايتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد أوعملكم بمعنى معمولكم ليطابق ماتنحتون أوانه بمعني الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك وبهذا المعنى تمسك أصحابنا على خلق الاعمال ولهم أن يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف أومجاز ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم﴾ فى النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة أى جحيم ذلك البنيان ﴿فأرادوا به كيدا﴾ فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم ﴿فجعلناهم الاسفلين﴾ الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما ﴿وقال انى ذاهب الى ربى﴾ الى حيث أمرنى ربى وهو الشام أوحيث أتجرد فيه لعبادته ﴿سيهدين﴾ الى مافيه صلاح ديني أوالى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده أولفرط توكله أوالبناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه الصلاة والسلام حين ـ قال عسى ربي أن يهدينى سواء السبيل ـ فلذلك ذكر بصيغة التوقع ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ أوان الحلم فان الصبي لايوصف بالحلم ويكون حليما وأى حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى انشاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما الصلاة والسلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ أي فلما وجد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لابه لان صلة المصدر لاتتقدمه ولايبلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل فى الرفق والاستصلاح له فلايستسعيه قبل أوانه أولانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة ﴿قال يابنى﴾ وقرأ حفص بفتح الياء ﴿انى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ يحتمل أنه رأى ذلك وانه رأى ماهو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح روى أنه من الله أومن الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام لانه الذى وهب له أثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله فان جده عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم أوبلغ بنوه عشرة فلما سهل أقرع فخرج السهم على عبدالله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلايناسبها الامر بذبحه مراهقا * ومار وى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الرواى * وماروى أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وأقر ابن كثير ونافع وأبوعمرو بفتح الياء فيهما ﴿فانظر ماذاترى﴾ من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويامن

سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۞ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ۞ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۞ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۞ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ۞ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۞ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۞ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ۞ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ۞ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۞ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۞ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۞ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۞ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞

قد صدقت

عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحهما وأبوعمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها ﴿ قال ياأبت ﴾ وقرأ ابن عامر بفتح التاء ﴿ افعل ماتؤمر ﴾ أى ماتؤمر به فحذفا دفعة أوعلى الترتيب كما عرفت أوأمرك على ارادة المامور به والاضافة الى المأمور أولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورابه أوعلم انرؤيا الانبياء حق وانمثل ذلك لايقدمون عليه الابامر ولعل الامربه فيالمنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال أدل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ﴿ ستجدنى انشاء الله من الصابرين ﴾ على الذبح أوعلى قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء ﴿ فلما أسلما ﴾ استسلما لامر الله أوسلما الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما وأصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من أن ينازع فيه ﴿ وتله للجبين ﴾ صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو أحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلايذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى أوفى الموضع المشرف على مسجده أوالمنحر الذى ينحر فيه اليوم ﴿ وناديناه أن ياابراهيم
قدصدقت الرؤيا ﴾ بالعزم والاتيان بالمقدمات ☆ وقدروى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان ممالاينطق به الحال ولايحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ماأنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق بما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله ياأبت افعل ماتؤمر ولم يحصل ﴿ ان هذا لهو البلاء المبين ﴾ الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره أوالمحنة البينة الصعوبة فانه لاأصعب

قد صدقت الرءيا انا كذلك نجزي المحسنين ۞ ان هذا
لهو البلؤا المبين ۞ وفديناه بذبح عظيم ۞ وتركنا عليه
في الاخرين ۞ سلم على ابرهيم ۞ كذلك نجزي المحسنين
۞ انه من عبادنا المؤمنين ۞ وبشرناه باسحق نبيا من الصلحين
۞ وبركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم
لنفسه مبين ۞ ولقد مننا على موسى وهرون ۞
ونجينهما وقومهما من الكرب العظيم ۞ ونصرنهم فكانوا هم
الغلبين ۞ واتينهما الكتب المستبين ۞ وهدينهما
الصراط المستقيم ۞ وتركنا عليهما في الاخرين ۞
سلم على موسى وهرون ۞ انا كذلك نجزي المحسنين
۞ انهما من عبادنا المؤمنين ۞ وان الياس لمن
المرسلين ۞ اذ قال لقومه الا تتقون ۞ اتدعون
بعلا وتذرون احسن الخالقين ۞ الله ربكم ورب
ابائكم الاولين ۞ فكذبوه فانهم لمحضرون ۞
الا عباد الله المخلصين ۞ وتركنا عليه في الاخرين ۞

منها ﴿ وفديناه بذبح ﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل ﴿ عظيم ﴾ عظيم الجثة سمين أوعظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى وأى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا أهبط عليه من ثبير * وروى أنه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما قال وفديناه لان الله المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء أوالاسناد واستدل به الحنفية على أن من نذرذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه مايدل عليه ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم ﴾ سبق بيانه فى قصة نوح عليه السلام ﴿ كذلك نجزي المحسنين ﴾ لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة ﴿ انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ﴾ مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولاحاجة الى وجود المبشربه وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلاحاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لايصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد * ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق ﴿ وباركنا عليه ﴾ على ابراهيم فى أولاده ﴿ وعلى اسحق ﴾ بان أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب أوأفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ فى عمله أوالى نفسه بالايمان والطاعة ﴿ وظالم لنفسه ﴾ بالكفر والمعاصى ﴿ مبين ﴾ ظاهر ظلمه وفى ذلك تنبيه على أن النسب لاأثر له فى الهدى والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لايعود عليهما بنقيصة وعيب ﴿ ولقد مننا على موسى وهرون ﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ﴿ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ﴾ من تغلب فرعون أوالغرق ﴿ ونصرناهم ﴾ ثم الضمير لهما مع القوم ﴿ فكانوا هم الغالبين ﴾ على فرعون وقومه ﴿ وآتيناهما الكتاب المستبين ﴾ البليغ فى بيانه وهو التوراة ﴿ وهديناهما الصراط المستقيم ﴾ الطريق الموصل الى الحق والصواب ﴿ وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين ﴾ سبق مثل ذلك ﴿ وان الياس لمن المرسلين ﴾ هو الياس بن ياسين سبط هرون أخى موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفى حرف أبى رضى الله عنه وقيل ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس ﴿ اذقال لقومه ألاتتقون ﴾ عذاب الله ﴿ أتدعون بعلا ﴾ أتعبدونه أوأتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذى يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن ولمعنى أتدعون بعض البعول ﴿ وتذرون أحسن الخالقين ﴾ وتتركون عبادته وقدأشار فيه الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص بالنصب على البدل ﴿ فكذبوه فانهم لمحضرون ﴾ أى فى العذاب وانما أطلقه اكتفاء منه بالقرينة أولان الاحضار المطلق مخصوص بالشرعرفا ﴿ الاعباد الله المخلصين ﴾ مستثنى من الواو لامن المحضرين لفساد المعنى ﴿ وتركنا عليه فى الآخرين

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۞ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُۥ
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ
وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ۞ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۞ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ۞ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۞ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ
وَهُوَ مُلِيمٌ ۞ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ
إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۞ وَأَنۢبَتْنَا
عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۞ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ
أَوْ يَزِيدُونَ ۞ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۞ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ
ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا
وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ ٱللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۞ مَا لَكُمْ
كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ
مُّبِينٌ ۞ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞

وجعلوا

سلام على الياسين ﴾ لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو وأتباعه كالمهلبين لكن فيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام أو للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس وقيل محمد عليه الصلاة والسلام أو القرآن أو غيره من كتب الله والكل لايناسب نظم سائر القصص ولاقوله ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ اذالظاهر أن الضمير لالياس ﴿ وان لوطا لمن المرسلين اذنجيناه وأهله أجمعين الاعجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين ﴾ سبق بيانه ﴿ وانكم ﴾ ياأهل مكة ﴿ لتمرون عليهم ﴾ على منازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه ﴿ مصبحين ﴾ داخلين فى الصباح ﴿ وبالليل ﴾ أى ومساء أونهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء ﴿ أفلاتعقلون ﴾ أفليس فيكم عقل تعتبرون به ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ وقرئ بكسر النون ﴿ اذأبق ﴾ هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه ﴿ الى الفلك المشحون ﴾ المملوء ﴿ فساهم ﴾ فقارع أهله ﴿ فكان من المدحضين ﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر * روى أنه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ فابتلعه من اللقمة ﴿ وهو مليم ﴾ داخل فى الملامة أوآت بما يلام عليه أومليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أوفي بطن الحوت وهو قوله لااله الاأنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين ﴿ للبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾ حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده عند الضراء ﴿ فنبذناه ﴾ بان حملنا الحوت على لفظه ﴿ بالعراء ﴾ بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أونبت * روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف فى مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل أربعون ﴿ وهو سقيم ﴾ مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد ﴿ وأنبتنا عليه ﴾ أى فوقه مظلة عليه ﴿ شجرة من يقطين ﴾ من شجر ينبسط على وجه الارض ولايقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لايقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وأفطر على ثماره ﴿ وأرسلناه الى مائة ألف ﴾ هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ماسبق من ارساله أوارسال ثان اليهم أوالى غيرهم ﴿ أويزيدون ﴾ فى مرأى الناظر أى اذا نظر اليهم قال هم مائة ألف أويزيدون والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو ﴿ فآمنوا ﴾ فصدقوه أوجددوا الايمان به بمحضره ﴿ فمتعناهم الى حين ﴾ الى أجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع الكبر وأولى العزم من الرسل أواكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة ﴿ فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ﴾ معطوف على مثله فى أول السورة أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام فى تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه حيث جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما أولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ﴿ أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ﴾ وانما خص علم المشاهدة لان أمثال ذلك لاتعلم الابها فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم لتمكن معرفته بالعقل الصرف مع مافيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قدشاهدوا خلقهم ﴿ ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله ﴾ لعدم مايقتضيه وقيام ماينفيه ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ فيما يتدينون به وقرئ ولد الله أى الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء أخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة أم بعدها عليها أوعلى الاثبات باضمار القول أي لكاذبون فى قولهم أصطفى أوابداله من ولدالله ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ بما لايرتضيه عقل ﴿ أفلاتذكرون ﴾ أنه منزه عن ذلك ﴿ أم لكم سلطان مبين ﴾ حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته ﴿ فائتوا بكتابكم ﴾ الذى أنزل عليكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى دعواكم

﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشياطين اخوان ﴿ولقد علمت الجنة انهم﴾ ان الكفرة أوالانس أوالجن ان فسرت بغير الملائكة ﴿لمحضرون﴾ فى العذاب ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ من الولد والنسب ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ استثناء من المحضرين منقطع أومتصل ان فسر الضمير بمايعمهم ومابينهما اعتراض أومن يصفون ﴿فانكم وماتعبدون﴾ عود الى خطابهم ﴿ما أنتم عليه﴾ على الله ﴿بفاتنين﴾ مفسدين الناس بالاغواء ﴿الامن هو صال الجحيم﴾ الامن سبق فى علمه أنه من أهل النار ويصلاها لامحالة وأنتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز أن يكون وماتعبدون لمافيه من معنى المقارنة سادا مسدّ الخبر أى انكم وآلهتكم قرناء لاتزالون تعبدونها ما أنتم على ماتعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الاضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على أنه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين أوتخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك أوالمحذوف منه كالمنسى كمافى قولهم ماباليت به بالة فان أصلها بالية كعافية ﴿ومامنا الاله مقام معلوم﴾ حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى ومامنا أحد الاله مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى أمر الله فى تدبير العالم ويحتمل أن يكون هذا وماقبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كأنه قال ولقد علمت الملائكة أن المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا المشركين بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لايتجاوزونها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ﴿وانا لنحن الصافون﴾ في أداء الطاعة ومنازل الخدمة ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ المنزهون الله عما لايليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا فى المعارف ومافى ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۞ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۞ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۞ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۞ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۞ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۞ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ۞ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۞ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۞ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۞ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ۞ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۞ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۞ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞

سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية

وقيل هومن كلام النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين والمعنى ومامنا الاله مقام معلوم فى الجنة أوبين يدى الله يوم القيامة وانا لنحن الصافون له في الصلاة والمنزهون له عن السوء ﴿وان كانوا ليقولون﴾ أى مشركو قريش ﴿لوأن عندنا ذكرا من الاولين﴾ كتابا من الكتب التى نزلت عليهم ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم ﴿فكفروا به﴾ أى لما جاءهم الذكر الذى هو أشرف الاذكار والمهيمن عليها ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ أى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهوقوله ﴿انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون﴾ وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهي كلمات لانتظامها فى معنى واحد ﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عنهم ﴿حتى حين﴾ هو الموعد لنصرك عليهم وهويوم بدر وقيل يوم الفتح ﴿وأبصرهم﴾ على ماينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قدامه ﴿فسوف يبصرون﴾ ماقضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لاللتبعيد ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ * روي أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت ﴿فاذا نزل بساحتهم﴾ فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل أى العذاب ﴿فساء صباح المنذرين﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾ تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وأنهم يبصرون مالايحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أوالاول لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخره ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ عماقاله المشركون فيه على ماحكى في السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذلاعزة الاله أولمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد ﴿وسلام على المرسلين﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله * وعن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿ سورة ص مكية وآيها ست وثمان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * ص ﴾ وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل انه أمر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول أى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك أولحذف حرف القسم وايصال فعله اليه أواضماره والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب ﴿ والقرآن ذى الذكر ﴾ الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف أومذكورا للتحدى أوللرمز بكلام مثل صدق محمد عليه الصلاة والسلام أوللسورة خبر المحذوف أولفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به كقولهم الله لافعلن بالجر والجواب محذوف دل عليه مافى ص من الدلالة على التحدى أوالامر بالمعادلة أى انه لمعجز أو لواجب العمل به أوان محمدا لصادق أوقوله ﴿ بل الذين كفروا ﴾ أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به ﴿ في عزة ﴾ أى استكبار عن الحق ﴿ وشقاق ﴾ خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة أوالشرف والشهرة أوذكر مايحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة أي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا ﴿ فنادوا ﴾ استغاثة أوتوبة أواستغفارا ﴿ ولات حين مناص ﴾ أى ليس الحين حين مناص ولاهي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف أحد المعمولين وقيل هي النافية للجنس أى ولاحين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره أى ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع على أنه اسم لا أومبتدأ محذوف الخبر أى ليس حين مناص حاصلا لهم أولاحين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

اما لان لات تجر الاحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى قوله * لولاك هذا العام لم أحجج * أولان أوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ أصله أوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما أضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ أصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه أن خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الافيما خصه الدليل ولقوله

العاطفون تحين لامن عاطف * والمطعمون زمان مامن مطعم

والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ بشر مثلهم أوأمى من عدادهم ﴿ وقال الكافرون ﴾ وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول ﴿ هذا ساحر ﴾ فيما يظهره معجزة ﴿ كذاب ﴾ فيما يقوله على الله تعالى ﴿ أجعل الآلهة الها واحدا ﴾ بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد ﴿ ان هذا لشئ عجاب ﴾ بليغ فى العجب فانه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لايفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو أبلغ ككرام وكرام * وروى انه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فأتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسالونك السواء فلاتمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ماذا يسالوننى فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ماسألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا فقال قولوا لااله الاالله فقاموا وقالوا ذلك ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ وانطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب بعد مابكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أن امشوا ﴾ قائلين بعضهم لبعض امشوا ﴿ واصبروا ﴾ واثبتوا ﴿ على آلهتكم ﴾ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وأن هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت أولادها ومنه الماشية أى اجتمعوا وقرئ بغير أن وقرئ يمشون أن اصبروا ﴿ ان هذا لشئ يراد ﴾ ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلامرد له أو ان هذا الذى يدعيه من التوحيد أويقصده من الرئاسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى أويريده كل أحد أوان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ بالذى يقوله ﴿ فى الملة الآخرة ﴾ في الملة التى أدركنا عليها آباءنا أوفى ملة عيسى عليه الصلاة والسلام التى هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز أن يكون حالا من هذا أى ماسمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ﴿ ان هذا الااختلاق ﴾ كذب اختلقه ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا ﴾ انكار لاختصاصه بالوحى وهومثلهم أوأدون منهم فى الشرف والرئاسة كقولهم لولانزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على أن مبدأ تكذيبهم لم يكن الاالحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى ﴿ بل هم في شك من ذكرى ﴾ من القرآن أوالوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس فى عقيدتهم مايبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الااختلاق ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى أنهم لايصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ﴿ أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ بل أعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا فيتخير للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لامانع له فانه العزيز أى الغالب الذى لايغلب الوهاب الذى له أن يهب كل ماشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ﴿ أم لهم ملك السموات والارض ومابينهما ﴾ كأنه لما أنكر عليهم التصرف فى نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التى لانهاية لها أردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها ﴿ فليرتقوا فى الاسباب ﴾ جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم فينزلوا الوحى الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها أسباب الحوادث السفلية ﴿ جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب ﴾ أى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن أين لهم التدابير الالهية والتصرف فى الامور الربانية أوفلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل

بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَالْقُرْاٰنِ ذِى الذِّكْرِ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۞ كَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۞ وَعَجِبُوا اَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۞ اَجَعَلَ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَاحِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۞ وَانْطَلَقَ الْمَلَاُ مِنْهُمْ اَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلٰى اٰلِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ اِنْ هٰذَا اِلَّا اخْتِلَاقٌ ۞ ءَاُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِنْ ذِكْرِى بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۞ اَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۞ اَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْاَسْبَابِ ۞ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْاَحْزَابِ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْاَوْتَادِ ۞ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَاَصْحَابُ لْئَيْكَةِ اُولٰئِكَ الْاَحْزَابُ ۞ اِنْ كُلٌّ اِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۞ وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ اِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۞ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۞

كقولك أكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لايلائم مابعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل هذا القول ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ﴾ ذو الملك الثابت بالأوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة ﴾ وأصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة ﴿أولئك الاحزاب﴾ يعنى المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ﴿ ان كل الا كذب الرسل ﴾ بيان لما أسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على أنواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه ﴿فحق عقاب﴾ وهو اما مقابلة الجمع بالجمع أوجعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم ﴿ وما ينظر هؤلاء ﴾ وما ينتظر قومك أوالاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر أوحضورهم في علم الله تعالى ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ هي النفخة الأولى ﴿ مالها من فواق ﴾ من توقف مقدار فواق وهو مابين الحلبتين أورجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا ﴾ قسطنا من العذاب الذى توعدنا به أوالجنة التى تعدها للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه وقيل لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أى عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها ﴿ قبل يوم الحساب ﴾ استعجلوا ذلك استهزاء

﴿اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود﴾واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى أعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما أتى صغيرة نزل عن منزلته

اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۞ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۞ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ۞ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۞

وو بخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان أوتذكر قصته وصن نفسك أن تزل فيلقاك مالقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه أدنى اهمال ﴿ذا الأيد﴾ ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد وأياد بمعنى ﴿انه أواب﴾ رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل للأيد ودليل على أن المراد به القوة فى الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل ﴿ انا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾ قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال ﴿ بالعشى والاشراق ﴾ ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق * وعن أم هانئ رضى الله تعالى عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ماعرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية ﴿والطير محشورة﴾ اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لأن الحشر جملة أدل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالمبتدا والخبر ﴿ كل له أواب ﴾ كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا على المداومة عليها أوكل منهما ومن داود عليه الصلاة والسلام مرجع لله التسبيح ﴿ وشددنا ملكه ﴾ وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة * قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى اليه أن اقتل المدعي عليه فأعلمه فقال صدقت انى قتلت أباه وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ النبوة أوكمال العلم واتقان العمل ﴿وفصل الخطاب﴾ وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أوالكلام المخلص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولااشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لانزر ولاهذر ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم ﴾ استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك أطلق على الجمع ﴿اذ تسوروا المحراب﴾ اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا أوبالنبأ على أن المراد به الواقع فى عهد داود عليه الصلاة والسلام وأن اسناد أتى اليه على حذف مضاف أي قصة نبأ الخصم لما فيه من معنى الفعل لابأتي لأن اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ الثانية فى ﴿ اذ دخلوا على داود ﴾ بدل من الأولى أوظرف لتسوروا ﴿ ففزع منهم ﴾ لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لايتركون من يدخل عليه فانه عليه الصلاة والسلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان في يوم الخلوة ﴿قالوا لاتخف خصمان﴾ نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط ﴾ ولاتجر فى الحكومة وقرئ ولاتشطط أى ولاتبعد عن الحق ولاتشطط ولاتشاط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد ﴿ واهدنا الى سواء الصراط ﴾ أى الى وسطه وهو العدل ﴿ان هذا أخى﴾ بالدين أوبالصحبة ﴿له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة﴾ هى الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض أبلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء لى نعجة ﴿فقال أكفلنيها﴾ ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ماتحت يدى وقيل اجعلها كفلى أى نصيبي ﴿ وعزنى فى الخطاب ﴾ وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم أقدر على رده أوفى مغالبته اياي فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دوني وقرئ وعازني أى غالبنى وعزني على تخفيف غريب ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه﴾ جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه أوعلى تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة ﴿وان كثيرا من الخلطاء ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط ﴿ليبغى﴾ ليتعدى ﴿ بعضهم على بعض ﴾ وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله * اضرب عنك الهموم طارقها * وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ أى وهم قليل ومامزيدة للابهام والتعجب من قلتهم ﴿ وظن داود أنما فتناه ﴾ ابتليناه بالذنب أوامتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها ﴿ فاستغفر ربه ﴾ لذنبه ﴿وخر راكعا﴾ ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه أوخر للسجود راكعا أي مصليا

كأنه أحرم بركعتي الاستغفار ﴿وأناب﴾ ورجع الى الله بالتوبة وأقصى مافى هذه القضية الاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام ودّ أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب عنه *وماروى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعي حتى تزوّجها وولدت منه سليمان ان صحّ فلعله خطب مخطوبته أواستنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى *وماقيل انه أرسل أوريا الى الجهاد مرارا وأمر أن يقدّم حتى قتل فتزوّجها هزء وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين *وقيل ان قوما قصدوا أن يقتلوه فتسوّروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وأراد أن ينتقم منهم فظنّ أن ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مماهمّ به وأناب ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أى ما استغفر عنه ﴿وانّ له عندنا لزلفى﴾ لقربة بعد المغفرة ﴿وحسن مآب﴾ مرجع فى الجنة ﴿ياداود انا جعلناك خليفة في الارض﴾ استخلفناك على الملك فيها أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بحكم الله ﴿ولا تتبع الهوى﴾ ماتهوى النفس وهو يؤيد ماقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسئلته ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ دلائله التى نصبها على الحق ﴿انّ الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى ﴿وماخلقنا السماء والارض ومابينهما باطلا﴾ خلقا باطلا لا حكمة فيه أو ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله ـ وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ـ أو للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرّع بالشرع كقوله تعالى ـ وماخلقت الجنّ والانس الا ليعبدون ـ على وضعه موضع المصدر مثل هنيأ ﴿ذلك ظنّ الذين كفروا﴾ الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ بسبب هذا الظن ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۞ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۞ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۞ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۞ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۞ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۞ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۞ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۞ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۞ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞

فى الارض﴾ أم منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ كأنه أنكر التسوية أولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز أن يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرّحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما أن يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس مايقتضى الحكمة فيه أو فى غيرها وذلك يستدعى أن يكون لهم حالة أخرى يجازون فيها ﴿كتاب أنزلناه اليك مبارك﴾ نفاع وقرئ بالنصب على الحال ﴿ليدّبروا آياته﴾ ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا أى أنت وعلماء أمتك ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾ وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لايعرف الا من الشرع وارشاد الى مايستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ أى نعم العبد سليمان اذ مابعده تعليل للمدح وهو من حاله ﴿انه أوّاب﴾ رجاع الى الله بالتوبة أو الى التسبيح مرجع له ﴿اذ عرض عليه﴾ ظرف لأوّاب أو لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور ﴿بالعشىّ﴾ بعد الظهر ﴿الصافنات﴾ الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل الذى لايكاد يكون الا فى العراب الخلص ﴿الجياد﴾ جمع جواد أو جود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود فى الركض وقيل جمع جيد * روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتمّ لما فاته فاستردّها فعقرها تقرّبا لله ﴿فقال انى أحببت حبّ الخير عن ذكر ربى﴾ أصل أحببت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله

* مثل بعير السوء اذ أحبا * أي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها *قال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ أى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشىّ عليها ﴿ردّوها علىّ﴾ الضمير للصافنات ﴿فطفق مسحا﴾ فأخذ يمسح السيف مسحا ﴿بالسوق والاعناق﴾ أي بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبالها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كمؤقن وعن أبى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم اناب﴾ * وأظهر ماقيل فيه ماروى مرفوعا أنه قال لأطوفنّ الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهنّ فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه في السحاب فما شعر به الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بان لم يتوكل على الله *وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها وكان لايرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرّعا وكانت له أمّ ولد اسمها أمينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم وتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوما عدد ماعبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخرّ ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لايضرّه ﴿قال ربّ اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى﴾ لايتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى أو لا ينبغى لاحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لأحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون

منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم مايجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وأبوعمرو بفتح الياء ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ المعطى ماتشاء لمن تشاء ﴿ فسخرنا له الريح ﴾ فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح ﴿ تجرى بامره رخاء ﴾ لينة من الرخاوة لاتزعزع أولاتخالف ارادته كالمأمور المنقاد ﴿ حيث أصاب ﴾ أراد من قولهم أصاب الصواب فاخطأ الجواب ﴿والشياطين﴾ عطف على الريح ﴿كل بناء وغوّاص﴾ بدل منه ﴿وآخرين مقرّنين فى الاصفاد﴾ عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلاترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط به المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس وعد وأوعد وفى ذلك نكتة ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ أى هذا الذى أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يسلط به غيرك عطاؤنا ﴿ فامنن أوأمسك ﴾ فاعط من شئت وامنع من شئت ﴿بغير حساب﴾ حال من المستكن فى الامر أي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك أومن العطاء أوصلة له ومابينهما اعتراض*والمعني انه عطاءجم لايكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد ﴿ وان له عندنا لزلفى ﴾ فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا ﴿ وحسن مآب ﴾ هو الجنة ﴿ واذكر عبدنا أيوب ﴾ هو ابن عيص بن اسحق وامرأته ليابنت يعقوب صلوات الله عليه ﴿اذنادى ربه﴾ بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له ﴿ أني مسنى ﴾ بان مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها فى الوصل ﴿ الشيطان بنصب ﴾ بتعب ﴿وعذاب﴾ ألم وهي حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولا هى لقال إنه مسه والاسناد الى الشيطان امالان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أواستغاثة مظلوم

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۞ وَخُذْ
بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ
الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۞ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى
الدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۞ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ
وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۞ هٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ
لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۞
مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۞ وَعِنْدَهُمْ
قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۞ هٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۞
إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۞ هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ
مَآبٍ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ
حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۞ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۞ هٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ
مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ۞ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ
لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞

فلم يغثه أوكانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أولسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أومراعاة للادب أولانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أولان المراد بالنصب والعذاب ماكان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل

﴿ اركض برجلك ﴾ حكاية لما أجيب به أى اضرب برجلك الارض ﴿ هذا مغتسل بارد وشراب ﴾ أي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أى ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارّة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ﴿ووهبناله أهله﴾ بأن جمعناهم عليه بعد تفرقهم أوأحييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ﴿ومثلهم معهم﴾ حتى كان له ضعف ماكان ﴿رحمة منا﴾ لرحمتنا عليه ﴿وذكرى لاولى الالباب﴾ وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجا الى الله فيما يحيق بهم ﴿وخذ بيدك ضغثا﴾ عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه ﴿ فاضرب به ولاتحنث ﴾ * روي أن زوجته ليابنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية فى الحدود ﴿ اناوجدناه صابرا ﴾ فيما أصابه فى النفس والاهل والمال ولايخلّ به شكواه الى الله من الشيطان فانه لايسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة أن يفتنه أوقومه فى الدين ﴿ نعم العبد ﴾ أيوب ﴿ انه أواب ﴾ مقبل بشراشره على الله تعالى ﴿ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب ﴾ وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع أوعلى أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه ﴿ أولى الايدي والابصار ﴾أولى القوّة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أوأولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان أكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها أقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال أنهم كالزمنى والعماة ﴿ انا أخلصناهم بخالصة ﴾ جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لاشوب فيها هى ﴿ذكرى الدار﴾ تذكرهم الدار الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك فى الآخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر وأضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان أولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار﴾ لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أوخير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت أوميت ﴿واذكر اسمعيل واليسع﴾ هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله * رأيت الوليد بن اليزيد مباركا * وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع ﴿وذا الكفل﴾ ابن عم يسع أوبشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فراليه مائة نبي من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة ﴿وكل﴾ أى وكلهم ﴿من الاخيار هذا﴾ اشارة الى ماتقدم من أمورهم ﴿ذكر﴾ شرف لهم أونوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع فى بيان ماأعد لهم ولامثالهم فقال ﴿وان للمتقين لحسن مآب﴾ مرجع ﴿جنات عدن﴾ عطف بيان لحسن مآب وهو من الأعلام الغالبة لقوله ـ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب ـ وانتصب عنها ﴿مفتحة لهم الابواب﴾ على الحال والعامل فيها مافى المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أوأنهما خبران لمحذوف ﴿متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ حالان متعاقبان أومتداخلان من الضمير فى لهم لامن المتقين للفصل والاظهر أن يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولاتحلل ثمة ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ لاينظرون الى غير أزوجهن ﴿ أتراب ﴾ لدات لهم فان التحاب بين الاقران أثبت أوبعضهن لبعض لاعجوز فيهن ولاصبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت واحد ﴿ هذا ماتوعدون ليوم الحساب ﴾ لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وأبوعمرو بالياء ليوافق ماقبله ﴿ ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ﴾ انقطاع ﴿هذا﴾ أى الامر هذا أوهذا كما ذكر أوخذ هذا ﴿وان للطاغين لشر مآب جهنم﴾ اعرابه ماسبق ﴿ يصلونها ﴾ حال من جهنم ﴿ فبئس المهاد ﴾ المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد ﴿هذا فليذوقوه﴾ أى ليذوقواهذا فليذوقوه أوالعذاب هذا فليذوقوه ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره ﴿ حميم وغساق ﴾ وهو على الاوّلين خبر محذوف أى هو حميم والغساق مايغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذاسال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين ﴿ وآخر ﴾ أى مذوق

أوعذاب آخر وقرأ البصريان وأخرى أي ومذوقات أوانواع عذاب أخر ﴿من شكله﴾ من مثل هذا المذوق أوالعذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على أنه لما ذكر أوللشراب الشامل للحميم والغساق أوللغساق وقرئ بالكسر وهو لغة ﴿أزواج﴾ أجناس خبر لآخر أوصفة له أوللثلاثة أومرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ حكاية مايقال للرؤساء الطاغين اذادخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها ﴿لامرحبابهم﴾ دعاء من المتبوعين على أتباعهم أوصفة لفوج أوحال أى مقولا فيهم لامرحبا أى ماأتوا بهم رحبا وسعة ﴿انهم صالوا النار﴾ داخلون النار بأعمالهم مثلنا ﴿قالوا﴾ أى الاتباع للرؤساء ﴿بل أنتم لامرحبا بكم﴾ بل أنتم أحق بما قلتم أوقيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ قدمتم العذاب أوالصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ماقدمتموه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة ﴿فبئس القرار﴾ فبئس المقر جهنم

﴿قالوا﴾ أى الاتباع أيضا ﴿ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار﴾ مضاعفا أى ذاضعف وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب ﴿وقالوا﴾ أى الطاغوت ﴿مالنا لانرى رجالاً كنا نعدهم من الاشرار﴾ يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم ﴿أتخذناهم سخريا﴾ صفة أخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين ﴿أمزاغت﴾ مالت ﴿عنهم الابصار﴾ فلانراهم وأم معادلة لمالنا لانري على أن المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا أليسوا ههنا أمزاغت عنهم أبصارنا أولاتخذناهم على القراءة الثانية بمعني أي الامرين فعلنابهم الاستسخار منهم أم تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على أنفسهم أومنقطعة والمراد الدلالة على أن استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ أبصارهم وقصور أنظارهم على رثاثة حالهم ﴿ان ذلك﴾ الذى حكيناه عنهم ﴿لحق﴾ لابد أن يتكلموا به ثم بين ماهو فقال ﴿تخاصم أهل النار﴾ وهو بدل من لحق أوخبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك ﴿قل﴾ يامحمد للمشركين ﴿انما أنا منذر﴾ أنذركم عذاب الله ﴿ومامن اله الا الله الواحد﴾ الذي لايقبل الشركة والكثرة في ذاته ﴿القهار﴾ لكل شئ يريد قهره ﴿رب السموات والارض ومابينهما﴾ منه خلقها واليه أمرها ﴿العزيز﴾ الذى لايغلب اذاعاقب ﴿الغفار﴾ الذى يغفر مايشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية مايشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعوّ به هو الانذار ﴿قل هو﴾ أى ماأنبأتكم به من أنى نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد فى ألوهيته وقيل مابعده من نبأ آدم ﴿نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ لتمادى غفلتكم فان العاقل لايعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة أما على التوحيد فما مر وأما على النبوّة فقوله ﴿ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذيختصمون﴾ فان اخباره عن تقاول الملائكة وماجرى بينهم على ماورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لايتصور الابالوحى واذ متعلق بعلم أوبمحذوف اذالتقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ﴿ان يوحى الىّ الا أنما أنا نذير مبين﴾ أى لأنما كأنه لما جوّز أن الوحى يأتيه بين بذلك ماهو المقصود به تحقيقا لقوله انما أنا منذر ويجوز أن يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية ﴿اذقال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين﴾ بدل من اذيختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذعليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على مامر فى البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ماهو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عليه الصلاة والسلام بمثل ماحاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وأن يفسر الملأ الاعلى بمايعم الله تعالى والملائكة ﴿فاذا سوّيته﴾ عدّلت خلقته ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته ﴿فقعوا له﴾ فخرّوا له ﴿ساجدين﴾ تكرمة وتبجيلا له وقدمر الكلام فيه في البقرة ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر﴾ تعظم ﴿وكان﴾ وصار ﴿من الكافرين﴾ باستنكاره أمر الله تعالى واستكباره عن المطاوعة أوكان منهم فى علم الله تعالى ﴿قال ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ﴾ خلقته بنفسى من غير توسط كأب وأم والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم أوبانه الذى تشبث به فى تركه وهو لايصلح مانعا اذللسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾ تكبرت من غير استحقاق أوكنت ممن علا واستحق التفوّق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة أم عليها أوبمعنى الاخبار ﴿قال أنا خير منه﴾ ابداء للمانع وقوله ﴿خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ دليل عليه وقدسبق الكلام فيه ﴿قال فاخرج منها﴾ من الجنة أومن السماء أومن الصورة الملكية ﴿فانك رجيم﴾ مطرود من الرحمة ومحل الكرامة ﴿وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم﴾ مربيانه في الحجر

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى النَّارِ ۞ وَقَالُوا
مَا لَنَا لَا نَرٰى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا
أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ۞ إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ
۞ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ رَبُّ
السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۞ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ
۞ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۞ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلٰى إِذْ
يَخْتَصِمُونَ ۞ إِنْ يُوحٰى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۞ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞
إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ
أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۞ قَالَ
فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلٰى
يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۞ إِلٰى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۞

قال

﴿قال فبعزتك﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿لأغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين﴾ الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة أوأخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ أى فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الاوّل اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقوله * ان عليك الله أن تبايعا * وجوابه ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ ومابينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاوّل على الابتداء أى الحق يميني أوقسمى أوالخبر أى أنا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله * كله لم أصنع * ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاوّل وحكاية لفظ المقسم به في الثانى للتأكيد وهو سائغ فيه اذاشارك الاول وبرفع الاوّل وجره ونصب الثانى وتخريجه على ماذكرناه والضمير في منهم للناس اذالكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين تأكيد له أوللضميرين ﴿قل ماأسألكم عليه من أجر﴾ أى على القرآن أوتبليغ الوحى ﴿وماأنا من المتكلفين﴾ المتصفين بما ليسوا من أهله على ماعرفتم من حالى فأنتحل النبوّة وأتقوّل القرآن ﴿انهو الاذكر﴾ عظة ﴿للعالمين﴾ للثقلين ﴿ولتعلمنّ نبأه﴾ وهو مافيه من الوعد والوعيد أوصدقه باتيان ذلك ﴿بعد حين﴾ بعد الموت أويوم القيامة أوعند ظهور الاسلام وفيه تهديد * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه الله أن يصر على ذنب صغير أوكبير

﴿سورة الزمر مكية الاقوله قل ياعبادى الآية وآيها خمس وسبعون أوثنتان وسبعون آية﴾

قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين ۞ الا عبادك منهم المخلصين ۞ قال فالحق والحق أقول ۞ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ۞ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ۞ إن هو إلا ذكر للعالمين ۞ ولتعلمن نبأه بعد حين ۞

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۞ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ۞ ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ۞ لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ۞ خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ۞

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * تنزيل الكتاب﴾ خبر محذوف مثل هذا أومبتدأ خبره ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ وهو على الاوّل صلة لتنزيل أوخبر ثان أوحال عمل فيها معنى الاشارة أوالتنزيل والظاهر أن الكتاب على الاوّل السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أوالزم ﴿انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ ملتبسا بالحق أوبسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ ممحصا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراؤه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أى ألا هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ﴿مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى﴾ باضمار القول ﴿ان الله يحكم بينهم﴾ وهو متعين على الثانى وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا أوبدلا من الصلة وزلفى مصدر أوحال وقرئ قالوا مانعبدهم ومانعبدكم الالتقربونا الى الله حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا ﴿فيماهم فيه يختلفون﴾ من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ﴿ان الله لايهدى﴾ لايوفق للاهتداء الى الحق ﴿من هو كاذب كفار﴾ فانهما فاقدا البصيرة ﴿لوأراد الله أن يتخذ ولدا﴾ كما زعموا ﴿لاصطفى مما يخلق مايشاء﴾ اذلاموجود سواه الاهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ماعدا الواجب اليه ومن البين أن المخلوق لايماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله ﴿سبحانه هو الله الواحد القهار﴾ فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافى المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافى قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله ﴿خلق السموات والارض بالحق يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل﴾ يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس باللابس أويغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أويجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى﴾ هو منتهى دوره أو منقطع حركته ﴿ألا هو العزيز﴾ القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ ﴿الغفار﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب مافى هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة

﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبدوأ به من خلق الانسان لانه أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ماذكره ثلاث دلالات خلق آدم أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها أو على معنى واحدة أي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها أو على خلقكم لتفاوت مابين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل أخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء ﴿وأنزل لكم﴾ وقضى أو قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح المحفوظ أو أحدث لكم باسباب نازلة كأشعة الكواكب والامطار ﴿من الانعام ثمانية أزواج﴾ ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ بيان لكيفية خلق ماذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير أنه غلب أولى العقل أو خصهم بالخطاب لانهم المقصودون ﴿خلقا من بعد خلق﴾ حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ﴿في ظلمات ثلاث﴾ ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن ﴿ذلكم﴾ الذي هذه أفعاله ﴿الله ربكم﴾ هو المستحق لعبادتكم والمالك ﴿له الملك لااله الاهو﴾ اذلا يشاركه في الخلق غيره ﴿فأنى تصرفون﴾ يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ﴿ان تكفروا فان الله غنى عنكم﴾ عن ايمانكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وان تشكروا يرضه لكم﴾ لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وأبو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن أبي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ فلا تخفى عليه خافية من أعمالكم ﴿واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه﴾ لزوال ماينازع العقل في الدلالة على أن مبدأ الكل منه ﴿ثم اذا خوله﴾ أعطاه من الخول وهو التعهد أو الخول وهو الافتخار ﴿نعمة منه﴾ من الله ﴿نسي ماكان يدعو اليه﴾ أى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أو ربه الذى كان يتضرع اليه ومامثل الذى في قوله وماخلق الذكر والانثى ﴿من قبل﴾ من قبل النعمة ﴿وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله﴾ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين ﴿قل تمتع بكفرك قليلا﴾ أمر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشه لاسند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله ﴿انك من أصحاب النار﴾ على سبيل الاستئناف للمبالغة ﴿أمن هو قانت﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿آناء الليل﴾ ساعاته وأم متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير أم من هو قانت أو منقطعة والمعني بل أمن هو قانت كمن هو بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعني أمن هو قانت لله كمن جعل له أندادا ﴿ساجدا وقائما﴾ حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين ﴿يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه﴾ في موضع الحال أو الاستئناف للتعليل ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾ نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه أى كما لايستوى العالمون والجاهلون لايستوى القانتون والعاصون ﴿انما يتذكر أولوا الالباب﴾ بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام ﴿قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ بلزوم طاعته ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ أى للذين أحسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه ﴿انما يوفى الصابرون﴾ على مشاق الطاعات من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها ﴿أجرهم بغير حساب﴾ أجرا لايهتدى اليه حساب الحساب وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم
من الانعام ثمنية أزواج يخلقكم في بطون أمهتكم خلقا
من بعد خلق في ظلمت ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله
الا هو فأنى تصرفون ۞ ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا
يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة
وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون انه عليم بذات الصدور ۞ واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى
ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله
قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحب النار ۞ أمن هو قانت
آناء اليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر
أولوا الالبب ۞ قل يعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله
واسعة انما يوفى الصبرون أجرهم بغير حساب ۞

قُلْ اِنّ۪ٓي اُمِرْتُ اَنْ اَعْبُدَ اللّٰهَ مُخْلِصاً لَهُ الدّ۪ينَۙ ۞ وَاُمِرْتُ لِاَنْ اَكُونَ
اَوَّلَ الْمُسْلِم۪ينَ ۞ قُلْ اِنّ۪ٓي اَخَافُ اِنْ عَصَيْتُ رَبّ۪ي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظ۪يمٍ ۞ قُلِ اللّٰهَ اَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ د۪ين۪يۙ ۞ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ
مِنْ دُونِه۪ۜ قُلْ اِنَّ الْخَاسِر۪ينَ الَّذ۪ينَ خَسِرُٓوا اَنْفُسَهُمْ وَاَهْل۪يهِمْ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِۜ اَلَا ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُب۪ينُ ۞ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۜ ذٰلِكَ يُخَوِّفُ اللّٰهُ بِه۪ عِبَادَهُۜ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ۞
وَالَّذ۪ينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ اَنْ يَعْبُدُوهَا وَاَنَابُٓوا اِلَى اللّٰهِ لَهُمُ الْبُشْرٰىۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِۙ ۞ اَلَّذ۪ينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ اَحْسَنَهُۜ
اُو۬لٰٓئِكَ الَّذ۪ينَ هَدٰيهُمُ اللّٰهُ وَاُو۬لٰٓئِكَ هُمْ اُو۬لُوا الْاَلْبَابِ ۞ اَفَمَنْ
حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِۜ اَفَاَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِۚ ۞ لٰكِنِ
الَّذ۪ينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌۙ تَجْر۪ي
مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُۜ وَعْدَ اللّٰهِۜ لَا يُخْلِفُ اللّٰهُ الْم۪يعَادَ ۞ اَلَمْ تَرَ
اَنَّ اللّٰهَ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَٓاءِ مَٓاءً فَسَلَكَهُ يَنَاب۪يعَ فِي الْاَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ
بِه۪ زَرْعاً مُخْتَلِفاً اَلْوَانُهُ ثُمَّ يَه۪يجُ فَتَرٰيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطَاماًۜ اِنَّ ف۪ي ذٰلِكَ لَذِكْرٰى لِاُو۬لِي الْاَلْبَابِ ۞

﴿قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين﴾ موحدا له ﴿وأمرت لان أكون أول المسلمين﴾ وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص أولانه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهى أيضا تقتضيه لمايلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به ﴿قل انى أخاف ان عصيت ربي﴾ بترك الاخلاص والميل الى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ﴿عذاب يوم عظيم﴾ لعظمة ما فيه ﴿قل الله أعبد مخلصا له دينى﴾ أمر بالاخبار عن اخلاصه وأن يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا عن المخالفة من العقاب قطعا لأطماعهم ولذلك رتب عليه قوله ﴿فاعبدوا ماشئتم من دونه﴾ تهديدا وخذلانا لهم ﴿قل ان الخاسرين﴾ الكاملين فى الخسران ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ بالضلال ﴿وأهليهم﴾ بالاضلال ﴿يوم القيامة﴾ حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ شرح لخسرانهم ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أطباق من النار هي ظلل للآخرين ﴿ذلك يخوّف الله به عباده﴾ ذلك العذاب هو الذى يخوّفهم به ليجتنبوا مايوقعهم فيه ﴿ياعباد فاتقون﴾ ولاتتعرضوا لمايوجب سخطى ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني المبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ﴿أن يعبدوها﴾ بدل اشتمال منه ﴿وأنابوا الى الله﴾ وأقبلوا اليه بشراشرهم عماسواه ﴿لهم البشرى﴾ بالثواب على ألسنة الرسل أوالملائكة عند حضور الموت ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وأنهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ لدينه ﴿وأولئك هم أولوا الالباب﴾ العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار﴾ جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وأن اجتهاد الرسل فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف﴾ علالى بعضها فوق بعض ﴿مبنية﴾ بنيت بناء المنازل على الارض ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ أى من تحت تلك الغرف ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى الوعد ﴿لايخلف الله الميعاد﴾ لان الخلف نقص وهو على الله محال ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ هو المطر ﴿فسلكه﴾ فأدخله ﴿ينابيع فى الارض﴾ هى عيون ومجارى كائنة فيها أومياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف أوالحال ﴿ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه﴾ أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ﴿ثم يهيج﴾ يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منبته ﴿فتراه مصفرّا﴾ من يبسه ﴿ثم يجعله حطاما﴾ فتاتا ﴿ان فى ذلك لذكري﴾ لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسوّاه أو بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها ﴿لاولى الالباب﴾ اذ لايتذكر به غيرهم

﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾ حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق للنفس القابلة للاسلام ﴿فهو على نور من ربه﴾ يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق *وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لان القاسى من أجل الشئ أشدّ تأبيا عن قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده الى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده اليه ﴿أولئك فى ضلال مبين﴾ يظهر للناظر بأدنى نظر والآية نزلت فى حمزة وعلىّ وأبى لهب وولده ﴿الله نزّل أحسن الحديث﴾ يعنى القرآن * روى ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه ﴿كتابا متشابها﴾ بدل من أحسن أوحال منه وتشابهه تشابه أبعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة ﴿مثاني﴾ جمع مثنى أومثنى أومثن على مامرّ فى الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام وعروق وأعصاب أوجعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائله ﴿تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب أقمطر من القمط وهو الشد ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان أصل أمره الرحمة وأن رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هي من عوارضها ﴿ذلك﴾ أى الكتاب أوالكائن من الخشية والرجاء ﴿هدى الله يهدى به من يشاء﴾ هدايته ﴿ومن يضلل الله﴾ ومن يخذله ﴿فما له من هاد﴾ يخرجهم من الضلال ﴿أفمن يتقى بوجهه﴾ يجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون يداه مغلولة الى عنقه فلايقدر أن يتقى الابوجهه ﴿سوء العذاب يوم القيامة﴾ كمن هو آمن منه فحذف الخبر كماحذف فى نظائره ﴿وقيل للظالمين﴾ أى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لمايقال لهم وهو ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أى وباله والواو للحال وقد مقدرة ﴿كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ من الجهة التى لايخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها ﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ الذل ﴿فى الحيوة الدنيا﴾ كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ﴿ولعذاب الآخرة﴾ المعدّ لهم ﴿أكبر﴾ لشدته ودوامه ﴿لوكانوا يعلمون﴾ لوكانوا من أهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ يحتاج اليه الناظر فى أمر دينه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون به ﴿قرآنا عربيا﴾ حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا أومدح له ﴿غير ذى عوج﴾ لااختلال فيه بوجه ماوهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله

وقد أتاك يقين غيرذى عوج * من الاله وقول غيرمكذوب

وهو تخصيص له ببعض مدلوله ﴿لعلهم يتقون﴾ علة أخرى مرتبة على الاولى ﴿ضرب الله مثلا﴾ للمشرك والموحد ﴿رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل﴾ مثل المشرك على مايقتضيه مذهبه من أن يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعوا فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المختلفة فى تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلاثتها مصادر سلم نعت بها أوحذف منهاذا ورجل سالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه أفطن للضر والنفع ﴿هل يستويان مثلا﴾ صفة وحالا ونصبه على التميز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل ﴿الحمد لله﴾ كل الحمد له لايشاركه فيه على الحقيقة سواء لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق ﴿بل أكثرهم لايعلمون﴾ فيشركون به غيره من فرط جهلهم ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾ فان الكل بصدد الموت وفى عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ﴿ثم انكم﴾ على تغليب المخاطب على الغيب ﴿يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فتحتج عليهم بانك كنت على الحق فى التوحيد وكانوا على الباطل فى التشريك واجتهدت فى الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم فى الدنيا

أَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقٰسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ أُولٰئِكَ فِي ضَلٰلٍ مُبِينٍ ۞ اللّٰهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتٰبًا مُتَشٰبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَقِيلَ لِلظّٰلِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتٰىهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ فَأَذَاقَهُمُ اللّٰهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيٰنِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۞

فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه
أليس في جهنم مثوى للكافرين ۞ والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ۞ لهم ما
يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ۞ ليكفر الله
عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي
كانوا يعملون ۞ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك
بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ۞
ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي
انتقام ۞ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن
أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي
الله عليه يتوكل المتوكلون ۞ قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون ۞ من يأتيه
عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ۞

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ باضافة الولد والشريك اليه ﴿وكذب بالصدق﴾ وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿اذ جاءه﴾ من غير توقف وتفكر فى أمره ﴿أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدلّ به على تكفير المبتدعة فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ماعلم مجيء الرسول به بالتكذيب ﴿والذى جاء بالصدق وصدّق به﴾ اللام للجنس ليتناول الرّسل والمؤمنين لقوله ﴿أولئك هم المتقون﴾ وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما فى قوله تعالى ـ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ـ وقيل الجائى هوالرسول والمصدّق أبوبكر رضى الله تعالى عنه وذلك يقتضى اضمار الذى وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس فأدّاه اليهم كما نزل من غير تحريف أوصار صادقا بسببه لأنه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول ﴿لهم مايشاؤن عند ربهم﴾ في الجنة ﴿ذلك جزاء المحسنين﴾ على احسانهم ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا﴾ خصّ الأسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره أولى بذلك أوللاشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون أنهم مقصرون مذنبون وأن مايفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان وقرئ أسواء جمع سوء ﴿ويجزيهم أجرهم﴾ ويعطيهم ثوابهم ﴿بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ فيدل لهم محاسن أعمالهم باحسنها فى زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ استفهام انكار للنفى مبالغة فى الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى عباده وفسر بالانبياء صلوات الله عليهم ﴿ويخوّفونك بالذين من دونه﴾ يعنى قريشا فانهم قالوا له انا نخاف أن تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها أحذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ﴿ومن يضلل الله﴾ حتى غفل عن كفاية الله له وخوّفه بما لاينفع ولا يضر ﴿فما له من هاد﴾ يهديه الى الرشاد ﴿ومن يهد الله فما له من مضلّ﴾ اذ لا رادّ لفعله كما قال ﴿أليس الله بعزيز﴾ غالب منيع ﴿ذى انتقام﴾ ينتقم من أعدائه ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله﴾ لوضوح البرهان على تفرّده بالخالقية ﴿قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضرّ هل هنّ كاشفات ضرّه﴾ أى أرأيتم بعد ماتحققتم أن خالق العالم هو الله تعالى انّ آلهتكم ان أراد الله أن يصيبنى بضرّ هل يكشفنه ﴿أو أرادني برحمة﴾ بنفع ﴿هل هنّ ممسكات رحمته﴾ فيمسكنها عني وقرأ أبو عمر وكاشفات ضرّه ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضرّه ورحمته ﴿قل حسبى الله﴾ كافيا فى اصابة الخير ودفع الضرّ اذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذى لامانع لما يريده من خير أوشرّ ❊ روي أن النبي عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على مايصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ لعلمهم بأن الكل منه تعالى ﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم ﴿انى عامل﴾ أى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بأن حاله لايقف فانه تعالى يزيده على مرّ الأيام قوّة ونصرة ولذلك توّعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدّارين فقال ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ فان خزي أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر ﴿ويحلّ عليه عذاب مقيم﴾ دائم وهو عذاب النار

﴿ انا أنزلنا عليك الكتاب للناس ﴾ لأجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم ﴿ بالحق ﴾ متلبسا به ﴿ فمن اهتدى فلنفسه ﴾ اذ نفع به نفسه ﴿ ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ فان وباله لايتخطاها ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما أمرت بالبلاغ وقد بلغت ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت في منامها ﴾ أى يقبضها عن الابدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت أوظاهرا لا باطنا وهو فى النوم ﴿ فيمسك التى قضى عليها الموت ﴾ ولايردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ﴿ ويرسل الاخرى ﴾ أي النائمة الى بدنها عند اليقظة ﴿ الى أجل مسمى ﴾ هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال * وماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتميز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ﴿ ان فى ذلك ﴾ من التوفى والامساك والارسال ﴿ لآيات ﴾ دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفنائها ومايعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة فى توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفى آجالها ﴿ أم اتخذوا ﴾ بل اتخذ قريش ﴿ من دون الله شفعاء ﴾ تشفع لهم عند الله ﴿ قل أولو كانوا لايملكون شيا ولايعقلون ﴾ ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لاتقدر ولاتعلم ﴿ قل لله الشفاعة جميعا ﴾ لعله رد لما عسى يجيبون به وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لايستطيع أحد شفاعة الا باذنه ورضاه ولايستقل بها ثم قرر ذلك فقال ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ فانه مالك الملك كله لايملك أحد أن يتكلم في أمره دون اذنه ورضاه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ يوم القيامة فيكون الملك له أيضا حينئذ ﴿ واذا ذكر الله وحده ﴾ دون آلهتهم ﴿ اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ﴾ انقبضت ونفرت ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعنى الاوثان ﴿ اذا هم يستبشرون ﴾ لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غما حتى ينقبض أديم وجهه والعامل فى اذا ذكر العامل فى اذا المفاجأة ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ﴾ ألتجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في أمرهم وضجرت من عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الأشياء والعالم بالأحوال كلها ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ فأنت وحدك تقدر أن تحكم بينى وبينهم ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة ﴾ وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله تعالى ـ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم ـ في الوعد ﴿ وبدا لهم سيآت ما كسبوا ﴾ سيآت أعمالهم أو كسبهم حين تعرض صحائفهم ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وأحاط بهم جزاؤه

انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل ۞
الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها
فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى
ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون ۞ ام اتخذوا من دون
الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ۞
قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه
ترجعون ۞ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم
يستبشرون ۞ قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون ۞ ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ۞ وبدا لهم
سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ۞

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا
أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ قَدْ قَالَهَا
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ
سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۞ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ۞ وَاتَّبِعُوا
أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى
مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ
لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ
تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞

﴿ فاذا مس الانسان ضر دعانا ﴾ اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم فى التسبب بمعنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ﴿ ثم اذا خولناه نعمة منا ﴾ أعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به ﴿ قال انما أوتيته على علم ﴾ منى بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه لما لى من استحقاقه أومن الله بى واستحقاقى والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها ﴿ بل هي فتنة ﴾ امتحان له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أولفظ النعمة وقرئ بالتذكير ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ ذلك وهو دليل على أن الانسان للجنس ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ الهاء لقوله ـ انما أوتيته على علم ـ لانها كلمة أوجملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ من متاع الدنيا ﴿ فأصابهم سيآت ما كسبوا ﴾ جزاء سيآت أعمالهم أوجزاء أعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة أعمالهم السيئة رمزا الى أن جميع أعمالهم كذلك ﴿ والذين ظلموا ﴾ بالعتو ﴿ من هؤلاء ﴾ المشركين ومن للبيان أوالتبعيض ﴿ سيصيبهم سيآت ما كسبوا ﴾ كما أصاب أولئك وقد أصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿ وماهم بمعجزين ﴾ بفائتين ﴿ أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ بأن الحوادث كلها من الله بوسط أوغيره ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن ﴿ لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ لاتيأسوا من مغفرته أولا وتفضله ثانيا ﴿ ان الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله تعالى ـ ان الله لايغفر أن يشرك به ـ الآية والتعليل بقوله ﴿ انه هو الغفور الرحيم ﴾ على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب جميعا ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع * وما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ما أحب أن تكون لى الدنيا ومافيها بها فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات * وما روي أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة افتتنوا أوفى الوحشى لاينفى عمومها وكذا قوله ﴿ وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ﴾ فانها لاتدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالعذاب ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أوالناسخ دون المنسوخ ولعله ماهو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون ﴾ بمجيئه فتتداركوا ﴿ أن تقول نفس ﴾ كراهة أن تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس أوللتكثير كقول الأعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه * أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

﴿ ياحسرتى ﴾ وقرئ بالياء على الاصل ﴿ على مافرطت ﴾ بما قصرت ﴿ في جنب الله ﴾ فى جانبه أى فى حقه وهو طاعته * قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق * له كبد حرى عليك تقطع

وهو كناية فيها مبالغة كقوله

ان السماحة والمروءة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى ـ والصاحب بالجنب ـ وقرئ فى ذكر الله ﴿ وان كنت لمن الساخرين ﴾ المستهزئين بأهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر ﴿ أوتقول لو أن الله هدانى ﴾ بالارشاد الى الحق ﴿ لكنت من المتقين ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ﴾ في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لاتخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لاطائل تحته

﴿ بلى قدجاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴾ رد من الله عليه لما تضمنه قوله لوأن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخيرالمودود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لايمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولامافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله ﴾ بأن وصفوه بمالايجوز كاتخاذ الولد ﴿وجوههم مسودة ﴾ بما ينالهم من الشدة أوبما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذالظاهر أن ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿ أليس في جهنم مثوى ﴾ مقام ﴿ للمتكبرين ﴾ عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك ﴿ وينجى الله الذين اتقوا ﴾ وقرئ وينجى ﴿ بمفازتهم ﴾ بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باهم أقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي أولقوله ﴿ لايمسهم السوء ولاهم يحزنون ﴾ وهو حال أواستئناف لبيان المفازة ﴿الله خالق كل شئ﴾ من خير وشر وايمان وكفر ﴿وهو على كل شئ وكيل﴾ يتولى التصرف ﴿له مقاليد السموات والارض ﴾ لايملك أمرها ولايتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لايدخلها ولايتصرف فيها الامن بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أومقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذا كير *وعن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لااله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولاحول ولاقوة الابالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه ﴿ والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾ متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا ومابينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد مطلع على أفعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين أن خسروا أنفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أوبما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض أوكلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذوحظ من الرحمة والثواب ﴿ قل أفغير الله تامروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ أى أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بمادل عليه تامرونى أن أعبد لانه بمعني تعبدوننى على ان أصله تامرونى أن أعبد فحذف ان ورفع كقوله

* ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ﴿ ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ﴾ أى من الرسل ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لان شركهم أقبح وأن يكون على التقييد بالموت كماصرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب ﴿ بل الله فاعبد ﴾ رد لما أمروه به ولولادلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك ﴿وكن من الشاكرين ﴾ انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ ماقدروا عظمته في أنفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بمالايليق به وقرئ بالتشديد ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ تنبيه على عظمته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على أن تخريب العالم أهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولامجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أوبتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للمؤقت بالمبهم وتأكيدالارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع أوجميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ ماأبعد وأعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أومايضاف اليه من الشركاء ﴿ونفخ في الصور﴾ يعنى المرة الاولى ﴿ فصعق من في السموات ومن في الارض ﴾ خرّ ميتا أومغشيا عليه ﴿ الامن شاء الله ﴾ قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ﴿ ثم نفخ فيه أخرى ﴾ نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالاولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كماصرح به في مواضع وأخرى تحتمل النصب والرفع ﴿ فاذاهم قيام ﴾ قائمون من قبورهم أومتوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر ﴿ ينظرون ﴾ وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أوينتظرون مايفعل بهم

بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۞ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۞

﴿وأشرقت الارض بنور ربها﴾ بما أقام فيها من العدل سماه نور الانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة * وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه الى الارض أوبنور خلق فيها بلاواسطة أجسام مضيئة ولذلك أضافه الى نفسه ﴿ووضع الكتاب﴾ للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أوصحائف الاعمال فى أيدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون ﴿وقضى بينهم﴾ بين العباد ﴿بالحق وهم لايظلمون﴾ بنقص ثواب أوزيادة عقاب على ماجرى به الوعد ﴿ووفيت كل نفس ماعملت﴾ جزاءه ﴿وهو أعلم بمايفعلون﴾ فلايفوته شئ من أفعالهم ثم فصل التوفية فقال ﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا﴾ أفواجا متفرقة بعضهافى اثر بعض على تفاوت أقدامهم في الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذالجماعة لاتخلو عنه أومن قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروأة وهي الجمع القليل ﴿حتي اذا جاؤها فتحت أبوابها﴾ ليدخلوها وحتى هي التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء ﴿وقال لهم خزنتها﴾ تقريعا وتوبيخا ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ من جنسكم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لاتكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب ﴿قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهرفيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله ـ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ـ ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أبهم القائل لتهويل مايقال لهم ﴿فبئس مثوى﴾ مكان ﴿المتكبرين﴾ اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولاينافى اشعاره بان مثواهم فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اذاخلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة واذاخلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة﴾ اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذلايذهب بهم الاراكبين ﴿زمرا﴾ على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة ﴿حتى اذاجاؤها وفتحت أبوابها﴾ حذف جواب اذاللدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالايحيط به الوصف وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم﴾ لايعتريكم بعد مكروه ﴿طبتم﴾ طهرتم من دنس المعاصى ﴿فادخلوها خالدين﴾ مقدرين الخلود فيها والفاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لايمنع دخول العاصى بعفوه لانه مطهره ﴿وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾ بالبعث والثواب ﴿وأورثنا الارض﴾ يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أوتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أى يتبوأ كل منافى أى مقام أراده من جنته الواسعة مع أن في الجنة مقامات معنوية لايتمانع واردوها ﴿فنعم أجر العاملين﴾ الجنة ﴿وترى الملائكة حافين﴾ محدقين ﴿من حول العرش﴾ أى حوله ومن مزيدة أولابتداء الحفوف ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أومقيدة للاولى والمعني ذاكرين له بوصفى جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق فى صفات الحق ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ أى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أوبين الملائكة باقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضى بينهم أوالملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين * وعن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر والله أعلم

وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتب وجاىء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ۞
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ۞ وسيق
الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم
ءايت ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكفرين ۞ قيل ادخلوا
أبواب جهنم خلدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ۞
وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها
وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلم عليكم
طبتم فادخلوها خلدين ۞ وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة
حيث نشاء فنعم أجر العملين ۞ وترى الملئكة
حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي
بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العلمين ۞

﴿ سورة المؤمن مكية وآيها خمس وثمانون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حم ﴾ أماله ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحا ونافع برواية ورش وأبوعمرو بين بين وقرى بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين أوالنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث أولانها على زنة أعجمى كقابيل وهابيل ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ﴾ صفات أخر لتحقيق مافيه من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أوالشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أوابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أوتغاير الوصفين اذربما يتوهم الاتحاد اوتغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعا والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿ لااله الاهو ﴾ فيجب الاقبال الكلى على عبادته ﴿ اليه المصير ﴾ فيجازى المطيع والعاصى ﴿ مايجادل في آيات الله الا الذين كفروا ﴾ لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات* ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة ﴿ فلايغررك تقلبهم في البلاد ﴾ فلايغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشأم واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عماقريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ﴾ والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود ﴿ وهمت كل أمة ﴾ من هؤلاء ﴿ برسولهم ﴾ وقرئ برسولها ﴿ ليأخذوه ﴾ ليتمكنوا من اصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر ﴿ وجادلوا بالباطل ﴾ بما لاحقيقة له ﴿ ليدحضوا به الحق ﴾ ليزيلوه به ﴿ فأخذتهم ﴾ بالاهلاك جزاءلهم ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ فانكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو تقرير فيه تعجيب ﴿ وكذلك حقت كلمة ربك ﴾ وعيده أوقضاؤه بالعذاب ﴿ على الذين كفروا ﴾ بكفرهم ﴿ انهم أصحاب النار ﴾ بدل من كلمة ربك بدل الكل أو الاشتمال على ارادة اللفظ أوالمعنى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله ﴾ الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أوكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ أمره ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح أصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح أصلا ﴿ ويؤمنون به ﴾ أخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ واشعارا بأن حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم مايوجب المغفرة وفيه تنبيه على أن المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها أقوى المناسبات كما قال تعالى ـ انما المؤمنون اخوة ـ ﴿ ربنا ﴾ أي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أوحال ﴿ وسعت كل شئ رحمة وعلما ﴾ أى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن أصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب

سورة المؤمن مكية وخمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۞ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ۞ غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول
لا اله الا هو اليه المصير ۞ ما يجادل فى آيات الله
الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد ۞
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت
كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب
۞ وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا
انهم اصحاب النار ۞ الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون
للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ۞

﴿ربنا وأدخلهم جنات عـدن التى وعدتهم﴾ وعدتهم اياها ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ عطف على هم الاول أى أدخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم أوالثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد ﴿انك أنت العزيز﴾ الذى لايمتنع عليه مقدور ﴿الحـكيم﴾ الذى لايفعل الامانقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد ﴿وقهم السيآت﴾ العقوبات أوجزاء السيآت وهو تعميم بعد تخصيص أوتخصيص بمن صلح أوالمعاصى في الدنيا لقوله ﴿ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته﴾ أى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ماسألوا المسبب ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعنى الرحمة أوالوقاية أومجموعهما ﴿ان الذين كفروا ينادون﴾ يوم القيامة فيقال لهم ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي لمقت الله اياكم أكبر من مقتكم أنفسكم الأمارة بالسوء ﴿اذ تدعون الى الايمان فتكفرون﴾ ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لاله لانه أخبر عنه ولاللثاني لان مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء أعمالهم الخبيثة الا أن يؤول بنحو بالصيف ضيعت اللبن أوتعليل للحكم وزمان المقتين واحد ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين﴾ اماتتين بان خلقتنا أمواتا أولا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتـداء أوبتصيير كالتصغير والتـكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر ﴿وأحييتنا اثنتين﴾ الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحيا آن مافى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بماغفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ فان اقترافهم لهامن اغترارهم بالدنيا وانـكارهم للبعث ﴿فهل الى خروج﴾ نوع خروج من النار ﴿من سبيل﴾ طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله ﴿ذلـكم﴾ الذى أنتم فيه ﴿بأنه﴾ بسبب أنه ﴿اذا دعي الله وحده﴾ متحدا أوتوحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ
مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿۝﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ
وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿۝﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ
لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ
فَتَكْفُرُونَ ﴿۝﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ
فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿۝﴾
ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن
يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿۝﴾
هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿۝﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿۝﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ
ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿۝﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿۝﴾

فى الحاليـة ﴿كفرتم﴾ بالتوحيـد ﴿وان يشرك به تؤمنوا﴾ بالاشراك ﴿فالحـكم لله﴾ المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعـذاب السرمد الدائم ﴿العلىّ﴾ عن أن يشرك به ويسوّى بغيره ﴿الـكبير﴾ حيث حكم على من أشرك وسوّى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة بالعذاب السرمد ﴿هو الذى يريكم آياته﴾ الدالة على التوحيد وسائر مايجب أن يعلم تـكميلا لنفوسكم ﴿وينزل لـكم من السماء رزقا﴾ أسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشـكم ﴿ومايتذكر﴾ بالآيات التى هي كالمركوزة في العـقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوي ﴿الامن ينيب﴾ يرجع عن الانـكار بالاقبال عليها والتفـكر فيها فان الجازم بشئ لاينظر فيما ينافيـه ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ من الشرك ﴿ولو كـره الـكافرون﴾ اخلاصكم وشق عليهم ﴿رفيع الدرجات ذوالعرش﴾ خبران آخران للدلالة على علوّ صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لايظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو أصـل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لايصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات أومصاعد الملائـكة الى العرش أوالسموات أودرجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح ﴿يلقى الروح من أمره﴾ خبر رابع للدلالة على أن الروحانيات أيضا مسخرات لأمره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوّة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن أمره بيانه لانه أمر بالخير أومبدؤه والآمر هو الملك المبلغ ﴿على من يشاء من عباده﴾ يختاره للنبوّة وفيه دليل على أنها عطائية ﴿لينذر﴾ غاية الالقاء والمستـكن فيه لله أولمن أوللروح واللام مع القرب تؤيد الثاني ﴿يوم التلاق﴾ يوم القيامة فان فيه تتلاق الارواح والاجساد وأهل السماء والارض أوالمعبودون والعباد أوالاعمال والعمال ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم أوظاهرون لايسترهم شئ أوظاهرة نفوسهم لاتحجبهم غواشى الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم ﴿لايخفى على الله منهم شئ﴾ من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو مايتوهم فى الدنيا ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ حكاية لمايسئل عنه فى ذلك اليوم ولمايجاب به أولمادل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما

الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ۞ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى
الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ
۞ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۞ وَاللَّهُ
يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ
إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۞ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ
فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا
قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۞

وقال

(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيآت توجب لذتها وألمها لكنها لاتشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وأدركت لذتها وألمها (لاظلم اليوم) بنقص الثواب وزيادة العقاب (ان الله سريع الحساب) اذ لايشغله شأن عن شأن فيصل اليهم مايستحقونه سريعا (وأنذرهم يوم الآزفة) أي القيامة سميت بها لازوفها أي قربها أوالخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت (اذ القلوب لدي الحناجر) فانها ترتفع عن أماكنها فتلصق بحلوقهم فلاتعود فيتروّحوا ولاتخرج فيستريحوا (كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة أومنها أومن ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من أفعال العقلاء كقوله ـ فظلت اعناقهم لهاخاضعين ـ أومن مفعول أنذرهم على أنه حال مقدرة (ما للظالمين من حميم) قريب مشفق (ولاشفيع يطاع) ولاشفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وأنه لظلمهم (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أوخيانة الاعين (وماتخفى الصدور) من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على أنه مامن خفى الاوهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلايقضى بشئ الاوهو حقه (والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ) تهكم بهم لان الجماد لايقال فيه انه يقضى أولايقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات أواضمار قل (أن الله هوالسميع البصير) تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على مايقولون ويفعلون وتعريض بحال مايدعون من دونه (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود (كانوا هم أشدّ منهم قوّة) قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين لمضارعة أفعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر أشدّ منكم بالكاف (وآثارا فى الارض) مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله * متقلدا سيفا ورمحا * (فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) يمنع العذاب عنهم (ذلك) الاخذ (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو الاحكام الواضحة (فكفروا فأخذهم الله انه قوىّ) متمكن ممايريده غاية التمكن (شديدالعقاب) لايؤبه بعقاب دون عقابه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى المعجزات (وسلطان مبين) وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين أولافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) يعنون موسى عليه الصلاة والسلام وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو أشدّ الذين كانوا من قبلهم بطشا وأقربهم زمانا (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أوّلا كي يصدوا عن مظاهرة موسى عليه السلام (وما كيد الكافرين الافي ضلال) فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۞ وَقَالَ
مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
ٱلْحِسَابِ ۞ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا
يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ۞ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا
مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ
ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۞
مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۞ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم
مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۞

﴿ وقال فرعون ذرونى أقتل موسى ﴾ كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظنّ أنك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى أهون شئ دليل على أنه تيقن أنه نبي فخاف من قتله أوظن أنه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله ﴿ وليدع ربه ﴾ فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه ﴿ انى أخاف ان أقتله ﴿ أن يبدّل دينكم ﴾ أن يغير ما أنتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله تعالى ـ ويذرك وآلهتك ـ ﴿ أوأن يظهر فى الارض الفساد ﴾ مايفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر أن يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غيرحفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد ﴿ وقال موسى ﴾ أي لقومه لما سمع بكلامه ﴿ اني عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب ﴾ صدّر الكلام بان تأكيدا واشعارا على أن السبب المؤكد فى دفع الشرّ هو العياذ بالله وخصّ اسم الرّب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الأرواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ أبوعمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفي سورة الدخان بالادغام وعن نافع مثله ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون ﴾ من أقاربه وقيل من متعلق بقوله ﴿ يكتم ايمانه ﴾ والرجل اسرائيلى أوغريب موحد كان ينافقهم ﴿ أتقتلون رجلا ﴾ أتقصدون قتله ﴿ أن يقول ﴾ لان يقول أو وقت أن يقول من غير روية وتأمل فى أمره ﴿ ربي الله ﴾ وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد ﴿ وقد جاءكم بالبينات ﴾ المتكثرة الدّالة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿ من ربكم ﴾ أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿ وان يك كاذبا فعليه كذبه ﴾ لايتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله ﴿ وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ فلا أقل من أن يصيبكم بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا أويصبكم مايعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوّفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أويرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لانه أراد بالبعض نفسه ﴿ انّ الله لايهدى من هو مسرف كذاب ﴾ احتجاج ثالث ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله أهلكه فلاحاجة لكم الى قتله ولعله أراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لايهديه الله سبيل الصواب وطريق النجاة ﴿ ياقوم لكم اليوم ظاهرين ﴾ غالبين عالين ﴿ في الأرض ﴾ أرض مصر ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ﴾ أى فلا تفسدوا أمركم ولاتتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما أدرج نفسه فى الضميرين لأنه كان منهم فى القرابة وليريهم أنه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم ﴿ قال فرعون ما أريكم ﴾ ما أشير عليكم ﴿ الا ما أرى ﴾ وأستصوبه من قتله وما أعلمكم الاماعلمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه ﴿ وما أهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ طريق الصواب وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أومن رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لانه مقصور على السماع أوللنسبة الى الرشد كعواج وبتات ﴿ وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم ﴾ فى تكذيبه والتعرض له ﴿ مثل يوم الاحزاب ﴾ مثل أيام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل ﴿ والذين من بعدهم ﴾ كقوم لوط ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ فلايعاقبهم بغير ذنب ولايخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى ـ وماربك بظلام للعبيد ـ من حيث ان المنفى فيه حدوث تعلق ارادته بالظلم ﴿ وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أويتصايحون بالويل والثبور أويتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار كما حكى فى الاعراف وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى ـ يوم يفرّ المرء من أخيه ـ ﴿ يوم تولون ﴾ عن الموقف ﴿ مدبرين ﴾ منصرفين عنه الى النار وقيل فارّين عنها ﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد

﴿ ولقد جاءكم يوسف ﴾ يوسف بن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الاولاد أوسبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف ﴿من قبل﴾ من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فما زلتم في شكّ مما جاءكم به ﴾ من الدين ﴿حتى اذا هلك ﴾ مات ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أوجزما بأن لايبعث من بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الضلال ﴿ يضلّ الله ﴾ فى العصيان ﴿ من هو مسرف مرتاب ﴾ شاكّ فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد ﴿ الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ بدل من الموصول الأول لانه بمعنى الجمع ﴿ بغير سلطان أتاهم ﴾ بغير حجة بل اما بتقليد أوبشبهة داحضة ﴿ كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز أن يكون الذين آمنوا مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أى وجدال الذين يجادلون كبر مقتا أوبغير سلطان وفاعل كبر ﴿ كذلك ﴾ أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله ﴿ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ أبوعمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت أذني أوعلى حذف مضاف أى على كل ذى قلب متكبر ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا ﴾ بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر ﴿ لعلى أبلغ الأسباب ﴾ الطرق ﴿ أسباب السموات ﴾ بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿ فأطلع الى اله موسى ﴾ عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال يرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها مايدل على ارسال الله اياه أو أن يرى فساد قول موسى بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لايتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لايقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه ﴿ وانى لأظنه كاذبا ﴾ في دعوى الرسالة ﴿ وكذلك ﴾ ومثل التزيين ﴿ زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل ﴾ سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه أنه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامى وأبو عمرو وصدّ على أن فرعون صدّ الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده ﴿وما كيد فرعون الا فى تباب﴾ أى خسار ﴿ وقال الذى آمن ﴾ يعنى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ياقوم اتبعون أهدكم ﴾ بالدلالة ﴿ سبيل الرّشاد ﴾ سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغىّ ﴿ ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ تمتع يسير لسرعة زوالها ﴿ وانّ الآخرة هي دار القرار ﴾ لخلودها ﴿ من عمل سيئة فلايجزى الا مثلها ﴾ عدلا من الله وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بمثلها ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على أنه شرط فى اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ
مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِهِ
رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ۞
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِى آيَاتِ اللّٰهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۞ وَقَالَ فِرْعَوْنُ
يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۞ أَسْبَابَ
السَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا
وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ۞ وَقَالَ الَّذِى آمَنَ
يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۞ يَا قَوْمِ
إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ
الْقَرَارِ ۞ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞

ويقوم

وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۞ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۞ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۞ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۞ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۞

﴿ وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ﴾ كرّر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادي له ومبالغة فى توبيخهم على مايقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ماهو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان مابعده أيضا تفسير لما أجمل فيه تصريحا أوتعريضا أوعلى الاول ﴿ تدعوننى لأكفر بالله ﴾ بدل أوبيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام ﴿ وأشرك به ماليس لى به ﴾ بربوبيته ﴿ علم ﴾ والمراد نفى المعلوم والاشعار بأن الالوهية لابدّ لها من برهان فاعتقادها لايصح الا عن ايقان ﴿ وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ﴾ المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة ومايتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ﴿ لا جرم ﴾ لا ردّ لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله ﴿ أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولافى الآخرة ﴾ أى حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا لانها جمادات ليس لها مايقتضى ألوهيتها أوعدم دعوة مستجابة أوعدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه أن لا دعوة له بمعنى ماحصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لابد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لاقطع لبطلان دعوة ألوهية الاصنام أي لاينقطع فى وقت ما فتنقلب حقا ويؤيده قولهم لاجرم أنه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد ﴿ وأن مردّنا الى الله ﴾ بالموت ﴿ وأنّ المسرفين ﴾ فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء ﴿ هم أصحاب النار ﴾ ملازموها ﴿ فستذكرون ﴾ وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ﴿ ما أقول لكم ﴾ من النصيحة ﴿ وأفوّض أمرى الى الله ﴾ ليعصمني من كل سوء ﴿ انّ الله بصير بالعباد ﴾ فيحرسهم وكأنه جواب توعدهم المفهوم من قوله ﴿ فوقاه الله سيآت ما مكروا ﴾ شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وحاق بآل فرعون ﴾ بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه أولى بذلك * وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فرّ الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش حوله صفوفا فرجعوا رعبا فقتلهم ﴿ سوء العذاب ﴾ الغرق أوالقتل أوالنار ﴿ النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا ﴾ جملة مستأنفة أوالنار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان أوبدل ويعرضون حال منها أومن الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص أوباضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود أن أرواحهم فى أجواف طيور سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أى هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ﴿ أدخلوا آل فرعون ﴾ يا آل فرعون ﴿ أشدّ العذاب ﴾ عذاب جهنم فانه أشدّ مما كانوا فيه أوأشدّ عذاب جهنم وقرأ حمزة والكسائى ونافع ويعقوب وحفص أدخلوا على أمر الملائكة بادخالهم النار ﴿ واذ يتحاجون فى النار ﴾ واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على غدوّا ﴿ فيقول الضعفاء للذين استكبروا ﴾ تفصيل له ﴿ انا كنا لكم تبعا ﴾ تباعا كخدم فى جمع خادم أوذوى تبع بمعنى أتباع على الاضمار أوالتجوّز ﴿ فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴾ بالدفع أوالحمل ونصيبا مفعول به لما دلّ عليه مغنون أوله بالتضمين أومصدر كشيأ فى قوله تعالى ـ لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ ـ فيكون من صلة لمغنون ﴿ قال الذين استكبروا انا كلّ فيها ﴾ نحن وأنتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولايجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لايعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ﴿ ان الله قد حكم بين العباد ﴾ بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ولامعقب لحكمه ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ أى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل أولبيان محلهم فيها اذ يحتمل أن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوما ﴾ قدر يوم ﴿ من العذاب ﴾ شيأ من العذاب ويجوز أن يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه

﴿قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ أرادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الاجابة ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا﴾ فانا لانجترئ
فيه اذلم يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة ﴿وما دعاء الكافرين الا فى ضلال﴾ ضياع لايجاب وفيه اقناط لهم عن الاجابة ﴿انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة ﴿فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد﴾ أى فى الدارين ولاينتقض ذلك بما كان لاعدائهم عليهم من الغلبة أحيانا اذالعبرة
بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين ﴿يوم لاينفع الظالمين
معذرتهم﴾ بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة أولانه لم يؤذن لهم فيعتذروا وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ﴿ولهم اللعنة﴾ البعد عن الرحمة ﴿ولهم سوء
الدار﴾ جهنم ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ مايهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرائع ﴿وأورثنا بني اسرائيل الكتاب﴾ وتركنا عليهم بعده من ذلك
التوراة ﴿هدى وذكرى﴾ هداية وتذكرة أوهاديا ومذكرا ﴿لاولى الالباب﴾ لذوي العقول السليمة ﴿فاصبر﴾ على أذى المشركين ﴿ان وعد الله حق﴾ بالنصر
لايخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿واستغفر لذنبك﴾ وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار فانه تعالى كافيك
فى النصر واظهار الامر ﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار﴾ ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذكان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
﴿ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ عام فى كل مجادل مبطل وان نزل فى مشركي مكة أواليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه
البر والبحر وتسير معه الانهار ﴿ان فى صدورهم الا كبر﴾ الاتكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أوارادة الرياسة أوأن النبوة والملك لا يكونان الالهم ﴿ماهم
بالغيه﴾ ببالغى دفع الآيات أوالمراد ﴿فاستعذ بالله﴾ فالتجئ اليه ﴿انه هو السميع
البصير﴾ لاقوالكم وأفعالكم ﴿لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس﴾
فمن قدر على خلقها مع عظمها أولا من غير أصل قدر على خلق الانسان ثانيا من أصل
وهو بيان لاشكل مايجادلون فيه من أمر التوحيد ﴿ولكن أكثر الناس لايعلمون﴾
لانهم لاينظرون ولايتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم أهواءهم ﴿ومايستوي الاعمى
والبصير﴾ الغافل والمستبصر ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولاالمسئ﴾ والمحسن
والمسئ فينبغى أن يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لافى المسئ
لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيماله من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف
الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود أوالدلالة بالصراحة
والتمثيل ﴿قليلا ماتتذكرون﴾ أى تذكرا ماقليلا يتذكرون والضمير للناس أوالكفار
وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أوالالتفات أوأمر الرسول بالمخاطبة

قَالُوٓا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُوا بَلَىٰ
قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَٰٓؤُا الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
۞ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ
مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ۞
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
الْكِتَٰبَ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى الْأَلْبَٰبِ ۞ فَاصْبِرْ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ بِالْعَشِىِّ وَالْإِبْكَٰرِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ
اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ۞ لَخَلْقُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ
خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞
وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّٰلِحَٰتِ وَلَا الْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۞

(ان الساعة لآتية لاريب فيها) فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكنّ أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر مايحسون به (وقال ربكم ادعوني) اعبدوني (أستجب لكم) أثبكم لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة أوالمراد بالعبادة الدعاء فانه من أبوابها وقرأ ابن كثير وأبوبكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) لتستريحوا فيه بأن خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف الحركات وهدوّ الحواس (والنهار مبصرا) يبصر فيه أوبه واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال (ان الله لذوفضل على الناس) لايوازيه فضل وللاشعاربه لم يقل لمفضل (ولكن أكثر الناس لايشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم) المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شئ لااله الاهو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لااله الاهو استئنافا بماهو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أىّ وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي كما أفكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها (الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) استدلال ثان بافعال أخر مخصوصة (وصوركم فأحسن صوركم) بأن خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) اللذائذ (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) فان كل ماسواه مربوب مفتقر بالذات معرّض للزوال (هو الحى) المتفرد بالحياة الذاتية (لااله الاهو) اذلاموجد سواه ولاموجود يساويه أويدانيه فى ذاته وصفاته (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء (الحمد لله رب العالمين) قائلين له (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربى) من الحجج والآيات أومن الآيات فانها مقوية لأدلة العقل منبهة عليها (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) بان انقاد له أو أخلص له دينى

إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ
شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ
رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الْحَيُّ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي
وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ﴾ أطفالا والتوحيد لارادة الجنس أوعلى تأويل كل واحد منكم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله ﴿ ثم لتكونوا شيوخا ﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وأبوعمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ﴿ ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ من قبل الشيخوخة أوبلوغ الاشد ﴿ولتبلغوا ﴾ ويفعل ذلك لتبلغوا ﴿ أجلا مسمى ﴾ هو وقت الموت أويوم القيامة ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ مافى ذلك من الحجج والعبر ﴿هو الذى يحيي ويميت فاذاقضى أمرا﴾ فاذا أراده ﴿ فانما يقول له كن فيكون ﴾ فلايحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على أن ذلك نتيجة ماسبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد ﴿ ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ﴾ عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل أوالمجادل فيه أوللتأكيد ﴿ الذين كذبوا بالكتاب ﴾ بالقرآن أوبجنس الكتب السماوية ﴿ وبما أرسلنا به رسلنا ﴾ من سائر الكتب أوالوحى والشرائع ﴿ فسوف يعلمون ﴾ جزاء تكذيبهم ﴿ اذالاغلال فى أعناقهم ﴾ ظرف ليعلمون اذالمعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه ﴿ والسلاسل ﴾ عطف على الاغلال أومبتدأ خبره ﴿ يسحبون فى الحميم ﴾ والعائد محذوف أى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذالاغلال في أعناقهم بمعنى أعناقهم فى الاغلال أواضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ﴿ ثم فى النار يسجرون ﴾ يحرقون من سجر التنور اذاملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد انهم يعذبون بأنواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ﴿ ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا ﴾ غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم ﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ ﴾ أى بل تبين لنا أنالم نكن نعبد شيا بعبادتهم فانهم ليسوا شيأ يعتد به كقولك حسبته شيأ فلم يكن ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الضلال ﴿ يضل الله الكافرين ﴾ حتى لايهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة أويضلهم عن آلهتهم حتى لوتطالبوا لم يتصادفوا ﴿ذلكم﴾ الاضلال ﴿ بما كنتم تفرحون فى الارض ﴾ تبطرون وتتكبرون ﴿ بغير الحق ﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿ وبما كنتم تمرحون ﴾ تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ الابواب السبعة المقسومة لكم ﴿ خالدين فيها ﴾ مقدرين الخلود ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود بسبب الثواء عبر بالمثوى ﴿فاصبر ان وعد الله﴾ بهلاك الكافرين ﴿حق﴾ كائن لامحالة ﴿ فامانرينك ﴾ فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولاتلحق مع ان وحدها ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ وهو القتل والاسر ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن تراه ﴿ فالينا يرجعون ﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك أولم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ۞ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ
وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ
فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۞ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ
يُسْجَرُونَ ۞ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ مِن دُونِ
ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ
كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ
تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۞
ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۞ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ
ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۞

ولقد

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اذ قيل عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أشخاص معدودة ﴿وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله﴾ فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها ﴿فاذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب في الدنيا أوالآخرة ﴿قضى بالحق﴾ بانجاء المحق وتعذيب المبطل ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور مايغنيهم عنها ﴿الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ فان من جنسها مايؤكل كالغنم ومنها مايؤكل ويركب كالابل والبقر ﴿ولكم فيها منافع﴾ كالالبان والجلود والاوبار ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ بالمسافرة عليها ﴿وعليها﴾ فى البر ﴿وعلى الفلك﴾ فى البحر ﴿تحملون﴾ وانما قال وعلى الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش وهومن الضروريات والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قدتكون لأغراض دينية واجبة أومندوبة أوللفرق بين العين والمنفعة ﴿ويريكم آياته﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته ﴿فأىّ آيات الله﴾ أى فأي آية من تلك الآيات ﴿تنكرون﴾ فانها لظهورها لاتقبل الانكار وهوناصب أى اذ لوقدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى أى أغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه ﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوّة وآثارا فى الارض﴾ مابقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار أقدامهم فى الارض لعظم أجرامهم ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الاولى نافية أواستفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أومصدرية مرفوعة به ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أوالآيات الواضحات ﴿فرحوا بماعندهم من العلم﴾ واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادّارك علمهم فى الآخرة وهوقولهم لانبعث ولانعذب وما أظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم أوعلم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أوعلم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لمارأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿فلمارأوا بأسنا﴾ شدة عذابنا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنابما كنا به مشركين﴾ يعنون الاصنام ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا﴾ لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما أغنى كالنتيجة لقوله كانوا أكثر منهم والثانية لان قوله فلماجاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما أغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجىء الرسل وامتناع نفى الايمان مسبب عن الرؤية ﴿سنة الله التى قدخلت في عباده﴾ أى سنّ الله ذلك سنة ماضية فى العباد وهى من المصادر المؤكدة ﴿وخسرهنالك الكافرون﴾ أى وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولاصديق ولاشهيد ولامؤمن الاصلى عليه واستغفر له

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا
عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ
وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ۞ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ۞ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ۞
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا
فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ
يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي
قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۞

﴿ سورة السجدة مكية وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حم ﴾ ان جعلته مبتدأ فخبره ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف أومبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره ﴿ كتاب ﴾ وهو على الاولين بدل منه أوخبر آخر أوخبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على أنه مناط المصالح الدينية والدنيوية ﴿ فصلت آياته ﴾ ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت أى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعانى أوفصلت بين الحق والباطل ﴿ قرآنا عربيا ﴾ نصب على المدح أوالحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لقوم يعلمون العربية أولاهل العلم والنظر وهو صفة أخرى لقرآنا أوصلة لتنزيل أولفصلت والاول أولى لوقوعه بين الصفات ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ للعاملين به والمخالفين له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب أوالخبر لمحذوف ﴿ فأعرض أكثرهم ﴾ عن تدبره وقبوله ﴿ فهم لايسمعون ﴾ سماع تأمل وطاعة ﴿ وقالوا قلوبنا فى أكنة ﴾ أغطية جمع كنان ﴿ مما تدعونا اليه وفي أذاننا وقر ﴾ صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن ادراك ماتدعوهم اليه واعتقادهم ومج أسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فاعمل ﴾ على دينك أوفى ابطال أمرنا ﴿ اننا عاملون ﴾ على ديننا أوفى ابطال أمرك ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد ﴾ لست ملكا ولاجنيا لايمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم الى ماتنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل ﴿ فاستقيموا اليه ﴾ فاستقيموا فى أفعالكم متوجهين اليه أوفاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص فى العمل ﴿ واستغفروه ﴾ مما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال ﴿ وويل للمشركين ﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله ﴿ الذين لايؤتون الزكوة ﴾ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الرذائل وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لايفعلون مايزكي أنفسهم وهو الايمان والطاعة ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ حال مشعرة بأن امتناعهم عن الزكاة لاستغراقهم فى طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر ﴾ عظيم ﴿ غيرممنون ﴾ لايمنّ به عليهم من المن وأصله الثقل أولايقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصلح ما كانوا يعملون ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين ﴾ فى مقدار يومين أونوبتين وخلق فى كل نوبة ماخلق فى أسرع مايكون ولعل المراد من الارض مافي جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته ﴿ وتجعلون له أندادا ﴾ ولايصح أن يكون له ندّ ﴿ ذلك ﴾ الذى خلق الارض فى يومين ﴿ رب العالمين ﴾ خالق جميع ماوجد من الممكنات ومربيها ﴿ وجعل فيها رواسى ﴾ استئناف غير معطوف على خلق للفصل بماهو خارج عن الصلة ﴿ من فوقها ﴾ مرتفعة عليها ليظهر للنظار مافيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرّضة للطلاب ﴿ وبارك فيها ﴾ وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوان ﴿ وقدّر فيها أقواتها ﴾ أقوات أهلها بان عين لكل نوع مايصلحه ويعيش به أوأقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها وقرئ وقسم فيها أقواتها ﴿ فى أربعة أيام ﴾ فى تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام والى الكوفة فى خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل فى يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة ﴿ سواء ﴾ أى استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير فى أقواتها أوفى فيها وقرئ بالرفع على هي سواء ﴿ للسائلين ﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدّة خلق الارض ومافيها أوبقدر أى قدّر فيها الاقوات للطالبين لها ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لايلوي على غيره والظاهر أن ثم لتفاوت مابين الخلقتين لاللتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها ﴿ وهى دخان ﴾ أمر ظلمانى ولعله أراد به مادتها أوالاجزاء المتصغرة التى ركبت منها ﴿ فقال لها وللارض ائتيا ﴾ بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرزا ما أودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوّعة أوائتيا في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أوالترتيب للرّتبة أوالاخبار أواتيان السماء حدوثها واتيان الارض أن تصير مدحوة وقد عرفت مافيه أولتأت كل منكما الاخرى فى حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة أى لتوافق كل واحدة أختها فيما أردت منكما ﴿ طوعا أوكرها ﴾ شئتما ذلك أوأبيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لااثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ منقادين بالذات والاظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بأمر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وماقيل من أنه تعالى خاطبهما وأقدرهما على الجواب انما يتصوّر على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله ساجدين

سورة حم السجدة مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۞ تنزيل من الرحمن الرحيم ۞ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
لقوم يعلمون ۞ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ۞
وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ۞ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي
أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين
۞ الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ۞
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ۞ قل أئنكم
لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا
ذلك رب العالمين ۞ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين
۞ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض
ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ۞

فقضيهن

فَقَضَيٰهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝
إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ
قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلٰئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ
كٰفِرُونَ ۝ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَمَّا ثَمُودُ
فَهَدَيْنٰهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ
الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝

﴿ فقضاهن سبع سموات ﴾ فخلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن والضمير للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الاول وتميز على الثانى ﴿ فى يومين ﴾ * قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة ﴿ وأوحى فى كل سماء أمرها ﴾ شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختيارا أو طبعا وقيل أوحى الى أهلها بأوامره ونواهيه ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها ﴿ وحفظا ﴾ أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ البالغ فى القدرة والعلم ﴿ فان أعرضوا ﴾ عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل أنذرتكم صاعقة ﴾ فحذرهم أن يصيبهم عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة ﴿ مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا ﴿ اذ جاءتهم الرسل ﴾ حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة أو ظرفا لأنذرتكم لفساد المعنى ﴿ من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ أتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم فى الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما أو من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغتهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعين الى الايمان بهم أجمعين ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ــ يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ــ ﴿ ألا تعبدوا الا الله ﴾ بأن لا تعبدوا أو أى لا تعبدوا ﴿ قالوا لوشاء ربنا ﴾ ارسال الرسل ﴿ لأنزل ملائكة ﴾ برسالته ﴿ فانا بما أرسلتم به ﴾ على زعمكم ﴿ كافرون ﴾ اذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق ﴾ فتعظموا فيها على أهلها من غير استحقاق ﴿ وقالوا من أشد منا قوة ﴾ اغترارا بقوتهم وشوكتهم * قيل كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده ﴿ أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة ﴾ قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على مالا يتناهى قوى على مالا يقدر عليه أحد غيره ﴿ وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا ﴿ فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع أو شديدة الصوت فى هبوبها من الصرير ﴿ فى أيام نحسات ﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء ﴿ لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ﴾ أضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ وهم لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره مابعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فاختاروا الضلالة على الهدى ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون ﴾ صاعقة من السماء فأهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من اختيار الضلالة ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ من تلك الصاعقة ﴿ ويوم يحشر أعداء الله الى النار ﴾ وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء ﴿ فهم يوزعون ﴾ يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهو عبارة عن كثرة أهل النار ﴿ حتى اذا ماجاؤها ﴾ اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ﴿ شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال

﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ سؤال توبيخ أوتعجب ولعل المراد به نفس التعجب ﴿ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ ﴾ أى مانطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ أوليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حىّ ولو أوّل الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة ﴿ وهو خلقكم أول مرّة واليه ترجعون ﴾ يحتمل أن يكون تمام كلام الجلود وأن يكون استئنافا ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ﴾ أى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم بها فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغى أن يتحقق أنه لايمرّ عليه حال الا وهو عليه رقيب ﴿ ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾ فلذلك اجترأتم على مافعلتم ﴿ وذلكم ﴾ اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ﴿ ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم ﴾ خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾ اذ صار مامنحوا للاستعداد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ لا خلاص لهم عنها ﴿ وان يستعتبوا ﴾ يسألوا العتبى وهي الرجوع الى مايحبون ﴿ فما هم من المعتبين ﴾ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية ـ أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ـ وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة ﴿ وقيضنا ﴾ وقدّرنا ﴿ لهم ﴾ للكفرة ﴿ قرناء ﴾ أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿ فزينوا لهم مابين أيديهم ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿ وماخلفهم ﴾ من أمر الآخرة وانكاره ﴿ وحقّ عليهم القول ﴾ أى كلمة العذاب ﴿ فى أمم ﴾ فى جملة أمم كقوله   ان تك عن أحسن الصنيعة مأ * فوكا فى آخرين قد أفكوا   وهو حال من الضمير المجرور ﴿ قد خلت من قبلهم من الجنّ والانس ﴾ وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللأمم ﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ وعارضوه بالخرافات أوارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذي ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ أي تغلبونه على قراءته ﴿ فلنذيقنّ الذين كفروا عذابا شديدا ﴾ المراد بهم هؤلاء القائلون أوعامة الكفار ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ﴾ سيآت أعمالهم وقد سبق مثله ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الاسوا ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ خبره ﴿ النار ﴾ عطف بيان للجزاء أوخبر محذوف ﴿ لهم فيها ﴾ فى النار ﴿ دار الخلد ﴾ فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عنها على أن المقصود هو الصفة ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ ينكرون الحق أويلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو ﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجنّ والانس ﴾ يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وأبوبكر والسوسى أرنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدّرك الاسفل ﴿ ليكونا من الأسفلين ﴾ مكانا أو ذلا

وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق
كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ۞
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ۞
وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرديكم فأصبحتم من
الخسرين ۞ فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين ۞ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين
أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس انهم كانوا خسرين ۞ وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون ۞
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ
الذى كانوا يعملون ۞ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم
فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بايتنا يجحدون ۞
وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن
والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ۞

ان

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ
عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۞
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ
ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّىٰهَآ
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ
نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ۞ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۞

﴿ انّ الذين قالوا ربنا الله ﴾ اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ﴿ ثم استقاموا ﴾ فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة أولانها عسر قلما تتبع الاقرار وماروى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض فجزئياتها ﴿ تتنزّل عليهم الملائكة ﴾ فيما يعنّ لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أوعند الموت أوالخروج من القبر ﴿ ألا تخافوا ﴾ ماتقدمون عليه ﴿ ولاتحزنوا ﴾ على ماخلفتم وأن مصدرية أومخففة مقدرة بالباء أومفسرة ﴿ وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾ فى الدنيا على لسان الرسل ﴿ نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا ﴾ نلهمكم الحقّ ونحملكم على الخير بدل ماكانت الشياطين تفعل بالكفرة ﴿ وفي الآخرة ﴾ بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ﴿ ولكم فيها ﴾ فى الآخرة ﴿ ماتشتهى أنفسكم ﴾ من اللذائذ ﴿ ولكم فيها ماتدّعون ﴾ ماتتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعمّ من الأول ﴿ نزلا من غفور رحيم ﴾ حال من ماتدعون للاشعار بأن ماتتمنون بالنسبة الى مايعطون مما لايخطر ببالهم كالنزل للضيف ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله ﴾ الى عبادته ﴿ وعمل صالحا ﴾ فيما بينه وبين ربه ﴿ وقال اننى من المسلمين ﴾ تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من توهم هذا قول فلان لمذهبه * والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات * وقيل نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل فى المؤذنين ﴿ ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ﴾ فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى ﴿ ادفع بالتى هي أحسن ﴾ ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقا أو بأحسن مايمكن دفعها به من الحسنات وانما أخرجه مخرج الاستئناف على أنه جواب من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة ﴿ فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم ﴾ أي اذا فعلت ذلك صار عدوّك المشاق مثل الولىّ الشفيق ﴿ وما يلقاها ﴾ وما يلقى هذه السجية وهي مقابلته الاساءة بالاحسان ﴿ الا الذين صبروا ﴾ فانها تحبس النفس عن الانتقام ﴿ وما يلقاها الا ذو حظ عظيم ﴾ من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ نخس شبه به وسوسته لانها تبعث الانسان على ما لا ينبغى كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جديدة أوأريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر ﴿ فاستعذ بالله ﴾ من شرّه ولاتطعه ﴿ انه هو السميع ﴾ لاستعاذتك ﴿ العليم ﴾ بنيتك أوبصلاحك ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ﴾ لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم ﴿ واسجدوا لله الذى خلقهنّ ﴾ الضمير للأربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بأنهما من عداد مالايعلم ولايختار ﴿ ان كنتم اياه تعبدون ﴾ فان السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به وعندأبى حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى ﴿ فان استكبروا ﴾ عن الامتثال ﴿ فالذين عند ربك ﴾ من الملائكة ﴿ يسبحون له بالليل والنهار ﴾ أى دائما لقوله ﴿ وهم لايسأمون ﴾ أى لايملون

﴿ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة﴾ يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أى زادت ﴿ان الذى أحياها﴾ بعد موتها ﴿لمحي الموتي انه على كل شئ قدير﴾ من الاحياء والامانة ﴿ان الذين يلحدون﴾ يميلون عن الاستقامة ﴿في آياتنا﴾ بالطعن والتحريف والتأويل الباطل والالغاء فيها ﴿لايخفون علينا﴾ فنجازيهم على الحادهم ﴿أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة﴾ قابل الالقاء فى النار بالاتيان آمنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين ﴿اعملوا ماشئتم﴾ تهديد شديد ﴿انه بما تعملون بصير﴾ وعيد بالمجازاة ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا أومستأنف وخبران محذوف مثل معاندون أوهالكون أوأولئك ينادون والذكر القرآن ﴿وانه لكتاب عزيز﴾ كثير النفع عديم النظير أومنيع لايتأتي ابطاله وتحريفه ﴿لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه﴾ لايتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات أومما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية ﴿تنزيل من حكيم﴾ أى حكيم ﴿حميد﴾ يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ﴿مايقال لك﴾ أى مايقول لك كفار قومك ﴿الاماقد قيل للرسل من قبلك﴾ الامثل ماقال لهم كفار قومهم ويجوز أن يكون المعنى مايقول الله لك الامثل ماقال لهم ﴿ان ربك لذو مغفرة﴾ لانبيائه ﴿وذو عقاب أليم﴾ لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ماأوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ﴿ولوجعلناه قرآنا أعجميا﴾ جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر ﴿لقالوا لولافصلت آياته﴾ بينت بلسان نفقهه ﴿أأعجمى وعربى﴾ أكلام أعجمى ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى لايفهم كلامه وهذا قراءة أبى بكر وحمزة والكسائى وقرأ قالون وأبو عمرو بالمد والتسهيل وورش بالمد وابدال الثانية ألفا وابن كثير وابن ذكوان وحفص بغير المد بتسهيل الثانية وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور أوالدلالة على أنهم لاينفكون عن التعنت فى الآيات كيف جاءت ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾ الى الحق ﴿وشفاء﴾ لما فى الصدور من الشك والشبه ﴿والذين لايؤمنون﴾ مبتدأ خبره ﴿فى آذانهم وقر﴾ على تقدير هو فى آذانهم وقر لقوله ﴿وهو عليهم عمى﴾ وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على للذين آمنوا هدى ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أى صم وهو تمثيل لهم فى عدم قبولهم الحق واستماعهم له بمن يصاح به من مسافة بعيدة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أوتقدير الآجال ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المكذبين ﴿وانهم﴾ وان اليهود أوالذين لايؤمنون ﴿لفى شك منه﴾ من التوراة أوالقرآن ﴿مريب﴾ موجب للاضطراب ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾ نفعه ﴿ومن أساء فعليها﴾ ضره ﴿وماربك بظلام للعبيد﴾ فيفعل بهم ماليس له أن يفعله

وَمِنْ اٰيَاتِهِ اَنَّكَ تَرَى الْاَرْضَ خَاشِعَةً فَاِذَا اَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ اِنَّ الَّذِي اَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتٰى اِنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞
اِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي اٰيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا اَفَمَنْ يُلْقٰى فِي النَّارِ
خَيْرٌ اَمْ مَنْ يَأْتِي اٰمِنًا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ اِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ۞ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَاِنَّهُ لَكِتَابٌ
عَزِيزٌ ۞ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ
مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۞ مَا يُقَالُ لَكَ اِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ
مِنْ قَبْلِكَ اِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ اَلِيمٍ ۞ وَلَوْ
جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا اَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ اٰيَاتُهُ ءَاَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ
قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي اٰذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى اُولٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ
بَعِيدٍ ۞ وَلَقَدْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَاِنَّهُمْ
لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ۞ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ اَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۞

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ
مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ
مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ۝ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا
مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۝ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ
الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ
مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ
وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ۝ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
۝ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ۝

سورة الشورى مكية وهي ثلاث وخمسون آية

﴿ اليه يرد علم الساعة ﴾ أى اذا سئل عنها اذلايعلمها الاهو ﴿ وماتخرج من ثمرة من أكمامها ﴾ من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير أيضا ومانافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله ﴿ وماتحمل من أنثى ولاتضع ﴾ بمكان ﴿ الابعلمه ﴾ الامقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ﴿ ويوم يناديهم أين شركائى ﴾ بزعمكم ﴿قالوا آذناك ﴾ أعلمناك ﴿مامنا من شهيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة اذتبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ أومن أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء أي مامنا من يشهدلهم بأنهم كانوا محقين ﴿وضل عنهم ماكانوا يدعون ﴾ يعبدون ﴿من قبل﴾ لاينفعهم أولايرونه ﴿وظنوا﴾ وأيقنوا ﴿ مالهم من محيص﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى ﴿ لايسأم الانسان ﴾ لايمل ﴿ من دعاء الخير ﴾ من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعاء بالخير ﴿ وان مسه الشر﴾ الضيقة ﴿فيؤس قنوط ﴾ من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله ـ انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون ـ وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير ومافى القنوط من ظهور أثر اليأس ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ﴾ بتفريجها عنه ﴿ ليقولنّ هذالى ﴾ حقى أستحقه لمالى من الفضل والعمل أولى دائما لايزول ﴿وماأظن الساعة قائمة﴾ تقوم ﴿ولئن رجعت الى ربى انلى عنده للحسنى ﴾ أى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ماأصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لاينفك عنه ﴿ فلننبئن الذين كفروا﴾ فلنخبرنهم ﴿بما عملوا﴾ بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم عكس مااعتقدوا فيها ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ لايمكنهم التفصى عنه ﴿ واذا أنعمنا على الانسان أعرض﴾ عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ وانحرف عنه أوذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله ﴿واذامسه الشر فذودعاء عريض﴾ كثير مستعار مماله عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذالطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فماظنك بطوله ﴿ قل أرأيتم ﴾ أخبرونى ﴿ان كان﴾ أى القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ من غير نظر واتباع دليل ﴿من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق﴾ يعنى ماأخبرهم النبي عليه الصلاة والسلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية ومايسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة ﴿ وفى أنفسهم ﴾ ماظهر فيما بين أهل مكة وماحل بهم أومافى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ الضمير للقرآن أوالرسول أوالتوحيد أوالله ﴿ أولم يكف بربك ﴾ أى أولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل أولم تحصل الكفاية به ولاتكاد تزاد فى الفاعل الامع كفى ﴿ أنه على كل شئ شهيد ﴾ بدل منه والمعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة أومطلع فيعلم حالك وحالهم أوأولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لايخفى عليه خافية ﴿ألا انهم فى مرية ﴾ شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية ﴿من لقاء ربهم﴾ بالبعث والجزاء ﴿ألا انه بكل شئ محيط﴾ عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لايفوته شئ منها *عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

﴿ سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية وتسمى سورة الشورى ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * حم عسق﴾ لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدّا آيتين وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق ﴿ كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ أى مثل مافي هذه السورة من المعانى أوايحاء مثل ايحائها أوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحى وأن ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره أومصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بمادل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلوّ شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة أوبالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز ومابعده اخبار أوالعزيز الحكيم صفتان وقوله ﴿ له مافى السموات ومافى الارض وهو العلى العظيم ﴾ خبران له وعلى الوجوه الآخر استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرأ نافع والكسائى بالياء ﴿يتفطرون﴾ يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وأبوبكر ينفطرن بالنون والاوّل أبلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿ من فوقهنّ ﴾ أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاوّل لان أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهنّ بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ﴾ بالسعى فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لوفسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم ﴾ اذمامن مخلوق الاوهو ذوحظ من رحمته والآية على الاوّل زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عمانسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفران الله ورحمته ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ شركاء وأندادا ﴿ الله حفيظ عليهم ﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿ وماأنت ﴾ يامحمد ﴿عليهم بوكيل﴾ بموكل بهم أوبموكول اليك أمرهم ﴿ وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا ﴾ الاشارة الى مصدر يوحى أوالى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن في مواضع جمة فتكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه ﴿ لتنذر أم القرى ﴾ أهل أم القري وهي مكة شرفها الله تعالى ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ يوم القيامة يجمع فيه الخلائق أوالارواح والاشباح أوالعمال والاعمال وحذف ثاني مفعولى الاوّل وأوّل مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن ﴿ لاريب فيه ﴾ اعتراض لامحل له من الاعراب ﴿ فريق فى الجنة وفريق في السعير ﴾ أى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق أومتفرقين فى داري الثواب والعقاب ﴿ ولوشاء الله لجعلهم أمة واحدة ﴾ مهتدين أوضالين ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ بالهداية والحمل على الطاعة ﴿ والظالمون مالهم من ولى ولانصير﴾ أى يدعهم بغير ولى ولانصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذالكلام في الانذار ﴿ أم اتخذوا ﴾ بل اتخذوا ﴿ من دونه أولياء ﴾ كالاصنام ﴿ فالله هو الولى﴾ جواب لشرط محذوف مثل ان أرادوا أولياء بحق فالله هو الولى بالحق ﴿ وهو يحيي الموتي وهو على كل شئ قدير ﴾ كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية ﴿ ومااختلفتم ﴾ أنتم والكفار ﴿ فيه من شئ ﴾ من أمر من أمور الدنيا أوالدين ﴿ فحكمه الى الله ﴾ مفوّض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر أوبالاثابة والمعاقبة وقيل ومااختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ﴿ ذالكم الله ربى عليه توكلت ﴾ فى مجامع الامور ﴿ واليه أنيب ﴾ اليه أرجع فى المعضلات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم * عسق * كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم * له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم * تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملئكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم * والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل * وكذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير * ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظلمون ما لهم من ولي ولا نصير * ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب *

﴿فاطر السموات والارض﴾ خبر آخر لذلكم أومبتدأ خبره ﴿جعل لكم﴾ وقرئ بالجر على البدل من الضمير أوالوصف لالى الله ﴿من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجا﴾ نساء ﴿ومن الانعام أزواجا﴾ أى وخلق للانعام من جنسها أزواجا أوخلق لكم من الانعام أصنافا أوذكورا واناثا ﴿يذرؤكم﴾ يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء ﴿فيه﴾ فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ﴿ليس كمثله شئ﴾ اى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لايفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى في سقيا عبد المطلب ألاوفيهم الطيب الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى أنه يعطى معنى ليس مثله غير أنه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة ﴿وهو السميع البصير﴾ لكل مايسمع ويبصر ﴿له مقاليد السموات والارض﴾ خزائنها ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع ويضيق على وفق مشيئته ﴿انه بكل شئ عليم﴾ فيفعله على ماينبغى ﴿شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾ أى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ومن بينهما من أرباب الشرائع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ﴿أن أقيموا الدين﴾ وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع أوالرفع على الاستئناف كأنه جواب وماذلك المشروع أوالجر على البدل من هاء به ﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ ولاتختلفوا فى هذا الاصل أما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴿كبر على المشركين﴾ عظم عليهم ﴿ماتدعوهم اليه﴾ من التوحيد ﴿الله يجتبي اليه من يشاء﴾ يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم أوللدين ﴿ويهدى اليه﴾ بالارشاد والتوفيق ﴿من ينيب﴾ يقبل اليه ﴿وماتفرقوا﴾ يعنى الامم السالفة وقيل أهل الكتاب لقوله وماتفرق الذين أوتوا الكتاب ﴿الامن بعد ماجاءهم العلم﴾ العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه أوالعلم بمبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام أوأسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها ﴿بغيا بينهم﴾ عداوة أوطلبا للدنيا ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بالامهال ﴿الى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة أوآخر أعمارهم المقدرة ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المبطلين حين اقترفوا لعظم ما اقترفوا ﴿وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعنى أهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أوالمشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب وقرئ ورّثوا وورثوا ﴿لفى شك منه﴾ من كتابهم لايعلمونه كما هو أو لايؤمنون به حق الايمان أومن القرآن ﴿مريب﴾ مقلق أومدخل فى الريبة ﴿فلذلك﴾ فلاجل ذلك التفرق أوالكتاب أوالعلم الذى أوتيته ﴿فادع﴾ الى الاتفاق على الملة الحنيفية أوالاتباع لما أوتيت وعلى هذا يجوز أن تكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل ﴿واستقم كما أمرت﴾ واستقم على الدعوة كما أمرك الله تعالى ﴿ولاتتبع أهواءهم﴾ الباطلة ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ يعنى جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ في تبليغ الشرائع والحكومات والاوّل اشارة الى كمال القوّة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية ﴿الله ربنا وربكم﴾ خالق الكل ومتولى أمره ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ وكل مجازى بعمله ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ لاحجاج بمعنى لاخصومة اذ الحق قدظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿واليه المصير﴾ مرجع الكل لفصل القضاء وليس فى الآية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال

فاطر السموت والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا
ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو
السميع البصير ۞ له مقاليد السموت والارض يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم ۞ شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما
وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا
تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى
اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب ۞ وما تفرقوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت
من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا
الكتب من بعدهم لفى شك منه مريب ۞ فلذلك فادع
واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل امنت بما
انزل الله من كتب وامرت لاعدل بينكم الله ربنا
وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا
وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ۞

﴿والذين يحاجون في الله﴾ فى دينه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه أومن بعد ما استجاب الله لرسوله فأظهر دينه بنصره يوم بدر أومن بعد ما استجاب له أهل الكتاب بان أقروا بنبوّته واستفتحوا به ﴿حجتهم داحضة عند ربهم﴾ زائلة باطلة ﴿وعليهم غضب﴾ لمعاندتهم ﴿ولهم عذاب شديد﴾ على كفرهم ﴿الله الذى أنزل الكتاب﴾ جنس الكتاب ﴿بالحق﴾ ملتبسا بعيدا من الباطل أوبما يحق انزاله من العقائد والاحكام ﴿والميزان﴾ والشرع الذى توزن به الحقوق ويسوى بين الناس أوالعدل بان أنزل الامر به أوآلة الوزن بان أوحى باعدادها ﴿ومايدريك لعل الساعة قريب﴾ اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى توزن فيه أعمالك وتوفى جزاءك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب أولان الساعة بمعنى البعث ﴿يستعجل بها الذين لايؤمنون بها﴾ استهزاء ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ خائفون منها مع اغتيابها لتوقع الثواب ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى الكائن لامحالة ﴿ألاان الذين يمارون في الساعة﴾ يجادلون فيها من المرية أومن مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ماعند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿لفى ضلال بعيد﴾ عن الحق فان البعث أشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ماوراءه ﴿الله لطيف بعباده﴾ برّ بهم بصنوف من البر لاتبلغها الافهام ﴿يرزق من يشاء﴾ أى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته ﴿وهو القوي﴾ الباهر القدرة ﴿العزيز﴾ المنيع الذى لايغلب ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه ﴿نزد له فى حرثه﴾ فنعطه بالواحد عشرا الى سبعمائة فمافوقها ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ شيأ منها على ماقسمنا له ﴿وما له فى الآخرة من نصيب﴾ اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى ﴿أم لهم شركاء﴾ بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم ﴿شرعوا لهم﴾ بالتزيين ﴿من الدين مالم يأذن به الله﴾ كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانهاسبب ضلالتهم وافتتانهم بماتدينوا به أوصور من سنه لهم ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى القضاء السابق بتأجيل الجزاء أوالعدة بان الفصل يكون يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ بين الكافرين والمؤمنين أوالمشركين وشركائهم ﴿وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ وقرئ أن بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ﴿ترى الظالمين﴾ فى القيامة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ من السيآت ﴿وهو واقع بهم﴾ أى وباله لاحق بهم أشفقوا أولم يشفقوا ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات﴾ فى أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لهم مايشاؤن عند ربهم﴾ أى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما للمؤمنين ﴿هو الفضل الكبير﴾ الذى يصغر دونه مالغيرهم فى الدنيا

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ
عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۞
اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا
إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ اللَّهُ
لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
۞ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِن نَّصِيبٍ ۞ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ
يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ
عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ۞

ذلك

ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور ۞ أم
يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح
الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور ۞
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات
ويعلم ما تفعلون ۞ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ۞ ولو
بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر
ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ۞ وهو الذي ينزل الغيث
من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد ۞ ومن
آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو
على جمعهم إذا يشاء قدير ۞ وما أصابكم من مصيبة فبما
كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ۞ وما أنتم بمعجزين
في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ۞

﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد أو ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من أبشره ﴿ قل لا أسئلكم عليه ﴾ على ماأتعاطاه من التبليغ والبشارة ﴿ أجرا ﴾ نفعا منكم ﴿ الا المودّة فى القربى ﴾ أن تودّوني لقرابتى منكم أو تودّوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكنى أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة ومن أجلها كما جاء فى الحديث الحبّ فى الله والبغض فى الله * روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودّتهم علينا قال علىّ وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرّب الى الله أي الا أن تودّوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودّة فى القربى ﴿ ومن يقترف حسنة ﴾ ومن يكتسب طاعة سيما حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى أبى بكر الصدّيق رضى الله تعالى عنه ومودته لهم ﴿ نزد له فيها حسنا ﴾ فى الحسنة بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وحسنى ﴿ انّ الله غفور ﴾ لمن أذنب ﴿ شكور ﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿ أم يقولون ﴾ بل أيقولون ﴿ افترى على الله كذبا ﴾ افترى محمد بدعوى النبوّة أو القرآن ﴿ فان يشأ الله يختم على قلبك ﴾ استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على أنه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فأما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن أو الوحى عنه أو يربط عليه بالصبر فلايشق عليك أذاهم ﴿ ويمح الله الباطل ويحق الحقّ بكلماته انه عليم بذات الصدور ﴾ استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بأنه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه أو بقضائه أو بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مردّ له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ـ ويدع الانسان بالشرّ ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة * وعن علىّ رضى الله تعالى عنه هى اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ﴿ ويعفو عن السيآت ﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء ﴿ ويعلم مايفعلون ﴾ فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير أبى بكر ماتفعلون بالتاء ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف فى واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء أو الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها * ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ على ماسألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ﴿ ولو بسط الله الرّزق لعباده لبغوا فى الأرض ﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرّى كمية أو كيفية ﴿ ولكن ينزّل بقدر ﴾ بتقدير ﴿ مايشاء ﴾ كما اقتضته مشيئته ﴿ انه بعباده خبير بصير ﴾ يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم مايناسب شأنهم * روي أنّ أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا ﴿ وهو الذى ينزّل الغيث ﴾ المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد ﴿ من بعد ماقنطوا ﴾ أيسوا منه وقرئ بكسر النون ﴿ وينشر رحمته ﴾ فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان ﴿ وهو الولىّ ﴾ الذى يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته ﴿ الحميد ﴾ المستحق للحمد على ذلك ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض ﴾ فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم ﴿ وما بثّ فيهما ﴾ عطف على السموات أو الخلق ﴿ من دابة ﴾ من حىّ على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدبّ على الارض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما فى الجملة ﴿ وهو على جمعهم اذا يشاء ﴾ أى فى أي وقت يشاء ﴿ قدير ﴾ متمكن منه واذا كما تدخل على الماضى تدخل على المضارع ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ فبسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية أو متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما فى الباء من معنى السببية ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾ من الذنوب فلا يعاقب عليها * والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه ﴿ وما أنتم بمعجزين في الأرض ﴾ فائتين ماقضى عليكم من المصائب ﴿ وما لكم من دون الله من ولىّ ﴾ يحرسكم عنها ﴿ ولا نصير ﴾ يدفعها عنكم

﴿ ومن آياته الجوار ﴾ السفن الجارية ﴿ فى البحر كالا علام ﴾ كالجبال ✻ قالت الخنساء وان صخرا لتأتمّ الهداة به ✻ كأنه علم فى رأسه نار ﴿ ان يشأ يسكن الريح ﴾ وقرئ الرياح ﴿ فيظلان رواكد على ظهره ﴾ فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿ انّ فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل الايمان فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ﴿ أويوبقهنّ ﴾ أويهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك أهلها لقوله تعالى ﴿ بما كسبوا ﴾ وأصله أويرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما فى قوله تعالى ﴿ ويعف عن كثير ﴾ اذ المعنى أويرسلها فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ﴿ ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم أوعلى الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للأشياء الستة لانه أيضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى ويجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ﴿ ما لهم من محيص ﴾ محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل ﴿ فما أوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ تمتعون به مدة حياتكم ﴿ وماعند الله ﴾ من ثواب الآخرة ﴿ خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية ✻ وعن عليّ رضى الله تعالى عنه تصدّق أبو بكر رضى الله تعالى عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت ﴿ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون ﴾ والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا أومدح منصوب أومرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على أنهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ﴿ وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ﴾ ذو شورى بينهم لاينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ فى سبيل الخير ﴿ والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ على ماجعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لايخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدّى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وسمى الثانية سيئة للازدواج أو لأنها تسوء من تنزل به ﴿ فمن عفا وأصلح ﴾ بينه وبين عدوّه ﴿ فأجره على الله ﴾ عدة مبهمة تدل على عظم الموعود ﴿ انه لا يحبّ الظالمين ﴾ المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين فى الانتقام ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ بعد ماظلم وقد قرئ به ﴿ فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ بالمعاتبة والمعاقبة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ يبتدؤنهم بالاضرار ويطلبون مالايستحقونه تجبرا عليهم ﴿ ويبغون في الأرض بغير الحقّ أولئك لهم عذاب أليم ﴾ على ظلمهم وبغيهم ﴿ ولمن صبر ﴾ على الأذى ﴿ وغفر ﴾ ولم ينتصر ﴿ انّ ذلك لمن عزم الامور ﴾ أى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۞ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ۞ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۞ وَيَعْلَمَ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ۞ فَمَا أُوتِيتُمْ
مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ
لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ
۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا
أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ۞ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ
وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞

ومن

﴿ ومن يضلل الله فما له من وليّ من بعـده ﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العـذاب ﴾ حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا
﴿ يقولون هل الى مردّ من سبيل ﴾ هل الى رجعة الى الدنيا ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ على النار ويدل عليه العذاب ﴿ خاشعين من الذلّ ﴾ متذللين متقاصرين مما
يلحقهم من الذل ﴿ ينظرون من طرف خفىّ ﴾ أى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف ﴿ وقال الذين آمنوا انّ الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ﴾ بالتعريض للعذاب المخلد ﴿ يوم القيامة ﴾ ظرف لخسروا والقول فى الدنيا أو لقال أى يقولون اذا رأوهم على تلك الحال ﴿ ألا ان
الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ تمام كلامهم أوتصديق من الله لهم ﴿ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ الى الهـدى أوالنجاة
﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامردّ له من الله ﴾ لا يرده الله بعد ماحكم به ومن صلة لمردّ وقيل صلة يأتى أي من قبل أن يأتي يوم من الله لايمكن ردّه
﴿ ما لكم من ملجأ ﴾ مفرّ ﴿ يومئذ وما لكم من نكير ﴾ انكار لما اقترفتموه لانه مدوّن في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم ﴿ فان أعرضوا
فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ رقيبا أومحاسبا ﴿ ان عليك الا البلاغ ﴾ وقد بلغت ﴿ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ﴾ أراد بالانسان الجنس لقوله ﴿ وان
تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم فان الانسان كفور ﴾ بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولايتأمل سببها وهذا وان اختصّ بالمجرمين جاز اسناده
الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعـمة محققة من حيث انها عادة مقتضاة بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة
الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة ﴿ لله ملك السموات والارض ﴾ فله أن يقسم النعمة والبلية كيف
يشاء ﴿ يخلق مايشاء ﴾ من غير لزوم ومجال اعـتراض ﴿ يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور أويزوّجهم ذكرانا واناثا ويجعـل من يشاء عقيما ﴾ بدل من يخلق
بدل البعض والمعنى يجعل أحوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض
اما صنفا واحدا من ذكر أوأنثى أوالصنفين جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها
أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع مايتعلق به مشيئة الله
لا مشيئة الانسان والاناث كذلك أولأن الكلام فى البلاء والعرب تعدّهن بلاءأ ولتطييب
قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصـل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير
العاطف فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بأنه قسيم
المشـترك بين الاقسام المتقـدمة ﴿ انه عليم قدير ﴾ فيفعل مايفعل بحكمة واختيار
﴿ وما كان لبشر ﴾ وما صحّ له ﴿ أن يكلمه الله الا وحيا ﴾ كلاما خفيا يدرك لانه
بسرعة تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموّجات متعاقبـة وهو
مايعم المشافه به كما روى فى حديث المعراج وما وعـد به فى حديث الرؤية والمهتف به
كما اتفق لموسى في طوى والطور ولـكن عطف قوله ﴿ أومن وراء حجاب ﴾ عليـه
يخصه بالاول فالآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء
فى الروع أوالوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله ﴿ أويرسـل رسولا
فيوحى باذنه مايشاء ﴾ أويرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما أمره وعلى الاول المراد بالرسول
الملك الموحى الى الرسل ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة
كلام محذوف والارسال نوع من الـكلام ويجوز أن يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن
وراء حجاب ظرفا وقعت أحوالا وقرأ نافع أو يرسل برفع اللام ﴿ انه علىّ ﴾ عن صفات
المخلوقين ﴿ حكيم ﴾ يفعل ماتقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا
واما من وراء حجاب

وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ
يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۞ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا
خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ
الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ
الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۞ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ۞ اسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۞ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ
كَفُورٌ ۞ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن
يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا
وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۞
وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۞

﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ يعنى ماأوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيا به وقيل جبريل والمعنى أرسلناه اليك بالوحى ﴿ ما كنت تدري ماالـكتاب ولا الايمان ﴾ أى قبل الوحى وهو دليل على أنه لم يكن متعبدا قبل النبوّة بشرع وقيل المراد هو الايمان بمالاطريق اليه الاالسمع ﴿ ولـكن جعلناه ﴾ أى الروح أوالـكتاب أوالايمان ﴿ نورا نهدى بهمن نشاء من عبادنا ﴾ بالتوفيق للقبول والنظر فيه ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ هو الاسلام وقرئ لتهدى أى ليهديك الله ﴿ صراط الله ﴾ بدل من الاوّل ﴿ الذى له مافي السموات ومافى الارض ﴾ خلقا وملـكا ﴿ ألا الى الله تصـير الامور ﴾ بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيـه وعد ووعيد المطيعين والمجرمين *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائـكة ويستغفرون له ويسترحمون له

﴿ سورة الزخرف مكية وقيل الاقوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وآيها تسع وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * حم والـكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبى تمام

* وثناياك انها اغريض *

ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه وبالقرآن من حيث انه معجز مبين لطرق الهدى ومايحتاج اليه فى الديانة أوبين للعرب مايدل على أنه تعالى صـيره كذلك ﴿ لعلـكم تعقلون ﴾ لـكى تفهموا معانيه ﴿ وانه ﴾ عطف على انا وقرأ حمزة والـكسائى بالـكسر على الاستئناف ﴿ فى أم الـكتاب ﴾ فى اللوح المحفوظ فانه أصل الـكتب السماوية وقرئ ام الـكتاب بالـكسر ﴿ لدينا ﴾ محفوظا عندنا عن التغيير ﴿ لعلىّ ﴾ رفيع الشأن فى الـكتب لـكونه معجزا من بينها ﴿ حكيم ﴾ ذوحكمة بالغـة أومحكم لاينسخه غيره وهما خبران لان وفى أم الـكتاب متعلق بعلى واللام لاتمنعه أوحل منه ولدينا بدل منـه أوحال من أم الـكتاب ﴿ أفنضرب عنـكم الذكر صفحا ﴾ أفنذوده ونبعده عنـكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف أى أنهملـكم فنضرب عنـكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض أومفعول له أوحل بمعـنى صافحين وأصله أن تولى الشئ صفحة عنقك وقيـل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انـكار أن يكون الامر على خلاف ماذكر من انزال الـكتاب على لغتهم ليفهموه ﴿ أن كنتم قوما مسرفين ﴾ أي لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والـكسائي ان بالـكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وماقبلها دليل الجزاء ﴿ وكم أرسلنا من نبىّ فى الاوّلين ومايأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه ﴿ فأهلـكنا أشدّ منهم بطشا ﴾ أى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخـبرا عنهم ﴿ ومضى مثل الاوّلين ﴾ وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيـه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ماجرى على الاوّلين ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقوّلنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾ لعله لازم مقولهم أومادل عليه اجمالا أقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فـكأنهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع أخر وهو الذى من صفته ماسرد من الصفات ويجوز أن يكون مقولهم ومابعده استئناف ﴿ الذى جعل لـكم الارض مهدا ﴾ فتستقرون فيها وقرأ غير الـكوفيين مهادا بالالف ﴿ وجعل لـكم فيها سبلا ﴾ تسلـكونها ﴿ لعلـكم تهتـدون ﴾ لـكي تهتدوا الى مقاصدكم أوالى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك

وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتٰبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنٰهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ صِرَاطِ اللّٰهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۞

سورة الزخرف وهي مكية وتسع وثمانون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ ۞ وَالْكِتٰبِ الْمُبِينِ ۞ إِنَّا جَعَلْنٰهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۞ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۞ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ۞ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۞ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۞ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞

﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر ﴾ بمقدار ينفع ولايضر ﴿ فأنشرنا به بلدة ميتا ﴾ مال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الانشار ﴿ تخرجون ﴾ تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ والذى خلق الازواج كلها ﴾ أصناف المخلوقات ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون ﴾ ماتركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة أو المخلوق للركوب على المصنوع له أو الغالب على النادر ولذلك قال ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ أى ظهور ماتركبون وجمعه للمعنى ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ﴾ تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها ﴿ وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ مطيقين من أقرن الشئ اذا أطاقه وأصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد* وعنه عليه الصلاة والسلام أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله ﴿ وانا الى ربنا لمنقلبون ﴾ أى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى أولانه مخطر فينبغى للراكب أن لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله تعالى ﴿ وجعلوا له من عباده جزأ ﴾ متصل بقوله ولئن سألتهم أى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزأ كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرأ أبو بكر جزأ بضمتين ﴿ ان الانسان لكفور مبين ﴾ ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ معنى الهمزة في أم للانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته أجزاء أخس مما اختير لهم وأبغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر أحدهم بها اشتد غمه به كما قال ﴿ واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ﴾ بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لابد وأن يماثل الوالد ﴿ ظل وجهه مسودا ﴾ صار وجهه أسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة ﴿ وهو كظيم ﴾ مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات على فساد ماقالوه وتعريف البنين بما مر فى الذكور وقرئ مسودّ ومسوادّ على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسودّ جملة وقعت خبرا ﴿ أومن ينشأ فى الحلية ﴾ أى أوجعلوا له أو اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات ﴿ وهو في الخصام ﴾ فى المجادلة ﴿ غير مبين ﴾ مقرر لما يدّعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز أن يكون من مبتدأ محذوف الخبر أى أومن هذا حالة ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه لما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ أى يربي وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك أعلاه وعلاه وعالاه بمعنى ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ﴾ كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله تعالى أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ أنثاو وهو جمع الجمع ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ التى شهدوا بها على الملائكة ﴿ ويسئلون ﴾ أى عنها يوم القيامة وهو وعيد شديد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي أن لله جزأ وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة ﴿ وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم ﴾ أى لوشاء عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها أوعلى حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان أومنهيا حسنا كان أوغيره ولذلك جهلهم فقال ﴿ مالهم بذلك من علم انهم الايخرصون ﴾ يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز أن تكون الاشارة الى أصل الدعوى كانه لما أبدي وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه الى انكار أن يكون لهم سند من جهة النقل فقال ﴿ أم اتيناهم كتابا من قبله ﴾ من قبل القرآن أو ادعائهم ينطق على صحة ماقالوه ﴿ فهم به مستمسكون ﴾ بذلك الكتاب متمسكون ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ﴾ أى لاحجة لهم على ذلك عقلية ولانقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم أي القاصد ومنها الدين

والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا
كذلك تخرجون ۞ والذى خلق الازواج كلها وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون ۞ لتستووا على
ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحن
الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ۞ وانا الى ربنا
لمنقلبون ۞ وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان
لكفور مبين ۞ ام اتخذ مما يخلق بنت واصفيكم
بالبنين ۞ واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل
وجهه مسودا وهو كظيم ۞ اومن ينشؤا فى الحلية وهو
فى الخصام غير مبين ۞ وجعلوا الملئكة الذين هم
عبد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب
شهادتهم ويسئلون ۞ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدنهم
ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ۞ ام اتينهم
كتبا من قبله فهم به مستمسكون ۞ بل قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثرهم مهتدون ۞

﴿ وكذلك ماأرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الاقال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بأن التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد ﴿ قل أولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ أى أتتبعون آباءكم ولوجئتكم بدين أهدي من دين آبائكم وهى حكاية أمر ماض أوحى الى النذير أوخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاوّل انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله ﴿ قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ﴾ أى وان كان أهدى اقناطا للنذير من أن ينظروا أويتفكروا فيه ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ بالاستئصال ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ ولاتكترث بتكذيبهم ﴿ واذقال ابراهيم ﴾ واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل أوليقلدوه ان لم يكن لهم بدّ من التقليد فانه أشرف آبائهم ﴿ لابيه وقومه اننى براء مماتعبدون ﴾ برىء من عبادتكم أومعبودكم مصدر نعت به ولذلك استوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برىء وبراء ككريم وكرام ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ استثناء منقطع أومتصل على ان ما يعمّ أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام والاوثان أوصفة على ان ماموصوفة أي انى برىء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى ﴿ فانه سيهدين ﴾ سيثبتنى على الهداية أوسيهديني الى ماوراء ماهدانى اليه ﴿ وجعلها ﴾ وجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أوالله كلمة التوحيد ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ فى ذريته فيكون فيهم أبدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه أى فيمن عقبه ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ يرجع من أشرك بدعاء من وحد ﴿ بل متعت هؤلاء وآباءهم ﴾ هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمدّ فى العمر والنعمة فاغتروا لذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ دعوة التوحيد أوالقرآن ﴿ ورسول مبين ﴾ ظاهر الرسالة بماله من المعجزات أومبين للتوحيد بالحجج والآيات ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ لينبههم عن غفلتهم ﴿ قالوا هذا سحر وانا به كافرون ﴾ زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول ﴿ وقالوا لولانزل هذا القرآن على رجل من القريتين ﴾ من احدى القريتين مكة والطائف ﴿ عظيم ﴾ بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لايليق الا بعظيم ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لاالتزخرف بالزخارف الدنيوية ﴿ أهم يقسمون رحمت ربك ﴾ انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوّة ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ﴾ وهم عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة أمرهم فى دنياهم فمن أين لهم ان يدبروا أمر النبوّة التى هي أعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى أن يكون حلالها وحرامها من الله ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ وأوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم لالكمال فى الموسع ولالنقص فى المقتر ثم انه لااعتراض لهم علينا فى ذلك ولاتصرف فكيف يكون فيما هو أعلى منه ﴿ ورحمت ربك ﴾ يعنى هذه النبوّة ومايتبعها ﴿ خير مما يجمعون ﴾ من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لامنه ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ لولا أن يرغبوا فى الكفر اذارأوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ﴾ ومصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال أوعلة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وأبوعمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهي لغة في سقف ﴿ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ﴾ أى أبوابا وسررا من فضة

وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ۞ قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون ۞ فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ۞ واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون ۞ الا الذى فطرنى فانه سيهدين ۞ وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ۞ بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ۞ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ۞ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ۞ أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ۞ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ۞ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ۞

﴿وزخرفا﴾ وزينة عطف على سقفا أوذهبا عطف على محل من فضة ﴿وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا﴾ ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على أن العظيم هو العظيم في الآخرة لافي الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو أنه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الآفات قل من يتخلص عنها كما أشار اليه بقوله ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾ يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات وقرئ يعش بالفتح أى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشى اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على أن من موصولة ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى أن يرفع نقيض ﴿وانهم ليصدونهم عن السبيل﴾ عن الطريق الذى من حقه أن يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان ﴿حتى اذا جاءنا﴾ أي العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبوبكر جاآنا أى العاشى والشيطان ﴿قال﴾ أى العاشى للشيطان ﴿ياليت بينى وبينك بعد المشرقين﴾ بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما ﴿فبئس القرين﴾ أنت ﴿ولن ينفعكم اليوم﴾ أى ما أنتم عليه من التمنى ﴿اذ ظلمتم﴾ اذ صح انكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا بدل من اليوم ﴿أنكم فى العذاب مشتركون﴾ لان حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز أن يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى أمر صعب معاونتهم في تحمل أعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منكم مالاتسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول ﴿أفأنت تسمع الصم أوتهدى العمى﴾ انكار وتعجب من أن يكون

وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۞ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۞ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۞ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ۞ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۞ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهُم بِـَٔايَٰتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ۞ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞

هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لايزيدون الا غيا فنزلت ﴿ومن كان فى ضلال مبين﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لايخفى ﴿فاما نذهبن بك﴾ أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة ﴿فانا منهم منتقمون﴾ بعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿أونرينك الذى وعدناهم﴾ أوان أردنا أن نريك ماوعدناهم من العذاب وقرأ يعقوب برواية رويس أونرينك باسكان النون وكذا نذهبن ﴿فانا عليهم مقتدرون﴾ لايفوتوننا ﴿فاستمسك بالذى أوحى اليك﴾ من الآيات والشرائع وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿انك على صراط مستقيم﴾ لاعوج له ﴿وانه لذكر لك﴾ لشرف لك ﴿ولقومك وسوف تسئلون﴾ أي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أى واسأل أممهم وعلماء دينهم وقرأ ابن كثير والكسائى بتخفيف الهمزة ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان أقوى ماحملهم على التكذيب والمخالفة ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين﴾ يريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم ـ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد ليتأملوا فيها ﴿فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون﴾ فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول ماراوها ولم يتأملوا فيها ﴿ومانريهم من آية الاهي أكبر من أختها﴾ الاهي بالغة أقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها أنها أكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وكقوله

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

أو الاوهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ كالسنين والطوفان والجراد ﴿لعلهم يرجعون﴾ على وجه يرجى رجوعهم

﴿وقالوا يا أيه الساحر﴾ نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم أولانهم كانوا يسمون العالم الماهر ساحرا وقرأ ابن عامر بضم الهاء ﴿ادع لنا ربك﴾ فيكشف عنا العذاب ﴿بما عهد عندك﴾ بعهده عندك من النبوّة أومن أن يستجيب دعوتك أوأن يكشف العذاب عمن اهتدى أوبما عهد عندك فوفيت به وهوالايمان والطاعة ﴿اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون﴾ فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء ﴿ونادى فرعون﴾ بنفسه أوبمناديه ﴿فى قومه﴾ فى مجمعهم أوفيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار﴾ أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ﴿تجرى من تحتى﴾ تحت قصرى أوأمرى أوبين يدى فى جناني والواو اماعاطفة لهذه الانهار على الملك وتجرى حال منها أو واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك ﴿أم أنا خير﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿من هذا الذى هو مهين﴾ ضعيف حقير لايستعد للرئاسة من المهانة وهى القلة ﴿ولا يكاد يبين﴾ الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وأم امامنقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من أسباب فضله أومتصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون فتعلمون أنى خير منه ﴿فلولا ألقى عليه أساورة من ذهب﴾ أى فهلا ألقى عليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سوّدوا رجلا سوّروه وطوّقوه بسوار وطوق من ذهب وأساورة جمع اسوار بمعني السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص أسورة وهى جمع سوار وقرئ أساور جمع اسورة وألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿أوجاء معه الملائكة مقترنين﴾ مقرونين يعينونه أويصدّقونه من قرنته به فاقترن أومتقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿فاستخف قومه﴾ فطلب منهم الخفة في مطاوعته أوفاستخف أحلامهم ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ فلذلك أطاعوا ذلك الفاسق ﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من أسف اذا اشتد غضبه ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين﴾ في اليم ﴿فجعلناهم سلفا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به أوجمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف ورغيف أوسالف كصبر جمع صابر أوسلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة أوعلى أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ﴿ومثلا للآخرين﴾ وعظة لهم أوقصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا﴾ أى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أوغيره بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى عليه السلام ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أوعلى قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أوأن محمدا يريد أن نعبده كما عبد المسيح ﴿اذا قومك﴾ قريش ﴿منه﴾ من هذا المثل ﴿يصدون﴾ يضجون فرحا لظنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود أى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف ﴿وقالوا أآلهتنا خير أم هو﴾ أى أآلهتنا خير عندك أم عيسى عليه السلام فان يكن في النار فلتكن آلهتنا معه أوآلهتنا الملائكة خير أم عيسى عليه السلام فاذا جاز أن يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا أولى بذلك أوآلهتنا خير أم [illegible] صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين وألف بعدهما ﴿ماضربوه لك الاجدلا﴾ ماضربوا هذا المثل الالاجل الجدل والخصومة لالتميز الحق من الباطل ﴿بل هم قوم خصمون﴾ شداد الخصومة حراص على اللجاج ﴿ان هو الاعبد أنعمنا عليه﴾ بالنبوّة ﴿وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل﴾ أمرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ﴿ولونشاء لجعلنا منكم﴾ لولدنا منكم يارجال كما ولدنا عيسى من غير أب أولجعلنا بدلكم ﴿ملائكة فى الارض يخلفون﴾ ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى أن حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فانه تعالى قادر على ماهو أعجب من ذلك وأن الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى ﴿وانه﴾ وان عيسى عليه السلام ﴿لعلم للساعة﴾ لان حدوثه أونزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوّها أولان احياء الموتي يدل على قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعلم أى لعلامة ولذكر على تسمية مايذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالارض المقدّسة يقال لها أفيق وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الامن آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها ﴿فلا تمترنّ بها﴾ فلا تشكنّ فيها ﴿واتبعون﴾ واتبعوا هداى أو شرعي أو رسولى وقيل هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أن يقوله ﴿هذا﴾ الذى أدعوكم اليه ﴿صراط مستقيم﴾ لايضل سالكه ﴿ولايصدنكم الشيطان﴾ عن المتابعة ﴿انه لكم عدوّ مبين﴾ ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرّضكم للبلية

وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ
۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ۝
وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ
وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا
الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ
مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝ فَاسْتَخَفَّ
قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝
فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۝
فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ۝ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ
مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا
عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ
لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
۝ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝

وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞
فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ
أَلِيمٍ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ۞ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا
ٱلْمُتَّقِينَ ۞ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۞ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ
وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۞ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ
۞ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ لَكُمْ
فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ
جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۞ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ
۞ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَنَادَوْا۟
يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۞

﴿ ولما جاء عيسى بالبينات ﴾ بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات ﴿ قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ بالانجيل أو بالشريعة ﴿ ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه ﴾ وهو مايكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يبعثوا لبيانه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنتم أعلم بأمر دنياكم ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فيما أبلغه عنه ﴿ انّ الله هو ربى وربكم فاعبدوه ﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ الاشارة الى مجموع الأمرين وهو تتمة كلام عيسى عليه الصلاة والسلام أو استئناف من الله تعالى يدل على ماهو المقتضى للطاعة فى ذلك ﴿ فاختلف الأحزاب ﴾ الفرق المتحزبة ﴿ من بينهم ﴾ من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم ﴿ فويل للذين ظلموا ﴾ من المتحزبين ﴿ من عذاب يوم أليم ﴾ هو القيامة ﴿ هل ينظرون الا الساعة ﴾ الضمير لقريش أو للذين ظلموا ﴿ أن تأتيهم ﴾ بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة ﴿ بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لايشعرون ﴾ غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها ﴿ الأخلاء ﴾ الأحباء ﴿ يومئذ بعضهم لبعض عدوّ ﴾ أى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ماكانوا يتخالون له سببا للعذاب ﴿ الا المتقين ﴾ فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد ﴿ ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء ﴿ الذين آمنوا بآياتنا ﴾ صفة المنادى ﴿ وكانوا مسلمين ﴾ حال من الواو أى الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة آكد وأبلغ ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم ﴾ نساؤكم المؤمنات ﴿ تحبرون ﴾ تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ﴾ الصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له ﴿ وفيها ﴾ وفى الجنة ﴿ ماتشتهى الأنفس ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه الأنفس على الأصل ﴿ وتلذّ الأعين ﴾ بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص مايعدّ من الزوائد فى التنعم والتلذّذ ﴿ وأنتم فيها خالدون ﴾ فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثانى الحال ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ وقرأ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتى أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتى خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها ﴿ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدّة والفاقة ﴿ انّ المجرمين ﴾ الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم مايخص بالكفار ﴿ فى عذاب جهنم خالدون ﴾ خبران أو خالدون خبر والظرف متعلق به ﴿ لايفتر عنهم ﴾ لايخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف ﴿ وهم فيه ﴾ فى العذاب ﴿ مبلسون ﴾ آيسون من النجاة ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ مرّ مثله غير مرّة وهم فصل ﴿ ونادوا يامالك ﴾ وقرئ يامال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بأنهم لضعفهم لايستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ﴿ ليقض علينا ربك ﴾ والمعنى سل ربنا أن يقضى علينا من قضى عليه اذا أماته وهو لاينافى ابلاسهم فانه جؤار وتمنّ للموت من فرط الشدّة ﴿ قال انكم ماكثون ﴾ لا خلاص لكم بموت ولا بغيره

﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله والا فجواب منه فكا نه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ﴿ ولكن أكثركم للحق كارهون ﴾ لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ﴿ أم أبرموا أمرا ﴾ فى تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته ﴿ فانا مبرمون ﴾ أمرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك أسوأ من كراهتهم أوأم أحكم المشركون أمرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ﴿ أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ﴾ حديث أنفسهم بذلك ﴿ ونجواهم ﴾ وتناجيهم ﴿ بلى ﴾ نسمعهما ﴿ ورسلنا ﴾ والحفظة مع ذلك ﴿ لديهم ﴾ ملازمة لهم ﴿ يكتبون ﴾ ذلك ﴿ قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ منكم فان النبى صلى الله عليه وسلم يكون أعلم بالله وبما يصح له وبما لايصح له وأولى بتعظيم مايوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولايلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على أبلغ الوجوه كقوله تعالى ـ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ـ غير أن لو ثم مشعرة بانتفاء الطرفين وان ههنا لاتشعر به ولابنقيضه فانها لمجرد الشريطة بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره الولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحدين له أوالآنفين منه أومن أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه أوما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم وسكون اللام ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾ عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها أصولاذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الأجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ فى باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ فى دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ أى يوم القيامة وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون فى الآخرة ﴿ وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ﴾ مستحق لأن يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود أو متضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولايجوز جعله خبرا له لانه لايبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الالوهية ﴿ وهو الحكيم العليم ﴾ كالدليل عليه ﴿ وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ كالهواء ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها ﴿ واليه يرجعون ﴾ للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ﴿ ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ﴾ كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ﴿ الا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ بالتوحيد والاستثناء متصل ان أريد بالموصول كل ماعبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالأصنام ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ﴾ سألت العابدين أو المعبودين ﴿ ليقولن الله ﴾ لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره ﴿ فأنى يؤفكون ﴾ يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ﴿ وقيله ﴾ وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم أو على محل الساعة أولاضمار فعله أى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ﴿ يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون ﴾ أومعطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هوقسم منصوب بحذف الجار أومجرور باضماره أومرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه ﴿ فاصفح عنهم ﴾ فأعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم ﴿ وقل سلام ﴾ تسلم منكم ومتاركة ﴿ فسوف يعلمون ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على أنه من المأمور بقوله * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۞ أَمْ أَبْرَمُوٓا أَمْرًا
فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا
لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۞ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَٰبِدِينَ ۞
سُبْحَٰنَ رَبِّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِى
فِى السَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞
وَتَبَٰرَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ
عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ الشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ
۞ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۞
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۞

سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم

حمٓ ۞ وَالكِتٰبِ المُبِينِ ۞ اِنَّآ اَنْزَلْنٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُبٰرَكَةٍ اِنَّا كُنَّا
مُنْذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ اَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ اَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا اِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ۞ رَبِّ السَّمٰوٰتِ
وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا اِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۞ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الاَوَّلِينَ ۞ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۞
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَاْتِى السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هٰذَا
عَذَابٌ اَلِيمٌ ۞ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابَ اِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ اَنّٰى
لَهُمُ الذِّكْرٰى وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۞ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ
مَجْنُونٌ ۞ اِنَّا كَاشِفُوا العَذَابِ قَلِيلًا اِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۞
يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرٰى اِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ
قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۞ اَنْ اَدُّوا اِلَىَّ عِبَادَ اللّٰهِ اِنِّى
لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ ۞ وَاَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللّٰهِ اِنِّى آتِيكُمْ بِسُلْطٰنٍ
مُبِينٍ ۞ وَاِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ اَنْ تَرْجُمُونِ ۞ وَاِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِى
فَاعْتَزِلُونِ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ اَنَّ هٰؤُلَآءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ۞ فَاَسْرِ بِعِبَادِى
لَيْلًا اِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ۞ وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوًا اِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ۞

﴿سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع أو تسع وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم * حم والكتاب المبين) القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب قوله (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) ليلة القدر أو البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ثم أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب المنافع الدينية والدنيوية أولما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية (انا كنا منذرين) استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فان كونها مفرق الامور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز أن يكون صفة ليلة مباركة ومابينهما اعتراض وهو يدل على أن الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل أى يفرقه الله ونفرق بالنون (أمرا من عندنا) أى أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز أن يكون حالا من كل أو أمر أو ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وأن يكون المراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق أو لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به أو حالا من أحد ضميرى أنزلناه بمعنى آمرين أو مأمورا (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بدل من انا كنا منذرين أى أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فانه أعظم أنواع التربية أو علة ليفرق أو أمرا ورحمة مفعول به أى يفصل فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا أن نرسل رحمتنا فان فصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة (انه هو السميع العليم) يسمع أقوال العباد ويعلم أحوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته فانها لاتحق الالمن هذه صفاته (رب السموات والارض ومابينهما) خبر آخر أو استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم من أهل الايقان في العلوم أو كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الامر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا اله الا هو) اذ لا خالق سواه (يحيي ويميت) كما تشاهدون (ربكم ورب آبائكم الاولين) وقرئا بالجر بدلا من ربك (بل هم في شك يلعبون) رد لكونهم موقنين (فارتقب) فانتظرهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أو لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار أو لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار أو يوم ظهور الدخان المعدود فى أشراط الساعة * لما روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ مابين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين (يغشى الناس) يحيط بهم صفة للدخان وقوله (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم (أنى لهم الذكرى) من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحالة (وقد جاءهم رسول مبين) بين لهم ماهو أعظم منها فى ايجاب الادكار من الآيات والمعجزات (ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) أى قال بعضهم يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون (انا كاشفوا العذاب) بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام فانه لما دعا رفع القحط (قليلا) كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو مابقى من أعمارهم (انكم عائدون) الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة أوله بالشرط والتقدير (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه (انا منتقمون) لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه أو بدل من يوم تاتي وقرئ نبطش أى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم أو أوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله أو على المؤمنين أو فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (أن أدوا الى عباد الله) بأن أدوهم الى وأرسلوهم معى أو بأن أدوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة ياعباد الله ويجوز أن تكون أن مخففة ومفسرة لان مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة (انى لكم رسول أمين) غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر (وأن لاتعلوا على الله) ولاتتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وأن كالاولى فى وجهيها (انى آتيكم بسلطان مبين) علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شأن لايخفى (وانى عذت بربى وربكم) التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) أن تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلونى وقرئ عت بالادغام فيه (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) فكونوا بمعزل منى لا على ولا لى ولاتتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم (فدعا ربه) بعد ما كذبوه (أن هؤلاء) بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول (فأسر بعبادى ليلا) أى فقال أسر أو قال ان كان الامر كذلك فأسر وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ماجاوزته ولاتضربه بعصاك ولاتغير منه شيأ ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لانهم

﴿كم تركوا﴾ كثيرا تركوا ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل حسنة ﴿ونعمة﴾ وتنعم ﴿كانوا فيها فاكهين﴾ متنعمين وقرئ فكهين ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الاخراج أخرجناهم أوالامر كذلك ﴿وأورثناها﴾ عطف على المقدر أوعلى تركوا ﴿قوما آخرين﴾ ليسوا منهم فى شئ وهم بنواسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر ﴿فما بكت عليهم السماء والارض﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء والارض وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك * ومنه ماروى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والارض ﴿وما كانوا منظرين﴾ ممهلين الى وقت آخر ﴿ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين﴾ من استعباد فرعون وقتله أبناءهم ﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب على حذف المضاف أو جعله عذابا لافراطه فى التعذيب أوحال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكير له لنكرما كان عليه من الشيطنة ﴿انه كان عاليا﴾ متكبرا ﴿من المسرفين﴾ فى العتو والشرارة وهو خبرثان أى كان متكبرا مسرفا أوحال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بينهم ﴿ولقد اخترناهم﴾ اخترنا بنى اسرائيل ﴿على علم﴾ عالمين بأنهم أحقاء بذلك أومع علم منا بأنهم يزيغون فى بعض الاحوال ﴿على العالمين﴾ لكثرة الانبياء فيهم أوعلى عالمى زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسلوى ﴿مافيه بلاء مبين﴾ نعمة جلية أواختبار ظاهر ﴿ان هؤلاء﴾ يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على أنهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحلّ بهم ﴿ليقولون ان هي الاموتتنا الأولى﴾ ماالعاقبة ونهاية الامر الاالموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولاقصد فيه الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدم منكم موتة كذلك قالوا ان هي الاموتتنا الأولى أي ما الموتة التى من شأنها كذلك الا الموتة الأولى ﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين ﴿فائتوا بآبائنا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى وعدكم ليدل عليه ﴿أهم خير﴾ فى القوة والمنعة ﴿أم قوم تبع﴾ تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه *وعنه عليه الصلاة والسلام ماأدرى أكان تبع نبيا أم غيرنبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم الاقيال لانهم يتقيلون ﴿والذين من قبلهم﴾ كعاد وثمود ﴿أهلكناهم﴾ استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش أوحال باضمار قد أوخبر من الموصول ان استؤنف به ﴿انهم كانوا مجرمين﴾ بيان للجامع المقتضى للاهلاك ﴿وماخلقنا السموات والارض ومابينهما﴾ ومابين الجنسين وقرئ ومابينهن ﴿لاعبين﴾ لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها ﴿ماخلقناهما الابالحق﴾ الابسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة أوالبعث والجزاء ﴿ولكن أكثرهم لايعلمون﴾ لقلة نظرهم ﴿ان يوم الفصل﴾ فصل الحق عن الباطل أوالمحق عن المبطل بالجزاء أوفصل الرجل عن أقاربه وأحبائه ﴿ميقاتهم﴾ وقت موعدهم ﴿أجمعين﴾ وقرئ ميقاتهم بالنصب على أنه الاسم أى ان ميعاد جزائهم فى يوم الفصل ﴿يوم لايغنى﴾ بدل من يوم الفصل أوصفة لميقاتهم أوظرف لما دل عليه الفصل لاله للفصل ﴿مولى﴾ من قرابة أوغيرها ﴿عن مولى﴾ أى مولى كان ﴿شيأ﴾ من الاغناء ﴿ولاهم ينصرون﴾ الضمير لمولى الاوّل باعتبار المعنى لانه عام ﴿الامن رحم الله﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو أوالنصب على الاستثناء ﴿انه هو العزيز﴾ لاينصر منه من اراد تعذيبه ﴿الرحيم﴾ لمن أراد أن يرحمه ﴿ان شجرة الزقوم﴾ وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات ﴿طعام الأثيم﴾ الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله ومابعده عليه ﴿كالمهل﴾ وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل درديّ الزيت ﴿تغلى في البطون﴾ وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على أن الضمير للطعام أوالزقوم لاللمهل اذالاظهر أن الجملة حال من أحدهما ﴿كغلى الحميم﴾ غليانا مثل غليه ﴿خذوه﴾ على ارادة القول والمقول له الزبانية ﴿فاعتلوه﴾ فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان ﴿الى سواء الجحيم﴾ وسطه ﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كان أصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ۞ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۞ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۞ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۞ وَلَقَدِ اخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۞ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ الْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا مُّبِينٌ ۞ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۞ فَأْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۞ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۞ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِى فِى الْبُطُونِ ۞ كَغَلْىِ الْحَمِيمِ ۞ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۞

(ذق إنك أنت العزيز الكريم) أي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي أنك بالفتح أي ذق لأنك أو عذاب أنك (إن هذا) إن هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه (إن المتقين في مقام) في موضع إقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (أمين) يأمن صاحبه الآفة والانتقال (في جنات وعيون) بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب (يلبسون من سندس وإستبرق) خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والإستبرق ما غلظ منه معرب استبره أو مشتق من البراقة (متقابلين) في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) الأمر كذلك أو آتيناهم مثل ذلك (وزوجناهم بحور عين) قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان (آمنين) من الضرر (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) بل يحيون فيها دائماً والاستثناء منقطع أو متصل والضمير للآخرة والموت أول أحوالها أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها أو الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ ووقاهم على المبالغة (فضلاً من ربك) أي أعطوا كل ذلك عطاء وتفضلاً منه وقرئ بالرفع أي ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) لأنه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب (فإنما يسرناه بلسانك) سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة (لعلهم يتذكرون) لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (إنهم مرتقبون) منتظرون ما يحل بك * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفوراً له

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ۝

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝

﴿سورة الجاثية مكية وآيها سبع أو ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم * حم تنزيل الكتاب) إن جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت إلى إضمار مثل تنزيل حم وإن جعلتها تعديداً للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره (من الله العزيز الحكيم) وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم (إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) وهو يحتمل أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى إن في خلق السموات لقوله (وفي خلقكم وما يبث من دابة) ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف إليه بأحد الاحتمالين فإن بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه إلى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار (آيات لقوم يوقنون) محمول على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملاً على الاسم (واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق) من مطر وسماه رزقاً لأنه سببه (فأحيا به الأرض بعد موتها) يبسها (وتصريف الرياح) باختلاف جهاتها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح (آيات لقوم يعقلون) فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء أو إن إلا أن يضمر في أو ينصب آيات على الاختصاص أو يرفع بإضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الآيات في الدقة والظهور

﴿ تلك آيات الله ﴾ أى تلك الآيات دلائله ﴿ نتلوها عليك ﴾ حال عاملها معنى الاشارة ﴿ بالحق ﴾ ملتبسين به أوملتبسة به ﴿ فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ﴾ أى بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك أعجبنى زيد وكرمه أوبعد حديث الله وهو القرآن كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وآياته دلائله المتلوّة أوالقرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وأبوعمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ماقبله ﴿ ويل لكل أفاك ﴾ كذاب ﴿ أثيم ﴾ كثير الآثام ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر ﴾ يقيم على كفره ﴿ مستكبرا ﴾ عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الآيات كقوله * يرى غمرات ثم يزورها * ﴿ كان لم يسمعها ﴾ أي كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة فى موضع الحال أى يصر مثل غير السامع ﴿ فبشره بعذاب أليم ﴾ على اصراره والبشارة على الاصل أوالتهكم ﴿ واذاعلم من آياتنا شيأ ﴾ واذابلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها ﴿ اتخذها هزوا ﴾ لذلك من غير أن يرى فيها ماينساب الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بأنه اذاسمع كلاما وعلم أنه من الآيات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ماسمعه أولشئ لأنه بمعني الآية ﴿ أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ﴾ من قدّامهم لانهم متوجهون اليها أومن خلفهم لانها بعد آجالهم ﴿ ولايغنى عنهم ﴾ ولايدفع عنهم ﴿ ما كسبوا ﴾ من الاموال والاولاد ﴿ شيأ ﴾ من عذاب الله ﴿ ولا مااتخذوا من دون الله أولياء ﴾ أى الاصنام ﴿ ولهم عذاب عظيم ﴾ لايتحملونه ﴿ هذا هدى ﴾ الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله ﴿ والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم ﴾ وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع أليم والرجز أشد العذاب ﴿ الله الذى سخر لكم البحر ﴾ بأن جعله أملس السطح يطفو عليه مايتخلخل كالاخشاب ولايمنع الغوص فيه ﴿ لتجرى الفلك فيه بأمره ﴾ بتسخيره وأنتم راكبوها ﴿ ولتبتغوا من فضله ﴾ التجارة والغوص والصيد وغيرها ﴿ ولعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم ﴿ وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا ﴾ بان خلقها نافعة لكم ﴿ منه ﴾ حال من ماأى سخر هذه الاشياء كائنة منه أوخبر لمحذوف أى هي جميعا منه أولما فى السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد أولما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أوخبر محذوف ﴿ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ فى صنائعه ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا ﴾ حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا أى يعفوا ويصفحوا ﴿ للذين لايرجون أيام الله ﴾ لايتوقعون وقائعه بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعهم أولا يأملون الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها*والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارىّ فهمّ أن يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ﴿ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴾ علة للامر والقوم هم المؤمنون أوالكافرون أوكلاهما فيكون التنكير للتعظيم أوالتحقير أوالشيوع والكسب المغفرة أوالاساءة أومايعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزى بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزي قوما أى ليجزى الخير أوالشر أوالجزاء أعنى مايجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ أي لها ثواب العمل وعليها عقابه ﴿ ثم الى ربكم ترجعون ﴾ فيجازيكم على أعمالكم

تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله
وآياته يؤمنون ۞ ويل لكل أفاك أثيم ۞
يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا
كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم ۞ وإذا علم
من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين
۞ من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا
شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب
عظيم ۞ هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم
لهم عذاب من رجز أليم ۞ الله الذى سخر لكم البحر
لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون ۞ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض
جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ۞
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي
قوما بما كانوا يكسبون ۞ من عمل صالحا فلنفسه
ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون ۞

﴿ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب﴾ التوراة ﴿والحكم﴾ والحكمة النظرية والعملية أوفصل الخصومات ﴿والنبوّة﴾ اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثروا فى غيرهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ مماأحلّ الله من اللذائذ ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ حيث آتيناهم مالم نؤت غيرهم ﴿وآتيناهم بينات من الامر﴾ أدلة فى أمر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من أمر النبي عليه الصلاة والسلام مبينة لصدقه ﴿فما اختلفوا﴾ في ذلك الامر ﴿الامن بعد ماجاءهم العلم﴾ بحقيقة الحال ﴿بغيا بينهم﴾ عداوة وحسدا ﴿ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ بالمؤاخذة والمجازاة ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ طريقة ﴿من الامر﴾ من أمر الدين ﴿فاتبعها﴾ فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ﴿ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون﴾ آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك ﴿انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ﴾ مما أراد بك ﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ اذ الجنسية علة الانضمام فلاتوالهم باتباع أهوائهم ﴿والله ولى المتقين﴾ فواله بالتقى واتباع الشريعة ﴿هذا﴾ أى القرآن أواتباع الشريعة ﴿بصائر للناس﴾ بينات تبصرهم وجه الفلاح ﴿وهدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ ونعمة من الله ﴿لقوم يوقنون﴾ يطلبون اليقين ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيآت﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ﴿أن نجعلهم﴾ أن نصيرهم ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾ بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعني انكار أن يكون حياتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل أوالحال من الضمير فى الكاف أو المفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه أواستئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل أو حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار أن يستووا بعد الممات فى الكرامة أوترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة في الحياة أواستئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ﴿ساء مايحكمون﴾ ساء حكمهم هذا أوبئس شيأ حكموا به ذلك ﴿وخلق الله السموات والارض بالحق﴾ كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ عطف على بالحق لانه فى معنى العلة أوعلى علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أوليعدل ولتجزى ﴿وهم لايظلمون﴾ بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولوفعله الله لم يكن منه ظلما لانه لوفعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ ترك متابعة الهدى الى متابعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان أحدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه ﴿وأضله الله﴾ وخذله ﴿على علم﴾ عالما بضلاله وفساد جوهر روحه ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ فلايبالى بالمواعظ ولايتفكر في الآيات ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ من بعد اضلاله ﴿أفلا تذكرون﴾ وقرئ تتذكرون

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۞ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞

﴿وقالوا ماهي﴾ ما الحياة أو الحال ﴿الاحياتنا الدنيا﴾ التى نحن فيها ﴿نموت ونحيا﴾ أى نكون أمواتا نطفا وماقبلها ونحيا بعد ذلك أونموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا أويصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان ﴿ومايهلكنا الا الدهر﴾ الامرور الزمان وهو فى الاصل مدّة بقاء العالم من دهره اذا غلبه ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك ومايتعلق بها على الاستقلال أوانكار البعث أوكليهما ﴿ان هم الا يظنون﴾ اذ لادليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ واضحات الدلالة على مايخالف معتقدهم أومبينات له ﴿ما كان حجتهم﴾ ما كان لهم متشبث يعارضونها به ﴿الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين﴾ وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم أوعلى أسلوب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * فانه لايلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم﴾ على مادلت عليه الحجج ﴿ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه﴾ فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ماقرر مرارا والوعد المصدق بالآيات دلّ على وقوعها واذا كان كذلك أمكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء ﴿ولكنّ أكثر الناس لايعلمون﴾ لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على مايحسونه ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ تعميم للقدرة بعد تخصيصها ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ أى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية أي جالسة على أطراف الاصابع لاستيفازهم ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ صحيفة أعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاوّل وتدعى صفة أومفعول ثان ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ محمول على القول ﴿هذا كتابنا﴾ أضاف صحائف أعمالهم الى نفسه لانه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم ﴿ينطق عليكم بالحق﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولانقصان ﴿انا كنا نستنسخ﴾ نستكتب الملائكة ﴿ما كنتم تعملون﴾ أعمالكم ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته﴾ التى من جملتها الجنة ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ الظاهر لخلوصه عن الشوائب ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ أى فيقال لهم ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة ﴿فاستكبرتم﴾ عن الايمان بها ﴿وكنتم قوما مجرمين﴾ عادتكم الاجرام ﴿واذا قيل ان وعد الله﴾ يحتمل الموعود به والمصدر ﴿حق﴾ كائن هو أومتعلقه لامحالة ﴿والساعة لاريب فيها﴾ افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان ﴿قلتم ماندرى ما الساعة﴾ أى شئ الساعة استغرابا لها ﴿ان نظن الاظنا﴾ أصله نظن ظنا فأدخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ماعداه كأنه قال مانحن الانظن ظنا أولنفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم أكده بقوله ﴿ومانحن بمستيقنين﴾ أى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ماسمعوا من آبائهم وماتليت عليهم من الآيات فى أمر الساعة

وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ۝
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا
ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ۝ قل الله يحييكم ثم
يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر
الناس لا يعلمون ۝ ولله ملك السموات والأرض ويوم
تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ۝ وترى كل أمة
جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم
تعملون ۝ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا
نستنسخ ما كنتم تعملون ۝ فأما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز
المبين ۝ وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى
عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ۝ وإذا قيل
إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري
ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ۝

وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۞
وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا
ومأويكم النار وما لكم من نصرين ۞ ذلكم بانكم
اتخذتم ءايت الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم
لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ۞ فلله الحمد
رب السموت ورب الارض رب العلمين ۞ وله
الكبرياء في السموت والارض وهو العزيز الحكيم ۞

سورة الاحقاف مكية وخمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۞ تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم ۞ ما خلقنا السموت
والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والذين كفروا عما انذروا
معرضون ۞ قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموت ائتوني بكتب
من قبل هذا او اثرة من علم ان كنتم صدقين ۞

﴿ وبدا لهم ﴾ ظهر لهم ﴿ سيآت ماعملوا ﴾ على ما كانت عليه بأن عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها أوجزاؤها ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وهو الجزاء ﴿ وقيل اليوم ننساكم ﴾ نترككم فى العذاب ترك ماينسى ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ كما تركتم عدّته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى يوم اضافة المصدر الى ظرفه ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ يخلصونكم منها ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا ﴾ استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها ﴿ وغرّتكم الحيوة الدنيا ﴾ فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿ فاليوم لايخرجون منها ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء ﴿ ولاهم يستعتبون ﴾ لا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه ﴿ فلله الحمد ربّ السموات وربّ الأرض ربّ العالمين ﴾ اذ الكل نعمة منه ودالّ على كمال قدرته ﴿ وله الكبرياء فى السموات والأرض ﴾ اذ ظهر فيها آثارها ﴿ وهو العزيز ﴾ الذى لا يغلب ﴿ الحكيم ﴾ فيما قدّر وقضى فاحمدوه وكبروه وأطيعوا له ✻ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿ سورة الاحقاف مكية وآيها أربع أوخمس وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ماخلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحقّ ﴾ الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ماتقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ماقررناه مرارا ﴿ وأجل مسمى ﴾ وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيامة أوكل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدّرة له ﴿ والذين كفروا عما أنذروا ﴾ من هول ذلك الوقت ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿ معرضون ﴾ لايتفكرون فيه ولا يستعدّون لحلوله ﴿ قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ﴾ أى أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها فى أنفسها مدخل فى خلق شئ من أجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السفلية ﴿ ائتوني بكتاب من قبل هذا ﴾ من قبل هذا الكتاب يعنى القرآن فانه ناطق بالتوحيد ﴿ أوأثارة من علم ﴾ أوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الأوّلين هل فيها مايدل على استحقاقهم للعبادة أوالأمر به ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى دعواكم وهو الزام بعدم مايدل على ألوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم مايقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر أى مناظرة فان المناظرة تثير المعاني وأثرة أى شئ أوثرتم به وأثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الأثرة والمضمومة اسم مايؤثر

﴿ ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له ﴾ انكار أن يكون أحد أضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع البصير المجيب القادر الخبير الى عبادة من لايستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا أن يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم ﴿الى يوم القيامة﴾ مادامت الدنيا ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء ﴾ يضرّونهم ولاينفعونهم ﴿ وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ مكذبين بلسان الحال أوالمقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله تعالى ـ والله ربنا ما كنا مشركين ـ ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ﴾ واضحات أومبينات ﴿ قال الذين كفروا للحقّ ﴾ لأجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحقّ وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة ﴿ لما جاءهم ﴾ حينما جاءهم من غير نظر وتأمل ﴿ هذا سحر مبين ﴾ ظاهر بطلانه ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ماهو أشنع منه وانكار له وتعجيب ﴿ قل ان افتريته ﴾ على الفرض ﴿ فلاتملكون لى من الله شيأ ﴾ أى ان عاجلنى الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف أجتريء عليه وأعرّض نفسى للعقاب من غير توقع نفع ولادفع ضرّ من قبلكم ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه ﴾ تندفعون فيه من القدح فى آياته ﴿ كفى به شهيدا بينى وبينكم ﴾ يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ بديعا منهم أدعوكم الى مالايدعون اليه أوأقدر على مالم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقريء بفتح الدال على أنه كقيم أومقدر بمضاف أى ذا بدع ﴿ وما أدرى مايفعل بى ولابكم ﴾ فى الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتأكيد النفى المشتمل على مايفعل بى وما اما موصولة منصوبة أواستفهامية مرفوعة وقرئ يفعل أى يفعل الله ﴿ ان أتبع الا مايوحى الىّ ﴾ لا أتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب أو استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين ﴿وما أنا الا نذير﴾ من عقاب الله ﴿مبين﴾ بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدّقة ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ﴾ أى القرآن ﴿ وكفرتم به ﴾ وقد كفرتم به ويجوز أن تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله ﴿ وشهد شاهد من بنى اسرائيل ﴾ الا أنها تعطفه بما عطف عليه على جملة ماقبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه الصلاة والسلام وشهادته مافي التوراة من نعت الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ على مثله ﴾ مثل القرآن وهو مافى التوراة من المعانى المصدّقة للقرآن المطابقة له أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله ﴿ فآمن ﴾ أي بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق ﴿ واستكبرتم ﴾ عن الايمان ﴿انّ الله لايهدى القوم الظالمين﴾ استئناف مشعر بأن كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا ﴾ لأجلهم ﴿ لوكان ﴾ الايمان أوما أتى به محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ خيرا ماسبقونا اليه﴾ وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنوعامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار أواليهود حين أسلم عبدالله ابن سلام وأصحابه ﴿واذ لم يهتدوا به﴾ ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله ﴿فسيقولون هذا افك قديم ﴾ مسبب عنه وهو كقولهم أساطير الأوّلين ﴿ ومن قبله ﴾ ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله ﴿ كتاب موسى ﴾ ناصب لقوله ﴿ اماما ورحمة ﴾ على الحال ﴿ وهذا كتاب مصدّق ﴾ لكتاب موسى أولما بين يديه وقد قرئ به ﴿لسانا عربيا﴾ حال من ضمير كتاب فى مصدّق أومنه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على أن كونه مصدقا للتوراة كما دلّ على أنه حق دلّ على أنه وحى وتوقيف من الله سبحانه وتعالى وقيل مفعول مصدق أى يصدق ذا لسان عربى باعجازه ﴿لينذر الذين ظلموا﴾ علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أوالله أوالرسول ويؤيد الأخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾ عطف على محله

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَآئِهِمْ غٰفِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ
أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كٰفِرِينَ ۞ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا
بَيِّنٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰيهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا
هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفٰى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا
أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحٰى إِلَىَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَكَفَرْتُمْ
بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرَآئِيلَ عَلٰى مِثْلِهِ فَاٰمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ
إِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ اٰمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ
لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ۞ وَمِنْ قَبْلِهِ
كِتٰبُ مُوسٰى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهٰذَا كِتٰبٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا
عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرٰى لِلْمُحْسِنِينَ ۞

إنّ

﴿ انّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ من لحوق مكروه ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى أصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام أي جوزوا جزاء ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا أى ايصاء حسنا ﴿ حملته أمه كرها ووضعته كرها ﴾ ذات كره أوحملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وأبوعمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر ﴿ وحمله وفصاله ﴾ ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله أو وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالأمد عن المدة * قال

كل حيّ مستكمل عدّة العمـ*ـر ومود اذا انتهى أمده

﴿ ثلاثون شهرا ﴾ كل ذلك بيان لما تكابده الأم فى تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله تعالى — حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة — بقى ذلك وبه قال الاطباء ولعلّ تخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما ﴿ حتى اذا بلغ أشدّه ﴾ اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله ﴿ وبلغ أربعين سنة ﴾ قيل لم يبعث نبي الا بعد الأربعين ﴿ قال ربّ أوزعنى ﴾ ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا ﴿ أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ ﴾ يعني نعمة الدين أومايعمها وغيرها * وذلك يؤيد ماروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه لانه لم يكن أحد أسلم هو وأبواه من المهاجرين والانصار سواه ﴿ وأن أعمل صالحا ترضاه ﴾ نكره للتعظيم أو لأنه أراد نوعا من الجنس يستجاب رضا الله عزّوجل ﴿ وأصلح لى فى ذرّيتى ﴾ واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا فيهم ونحوه قوله

وان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها * الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى

﴿ اني تبت اليك ﴾ عما لاترضاه أويشغل عنك ﴿ واني من المسلمين ﴾ المخلصين لك ﴿ أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ماعملوا ﴾ يعنى طاعاتهم فان المباح حسن ولايثاب عليه ﴿ ويتجاوز عن سيآتهم ﴾ لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما ﴿ فى أصحاب الجنة ﴾ كائنين فى عدادهم أومثابين أومعدودين فيهم ﴿ وعد الصدق ﴾ مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد ﴿ الذي كانوا يوعدون ﴾ أى في الدنيا ﴿ والذى قال لوالديه أفّ لكما ﴾ مبتدأ خبره أولئك والمراد به الجنس وان صحّ نزولها فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لايوجب التخصيص وفى أفّ قراآت ذكرت فى سورة بني اسرائيل ﴿ أتعداننى أن أخرج ﴾ أبعث وقرأ هشام أتعدانى بنون واحدة مشددة ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾ فلم يرجع أحد منهم ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ يقولان الغياث بالله منك أويسألانه أن يغيثه بالتوفيق للايمان ﴿ ويلك آمن ﴾ أى يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على مايخاف على تركه ﴿ انّ وعد الله حقّ فيقول ماهذا الا أساطير الأوّلين ﴾ أباطيلهم التى كتبوها ﴿ أولئك الذين حقّ عليهم القول ﴾ بانهم أهل النار وهو يرد النزول فى عبد الرحمن لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه ﴿ فى أمم قد خلت من قبلهم ﴾ كقوله فى أصحاب الجنة ﴿ من الجنّ والانس ﴾ بيان للأمم ﴿ انهم كانوا خاسرين ﴾ تعليل للحكم على الاستئناف ﴿ ولكل ﴾ من الفريقين ﴿ درجات مما عملوا ﴾ مراتب من جزاء ماعملوا من الخير والشرّ أومن أجل ماعملوا والدرجات غالبة فى المثوبة وههنا جاءت على التغليب ﴿ وليوفيهم أعمالهم ﴾ جزاءها وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابن ذكوان بالنون ﴿ وهم لايظلمون ﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ
يَعْمَلُونَ ۞ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ
أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى
فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ۞ وَٱلَّذِى قَالَ
لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ
مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ۞ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا
عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ۝ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا
تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالُوا
أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ
۝ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا
عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝
تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي
الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا
لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا
أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا
مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝

﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض ﴿ أذهبتم ﴾ أى يقال لهم أذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير أن ابن كثير يقرؤه بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين ﴿طيباتكم﴾ لذاتكم ﴿فى حياتكم الدنيا﴾ باستيفائها ﴿ واستمتعتم بها ﴾ فما بقى لكم منها شئ ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ الهوان وقد قرئ به ﴿ بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾ بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر ﴿ واذكر أخا عاد﴾ يعنى هودا ﴿اذ أنذر قومه بالاحقاف﴾ جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن ﴿ وقد خلت النذر ﴾ الرسل ﴿ من بين يديه ومن خلفه ﴾ قبل هود وبعده والجملة حال أواعتراض ﴿ ألاتعبدوا الا الله ﴾ أى لاتعبدوا أوبان لاتعبدوا فان النهى عن الشئ انذار من مضرته ﴿ انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ هائل بسبب شرككم ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾ لتصرفنا ﴿عن آلهتنا﴾ عن عبادتها ﴿فائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على الشرك ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى وعدك ﴿ قال انما العلم عند الله ﴾ لاعلم لى بوقت عذابكم ولامدخل لى فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له ﴿وأبلغكم ماأرسلت به﴾ اليكم وماعلى الرسول الا البلاغ ﴿ ولكني أراكم قوما تجهلون ﴾ لاتعلمون أن الرسل بعثوا مبلغين منذرين لامعذبين مقترحين ﴿ فلما رأوه عارضا ﴾ سحابا عرض فى أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم﴾ متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ أى يأتينا بالمطر ﴿بل هو﴾ أى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو ﴿ماستعجلتم به﴾ من العذاب وقرئ قل بل ﴿ريح﴾ هي ريح ويجوز أن يكون بدل ما ﴿فيها عذاب أليم﴾ صفتها وكذا قوله ﴿تدمر﴾ تهلك ﴿كل شئ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿ بأمر ربها ﴾ اذلاتوجد نابضة حركة ولاقابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذاهلك فيكون العائد محذوفا أوالهاء في ربها ويحتمل أن يكون استئنافا للدلالة على أن لكل ممكن فناء مقضيا لايتقدم ولايتأخر وتكون الهاء لكل شئ فانه بمعني الاشياء ﴿ فأصبحوا لاترى الامساكنهم ﴾ أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لوحضرت بلادهم لاتري الامساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لايرى الامساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن ﴿ كذلك نجزى القوم المجرمين﴾ * روى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم فى البحر ﴿ ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ﴾ ان نافية وهى أحسن من ماههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت ألفها هاء فى مهما أوشرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى أوفى شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم أكثر أوصلة كما فى قوله

يرجى المرء ماان لايراه * ويعرض دون أدناه الخطوب

والاول أظهر وأوفق لقوله هم أحسن أثاثا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا ﴿ وجعلنالهم سمعا وأبصارا وأفئدة ﴾ ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها تعالى ويواظبوا على شكرها ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولاأبصارهم ولا أفئدتهم من شئ ﴾ من الاغناء وهو القليل ﴿ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ﴾ صلة لما أغني وهو ظرف جرى مجري التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ماأضيف اليه وكذلك حيث ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ من العذاب ﴿ ولقد أهلكنا ماحولكم ﴾ ياأهل مكة ﴿ من القرى ﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿وصرفنا الآيات ﴾ بتكريرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا
عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ
نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا
قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ
مُسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ
فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا
بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ۞ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا
تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً
مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ۞

﴿فلولانصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ فهلا منعتهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأول مفعولى اتخذوا الراجع الى الموصول محذوف وثانيهما قربانا وآلهة بدل أوعطف بيان أوآلهة وقربانا حال أومفعول له على أنه بمعني التقرب وقرئ قربانا بضم الراء ﴿بل ضلوا عنهم﴾ غابوا عن نصرهم وامتنع أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال ﴿وذلك افكهم﴾ وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم أى جعلهم آفكين وآفكهم أى قولهم الآفك أى ذوالافك ﴿وما كانوا يفترون واذصرفنا اليك نفرا من الجن﴾ أملناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار ﴿يستمعون القرآن﴾ حال محمولة على المعنى ﴿فلما حضروه﴾ أى القرآن أوالرسول ﴿قالوا أنصتوا﴾ قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه ﴿فلما قضى﴾ أتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ أى منذرين اياهم بماسمعوا * روى أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده ﴿قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا أوماسمعوا بأمر عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿مصدقا لمابين يديه يهدى الى الحق﴾ من العقائد ﴿والى طريق مستقيم﴾ من الشرائع ﴿ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لاتغفر بالايمان ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ هو معد للكفار واحتج أبوحنيفة رضى الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على أن لاثواب لهم والاظهر أنهم فى توابع التكليف كبني آدم ﴿ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز فى الارض﴾ اذلاينجى منه مهرب ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ يمنعونه منه ﴿أولئك فى ضلال مبين﴾ حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن﴾ ولم يتعب ولم يعجز والمعنى أن قدرته واجبة لاتنقص ولاتنقطع بالايجاد أبدالآباد ﴿بقادر على أن يحي الموتى﴾ أى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفى فانه مشتمل على أن ومافى حيزها ولذلك أجاب عنه بقوله ﴿بلى انه على كل شئ قدير﴾ تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدا أراد ختمها باثبات المعاد ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ منصوب بقول مضمر مقوله ﴿أليس هذا بالحق﴾ والاشارة الى العذاب ﴿قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم في الدنيا ومعني الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم ﴿فاصبر كماصبر أولوا العزم من الرسل﴾ أولوالثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض وأولو العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلى الله وسلم عليهم وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ﴿ولاتستعجل لهم﴾ لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لامحالة ﴿كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الاساعة من نهار﴾ استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة ﴿بلاغ﴾ هذا الذى وعظتم به أوهذه السورة بلاغ أى كفاية أوتبليغ من الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده أنه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم ومابينهما اعتراض أى لهم وقت يبلغون اليه كأنهم اذابلغوه ورأوا مافيه استقصروا مدة عمرهم وقرى بالنصب أى بلغوا بلاغا ﴿فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ الخارجون عن الاتعاظ أوالطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآيها سبع أوثمان وثلاثون أوأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ امتنعوا عن الدخول فى الاسلام وسلوك طريقه أومنعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر أوشياطين قريش أوالمصرين من أهل الكتاب أوعام فى جميع من كفر وصد ﴿ أضل أعمالهم ﴾ جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة أى ضائعة محبطة بالكفر أومغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء فى اللبن أوضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله أوأبطل ماعملوه من الكيد لرسوله والصدّ عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من أهل الكتاب وغيرهم ﴿ وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لايتم دونه وأنه الاصل فيه ولذلك أكده بقوله ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيقته بكونه ناسخا لاينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف ﴿ كفر عنهم سيآتهم ﴾ سترها بالايمان وعملهم الصالح ﴿ وأصلح بالهم في الدين ﴾ والدنيا بالتوفيق والتأييد ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى مامر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره ﴿ بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾ بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما أشعر به ماقبلها ولذلك سمى تفسيرا ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الضرب ﴿ يضرب الله للناس ﴾ يبين لهم ﴿ أمثالهم ﴾ أحوال الفريقين أوأحوال الناس أويضرب أمثالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم ﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا ﴾ فى المحاربة ﴿ فضرب الرقاب ﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدّم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بأنه ينبغى أن يكون بضرب الرقاب حيث أمكن وتصوير له بأشنع صورة ﴿ حتى اذا أثخنتموهم ﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الثخين وهو الغليظ ﴿ فشدوا الوثاق ﴾ فأسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر مايوثق به ﴿ فاما منا بعد واما فداء ﴾ أى فاما تمنون منا أوتفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المنّ والاطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا أسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية أومخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل أوالاسترقاق وقرئ فدا كعصا ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ آلاتها وأثقالها التى لاتقوم الابها كالسلاح والكراع أى تنقضى الحرب ولم يبق الامسلم أومسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع أهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب أوالشدّ أوللمنّ والفداء أوللمجموع بمعنى أن هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ذلك ﴾ أى الامر ذلك أوافعلوا بهم ذلك ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ لانتقم منهم بالاستئصال ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعض ﴾ ولكن أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر ﴿ والذين قاتلوا فى سبيل الله ﴾ أى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا أي استشهدوا ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول ﴿ سيهديهم ﴾ الى الثواب أوسيثبت هدايتهم ﴿ ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرّفها لهم ﴾ وقدعرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا مااستحقوها به أوبينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق أوطيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أوحددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة ﴿ ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ ان تنصروا دينه ورسوله ﴿ ينصركم ﴾ على عدوّكم ﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار ﴿ والذين كفروا فتعسا لهم ﴾ فعثورا لهم وانحطاطا ونقضه لعا قال الاعشى * فالتعس أولى بها من أن أقول لعا * وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا أومفسرة لناصبه ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ عطف عليه ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله ﴾ القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال ﴿ فأحبط أعمالهم ﴾ كرره اشعارا بأنه يلزم الكفر بالقرآن ولاينفك عنه بحال

سورة محمد عليه السلام مدنية وهي ثمان وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۞ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۞ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۞

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى
الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ
۞ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ
فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۞ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ
عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا
أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ
لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً
حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۞ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا
خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۞
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۞

﴿أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم﴾ استأصل عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم ﴿وللكافرين﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر ﴿أمثالها﴾ أمثال تلك العاقبة أو العقوبة أو الهلكة لان التدمير يدل عليها أو السنة لقوله تعالى ـ سنة الله التى قد خلت ـ ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا﴾ ناصرهم على أعدائهم ﴿وأن الكافرين لامولى لهم﴾ فيدفع العذاب عنهم وهو لايخالف قوله وردّوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون﴾ ينتفعون بمتاع الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الانعام﴾ حريصين غافلين عن العاقبة ﴿والنار مثوى لهم﴾ منزل ومقام ﴿وكأين من قرية هى أشدّ قوّة من قريتك التى أخرجتك﴾ على حذف المضاف واجراء أحكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب ﴿أهلكناهم﴾ بأنواع العذاب ﴿فلا ناصر لهم﴾ يدفع عنهم العذاب وهو كالحال المحكية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ حجة من عنده وهو القرآن أو مايعمه والحجج العقلية كالنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ كالشرك والمعاصى ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ فى ذلك لاشبهة لهم عليه فضلا عن حجة ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون﴾ أى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وتقدير الكلام أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد أو أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعرى عن حرف الانكار وحذف ماحذف استغناء بجرى مثله تصويرا لمكابرة من يسوّى بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوّى بين الجنة والنار وهو على الاوّل خبر محذوف تقديره أفمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار أو بدل من قوله كمن زين ومابينهما اعتراض لبيان مايمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ استئناف لشرح المثل أو حال من العائد المحذوف أو خبر لمثل وآسن من أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه أو بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير أسن ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ لم يصر قارصا ولا حازرا ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ لذيذة لايكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ أو مصدر نعت به باضمار ذات أو تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لمايقوم مقام الاشربة فى الجنة بأنواع مايستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بمايوجب غزارتها واستمرارها ﴿ولهم فيها من كل الثمرات﴾ صنف على هذا القياس ﴿ومغفرة من ربهم﴾ عطف على الصنف المحذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم مغفرة ﴿كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما﴾ مكان تلك الاشربة ﴿فقطع أمعاءهم﴾ من فرط الحرارة ﴿ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك﴾ يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا ﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾ أى لعلماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم ﴿ماذا قال آنفا﴾ ما الذى قال الساعة استهزاء أو استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير فى قال وقرأ ابن كثير أنفا ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ أى زادهم الله بالتوفيق والالهام أو قول الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿وآتاهم تقواهم﴾ بين لهم مايتقون أو أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها

﴿فهل ينظرون الا الساعة﴾ فهل ينتظرون غيرها ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ بدل اشتمال من الساعة وقوله ﴿فقد جاء أشراطها﴾ كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه ﴿فأني لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها كمبعث النبي عليه الصلاة والسلام وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم أى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة بغتة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك﴾ أى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح أحوالها وأفعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب له ماله تبعة ما بترك الاولى ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ فى الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها ﴿ومثواكم﴾ فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه وأعدوا لمعادكم ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ أى هلا نزلت سورة في أمر الجهاد ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة﴾ مبينة لا تشابه فيها ﴿وذكر فيها القتال﴾ أى الامر به ﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ ضعف فى الدين وقيل نفاق ﴿ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ جبنا ومخافة ﴿فأولى لهم﴾ فويل لهم أفعل من الولي وهو القرب أو فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول اليه أمرهم ﴿طاعة وقول معروف﴾ استئناف أى أمرهم طاعة أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة ﴿فاذا عزم الامر﴾ أى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل ﴿فلو صدقوا الله﴾ أى فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الايمان ﴿لكان﴾ الصدق ﴿خيرا لهم فهل عسيتم﴾ فهل يتوقع منكم ﴿ان توليتم﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الاسلام ﴿أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم﴾ تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى أنهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره أن تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم أى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع ﴿أولئك﴾ اشارة الى المذكورين ﴿الذين لعنهم الله﴾ لافسادهم وقطعهم الارحام ﴿فأصمهم﴾ عن استماع الحق ﴿وأعمى أبصارهم﴾ فلا يهتدون سبيله ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها أمر وقيل أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم أو للاشعار بانها لابهام أمرها في القساوة أو لفرط جهالتها ونكرها كأنها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على أقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ﴿ان الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أى الى ما كانوا عليه من الكفر ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة ﴿الشيطان سوّل لهم﴾ سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه أن السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف أي كيد الشيطان سوّل لهم ﴿وأملى لهم﴾ ومدّ لهم فى الآمال والامانى أو أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأملى لهم أى وأنا أملى لهم فتكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أولهم ﴿ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله﴾ أى قال اليهود الذين كفروا بالنبى عليه الصلاة والسلام بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين أو المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين ﴿سنطيعكم فى بعض الامر﴾ في بعض أموركم أو فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان أخرجوا والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿والله يعلم أسرارهم﴾ ومنها قولهم هذا الذى أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة﴾ فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ﴿ذلك﴾ اشارة الى التوفى الموصوف ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ من الكفر وكتمان نعت الرسول عليه الصلاة والسلام وعصيان الامر ﴿وكرهوا رضوانه﴾ ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات ﴿فأحبط أعمالهم﴾ لذلك

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ
لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ
لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ
۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ
مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ
إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ
مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝ فَهَلْ
عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ
ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۝
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى
بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۝ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟
مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ۞ وَلَوْ
نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ
يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ
شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلَا
تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ ۞ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا
يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۞ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا
فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ۞ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا
يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا
يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۞

﴿أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله﴾ أن لن يبرز الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿أضغانهم﴾ أحقادهم ﴿ولو نشاء لاريناكهم﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه أوامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ﴿ولنبلونكم﴾ بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على مشاقه ﴿ونبلوأخباركم﴾ مايخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبحها أوأخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ أبوبكر الافعال الثلاثة بالياء لتوافق ماقبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ﴿انّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ هم قريظة والنضير أوالمطعمون يوم بدر ﴿لن يضرّوا الله شيأ﴾ بكفرهم وصدّهم أولن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلايصلون بها الى مقاصدهم ولاتثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمنّ والأذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ﴿انّ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم﴾ عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى أصحاب القليب ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه ﴿فلاتهنوا﴾ فلاتضعفوا ﴿وتدعوا الى السلم﴾ ولاتدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولاتدعوا من ادعى بمعنى دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين ﴿وأنتم الأعلون﴾ الأغلبون ﴿والله معكم﴾ ناصركم ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا به من قريب أوحميم فأفردته منه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه ﴿انما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ لا ثبات لها ﴿وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ ثواب ايمانكم وتقواكم ﴿ولايسألكم أموالكم﴾ جميع أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر والعشر ﴿ان يسألكموها فيحفكم﴾ فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله ﴿تبخلوا﴾ فلاتعطوا ﴿ويخرج أضغانكم﴾ ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون أوالبخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ أي أنتم يامخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله ﴿تدعون لتنفقوا فى سبيل الله﴾ استئناف مقرر لذلك أوصلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما ﴿فمنكم من يبخل﴾ ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ﴿ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾ فان نفع الانفاق وضرّ البخل عائدان اليه والبخل يعدي بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق ﴿والله الغنيّ وأنتم الفقراء﴾ فما يأمركم به فهو لاحتياجكم اليه فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم ﴿وان تتولوا﴾ عطف على أن تؤمنوا ﴿يستبدل قوما غيركم﴾ يقم مقامكم قوما آخرين ﴿ثم لايكونوا أمثالكم﴾ في التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه أو الانصار أواليمن أوالملائكة ❊ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية * وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضى لتحققه أو بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك أواخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه أوفتح الروم فانهم غلبوا الفرس فى تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء أى قضينا لك أن تدخل مكة من قابل ﴿ ليغفر لك الله ﴾ علة للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن أيدى الظلمة ﴿ ماتقدّم من ذنبك وماتأخر ﴾ جميع مافرط منك مما يصح أن تعاتب عليه ﴿ ويتمّ نعمته عليك ﴾ باعلاء الدين وضم الملك الى النبوّة ﴿ ويهديك صراطا مستقيما ﴾ فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرئاسة ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ نصرا فيه عز ومنعة أويعزّ به المنصور فوصف بوصفه مبالغة ﴿ هو الذى أنزل السكينة ﴾ الثبات والطمأنينة ﴿ فى قلوب المؤمنين ﴾ حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ﴿ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ﴾ يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أوأنزل فيها السكون الى ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ﴿ ولله جنود السموات والأرض ﴾ يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم أخرى كما تقتضيه حكمته ﴿ وكان الله عليما ﴾ بالمصالح ﴿ حكيما ﴾ فيما يقدّر ويدبر ﴿ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ علة بما بعده لما دلّ عليه قوله تعالى – ولله جنود السموات والأرض – من معنى التدبير أى دبر مادبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلهم الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك أوفتحنا أو أنزل أوجميع ماذكر أوليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ﴿ ويكفر عنهم سيآتهم ﴾ يغطيها ولايظهرها ﴿ وكان ذلك ﴾ أى الادخال والتكفير ﴿ عند الله فوزا عظيما ﴾ لانه منتهى مايطلب من جلب نفع أودفع ضرّ وعند حال من الفوز ﴿ ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل منه ﴿ الظانين بالله ظنّ السوء ﴾ ظنّ الامر السوء وهو أن لاينصر رسوله والمؤمنين ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ دائرة مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لايتخطاهم وقرأ ابن كثير وأبوعمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه مايراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشرّ وكلاهما في الاصل مصدر ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم ﴾ عطف لما استحقوه فى الآخرة على مااستوجبوه فى الدنيا والواو فى الأخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية ﴿ وساءت مصيرا ﴾ جهنم ﴿ ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا ﴾ على أمتك ﴿ ومبشرا ونذيرا ﴾ على الطاعة والمعصية ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والأمة أو لهم على أن خطابه منزل منزلة خطابهم ﴿ وتعزّروه ﴾ وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله ﴿ وتوقروه ﴾ وتعظموه ﴿ وتسبحوه ﴾ وتنزّهوه أوتصلوا له ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ غدوة وعشيا أودائما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الافعال الأربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بالزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا ۞ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ۞ وينصرك الله نصرا عزيزا ۞ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ۞ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ۞ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ۞ ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ۞ انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ۞ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ۞

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ
فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ
فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ
بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ۞ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ
إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ
ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ۞ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ۞ وَلِلَّهِ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۞ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ
إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا
كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ
بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞

﴿ انّ الذين يبايعونك انما يبايعون الله ﴾ لانه المقصود ببيعته ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ حال أو استئناف مؤكد له على سبيل التخييل ﴿ فمن نكث ﴾ نقض العهد ﴿ فانما ينكث على نفسه ﴾ فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله ﴾ في مبايعته ﴿ فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون * والآية نزلت فى بيعة الرضوان ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب ﴾ هم أسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدّوهم ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾ اذ لم يكن لنا من يقوم بأشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير ﴿ فاستغفر لنا ﴾ من الله على التخلف ﴿ يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ﴾ تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيأ ﴾ فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ﴿ ان أراد بكم ضرّا ﴾ مايضركم كقتل أو هزيمة أوخلل فى المال والأهل عقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائى بالضم ﴿ أوأراد بكم نفعا ﴾ مايضاد ذلك وهو تعريض بالردّ ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيرا ﴾ فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا ﴾ لظنكم أن المشركين يستأصلونهم وأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كارضات على أن أصله أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال ﴿ وزين ذلك فى قلوبكم ﴾ فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله أو الشيطان ﴿ وظننتم ظنّ السوء ﴾ الظنّ المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء أوهو وسائر مايظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة ﴿ وكنتم قوما بورا ﴾ هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ﴾ وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل أو لأنها نار مخصوصة ﴿ ولله ملك السموات والأرض ﴾ يدبره كيف يشاء ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ اذ لا وجوب عليه ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى - سبقت رحمتى غضبي - ﴿ سيقول المخلفون ﴾ يعنى المذكورين ﴿ اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ﴾ يعنى مغانم خيبر فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم ﴿ ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدّلوا كلام الله ﴾ أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله تعالى - لن تخرجوا معى أبدا - والظاهر أنه فى تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة ﴿ قل لن تتبعونا ﴾ نفى فى معنى النهى ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أن نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر ﴿ بل كانوا لايفقهون ﴾ لايفهمون ﴿ الا قليلا ﴾ الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول ردّ منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات للحسد والثانى ردّ من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين

﴿ قل للمخلفين من الأعراب ﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ﴿ ستدعون الى قوم أولى بأس شديد ﴾ بني حنيفة أوغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أوالمشركين فانه قال ﴿ تقاتلونهم أويسلمون ﴾ أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أوالاسلام لاغير كما دل عليه قراءة أويسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أويعطى الجزية وهو يدل على امامة أبي بكر رضى الله عنه اذلم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهو ازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية ﴿ فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا ﴾ هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿ وان تتولوا كما توليتم من قبل ﴾ عن الحديبية ﴿ يعذبكم عـذابا أليما ﴾ لتضاعف جرمكم ﴿ ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ﴿ ومن يتول يعـذبه عذابا أليما ﴾ اذالترهيب ههنا أنفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ * روى أنه صلى الله عليـه وسلم لما نزل الحديبية بعث جوّاس بن أمية الخزاعي الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانوا ألفا وثلثمائة أووار بعمائة أووخمسمائة وبايعهم على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة أوسدرة ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾ من الاخلاص ﴿ فأنزل السكينة عليهم ﴾ الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أوالصلح ﴿ وأثابهم فتحا قريبا ﴾ فتح خيبر غبّ انصرافهم وقيل مكة أوهجر ﴿ ومغانم كثيرة يأخذونها ﴾ يعنى مغانم خيبر ﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ غالبا مراعيا مقتضى الحكمة ﴿ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ﴾ وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة ﴿ فعجل لـكم هذه ﴾ يعنى مغانم خيـبر ﴿ وكفّ أيدى الناس عنـكم ﴾ أى أيدى أهل خيبر وخلفائهم من بني أسد وغطفان أوأيدى قريش بالصلح ﴿ ولتـكون ﴾ هذه الـكفة أوالغنيمة ﴿ آية للمؤمنـين ﴾ أمارة يعرفون بها أنهم من الله بمكان أوصدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية أووعـد المغانم أوعنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لـكف أوعجل مثل لتسلموا أولتأخذوا أوالعلة لمحذوف مثل فعـل ذلك ﴿ ويهديكم صراطا مستقيما ﴾ هو الثقة بفضل الله والتوكل عليـه ﴿ وأخرى ﴾ ومغانم أخرى معطوفة على هـذه أومنصوبة بفعل يفسره قد أحاط الله بها مثـل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب ﴿ لم تقدروا عليها ﴾ بعد لما كان فيها من الجولة ﴿ قد أحاط الله بها ﴾ استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن أوفارس ﴿ وكان الله على كل شئ قديرا ﴾ لان قدرته ذاتيـة لاتختص بشئ دون شئ ﴿ ولوقاتلـكم الذين كفروا ﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا ﴿ لولوا الادبار ﴾ لانهزموا ﴿ ثم لايجدون وليا ﴾ يحرسهم ﴿ ولانصيرا ﴾ ينصرهم ﴿ سنة الله التى قد خلت من قبـل ﴾ أى سن غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال تعالى لاغلبن أنا ورسلى ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ تغييرا

قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد
تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا
وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ۞ ليس
على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنت تجرى من تحتها الانهر
ومن يتول يعذبه عذابا أليما ۞ لقد رضى الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحا قريبا ۞ ومغانم كثيرة يأخذونها
وكان الله عزيزا حكيما ۞ وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم
ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ۞
وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله
على كل شئ قديرا ۞ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا
الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا ۞ سنة الله
التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ۞

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ
مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ۞ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ
مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ
مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ
بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا
أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۞ لَقَدْ
صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ
فَتْحًا قَرِيبًا ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۞

﴿ وهو الذى كف أيديهم عنكم ﴾ أى أيدى كفار مكة ﴿ وأيديكم عنهم ببطن مكة ﴾ في داخل مكة ﴿ من بعد أن أظفركم عليهم ﴾ أظهركم عليهم وذلك أن عكرمة ابن أبي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدبن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على أن مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذالسورة نزلت قبله ﴿ وكان الله بما تعملون ﴾ من مقاتلتهم أولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ أبوعمرو بالياء ﴿ بصيرا ﴾ فيجازيهم عليه ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ﴾ يدل على أن ذلك كان عام الحديبية والهدى مايهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذى لايجوز أن ينحر في غيره والالما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أحصر فلاينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدى المحصر هو الحرم ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿ أن تطؤهم ﴾ أن توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد ثابت الهرم وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي صلى الله عليه وسلم بها وأصله الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء أومن ضميرهم في تعلموهم ﴿ فتصيبكم منهم ﴾ من جهتهم ﴿ معرة ﴾ مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا اعراه ما يكرهه ﴿ بغير علم ﴾ متعلق بان تطؤهم أى تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولامحذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم ﴿ ليدخل الله في رحمته ﴾ علة لمادل عليه كف الايدي عن أهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين أى كان ذلك ليدخل الله في رحمته أى في توفيقه لزيادة الخير أو للاسلام ﴿ من يشاء ﴾ من مؤمنيهم أومشركيهم ﴿ لو تزيلوا ﴾ لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ﴾ بالقتل والسبي ﴿ اذجعل الذين كفروا ﴾ مقدر باذكر أوظرف لعذبنا أوصدوكم ﴿ في قلوبهم الحمية ﴾ الانفة ﴿ حمية الجاهلية ﴾ التى تمنع اذعان الحق ﴿ فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ فانزل عليهم الثبات والوقار * وذلك ماروى أنه عليه الصلاة والسلام لماهم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزي ومكرزبن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا مانعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لوكنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت وماقاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام اكتب مايريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحملوا ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ كلمة الشهادة أوبسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارهالهم أوالثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانهاسببها أوكلمة أهلها ﴿ وكانوا أحق بها ﴾ من غيرهم ﴿ وأهلها ﴾ والمستأهلين لها ﴿ وكان الله بكل شئ عليما ﴾ فيعلم أهل كل شئ وييسره له ﴿ لقدصدق رسوله الرؤيا ﴾ رأى عليه الصلاة والسلام أنه وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقدحلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أن ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ماحلقنا ولاقصرنا ولارأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه ﴿ بالحق ﴾ ملتبسا به فان مارآه كائن لامحالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز أن يكون بالحق صفة مصدر محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وأن يكون قسما امابسم الله تعالى أوبنقيض الباطل وقوله ﴿ لتدخلن المسجد الحرام ﴾ جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ﴿ ان شاء الله ﴾ تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد أواشعارابان بعضهم لايدخل لموت أوغيبة أوحكاية لما قاله ملك الرؤيا أوالنبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ﴿ آمنين ﴾ حال من الواو والشرط معترض ﴿ محلقين رؤسكم ومقصرين ﴾ أى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون ﴿ لاتخافون ﴾ حال مؤكدة أواستئناف أى لاتخافون بعد ذلك ﴿ فعلم مالم تعلموا ﴾ من الحكمة في تأخير ذلك ﴿ فجعل من دون ذلك ﴾ من دون دخولكم المسجد أوفتح مكة ﴿ فتحا قريبا ﴾ هو فتح خيبر ليستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الموعود ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ﴾ ملتبسا به أوبسببه أولاجله ﴿ ودين الحق ﴾ وبدين الاسلام ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا أوبتسليط المسلمين على أهله اذمامن أهل دين الاوقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على أن ماوعده كائن أوعلى نبوته باظهار المعجزات

﴿ محمد رسول الله ﴾ جملة مبينة للمشهود به ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف أو مبتدأ ﴿ والذين معه ﴾ معطوف عليه وخبرهما ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴿ تراهم ركعا سجدا ﴾ لانهم مشتغلون بالصلاة فى أكثر أوقاتهم ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ الثواب والرضا ﴿ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ﴾ يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا أعلمه وقد قرئت ممدودة ومن أثر السجود بيانها أو حال من المستكن فى الجار ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الوصف المذكور أو اشارة مبهمة يفسرها كزرع ﴿ مثلهم فى التوراة ﴾ صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها ﴿ ومثلهم في الانجيل ﴾ عطف عليه أى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله ﴿ كزرع ﴾ تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع خبره ﴿ أخرج شطأه ﴾ فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا ﴿ فآزره ﴾ فقواه من المؤازرة وهي المعاونة أو من الايزار وهي الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجره فى آجره ﴿ فاستغلظ ﴾ فصار من الدقة الى الغلظ ﴿ فاستوى على سوقه ﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة ﴿ يعجب الزراع ﴾ بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم بحيث أعجب الناس ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لقوله ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام فتح مكة

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۞

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۞

ان الذين

﴿ سورة الحجرات مدنية وآيها ثمان عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا ﴾ أى لاتقدموا أمرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل مايمكن أو ترك لان المقصود نفى التقديم رأسا أو لاتتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لاتقدموا وقرئ لاتقدموا من القدوم ﴿ بين يدى الله ورسوله ﴾ مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعظيم له واشعار بأنه من الله بمكان يوجب اجلاله ﴿ واتقوا الله ﴾ فى التقديم أو مخالفة الحكم ﴿ ان الله سميع ﴾ لاقوالكم ﴿ عليم ﴾ بأفعالكم ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ﴾ أى اذا كلمتموه فلاتجاوزوا أصواتكم عن صوته ﴿ ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ ولاتبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة الادب وقيل معناه ولاتخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الاتعاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ كراهة أن تحبط فيكون علة للنهى أو لان تحبط على أن النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة * وقد روي أن ثابت بن قيس كان فى أذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يارسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة ﴿ وأنتم لاتشعرون ﴾ أنها محبطة ﴿ ان الذين يغضون أصواتهم ﴾ يخفضونها ﴿ عند رسول الله ﴾ مراعاة للأدب أو مخافة عن مخالفة النهى * قيل كان أبو بكر وعمر بعد ذلك يسرانه حتى يستفهمهما ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف أو للفعل باعتبار الاصل أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لاتظهر الا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا أذابه وميز ابريزه من خبثه ﴿ لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجر عظيم ﴾ لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان أو استئناف لبيان ماهو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم أقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك

﴿ان الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ من خارجها خلفها أو قدّامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على أن المنادى داخل الحجرة اذ لابدّ وأن يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه الصلاة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فأسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يامحمد اخرج الينا وانما أسند الى جميعهم لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أولانه وجد فيما بينهم ﴿أكثرهم لايعقلون﴾ اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم﴾ أى ولوثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما فى حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولاتقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لوخرج لا لأجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم ﴿لكان خيرا لهم﴾ لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بنى العنبر فأطلق النصف وفادى النصف ﴿والله غفور رحيم﴾ حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ فتعرّفوا وتصفحوا * روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدّوا ومنعوا الزكاة فهمّ بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وأن خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا أى فتوقفوا الى أن يتبين لكم الحال ﴿أن تصيبوا﴾ كراهة اصابتكم ﴿قوما بجهالة﴾ جاهلين بحالهم ﴿فتصبحوا﴾ فتصيروا ﴿على مافعلتم نادمين﴾ مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ أن بما فى حيزه ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ماقيد به من الحال وهو قوله ﴿لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم﴾ فانه حال من أحد ضميرى فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى أن فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهى أنكم تريدون أن يتبع رأيكم فى الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم أى لوقعتم فى الجهد من العنت وفيه اشعار بأن بعضهم أشار اليه بالايقاع ببنى المصطلق وقوله ﴿ولكنّ الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكرّه اليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ استدراك ببيان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للايمان وكراهتهم للكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد أو بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله ﴿أولئك هم الراشدون﴾ أى أولئك المستثنون هم الذين أصابوا الطريق السوىّ وكره يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدّد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدى الى آخر بالى أو نزل اليكم منزلة مفعول آخر والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ تعليل لكره أو حبب ومابينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم أو مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام ﴿والله عليم﴾ بأحوال المؤمنين ومابينهم من التفاضل ﴿حكيم﴾ حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى ﴿فان بغت احداهما على الاخرى﴾ تعدّت عليها ﴿فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله﴾ ترجع الى حكمه أو ما أمر به وانما أطلق الفئ على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين ﴿فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بفصل مابينهما على ماحكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة ﴿وأقسطوا﴾ واعدلوا فى كل الامور ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ يحمد فعلهم بحسن الجزاء * والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهي تدل على أن الباغى مؤمن وأنه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فئ الى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ من حيث انهم منتسبون الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم ﴿واتقوا الله﴾ فى مخالفة حكمه والاهمال فيه ﴿لعلكم ترحمون﴾ على تقواكم ﴿يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ﴾ أى لايسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى ـ الرجال قوّامون على النساء ـ وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهنّ لانهنّ توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولاخبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكنّ فهى على هذا ذات خبر ﴿ولاتلمزوا أنفسكم﴾ أى ولايعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أولاتفعلوا ماتلمزون به فان من فعل مايستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ﴿ولاتنابزوا بالالقاب﴾ ولايدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها أتت رسول الله صلى الله عليه

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞

وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يايهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان أبي هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام أوالدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ﴿ومن لم يتب﴾ عمانهى عنه ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أى القبيل فان من الظن مايجب اتباعه كالظن حيث لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى ومايحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومايباح كالظن فى الامور المعاشية ﴿ان بعض الظن اثم﴾ مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها ﴿ولا تجسسوا﴾ ولاتبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار مافيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس * وفى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولوفي جوف بيته ﴿ولايغتب بعضكم بعضا﴾ ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله ﴿فكرهتموه﴾ تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك أوعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولايمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أوالاخ وشدّده نافع ﴿واتقوا الله ان الله توّاب رحيم﴾ لمن اتقى مانهى عنه وتاب ممافرط منه والمبالغة فى التوّاب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أولكثرة المتوب عليهم أولكثرة ذنوبهم * روى أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعامه فقال ماعندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ من آدم وحوّاء عليهما السلام أوخلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلاوجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تقريرا للاخوّة المانعة عن الاغتياب ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل﴾ الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ﴿لتعارفوا﴾ ليعرف بعضكم بعضا لاللتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل بها الاشخاص فمن أراد شرفا فليلتمسه منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقىّ هين على الله ﴿ان الله عليم﴾ بكم ﴿خبير﴾ ببواطنكم ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة وأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون ﴿قل لم تؤمنوا﴾ اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والالما مننتم على الرسول عليه الصلاة والسلام بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام أن يقول لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أولم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ﴿ولما يدخل الايمان فى قلوبكم﴾ توقيت لقولوا فانه حال من ضميره أى ولكن قولوا أسلمنا ولم تواطئ قلوبكم ألسنتكم بعد ﴿وان تطعموا الله ورسوله﴾ بالاخلاص وترك النفاق ﴿لايلتكم من أعمالكم﴾ لاينقصكم من أجورها ﴿شيئا﴾ من لات يليت ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لايالتكم من الألت وهولغة غطفان ﴿ان الله غفور﴾ لمافرط من المطيعين ﴿رحيم﴾ بالتفضل عليهم ﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما أوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا ﴿وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها ﴿أولئك هم الصادقون﴾ الذين صدقوا في ادعاء الايمان ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أتخبرونه به بقولكم آمنا ﴿والله يعلم مافي السموات ومافي الارض والله بكل شئ عليم﴾ لايخفى عليه خافية وهوتجهيل لهم وتوبيخ * روى أنه لما نزلت الآية المتقدّمة جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لايستثيب موليها ممن بذلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن ﴿قل لاتمنوا علىّ اسلامكم﴾ أى باسلامكم فنصب بنزع الخافض أوتضمين الفعل معنى الاعتداد ﴿بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان﴾ على مازعمتم مع أن الهداية لاتستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدلّ عليه ماقبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق الآية لطف وهو أنهم لماسموا ماصدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى أنه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير أن يمنّ به عليك بل لوصح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لالهم ﴿ان الله يعلم غيب السموات والارض﴾ ماغاب فيهما ﴿والله بصير بماتعملون﴾ في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه مافى ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لمافى الآية من الغيبة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ
أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۞
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۞ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۞
يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞

سورة

سورة ق مكية وهى خمس وأربعون اية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ الكلام فيه كما مرّ فى ص والقرآن ذى الذكر والمجيد ذوالمجد والشرف على سائر الكتب أولأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وامتثل أحكامه مجد ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم أحد من جنسهم أومن أبناء جلدتهم ﴿ فقال الكافرون هذا شئ عجيب ﴾ حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعنتهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك أوعطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره مابعده أومجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دلّ عليه منذر ثم تفسيره أوتفصيله لأنه أدخل في الانكار اذ الاوّل استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو أهون مما يشاهدون من صنعه ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا ﴾ أى أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ﴿ ذلك رجع بعيد ﴾ أى بعيد عن الوهم او العادة أوالامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع ﴿ قد علمنا ماتنقص الأرض منهم ﴾ ما تأكل من أجساد موتاهم وهو ردّ لاستبعادهم بازاحة ماهو الأصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام ﴿ وعندنا كتاب حفيظ ﴾ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أومحفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه أوتأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده ﴿ بل كذبوا بالحقّ ﴾ يعني النبوّة الثابتة بالمعجزات أوالنبي صلى الله عليه وسلم أوالقرآن ﴿ لما جاءهم ﴾ وقرئ لما بالكسر ﴿ في أمر مريج ﴾ مضطرب من مرج الخاتم فى أصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن ﴿ أفلم ينظروا ﴾ حين كفروا بالبعث ﴿ الى السماء فوقهم ﴾ الى آثار قدرة الله تعالى فى خلق العالم ﴿ كيف بنيناها ﴾ رفعناها بلا عمد ﴿ وزيناها ﴾ بالكواكب ﴿ وما لها من فروج ﴾ فتوق بأن خلقها ملساء متلاصقة الطباق ﴿ والأرض مددناها ﴾ بسطناها ﴿ وألقينا فيها رواسى ﴾ جبالا ثوابت ﴿ وأنبتنا فيها من كل زوج ﴾ أى من كل صنف ﴿ بهيج ﴾ حسن ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾ راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الأخير ﴿ ونزّلنا من السماء مباركا ﴾ كثير المنافع ﴿ فانبتنا به جنات ﴾ أشجارا وأثمارا ﴿ وحبّ الحصيد ﴾ وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد كالبر والشعير ﴿ والنخل باسقات ﴾ طوالا أوحوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لأجل القاف ﴿ لها طلع نضيد ﴾ منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أوكثرة ما فيه من الثمر ﴿ رزقا للعباد ﴾ علة لأنبتنا أومصدر فان الانبات رزق ﴿ وأحيينا به ﴾ بذلك الماء ﴿ بلدة ميتا ﴾ أرضا جدبة لا نماء فيها ﴿ كذلك الخروج ﴾ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرّس وثمود وعاد وفرعون ﴾ أراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ماقبله ومابعده ﴿ واخوان لوط ﴾ أخدانه لأنهم كانوا أصهاره ﴿ وأصحاب الأيكة وقوم تبع ﴾ سبق فى الحجر والدخان ﴿ كلّ كذّب الرّسل ﴾ أى كل واحد أوقوم منهم أوجميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه ﴿ فحقّ وعيد ﴾ فوجب وحلّ عليه وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿ أفعيينا بالخلق الأوّل ﴾ أى أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عي بالأمر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار ﴿ بل هم فى لبس من خلق جديد ﴾ أى هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الأوّل بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بأنه على وجه غير متعارف ولامعتاد .

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ
هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۞
قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۞ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۞ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا
وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۞ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ
وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
۞ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ
الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِلْعِبَادِ
وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۞ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۞
وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۞
أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ
إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۞ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ
الْوَعِيدِ ۞ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَقَدْ كُنْتَ
فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۞
وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ۞ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ
۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ۞ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ
فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ
فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۞ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ
بِالْوَعِيدِ ۞ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ
۞ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ۞
وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَذَا مَا تُوعَدُونَ
لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ
مُنِيبٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۞

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ﴾ ماتحدّثه به نفسه وهو مايخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها فى صوت بكذا أوللانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعـدية ﴿ ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾ أى ونحن أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد تجوّز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى القرب قال * والموت أدنى لى من الوريد * والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لأن الروح ترده ﴿ اذ يتلقى المتلقيان ﴾ مقدّر باذكر أو متعلق بأقرب أى هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أى يتلقن الحفيظان مايتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه أعلم منهما ومطلع على مايخفى عليهـما لـكنه لحـكمة اقتضته وهي مافيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الأشهاد ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس فحذف الأوّل لدلالة الثانى عليه كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقد يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى ـ والملائكة بعد ذلك ظهير ـ ﴿ مايلفظ من قول ﴾ مايرمى به من فيه ﴿ الا لديه رقيب ﴾ ملك يرقب عمله ﴿عتيد﴾ معدّ حاضر ولعله يكتب عليه مافيه ثواب أوعقاب وفى الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعـله يسبح أويستغفر ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحقّ ﴾ لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بأن عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدّته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر أو الموعود الحق أوالحق الذى ينبغى أن يكون من الموت أوالجزاء فان الانسان خلق له أومثل الباء فى تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على أنها لشدتها اقتضت الزهوق أولاستعقابها له كأنها جاءت به أوعلى أن الباء بمعنى مع وقيـل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ﴿ ذلك ﴾ أى الموت ﴿ ما كنت منه تحيد ﴾ تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ يعنى نفخة البعث ﴿ ذلك يوم الوعيد ﴾ أى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ ملـكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله أوملك جامع للوصـفين وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أوقرينه والشهيد جوارحه أوأعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ماهو فى حكم المعرفة ﴿ لقد كنت فى غفلة من هذا ﴾ على اضمار القول والخطاب لـكل نفس اذ مامن أحد الا وله اشتغال ما عن الآخرة أوللـكافر ﴿ فـكشفنا عنك غطاءك ﴾ الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغـفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ نافذ لزوال المانع للابصار * وقيل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمعنى كنت في غفـلة من أمر الديانة فـكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى مالايرون وتعلم مالايعلمون ويؤيد الاوّل قراءة من كسر التاء والـكافات على خطاب النفس ﴿ وقال قرينه ﴾ قال الملك الموكل عليه ﴿ هذا ما لدىّ عتيد ﴾ هـذا ماهو مكتوب عندى حاضر لديّ أوالشيطان الذى قيض له هذا ماعندى وفى ملـكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضـلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها أوخبر بعد خبر أوخبر محذوف ﴿ ألقيا فى جهنم كلّ كفار ﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أولملـكين من خزنة النار أو لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

أوالا لف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصـل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرئ ألقين بالنون الخفيفة ﴿غنيـد﴾ معاند للحق ﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه عنه ﴿معتد﴾ متعدّ ﴿مريب﴾ شاكّ فى الله وفي دينه ﴿ الذي جعل مع الله الها آخر ﴾ مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره ﴿ فألقياه فى العذاب الشديد ﴾ أوبدل من كل كفار فيكون فألقياه تكريرا للتوكيد أومفعول لمضمر يفسره فألقياه ﴿قال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دلّ عليه ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ كأن الـكافر قال هو أطغانى فقال قرينـه ربنا ماأطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ماقبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملـكين وقول قرينه ﴿ ولـكن كان فى ضلال بعيد ﴾ فأعنته عليه فان اغواء الشياطين انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال تعالى ـ وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴿قال﴾ أى الله تعالى ﴿ لاتختصموا لدىّ ﴾ أى فى موقف الحساب فانه لافائدة فيه وهو استئناف مثل الأوّل ﴿ وقد قدّمت اليكم بالوعيد ﴾ على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلم يبق لـكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى أى لاتختصموا عالمين بأني أوعدتكم والباء مزيدة أومعـدية على أن قدم بمعنى تقدم ويجوز أن يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ﴿ مايبدّل القول لدىّ ﴾ أي بوقوع الخلف فيه فلاتطمعوا أن أبدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيـد ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ فأعذّب من ليس لى تعذيبه ﴿ يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ﴾ سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى أنها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى ـ لأملأن جهنم ـ أوأنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أوأنها من شدّة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم وقرأ نافع وأبوبكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد أومفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر أوظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلايفتقر الى تقدير مضاف ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين ﴾ قرّبت لهم ﴿ غيرَ بعيد ﴾ مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف أى شيأ غير بعيد أوعلى زنة المصدر أولأن الجنة بمعني البستان ﴿ هذا ماتوعدون ﴾ على اضمار القول والاشارة الى الثواب أومصدر أزلفت

وقرأ ابن كثير بالياء ﴿ لكل أوّاب ﴾ رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار ﴿حفيظ﴾ حافظ لحدوده ﴿ من خشى الرّحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ بدل بعد بدل أوبدل من موصوف أوّاب ولايجوز أن يكون فى حكمه لأن من لايوصف به أومبتدأ خبره ﴿ادخلوها﴾ على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل أوالمفعول أوصفة لمصدر أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب أوالعقاب بعد غيب أوهو غائب عن الأعين لايراه أحد وتخصيص الرحمن للاشعار بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه أوبأنهم يخشون مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله ﴿ بسلام ﴾ سالمين من العذاب وزوال النعم أومسلما عليكم من الله وملائكته ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ يوم تقدير الخلود كقوله تعالى ـ فادخلوها خالدين ـ

﴿ لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد ﴾ وهو مالايخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ﴿ وكم أهلكنا قبلهم ﴾ قبل قومك ﴿ من قرن هم أشدّ منهم بطشا ﴾ قوّة كعاد وثمود وفرعون ﴿ فنقبوا فى البلاد ﴾ نخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها أوجالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثانى لمجرد التعقيب وأصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه ﴿ هل من محيص ﴾ أى لهم من الله أومن الموت وقيل الضمير فى نقبوا لأهل مكة أى ساروا فى أسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لأنفسهم ويؤيده أنه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم ﴿انّ فى ذلك﴾ فيما ذكر في هذه السورة ﴿ لذكرى ﴾ لتذكرة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ أى قلب واع يتفكر فى حقائقه ﴿ أوألقى السمع ﴾ أى أصغى لاستماعه ﴿ وهو شهيد ﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه أوشاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه

لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد ۞ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص ۞ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ۞ ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ۞ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ۞ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ۞ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ۞ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ۞ انا نحن نحيي ونميت والينا المصير ۞ يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير ۞ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ۞

سورة الذاريات مكية وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا ۞ فالحاملات وقرا ۞ فالجاريات يسرا ۞ فالمقسمات أمرا ۞ انما توعدون لصادق ۞ وان الدين لواقع ۞

تفخيم واشعار بأن كل قلب لايتفكر ولايتدبر كلا قلب ﴿ ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ﴾ مرّ تفسيره مرارا ﴿ وما مسنا من لغوب ﴾ من تعب واعياء وهو ردّ لما زعمت اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش ﴿ فاصبر على مايقولون ﴾ مايقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم أو مايقول اليهود من الكفر والتشبيه ﴿وسبح بحمد ربك﴾ ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما أنعم عليك من اصابة الحق وغيرها ﴿ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ﴿ومن الليل فسبحه ﴾ أى وسبحه بعض الليل ﴿ وأدبار السجود ﴾ وأعقاب الصلوات جمع دبر من أدبر وقرأ الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت ۞ وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء ﴿واستمع﴾ لما أخبرك به من أحوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به ﴿يوم ينادي المناد ﴾ اسرافيل أوجبريل عليهما الصلاة والسلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة انّ الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء ولعله فى الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دلّ عليه يوم الخروج ﴿ يوم يسمعون الصيحة ﴾ بدل منه والصيحة النفخة الثانية ﴿بالحقّ ﴾ متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ من القبور وهو من أسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد ﴿ انا نحن نحيي ونميت ﴾ فى الدنيا ﴿ والينا المصير ﴾ للجزاء فى الآخرة ﴿ يوم تشقق ﴾ تتشقق وقرئ تنشق وقرأ عاصم وحمزة والكسائى وخلف وأبو عمرو بتخفيف الشين ﴿ الأرض عنهم سراعا ﴾ مسرعين ﴿ ذلك حشر ﴾ بعث وجمع ﴿ علينا يسير ﴾ هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لايتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لايشغله شأن عن شأن كما قال الله تعالى ـ ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة ـ ﴿ نحن أعلم بما يقولون ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ بمسلط تقسرهم على الايمان أوتفعل بهم ماتريد وانما أنت داع ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ فانه لاينتفع به غيره ۞ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته والله أعلم

﴿ سورة والذاريات مكية وآيها ستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾

﴿ والذّاريات ذروا ﴾ يعنى الرياح تذرو التراب وغيره أوالنساء الولود فانهنّ يذرين الأولاد أوالاسباب التي تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ أبوعمرو وحمزة بادغام التاء في الذال ﴿ فالحاملات وقرا ﴾ فالسحب الحاملة للامطار أوالرياح الحاملة للسحاب أوالنساء الحوامل أوأسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ﴿ فالجاريات يسرا ﴾ فالسفن الجارية فى البحر سهلا أوالرياح الجارية فى مهابها أوالكواكب التى تجرى فى منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف أى جريا ذا يسر ﴿فالمقسمات أمرا ﴾ الملائكة التى تقسم الامور من الأمطار والأرزاق وغيرها أومايعمهم وغيرهم من أسباب القسمة أو الريح يقسمن الأمطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الرياح مثلا تذرو الأبخرة الى الجوّ حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث أمرت به فتقسم المطر ﴿انما توعدون لصادق وانّ الدّين لواقع﴾ جواب القسم كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث للجزاء الموعود وما موصولة أومصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل

﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هي مسير الكواكب أوالمعقولة التى يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف أوالنجوم فان لها طرائق أوأنها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشى جمع حبيكة كطريقة وطرق أوحباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق ﴿ انكم لفى قول مختلف ﴾ فى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون أوفى القرآن أوالقيامة أوأمر الديانة ولعل النكتة في هـذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ يصرف عنه والضمير للرسول أوالقرآن أوالايمان من صرف اذلاصرف أشد منه فكأنه لاصرف بالنسبة اليه أويصرف من صرف فى علم الله وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من أفك عن القول المختلف وبسببه كقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ أفك بالفتح أى من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان ﴿ قتل الخرّاصون ﴾ الكذابون من أصحاب القول المختلف وأصله الدعاء بالقتل أجرى مجري اللعن ﴿ الذين هم فى غمرة ﴾ فى جهل يغمرهم ﴿ساهون﴾ غافلون عما أمروا به ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أى فيقولون متى يوم الجزاء أى وقوعه وقرئ ايان بالكسر ﴿ يوم هم على النار يفتنون﴾ يحرقون جواب للسؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون أوهو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه أنه قرئ بالرفع ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ أى مقولا لهم هذا القول ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ هذا العذاب هو الذى كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم ﴾ قابلين لما أعطاهم راضين به ومعناه أن كل ما آتاهم حسن مرضى متلق بالقبول ﴿ انهم كانوا قبل ذلك محسنين ﴾ قد أحسنوا أعمالهم

٥٢٢ سورة الذاريات

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۞ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۞ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۞ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۞ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۞ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۞ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ۞ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ۞ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۞ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۞ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۞ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۞ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۞

قال

وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك ﴿ كانوا قليلا من الليل مايهجعون ﴾ تفسير لاحسانهم وما مزيدة أي يهجعون فى طائفة من الليل أويهجعون هجوعا قليلا أومصدرية أوموصولة أى فى قليل من الليل هجوعهم أومايهجعون فيه ولايجوز أن تكون نافية لان مابعدها لايعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما ﴿ وبالاسحارهم يستغفرون ﴾ أى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم أحقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه ﴿وفى أموالهم حق﴾ نصيب يستوجبونه على أنفسهم تقرّبا الى الله واشفاقا على الناس ﴿ للسائل والمحروم ﴾ للمستجدى والمتعفف الذى يظن غنيا فيحرم الصدقة ﴿ وفى الارض آيات للموقنين ﴾ أي فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوانات أووجوه دلالات من الدحوّ والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف أجزائها فى الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته ﴿ وفى أنفسكم ﴾ أى وفى أنفسكم آيات اذما فى العالم شئ الاوفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوّعة ﴿أفلاتبصرون﴾ تنظرون نظر من يعتبر ﴿ وفى السماء رزقكم ﴾ أسباب رزقكم أوتقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ﴿ وماتوعدون ﴾ من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة أولان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدّرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره ﴿ فورب السماء والارض انه لحق ﴾ وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاوّل يحتمل أن يكون له ولما ذكر من أمر الآيات والرزق والوعد ﴿ مثل ما أنكم تنطقون ﴾ أى مثل نطقكم كما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لاتشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق أوالوصف لمصدر محذوف أى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنىّ على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وأن بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وأبى بكر بالرفع ﴿ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم ﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه أوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف ﴿ المكرمين ﴾ أى مكرمين عند الله أوعند ابراهيم اذخدمهم بنفسه وزوجته ﴿ اذدخلوا عليه ﴾ ظرف للحديث أوالضيف أوالمكرمين ﴿ فقالوا سلاما ﴾ أى نسلم عليك سلاما ﴿قال سلام﴾ أي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد ﴿ قوم منكرون ﴾ أى أنتم قوم منكرون وانما أنكرهم لانه ظن أنهم بنوآدم ولم يعرفهم أولان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم ﴿ فراغ الى أهله ﴾ فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذرا من أن يكفه الضيف أويصير منتظرا ﴿ فجاء بعجل سمين ﴾ لانه كان عامة ماله البقر ﴿ فقرّبه اليهم ﴾ بأن وضعه بين أيديهم ﴿ قال ألاتأكلون ﴾ أى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الأدب ان قاله أوّل ماوضعه وللانكار ان قاله حينما رأي اعراضهم ﴿فاوجس منهم خيفة﴾ فأضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاؤه لشرّ وقيل وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب ﴿ قالوا لاتخف ﴾ انارسل الله قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتي لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ﴿ وبشروه بغلام ﴾ هو اسحق عليه السلام ﴿ عليم ﴾ يكمل علمه اذابلغ ﴿ فأقبلت امرأته ﴾ سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم ﴿ فى صرة ﴾ فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال أوالمفعول ان أوّل فاقبلت بأخذت ﴿ فصكت وجهها ﴾ فلطمت بأطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد ﴿ قالوا كذلك ﴾ مثل ذلك الذى بشرنا به ﴿ قال ربك ﴾ وانما نخبرك به عنه ﴿ انه هو الحكيم العليم ﴾ فيكون قوله حقا وفعله محكما

قال فما خطبكم أيها المرسلون ۞ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين
۞ لنرسل عليهم حجارة من طين ۞ مسومة عند ربك للمسرفين ۞
فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ۞ فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين ۞ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ۞
وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ۞ فتولى بركنه
وقال ساحر أو مجنون ۞ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
وهو مليم ۞ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ۞
ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ۞ وفي ثمود إذ قيل
لهم تمتعوا حتى حين ۞ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة
وهم ينظرون ۞ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين
۞ وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ۞ والسماء
بنيناها بأيد وإنا لموسعون ۞ والأرض فرشناها فنعم
الماهدون ۞ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
۞ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ۞ ولا تجعلوا
مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين ۞

﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴾ لما علم أنهم ملائكة وانهم لاينزلون مجتمعين الالامر عظيم سأل عنه ﴿ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين ﴾ يعنون قوم لوط ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين ﴾ يريد السجيل فانه طين متحجر ﴿ مسومة عند ربك ﴾ مرسلة من أسمت الماشية أومعلمة من السومة وهي العلامة ﴿ للمسرفين ﴾ المجاوزين الحد في الفجور ﴿ فأخرجنا من كان فيها ﴾ في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة ﴿ من المؤمنين ﴾ ممن آمن بلوط ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾ غير أهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لايقتضى الامن صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لايقتضى اتحادمفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة ﴿ وتركنا فيها آية ﴾ علامة ﴿ للذين يخافون العذاب الاليم ﴾ فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار أوصخر منضود فيها أوماء أسود منتن ﴿ وفى موسى ﴾ عطف على وفي الارض أوتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * ﴿ اذأرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ﴾ هو معجزاته كالعصا واليد ﴿ فتولى بركنه ﴾ فأعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه أوفتولى بما كان يتقوّى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف ﴿ وقال ساحر ﴾ أي هو ساحر ﴿ أومجنون ﴾ كأنه جعل ماظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في أنه حصل ذلك باختياره وسعيه أو بغيرهما ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ فأغرقناهم فى البحر ﴿ وهو مليم ﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فأخذناه ﴿ وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ سماها عقيما لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أولانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور أوالجنوب أوالنكباء ﴿ ماتذر من شئ أتت ﴾ مرت ﴿ عليه الاجعلته كالرميم ﴾ كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت ﴿ وفى ثمود اذقيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴿ فعتوا عن أمر ربهم ﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿ فأخذتهم الصاعقة ﴾ أى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق ﴿ وهم ينظرون ﴾ اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار ﴿ فما استطاعوا من قيام ﴾ كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل من قولهم مايقوم به اذاعجز عن دفعه ﴿ وما كانوا منتصرين ﴾ ممتنعين منه ﴿ وقوم نوح ﴾ أى وأهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه أواذكر ويجوز أن يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة أبى عمرو وحمزة والكسائى بالجر ﴿ من قبل ﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾ بقوّة ﴿ وانا لموسعون ﴾ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أولموسعون السماء أوما بينها وبين الارض أوالرزق ﴿ والارض فرشناها ﴾ مهدناها لتستقروا عليها ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أى نحن ﴿ ومن كل شئ ﴾ من الاجناس ﴿ خلقنا زوجين ﴾ نوعين ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتعلمون أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام ﴿ ففروا الى الله ﴾ من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة ﴿ اني لكم منه ﴾ أى من عذابه المعدّ لمن أشرك أوعصى ﴿ نذير مبين ﴾ بين كونه منذرا من الله بالمعجزات أومبين مايجب أن يحذر عنه ﴿ ولاتجعلوا مع الله الها آخر ﴾ افراد لاعظم مايجب أن يفرّ منه ﴿ انى لكم منه نذير مبين ﴾ تكرير للتأكيد أوالاوّل مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك

﴿ كذلك ﴾ أي الأمر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا أومجنونا وقوله ﴿ ماأتى الذين من قبلهم من رسول الاقالوا ساحر أومجنون ﴾ كالتفسير له ولايجوز نصبه بأتى أومايفسره لان مابعد ماالنافية لايعمل فيما قبلها ﴿ أتواصوابه ﴾ أى كأن الاولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ اضراب عن أن التواصى جامعهم لتباعد أيامهم الى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه ﴿ فتول عنهم ﴾ فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد ﴿ فما أنت بملوم ﴾ على الاعراض بعد مابذلت جهدك فى البلاغ ﴿ وذكر ﴾ ولاتدع التذكير والموعظة ﴿ فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ من قدر الله ايمانه أومن آمن فانه يزداد بها بصيرة ﴿وماخلقت الجن والانس الاليعبدون﴾ لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيابها مبالغة فى ذلك ولوحمل على ظاهره مع أن الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الالأمرهم بالعبادة أوليكونوا عبادا لى ﴿ ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون ﴾ أى ماأريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل أن يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ﴿ان الله هو الرزاق ﴾ الذى يرزق كل مايفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى أنا الرزاق ﴿ ذوالقوة المتين﴾ شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة ﴿ فان للذين ظلموا ذنوبا ﴾ أى للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب ﴿ مثل ذنوب أصحابهم ﴾ مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء ﴿فلايستعجلون ﴾ جواب لقولهم ـ متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ـ ﴿ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ من يوم القيامة أويوم بدر * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

﴿ سورة والطور مكية وآيها تسع أوثمان وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * والطور ﴾ يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية أوماطار من أوج الايجاد الى حضيض المواد أومن عالم الغيب الى عالم الشهادة ﴿وكتاب مسطور ﴾ مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أوما كتبه الله فى اللوح المحفوظ أوألواح موسى عليه السلام أوفى قلوب أوليائه من المعارف والحكم أوماتكتبه الحفظة ﴿فى رق منشور ﴾ الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس ﴿ والبيت المعمور ﴾ يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين أوالضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة أوقلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعنى السماء ﴿والبحر المسجور ﴾ أي المملوء وهو المحيط أوالموقد من قوله ـ واذا البحار سجرت ـ * روى أنه تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا يسجر بها نار جهنم أوالمختلط من السجير وهو الخليط ﴿ ان عذاب ربك لواقع ﴾ لنازل ﴿ ماله من دافع ﴾ يدفعه ووجه دلالة هذه الأمور المقسم بها على ذلك أنها أمور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وصدق أخباره وضبطه أعمال العباد للمجازاة ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ تضطرب والمور تردد فى المجىء والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف ﴿ وتسير الجبال سيرا ﴾ أى تسير عن وجه الارض فتصير هباء ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ أى اذا وقع ذلك فويل لهم ﴿ الذين هم فى خوض يلعبون ﴾ أى فى الخوض فى الباطل ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ يدفعون اليها دفعا بعنف وذلك بان تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم بدل من يوم تمور أوظرف لقول مقدر محكيه ﴿ هذه النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ أى يقال لهم ذلك

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ۞ أتواصوا به بل هم قوم طاغون ۞ فتول عنهم فما أنت بملوم ۞ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ۞ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ۞ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ۞ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ۞ فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ۞ فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون ۞

سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور ۞ وكتاب مسطور ۞ فى رق منشور ۞ والبيت المعمور ۞ والسقف المرفوع ۞ والبحر المسجور ۞ ان عذاب ربك لواقع ۞ ما له من دافع ۞ يوم تمور السماء مورا ۞ وتسير الجبال سيرا ۞ فويل يومئذ للمكذبين ۞ الذين هم فى خوض يلعبون ۞ يوم يدعون الى نار جهنم دعا ۞ هذه النار التى كنتم بها تكذبون ۞

أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ۞ اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا
سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ۞ إن المتقين في جنات
ونعيم ۞ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم ۞ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ۞ متكئين
على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ۞ والذين آمنوا
واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم
من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ۞ وأمددناهم
بفاكهة ولحم مما يشتهون ۞ يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها
ولا تأثيم ۞ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون
۞ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ۞ قالوا إنا كنا قبل
في أهلنا مشفقين ۞ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ۞
إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم ۞ فذكر فما
أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ۞ أم يقولون شاعر
نتربص به ريب المنون ۞ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين
۞ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ۞

﴿أفسحر هذا﴾ أى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفهذا المصداق أيضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ﴿أم أنتم لاتبصرون﴾ هذا أيضا كما كنتم لاتبصرون في الدنيا مايدلّ عليه وهو تقريع وتهكم أوأم سدّت أبصاركم كما سدّت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت أبصارنا ﴿اصلوها فاصبروا أولاتصبروا﴾ أى ادخلوها على أى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لامحيص لكم عنها ﴿سواء عليكم﴾ أى الامران الصبر وعدمه ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم﴾ في أية جنات وأى نعيم أوفي جنات ونعيم مخصوصة بهم ﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ وقرئ فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على آتاهم ان جعل مامصدرية أوفى جنات أوحال باضمار قد من المستكن فى الظرف أوالحال أومن فاعل آتي أومفعوله أومنهما ﴿كلوا واشربوا هنيأ﴾ أى أكلا وشربا هنيأ أوطعاما وشرابا هنيأ وهو الذى لاتنغيص فيه ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أوبدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيأ والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاؤه ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ مصطفة ﴿وزوّجناهم بحور عين﴾ الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق أوللسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن أولما فى التزوج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف ﴿والذين آمنوا﴾ على حور أى قرناهم بأزواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله ﴿واتبعتهم ذريتهم بايمان﴾ اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير أوالذرية أومنهما وتنكيره للتعظيم أوالاشعار بانه يكفى الالحاق المتابعة في أصل الايمان ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ فى دخول الجنة أوالدرجة * لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقرّ بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم ﴿وما ألتناهم﴾ ومانقصناهم ﴿من عملهم من شئ﴾ بهذا الالحاق فانه كان يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أوباعطاء الابناء بعض مثوباتهم ويحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ بعمله مرهون عند الله تعالى فان عمل صالحا فكه والا أهلكه ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم ممايشتهون﴾ أى وزدناهم وقتا بعد وقت مايشتهون من أنواع التنعم ﴿يتنازعون فيها﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب ﴿كأسا﴾ خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير فى قوله ﴿لالغو فيها ولاتاثيم﴾ أى لايتكلمون بلغو الحديث في أثناء شربها ولايفعلون مايؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله تعالى لافيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ﴿ويطوف عليهم﴾ أى بالكأس ﴿غلمان لهم﴾ أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم * وعنه صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يسال بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله ﴿قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين﴾ خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة ﴿فمنّ الله علينا﴾ بالرحمة والتوفيق ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد ﴿انا كنا من قبل﴾ من قبل ذلك في الدنيا ﴿ندعوه﴾ نعبده أونساله الوقاية ﴿انه هو البر﴾ المحسن وقرأ نافع والكسائى أنه بالفتح ﴿الرحيم﴾ الكثير الرحمة ﴿فذكر﴾ فاثبت على التذكير ولاتكترث بقولهم ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ بحمد الله وانعامه ﴿بكاهن ولامجنون﴾ كما يقولون ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ مايقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه ﴿قل تربصوا فاني معكم من المتربصين﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ﴿أم تامرهم أحلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا﴾ بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولايأتى ذلك من المجنون وأمر الاحلام به مجاز عن أدائها اليه ﴿أم هم قوم طاغون﴾ مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم

﴿أم يقولون تقوّله﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بل لايؤمنون﴾ فيرمونه بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ مثل القرآن ﴿ان كانوا صادقين﴾ في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدّوا فصحاء فهو ردّ للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز أن يكون ردّا للتقوّل فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ﴿أم خلقوا من غير شئ﴾ أم أحدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لايعبدونه أومن أجل لاشئ من عبادة ومجازاة ﴿أم هم الخالقون﴾ يؤيد الاول فان معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله ﴿أم خلقوا السموات والارض﴾ وأم في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ﴿بل لايوقنون﴾ اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوّة من شاؤا أوخزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ﴿أم هم المصيطرون﴾ الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاى والباقون بالصاد خالصة ﴿أم لهم سلم﴾ مرتقى الى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ صاعدين فيه الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لايعد من العقلاء فضلا أن يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ﴿أم تسألهم أجرا﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فهم من مغرم﴾ من التزام غرم ﴿مثقلون﴾ محملون الثقل فلذلك زهدوا فى اتباعك ﴿أم عندهم الغيب﴾ اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات ﴿فهم يكتبون﴾ منه ﴿أم يريدون كيدا﴾ وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فالذين كفروا﴾ يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور ﴿هم المكيدون﴾ هم الذين يحيق بهم الكيد أويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ﴿أم لهم اله غير الله﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سبحان الله عمايشركون﴾ عن اشراكهم أوشركة مايشركونه به ﴿وان يروا كسفا﴾ قطعة ﴿من السماء ساقطا يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فأسقط علينا كسفا من السماء ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون﴾ وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه أوأصعقه ﴿يوم لايغنى عنهم كيدهم شيا﴾ أى شيأ من الاغناء فى رد العذاب ﴿ولاهم ينصرون﴾ يمنعون من عذاب الله ﴿وان للذين ظلموا﴾ يحتمل العموم والخصوص ﴿عذابا دون ذلك﴾ أى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر أو المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ﴿ولكنّ أكثرهم لايعلمون﴾ ذلك ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بامهالهم وابقائك فى عنائهم ﴿فانك باعيننا﴾ فى حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ من أى مكان قمت أومن منامك أوالى الصلاة ﴿ومن الليل فسبحه﴾ فان العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل ﴿وادبار النجوم﴾ واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح أي فى أعقابها اذا غربت أوخفيت *عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ۞ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صدقين ۞ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخلقون ۞ أم خلقوا السموت والأرض بل لا يوقنون ۞ أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ۞ أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطن مبين ۞ أم له البنت ولكم البنون ۞ أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ۞ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ۞ أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ۞ أم لهم إله غير الله سبحن الله عما يشركون ۞ وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ۞ فذرهم حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون ۞ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ۞ وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ۞ ومن اليل فسبحه وإدبار النجوم ۞

سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون آية

بسم الله

﴿ سورة والنجم مكية وآيها احدى أو اثنتان وستون اية ﴾

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ والنجم اذا هوى ﴾ أقسم بجنس النجوم أوالثريا فانه غلب فيها اذا غرب أوانتثر يوم القيامة أوانقض أوطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد أوبالنجم من نجوم القرآن اذا نزل أوالنبات اذا سقط على الارض أو اذا نما وارتفع على قوله ﴿ ماضلّ صاحبكم ﴾ ماعدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش ﴿ وما غوى ﴾ وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفي ماينسبون اليه ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ﴿ ان هو ﴾ ما القرآن أوالذي ينطق به ﴿ الا وحي يوحى ﴾ أي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له وأجيب عنه بانه اذا أوحى اليه بأن يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لأن ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي ﴿ علمه شديد القوى ﴾ ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق * روى أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ﴿ ذو مرّة ﴾ حصافة في عقله ورأيه ﴿فاستوى﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها * قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرّتين مرّة في السماء ومرّة في الأرض وقيل استوى بقوّته على ماجعل له من الأمر ﴿ وهو بالأفق الأعلى ﴾ في أفق السماء والضمير لجبريل عليه السلام ﴿ ثمّ دنا ﴾ من النبي عليه الصلاة والسلام ﴿فتدلى﴾ فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلى الله عليه وسلم وقيل ثم تدلى من الافق الأعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بأنه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدّة قوّته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق ﴿فكان﴾ جبريل عليه السلام كقولك هو مني معقد الازار أوالمسافة بينهما ﴿ قاب قوسين ﴾ مقدارهما ﴿أوأدنى﴾ على تقديركم كقوله أويزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفي البعد الملبس ﴿ فأوحى ﴾ جبريل عليه السلام ﴿ الى عبده ﴾ عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ﴿ ما أوحى ﴾ جبريل عليه السلام وفيه تفخيم للموحى به أوالله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنيّ بشديد القوى كما في قوله تعالى ـ انّ الله هو الرّزاق ذو القوّة المتين ـ ودنوّه منه برفع مكانه وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ﴿ ما كذب الفؤاد مارأى ﴾ مارأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام أوالله تعالى أى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك أوّلا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر أوماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولوقال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى أنه لم يكن تخيلا كاذبا * ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى وقرأ هشام ما كذب أى صدقه ولم يشك فيه ﴿ أفتمارونه على مايرى ﴾ أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى وخلف ويعقوب أفتمرونه أى أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أوأفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بأن الرؤية في هذه المرة كانت أيضا بنزول ودنوّ والكلام في المرئى والدنو ماسبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ التي ينتهى اليها أعمال الخلائق وعلمهم أوماينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها * وروى مرفوعا أنها في السماء السابعة ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ الجنة التي يأوى اليها المتقون أوأرواح الشهداء ﴿ اذيغشى السدرة مايغشى ﴾ تعظيم وتكثير لمايغشاها بحيث لايكتنهها نعت ولايحصيها عدّ وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ﴿ مازاغ البصر ﴾ ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿وماطغى﴾ وماتجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أوماعدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وماجاوزها ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ أى والله لقدرأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات على أن المفعول محذوف أى شيأ من آيات ربه أومن مزيدة ﴿ أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الاخرى ﴾ هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف أولقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها أى يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى بالتشديد سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أولثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة وهي مفعلة من النوء فانهم كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الأخرى صفتان للتأكيد كقوله تعالى ـ يطير بجناحيه ـ أو الاخرى من التأخر في الرتبة ﴿ألكم الذّكر وله الأنثى﴾ انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هنّ بناته أوهيا كل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله أفرأيتم ﴿ تلك اذا قسمة ضيزى ﴾ جائرة حيث جعلتم له ماتستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به ﴿ إن هي الا أسماء ﴾ الضمير للاصنام أى ماهي باعتبار الالوهية الا أسماء تطلقونها عليها لانهم يقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية أوللصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء أوللاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق أن يتقرّب اليها بالقرابين ﴿سميتموها﴾ سميتم بها

الجزء السابع والعشرون ٥٢٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ اِذَا هَوٰى ۝ مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوٰى ۝ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى ۝ اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحٰى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوٰى ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى ۝ وَهُوَ بِالْاُفُقِ الْاَعْلٰى ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلّٰى ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنٰى ۝ فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِه۪ مَا اَوْحٰى ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَاٰى ۝ اَفَتُمَارُونَهُ عَلٰى مَا يَرٰى ۝ وَلَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً اُخْرٰى ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَاْوٰى ۝ اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى ۝ لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى ۝ اَفَرَاَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزّٰى ۝ وَمَنٰوةَ الثَّالِثَةَ الْاُخْرٰى ۝ اَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْاُنْثٰى ۝ تِلْكَ اِذًا قِسْمَةٌ ضِيزٰى ۝ اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ اِنْ يَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدٰى ۝ اَمْ لِلْاِنْسَانِ مَا تَمَنّٰى ۝ فَلِلّٰهِ الْاٰخِرَةُ وَالْاُولٰى ۝ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْـًٔا اِلَّا مِنْ بَعْدِ اَنْ يَاْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضٰى ۝

﴿ أنتم وآباؤكم ﴾ بهواكم ﴿ ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ برهان تتعلقون به ﴿ ان يتبعون ﴾ وقرئ بالتاء ﴿ الا الظنّ ﴾ الا توهم أن ماهم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا ﴿ وماتهوى الأنفس ﴾ وماتشتهيه أنفسهم ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ الرسول أوالكتاب فتركوه ﴿ أم للانسان ماتمنى ﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل مايتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم ـ لئن رجعت الى ربى انّ لى عنده للحسنى ـ وقولهم ـ لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ ونحوهما ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾ يعطى منهما مايشاء لمن يريد وليس لأحد أن يتحكم عليه فى شئ منهما ﴿ وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ ﴾ وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم شيأ ولاتنفع ﴿ الا من بعد أن يأذن الله ﴾ فى الشفاعة ﴿ لمن يشاء ﴾ من الملائكة أن يشفع أومن الناس أن يشفع له ﴿ ويرضى ﴾ ويراه أهلا لذلك فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم

﴿ انّ الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة ﴾ أى كل واحد منهم ﴿ تسمية الانثى ﴾ بان يسموه بنتا ﴿ وما لهم به من علم ﴾ أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أوبالتسمية ﴿ ان يتبعون الا الظنّ وان الظنّ لايغنى من الحقّ شيأ ﴾ فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظنّ لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات ومايكون وصلة اليها ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدّنيا ﴾ فأعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله وأعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ﴿ ذلك ﴾ أى أمر الدنيا أوكونها شهية ﴿ مبلغهم من العلم ﴾ لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ﴿ انّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ تعليل

إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ۞ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ۞ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا ۞ ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ۞ ولله ما في السموت وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ۞ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ۞ أفرأيت الذي تولى ۞ وأعطى قليلا وأكدى ۞ أعنده علم الغيب فهو يرى ۞ أم لم ينبأ بما في صحف موسى ۞ وإبرهيم الذي وفى ۞ ألا تزر وازرة وزر أخرى ۞ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ۞ وأن سعيه سوف يرى ۞ ثم يجزيه الجزاء الأوفى ۞ وأن إلى ربك المنتهى ۞ وأنه هو أضحك وأبكى ۞ وأنه هو أمات وأحيا ۞

للأمر بالاعراض أى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلا تتعب نفسك فى دعوتهم اذ ماعليك الا البلاغ وقد بلغت ﴿ ولله ما فى السموات وما في الأرض ﴾ خلقا وملكا ﴿ ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ﴾ بعقاب ماعملوا من السوء أوبمثله أو بسبب ماعملوا من السوء وهو علة لما دلّ عليه ماقبله أى خلق العالم وسوّاه للجزاء أو ميز الضالّ عن المهتدى وحفظ أحوالهم لذلك ﴿ ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بأحسن من أعمالهم أو بسبب الأعمال الحسنى ﴿ الذين يجتنبون كبائر الاثم ﴾ مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب عليه الوعيد بخصوصه وقيل ماأوجب الحدّ وقرأ حمزة والكسائى وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك ﴿ والفواحش ﴾ وما فحش من الكبائر خصوصا ﴿ الا اللمم ﴾ الا ماقلّ وصغر فانه مغفور من مجتني الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة أو المدح أو الرفع على أنه خبر محذوف ﴿ انّ ربك واسع المغفرة ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر أو له أن يغفر ماشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولايتوهم وجوب العقاب على الله تعالى ﴿ هو أعلم بكم ﴾ أعلم بأحوالكم منكم ﴿ اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ علم أحوالكم ومصارف أموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الأرحام ﴿ فلاتزكوا أنفسكم ﴾ فلاتثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير أو بالطهارة عن المعاصي والرذائل ﴿ هو أعلم بمن اتقى ﴾ فانه يعلم التقىّ وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام ﴿ أفرأيت الذي تولى ﴾ عن اتباع الحق والثبات عليه ﴿ وأعطى قليلا وأكدى ﴾ وقطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر * والاكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله تعالى فضمن أن يتحمل عنه العقاب ان أعطاه بعض ماله فارتدّ وأعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى ﴾ يعلم أن صاحبه يتحمل عنه ﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى ﴾ وفر وأتم ما التزمه أوأمر به أوبالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمروذ حتى أتاه جبريل عليه السلام حين ألقى فى النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذبح الولد وأنه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى عليه الصلاة والسلام لان صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكبر عندهم ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أن هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها في محل الجر بدلا مما فى صحف موسى أو رفع على هو أن لاتزر كأنه قيل مافى صحفهما فأجاب به والمعنى أنه لايؤاخذ أحد بذنب غيره ولايخالف ذلك قوله تعالى ـ كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ـ * وقوله عليه الصلاة والسلام من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره ﴿ وأن ليس للانسان الا ماسعى ﴾ الا سعيه أي كما لايؤاخذ أحد بذنب الغير لايثاب بفعله وما جاء فى الاخبار من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوى له كالنائب عنه ﴿ وأنّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ أي يجزى العبد سعيه بالجزاء الأوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون مصدرا وأن تكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزي والجزاء بدله ﴿ وأنّ الى ربك المنتهى ﴾ انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه منقطع عما فى الصحف وكذلك مابعده ﴿ وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا ﴾ لايقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة

وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ۞ من نطفة اذا
تمنى ۞ وان عليه النشأة الاخرى ۞ وانه هو اغنى واقنى
۞ وانه هو رب الشعرى ۞ وانه اهلك عادا الاولى ۞
وثمود فما ابقى ۞ وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم
واطغى ۞ والمؤتفكة اهوى ۞ فغشيها ما غشى ۞
فبأى آلاء ربك تتمارى ۞ هذا نذير من النذر الاولى
۞ ازفت الآزفة ۞ ليس لها من دون الله كاشفة ۞
افمن هذا الحديث تعجبون ۞ وتضحكون ولا تبكون
۞ وانتم سامدون ۞ فاسجدوا لله واعبدوا ۞

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر ۞ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر ۞ وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر
۞ ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر ۞

﴿ وأنه خلق الزّوجين الذّكر والا نثى من نطفة اذا تمنى ﴾ تدفق فى الرحم أوتخلق أويقدر منها الولد من منى اذا قدر ﴿ وأن عليه النشأة الاخرى ﴾ الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وأبوعمرو النشاءة بالمدّ وهو أيضا مصدر نشأ ﴿ وأنه هو أغنى وأقنى ﴾ وأعطى القنية وهو مايتأثل من الأموال وافرادها لانها أشف الاموال أوأرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية ﴿ وأنه هو ربّ الشعرى ﴾ يعنى العبور وهي أشدّ ضياء من الغميصاء عبدها أبوكبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وخالف قريشا فى عبادة الأوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أبي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وان وافق أبا كبشة في مخالفتهم خالفه أيضا فى عبادتها ﴿ وأنه أهلك عادا الأولى ﴾ القدماء لانهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح عليه الصلاة والسلام وقيل عاد الأولى قوم هود وعاد الأخرى إرم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وأبوعمرو عادا لولى بضم اللام بحركة الهمزة وبادغام التنوين وقالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو ﴿ وثمودا ﴾ عطف على عادا لأن مابعده لايعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الألف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف ﴿ فما أبقى ﴾ الفريقين ﴿ وقوم نوح ﴾ أيضا معطوف عليه ﴿ من قبل ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿ انهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴾ من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لايكون به حراك ﴿ والمؤتفكة ﴾ والقرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهى قرى قوم لوط ﴿ أهوى ﴾ بعد أن رفعها فقلبها ﴿ فغشاها ماغشى ﴾ فيه تهويل وتعميم لما أصابهم ﴿ فبأى آلاء ربك تتمارى ﴾ تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أولكل أحد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل مافي نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ أي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدّمة أوهذا الرسول نذير من جنس المنذرين الأوّلين ﴿ أزفت الآزفة ﴾ دنت الساعة الموصوفة بالدّنو فى نحو قوله تعالى — اقتربت الساعة — ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لايكشفها أوالآن بتأخيرها الا الله أوليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لايطلع عليه سواه أوليس لها من غير الله كشف على أنها مصدر كالعافية ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ تعجبون ﴾ انكارا ﴿ وتضحكون ﴾ استهزاء ﴿ ولاتبكون ﴾ تحزنا على مافرطتم ﴿ وأنتم سامدون ﴾ لاهون أومستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ أى واعبدوه دون الآلهة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ اقتربت الساعة وانشقّ القمر ﴾ * روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشقّ القمر وقيل معناه سينشقّ يوم القيامة ويؤيد الأوّل أنه قرئ وقد انشقّ القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ عن تأملها والايمان بها ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ مطرد وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك أو محكم من المرة يقال أمررته فاستمر اذا أحكمته فاستحكم أومستبشع من استمر الشئ اذا اشتدّت مرارته أومارّ ذاهب لايبقى ﴿ وكذّبوا واتبعوا أهواءهم ﴾ وهو مازين لهم الشيطان من ردّ الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ منته الى غاية من خذلان أونصر في الدنيا وشقاوة أوسعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح أي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجرّ على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة ﴿ ولقد جاءهم ﴾ فى القرآن ﴿ من الأنباء ﴾ أنباء القرون الخالية أوأنباء الآخرة ﴿ مافيه مزدجر ﴾ ازدجار من تعذيب أو وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الذال والدال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها

﴿ حكمة بالغة ﴾ غايتها لاخلل فيها وهي بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة أو مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها ﴿ فما تغني النذر ﴾ نفي أو استفهام انكار أي فأي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعني المنذر أو المنذر منه أو مصدر بمعنى الانذار ﴿ فتول عنهم ﴾ لعلمك بان الانذار لايغني فيهم ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اسرافيل ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون أو باضمار اذكر ﴿ الى شئ نكر ﴾ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى أنكر ﴿ خاشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث ﴾ أى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا أبصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة ﴿ مهطعين الى الداع ﴾ مسرعين مادي أعناقهم اليه أو ناظرين اليه ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ صعب ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ قبل قومك ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾ نوحا عليه السلام وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبوه بعد ما كذبوا الرسل ﴿ وقالوا مجنون ﴾ هو مجنون ﴿ وازدجر ﴾ وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته ﴿ فدعا ربه أني ﴾ باني وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿ مغلوب ﴾ غلبني قومى ﴿ فانتصر ﴾ فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم * فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب ﴿ وفجرنا الارض عيونا ﴾ وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة ﴿ فالتقى الماء ﴾ ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا ﴿ على أمر قد قدر ﴾ على حال قدرها الله تعالى فى الازل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿ وحملناه على ذات ألواح ﴾ ذات أخشاب عريضة ﴿ ودسر ﴾ ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدى مؤداها ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ أى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على أمته ويجوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر أى للكافرين ﴿ ولقد تركناها ﴾ أى السفينة أو الفعلة ﴿ آية ﴾ يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر ﴿ فهل من مدكر ﴾ معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ﴿ ولقد يسرنا القرآن ﴾ سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ﴿ للذكر ﴾ للادكار والاتعاظ بأن صرفنا فيه أنواع المواعظ والعبر أو للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ﴾ وانذارى أتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو لمن بعدهم في تعذيبهم ﴿ انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ باردا أو شديد الصوت ﴿ فى يوم نحس ﴾ شؤم ﴿ مستمر ﴾ أى استمر شؤمه أو استمر عليهم حتى أهلكهم أو على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم أحدا أو اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿ تنزع الناس ﴾ تقلعهم * روى أنهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتي ﴿ كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ أصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت أجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله أعجاز نخل خاوية للمعني ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ كرره للتهويل * وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال أيضا في قصتهم - لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى - ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر ﴾ بالانذارات والمواعظ أو الرسل ﴿ فقالوا أبشرا منا ﴾ من جنسنا أو من جملتنا لافضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول أوجه للاستفهام ﴿ واحدا ﴾ منفردا لاتبع له أو من آحادهم دون أشرافهم ﴿ نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر ﴾ جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه مارتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى
شَيْءٍ نُكُرٍ ۞ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ
جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۞ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا
يَوْمٌ عَسِرٌ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا
مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۞ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۞
فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى
الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۞
تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ۞ ولقد تركناها آية فهل
من مدكر ۞ فكيف كان عذابي ونذر ۞ ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر ۞ كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر ۞ انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس
مُسْتَمِرٍّ ۞ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۞
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۞ فَقَالُوا أَبَشَرًا
مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞

﴿ أألقي الذكر ﴾ الكتاب أو الوحي ﴿ عليه من بيننا ﴾ وفينا من هو أحق منه بذلك ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ حمله بطره على الترفع علينا بادعائه اياه ﴿ سيعلمون غدا ﴾
عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة ﴿ من الكذاب الاشر ﴾ الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح عليه السلام أم من كذبه وقرأ ابن عامر
وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر فى حذر والاشر أى الابلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير ﴿ انا مرسلوا
الناقة ﴾ مخرجوها وباعثوها ﴿ فتنة لهم ﴾ امتحانا لهم ﴿ فارتقبهم ﴾ فانتظرهم وتبصر مايصنعون ﴿ واصطبر ﴾ على أذاهم ﴿ ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ﴾ مقسوم لها
يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء ﴿ كل شرب محتضر ﴾ يحضره صاحبه فى نوبته أو يحضره عنه غيره ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ قدار بن سالف أحيمر ثمود ﴿ فتعاطى فعقر ﴾
فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف ﴿ فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴾ صيحة جبريل عليه
السلام ﴿ فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ
بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا ﴾ ريحا تحصبهم بالحجارة أى
ترميهم ﴿ الا آل لوط نجيناهم بسحر ﴾ فى سحر وهو آخر الليل أو مسحرين ﴿ نعمة من عندنا ﴾ انعاما منا وهو علة لنجينا ﴿ كذلك نجزى من شكر ﴾ نعمتنا بالايمان
والطاعة ﴿ ولقد أنذرهم ﴾ لوط ﴿ بطشتنا ﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿ فتماروا بالنذر ﴾ فكذبوا بالنذر متشاكين ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ قصدوا الفجور بهم
﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ فمسحناها وسويناها بسائر الوجه * روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فأعماهم ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴾ فقلنا لهم ذوقوا
على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴾ وقرئ بكرة غير مصروفة
على أن المراد بها أول نهار معين ﴿ عذاب مستقر ﴾ يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار
﴿ فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ كرر ذلك فى كل قصة
اشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار
والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والاتعاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله ـ فبأى
آلاء ربكما تكذبان ـ وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ﴿ ولقد جاء آل فرعون
النذر ﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك منهم ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾
يعنى الآيات التسع ﴿ فأخذناهم أخذ عزيز ﴾ لايغالب ﴿ مقتدر ﴾ لايعجزه شئ
﴿ أكفاركم ﴾ يامعشر العرب ﴿ خير من أولئكم ﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة
أو مكانة ودينا عند الله تعالى ﴿ أم لكم براءة فى الزبر ﴾ أم نزل لكم فى الكتب السماوية
أن من كفر منكم فهو فى أمان من العذاب ﴿ أم يقولون نحن جميع ﴾ جماعة أمرنا مجتمع
﴿ منتصر ﴾ ممتنع لانرام أو منتصر من الاعداء لانغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا
والتوحيد على لفظ الجميع ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ أى الادبار وافراده لارادة
الجنس أو لان كل واحد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة * وعن
عمر رضى الله تعالى عنه أنه لما نزلت قال لم أعلم ماهو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته

أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۞ سَيَعْلَمُونَ غَدًا
مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ۞ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ
وَاصْطَبِرْ ۞ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۞
فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۞ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۞
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ۞ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۞
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۞ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۞ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ ۞ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ۞
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۞ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُدَّكِرٍ ۞ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۞ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۞ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ
مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ۞ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ
جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ۞ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۞

﴿ بل الساعة موعدهم ﴾ موعد عذابهم الأصلي ومايحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه ﴿ والساعة أدهى ﴾ أشدوالداهية أمر فظيع لايهتدى لدوائه ﴿ وأمر ﴾ مذاقا من عذاب الدنيا ﴿ ان المجرمين فى ضلال ﴾ عن الحق فى الدنيا ﴿ وسعر ﴾ ونيران فى الآخرة ﴿ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ﴾ يجرون عليها ﴿ ذوقوا مس سقر ﴾ أى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذالوحته ﴿ انا كل شئ خلقناه بقدر ﴾ أى اناخلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة أومقدرا مكتوبا فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبرا لانعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على أن كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود ﴿ وما أمرنا الا واحدة ﴾ الافعلة واحدة وهو الايجاد بلامعالجة ومعاناة أوالا كلمة واحدة وهو قوله كن ﴿ كلمح بالبصر ﴾ في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى ـ وما أمر الساعة الا كلمح البصر ـ ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ أشباهكم فى الكفر ممن قبلكم ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ ﴿ وكل شئ فعلوه فى الزبر ﴾ مكتوب فى كتب الحفظة ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من الاعمال ﴿ مستطر ﴾ مسطور في اللوح ﴿ ان المتقين فى جنات ونهر ﴾ أنهار واكتفى باسم الجنس أوسعة أوضياء من النهار وقرئ نهر وبضم الهاء جمع نهر كاسد واسد ﴿ فى مقعد صدق ﴾ فى مكان مرضى وقرئ مقاعد صدق ﴿ عنـد مليك مقتدر ﴾ مقربين عند من تعالى أمره فى الملك والاقتدار بحيث أبهمه ذووالافهام
* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ۞ ان المجرمين فى ضلل وسعر ۞ يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر ۞ انا كل شئ خلقنه بقدر ۞ وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ۞ ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر ۞ وكل شئ فعلوه فى الزبر ۞ وكل صغير وكبير مستطر ۞ ان المتقين فى جنت ونهر ۞ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ۞

سورة الرحمن مكية وهى ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن ۞ علم القرءان ۞ خلق الانسان ۞ علمه البيان ۞ الشمس والقمر بحسبان ۞ والنجم والشجر يسجدان ۞ والسماء رفعها ووضع الميزان ۞ الا تطغوا فى الميزان ۞ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ۞ والارض وضعها للانام ۞ فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام ۞ والحب ذو العصف والريحان ۞ فبأى ءالاء ربكما تكذبان ۞

﴿ سورة الرحمن مكية أومدنية أومتبعضة وآيها ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * الرحمن علم القرآن ﴾ لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو أصل النعم الدينية وأجلها وهوانعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه أساس الدين ومنشأ الشرع وأعظم الوحى وأعز الكتب اذهو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم أتبعه قوله ﴿ خلق الانسان علمه البيان ﴾ ايماء بان خلق البشر ومايميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما فى الضمير وافهام الغير لما أدركه لتلقى الوحى وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التى هي أخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ يجريان بحساب معلوم مقدر فى بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب ﴿ والنجم ﴾ والنبات الذى ينجم أى يطلع من الارض ولاساق له ﴿ والشجر ﴾ الذى له ساق ﴿ يسجدان ﴾ ينقادان لله تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم فى الجملتين أن يقال وأجرى الشمس والقمر وأسجد النجم والشجر أوالشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ماقبلهما ومابعدهما فى اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بأن وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما فى الدلالة على أن مايحس به من تغيرات أحوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره ﴿ والسماء رفعها ﴾ خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ أقضيته ومتنزل أحكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ ووضع الميزان ﴾ العدل بأن وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض أومايعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة من حيث انها مصدر القضايا والاقدار أراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ﴿ ألا تطغوا فى الميزان ﴾ لئلا تطغوا فيه أى لاتعتدوا ولاتجاوزوا الانصاف وقرئ لاتطغوا على ارادة القول ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان ﴾ ولاتنقصوه فان من حقه أن يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولاتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وتخسروا بفتحها على أن الاصل ولاتخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿ والارض وضعها ﴾ خفضها مدحوة ﴿ للانام ﴾ للخلق وقيل الأنام كل ذى روح ﴿ فيها فاكهة ﴾ ضروب مما يتفكه به ﴿ والنخل ذات الاكمام ﴾ أوعية التمر جمع كم أوكل مايكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر ﴿ والحب ذوالعصف ﴾ كالحنطة والشعير وسائر مايتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن ﴿ والريحان ﴾ يعنى المشموم أوالرزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أووأخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض ماعدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواوياء وأدغم ثم خفف وقيل روحان فقلبت واوه ياء للتخفيف ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله أيها الثقلان

خلق الانسان من صلصال كالفخار ۞ وخلق الجان من مارج من نار ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ رب المشرقين ورب المغربين ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ مرج البحرين يلتقيان ۞ بينهما برزخ لا يبغيان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ كل من عليها فان ۞ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ سنفرغ لكم أيه الثقلان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ۞ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۞

﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار﴾ الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخذف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه ﴿وخلق الجانّ﴾ الجن أو أبا الجن ﴿من مارج﴾ من صاف من الدخان ﴿من نار﴾ بيان لمارج فانه فى الاصل المضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما أفاض عليكما فى أطوار خلقتكما حتى صيركما أفضل المركبات وخلاصة الكائنات ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ مشرقى الشتاء والصيف ومغربيهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يلتقيان﴾ يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحرى فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى أو من الارض ﴿لا يبغيان﴾ لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الأحمر وان صح أن الدر يخرج من الملح فعلى الأوّل انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب أو لانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكأن المخرج من أحدهما كالمخرج منهما وقرا نافع وأبو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار﴾ أى السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله

لها ثنايا أربع حسان ✱ وأربع فكلها ثمان

﴿المنشآت﴾ المرفوعات الشرّع أو المصنوعات وقرأ حمزة وأبو بكر بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج أو السير ﴿فى البحر كالاعلام﴾ كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره ﴿كل من عليها﴾ من على الارض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين ﴿فان ويبقى وجه ربك﴾ ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية فى حدّ ذاتها الا وجه الله أى الوجه الذى يلى جهته ﴿ذو الجلال والاكرام﴾ ذو الاستغناء المطلق والفضل العام ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا أو مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم ﴿يسئله من فى السموات والارض﴾ فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعنّ لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشئ فى ذواتهم وصفاتهم نطقا كان أو غيره ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ كل وقت يحدث أشخاصا ويجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه ✱ وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا ﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان﴾ أى سنتجرّد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان أقوى عليه وأجدّ فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم أى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض أو لرزانة رأيهما وقدرهما أو لانهما مثقلان بالتكليف ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض﴾ ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارّين من قضائه ﴿فانفذوا﴾ فاخرجوا ﴿لا تنفذون﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿الا بسلطان﴾ الا بقوّة وقهر وأنى لكم ذلك أو ان قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة أو مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلا ﴿يرسل عليكما شواظ﴾ لهب ﴿من نار ونحاس﴾ ودخان قال

تضىء كضوء سراج السليـ ✱ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

أو صفر مذاب يصبّ على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه أبو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف ﴿فلا تنتصران﴾ فلا تمتنعان ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار فى عداد الآلاء ﴿فاذا انشقت السماء فكانت وردة﴾ أى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

ولئن بقيت لأرحلنّ بغزوة ✱ تحوى الغنائم أو يموت كريم

﴿كالدهان﴾ مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام أو جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى مما يكون بعد ذلك

(فيومئذ) أي فيوم تنشق السماء (لايسئل عن ذنبه انس ولاجانّ) لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين مايخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى ـ فوربك لنسألنهم ـ ونحوه فحين يحاسبون في الجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدّم رتبة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى مما أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم (يعرف المجرمون بسيماهم) وهو مايعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالأقدام أخرى (فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها) بين النار يحرقون بها (وبين حميم) ماء حار (آن) بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغيثوا بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب أوقيامه على أحواله من قام عليه اذا راقبه أومقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين فأضيف الى الرب تفخيما وتهويلا أو ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

ذعرت به القطا ونفيت عنه ✻ مقام الذئب كالرجل اللعين

(جنتان) جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أولكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أوجنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أوجنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ماجاء مثنى بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أنواع من الاشجار والثمار جمع فن أوأغصان جمع فنن وهي الغصنة التى تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان غريب ومعروف أو رطب ويابس (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين أوحال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (وجني الجنتين دان) قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهنّ) فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين أوفيما فيهما من الاماكن والقصور أوفى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهنّ على أزواجهن (لم يطمثهنّ انس قبلهم ولاجانّ) لم يمس الانسيات انس ولاالجنيات جنّ وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان) أى في حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) في الثواب وهو الجنة (فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان تضربان الى السواد من شدّة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه دلالة على مابينهما من التفاوت (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوّارتان بالماء وهو أيضا أقل مما وصف به الاولين وكذا مابعده (فبأى آلاء ربكما تكذبان

فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان ۝ فبأى آلاء ربكما
تكذبان ۝ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام ۝
فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝ هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون ۝
يطوفون بينها وبين حميم آن ۝ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝ ولمن
خاف مقام ربه جنتان ۝ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝ ذواتا
افنان ۝ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝ فيهما عينان تجريان ۝
فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝ فيهما من كل فاكهة زوجان ۝ فبأى
آلاء ربكما تكذبان ۝ متكئين على فرش بطائنها من استبرق
وجنى الجنتين دان ۝ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝ فيهن قاصرات
الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ۝ فبأى آلاء ربكما
تكذبان ۝ كأنهن الياقوت والمرجان ۝ فبأى آلاء ربكما
تكذبان ۝ هل جزاء الاحسان الا الاحسان ۝ فبأى
آلاء ربكما تكذبان ۝ ومن دونهما جنتان ۝ فبأى آلاء ربكما
تكذبان ۝ مدهامتان ۝ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝
فيهما عينان نضاختان ۝ فبأى آلاء ربكما تكذبان ۝

فيهما

فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به أبوحنيفة رضي الله تعالى عنه على أن من حلف لايأكل فاكهة فأكل رطبا أو رمانا لم يحنث ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان فيهنّ خيرات ﴾ أى خيرات مخففت لأن خيرا الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل ﴿ حسان ﴾ حسان الخلق والخلق ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان حور مقصورات فى الخيام ﴾ قصرن فى خدورهنّ يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة أى مخدرة أومقصورات الطرف على أزواجهنّ ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ ﴾ كحور الأوّلين وهم أصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان متكئين على رفرف ﴾ وسائد أونمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط أوذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض ﴿ خضر وعبقريّ حسان ﴾ العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجنّ فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى ﴿ فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان تبارك اسم ربك ﴾ تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة أومقحم كما فى قوله

* الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ﴿ ذى الجلال والاكرام ﴾ وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدّى شكر ما أنعم الله تعالى عليه

(سورة الواقعة مكية وآيها ست وتسعون آية)

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ حُورٌ
مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞
مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ۞ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ۞ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۞

سورة الواقعة مكية وست وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۞
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۞ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۞ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا
۞ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۞ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۞ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞
أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَلِيلٌ
مِنَ الْآخِرِينَ ۞ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۞ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۞

﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾

﴿ اذا وقعت الواقعة ﴾ اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر أوكان كيت وكيت ﴿ ليس لوقعتها كاذبة ﴾ أى لايكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى أوتكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله تعالى ـ قدّمت لحياتى ـ أوليس لأحد فى وقعتها كاذبة فان من أخبر عنها صدق أوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدّتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسوّلت له أنه يطيقه ﴿ خافضة رافعة ﴾ تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك أوبيان لما يكون حينئذ من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أوازالة الاجرام عن مقارّها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجوّ وقرئتا بالنصب على الحال ﴿ اذا رجت الأرض رجا ﴾ حرّكت تحريكا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة أوبدل من اذا وقعت ﴿ وبست الجبال بسا ﴾ أى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بسّ السويق اذا لته أو سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها ﴿ فكانت هباء ﴾ غبارا ﴿ منبثا ﴾ منتشرا ﴿ وكنتم أزواجا ﴾ أصنافا ﴿ ثلاثة ﴾ وكل صنف يكون أويذكر مع صنف آخر زوج ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنيئة من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أوأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أوأصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين ﴿ والسابقون السابقون ﴾ والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أوسبقوا في حيازة الفضائل والكمالات أوالانبياء فانهم مقدمو أهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبى النجم

* أنا أبوالنجم وشعرى شعرى *

أوالذين سبقوا الى الجنة ﴿ أولئك المقرّبون فى جنات النعيم ﴾ الذين قربت درجاتهم فى الجنة وأعليت مراتبهم ﴿ ثلة من الأوّلين ﴾ أى هم كثير من الأوّلين يعنى الأمم السالفة من لدن آدم الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ يعنى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يخالف ذلك قوله عليه الصلاة والسلام انّ أمتى يكثرون سائر الأمم لجواز أن يكون سابقو سائر الأمم أكثر من سابقى هذه الأمة وتابعو هذه أكثر من تابعيهم ولايردّه قوله فى أصحاب اليمين ثلة من الأوّلين وثلة من الآخرين لأن كثرة الفريقين لا تنافى أكثرية أحدهما وروى مرفوعا أنهما من هذه الأمة واشتقاقها من الثلّ وهو القطع ﴿ على سرر موضونة ﴾ خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدرّ والياقوت أوالمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ حالان من الضمير في على سرر

﴿ يطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ ولدان مخلدون ﴾ مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم ﴿ بأكواب وأباريق ﴾ حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة ولاخرطوم له والابريق اناء له ذلك ﴿ وكأس من معين ﴾ من خمر ﴿ لايصدّعون عنها ﴾ بخمار ﴿ ولاينزفون ﴾ ولاتنزف عقولهم أو لاينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاي لايصدّعون بمعنى لايتصدعون أى لايتفرقون ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ أى يختارون ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ يتمنون ﴿ وحور عين ﴾ عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها أو ولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف أي هم فى جنات ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أى يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم ﴿ لايسمعون فيها لغوا ﴾ باطلا ﴿ ولا تأثيما ﴾ ولانسبة الى الاثم أى لايقال لهم أثمتم ﴿ الا قيلا ﴾ أى قولا ﴿ سلاما سلاما ﴾ بدل من قيلا كقوله تعالى ـ لايسمعون فيها لغوا الا سلاما ـ أوصفته أومفعوله بمعنى الا أن يقولوا سلاما أومصدر والتكرير للدلالة على فشوّ السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود ﴾ لا شوك فيه من خضد الشوك اذا قطعه أومثني أغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب ﴿ وطلح ﴾ وشجرموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين ﴿ منضود ﴾ نضد حمله من أسفله الى أعلاه ﴿ وظلّ ممدود ﴾ منبسط لايتقلص ولايتفاوت ﴿ وماء مسكوب ﴾ يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا بلاتعب أومصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم بأعلى مايتصوّر لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل مايتمناه أهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين ﴿ وفاكهة كثيرة ﴾ كثيرة الأجناس ﴿ لا مقطوعة ﴾ لا تنقطع فى وقت ﴿ ولا ممنوعة ﴾ لاتمنع عن متناولها بوجه ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ رفيعة القدر أومنضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها أنها على الأرائك ويدل عليه قوله ﴿ انا أنشأناهنّ انشاء ﴾ أى ابتدأناهنّ ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء أو اعادة *وفى الحديث هنّ اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهنّ الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا ﴿ فجعلناهنّ أبكارا عربا ﴾ متحببات الى أزواجهنّ جمع عروب وسكن راءه حمزة وأبوبكر وروى عن نافع وعاصم مثله ﴿ أترابا ﴾ فان كلهنّ بنات ثلاث وثلاثين وكذا أزواجهن ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ متعلق بأنشأنا أوجعلنا أوصفة لابكارا أوخبر لمحذوف مثل هنّ أولقوله ﴿ ثلة من الأوّلين وثلة من الآخرين ﴾ وهي على الوجوه الاول خبر محذوف ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم ﴾ في حرّ نار ينفذ فى المسام ﴿ وحميم ﴾ وماء متناه فى الحرارة ﴿ وظلّ من يحموم ﴾ من دخان أسود يفعول من الحممة ﴿ لا بارد ﴾ كسائر الظلّ ﴿ ولا كريم ﴾ ولانافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاسترواح ﴿ انهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ منهمكين فى الشهوات ﴿ وكانوا يصرّون على الحنث العظيم ﴾ الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برّ فيها وتحنث اذا تأثم ﴿ وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ كرّرت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله ﴿ أوآباؤنا الأوّلون ﴾ للدلالة على أن ذلك أشدّ انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أوبالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة ﴿ قل انّ الأوّلين والآخرين لمجموعون ﴾ وقرئ لمجمعون ﴿ الى ميقات يوم معلوم ﴾ الى ماوقت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ﴿ ثمّ انكم أيها الضالون المكذّبون ﴾ أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۞ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۞ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۞ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۞ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۞ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ۞ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۞ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۞ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۞ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۞ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ۞ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ۞ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ۞ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۞ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۞ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ۞

لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ❀ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ❀ فَشَارِبُونَ
عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ❀ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ❀ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ❀
نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ❀ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ❀ ءَأَنتُمْ
تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ❀ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمَسْبُوقِينَ ❀ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ❀
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ❀ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
❀ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ❀ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ
حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ❀ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ❀ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ
❀ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ❀ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ
أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ❀ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ❀
أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ❀ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ
الْمُنشِئُونَ ❀ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ❀ فَسَبِّحْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ❀ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ❀
وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ❀ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ
❀ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ❀ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ❀

﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان ﴿فمالؤن منها البطون﴾ من شدّة الجوع ﴿فشاربون عليه من الحميم﴾ لغلبة العطش وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء قال ذوالرمة فأصبحت كالهيماء لاالماء مبرد * صداها ولايقضى عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين ﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ يوم الجزاء فماظنك بما يكون لهم بعد مااستقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم لان النزل مايعدّ للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدّقون﴾ بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة عليه أوبالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة ﴿أفرأيتم ماتمنون﴾ أي ماتقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها ﴿أأنتم تخلقونه﴾ تجعلونه بشرا سويا ﴿أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت﴾ قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ لايسبقنا أحد فيهرب من الموت أويغير وقته أولا يغلبنا أحد من سبقته على كذا اذاغلبته عليه ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ على الاوّل حال أوعلة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أونبدّل صفاتكم على أن أمثالكم جمع مثل بمعني صفة ﴿وننشئكم فيمالاتعلمون﴾ في خلق أوصفات لاتعلمونها ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾ أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى فانها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس ﴿أفرأيتم ماتحرثون﴾ تبذرون حبه ﴿أأنتم تزرعونه﴾ تنبتونه ﴿أم نحن الزارعون﴾ المنبتون ﴿لونشاء لجعلناه حطاما﴾ هشيما ﴿فظلتم تفكهون﴾ تعجبون أوتندمون على اجتهادكم فيه أوعلى ماأصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقداستعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل ﴿انا لمغرمون﴾ لملزمون غرامة ماأنفقنا أومهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ أبوبكر أئنالمغرمون على الاستفهام ﴿بل نحن﴾ قوم ﴿محرومون﴾ حرمنا رزقنا أو محدودون لامجدودون ﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾ أى العذب الصالح للشرب ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمتعلقة بالاستفهام ﴿لونشاء جعلناه أجاجا﴾ ملحا أومن الأجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب مايتمحض للشرط ومايتضمن معناه لعلم السامع بمكانها أوالاكتفاء بسبق ذكرها أويختص مايقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد ﴿فلولا تشكرون﴾ أمثال هذه النعم الضرورية ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ تقدحون ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن﴾ يعنى الشجرة التى منها الزناد ﴿نحن جعلناها﴾ جعلنا نار الزناد ﴿تذكرة﴾ تبصرة في أمر البعث كمامر في سورة يس أوفي الظلام أوتذكيرا وأنموذجا لنار جهنم ﴿ومتاعا﴾ ومنفعة ﴿للمقوين﴾ للذين ينزلون القواء وهي القفر أوللذين خلت بطونهم أومزاودهم من الطعام من أقوت الدار اذاخلت من ساكنيها ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أوبذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم أوالرب وتعقيب الأمر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه امالتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته أوللتعجب من أمرهم في غمط نعمه أوللشكر على ماعدّها من النعم ﴿فلا أقسم﴾ اذالأمر أوضح من أن يحتاج الى قسم أوفأقسم ولامزيدة للتأكيد كمافي لئلا يعلم أوفلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم أوفلارد لكلام يخالف المقسم عليه ﴿بمواقع النجوم﴾ بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول تأثيره أوبمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي بموقع ﴿وانه لقسم لوتعلمون عظيم﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لايترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولوتعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة ﴿انه لقرآن كريم﴾ كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد أوحسن مرضيّ في جنسه ﴿في كتاب مكنون﴾ مصون وهو اللوح المحفوظ ﴿لايمسه الا المطهرون﴾ لايطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة أولايمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أولايطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أوغيرهم بالاستغفار لهم والالهام

﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة ثالثة أورابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا ﴿أفبهذا الحديث﴾ يعنى القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ متهاونون به كمن يدهن في الأمر أى يلين جانبه ولايتصلب فيه تهاونا به ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أي شكر رزقكم ﴿أنكم تكذبون﴾ أى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم أى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وتكذبون أى بقولكم في القرآن انه سحر وشعر أوفى المطر انه من الانواء ﴿فلولا اذابلغت الحلقوم﴾ أى النفس ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ﴿ونحن أقرب﴾ أى ونحن أعلم ﴿اليه﴾ الى المحتضر ﴿منكم﴾ عبر عن العلم بالقرب الذى هو أقوى سبب الاطلاع ﴿ولكن لاتبصرون﴾ لاتدركون كنه مايجرى عليه ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ أى مجزيين يوم القيامة أومملوكين مقهورين من دانه اذا أذله واستعبده وأصل التركيب للذل والانقياد ﴿ترجعونها﴾ ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى أباطيلكم فلولا ترجعون الأرواح الى الأبدان بعد بلوغها الحلقوم ﴿فأما ان كان من المقربين﴾ أي ان كان المتوفى من السابقين ﴿فروح﴾ فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة ﴿وريحان﴾ ورزق طيب ﴿وجنة نعيم﴾ ذات تنعم ﴿وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك﴾ ياصاحب اليمين ﴿من أصحاب اليمين﴾ أى من اخوانك يسلمون عليك ﴿وأما ان كان من المكذبين الضالين﴾ يعنى أصحاب الشمال وانما وصفهم بأفعالهم زجرا عنها واشعارا بما أوجب لهم ماأوعدهم به ﴿فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾ وذلك مايجد فى القبر من سموم النار ودخانها ﴿ان هذا﴾ أى الذى ذكر في السورة أوفى شأن الفرق ﴿لهو حق اليقين﴾ أى حق الخبر اليقين ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لايليق بعظمة شأنه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله مافى السموات والارض﴾ ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ماأسند اليه أن يسبحه فى جميع أوقاته لانه دلالة جبلية لاتختلف باختلاف الحالات ومجىء المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل أبلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدّى باللام وهو متعد بنفسه مثل نصحت له فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح ﴿له ملك السموات والارض﴾ فانه الموجد لها والمتصرف فيها ﴿يحيي ويميت﴾ استئناف أوخبر لمحذوف أوحال من المجرور فى له ﴿وهو على كل شئ﴾ من الاحياء والاماتة وغيرهما ﴿قدير﴾ تامّ القدرة ﴿هو الاوّل﴾ السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها ﴿والآخر﴾ الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها أوهو الاوّل الذي تبتدأ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات أوالاوّل خارجا والآخر ذهنا ﴿والظاهر والباطن﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلاتكتنهها العقول أوالغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين ﴿وهو بكل شئ عليم﴾ يستوى عنده الظاهر والخفى

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ اَفَبِهٰذَا الْحَدِيثِ اَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۞
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۞ فَلَوْلَا اِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ
۞ وَاَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ۞ وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ
لَا تُبْصِرُونَ ۞ فَلَوْلَا اِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۞ تَرْجِعُونَهَا
اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۞ فَاَمَّا اِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ
وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۞ وَاَمَّا اِنْ كَانَ مِنْ اَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ فَسَلَامٌ لَكَ
مِنْ اَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ وَاَمَّا اِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ
۞ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ۞ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۞ اِنَّ هٰذَا لَهُوَ
حَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۞

سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ لَهُ مُلْكُ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ هُوَ الْاَوَّلُ
وَالْاٰخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۞

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى
عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
❁ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ❁ يُولِجُ اللَّيْلَ
فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ❁
آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ❁ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ❁ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ
مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ❁ وَمَا لَكُمْ
أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ
دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ
الْحُسْنٰى وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ❁ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ❁

﴿ هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوي على العرش يعلم مايلج فى الارض ﴾ كالبذور ﴿ ومايخرج منها ﴾ كالزروع ﴿ ومايَنزل من السماء ﴾ كالامطار ﴿ ومايعرج فيها ﴾ كالابخرة ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ لاينفك علمه وقدرته عنكم بحال ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما ﴿ والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهوعليم بذات الصدور ﴾ بمكنوناتها ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مماجعلكم مستخلفين فيه ﴾ من الأموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لالكم أوالتى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس ﴿ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ﴾ وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر ﴿ ومالكم لاتؤمنون بالله ﴾ أى وماتصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما ﴿ والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ حال من ضمير تؤمنون والمعنى أى عذرلكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات ﴿ وقد أخذ ميثاقكم ﴾ أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ أبوعمر وعلى البناء للمفعول ورفع ميثاقكم ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ لموجب مافان هذا موجب لامزيد عليه ﴿ هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم ﴾ أى الله اوالعبد ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿ وان الله بكم لرؤف رحيم ﴾ حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على مانصبَ لكم من الحجج العقلية ﴿ ومالكم ألاتنفقوا ﴾ وأى شئ لكم فى ألاتنفقوا ﴿ فى سبيل الله ﴾ فيما يكون قربة اليه ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ يرث كل شئ فيهما فلايبقى لاحد مال واذاكان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان أولى ﴿ لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرّى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من أنفق محذوف لوضوحه ودلالة مابعده عليه والفتح فتح مكة اذعز الاسلام به وكثر أهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق ﴿ من الذين أنفقوا من بعد ﴾ أى من بعد الفتح ﴿ وقاتلوا وكلا وعد الله الحسني ﴾ أى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله ليطابق ماعطف عليه ﴿ والله بماتعملون خبير ﴾ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه * والآية نزلت فى أبي بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ﴾ أى من الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء أن يعوّضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات له ﴿ فيضاعفه له ﴾ أي يعطى أجره أضعافا ﴿ وله أجر كريم ﴾ أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى أن يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف أضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكأنه قال أيقرض الله أحد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وقرأ ابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا

﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ ظرف لقوله وله أوفيضاعفه أومقدر باذكر ﴿يسعى نورهم﴾ مايوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة ﴿بين أيديهم وبأيمانهم﴾ لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ أى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم أي المبشربه جنات أوبشراكم دخول جنات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ الاشارة الى ماتقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف أوانظروا الينا فانهم اذانظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيؤن بنور بين أيديهم وقرأ حمزة أنظرونا على أن اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم ﴿نقتبس من نوركم﴾ نصب منه ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ الى الدنيا ﴿فالتمسوا نورا﴾ بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها أوالى الموقف فانه من ثمة يقتبس أوالى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لاسبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أوالملائكة ﴿فضرب بينهم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ بحائط ﴿له باب﴾ يدخل منه المؤمنون ﴿باطنه﴾ باطن السور أوالباب ﴿فيه الرحمة﴾ لانه يلى الجنة ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ من جهته لانه يلى النار ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ يريدون موافقتهم فى الظاهر ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ بالنفاق ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وارتبتم﴾ وشككتم في الدين ﴿وغرتكم الامانى﴾ كامتداد العمر ﴿حتى جاء أمر الله﴾ وهو الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان أوالدنيا ﴿فاليوم لايؤخذ منكم فدية﴾ فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ﴿ولامن الذين كفروا﴾ ظاهرا وباطنا ﴿مأواكم النارهي مولاكم﴾ هي أولى بكم كقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقته محراكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كقولك هو مئنة الكرم أى مكان قول القائل انه لكريم أومكانكم عما قريب من الولى وهو القرب أوناصركم على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * أومتوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا ﴿وبئس المصير﴾ النار ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ ألم يأت وقته يقال أنى الأمر يأنى أنيا وأنا وأنا اذاجاء اناه وقرئ ألم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى أنى وألما يأن * روى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ﴿ومانزل من الحق﴾ أى القرآن وهو عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر ويجوز أن يراد بالذكر أن يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ أنزل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله ﴿فطال عليهم الامد فقست قلوبهم﴾ أى فطال عليهم الاجل لطول أعمارهم وآمالهم أومابينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامدّ وهو الوقت الاطول ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة ﴿اعلموا أن الله يحي الارض بعد موتها﴾ تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بالاحياء والاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة ﴿قدبينا لكم الآيات لعلكم تعقلون﴾ كي تكمل عقولكم ﴿ان المصدّقين والمصدّقات﴾ ان المتصدّقين والمتصدّقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وأبوبكر بتخفيف الصاد أى الذين صدقوا الله ورسوله ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين أصدقوا أوصدّقوا وهو على الاوّل للدلالة على أن المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص ﴿يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ معناه والقراءة فى يضاعف كما مر غير أنه لم يجزم لانه خبران وهو مسند الى لهم أوالى ضمير المصدر

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنٰتِ يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمٰنِهِمْ بُشْرٰيكُمُ الْيَوْمَ جَنّٰتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰفِقُونَ وَالْمُنٰفِقٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظٰهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلٰى وَلٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِىُّ حَتّٰى جَآءَ أَمْرُ اللّٰهِ وَغَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ ۞ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوٰيكُمُ النَّارُ هِىَ مَوْلٰيكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰسِقُونَ ۞ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يُحْىِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْءَايٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقٰتِ وَأَقْرَضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۞

﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ أى أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء أوهم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم أوعلى الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد أوالذين استشهدوا في سبيل الله ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم ولكنه من غير تضعيف ليحصل التفاوت أوالاجر والنور الموعودان لهم ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾ فيه دليل على أن الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد﴾ لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر أمور الدنيا أعنى مالا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين أنها أمور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم جدا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب أوتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما﴾ وهوتمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث أوالكافرون بالله لانهم أشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لايتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج أى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم أمور الآخرة الابدية بقوله ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على مايوجب كرامة العقبى ثم أكد ذلك بقوله ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ أى لمن أقبل عليها ولم يطلب الا الآخرة ﴿وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور﴾ أى لمن أقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة ﴿سابقوا﴾ سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار ﴿الى مغفرة من ربكم﴾ الى موجباتها ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ أي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فماظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض ﴿أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ منه التفضل بذلك وان عظم قدره ﴿ما أصاب من مصيبة فى الارض﴾ كجدب وعاهة ﴿ولا فى أنفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الا فى كتاب﴾ الا مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى ﴿من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها والضمير للمصيبة أوالارض أوللانفس ﴿ان ذلك﴾ ان اثباته فى كتاب ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأسوا﴾ أى أثبت وكتب كي لاتحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولاتفرحوا بما آتاكم﴾ بما أعطاكم الله منها فان من علم أن الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ أبو عمرو بما أتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذاخليت وطباعها وأماحصولها وابقاؤها فلابدّ لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله ﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾ اذ قل من يثبت نفسه فى حالى الضراء والسراء ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضنّ به غالبا أومبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ﴿ومن يتولّ فان الله هو الغني الحميد﴾ لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لايضره الاعراض عن شكره ولاينفعه التقرب اليه بشكر من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ
وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۞ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرٰيهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
الْغُرُورِ ۞ سَابِقُوا إِلٰى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ
فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞
مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلٰى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتٰيكُمْ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ
بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞

﴿لقد أرسلنا رسلنا﴾ أى الملائكة الى الانبياء أوالانبياء الى الامم ﴿بالبينات﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وأنزلنا معهم الكتاب﴾ ليبين الحق ويميز صواب العمل ﴿والميزان﴾ لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ـ ليقوم الناس بالقسط ـ وانزاله انزال أسبابه والامر باعداده وقيل أنزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز أن يراد به العدل ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ لتقام به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فان آلات الحروب متخذة منه ﴿ومنافع للناس﴾ اذ مامن صنعة الاوالحديد آلاتها ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله﴾ باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دلّ عليه ماقبله فانه حال يتضمن تعليلا أواللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله ﴿بالغيب﴾ حال من المستكن فى ينصره ﴿ان الله قوى﴾ على اهلاك من أراد اهلاكه ﴿عزيز﴾ لايفتقر الى نصرة وانما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ﴿ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوّة والكتاب﴾ بان استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط ﴿فمنهم﴾ فمن الذرية أومن المرسل اليهم وقد دلّ عليهم أرسلنا ﴿مهتد وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أومن عاصرهما من الرسل لاللذرية فان الرسل الملقى بهم من الذرية ﴿وآتيناه الانجيل﴾ وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لانه أعجمى ﴿وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة﴾ وقرئ رآفة على فعالة ﴿ورحمة ورهبانية ابتدعوها﴾ أى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها أو رهبانية مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهوالمبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهوجمع راهب كراكب وركبان ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ما فرضناها عليهم ﴿الا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعني ماتعبدناهم بها وهو كاينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهويخالف قوله ابتدعوها الا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها أوابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا بها أوّلا أنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم ﴿فما رعوها﴾ أى فما رعوها جميعا ﴿حق رعايتها﴾ بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليها ﴿فآتينا الذين آمنوا﴾ أتوا بالايمان الصحيح ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وحافظوا حقوقها ﴿منهم﴾ من المتسمين باتباعه ﴿أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن حال الاتباع ﴿ياأيها الذين آمنوا﴾ بالرسل المتقدمة ﴿اتقوا الله﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وآمنوا برسوله﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولايبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم أوالهدى الذى يسلك به الى جناب القدس ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ أى ليعلموا ولامزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء ﴿ألا يقدرون على شئ من فضل الله﴾ أن هي المخففة والمعنى أنه لاينالون شيأ مما ذكر من فضله ولايتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به أولايقدرون على شئ من فضله فضلا عن أن يتصرّفوا فى أعظمه وهو النبوّة فيخصوها بمن أرادوا ويؤيده قوله ﴿وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ وقيل لاغير مزيدة والمعنى لئلايعتقد أهل الكتاب أنه لايقدر النبي والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولاينالونه فيكون وأن الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا يعلم ووجهه أن الهمزة حذفت وأدغمت النون في اللام ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الاصل في الحروف المفردة الفتح * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله أجمعين

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ
وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ
بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا
عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَٰنِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا
فَـَٔاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞
يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ
كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَلَّا
يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۞

(سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وآيها اثنتان وعشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) * روى أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ماطلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الأربع وقد تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام أو المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرّج عنها كربها وأدغم حمزة والكسائى وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب (انّ الله سميع بصير) للاقوال والاحوال (الذين يظهرون منكم من نسائهم) الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علىّ كظهر أمى مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء أنثى محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل الجاهلية وأصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر (ماهنّ أمهاتهم) أى على الحقيقة (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهنّ فى الحرمة الا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة بنى تميم وقرئ بامهاتهم وهو أيضا على لغة من ينصب (وانهم ليقولون منكرا من القول) اذ الشرع أنكره (وزورا) منحرفا عن الحق فان الزوجة لاتشبه الأم (وانّ الله لعفوّ غفور) لما سلف منه مطلقا أو اذا تيب عنه (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما أفسد وهو بنقض مايقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو أقل ماينتقض به وعند أبى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع أوبالظهار فى الاسلام على أن قوله يظهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثورى أوبتكراره لفظا وهو قول الظاهرية أومعنى بأن يحلف على ما قال وهو قول أبي مسلم أوالى المقول فيها بامساكها أواستباحة استمتاعها أو وطئها (فتحرير رقبة) أى فعليهم أوفالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه أوأن يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير (ذلكم) أي ذلكم الحكم بالكفارة (توعظون به) لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه (والله بما تعملون خبير) لاتخفى عليه خافية (فمن لم يجد) أى الرقبة والذى غاب ماله واجد (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) فان أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان أفطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لأبى حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما (فمن لم يستطع) أي الصوم لهرم أومرض مزمن أوشبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للاعرابى المفطر أن يعدل لأجله (فاطعام ستين مسكينا) ستين مدّا بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لأنه أقل ماقيل فى الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة وقال أبوحنيفة رضى الله تعالى عنه يعطى كل مسكين نصف صاع من برّ أوصاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين أولجوازه فى خلال الاطعام كما قال أبوحنيفة رضى الله تعالى عنه (ذلك) أى ذلك البيان أوالتعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله (لتؤمنوا بالله ورسوله) أى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك حدود الله) لايجوز تعدّيها (وللكافرين) أي الذين لايقبلونها (عذاب أليم) هو نظير قوله تعالى ـ ومن كفر فان الله غنىّ عن العالمين ـ (انّ الذين يحادّون الله ورسوله) يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حدّ غير حدّ الآخر أويضعون أويختارون حدودا غير حدودهما (كبتوا) أخزوا أوأهلكوا وأصل الكبت الكبّ (كما كبت الذين من قبلهم) يعنى كفار الأمم الماضية (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وما جاء به (وللكافرين عذاب مهين) يذهب عزّهم وتكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بمهين أوباضمار اذكر (جميعا) كلهم لايدع أحدا غير مبعوث أومجتمعين (فينبئهم بما عملوا) أى على رؤس الأشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يغب منه شئ (ونسوه) لكثرته أوتهاونهم به (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى اِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا اِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۞ اَلَّذِينَ يُظَهِّرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ اُمَّهَاتِهِمْ اِنْ اُمَّهَاتُهُمْ اِلَّا الّٰٓئِى وَلَدْنَهُمْ وَاِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَاِنَّ اللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۞ وَالَّذِينَ يُظَهِّرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمَاسَّا ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ اَلِيمٌ ۞ اِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ اَنْزَلْنَا اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۞ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا اَحْصٰيهُ اللّٰهُ وَنَسُوهُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞

﴿ألم تر أنّ الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض﴾ كليا وجزئيا ﴿مايكون من نجوي ثلاثة﴾ أي مايقع من تناجى ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أويؤوّل نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الأرض فان السرّ أمر مرفوع الى الذهن لايتيسر لكل أحد أن يطلع عليه ﴿الا هو رابعهم﴾ الا الله يجعلهم أربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من أعمّ الأحوال ﴿ولاخمسة﴾ ولانجوى خمسة ﴿الا هو سادسهم﴾ وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين أو لأن الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة أوّل الاوتار أو لأن التشاور لابدّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون أو تأويل نجوى بمتناجين ﴿ولا أدنى من ذلك﴾ ولا أقل مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿ولا أكثر﴾ كالستة وما فوقها ﴿الا هو معهم﴾ يعلم مايجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل لا أدنى بأن جعلت لا لنفى الجنس ﴿أينما كانوا﴾ فان علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة﴾ تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ﴿انّ الله بكل شئ عليم﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء ﴿ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ * نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأواالمؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ﴿ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرّسول﴾ أي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وهو يفتعلون من النجوى وروى عن يعقوب مثله ﴿واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله تعالى يقول ــ وسلام على عباده الذين اصطفى ــ ﴿ويقولون فى أنفسهم﴾ فيما بينهم ﴿لولا يعذّبنا الله بما نقول﴾ هلا يعذّبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا ﴿حسبهم جهنم﴾ عذابا ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المصير﴾ جهنم ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا ﴿وتناجوا بالبرّ والتقوى﴾ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول ﴿واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾ فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه ﴿انما النجوى﴾ أى النجوى بالاثم والعدوان ﴿من الشيطان﴾ فانه المزين لها والحامل عليها ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ بتوهمهم أنها فى نكبة أصابتهم ﴿وليس﴾ أى الشيطان أوالتناجى ﴿بضارّهم﴾ بضارّ المؤمنين ﴿شيأ الا باذن الله﴾ الا بمشيئته ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ولايبالوا بنجواهم ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى أى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع أومجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه ﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها ﴿واذا قيل انشزوا﴾ انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أوجهاد أوارتفعوا عن المجلس ﴿فانشزوا﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علوّ درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره *وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿والله بما تعملون خبير﴾ تهديد لمن لم يمتثل الامر أواستكرهه

ألم تر أن الله يعلم ما فى السموت وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك
ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة
ان الله بكل شئ عليم ۞ ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم
يعودون لما نهوا عنه ويتنجون بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون
فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير ۞ يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
واتقوا الله الذى اليه تحشرون ۞ انما النجوى من الشيطن
ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞ يأيها الذين آمنوا
اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا
قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجت والله بما تعملون خبير ۞

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
❁ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ❁ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ❁ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
❁ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
مُهِينٌ ❁ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ❁ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ
هُمُ الْكَاذِبُونَ ❁ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ
اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
❁ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ❁
كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ❁

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة ﴾ فتصدّقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الأمر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا * وعن علىّ كرّم الله وجهه انّ فى كتاب الله آية ماعمل بها أحد غيري كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدّقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لايقدح فى غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ﴿ذلك﴾ أى ذلك التصدّق ﴿ خير لكم وأطهر ﴾ اى لانفسكم من الريبة وحبّ المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله ﴿ فان لم تجدوا فانّ الله غفور رحيم ﴾ أى لمن لم يجده حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدّق أدل على الوجوب ﴿ أأشفقتم أن تقدّموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ أخفتم الفقر من تقديم الصدقة أوأخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أولكثرة التناجى ﴿ فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴾ بأن رخص لكم أن لاتفعلوه وفيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أوان ﴿ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ﴾ فلاتفرطوا فى أدائهما ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ﴾ في سائر الأوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهرا وباطنا ﴿ ألم تر الى الذين تولوا ﴾ والوا ﴿ قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى اليهود ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ﴿ ويحلفون على الكذب ﴾ وهو ادّعاء الاسلام ﴿ وهم يعلمون ﴾ أن المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لايعلم * وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله ابن نبتل المنافق وكان أزرق فقال عليه الصلاة والسلام له علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت ﴿ أعدّ الله لهم عذابا شديدا ﴾ نوعا من العذاب متفاقما ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ فتمرّنوا على سوء العمل وأصرّوا عليه ﴿ اتخذوا أيمانهم ﴾ أى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر أى ايمانهم الذى أظهروه ﴿ جنة ﴾ وقاية دون دمائهم وأموالهم ﴿ فصدّوا عن سبيل الله ﴾ فصدّوا الناس فى خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط ﴿ فلهم عذاب مهين ﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأوّل عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿ لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ قد سبق مثله ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له ﴾ أى لله تعالى على أنهم مسلمون ﴿ كما يحلفون لكم ﴾ فى الدنيا ويقولون انهم لمنكم ﴿ ويحسبون أنهم على شئ ﴾ فى حلفهم الكاذب لأن تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروّج الكذب على الله كما تروجه عليكم في الدنيا ﴿ ألا انهم هم الكاذبون ﴾ البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه ﴿ استحوذ عليهم الشيطان ﴾ استولى عليهم من حذت الابل وأحذتها اذا استوليت عليها وهومما جاء على الأصل ﴿ فأنساهم ذكر الله ﴾ لايذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم ﴿ أولئك حزب الشيطان ﴾ جنوده وأتباعه ﴿ ألا انّ حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ لانهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ﴿ انّ الذين يحادّون الله ورسوله أولئك في الأذلين ﴾ فى جملة من هو أذلّ خلق الله ﴿ كتب الله ﴾ فى اللوح ﴿ لأغلبنّ أنا ورسلى ﴾ أى بالحجة وقرأنافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء ﴿ انّ الله قوىّ ﴾ على نصر أنبيائه ﴿عزيز﴾ لايغلب عليه شئ فى مراده

﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله﴾ أي لا ينبغي أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد أنه لا ينبغي أن يوادوهم ﴿ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾ ولو كان المحادون أقرب الناس اليهم ﴿أولئك﴾ أي الذين لم يوادوهم ﴿كتب في قلوبهم الايمان﴾ أثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت فيه ﴿وأيدهم بروح منه﴾ أي من عند الله وهو نور القلب أو القرآن أو بالنصر على العدوّ وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب ﴿ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم﴾ بطاعتهم ﴿ورضوا عنه﴾ بقضائه أو بما وعدهم من الثواب ﴿أولئك حزب الله﴾ جنده وأنصار دينه ﴿ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ الفائزون بخير الدارين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم﴾ * روى أنه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة وحالفوا أباسفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا أكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر﴾ أى في أول حشرهم من جزيرة العرب اذلم يصبهم هذا الذل قبل ذلك أوفى أول حشرهم للقتال أو الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله تعالى عنه اياهم من خيبر اليه أوفى أول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم أنهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو أن نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ﴿ماظننتم أن يخرجوا﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أى أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز أن تكون حصونهم فاعلا لما نعتهم ﴿فاتاهم الله﴾ أى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم الله أى العذاب أو النصر ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ لقوّة وثوقهم ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها أى يملؤها ﴿يخربون بيوتهم بايديهم﴾ ضنابها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها ﴿وأيدى المؤمنين﴾ فانهم أيضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال أو تفسير للرعب وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم ﴿فاعتبروا يا أولى الابصار﴾ فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس حجة من حيث انه أمر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه فى الكتب الاصولية ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ الخروج من أوطانهم ﴿لعذبهم فى الدنيا﴾ بالقتل والسبي كما فعل ببنى قريظة ﴿ولهم فى الآخرة عذاب النار﴾ استئناف معناه أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة

لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنت
تجري من تحتها الأنهر خلدين فيها رضي الله عنهم ورضوا
عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ۞

سورة الحشر مدنية وهي أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموت وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ۞ هو
الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتب من ديارهم لأول
الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم
من الله فأتىهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا
يأولي الأبصر ۞ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ۞

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله
شديد العقاب ۞ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة
على أصولها فبإذن الله وليخزي الفسقين ۞ وما أفاء الله على
رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله
يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ۞
ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول
ولذي القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل كي لا يكون
دولة بين الأغنياء منكم وما آتيكم الرسول فخذوه وما
نهيكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ۞
للفقراء المهجرين الذين أخرجوا من ديرهم وأموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك
هم الصدقون ۞ والذين تبوءو الدار والإيمان
من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ۞

﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب﴾ الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وماهو معدّ لهم أو الى الاخير ﴿ماقطعتم من لينة﴾ أى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على ألوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان ﴿أوتركتموها﴾ الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة ﴿قائمة على أصولها﴾ وقرئ أصلها اكتفاء بالضمة عن الواو أو على أنه كرهن ﴿فباذن الله﴾ فبامره ﴿وليخزي الفاسقين﴾ علة لمحذوف أي وفعلتم أو وأذن لكم في القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه * روى أنه عليه السلام لما أمر بقطع نخيلهم قالوا قد كنت يامحمد تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع أشجارهم زيادة لغيظهم ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ وما أعاده عليه بمعنى صيره له أورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين ﴿منهم﴾ من بنى النضير أو من الكفرة ﴿فما أوجفتم عليه﴾ فما أجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير ﴿من خيل ولاركاب﴾ مايركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فىء بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا أو حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الا ثلاثة كانت بهم حاجة ﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ بقذف الرعب فى قلوبهم ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيفعل مايريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ﴿ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ بيان للاوّل ولذلك لم يعطف عليه ﴿فلله وللرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ اختلف في قسم الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور ﴿كيلا يكون﴾ أى الفىء الذى حقه أن يكون للفقراء وقرأ هشام في رواية بالتاء ﴿دولة بين الاغنياء منكم﴾ الدولة مايتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفىء ذا تداول بينهم أو أخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة أى كيلا يقع دولة جاهلية ﴿وما آتاكم الرسول﴾ وما أعطاكم من الفىء أو من الامر ﴿فخذوه﴾ لانه حلال لكم أو فتمسكوا به لانه واجب الطاعة ﴿وما نهاكم عنه﴾ عن أخذه منه أو عن اتيانه ﴿فانتهوا﴾ عنه ﴿واتقوا الله﴾ فى مخالفة رسوله ﴿ان الله شديد العقاب﴾ لمن خالفه ﴿للفقراء المهاجرين﴾ بدل من لذى القربى وماعطف عليه فان الرسول لايسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده والفىء بفىء بنى النضير ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ فان كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ بأنفسهم وأموالهم ﴿أولئك هم الصادقون﴾ في ايمانهم ﴿والذين تبوّؤا الدار والايمان﴾ عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار الذين ظهر صدقهم فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاوّل وعوض عنه اللام أو تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره ﴿من قبلهم﴾ من قبل هجرة المهاجرين * وقيل تقدير الكلام والذين تبوّؤا الدار من قبلهم والايمان ﴿يحبون من هاجر اليهم﴾ ولايثقل عليهم ﴿ولايجدون فى صدورهم﴾ فى أنفسهم ﴿حاجة﴾ ماتحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ ﴿مما أوتوا﴾ مما أعطى المهاجرون من الفىء وغيره ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ ويقدمون المهاجرين على أنفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من أحدهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ﴿ومن يوق شحّ نفسه﴾ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل

﴿والذين جاؤا من بعدهم ﴾هم الذين هاجروا حين قوى الاسلام أوالتابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ أى لاخواننا فى الدين ﴿ ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ حقدا لهم ﴿ ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فحقيق بان تجيب دعاءنا ﴿ ألم ترالى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يريد الذين بينهم وبينهم أخوة الكفر أوالصداقة والموالاة ﴿ لئن أخرجتم ﴾ من دياركم ﴿ لنخرجنّ معكم ولانطيع فيكم ﴾ فى قتالكم أوخذلانكم ﴿ أحدا أبدا ﴾ أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ وان قوتلتم لننصرنكم ﴾ لنعاوننكم ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ لعلمه بانهم لايفعلون ذلك كما قال ﴿ لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ﴾ وكان كذلك فان ابن أبىّ وأصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم أخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوّة واعجاز القرآن ﴿ ولئن نصروهم ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ ليولنّ الادبار ﴾ انهزاما ﴿ ثم لاينصرون ﴾ بعدبل يخذ لهم الله ولاينفعهم نصرة المنافقين أونفاقهم اذضمير الفعلين يحتمل أن يكون لليهود وأن يكون للمنافقين ﴿ لأنتم أشد رهبة ﴾ أي أشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول ﴿ فى صدورهم ﴾ فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿ من الله ﴾ على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ﴿ ذلك بانهم قوم لايفقهون ﴾ لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا أنه الحقيق بان يخشى ﴿ لايقاتلونكم ﴾ اليهود والمنافقون ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ الا فى قرى محصنة ﴾ بالدروب والخنادق ﴿ أومن وراء جدر ﴾ لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وأبوعمر وجدار وأمال أبوعمر وفتحة الدال ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ أى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتدّ باسهم اذاحارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذاحارب الله ورسوله ﴿ تحسبهم جميعا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ وقلوبهم شتى ﴾ متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ ذلك بانهم قوم لايعقلون ﴾ مافيه صلاحهم وأن تشتت القلوب يوهن قواهم ﴿ كمثل الذين من قبلهم ﴾ أى مثل اليهود كمثل أهل بدر أوبني قينقاع ان صح أنهم أخرجوا قبل النضير أوالمهلكين من الامم الماضية ﴿ قريبا ﴾ فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذالتقدير كوجود مثل ﴿ ذاقوا وبال أمرهم ﴾ سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ فى الآخرة ﴿ كمثل الشيطان ﴾ أي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان ﴿ اذقال للانسان اكفر ﴾ أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور ﴿ فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ﴾ تبرأ عنه مخافة أن يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال ﴿ فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ والمراد من الانسان الجنس وقيل أبوجهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية * وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على أنه خبران وفى النار لغو

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا
نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا
لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ۞
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ
وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ
شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ۞ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ كَمَثَلِ
الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا
أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۞

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدّمت لغد﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوه أولان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم وأما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك ﴿واتقوا الله﴾ تكرير للتأكيد أوالاول فى أداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني فى ترك المحارم لاقترانه بقوله ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ وهو كالوعيد على المعاصى ﴿ولاتكونوا كالذين نسوا الله﴾ نسوا حقه ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها أوأراهم يوم القيامة من الهول ماأنساهم أنفسهم ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى الفسوق ﴿لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به أصحابنا على أن المسلم لايقتل بالكافر ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية الله﴾ تمثيل وتخييل كما مرّ في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله ﴿وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فان الاشارة اليه والى أمثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام ﴿هو الله الذي لااله الاهو عالم الغيب والشهادة﴾ ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وماحضر له من الاجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أوالمعدوم والموجود أوالسر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة ﴿هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لااله الاهو الملك القدوس﴾ البالغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿السلام﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة ﴿المؤمن﴾ واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿المهيمن﴾ الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن قلبت همزته هاء ﴿العزيز الجبار﴾ الذى جبر خلقه على ماأراده أوجبر حالهم بمعنى أصلحه ﴿المتكبر﴾ الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة أونقصانا ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ اذ لايشركه فى شئ من ذلك ﴿هو الله الخالق﴾ المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ﴿البارئ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت ﴿المصوّر﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء وأخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى ﴿له الاسماء الحسنى﴾ لانها دالة على محاسن المعانى ﴿يسبح له مافي السموات والارض﴾ لتنزهه عن النقائص كلها ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ۞ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسيهم أنفسهم أولئك هم الفسقون ۞ لا يستوى أصحب النار وأصحب الجنة أصحب الجنة هم الفائزون ۞ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ۞ هو الله الذى لا إله إلا هو علم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ۞ هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحن الله عما يشركون ۞ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموت والأرض وهو العزيز الحكيم ۞

سورة الممتحنة مدنية وهى ثلث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم أولياء) نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فانه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل مكة كتب اليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل كتابه مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام فأعلم رسول الله وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع فسلّ علي رضى الله تعالى عنه السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ماحملك عليه فقال يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابي لايغنى عنهم شيأ فصدّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره (تلقون اليهم بالمودة) تفضون اليهم المودّة بالمكاتبة والباء مزيدة أو أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودّة والجملة حال من فاعل لاتتخذوا أوصفة لاولياء جرت على غير من هي له ولاحاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل أحد الفعلين (يخرجون الرسول واياكم) أي من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه (أن تؤمنوا بالله ربكم) بأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على مايوجب الايمان (ان كنتم خرجتم) عن أوطانكم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتتخذوا (تسرون اليهم بالمودة) بدل من تلقون أو استئناف معناه أىّ طائل لكم في اسرار المودة أوالاخبار بسبب المودة (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أومصدرية (ومن يفعله منكم) أى من يفعل الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) أخطأه (ان يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) مايسوؤكم كالقتل والشتم (وودّوا لو تكفرون) وتمنوا ارتدادكم ومجىء ودوا وحده بلفظ الماضى للاشعار بأنهم ودّوا ذلك قبل كل شئ وأن ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم (يوم القيامة يفصل بينكم) يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفرّ منكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر يفصل على البناء للمفعول وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه (قد كانت لكم أسوة حسنة) قدوة اسم لما يؤتسى به (في ابراهيم والذين معه) صفة ثانية أوخبر كان ولكم لغو أوحال من المستكن في حسنة أوصلة لها لا لاسوة لانها وصفت (اذ قالوا لقومهم) ظرف لخبر كان (انا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى بدينكم أو بمعبودكم أوبكم وبه فلانعتد بشأنكم وآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فتنقلب العداوة والبغضاء ألفة ومحبة (الاقول ابراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك) استثناء من قوله أسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مماينبغى أن يأتسوا به فانه كان قبل النهى أولموعدة وعدها اياه (وما أملك لك من الله من شئ) من تمام قوله المستثنى ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) متصل بما قبل الاستثناء أوأمر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لاتحتمله (واغفر لنا) مافرط منا (ربنا انك أنت العزيز الحكيم) ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير المتوكل ويجيب الداعي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ
الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا
فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ
بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ
السَّبِيلِ ۞ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۞ لَنْ تَنْفَعَكُمْ
أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ
أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ
لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞

لقد

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَالْيَوْمَ
الْاٰخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ عَسَى اللّٰهُ
اَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللّٰهُ قَدِيرٌ
وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ لَا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
اِلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ اِنَّمَا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ
عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَاَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وَظَاهَرُوا عَلٰى اِخْرَاجِكُمْ اَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللّٰهُ اَعْلَمُ بِاِيمَانِهِنَّ فَاِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ اِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَاٰتُوهُمْ مَا اَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
اَنْ تَنْكِحُوهُنَّ اِذَا اٰتَيْتُمُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا اَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا اَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ
حُكْمُ اللّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞

﴿ لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة ﴾ تكرير لمزيد الحثّ على التأسى بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ من لكم فانه يدل على أنه لاينبغى لمؤمن أن يترك التأسى بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ﴿ ومن يتولّ فان الله هو الغنىّ الحميد ﴾ فانه جدير بأن يوعد به الكفرة ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة ﴾ لما نزل لاتتخذوا عادي المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرّؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وأنجز اذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء ﴿ والله قدير ﴾ على ذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ﴾ أى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء لأن قوله ﴿ أن تبروهم ﴾ بدل من الذين ﴿ وتقسطوا اليهم ﴾ وتفضوا اليهم بالقسط أى العدل ﴿ انّ الله يحبّ المقسطين ﴾ العادلين ❊ روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ﴾ كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين ﴿ أن تولوهم ﴾ بدل من الذين بدل الاشتمال ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ لوضعهم الولاية فى غير موضعها ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنّ ﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهنّ لسانهنّ فى الايمان ﴿ الله أعلم بايمانهنّ ﴾ فانه المطلع على مافى قلوبهنّ ﴿ فان علمتموهنّ مؤمنات ﴾ العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظنّ الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به ﴿ فلاترجعوهنّ الى الكفار ﴾ أي الى أزواجهنّ الكفرة لقوله ﴿ لا هنّ حلّ لهم ولاهم يحلون لهنّ ﴾ والتكرير للمطابقة والمبالغة أو الأولى لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستئناف ﴿ وآتوهم ما أنفقوا ﴾ مادفعوا اليهن من المهور وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن ❊ اذ روى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد الحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فأقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضى الله تعالى عنه ﴿ ولاجناح عليكم أن تنكحوهن ﴾ فان الاسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿ اذا آتيتموهن أجورهن ﴾ شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر ﴿ ولاتمسكوا بعصم الكوافر ﴾ بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولاتمسكوا بالتشديد ﴿ واسئلوا ما أنفقتم ﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿ وليسئلوا ما أنفقوا ﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات ﴿ ذلكم حكم الله ﴾ يعنى جميع ماذكر في الآية ﴿ يحكم بينكم ﴾ استئناف أوحال من الحكم على حذف الضمير أو جعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يشرع ماتقتضيه حكمته

﴿ وان فاتكم ﴾ وان سبقكم وانفلت منكم ﴿ شئ من أزواجكم ﴾ أحد من أزواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم أوشئ من مهورهن ﴿ الى الكفار فعاقبتم ﴾ لجاءت عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ﴿ فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ﴾ من مهر المهاجرة ولاتؤتوه زوجها الكافر * روى أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ فان الايمان به يقتضى التقوى منه ﴿ يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيأ ﴾ * نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء ﴿ ولا يسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ﴾ يريد وأد البنات ﴿ ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف ﴾ فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لايأمر الا به تنبيه على أنه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق ﴿ فبايعهن ﴾ اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء ﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى عامة الكفار أو اليهود * اذ روى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنهم لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات ﴿ كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ أن يبعثوا أويثابوا أوينالهم خير منهم وعلى الأول وضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على أن الكفر آيسهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿ سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبح لله مافى السموات ومافى الأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ سبق تفسيره ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ * روي أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله ـ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ـ فولوا يوم أحد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر على حذف ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ المقت أشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ﴾ مصطفين مصدر وصف به ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ
ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
۞ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا
يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۞

سورة الصف مدنية وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ۞

﴿ واذ قال موسى لقومه ﴾ مقدرا باذكر أوكان كذا ﴿ ياقوم لم تؤذوننى ﴾ بالعصيان والرمى بالأدرة ﴿ وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ﴾ بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم ﴿ فلما زاغوا ﴾ عن الحق ﴿ أزاغ الله قلوبهم ﴾ صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب ﴿ والله لايهدى القوم الفاسقين ﴾ هداية موصلة الى معرفة الحق أوالى الجنة ﴿ واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل ﴾ ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليه الصلاة والسلام لانه لا نسب له فيهم ﴿ اني رسول الله اليكم مصدّقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشرا ﴾ فى حال تصديقى لما تقدمنى من التوراة وتبشيرى برسول يأتى من بعدى والعامل فى الحالين مافى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلايعمل ﴿ برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ﴾ يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه فذكر أول الكتب المشهورة الذى حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين ﴿ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ الاشارة الى ما جاء به أواليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على أن الاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعي الى الاسلام ﴾ أى لا أحد أظلم ممن يدعي الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادّعاه كلمسه والتمسه ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ لايرشدهم الى مافيه فلاحهم ﴿ يريدون ليطفؤا ﴾ أى يريدون أن يطفؤا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبا لك أويريدون الافتراء ليطفؤا ﴿ نور الله ﴾ يعنى دينه أوكتابه أوحجته ﴿ بأفواههم ﴾ بطعنهم فيه ﴿ والله متم نوره ﴾ مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة ﴿ ولوكره الكافرون ﴾ ارغاما لهم ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿ ودين الحق ﴾ والملة الحنيفية ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليغلبه على جميع الأديان ﴿ ولو كره المشركون ﴾ لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بأن ذلك مما لايترك ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ يعنى ماذكر من الايمان والجهاد ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من أهل العلم اذ الجاهل لايعتد بفعله ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ جواب للأمر المدلول عليه بلفظ الخبر أولشرط أواستفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل أدلكم لأن مجرد دلالته لاتوجب المغفرة ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة ﴿ وأخرى تحبونها ﴾ ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطيكم أوتحبون أومبتدأ خبره ﴿ نصر من الله ﴾ وهو على الأول بدل أوبيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل أوالاختصاص أوالمصدر ﴿ وفتح قريب ﴾ عاجل ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أوعلى تؤمنون فانه فى معنى الامر كأنه قال آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ
إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
۞ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم
مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ
أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ۞ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ
وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً
فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَىٰ
تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۞

﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ﴾ وقرأ الحجازيان وأبوعمرو بالتنوين واللام لان المعني كونوا بعض أنصار الله ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله ﴾ أي من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى ﴿ قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ والاضافة الاولى اضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعني اذالمراد قل لهم كما قال عيسى ابن مريم أوكونوا أنصارا كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصاري الى الله والحواريون أصفياؤه وهم أوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض ﴿ فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ﴾ أي بعيسى ﴿ وأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم ﴾ بالحجة أوبالحرب وذلك بعد رفع عيسى ﴿ فأصبحوا ظاهرين ﴾ فصاروا غالبين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿ سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * يسبح لله مافى السموات ومافى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ وقدقرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح ﴿ هو الذى بعث فى الاميين ﴾ أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولايقرؤن ﴿ رسولا منهم ﴾ من جملتهم أميا مثلهم ﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾ مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولاتعلم ﴿ ويزكيهم ﴾ من خبائث العقائد والاعمال ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ القرآن والشريعة أومعالم الدين من المنقول والمعقول ولولم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿ وان كانوامن قبل لفى ضلال مبين ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدّة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها ﴿ وآخرين منهم ﴾ عطف على الاميين أوالمنصوب فى يعلمهم وهم الذين جؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ﴿ وهو العزيز ﴾ في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة ﴿ الحكيم ﴾ فى اختياره وتعليمه ﴿ ذلك فضل الله ﴾ ذلك الفضل الذى امتازبه عن أقرانه فضله ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ تفضلا وعطية ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا أونعيم الآخرة أونعيمهما ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ ثم لم يحملوها ﴾ لم يعملوا بها أولم ينتفعوا بما فيها ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ كتبا من العلم يتعب فى حملها ولاينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معني المثل أوصفة اذليس المراد من الحمار معينا ﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ﴾ أى مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام ويجوز أن يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا ﴿ والله لايهدى القوم الظالمين ﴾

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن
مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن
أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة
فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ۝

سورة الجمعة وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز
الحكيم ۝ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم
آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل
لفي ضلل مبين ۝ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
الحكيم ۝ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم ۝ مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها
كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيت الله والله لا يهدي القوم الظلمين ۝

قل يا أيها الذين هادوا ﴾ تهوّدوا ﴿ ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس ﴾ اذ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿ فتمنوا الموت ﴾ فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى زعمكم ﴿ ولايتمنونه أبدا بماقدمت أيديهم ﴾ بسبب ماقدموا من الكفر والمعاصى ﴿ والله عليم بالظالمين ﴾ فيجازيهم على أعمالهم ﴿ قل ان الموت الذى تفرّون منه ﴾ وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم ﴿ فانه ملاقيكم ﴾ لاحق بكم لاتفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكأن فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز أن يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بان يجازيكم عليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة ﴾ أى اذا أذن لها ﴿ من يوم الجمعة ﴾ بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤى لاجتماع الناس فيه اليه وأوّل جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم المدينة نزل قباء فاقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى وادلبنى سالم بن عوف ﴿ فاسعوا الى ذكر الله ﴾ فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها ﴿ وذروا البيع ﴾ واتركوا المعاملة ﴿ ذلكم ﴾ أى السعى الى ذكر الله ﴿ خير لكم ﴾ من المعاملة فان نفع الآخرة خير وأبقى ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم من أهل العلم ﴿ فاذا قضيت الصلاة ﴾ أديت وفرغ منها ﴿ فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ﴾ اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة * وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ فى الله ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ واذكروه فى مجامع أحوالكم ولاتخصوا ذكره بالصلاة ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بخير الدارين ﴿ واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ﴾

قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ۞ ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ۞ قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ۞ يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ۞ فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ۞ واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين ۞

سورة المنفقون مدنية وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنفقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنفقين لكاذبون ۞

* روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عليه عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على أن منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته أو للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو أولى بذلك * وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه ﴿ وتركوك قائما ﴾ أى على المنبر ﴿ قل ماعند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ فان ذلك محقق مخلد بخلاف ماتتوهمون من نفعهما ﴿ والله خير الرازقين ﴾ فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿ سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ﴾ الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله ﴿ والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ لانهم لم يعتقدوا ذلك

﴿ اتخذوا أيمانهم ﴾ حلفهم الكاذب أوشهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم ﴿ جنة ﴾ وقاية من القتل والسبي ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾
صدا أوصدودا ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ من نفاقهم وصدهم ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى الكلام المتقدم أي ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أوالى الحال المذكورة
من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان ﴿ بانهم آمنوا ﴾ بسبب أنهم آمنوا ظاهرا ﴿ ثم كفروا ﴾ سرا أوآمنوا اذارأوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة
﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمرنوا على الكفر فاستحكموا فيه ﴿ فهم لايفقهون ﴾ حقية الايمان ولايعرفون صحته ﴿واذارأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ لضخامتها وصباحتها
﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم
﴿ كأنهم خشب مسندة ﴾ حال من الضمير المجرور فى لقولهم أى تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل
الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخرجوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ أبوعمرو والكسائى وقنبل عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف أوعلى أنه
كبدن فى جمع بدنة ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ أى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولى يحسبون ويجوز أن يكون صلته والمفعول ﴿ هم العدو ﴾ وعلى هذا
يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله ﴿ فاحذرهم ﴾ عليه يدل على أن الضمير للمنافقين ﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم
أوتعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك ﴿ أني يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن الحق ﴿ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ﴾ عطفوها اعراضا
واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ يعرضون عن الاستغفار ﴿ وهم مستكبرون ﴾ عن الاعتذار ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴾ لرسوخهم فى الكفر ﴿ ان الله لايهدي القوم الفاسقين ﴾
الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهما كهم فى الكفر والنفاق ﴿ هم الذين يقولون ﴾ أى
للانصار ﴿ لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ يعنون فقراء المهاجرين
﴿ولله خزائن السموات والارض﴾ بيده الارزاق والقسم ﴿ولكن المنافقين لايفقهون﴾
ذلك لجهلهم بالله ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل﴾ * روى
أن أعرابيا نازع أنصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكى
الى ابن أبى فقال لاتنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا واذا
رجعنا الى المدينة فليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون
ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدر أوحال على تقدير مضاف كخروج
أواخراج أومثل ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من
رسوله والمؤمنين ﴿ولكن المنافقين لايعلمون﴾ من فرط جهلهم وغرورهم ﴿ياأيها الذين
آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ لايشغلكم تدبيرها والاهتمام
بها عن ذكره كالصلوات وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها
وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذا قال ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أى اللهو بها وهو الشغل
﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى

اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا
يعملون ۞ ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون ۞ واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم
العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ۞ واذا قيل لهم
تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم
يصدون وهم مستكبرون ۞ سواء عليهم أستغفرت لهم
أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم
الفسقين ۞ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموت والارض
ولكن المنفقين لا يفقهون ۞ يقولون لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنفقين لا يعلمون ۞
يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخسرون ۞

وانفقوا

﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ بعض أموالكم ادخارا للآخرة ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ أي يرى دلائله ﴿فيقول رب لولا أخرتني﴾ هلا أمهلتني ﴿الى أجل قريب﴾ أمد غير بعيد ﴿فأصدّق﴾ فأتصدق ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالتدارك وجزم أكن للعطف على موضع الفاء ومابعده وقرأ أبو عمرو وأكون منصوبا عطفا على فأصدق وقرئ بالرفع على وأنا أكون فيكون عدة بالصلاح ﴿ولن يؤخر الله نفسا﴾ ولن يمهلها ﴿اذا جاء أجلها﴾ آخر عمرها ﴿والله خبير بما تعملون﴾ فمجاز عليه وقرأ أبوبكر بالياء ليوافق ماقبله في الغيبة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

(سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * يسبح لله مافي السموات ومافي الارض﴾ بدلالتها على كماله واستغنائه ﴿له الملك وله الحمد﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال ﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر﴾ مقدر كفره موجه اليه مايحمله عليه ﴿ومنكم مؤمن﴾ مقدر ايمانه موفق لمايدعوه اليه ﴿والله بماتعملون بصير﴾ فيعاملكم بما يناسب أعمالكم ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ بالحكمة البالغة ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ فصوركم من جملة ماخلق فيهما بأحسن صورة حيث زينكم بصفوة أوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم أنموذج جميع المخلوقات ﴿واليه المصير﴾ فأحسنوا سرائركم حتى لايمسخ بالعذاب ظواهركم ﴿يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور﴾ فلايخفى عليه مايصح أن يعلم كليا كان أوجزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته أوّلا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء ﴿ألم يأتكم﴾ ياأيها الكفار ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾ كقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ ضرر كفرهم في الدنيا وأصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل المطر الثقيل القطار ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الوبال والعذاب ﴿بأنه﴾ بسبب أن الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات ﴿فقالوا أبشر يهدوننا﴾ أنكروا وتعجبوا من أن يكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع ﴿فكفروا﴾ بالرسل ﴿وتولوا﴾ عن التدبر في البينات ﴿واستغنى الله﴾ عن كل شئ فضلا عن طاعتهم ﴿والله غنى﴾ عن عبادتهم وغيرها ﴿حميد﴾ يدل على حمده كل مخلوق ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما في حيزه ﴿قل بلى﴾ أي بلى تبعثون ﴿وربي لتبعثن﴾ قسم أكد به الجواب ﴿ثم لتنبؤنّ بما عملتم﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿وذلك على الله يسير﴾ لقبول المادة وحصول القدرة التامة

وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

سورة التغابن مدنية وهي ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝

﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والنور الذى أنزلنا﴾ يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فمجاز عليه ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن أومقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ﴿ليوم الجمع﴾ لاجل مافيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لوكانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقى وهو التغابن فى أمور الآخرة لعظمها ودوامها ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ أى عملا صالحا ﴿يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا﴾ وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع المصالح من دفع المضار وجلب المنافع ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ﴿ما أصاب من مصيبة الا باذن الله﴾ الا بتقديره وارادته ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة أى يسكن ﴿والله بكل شئ عليم﴾ حتى القلوب وأحوالها ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أى فان توليتم فلابأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ ﴿الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ لان ايمانهم بأن الكل منه يقتضى ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ يشغلكم عن طاعة الله أو يخاصمكم فى أمر الدين أو الدنيا ﴿فاحذروهم﴾ ولاتأمنوا غوائلهم ﴿وان تعفوا﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة ﴿وتصفحوا﴾ بالاعراض وترك التثريب عليها ﴿وتغفروا﴾ باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها ﴿فان الله غفور رحيم﴾ يعاملكم بمثل ماعملتم ويتفضل عليكم ﴿انما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ اختبار لكم ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿واسمعوا﴾ مواعظه ﴿وأطيعوا﴾ أوامره ﴿وأنفقوا﴾ فى وجوه الخير خالصا لوجهه ﴿خيرا لانفسكم﴾ أي افعلوا ماهو خيرلها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره انفاقا خيرا أوخبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ﴿ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون﴾ سبق تفسيره ﴿ان تقرضوا الله﴾ تصرفوا المال فيما أمره ﴿قرضا حسنا﴾ مقرونا باخلاص وطيب قلب ﴿يضاعفه لكم﴾ يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة وأكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ﴿ويغفر لكم﴾ ببركة الانفاق ﴿والله شكور﴾ يعطى الجزيل بالقليل ﴿حليم﴾ لايعاجل بالعقوبة ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ لايخفى عليه شئ ﴿العزيز الحكيم﴾ تام القدرة والعلم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة والله أعلم

فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير ۞
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ۞ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ۞ ما أصاب من مصيبة
الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم ۞
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا
البلاغ المبين ۞ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
۞ يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم
فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور
رحيم ۞ انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم
۞ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا
لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ۞ ان تقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور
حليم ۞ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ۞

*(سورة الطلاق مدنية * وآيها اثنتا عشرة أواحدى عشرة آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام أمته فنداؤه كنداثهم أولا أن الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه (فطلقوهن لعدتهن) -أى فى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان ومايشبهها للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالأطهار وأن طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى أن يكون فى الطهر وأنه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولايدل على عدم وقوعه اذ النهى لايستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضا أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة اقراء (واتقوا الله ربكم) في تطويل العدة والاضرار بهن (لا تخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن (ولايخرجن) باستبدادهن أما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لايعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) مستثنى من الأول والمعنى الا أن تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها أو الا أن تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها أومن الثاني للمبالغة في النهى والدلالة على أن خروجها فاحشة (وتلك حدود الله) الاشارة الى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بأن عرضها للعقاب (لاتدري) أى النفس أوأنت أيها النبي أوالمطلق (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وهو الرغبة فى المطلقة برجعة أو استئناف (فاذا بلغن أجلهن) شارفن آخر عدتهن (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن عشرة وانفاق مناسب (أو فارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة أوالفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله تعالى ـ وأشهدوا اذا تبايعتم ـ وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة (وأقيموا الشهادة) أيها الشهود عند الحاجة (لله) خالصا لوجهه (ذلكم يوعظ به) يريد الحث على الاشهاد والاقامة أوعلى جميع مافى الآية (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) فانه المنتفع به والمقصود بذكره (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا أوضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بأن يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله أوبالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لايحتسبون أوكلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين * وعنه صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها * وروى أن سالم بن عوف بن مالك الاشجعى أسره العدو فشكا أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وفى رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) يبلغ مايريده ولايفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ أمره أى نافذ وبالغا على أنه حال والخبر (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا أومقدارا أو أجلا لايتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن (ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن أى جهلتم (فعدتهن ثلاثة أشهر) * روى أنه لما نزل ـ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ـ قيل فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (واللائى لم يحضن) أى واللائي لم يحضن بعد كذلك (وأولات الاحمال أجلهن) منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم قوله تعالى ـ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ـ لأن عموم أولات الاحمال بالذات وعموم أزواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح أن سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه فى العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه (ومن يتق الله) فى أحكامه فيراعى حقوقها (يجعل له من أمره يسرا) يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك أمر الله) اشارة الى ماذكر من الاحكام (أنزله اليكم ومن يتق الله) في أحكامه فيراعي حقوقها (يكفر عنه سيآته) فان الحسنات يذهبن السيآت (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة

الجزء الثامن والعشرون ٥٥٩

سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين
بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ۞ فإذا بلغن أجلهن
فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل
منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ۞ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن
يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء
قدرا ۞ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة
أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن
ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ۞ ذلك أمر الله أنزله إليكم
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا ۞

﴿ أسكنوهنّ من حيث سكنتم ﴾ أىّ مكان من مكان سكناكم ﴿ من وجدكم ﴾ من وسعكم أى مما تطيقونه أوعطف بيان لقوله من حيث سكنتم ﴿ ولاتضارّوهن ﴾ فى السكنى ﴿ لتضيقوا عليهنّ ﴾ فتلجؤهن الى الخروج ﴿ وان كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهنّ ﴾ فيخرجن من العدّة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده ﴿ فان أرضعن لكم ﴾ بعد انقطاع علقة النكاح ﴿ فآتوهن أجورهنّ ﴾ على الارضاع ﴿ وائتمروا بينكم بمعروف ﴾ وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والأجر ﴿ وان تعاسرتم ﴾ تضايقتم ﴿ فسترضع له أخرى ﴾ امرأة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة ﴿ لينفق ذوسعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ أي فلينفق كل من الموسر والمعسر مابلغه وسعه ﴿ لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ﴾ فانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ أى عاجلا أوآجلا ﴿ وكأين من قرية ﴾ أهل قرية ﴿ عتت عن أمر ربها ورسله ﴾ أعرضت عنه اعراض العاتى المعاند ﴿ فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿ وعذّبناها عذابا نكرا ﴾ منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿ وكان عاقبة أمرها خسرا ﴾ لا ربح فيه أصلا ﴿ أعدّ الله لهم عذابا شديدا ﴾ تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله ﴿ فاتقوا الله يا أولى الألباب ﴾ ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا ﴿ الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا ﴾ يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره أولنزوله بالذكر وهو القرآن أولأنه مذكور في السموات أو ذا ذكر أى شرف أومحمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن أوتبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا أولأنه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو ذكرا مصدر ورسولا مفعوله أوبدله على أنه بمعنى الرسالة ﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ حال من اسم الله أوصفة رسولا والمراد بالذين آمنوا فى قوله ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الذين آمنوا بعد انزاله أى ليحصل لهم ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أوليخرج من علم أوقدر أنه يؤمن ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ من الضلالة الى الهدى ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون ﴿ قد أحسن الله له رزقا ﴾ فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ ومن الأرض مثلهنّ ﴾ أى وخلق مثلهن فى العدد من الأرض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ يتنزّل الأمر بينهن ﴾ أى يجرى أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن ﴿ لتعلموا أنّ الله على كل شئ قدير وأنّ الله قد أحاط بكل شئ علما ﴾ علة لخلق أوليتنزل أو مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان
ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان
تعاسرتم فسترضع له اخرى ۞ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما آتيه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتيها
سيجعل الله بعد عسر يسرا ۞ وكاين من قرية عتت عن امر ربها
ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ۞
فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا ۞ اعد الله لهم عذابا
شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله
اليكم ذكرا ۞ رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج
الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ۞ الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله
على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ۞

سورة التحريم مدنية * وآيها اثنتا عشرة آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ يا أيها النبيّ لم تحرّم ما أحلّ الله لك ﴾ * روي أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى نوبة عائشة رضى الله تعالى عنها أوحفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت ﴿ تبتغي مرضات أزواجك ﴾ تفسير لتحرم أوحال من فاعله أواستئناف لبيان الداعي اليه ﴿ والله غفور ﴾ لك هذه الزلة فانه لايجوز تحريم ما أحله الله ﴿ رحيم ﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ قد شرع لكم تحليلها وهو حل ماعقدته بالكفارة أوالاستثناء فيها بالمشيئة حتى لاتحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج بها من رأى التحريم مطلقا أوتحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال أنه عليه الصلاة والسلام أتى بلفظ اليمين كما قيل ﴿ والله مولاكم ﴾ متولى أمركم ﴿ وهو العليم ﴾ بما يصلحكم ﴿ الحكيم ﴾ المتقن فى أفعاله وأحكامه ﴿ واذ أسرّ النبي الى بعض أزواجه ﴾ يعنى حفصة ﴿ حديثا ﴾ تحريم مارية أوالعسل أوأن الخلافة بعده لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ﴿ فلما نبأت به ﴾ أى فلما أخبرت حفصة عائشة رضى الله تعالى عنهما بالحديث ﴿ وأظهره الله عليه ﴾ واطلع النبي عليه الصلاة والسلام على الحديث أى على افشائه ﴿ عرّف بعضه ﴾ عرف الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض مافعلت ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ عن اعلام بعض تكرما أوجازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف فانه لايحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله ﴿ فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ﴾ فانه أوفق للاعلام ﴿ ان تتوبا الى الله ﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة رسول الله عليه الصلاة والسلام بحب مايحبه وكراهة مايكرهه ﴿ وان تظاهرا عليه ﴾ وان تتظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿ فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ متظاهرون وتخصيص جبريل عليه السلام لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عمم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ماينصره الله تعالى به ﴿ عسى ربه ان طلقكنّ أن يبدله أزواجا خيرا منكنّ ﴾ على التغليب أوتعميم الخطاب وليس فيه مايدل على أنه لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لاينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لايجب وقوعه وقرأ نافع وأبوعمرو يبدله بالتخفيف ﴿ مسلمات مؤمنات ﴾ مقرّات مخلصات أومنقادات مصدّقات ﴿ قانتات ﴾ مصليات أومواظبات على الطاعات ﴿ تائبات ﴾ عن الذنوب ﴿ عابدات ﴾ متعبدات أومتذللات لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ سائحات ﴾ صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد أو مهاجرات ﴿ ثيبات وأبكارا ﴾ وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات ﴿ وأهليكم ﴾ بالنصح والتأديب وقرئ وأهلوكم عطف على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب المخاطبين ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب ﴿ عليها ملائكة ﴾ تلى أمرها وهم الزبانية ﴿ غلاظ شداد ﴾ غلاظ الأقوال شداد الأفعال أوغلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ فيما مضى ﴿ ويفعلون مايؤمرون ﴾ فيما يستقبل أو لايمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدّون مايؤمرون به

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ۝ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم ۝ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ۝ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ۝ عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ۝ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ۝

﴿ ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون ﴾ أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لاعذر لهم أوالعذر لاينفعهم ﴿ ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة أوفى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ماخرق الذنب وقرأ أبوبكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور أوالنصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح أوتنصح نصوحا أوتوبوا نصوحا لانفسكم *وسئل على رضى الله تعالى عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لاتعود وأن تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية ﴿ عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء ﴿ يوم لايخزى الله النبى ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ عطف على النبى عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدا خبره ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ أى على الصراط ﴿ يقولون ﴾ اذاطفئ نور المنافقين ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير ﴾ وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا ﴿ ياأيها النبى جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالحجة ﴿ واغلظ عليهم ﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم به اذابلغ الرفق مداه ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ جهنم أومأواهم ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط ﴾ مثل الله تعالى حالهم فى أنهم يعاقبون بكفرهم ولايحابون بمابينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما السلام ﴿ فخانتاهما ﴾ بالنفاق ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيأ ﴾ فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج شيأ اغناءما ﴿ وقيل ﴾ أى لهما عند موتهما أويوم القيامة ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لاوصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ﴾ شبه حالهم فى أن وصلة الكافرين لاتضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله ﴿ اذقالت ﴾ ظرف للمثل المحذوف ﴿ رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ﴾ قريبا من رحمتك أوفى أعلى درجات المقربين ﴿ ونجنى من فرعون وعمله ﴾ من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ﴿ ونجنى من القوم الظالمين ﴾ من القبط التابعين له فى الظلم ﴿ ومريم ابنت عمران ﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل ﴿ التى أحصنت فرجها ﴾ من الرجال ﴿ فنفخنا فيه ﴾ فى فرجها وقرئ فيها أى فى مريم أوفى الجملة ﴿ من روحنا ﴾ من روح خلقناه بلاتوسط أصل ﴿ وصدقت بكلمات ربها ﴾ بصحفه المنزلة أوبما أوحى الى أنبيائه ﴿ وكتابه ﴾ وما كتب فى اللوح المحفوظ أوجنس الكتب المنزلة وتدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى عليه السلام والانجيل ﴿ وكانت من القانتين ﴾ من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أومن نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام *وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

يٰأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ۞ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحًا
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللّٰهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
نُورُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ
لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ يٰأَيُّهَا النَّبِىُّ
جٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوٰيهُمْ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ
نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صٰلِحَيْنِ
فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ
مَعَ الدّٰخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ
فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِنْدَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى
مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
عِمْرٰنَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقٰنِتِينَ ۞

﴿ سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي قارئها وتنجيه من عذاب القبر وآيها ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ✿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ على كل مايشاء قدير ﴿ الذى خلق الموت والحيوة ﴾ قدرهما أوأوجد الحياة وأزالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم أمواتا فاحياكم ولانه أدعي الى حسن العمل ﴿ ليبلوكم ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾ أصوبه وأخلصه وجاء مرفوعا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معني العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلايعلق الفعل عنها بخلاف ماذا وقعت موقع المفعولين ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب الذي لايعجزه من أساء العمل ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب منهم ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ﴾ مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذاخصلتها طبقا على طبق وصف به أوطوبقت طباقا أوذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أوطبقة كرحبة ورحاب ﴿ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت كأن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض مافى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وأن في ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول أولكل مخاطب وقوله ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ متعلق به على معنى التسبب أى قدنظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين ماأخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ماينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذاشقه ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ أى رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك أجاب الامر بقوله ﴿ ينقلب اليك البصر خاسئا ﴾ بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار ﴿ وهو حسير ﴾ كايل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا ﴾ أقرب السموات الى الارض ﴿ بمصابيح ﴾ بالكواكب المضيئة بالليل اضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولايمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة فى سموات فوقها اذا لتزيين باظهارها فيها ﴿ وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به مايرجم به بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون ﴿ وأعتدنا لهم عذاب السعير ﴾ فى الآخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا ﴿ وللذين كفروا بربهم ﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿ عذاب جهنم وبئس المصير ﴾ وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير ﴿ اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا ﴾ صوتا كصوت الحمير ﴿ وهي تفور ﴾ تغلى بهم غليان المرجل بمافيه ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ تتفرق غيظا عليهم وهو تمثيل لشدّة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية ﴿ كلما ألقى فيها فوج ﴾ جماعة من الكفرة ﴿ سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴾ يخوّفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت ﴿ قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شئ ان أنتم الا في ضلال كبير ﴾ أي فكذبنا الرسل وأفرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير امابمعنى الجمع لانه فعيل أومصدر مقدر بمضاف أى أهل انذار أومنعوت به للمبالغة أوالواحد والخطاب له ولأمثاله على التغليب أواقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل أوعلى ان المعني قالت الافواج قدجاء الى كل فوج منا رسول من الله فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أوعقابه الذى يكونون فيه ﴿ وقالوا لو كنا نسمع ﴾ كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات ﴿ أونعقل ﴾ فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ﴿ ما كنا فى أصحاب السعير ﴾ فى عدادهم ومن جملتهم ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ حين لاينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر أو المراد به الكفر ﴿ فسحقا لاصحاب السعير ﴾ فأسحقهم الله سحقا أى أبعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ﴿ ان الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أوغائبين عنه أوعن أعين الناس أوبالمخفى منهم وهو قلوبهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ تصغر دونه لذائذ الدنيا

سورة الملك مكية وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ۞ الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ۞ الذى خلق سبع سموت طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفوت فارجع البصر هل ترى من فطور ۞ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ۞ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلنها رجوما للشيطين واعتدنا لهم عذاب السعير ۞ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ۞ اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور ۞ تكاد تميز من الغيظ كلما القى فيها فوج سالهم خزنتها الم يأتكم نذير ۞ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلل كبير ۞ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحب السعير ۞ فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحب السعير ۞ ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير ۞

﴿ وأسروا قولكم أواجهروا به انه عليم بذات الصدور ﴾ بالضمائر قبل أن يعبر عنها سرا أوجهرا ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ ألا يعلم السر والجهر من أوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ المتوصل علمه الى ماظهر من خلقه ومابطن أوألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون ليعلم مفعول ليفيد * روى أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ﴾ لينة يسهل لكم السلوك فيها ﴿ فامشوا فى مناكبها ﴾ فى جوانبها أوجبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ والتمسوا من نعم الله ﴿ واليه النشور ﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ماأنعم عليكم ﴿ أأمنتم من في السماء ﴾ يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم أوالله تعالى على تأويل من فى السماء أمره أوقضاؤه أوعلى زعم العرب فانهم زعموا أنه تعالى فى السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ماقبلها وآمنتم بقلب الثانية ألفا وهو قراءة نافع وأبى عمرو ورويس ﴿ أن يخسف بكم الارض ﴾ فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال ﴿ فاذا هي تمور ﴾ تضطرب والمور التردد فى المجىء والذهاب ﴿ أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ أن يمطر عليكم حصباء ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه المشركين ﴿ أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ﴾ باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ﴿ ويقبضن ﴾ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ عليه ﴿ مايمسكهن ﴾ فى الجو على خلاف الطبع ﴿ الا الرحمن ﴾ الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على أشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهواء ﴿ انه بكل شئ بصير ﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب ﴿ أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ﴾ عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم تنظروا فى أمثال هذه الصنائع فلم تعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب أم لكم جند ينصركم من دون الله ان أرسل عليكم عذابه فهو كقوله أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا أنه أخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ﴿ ان الكافرون الا في غرور ﴾ لا معتمد لهم ﴿ أمن هذا الذى يرزقكم ﴾ أم من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ﴿ ان أمسك رزقه ﴾ بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم ﴿ بل لجوا ﴾ تمادوا ﴿ فى عتو ﴾ عناد ﴿ ونفور ﴾ شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ﴾ يقال كببته فأكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فأقشع والتحقيق أنهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله ﴿ أمن يمشى سويا ﴾ قائما سالما من العثار ﴿ على صراط مستقيم ﴾ مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ماعليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة ﴿ قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع ﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿ والابصار ﴾ لتنظروا صنائعه ﴿ والافئدة ﴾ لتتفكروا وتعتبروا ﴿ قليلا ماتشكرون ﴾ باستعمالها فيما خلقت لاجلها ﴿ قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ﴾ للجزاء ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ أى الحشر أوما وعدوا به من الخسف والحاصب ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنون النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ قل انما العلم ﴾ أى علم وقته ﴿ عند الله ﴾ لا يطلع عليه غيره ﴿ وانما أنا نذير مبين ﴾ والانذار يكفى فيه العلم بل الظن بوقوع المحذر منه

وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ۝ ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير ۝ هو الذي جعل لكم الأرض
ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ۝
ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ۝
أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير
۝ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ۝ أولم يروا
إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه
بكل شيء بصير ۝ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون
الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ۝ أمن هذا الذي يرزقكم
إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ۝ أفمن يمشي مكبا على
وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم ۝
قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة
قليلا ما تشكرون ۝ قل هو الذي ذرأكم في الأرض
وإليه تحشرون ۝ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم
صادقين ۝ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ۝

فلما

﴿فلما رأوه﴾ أى الوعد فانه بمعنى الموعود ﴿زلفة﴾ ذا زلفة أى قرب منهم ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب ﴿وقيل هذا الذى كنتم به تدّعون﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو تدّعون أن لابعث فهومن الدعوى ﴿قل أرأيتم ان أهلكنى الله﴾ أماتنى ﴿ومن معى﴾ من المؤمنين ﴿أو رحمنا﴾ بتأخير آجالنا ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ أى لاينجيهم أحد من العذاب متنا أوبقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون ﴿قل هو الرحمن﴾ الذى أدعوكم اليه مولى النعم كلها ﴿آمنا به﴾ للعلم بذلك ﴿وعليه توكلنا﴾ للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لايضر ولاينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به ﴿فستعلمون من هو فى ضلال مبين﴾ منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء ﴿قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا﴾ غائرا فى الارض بحيث لاتناله الدلاء مصدر وصف به ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جار أوظاهر سهل المأخذ * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿ سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون آية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * ن﴾ من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس أوالبهموت وهو الذى عليه الارض أو الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شئ أشدّ سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبه بصورة الحرف ﴿والقلم﴾ وهوالذى خط اللوح أوالذى يخط به أقسم به تعالى لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها * وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص ﴿ومايسطرون﴾ ومايكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظم أوبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى أولى العلم لاقامته مقامهم أولاصحابه أوللحفظة وما مصدرية أوموصولة ﴿ماأنت بنعمة ربك بمجنون﴾ جواب القسم والمعنى ماأنت بمجنون منعما عليك بالنبوّة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل بمجنون الباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى ﴿وان لك لأجرا﴾ على الاحتمال والابلاغ ﴿غير ممنون﴾ مقطوع أوممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ اذ تتحمل من قومك مالايتحمل أمثالك وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون ﴿فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون﴾ أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أوبأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أو بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله﴾ وهم المجانين على الحقيقة ﴿وهو اعلم بالمهتدين﴾ الفائزين بكمال العقل ﴿فلاتطع المكذبين﴾ تهييج للتصمم على معاصاتهم ﴿ودّوا لوتدهن﴾ تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك أو توافقهم فيه أحيانا ﴿فيدهنون﴾ فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف أى ودّوا التداهن وتمنوه لكنهم أخروا ادهانهم حتى تدهن أوللسببية أى ودّوا لوتدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى ﴿ولاتطع كل حلاف﴾ كثير الحلف فى الحق والباطل ﴿مهين﴾ حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة ﴿هماز﴾ عياب ﴿مشاء بنميم﴾ نقال للحديث على وجه السعاية ﴿مناع للخير﴾ يمنع الناس عن الخير من الايمان والايقان والعمل الصالح ﴿معتد﴾ متجاوز فى الظلم ﴿أثيم﴾ كثير الآثام ﴿عتلّ﴾ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة ﴿بعد ذلك﴾ بعدما عد من مثالبه ﴿زنيم﴾ دعيّ مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة ﴿أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين﴾ قال ذلك حينئذ لانه كان متموّلا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لانفسه لان مابعد الشرط لايعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة للاتطع أي لاتطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر أن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أى ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد أوأن شرطه للمخاطب أى لاتطعه شارطا يساره لانه اذا أطاع للغنى فكأنه شرطه فى الطاعة ﴿سنسمه﴾ بالكى ﴿على الخرطوم﴾ على الانف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقى أثره وقيل هو عبارة عن أن يذله غاية الاذلال كقولهم جدع أنفه ورغم أنفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر أونسوّد وجهه يوم القيامة

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هٰذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللّٰهُ وَمَنْ مَعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ اٰمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلٰلٍ مُبِينٍ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۞

سورة القلم مكية وهي ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلٰى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۞ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۞ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۞ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۞ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ ۞ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۞ إِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِ اٰيٰتُنَا قَالَ أَسٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۞

﴿انا بلوناهم﴾ بلونا أهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط ﴿كما بلونا أصحاب الجنـة﴾ يريد البستان الذى كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وألقته الريح أو بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال ﴿اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾ ليقطعنها داخلين فى الصباح ﴿ولا يستثنون﴾ ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير أن المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أو لان معنى لاخرج ان شاء الله ولا أخرج الى أن يشاء الله واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم ﴿فطاف عليها﴾ على الجنة ﴿طائف﴾ بلاء طائف ﴿من ربك﴾ مبتدأ منه ﴿وهم نائمون فأصبحت كالصريم﴾ كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول أو كالليل باحتراقها واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمال ﴿فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم﴾ أن اخرجوا أو بان اخرجوا اليـه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال أو لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعني الاستيلاء ﴿ان كنتم صارمين﴾ قاطعين له ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الـكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ أن مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ وغدوا قادرين على نـكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا أن يتنـكدوا على المساكين فتنـكد عليهم بحيث لا يقدرون الا على النـكد أو غدوا حاصلين على النـكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنـة المغله

أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل علم للجنة ﴿فلما رأوها﴾ أول ما رأوها ﴿قالوا انا لضالون﴾ طريق جنتنا وما هي بها ﴿بل نحن﴾ أى بعـد ما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن ﴿محرومون﴾ حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا ﴿قال أوسطهم﴾ رأيا أو سنا ﴿ألم أقل لـكم لولا تسبحون﴾ لولا تذكرونه وتتوبون اليـه من خبث نيتـكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى ﴿قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين﴾ أى لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم أو لانه تنزيه عن أن يجرى فى ملـكه ما لا يريده ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من أنـكره ﴿قالوا ياويلنا انا كنا طاغين﴾ متجاوزين حدود الله تعالى ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها﴾ ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة * وقد روى انهم أبدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف ﴿انا الى ربنا راغبون﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع ﴿كذلك العذاب﴾ مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ أعظم منه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ﴿ان للمتقين عند ربهم﴾ أي فى الآخرة أو فى جوار القدس ﴿جنات النعيم﴾ جنات ليس فيها الا التنعم الخالص ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ انـكار لقول الـكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نـكون أحسن حالا منهم كما نحن عليـه في الدنيا ﴿مالـكم كيف تحكمون﴾ التفات فيـه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فـكر واعوجاج رأى ﴿أم لـكم كتاب﴾ من السماء ﴿فيه تدرسون﴾ تقرؤن ﴿ان لـكم فيه لما تخيرون﴾ ان لـكم ما تختارونه وتشتهونه وأصـله أن لـكم بالفتح لانه المدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس أو استئنافا وتخير الشئ واختاره أخذ خـيره ﴿أم لـكم أيمان علينا﴾ عهود مؤكدة بالايمان ﴿بالغة﴾ متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين ﴿الى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدر فى لـكم أى ثابتة لـكم علينا الى يوم القيامـة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم أو ببالغـة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم ﴿ان لـكم لما تحكمون﴾ جواب القسم لان معنى أم لـكم أيمان علينا أم أقسمنا لـكم ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ بذلك الحـكم قائم يدعيه ويصححه ﴿أم لهم شركاء﴾ يشاركونهم فى هذا القول ﴿فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين﴾ فى دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليـه لاستحقاق أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يعنى الاصنام يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى أن تـكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا أن تـكون مما يشاركون الله به

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ۞ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۞ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ۞ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ۞ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ
عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۞ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا
لَضَآلُّونَ ۞ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۞ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ ۞ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۞ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۞ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۞ عَسَىٰ رَبُّنَآ
أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۞ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ
رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ
كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۞ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ
لَمَا تَخَيَّرُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ
إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۞ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۞ أَمْ لَهُمْ
شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ۞

﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب * قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

أو يوم يكشف عن أصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل أوللتعظيم وقرئ تكشف وتكشف بالتاء على بناء الفاعل أوالمفعول والفعل للساعة أوالحال ﴿ ويدعون الى السجود ﴾ توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة أويدعون الى الصلوات لأوقاتها ان كان وقت النزع ﴿ فلايستطيعون ﴾ لذهاب وقته أوزوال القدرة عليه ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ﴾ تلحقهم ذلة ﴿ وقد كانوا يدعون الى السجود ﴾ فى الدنيا أوزمان الصحة ﴿ وهم سالمون ﴾ متمكنون منه مزاحو العلل فيه ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ كله الىّ فانى أكفيكه ﴿ سنستدرجهم ﴾ سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة ﴿ من حيث لايعلمون ﴾ أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين ﴿ وأملى لهم ﴾ وأمهلهم ﴿ انّ كيدي متين ﴾ لايدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته ﴿ أم تسألهم أجرا ﴾ على الارشاد ﴿ فهم من مغرم ﴾ من غرامة ﴿ مثقلون ﴾ بحملها فيعرضون عنك ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ اللوح أوالمغيبات ﴿ فهم يكتبون ﴾ منه مايحكمون به ويستغنون به عن علمك ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿ ولاتكن كصاحب الحوت ﴾ يونس عليه الصلاة والسلام ﴿ اذ نادى ﴾ فى بطن الحوت ﴿ وهو مكظوم ﴾ مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه ﴿ لولا أن تداركه نعمة من ربه ﴾ يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ بالأرض الخالية عن الاشجار ﴿ وهو مذموم ﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ ﴿ فاجتباه ربه ﴾ بأن ردّ الوحى اليه أواستنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ من الكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل ماتركه أولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حلّ به ماحل فأراد أن يدعو على المنهزمين ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك أويهلكونك من قولهم نظر الىّ نظرا يكاد يصرعني أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أوانهم يكادون يصيبونك بالعين * اذ روى أنه كان فى بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * وفى الحديث انّ العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك أى ليهلكونك ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ أى القرآن أى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ﴿ ويقولون انه لمجنون ﴾ حيرة فى أمره وتنفيرا عنه ﴿ وما هو الا ذكر للعالمين ﴾ لما جننوه لأجل القرآن بين أنه ذكر عام لايدركه ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلا وأميزهم رأيا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

*(سورة الحاقة مكية * وآيها اثنتان وخمسون آية)*

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ الحاقة ﴾ أى الساعة أو الحالة التى يحق وقوعها أو التى تحق فيها الامور أى تعرف حقيقتها أوتقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهي مبتدأ خبرها ﴿ ما الحاقة ﴾ وأصله ماهي أي أىّ شئ هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه أهول لها ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ وأى شئ أعلمك ماهي أى أنك لاتعلم كنهها فانها أعظم من أن تبلغها دراية أحد وما مبتدأ وأدراك خبره ﴿ كذّبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها ﴿ فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية ﴾ بالواقعة المجاوزة للحدّ فى الشدّة وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أوبسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على أنها مصدر كالعاقبة وهو لا يطابق قوله

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ۝ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ۝ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ۝ وأملي لهم ان كيدي متين ۝ أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ۝ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ۝ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم ۝ لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ۝ فاجتبيه ربه فجعله من الصالحين ۝ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون ۝ وما هو الا ذكر للعالمين ۝

سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة ۝ ما الحاقة ۝ وما أدريك ما الحاقة ۝ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ۝ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ۝

وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۞ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ
لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ
نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۞ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۞ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ
وَالْمُؤْتَفِكَٰتُ بِالْخَاطِئَةِ ۞ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَابِيَةً ۞ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ
تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ
۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ
وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞
وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۞
يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ
بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَٰقٍ
حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا
دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۞
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۞
وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞

﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ أى شديدة الصوت أوالبرد من الصر أوالصر ﴿عاتية﴾ شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها أوعلى عاد فلم يقدروا على ردّها ﴿ سخرها عليهم ﴾ سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف أوصفة جيء به لنفي مايتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴾ متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها أونحسات حسمت كل خير واستأصلته أوقاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أوالمصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت أيام العجوز من صبيحة أربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء أولأن عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فأهلكتها ﴿ فترى القوم ﴾ ان كنت حاضرهم ﴿فيها﴾ فى مهابها أوفى الليالى والايام ﴿صرعى﴾ موتى جمع صريع ﴿ كأنهم أعجاز نخل ﴾ أصول نخل ﴿ خاوية ﴾ متآكلة الاجواف ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ من بقية أونفس باقية أوبقاء ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه ﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط والمراد أهلها ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ أوبالفعلة أوالافعال ذات الخطأ ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ أى فعصت كل أمة رسولها ﴿فأخذهم أخذة رابية﴾ زائدة فى الشدة زيادة أعمالهم فى القبح ﴿ انا لما طغى الماء ﴾ جاوز حدّه المعتاد أوطغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله ﴿ حملناكم ﴾ أى آباءكم وأنتم فى أصلابهم ﴿ فى الجارية ﴾ في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ لنجعلها لكم ﴾ لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿ تذكرة ﴾ عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته ﴿وتعيها﴾ وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى أن تحفظ الشئ في نفسك والايعاء أن تحفظه فى غيرك ﴿ أذن واعية ﴾ من شأنها أن تحفظ مايجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع أذن بالتخفيف ﴿ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على مكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التى عندها خراب العالم ﴿ وحملت الأرض والجبال ﴾ رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة أوبتوسط زلزلة أو ريح عاصفة ﴿ فدكتا دكة واحدة ﴾ فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء أو فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا عوج فيها ولا أمتا لأن الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لا سنام لها وأرض دكاء للمتسعة المستوية ﴿فيومئذ﴾ فحينئذ ﴿وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء ﴾ لنزول الملائكة ﴿ فهى يومئذ واهية ﴾ ضعيفة مسترخية ﴿ والملك ﴾ والجنس المتعارف بالملك ﴿ على أرجائها ﴾ جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها الى أطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾ فوق الملائكة الذين هم على الارجاء أوفوق الثمانية لانها فى نية التقديم ﴿يومئذ ثمانية ﴾ ثمانية أملاك * لما روى مرفوعا أنهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدّهم الله بأربعة آخرين وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدّتهم الا الله ولعله أيضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال ﴿يومئذ تعرضون﴾ تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرّف أحوالهم وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل ﴿ لاتخفى منكم خافية ﴾ سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل أوعلى الناس كما قال الله تعالى – يوم تبلى السرائر – وقرأ حمزة والكسائى بالياء للفصل ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه ﴾ تفصيل للعرض ﴿فيقول﴾ تبجحا ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ هاء اسم لخذ وفيه لغات أجودها هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أويا امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤنّ يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه أقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل ﴿ انى ظننت أنى ملاق حسابيه ﴾ أى علمت ولعله عبر عنه بالظنّ اشعارا بأنه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس في النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ ذات رضا على النسبة بالصيغة أوجعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم ﴿ في جنة عالية ﴾ مرتفعة المكان لانها فى السماء أوالدرجات أو الأبنية والاشجار ﴿قطوفها﴾ جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر ﴿دانية﴾ يتناولها القاعد ﴿ كلوا واشربوا ﴾ باضمار القول وجمع الضمير للمعنى ﴿هنيأ﴾ أكلا وشربا هنيأ أوهنئتم هنيأ ﴿ بما أسلفتم ﴾ بما قدّمتم من الاعمال الصالحة ﴿ في الأيام الخالية ﴾ الماضية من أيام الدنيا ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول﴾ لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة ﴿ ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها ﴾ ياليت الموتة التى متها ﴿ كانت القاضية ﴾ القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها أوياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت علىّ لانه صادفها أمرّ من الموت فتمناه عندها أوياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق فيها حيا

﴿ ما أغنى عنى ماليه ﴾ مالى من المال والتبع ومانفى والمفعول محذوف أواستفهام انكار مفعول لأغنى ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ ملكى وتسلطى على الناس أوحجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا وقرأ حمزة عني مالى عنى سلطانى بحذف الهاءين فى الوصل والباقون باثباتها فى الحالين ﴿ خذوه ﴾ يقوله الله تعالى لخزنة النار ﴿ فغلوه ثم الجحيم صلوه ﴾ ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ﴿ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ﴾ أى طويلة ﴿ فاسلكوه ﴾ فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لايقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر أنواع مايعذب به وثم لتفاوت مابينها فى الشدة ﴿ انه كان لايؤمن بالله العظيم ﴾ تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بأنه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ﴿ ولايحض على طعام المسكين ﴾ ولايحث على بذل طعامه أوعلى اطعامه فضلا عن أن يبذل من ماله ويجوز أن يكون ذكر الحض للاشعار بأن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الأمرين بالذكر لأن أقبح العقائد الكفر بالله تعالى وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب ﴿ فليس له اليوم ههنا حميم ﴾ قريب يحميه ﴿ ولاطعام الا من غسلين ﴾ غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل ﴿ لايأكله الا الخاطئون ﴾ أصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها ﴿ فلا أقسم ﴾ لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم أو فأقسم ولامزيدة أو فلا رد لانكارهم البعث وأقسم مستأنف ﴿ بما تبصرون ومالاتبصرون ﴾ بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات بأسرها ﴿ انه ﴾ ان القرآن ﴿ لقول رسول ﴾ يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لايقول عن نفسه ﴿ كريم ﴾ على الله تعالى وهو محمد أوجبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿ وماهو بقول شاعر ﴾ كما تزعمون تارة ﴿ قليلا ماتؤمنون ﴾ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ﴿ ولابقول كاهن ﴾ كما تدعون أخرى ﴿ قليلا ماتذكرون ﴾ تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين لاينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر أحوال الرسول ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى أقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما ﴿ تنزيل ﴾ هو تنزيل ﴿ من رب العالمين ﴾ نزله على لسان جبريل عليه السلام ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ﴾ سمى الافتراء تقولا لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنه جمع أفعولة من القول كالأضاحيك ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ بيمينه ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع مايفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ المقتول بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده وقيل اليمين بمعنى القوة ﴿ فما منكم من أحد عنه ﴾ عن القتل أوالمقتول ﴿ حاجزين ﴾ دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس ﴿ وانه ﴾ وان القرآن ﴿ لتذكرة للمتقين ﴾ لانهم المنتفعون به ﴿ وانا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿ وانه لحسرة على الكافرين ﴾ اذا رأوا ثواب المؤمنين به ﴿ وانه لحق اليقين ﴾ لليقين الذى لا ريب فيه ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۞

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة المعارج مكية وآيها أربع وأربعون آية﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * سأل سائل بعذاب واقع ﴾ أى دعاداع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل هو النضر بن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية أوابوجهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء أوالرسول عليه الصلاة والسلام استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو امامن السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب أومن السيلان ويؤيده أنه قرئ سال سيل على أن السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر أوفى الآخرة وهو عذاب النار ﴿ للكافرين ﴾ صفة أخرى لعذاب أوصلة لواقع وان صح أن السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم ﴿ ليس له دافع ﴾ يرده ﴿ من الله ﴾ من جهته لتعلق ارادته ﴿ ذى المعارج ﴾ ذى المصاعد وهي الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أويترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم أوفى دار ثوابهم أومراتب الملائكة أوفى السموات فان الملائكة يعرجون فيها ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لوقدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من حيث انهم يقطعون فيه مايقطع الانسان فيها لوفرض لأن مابين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنه لان مابين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره ألف سنة يريد زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع أوسال اذاجعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته امالشدته على الكفار أولكثرة مافيه من الحالات والمحاسبات أولانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل عليه السلام وافراده لفضله أوخلق أعظم من الملائكة ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾ لايشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء أوتعنت وذلك ممايضجره أو عن تضجر واستبطاء للنصر أوبسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام ﴿ انهم يرونه ﴾ الضمير للعذاب أويوم القيامة ﴿ بعيدا ﴾ من الامكان ﴿ ونراه قريبا ﴾ منه أومن الوقوع ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ ظرف لقريبا أى يمكن يوم تكون أولمضمر دل عليه واقع أوبدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات أودردى الزيت ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذابست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذاطيرته الريح ﴿ ولايسأل حميم حميما ﴾ ولايسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولايسئل على بناء المفعول أى لايطلب من حميم حميم أولايسأل منه حاله ﴿ يبصرونهم ﴾ استئناف أوحال تدل على ان المانع من هذا السؤال هو التشاغل دون الخفاء أومايغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم ﴿ يود المجرم لويفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه ﴾ حال من أحد الضميرين أواستئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرأ نافع والكسائي بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب ﴿ وفصيلته ﴾ وعشيرته الذين فصل عنهم ﴿ التي تؤويه ﴾ تضمه فى النسب أوعند الشدائد ﴿ ومن في الارض جميعا ﴾ من الثقلين أوالخلائق ﴿ ثم ينجيه ﴾ عطف على يفتدى أى ثم ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد ﴿ كلا ﴾ ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على أن الافتداء لاينجيه ﴿ انها ﴾ الضمير للنار أومبهم يفسره ﴿ لظى ﴾ وهو خبر أوبدل أوالقصة ولظى مبتدأ خبره ﴿ نزاعة للشوى ﴾ وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص أوالحال المؤكدة أوالمنتقلة على أن لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف أوجمع شواة وهي جلدة الرأس ﴿ تدعو ﴾ تجذب وتحضر كقول ذى الرمة * تدعو أنفه الربب * مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا أهلكه ﴿ من أدبر ﴾ عن الحق ﴿ وتولى ﴾ عن الطاعة ﴿ وجمع فأوعي ﴾ وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ﴿ ان الانسان خلق هلوعا ﴾ شديد الحرص قليل الصبر ﴿ اذامسه الشر ﴾ الضر ﴿ جزوعا ﴾ يكثر الجزع ﴿ واذامسه الخير ﴾ السعة ﴿ منوعا ﴾ يبالغ بالامساك والاوصاف الثلاثه أحوال مقدرة أومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذاالاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا ﴿ الاالمصلين ﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الأحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ لايشغلهم عنها شاغل ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم ﴾ كالزكوات والصدقات الموظفة ﴿ للسائل ﴾ الذى يسأل ﴿ والمحروم ﴾ الذى لايسأل فيحسب نفسه غنيا فيحرم ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ خائفون على أنفسهم ﴿ ان عذاب ربهم غير مامون ﴾ اعتراض يدل على أنه لاينبغى لاحد أن يأمن عذاب الله وان بالغ فى طاعته ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى أزواجهم أوماملكت أيمانهم فانهم غيرملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ﴾ سبق تفسيره فى سورة المؤمنين

سَالَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِنَ اللَّهِ
ذِي الْمَعَارِجِ ۞ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۞ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۞ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۞
وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۞ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ ۞ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۞ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ
لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۞
وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۞ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۞ كَلَّا إِنَّهَا
لَظَى ۞ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى
۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۞
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۞ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۞ وَالَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ
۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ۞ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۞

﴿ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴾ حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعنى لايخونون ولاينكرون ولايخنون ماعلموه من حقوق الله وحقوق العباد ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون ﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أوّلا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى ﴿ أولئك فى جنات مكرمون ﴾ بثواب الله تعالى ﴿ فمال الذين كفروا قبلك ﴾ حولك ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الأخرى وكان المشركون يحتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ﴾ بلا ايمان وهو انكار لقولهم لوصح مايقوله لنكون فيها أفضل حظا منهم كما فى الدنيا ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن هذا الطمع ﴿ اناخلقناهم مما يعلمون ﴾ تعليل له والمعنى أنهم مخلوقون من نطفة مذرة لاتناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها أوانكم مخلوقون من أجل ماتعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوّأ فى منازل الكاملين أوالاستدلال بالنشاه الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدّل خيرا منهم ﴾ أي نهلكهم ونأتى بخلق أمثل منهم أونعطى محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ بمغلوبين ان أردنا ذلك ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ مر فى آخر سورة الطور ﴿ يوم يخرجون من الاجداث سراعا ﴾ مسرعين جمع سريع ﴿ كأنهم الى نصب ﴾ منصوب للعبادة أوعلم ﴿ يوفضون ﴾ يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص الى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ بالضم على أنه تخفيف نصب أوجمع ﴿ خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ﴾ مر تفسيره ﴿ ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ فى الدنيا *عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

(سورة نوح مكية وآيها تسع أوثمان وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر ﴾ أى بان أنذرأى بالانذار أوبان قلنا له أنذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير أن على ارادة القول ﴿ قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم ﴾ عذاب الآخرة أوالطوفان ﴿ قال ياقوم انى لكم نذير مبين

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ۝ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ۝ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ۝ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝

سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانٍ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝

أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) مر في الشعراء نظيره وفي أن يحتمل الوجهان (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر لكم بعض ذنوبكم وهو ماسبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة (ويؤخركم الى أجل مسمى) هو أقصى ماقدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان أجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذاجاء) على الوجه المقدر به آجلا وقيل اذاجاء الاجل الاطول (لايؤخر) فبادروا في أوقات الامهال والتأخير (لوكنتم تعلمون) لوكنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهما كهم في حب الحياة كانهم شاكون في الموت (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) أي دائما (فلم يزدهم دعائي الافرارا) عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان (لتغفرلهم) بسببه (جعلوا أصابعهم في آذانهم) سدّوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر اليّ من فرط كراهة دعوتى أولئلا أعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصروا) وأكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذاصر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعي (استكبارا) عظيما (ثم انى دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بينهما أغلظ من الافراد أولتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه أحدنوعي الدعاء أوصفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا به أوالحال فيكون بمعنى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (انه كان غفارا) للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلانتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجبّ معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ماهو أوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادي اصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعلكم أنهارا) ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوى في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتأملون له توقيرا أى تعظيما لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولوتأخر لكان صلة للوقار أولاتعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة (وقد خلقكم أطوارا) حال مقرّرة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم أطوارا أى تارات اذخلقهم أوّلا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشاهم خلقا آخر فانه يدل على أنه يمكن أن يعيدهم تارة أخرى فيعظمهم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم أتبع ذلك مايؤيده من آيات الآفاق فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهنّ نورا) أي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهنّ لما بينهنّ من الملابسة (وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله (والله أنبتكم من الارض نباتا) أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه أدلّ على الحدوث والتكوّن من الارض وأصله أنبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فاختصره اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الاوّل دلالة على أن الاعادة محققة كالابداء وأنها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصونى) فيما أمرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه أنهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد وأدت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن والحزن أوجمع كالاسد

أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ۝ يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم
تعلمون ۝ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا ۝ فلم يزدهم
دعائي الا فرارا ۝ واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا
أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا
استكبارا ۝ ثم اني دعوتهم جهارا ۝ ثم اني أعلنت لهم
وأسررت لهم اسرارا ۝ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا
۝ يرسل السماء عليكم مدرارا ۝ ويمددكم بأموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ۝ ما لكم لا ترجون لله
وقارا ۝ وقد خلقكم أطوارا ۝ ألم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا ۝ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس
سراجا ۝ والله أنبتكم من الارض نباتا ۝ ثم يعيدكم فيها
ويخرجكم اخراجا ۝ والله جعل لكم الارض بساطا ۝
لتسلكوا منها سبلا فجاجا ۝ قال نوح رب انهم
عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ۝

ومكروا

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ۝ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ
وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا
كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ۝ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا
فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۝ وَقَالَ
نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝
إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
كَفَّارًا ۝ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ۝

سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا
۝ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا
وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝

(ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم) أى عبادتها (ولاتذرن ودّا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) ولاتذرن هؤلاء خصوصا قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوّروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ودّ لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودّا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء أو للاصنام كقوله ـ انهن أضللن كثيرا ـ (ولاتزد الظالمين الاضلالا) عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لافي أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله ـ ان المجرمين في ضلال وسعر ـ (مما خطيآتهم) من أجل خطيآتهم ومامزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) المراد عذاب القبر أوعذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال أولان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط أو وجود مانع وتنكير النار للتعظيم أولأن المراد نوع من النيران (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) أى أحدا وهو ممايستعمل فى النفى العام فيعال من الدار أو الدور وأصله ديوار ففعل به مافعل بأصل سيد لافعال والالكان دوارا (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا الافاجرا كفارا) قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة الاخمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم (رب اغفر لى ولوالدىّ) لمك بن متوشلخ وشمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتى) منزلى أومسجدى أوسفينتى (مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة (ولاتزد الظالمين الاتبارا) هلاكا ✻ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

(سورة الجن مكية ✻ وآيها ثمان وعشرون آية)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(قل أوحى الىّ) وقرئ احى وأصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (أنه استمع نفرمن الجن) والنفر مابين الثلاثة الى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أوالهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام مارآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهومصدر وصف به للمبالغة (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) على مانطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد (وأنه تعالى جدّ ربنا) قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا مابعده الاقوله وأن لواستقاموا وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وأبو بكر الافي قوله وانه لما قام على أنه استئناف أومقول وفتح الباقون الكل الاماصدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جدّ ربنا أى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم أوسلطانه أوغناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أولسلطانه أولغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولاولدا) بيان لذلك وقرئ جدا على التميز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن مانبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد (وانه كان يقول سفيهنا) ابليس أومردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد أوهو شطط لفرط ماأشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله

(وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم السفيه فى ذلك بظنهم ان أحدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول أو الوصف المحذوف أى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لان التقوّل لايكون الا كذبا (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه (فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) كبرا وعتوّا أوفزاد الجن الانس غيا بان أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن أوبالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض أواستئناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (أن لن يبعث الله أحدا) ساد مسد مفعولى ظنوا (وأنا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء أوخبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضىء المتولد من النار (وانا كنا نقعد منهامقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب أوصالحة للترصد والاستماع والسمع صلة لنقعد أوصفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد وقدمرّ بيان ذلك فى الصافات (وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون (كنا طرائق) ذوى طرائق أى مذاهب أومثل طرائق في اختلاف الاحوال أوكانت طرائقنا طرائق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قدّ اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (أن لن نعجز الله فى الارض) كائنين فى الارض أينما كنا فيها (وان نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء أولن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) أى القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلايخاف) فهو لايخاف وقرئ فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم (بخسا ولارهقا) نقصا في الجزاء ولا أن يرهقه ذلة أوجزاء بخس لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المؤمن بالقرآن أن يجتنب ذلك (وانا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشدا) توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفار الانس (وأن لواستقاموا) أى أن الشأن لواستقام الجن أوالانس أوكلاهما (على الطريقة) أى على الطريقة المثلى (لأسقيناهم ماء غدقا) لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أن لواستقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أوموعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به

وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝
وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن
يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ
لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا
لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ
قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ
هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ
فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ
وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا
۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝
وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ۝
لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ
عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۞ قُلْ إِنَّمَا
أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ
ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ
أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ۞ حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ
نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۞ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ
أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۞ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى
غَيْبِهِ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۞ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ
رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۞

سورة المزمل مكية وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وأنّ المساجد لله ﴾ مختصة به ﴿ فلاتدعوا مع الله أحدا ﴾ فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل أن مقدرة باللام علة للنهى ألغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبيّ عليه الصلاة والسلام مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على أن المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة أو السجدات على أنه جمع مسجد ﴿ وأنه لما قام عبد الله ﴾ أي النبي عليه الصلاة والسلام وانما ذكر بلفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه ﴿ يدعوه ﴾ يعبده ﴿ كادوا ﴾ كاد الجنّ ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته أوكاد الانس والجنّ يكونون عليه مجتمعين لابطال أمره وهو جمع لبدة وهي ماتلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود ﴿ قال انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا ﴾ فليس ذلك ببدع ولامنكر يوجب تعجبكم أواطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الأمر للنبي عليه السلاة والسلام ليوافق مابعده ﴿ قل اني لا أملك لكم ضرّا ولا رشدا ﴾ ولا نفعا أو غيا عبر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أومسببه اشعارا بالمعنيين ﴿ قل اني لن يجيرنى من الله أحد ﴾ ان أراد بي سوأ ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ منحرفا أوملتجأ وأصله المدخل من اللحد ﴿ الا بلاغا من الله ﴾ استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد وانفاع ومابينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أومن ملتحدا أومعناه ان لا أبلغ بلاغا وماقبله دليل الجواب ﴿ ورسالاته ﴾ عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فى الأمر بالتوحيد اذ الكلام فيه ﴿ فانّ له نار جهنم ﴾ وقرئ فان على فجزاؤه أن ﴿ خالدين فيها ابدا ﴾ جمعه للمعنى ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ فى الدنيا كوقعة بدر أوفي الآخرة والغاية لقوله ــ يكونون عليه لبدا ــ بالمعنى الثانى أولمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار وعصيانهم له ﴿ فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقلّ عددا ﴾ هو أم هم ﴿ قل ان أدرى ﴾ ما أدرى ﴿ أقريب ماتوعدون أم يجعل لهم ربي أمدا ﴾ غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا مايوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لامحالة ولكن لا أدرى ماوقته ﴿ عالم الغيب ﴾ هو عالم الغيب ﴿ فلا يظهر ﴾ فلايطلع ﴿ على غيبه أحدا ﴾ أي على الغيب المخصوص به علمه ﴿ الا من ارتضى ﴾ لعلم بعضه حتى يكون له معجزة ﴿ من رسول ﴾ بيان لمن واستدلّ به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الأولياء على المغيبات انماتكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الأنبياء ﴿ فانه يسلك من بين يديه ﴾ من بين يدى المرتضى ﴿ ومن خلفه رصدا ﴾ حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا ﴾ أى ليعلم النبي الموحى اليه أن قد أبلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحى أوليعلم الله تعالى أن قد أبلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا ﴿ رسالات ربهم ﴾ كما هى محروسة من التغيير ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ بما عند الرسل ﴿ وأحصى كل شئ عددا ﴾ حتى القطر والرمل ✻ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجنّ كان له بعدد كل جنى صدّق محمدا أوكذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية * وآيها تسع عشرة أو عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها المزمّل ﴾ أصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها أى الذى زمله غيره أوزمل نفسه سمى به النبي عليه الصلاة والسلام تهجينا لما كان عليه فانه كان نائما أومرتعدا مما دهشه من بدء الوحى متزملا فى قطيفة أوتحسينا له * اذ روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة رضى الله تعالى عنها فنزلت أوتشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرّن بعد فى قيام الليل أومن تزمل الزمل اذا تحمل الحمل أى الذى تحمل أعباء النبوّة ﴿ قم الليل ﴾ أى قم الى الصلاة أوداوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع أوالتخفيف ﴿ الا قليلا نصفه أوانقص منه قليلا أوزد عليه ﴾ الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث أونصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والأكثر منه كالنصف أوالنصف والتخيير بين أن يقوم أقل منه على البت وأن يختار أحد الامرين من الاقل والاكثر أوالاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدّها من قوله ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۞ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ
مِنْهُ قَلِيلًا ۞ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۞ إِنَّا
سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۞ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۞ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۞
وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۞ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۞ وَاصْبِرْ عَلَىٰ
مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۞ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ
أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۞ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا
وَجَحِيمًا ۞ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۞ يَوْمَ
تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا
۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ
كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۞ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۞ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۞ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا
۞ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۞

الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه أن يتحملها ويحملها أمته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على أنه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس أو رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أوثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أوثقيل في الميزان أوعلى الكفار والفجار أوثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته عليه الصلاة والسلام ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفضّ عرقا وعلى هذا يجوز أن يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الأوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعدّ للنفس مابه تعالج ثقله ﴿ انّ ناشئة الليل ﴾ ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض وقام * قال

نشأنا الى خوص برا نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

أوقيام الليل على أن الناشئة له أوالعبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أوساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد أخرى أوساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت ﴿ هي أشدّ وطأ ﴾ أى كلفة أوثبات قدم وقرأ أبو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وألف ممدودة أى مواطأة القلب اللسان لها أوفيها أوموافقة لما يراد منها من الخضوع والاخلاص ﴿ وأقوم قيلا ﴾ أي وأسدّ مقالا أوأثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ﴿ انّ لك فى النهار سبحا طويلا ﴾ تقلبا في مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحقّ تستدعى فراغا وقرئ سبخا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه ﴿ واذكر اسم ربك ﴾ ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل مايذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿ وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وانقطع اليه بالعبادة وجرّد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا ﴿ ربّ المشرق والمغرب ﴾ خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿ لااله الا هو ﴾ وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو ﴿ فاتخذه وكيلا ﴾ مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية يقتضى أن توكل اليه الامور ﴿ واصبر على مايقولون ﴾ من الخرافات ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولاتكافئهم وتكل أمرهم الى الله فالله يكفيكهم كما قال ﴿ وذرنى والمكذّبين ﴾ دعنى واياهم وكل الىّ أمرهم فان بى غنية عنك فى مجازاتهم ﴿ أولى النعمة ﴾ أرباب التنعم يريد صناديد قريش ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ زمانا أو امهالا ﴿ انّ لدينا أنكالا ﴾ تعليل للأمر والنكل القيد الثقيل ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم ﴿ وعذابا أليما ﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لايعرف كنهه الا الله تعالى ولما كانت العقوبات لاربع مما تشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى أنوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى ﴿ يوم ترجف الأرض والجبال ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى انّ لدينا أنكالا من معنى الفعل ﴿ وكانت الجبال كثيبا ﴾ رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته ﴿ مهيلا ﴾ منثورا من هيل هيلا اذا نثر ﴿ انا أرسلنا اليكم رسولا ﴾ يا أهل مكة ﴿ شاهدا عليكم ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع ﴿ كما أرسلنا الى فرعون رسولا ﴾ يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به ﴿ فعصى فرعون الرّسول ﴾ عرفه لسبق ذكره ﴿ فأخذناه أخذا وبيلا ﴾ ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم ﴿ فكيف تتقون ﴾ أنفسكم ﴿ ان كفرتم ﴾ بقيتم على الكفر ﴿ يوما ﴾ عذاب يوم ﴿ يجعل الولدان شيبا ﴾ من شدّة هوله وهذا على الفرض أو التمثيل وأصله أن الهموم تضعف القوى وتسرع الشيب ويجوز أن يكون وصفا لليوم بالطول ﴿ السماء منفطر ﴾ منشقّ والتذكير على تأويل السقف أواضمار شئ ﴿ به ﴾ بشدّة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ الضمير لله عزّ وجل أولليوم على اضافة المصدر الى المفعول ﴿ انّ هذه ﴾ أي الآيات الموعدة ﴿ تذكرة ﴾ عظة ﴿ فمن شاء ﴾ أن يتعظ ﴿ اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ أى يتقرّب اليه بسلوك التقوى

﴿ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه﴾ استعار الأدنى للاقل لان الاقرب الى الشئ أقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على أدنى ﴿وطائفة من الذين معك﴾ ويقوم ذلك جماعة من أصحابك ﴿والله يقدّر الليل والنهار﴾ لايعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله تعالى فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أى لن تحصوا تقدير الاوقات وان تستطيعوا ضبط الساعات ﴿فتاب عليكم﴾ بالترخص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب ﴿فاقرؤا ماتيسر من القرآن﴾ فصلوا ماتيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس أوفاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ استئناف يبين حكمة أخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال ﴿وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله﴾ والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ماتيسر منه وأقيموا الصلوة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكوة﴾ الواجبة ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ يريد به الامر فى سائر الانفاقات فى سبل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله ﴿وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هوخيرا وأعظم أجرا﴾ من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت أومن متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد أوفصل لان أفعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هوخير على الابتداء والخبر ﴿واستغفروا الله﴾ فى مجامع أحوالكم فان الانسان لايخلو من تفريط ﴿ان الله غفور رحيم﴾ *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ
وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ
أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ
مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ
مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞

سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ
۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۞ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۞
فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۞ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۞ عَلَى
الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۞ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۞

﴿ سورة المدثر مكية وآيها خمس وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿يا أيها المدّثر﴾ أي المتدثر وهولابس الدثار *روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم أرشيأ فنظرت فوق فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال ياأيها المدّثر ولذلك قيل هى أوّل سورة نزلت * وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا أوكان نائما متدثرا فنزلت *وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوّة والكمالات النفسانية أوالمختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر أى الذى دثر هذا الامر وعصب به ﴿قم﴾ من مضجعك أوقم قيام عزم وجد ﴿وأنذر﴾ مطلق للتعميم أومقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين أوقوله وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴿وربك فكبر﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا * روى أنه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيقن أنه الوحى وذلك لان الشيطان لايأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال ومايكن فكبر ربك أوالدلالة على أن المقصود الاوّل من الامر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان أوّل مايجب معرفة الصانع وأوّل مايجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به ﴿وثيابك فطهر﴾ من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها وذلك بغسلها أوبحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جرّ الذيول فيها وهو أوّل ماأمربه من رفض العادات المذمومة أوطهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون أمرا باستكمال القوّة العملية بعد أمره باستكمال القوّة النظرية والدعاء اليه أوفطهر دثار النبوّة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر ﴿والرجز فاهجر﴾ فاهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ﴿ولاتمنن تستكثر﴾ أى لاتعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ طامعا فى عوض أكثر نهى تنزيه أونهيا خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له مافيه من الحرص والضنة أولاتمنن على الله تعالى بعبادتك مستكثرا اياها أوعلى الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم أومستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف أوالابدال من تمنن على أنه من من بكذا أوتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار أن وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بحذفها وابطال عملها * كما روى احضر الوغى بالرفع ﴿ولربك﴾ لوجهه أوأمره ﴿فاصبر﴾ فاستعمل الصبر أوفاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين ﴿فاذا نقر﴾ نفخ ﴿فى الناقور﴾ فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع

الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك وأعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لمادل عليه قوله ﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين﴾ لان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل أوظرف لخبره اذالتقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير ﴿غير يسير﴾ تأكيد يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ نزلت فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه أومن التاء أى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أومن العائد المحذوف أى من خلقته فريدا لامال له ولا ولد أوذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما أوارادة أنه وحيد ولكن فى الشرارة أوعن أبيه فانه كان زنيما

وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدْتُ لَهُ
تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝
سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ
كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ ۝ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِي وَلَا
تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ
النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا
ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا
أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۝ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝ لِمَنْ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝

الا

﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة ﴿وبنين شهودا﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لايحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولايحتاج الى أن يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه أو فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم * قيل كان له عشرة بنين أو أكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثه خالد وعمارة وهشام ﴿ومهدت له تمهيدا﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد أى باستحقاقه الرياسة والتقدم ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ على ماأوتيه وهو استبعاد لطمعه امالانه لامزيد على ماأوتى أو لانه لايناسب ماهو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال ﴿كلا انه كان لآياتنا عنيدا﴾ فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل مازال بعد نزول هذه الآية فى نقصان ماله حتى هلك ﴿سأرهقه صعودا﴾ ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا ﴿انه فكر وقدّر﴾ تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا فى القرآن وقدر فى نفسه مايقول فيه ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجب من تقديره استهزاء به أو لانه أصاب أقصى مايمكن أن يقال عليه من قولهم قتله الله ماأشجعه أى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق أن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك * روى أنه مرّ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتي قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو ولايعلى فقالت قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فناداهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لافقال ماهو الاساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا عنه متعجبين منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها ﴿ثم نظر﴾ أى فى أمر القرآن مرة بعد أخرى ﴿ثم عبس﴾ قطب وجهه لمالم يجد فيه مطعنا ولم يدر مايقول أو نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه ﴿وبسر﴾ اتباع لعبس ﴿ثم أدبر﴾ عن الحق أو الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿واستكبر﴾ عن اتباعه ﴿فقال ان هذا الاسحر يؤثر﴾ يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أنه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوّه بها من غير تلبث وتفكر ﴿ان هذا الاقول البشر﴾ كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودا ﴿وما أدراك ماسقر﴾ تفخيم لشانها وقوله ﴿لاتبقي ولاتذر﴾ بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لاتبقى على شئ يلقى فيها ولاتدعه حتى تهلكه ﴿لوّاحة للبشر﴾ أى مسوّدة لاعالي الجلد أو لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص ﴿عليها تسعة عشر﴾ ملكا أو صنفا من الملائكة يلون أمرها والمخصص لهذا العدد أن اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتى عشرة والطبيعية السبع أو أن لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف أو ان الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلاة فبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى حركات فيما هو كاسم واحد وتسعة أعشر جمع عشير كيمين وأيمن أي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم أو جمع عشر فيكون تسعين ﴿وماجعلنا أصحاب النار الاملائكة﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولايستروحون اليهم ولانهم أقوى الخلق بأسا وأشدهم غضبا لله * روى ان أباجهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فنزلت ﴿وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا﴾ وماجعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على أنه لاينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم أن يتولى هذا العدد القليل تعذيب أكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أى ليكتسبوا اليقين بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا ايمانا﴾ بالايمان به وبتصديق أهل الكتاب له ﴿ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض للمتيقن حينما عراه شبهة ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك أو نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة ﴿والكافرون﴾ الجازمون فى التكذيب ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء﴾ مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين ﴿ومايعلم جنود ربك﴾ جموع خلقه على ماهم عليه ﴿الاهو﴾ اذلاسبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها ومايوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة ﴿وماهي﴾ وماسقر أو عدّة الخزنة أو السورة ﴿الاذكرى للبشر﴾ الاتذكرة لهم ﴿كلا﴾ ردع لمن أنكرها أو انكار لان يتذكروا بها ﴿والقمر والليل اذادبر﴾ أى أدبر كقبل بمعنى أقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذا أدبر على المضى ﴿والصبح اذا أسفر﴾ أضاء ﴿انها لاحدى الكبر﴾ أى لاحدى البلايا الكبر أى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد ﴿نذيرا للبشر﴾ تمييز أى لاحدى الكبر انذارا أو حال عما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا أو خبر المحذوف ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ بدل من للبشر أي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة عند الله مصدر كالشكيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولوكانت صفة لقيل رهين

﴿ الاأصحاب اليمين ﴾ فانهم فكوار قابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أوالاطفال ﴿ في جنات ﴾ لايكتنه وصفها وهي حال من أصحاب اليمين أوضميرهم في قوله ﴿ يتساءلون عن المجرمين ﴾ أي يسأل بعضهم بعضا أويسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أى دعوناه وقوله ﴿ ماسلككم في سقر ﴾ بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين أجابوا بها ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ الصلاة الواجبة ﴿ ولم نك نطعم المسكين ﴾ أى مايجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ وكنا نخوض ﴾ نشرع في الباطل ﴿ مع الخائضين ﴾ مع الشارعين فيه ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ أخره لتعظيمه أى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة ﴿ حتى أتانا اليقين ﴾ الموت ومقدماته ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ لوشفعوا لهم جميعا ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ أى معرضين عن التذكير يعني القرآن أومايعمه ومعرضين حال ﴿ كأنهم حمر مستنفرة ﴾ شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة ﴿ فرّت من قسورة ﴾ أى أسد فعولة من القسر وهو القهر ﴿ بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة ﴾ قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلامنا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن اقتراحهم الآيات ﴿ بل لايخافون الآخرة ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة لالامتناع ايتاء الصحف ﴿ كلا ﴾ ردع عن اعراضهم ﴿ انه تذكرة ﴾ وأى تذكرة ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ فمن شاء أن يذكره ﴿ ومايذكرون الا أن يشاء الله ﴾ ذكرهم أومشيئتهم كقوله وماتشاؤن الا أن يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا ﴿ هو أهل التقوى ﴾ حقيق بان يتقى عقابه ﴿ وأهل المغفرة ﴾ حقيق بأن يغفر لعباده سيما المتقين منهم * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بمكة شرفها الله تعالى

إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۞ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۞ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۞ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۞ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۞ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۞ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۞ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ۞ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۞ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۞ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۞ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۞

سورة القيامة مكية وهي اربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۞ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۞ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۞ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۞ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۞ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۞

(سورة القيامة مكية وآيها أربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم قال امرؤ القيس

لاوأبيك ابنة العامرى * لايدعي القوم أنى أفر

وقد مر الكلام فيه في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير ألف بعد اللام وكذا روى عن البزى ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصيرها أوالتى تلوم نفسها أبدا وان اجتهدت في الطاعة أوالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة أوبالجنس * لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولافاجرة الاوتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ياليتنى كنت قصرت أونفس آدم فانها لم تزل تتلوم على ماخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ﴿ أيحسب الانسان ﴾ يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب أوالذي نزل فيه وهو عدى بن أبى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فأخبره به فقال لوعاينت ذلك اليوم لم أصدقك أويجمع الله هذه العظام ﴿ أن لن نجمع عظامه ﴾ بعد تفرقها وقرئ أن لن يجمع على البناء للمفعول ﴿ بلى ﴾ نجمعها ﴿ قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أوعلى أن نسوى بنانه الذى هو أطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع أي نحن قادرون ﴿ بل يريد الانسان ﴾ عطف على أيحسب فيجوز أن يكون استفهاما وأن يكون ايجابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ﴿ ليفجر أمامه ﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ متى يكون يوم القيامة استبعادا له أواستهزاء

﴿ فاذا برق البصر ﴾ تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة أومن البريق بمعنى لمع من شدّة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح ﴿ وخسف القمر ﴾ ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ فى ذهاب الضوء أوالطلوع من المغرب ولاينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على أمارات الموت أن يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب أوبوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدّمه وتغليب المعطوف ﴿ يقول الانسان يومئذ أين المفر ﴾ أى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان ﴿ كلا ﴾ ردع عن طلب المفر ﴿ لاوزر ﴾ لاملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ﴿ الى ربك يومئذ المستقر ﴾ اليه وحده استقرار العباد أوالى حكمه استقرار أمرهم أوالى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ﴿ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمله أوبما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أوسيئة عمل بها بعده أوبما قدم من مال تصدق به وبما أخر خلفه أوباوّل عمله وآخره ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ حجة بينة على أعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز أوعين بصيرة بها فلايحتاج الى الانباء ﴿ ولوألقى معاذيره ﴾ ولوجاء بكل مايمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أوجمع معذرة على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك أولى وفيه نظر ﴿ لاتحرك ﴾ يامحمد ﴿ به ﴾ بالقرآن ﴿ لسانك ﴾ قبل أن يتم وحيه ﴿ لتعجل به ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك ﴿ ان علينا جمعه ﴾ فى صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ واثبات قراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى ﴿ فاذا قرأناه ﴾ بلسان جبريل عليك ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ بيان ماأشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور وأصل الدين فكيف بها فى غيره أويذكر مااتفق فى أثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فإن علينا بمقتضى الوعد جمع مافيه من أعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار أوالتأمل فيه ثم ان علينا بيان أمره بالجزاء عليه ﴿ كلا ﴾ ردع للرسول عن عادة العجلة أوللانسان عن الاغترار بالعاجل ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ تعميم للخطاب أشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وإن كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ بهية متهللة ﴿ الى ربها ناظرة ﴾ تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لايتعدي بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما

بمعنى السؤال فان الانتظار لايستعقب العطاء ﴿ ووجوه يومئذ باسرة ﴾ شديدة العبوس والباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه ﴿ تظن ﴾ تتوقع أربابها ﴿ أن يفعل بها فاقرة ﴾ داهية تكسر الفقار ﴿ كلا ﴾ ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة ﴿ اذا بلغت التراقى ﴾ اذا بلغت النفس أعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها ﴿ وقيل من راق ﴾ وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به من الرقية أوقال ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أوملائكة العذاب من الرقىّ ﴿ وظن أنه الفراق ﴾ وظن المحتضر أن الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ والتوت ساقه بساقه فلايقدر على تحريكهما أوشدّة فراق الدنيا بشدّة خوف الآخرة ﴿ الى ربك يومئذ المساق ﴾ سوقه الى الله تعالى وحكمه ﴿ فلاصدّق ﴾ مايجب تصديقه أوفلاصدق ماله أي فلازكاه ﴿ ولاصلى ﴾ مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى أيحسب الانسان ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ عن الطاعة ﴿ ثم ذهب الى أهله يتمطى ﴾ يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أومن المطا وهو الظهر فانه يلويه ﴿ أولى لك فاولى ﴾ ويل لك من الولى وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أوأولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كأدنى من أدون أوفعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار ﴿ ثم أولى لك فاولى ﴾ أي يتكرر ذلك عليه مرة بعد أخرى ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ مهملا لا يكلف ولايجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لايتحقق الابالمجازاة وهي قدلاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة ﴿ ألم يك نطفة من منيّ يمني ثم كان علقة فخلق فسوّى ﴾ فقدره فعدله ﴿ فجعل منه الزوجين ﴾ الصنفين ﴿ الذكر

فَاِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۞ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۞ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
۞ يَقُولُ الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ اَيْنَ الْمَفَرُّ ۞ كَلَّا لَا وَزَرَ ۞ اِلَى
رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۞ يُنَبَّؤُا الْاِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَاَخَّرَ
۞ بَلِ الْاِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۞ وَلَوْ اَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ۞
لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ
۞ فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ ۞ ثُمَّ اِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۞ كَلَّا
بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ الْاٰخِرَةَ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ
۞ اِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۞ تَظُنُّ
اَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۞ كَلَّا اِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۞ وَقِيلَ
مَنْ رَاقٍ ۞ وَظَنَّ اَنَّهُ الْفِرَاقُ ۞ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۞
اِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۞ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى ۞ وَلٰكِنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّى ۞ ثُمَّ ذَهَبَ اِلَى اَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۞ اَوْلَى لَكَ فَاَوْلَى ۞
ثُمَّ اَوْلَى لَكَ فَاَوْلَى ۞ اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ
سُدًى ۞ اَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ

والانثى

والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على مامر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) * عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا به

﴿ سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم * هل أتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد وأصله أهل كقوله * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان أو وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) أوآدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلقة بنيه (أمشاج) أخلاط جمع مشج أومشج أومشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وجمع النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلف الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كأعشار وأكياش وقيل ألوان فان ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اختلطا اخضرا أوأطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موضع الحال أى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره أوناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب عن الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) أى بنصب الدلائل وانزال الآيات (اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل أوالتقسيم أى هديناه في حاليه جميعا أومقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه أومن السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بأن الانسان لايخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا أعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (وأغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر سلاسلا للمناسبة (ان الابرار) جمع بر كأرباب أو بار كأشهاد (يشربون من كأس) من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء أومن محل من كأس على تقدير مضاف أى ماء عين أوخمرها اونصب على الاختصاص أوبفعل يفسره مابعدها (يشرب بها عباد الله) أى ملتذا بها أوممزوجا بها وقيل الباء مزيدة أوبمعني من لان الشرب مبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان مارزقوه لاجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك وهو أبلغ فى وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه على نفسه لله تعالى كان أوفى بما أوجبه الله تعالى عليه (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى (ويطعمون الطعام على حبه) حب الله تعالى أو الطعام أوالاطعام (مسكينا ويتيما وأسيرا) يعنى أسراء الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتي بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أوالاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى أسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال أوالمقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ماقالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لانريد منكم جزاء ولاشكورا) أى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم أولانطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه أويشبه الاسد العبوس فى ضراوته (قمطريرا) شديد العبوس كالذى يجمع مابين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على أداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا أبا الحسن لونذرت على ولديك فنذر علىّ وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاث ان برئا فشفيا ومامعهم شئ فاستقرض علىّ من شمعون الخيبرى ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال خذها يامحمد هناك الله فى أهل بيتك

وَالْأُنْثَىٰ ۞ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۞

سورة الدهر مكية وهي احدى وثلثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۞ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۞ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۞ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۞

(متكئين فيها على الارائك) حال من هم فى جزاهم أوصفة لجنة (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لاحار محم ولابارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طيء قال راجزهم وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر
والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لايحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) حال أوصفة أخرى معطوفة على ماقبلها أوعطف على جنة أى وجنة أخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ـ ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال أوصفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ماقبله أوحال من دانية وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لاتمتنع على قطافها كيف شاؤا (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) وأباريق بلاعروة (كانت قوارير قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نوّن قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير (قدّروها تقديرا) أى قدروها فى أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أوقدّروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أوقدّر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أى جعلوا قادرين لها كماشاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به (عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لايشرب منها الامن سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (واذا رأيت ثم) ليس له مفعول ملفوظ

متكئين فيها على الارائك لايرون فيها شمسا ولازمهريرا ۞
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ۞ ويطاف
عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا ۞ قواريرا من فضة
قدروها تقديرا ۞ ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ۞
عينا فيها تسمى سلسبيلا ۞ ويطوف عليهم ولدان مخلدون
اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ۞ واذا رأيت ثم
رأيت نعيما وملكا كبيرا ۞ عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا
طهورا ۞ ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ۞
انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ۞ فاصبر لحكم ربك ولا
تطع منهم آثما أو كفورا ۞ واذكر اسم ربك بكرة
وأصيلا ۞ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ۞ ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ۞ نحن
خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم
تبديلا ۞ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ۞

ولامقدر لانه عام معناه ان بصرك أينما وقع (رأيت نعيما وملكا كبيرا) واسعا * وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بأنوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم أوحسبتهم أوملكا على تقدير مضاف أى وأهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع فى عاليهم وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما حفص وحمزة والكسائى بالرفع وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على ويطوف عليهم ولايخالفه قوله أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أوحال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم بها ثواب الابرار (ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ماعد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولاتطع منهم آثما أوكفورا) أى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعي لك اليه وأو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والقسم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي أن تكون المطاوعة فى الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وداوم على ذكره أودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له تعالى ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم) أمامهم أوخلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) وأحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم تبديلا فى الخلقة وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جيء باذا أوبدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة أو الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة

﴿ وما تشاؤن الا أن يشاء الله ﴾ وما تشاؤن ذلك الا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبوعمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ﴿ ان الله كان عليما ﴾ بما يستأهل كل أحد ﴿ حكيما ﴾ لا يشاء الا ماتقتضيه حكمته ﴿ يدخل من يشاء فى رحمته ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة ﴿ والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما ﴾ نصب الظالمين بفعل يفسره أعدّلهم مثل أوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية * وآيها خمسون آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ﴾ اقسام بطوائف من الملائكة أرسلهنّ الله تعالى بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال أمره ونشرن الشرائع فى الأرض أونشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحقّ والباطل فألقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أوبآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين أوبالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ماسوى الحق ونشرن أثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فألقين ذكرا بحيث لايكون فى القلوب والألسنة الا ذكر الله تعالى أوبرياح عذاب أرسلن

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ يُدْخِلُ
مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۞

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۞ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۞ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا
۞ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۞ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۞ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۞
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۞ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ
فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۞ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۞
لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۞ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ
۞ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۞ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۞ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ فَجَعَلْنَاهُ
فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۞ فَقَدَرْنَا
فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞

فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرقن فألقين ذكرا أى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة أى أرسلن للاحسان والمعروف أوبمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال ﴿ عذرا أونذرا ﴾ مصدران لعذر اذا محا الاساءة وأنذر اذا خوّف أوجمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أوبمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الأوّلين بالعلية أى عذرا للمحقين أونذرا للمبطلين أو البدل من ذكرا على أن المراد به الوحى أو مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما أبوعمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف ﴿ انما توعدون لواقع ﴾ جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجىء القيامة كائن لا محالة ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ محقت أوأذهب نورها ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ صدعت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ كالحبّ ينسف بالمنسف ﴿ واذا الرّسل أقتت ﴾ عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله أو بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ أبوعمرو وقتت على الاصل ﴿ لأىّ يوم أجلت ﴾ أى يقال لأىّ يوم أخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجب من هوله ويجوز أن يكون ثانى مفعولى أقتت على أنه بمعنى أعلمت ﴿ ليوم الفصل ﴾ بيان ليوم التأجيل ﴿ وما أدراك مايوم الفصل ﴾ ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ أى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أوصفته ﴿ ألم نهلك الاوّلين ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى أهلكه ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ أى ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ بكل من أجرم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بآيات الله وأنبيائه فليس تكريرا وكذا ان أطلق التكذيب أوعلق فى الموضعين بواحد لان الويل الاوّل لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ نطفة مذرة ذليلة ﴿ فجعلناه فى قرار مكين ﴾ هو الرّحم ﴿ الى قدر معلوم ﴾ الى مقدار معلوم من الوقت قدّره الله تعالى للولادة ﴿ فقدرنا ﴾ فقدرنا على ذلك أوفقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد ﴿ فنعم القادرون ﴾ نحن ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ بقدرتنا على ذلك أوعلى الاعادة

﴿ ألم نجعل الا رض كفاتا ﴾ كافتة اسم لما يكفت أى يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع أومصدر نعت به أوجمع كافت كصائم وصيام أوكفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار أقطارها ﴿ أحياء وأمواتا ﴾ منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم أولا ٔن أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والا ٔموات أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس أوبنجعل على المفعولية وكفاتا حال أو الحالية فيكون المعنى بالاحياء ماينبت وبالاموات ما لا ينبت ﴿ وجعلنا فيها رواسى شامخات ﴾ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم أوالاشعار بأن فيها مالم يعرف ولم ير ﴿ وأسقينا كم ماء فراتا ﴾ بخلق الا ٔنهار والمنابع فيها ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ بأمثال هذه النعم ﴿ انطلقوا ﴾ أى يقال لهم انطلقوا ﴿ الى ما كنتم به تكذّبون ﴾ من العذاب ﴿ انطلقوا ﴾ خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للأمر اضطرارا ﴿ الى ظلّ ﴾ يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى — وظلّ من يحموم — ﴿ ذى ثلاث شعب ﴾ يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث اما لا ٔن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أولا ٔن المؤدّي الى هذا العذاب هو القوّة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التى في يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿ لا ظليل ﴾ تهكم بهم وردّ لما أوهم لفظ الظل ﴿ ولا يغنى من اللهب ﴾ وغير مغن عنهم من حرّ اللهب شيأ ﴿ انها ترمى بشرر كالقصر ﴾ أى كل شرارة كالقصر فى عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر جمع قصرة وهي أصل العنق والهاء للشعب ﴿ كأنه جمالات ﴾ جمع جمال أوجمالة جمع جمل ﴿ صفر ﴾ فان الشرار بما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لا ٔن سواد الابل يضرب الى الصفرة والا ٔوّل تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين هذا يوم لاينطقون ﴾ أى بما يستحق فان النطق بما لاينفع كلانطق أوبشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم أى هذا الذى ذكر واقع يومئذ ﴿ ولايؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدلّ على أن عدم اعتذارهم لعدم الاذن فأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لايؤذن لهم فيه ﴿ هذايوم الفصل ﴾ بين المحق والمبطل ﴿ جمعنا كم والا ٔوّلين ﴾ تقرير وبيان للفصل ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ اذ لاحيلة لهم فى التخلص من العذاب ﴿ انّ المتقين ﴾ عن الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين ﴿ فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ﴾ مستقرون فى أنواع الترفه ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ أى مقولا لهم ذلك ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ في العقيدة ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ﴾ حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال مايقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ حيث عرّضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ﴿ واذا قيل لهم اركعوا ﴾ أطيعوا واخضعوا أوصلوا أو اركعوا فى الصلاة * اذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانجبي أى لانركع فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴿ لايركعون ﴾ لايمتثلون واستدلّ به على أن الامر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين فبأىّ حديث بعده ﴾ بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

الم نجعل الارض كفاتا * احياء وامواتا * وجعلنا فيها رواسى شمخت واسقينكم ماء فراتا * ويل يومئذ للمكذبين * انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا الى ظل ذى ثلث شعب * لا ظليل ولا يغنى من اللهب * انها ترمى بشرر كالقصر * كانه جملت صفر * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل جمعنكم والاولين * فان كان لكم كيد فكيدون * ويل يومئذ للمكذبين * ان المتقين فى ظلل وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون * انا كذلك نجزى المحسنين * ويل يومئذ للمكذبين * كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون * ويل يومئذ للمكذبين * واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين * فباى حديث بعده يؤمنون *

سورة النبأ مكية وأربعون آية

*(سورة النبأ مكية * وآيها احدى وأربعون آية)*

﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴾

(عمّ يتساءلون) أصله عما فحذف الألف لما مرّ ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن مايتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أويسألون الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم أى يدعونهم ويرونهم أو للناس (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم أوصلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه (الذى هم فيه مختلفون) بجزم النفي والشك فيه أو بالاقرار والانكار (كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للاشعار بأن الوعيد الثانى أشدّ وقيل الاوّل عند النزع والثانى فى القيامة أو الاوّل للبعث والثانى للجزاء * وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مرّ تقريره مرارا وقرئ مهدا أي انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمي به مايمهد لينوّم عليه (وخلقناكم أزواجا) ذكرا وأنثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها أوموتا لانه أحد التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من أراد الاخفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ماتعيشون به أو حياة تنبعثون فيها عن نومكم (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) سبع سموات أقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا أضاءت أوبالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحرّ والمراد الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أومن الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب أوالرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدرأ خلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه * وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه (لنخرج به حبا ونباتا) مايقتات به ومايعتلف من التبن والحشيش (وجنات ألفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع * قال

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

أولفيف كشريف أولف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أوملتفة بحذف الزوائد (انّ يوم الفصل كان) فى علم الله تعالى أوفى حكمه (ميقاتا) حدّا تؤقت به الدنيا وتنتهى عنده أوحدّا للخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ فى الصور) بدل أوبيان ليوم الفصل (فتأتون أفواجا) جماعات من القبور الى المحشر * روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم فيسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم أشدّ نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله تعالى والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فكانت أبوابا) فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أوفصارت ذات أبواب (وسيرت الجبال) أى فى الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت أجزائها وانبثاثها (انّ جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار أوخزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى تضمر فيه الخيل أومجدة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطمان وقرئ أن

بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون ۞ عن النبإ العظيم ۞ الذي هم فيه مختلفون ۞
كلا سيعلمون ۞ ثم كلا سيعلمون ۞ ألم نجعل الأرض مهادا ۞
والجبال أوتادا ۞ وخلقناكم أزواجا ۞ وجعلنا نومكم
سباتا ۞ وجعلنا الليل لباسا ۞ وجعلنا النهار معاشا ۞
وبنينا فوقكم سبعا شدادا ۞ وجعلنا سراجا وهاجا ۞
وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ۞ لنخرج به حبا ونباتا ۞
وجنات ألفافا ۞ إن يوم الفصل كان ميقاتا ۞ يوم ينفخ
في الصور فتأتون أفواجا ۞ وفتحت السماء فكانت أبوابا
۞ وسيرت الجبال فكانت سرابا ۞ إن جهنم كانت
مرصادا ۞ للطاغين مآبا ۞ لابثين فيها أحقابا ۞
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ۞ إلا حميما وغساقا
۞ جزاء وفاقا ۞ إنهم كانوا لا يرجون حسابا ۞
وكذبوا بآياتنا كذابا ۞ وكل شيء أحصيناه كتابا ۞ فذوقوا
فلن نزيدكم إلا عذابا ۞ إن للمتقين مفازا ۞

بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى (لابثين فيها) وقرأ حمزة وروح لبثين وهو أبلغ (أحقابا) دهورا متتابعة وليس فيها مايدل على خروجهم منها اذ لوصح أن الحقب ثمانون سنة أوسبعون ألف سنة فليس فيه مايقتضى تناهي تلك الاحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضي حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلايعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولوجعل قوله (لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكن فى لابثين أونصب أحقابا بلايذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غيرذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا أخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد مايروحهم وينفس عنهم حرّ النار أوالنوم وبالغساق مايغسق أى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا أنه أخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد (جزاء وفاقا) أى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أوموافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا (انهم كانوا لايرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزاء (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه وانما أقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم أو المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة أوكانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المبالغين فيه وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين أومكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر أى تكذيبا مفرطا كذبه (وكل شئ أحصيناه) وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر لأحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط أولفعله المقدر أوحال بمعنى مكتوبا فى اللوح أوصحف الحفظة والجملة اعتراض

وقوله ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة * وفي الحديث هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار ﴿ انّ للمتقين مفازا ﴾ فوزا أوموضع فوز

﴿ حدائق وأعنابا ﴾ بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال والبعض ﴿ وكواعب ﴾ نساء فلكت ثديهن ﴿ أترابا ﴾ لدات ﴿ وكأسا دهاقا ﴾ ملآنا وأدهق الحوض ملأه ﴿ لايسمعون فيها لغوا ولا كذّابا ﴾ وقرأ الكسائي بالتخفيف أى كذبا أومكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا ﴿ جزاء من ربك ﴾ بمقتضى وعده ﴿ عطاء ﴾ تفضلا منه اذ لايجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به ﴿ حسابا ﴾ كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي أوعلى حسب أعمالهم وقرئ حسابا أى محسبا كالدراك بمعنى المدرك ﴿ ربّ السموات والأرض ومابينهما ﴾ بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وأبوعمرو على الابتداء ﴿ الرّحمن ﴾ بالجر صفة له وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قراءة أبي عمرو وفى قراءة حمزة والكسائى بجر الأول ورفع الثانى على أنه خبر محذوف أومبتدأ خبره ﴿ لايملكون منه خطابا ﴾ والواو لأهل السموات والارض أى لايملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب أوعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافي الشفاعة باذنه ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرّحمن وقال صوابا ﴾ تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون أو ليتكلمون والروح ملك موكل على الأرواح أوجنسها أوجبريل عليه السلام أوخلق أعظم من الملائكة ﴿ ذلك اليوم الحقّ ﴾ الكائن لامحالة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه ﴾ الى ثوابه ﴿ مآبا ﴾ بالايمان والطاعة ﴿ انا أنذرناكم عذابا قريبا ﴾ يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهو آت قريب ولأن مبدأه الموت ﴿ يوم ينظر المرء ماقدّمت يداه ﴾ يرى ماقدّمه من خير أوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله ـ انا أنذرناكم ـ فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر أو استفهامية منصوبة بقدّمت أى ينظر أىّ شئ قدّمت يداه ﴿ ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ﴾ فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوفى هذا اليوم فلم أبعث * وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيودّ الكافر حالها * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عمّ سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۞ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۞ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۞ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۞ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلٰئِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۞ ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ۞ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۞

سورة النّٰزعٰت مكية وست وأربعون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنّٰزِعٰتِ غَرْقًا ۞ وَالنّٰشِطٰتِ نَشْطًا ۞ وَالسّٰبِحٰتِ سَبْحًا ۞ فَالسّٰبِقٰتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِّرٰتِ أَمْرًا ۞ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۞ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۞ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۞ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۞ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ ١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۞

فانما

(سورة النازعات مكية وآيها خمس أوست وأربعون آية)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا ﴾ هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون أرواح الكفار من أبدانهم غرقا أى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من أقاصى الابدان أونفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون أى يخرجون أرواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغوّاص الذي يخرج الشئ من أعماق البحر فيسبقون بأرواح الكفار الى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمرعقابها وثوابها بأن يهيؤها لادراك ما أعدّ لها من الآلام واللذات أوالاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمروا به فيدبّرون أمره أوصفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحن فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه أسرع حركة فيدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الأولى نزعا والثانية نشطا أوصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا أى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس وتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوّتها من المدبرات أو حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات أوصفات أنفس الغزاة أو أيديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البرّ والبحر فيسبقون الى حرب العدوّ فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى حربها فتسبق الى العدوّ فتدبر أمر الظفر أقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة مابعده عليه ﴿ يوم ترجف الرّاجفة ﴾ وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالأرض والجبال لقوله تعالى ـ يوم ترجف الارض والجبال ـ أوالواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الأولى ﴿ تتبعها الرّادفة ﴾ التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر أوالنفخة الثانية والجملة فى موقع الحال ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ﴿ أبصارها خاشعة ﴾ أى أبصار أصحابها ذليلة من الخوف ولذلك أضافها الى القلوب ﴿ يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ في الحالة الأولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته أى طريقه التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه على النسبة كقوله تعالى ـ فى عيشة راضية ـ أوتشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ﴿ أئذا كنا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر ﴿ عظاما ناخرة ﴾ بالية وقرأ الحجازيان والشامى وحفص وروح نخرة وهي أبلغ ﴿ قالوا تلك اذا كرّة خاسرة ﴾ ذات خسران أوخاسر أصحابها والمعنى أنها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهواستهزاء منهم

﴿ فانما هي زجرة واحدة ﴾ متعلق بمحذوف أى لاتستصعبوها فماهي الاصيحة واحدة يعنى النفخة الثانية ﴿ فاذاهم بالساهرة ﴾ فاذاهم أحياء على وجه الارض بعد ماكانوا أمواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة أولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم لجهنم ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ أليس قد أتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك وتهددهم عليه بان يصيبهم مثل ماأصاب من هو أعظم منهم ﴿ اذناداه ربه بالوادالمقدس طوى ﴾ قد مر بيانه فى سورة طه ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ على ارادة القول وقرئ أن اذهب لما في النداء من معنى القول ﴿ فقل هل لك الى أن تزكي ﴾ هل لك ميل الى أن تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد ﴿ وأهديك الى ربك ﴾ وأرشدك الى معرفته ﴿ فتخشى ﴾ باداء الواجبات وترك المحرمات اذالخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ أى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والأصل أومجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة ﴿ فكذب وعصى ﴾ فكذب موسى وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر ﴿ ثم أدبر ﴾ عن الطاعة ﴿ يسعى ﴾ ساعيا فى ابطال أمره أوأدبر بعد مارأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه ﴿ فحشر ﴾ فجمع السحرة أوجنوده ﴿ فنادى ﴾ فى المجمع بنفسه أوبمناد ﴿ فقال أناربكم الاعلى ﴾ أعلى كل من يلى أمركم ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ﴾ أخذا منكلا لمن رآه أوسمعه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق أو على كلمته الآخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهو قوله ماعلمت لكم من اله غيري أوللتنكيل فيهما أولهما ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ﴿ ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ لمن كان من شأنه الخشية ﴿ أأنتم أشد خلقا ﴾ أصعب خلقا ﴿ أم السماء ﴾ ثم بين كيف خلقها فقال ﴿ بناها ﴾ ثم بين البناء فقال ﴿ رفع

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۞ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
مُوسَى ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَى
فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ
فَتَخْشَى ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ
يَسْعَى ۞ فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ
نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ۞ أَأَنْتُمْ
أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا
۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا
لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۞ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۞ يَوْمَ
يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۞ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ۞ فَأَمَّا مَنْ
طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۞
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَى ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنْتَ
مِنْ ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ۞

سمكها ﴾ أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض أوثخنها الذاهب فى العلو رفيعا ﴿ فسواها ﴾ فعدلها أوفجعلها مستوية أوفتممها بمايتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان أمره اذا أصلحه ﴿ وأغطش ليلها ﴾ أظلمه منقول من غطش الليل اذا أظلم وانما أضافه اليها لانه يحدث بحركتها ﴿ وأخرج ضحاها ﴾ وأبرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ بسطها ومهدها للسكنى ﴿ أخرج منها ماءها ﴾ بتفجير العيون ﴿ ومرعاها ﴾ ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد أوبيان للدحو ﴿ والجبال أرساها ﴾ أثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ تمتيعا لكم ولمواشيكم ﴿ فاذاجاءت الطامة ﴾ الداهية التى تطم أى تعلو على سائر الدواهى ﴿ الكبرى ﴾ التى هي أكبر الطامات وهي القيامة أوالنفخة الثانية أوالساعة التى يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار ﴿ يوم يتذكر الانسان ماسعى ﴾ بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيه من فرط الغفلة أوطول المدة وهو بدل من اذا جاءت ومامو صولة أومصدرية ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ وأظهرت ﴿ لمن يري ﴾ لكل راء بحيث لاتخفى على أحد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذارأتهم من مكان بعيد أوأنه خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وجواب فاذاجاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر أومابعده من التفصيل ﴿ فاما من طغى ﴾ حتى كفر ﴿ وآثر الحياة الدنيا ﴾ فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس ﴿ فان الجحيم هي المأوى ﴾ هي مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوي هو الطاغى وهى فصل أومبتدأ ﴿ وأمامن خاف مقام ربه ﴾ مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ لعلمه بانه مرد ﴿ فان الجنة هي المأوى ﴾ ليس له سواها مأوي ﴿ يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ متى ارساؤها أى اقامتها واثباتها أومنتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه ﴿ فيم أنت من ذكراها ﴾ فى أي شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم أي ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكرها لايزيدهم الاغيا ووقتها مما استأثر الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وأنت من ذكراها مستأنف ومعناه أنت ذكر من ذكرها أى علامة من أشراطها فان ارساله خاتما للانبياء أمارة من أماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ أى منتهى علمها ﴿ انما أنت منذر من يخشاها ﴾ انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن أبى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال

﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا ﴾ في الدنيا أوفي القبور ﴿ الاعشية أوضحاها ﴾ أي عشية يوم أوضحاه كقوله الاساعة من نهار ولذلك أضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿ سورة عبس مكية وآيها ثنتان وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * عبس وتولى أن جاءه الاعمى ﴾ * روى أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أوعبس على اختلاف المذهبين وقرئ آأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على أنه أحق بالرأفة والرفق أولزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه أعمى كالالتفات فى قوله ﴿ ومايدريك لعله يزكي ﴾ أى وأى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره ﴿ أويذكر فتنفعه الذكرى ﴾ أويتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر أى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب جوابا للعل ﴿ أما من استغنى فانت له تصدى ﴾ تتعرض له بالاقبال عليه

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۞

سورة عبس مكية وهي اثنتان واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۞ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۞ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ۞ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۞ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞

وأصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدي بالادغام وقرئ تصدى أى تعرض وتدعى الى التصدى ﴿ وماعليك ألايزكي ﴾ وليس عليك باس فى أن لايتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن أسلم ان عليك الا البلاغ ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ يسرع طالبا للخير ﴿ وهو يخشى ﴾ الله أوأذية الكفار فى اتيانك أوكبوة الطريق لانه أعمى لاقائدله ﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لاينبغى له ذلك ﴿ كلا ﴾ ردع عن المعاتب عليه أوعن معاودة مثله ﴿ انها تذكرة فمن شاء ذكره ﴾ حفظه أواتعظ به والضميران للقرآن أوالعتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره ﴿ في صحف ﴾ مثبتة فيها صفة لتذكرة أوخبر ثان أوخبر لمحذوف ﴿ مكرمة ﴾ عند الله ﴿ مرفوعة ﴾ القدر ﴿ مطهرة ﴾ منزهة عن أيدى الشياطين ﴿ بأيدى سفرة ﴾ كتبة من الملائكة أوالانبياء ينتسخون الكتب من اللوح أوالوحى أوسفراء يسفرون بالوحى بين الله تعالى ورسله أوالامة جمع سافر من السفر أوالسفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها ﴿ كرام ﴾ أعزاء على الله أومتعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم ﴿ بررة ﴾ أتقياء ﴿ قتل الانسان ما أكفره ﴾ دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ ﴿ من أى شئ خلقه ﴾ بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال أوفقدره أطوارا الى أن تم خلقته ﴿ ثم السبيل يسره ﴾ ثم سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أوذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ﴿ ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ﴾ وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى ﴿ كلا ﴾ ردع للانسان عما هو عليه ﴿ لما يقض ما أمره ﴾ لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما أمره الله باسره اذ لايخلو أحد من تقصيرما ﴿ فلينظر الانسان الى طعامه ﴾ اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية ﴿ انا صببنا الماء صبا ﴾ استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ﴿ ثم شققنا الارض شقا ﴾ أى بالنبات أوبالكراب وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب ﴿ فانبتنا فيها حبا ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ وعنبا وقضبا ﴾ يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد أخرى ﴿ وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ﴾ عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أولانها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ﴿ وفاكهة وأبا ﴾ ومرعي من أب اذا أم لانه يؤم وينتجع أومن أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي أوفاكهة يابسة تؤب للشتاء

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ۞ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۞ يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ
امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۞
ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ
تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۞

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۞
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞

﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾ أى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لاينفعونه أوللحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه أى يهمه ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مضيئة من اسفار الصبح ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ لما ترى من النعيم ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ غبار وكدورة ﴿ترهقها قترة﴾ يغشاها سواد وظلمة ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * اذا الشمس كوّرت﴾ لفت من كوّرت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا أريد رفعه لف أولف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره أوألقيت عن فلكها من طعنه فكوّره اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره مابعدها أولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ انقضت قال * أبصر خربان فضاء فانكدر * أوأظلمت من كدرت الماء فانكدر ﴿واذا الجبال سيرت﴾ عن وجه الارض أوفى الجو ﴿واذا العشار﴾ النوق اللواتي أتي على حملهنّ عشرة أشهر جمع عشراء ﴿عطلت﴾ تركت مهملة أوالسحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ جمعت من كل جانب أوبعثت للقصاص ثم ردّت ترابا أوأميتت من قولهم اذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد ﴿واذا البحار سجرت﴾ أحميت أوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف ﴿واذا النفوس زوّجت﴾ قرنت بالابدان أوكل منها بشكلها أوبكتابها وعملها أونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿واذا الموؤدة﴾ المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق أولحوق العار بهم من أجلهن ﴿سئلت بأي ذنب قتلت﴾ تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية ﴿واذا الصحف نشرت﴾ يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر أولكثرة الصحف أوشدة التطاير ﴿واذا السماء كشطت﴾ قلعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ أوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد ﴿واذا الجنة أزلفت﴾ قربت من المؤمنين ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ماسوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله ﴿الجوار الكنس﴾ أى السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر ﴿والليل اذا عسعس﴾ أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا أدبر ﴿والصبح اذا تنفس﴾ أي أضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم

(انه) أى القرآن (لقول رسول كريم) يعنى جبريل فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوّة) كقوله شديد القوى (عند ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثمّ أمين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله ومابعده وقرئ ثمّ تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات (وما صاحبكم بمجنون) كما تبهته الكفرة واستدلّ بذلك على أفضل جبريل على محمد عليه الصلاة والسلام حيث عدّ فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لاتعداد فضلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد عليه الصلاة والسلام (على الغيب) على مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بظنين) بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين بالضاد من الضن وهو البخل أى لايبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان ومايليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا (وماهو بقول شيطان رجيم) بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه لكهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان هو الا ذكر للعالمين) تذكير لمن يعلم (لمن شاء منكم أن يستقيم) بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) الاستقامة يامن يشاؤها (الا أن يشاء الله) الاوقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿ سورة الانفطار مكية * وآيها تسع عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى (علمت نفس ماقدّمت) من عمل أو صدقة (وأخرت) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا أيها الانسان ماغرّك بربك الكريم) أى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لايقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ماشئت فربك كريم لايعذب أحدا ولايعاجل بالعقوبة والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد فى طاعته لاالانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (الذى خلقك فسوّاك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكريم منبهة على أن من قدر على ذلك أوّلا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسوّاة معدّة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء أو معدلة بما تسعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوان (فى أى صورة ماشاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ماقبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله وقوله (بل تكذبون بالدين) اضراب الى بيان ماهو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو الاسلام (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزاء (ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) بيان لما يكتبون لاجله (يصلونها) يقاسون حرها (يوم الدين وماهم عنها بغائبين) لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور

انه لقول رسول كريم ۞ ذى قوة عند ذى العرش مكين ۞ مطاع ثم امين ۞ وما صاحبكم بمجنون ۞ ولقد راه بالافق المبين ۞ وما هو على الغيب بضنين ۞ وما هو بقول شيطن رجيم ۞ فاين تذهبون ۞ ان هو الا ذكر للعلمين ۞ لمن شاء منكم ان يستقيم ۞ وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العلمين ۞

سورة الانفطار مكية وتسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت ۞ واذا الكواكب انتثرت ۞ واذا البحار فجرت ۞ واذا القبور بعثرت ۞ علمت نفس ما قدمت واخرت ۞ يايها الانسان ما غرك بربك الكريم ۞ الذى خلقك فسويك فعدلك ۞ فى اى صورة ما شاء ركبك ۞ كلا بل تكذبون بالدين ۞ وان عليكم لحفظين ۞ كراما كاتبين ۞ يعلمون ما تفعلون ۞ ان الابرار لفى نعيم ۞ وان الفجار لفى جحيم ۞ يصلونها يوم الدين ۞ وما هم عنها بغائبين ۞

﴿ وما أدراك مايوم الدّين ثم ما أدراك مايوم الدّين ﴾ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم أى كنه أمره بحيث لاتدركه دراية دار ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله ﴾ تقرير لشدّة هوله وفخامة أمره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين أوالخبر المحذوف * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة والله أعلم

(سورة المطففين مختلف فيها * وآيها ست وثلاثون آية)

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿ ويل للمطففين ﴾ التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان مايبخس طفيف أى حقير * روى أن أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوه * وفى الحديث خمس بخمس مانقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوّهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر ﴿ الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ أى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما أبدل على بمن للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس أو اكتيال يتحامل فيه عليهم ﴿ واذا كالوهم أو وزنوهم ﴾ أى اذا كالوا الناس أو وزنوا لهم ﴿ يخسرون ﴾ فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك أوكالوا مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف مقامه ولايحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الأخذ والدفع لافي المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره ﴿ ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون ﴾ فان من ظن ذلك لم يتجاسر على أمثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ﴿ ليوم عظيم ﴾ عظمه لعظم ما يكون فيه ﴿ يوم يقوم الناس ﴾ نصب بمبعوثون أوبدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر ﴿ لربّ العالمين ﴾ لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه بربّ العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه ﴿ كلا ﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ﴿ انّ كتاب الفجار ﴾ مايكتب من أعمالهم أوكتابة أعمالهم ﴿ لفى سجين ﴾ كتاب جامع لأعمال الفجرة من الثقلين كما قال ﴿ وما أدراك ماسجين كتاب مرقوم ﴾ أى مسطور بين الكتابة أومعلم يعلم من رآه انه لاخير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس أولأنه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين أومحل كتاب مرقوم فحذف المضاف ﴿ ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ بالحق أوبذلك ﴿ الذين يكذّبون بيوم الدين ﴾ صفة مخصصة أو موضحة أوذامة ﴿ وما يكذّب به الا كل معتد ﴾ متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة ﴿ أثيم ﴾ منهمك فى الشهوات المخدّجة بحيث أشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها ﴿ اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين ﴾ من فرط جهله واعراضه عن الحق فلاتنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل ﴿ كلا ﴾ ردع عن هذا القول ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ ردّ لما قالوه وبيان لما أدّى بهم الى هذا القول بأن غلب عليهم حبّ المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام ﴿ كلا ﴾ ردع عن الكسب الرائن ﴿ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أوقدر مضافا مثل رحمة ربهم أوقرب ربهم ﴿ ثم انهم لصالوا الجحيم ﴾ ليدخلون النار ويصلون بها ﴿ ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذّبون ﴾ تقوله لهم الزبانية ﴿ كلا ﴾ تكرير ليعقب بوعد الابرار كما عقب الاوّل بوعيد الفجار اشعارا بأن التطفيف فجور والايفاء برّ أو ردع عن التكذيب ﴿ انّ كتاب الأبرار لفى عليين وما أدراك ماعليون

وَمَا أَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ ثُمَّ مَا أَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۞ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ ۞

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سِتٌّ وَثَلٰثُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعٰلَمِينَ ۞ كَلَّا إِنَّ كِتٰبَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرٰيكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتٰبٌ مَرْقُومٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيٰتُنَا قَالَ أَسٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۞ كَلَّا إِنَّ كِتٰبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرٰيكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞

كتاب مرقوم ﴾ الكلام فيه مامرّ في نظيره ﴿ يشهده المقرّبون ﴾ يحضرونه فيحفظونه أويشهدون على مافيه يوم القيامة ﴿ انّ الأبرار لفى نعيم على الأرائك ﴾ على الاسرّة فى الحجال ﴿ ينظرون ﴾ الى مايسرّهم من النعم والمتفرّجات ﴿ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ﴾ بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على البناء للمفعول ونضرة بالرفع ﴿ يسقون من رحيق ﴾ شراب خالص ﴿ مختوم ختامه مسك ﴾ أى مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته أو الذى له ختام أى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء أي مايختم به ويقطع ﴿ وفى ذلك ﴾ يعنى الرحيق أوالنعيم ﴿ فليتنافس المتنافسون ﴾ فليرتغب المرتغبون ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها أورفعة شرابها ﴿ عينا يشرب بها المقرّبون ﴾ فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا على المدح أوالحال من تسنيم والكلام في الباء كما فى ـ يشرب بها عباد الله ـ ﴿ انّ الذين أجرموا ﴾ يعنى رؤساء قريش ﴿ كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين ﴿ واذا مرّوا بهم يتغامزون ﴾ يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم ﴿ واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين ﴾ متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين ﴿ واذا رأوهم قالوا انّ هؤلاء لضالون ﴾ واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال ﴿ وما أرسلوا عليهم ﴾ على المؤمنين ﴿ حافظين ﴾ يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾ حين يرونهم أذلاء مغلوبين فى النار * وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ حال من يضحكون ﴿ هل ثوّب الكفار ﴾ أي هل أثيبوا ﴿ ما كانوا يفعلون ﴾ وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

(سورة الانشقاق مكية * وآيها خمس وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا السماء انشقت ﴾ بالغمام كقوله تعالى ـ ويوم تشقق السماء بالغمام ـ وعن عليّ رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرّة ﴿ وأذنت لربها ﴾ واستمعت له أى انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له ﴿ وحقت ﴾ وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق ﴿ واذا الأرض مدّت ﴾ بسطت بأن تزال جبالها وآكامها ﴿ وألقت ما فيها ﴾ ما فى جوفها من الكنوز والأموات ﴿ وتخلت ﴾ وتكلفت فى الخلوّ أقصى جهدها حتى لم يبق شئ في باطنها ﴿ وأذنت لربها ﴾ فى الالقاء والتخلى ﴿ وحقت ﴾ للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام أوالاكتفاء بما مرّ في سورتى التكوير والانفطار أولدلالة قوله

كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۞ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞
عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۞ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ
۞ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۞ خِتَٰمُهُ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ
فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۞ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۞ عَيْنًا يَشْرَبُ
بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا انقَلَبُوا
إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ
لَضَالُّونَ ۞ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۞ فَالْيَوْمَ
الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى الْأَرَائِكِ
يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞

سورة الانشقاق مكية وخمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞ وَإِذَا الْأَرْضُ
مُدَّتْ ۞ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۞ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۞

﴿ يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ﴾ عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه أى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه أوفملاقيه ويا أيها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ سهلا لايناقش فيه ﴿ وينقلب الى أهله مسرورا ﴾ الى عشيرته المؤمنين أوفريق المؤمنين أوأهله فى الجنة من الحور ﴿ وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ﴾ أى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره * قيل تغلّ يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره ﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يتمنى الثبور ويقول ياثبوراه وهو الهلاك ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ وقرأ الحجازيان والشامي ويصلى لقوله تعالى ـ وتصلية جحيم ـ وقرئ ويصلى لقوله تعالى ـ ونصله جهنم ـ ﴿ انه كان فى أهله ﴾ أي فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة ﴿ انه ظنّ أن لن يحور ﴾ لن يرجع الى الله تعالى ﴿ بلى ﴾ ايجاب لما بعد لن ﴿ انّ ربه كان به بصيرا ﴾ عالما بأعماله فلايهمله بل يرجعه ويجازيه ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ الحمرة التى ترى في أفق المغرب بعد الغروب * وعن أبى حنيفة رحمه الله تعالى أنه البياض الذى يليها سمي به لرقته من الشفقة ﴿ والليل وما وسق ﴾ وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا * أوطرده الى أماكنه من الوسيقة ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ اجتمع وتمّ بدرا ﴿ لتركبنّ طبقا عن طبق ﴾ حالا بعد حال مطابقة لأختها فى الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أومراتب من الشدّة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة وأهوالها أوهي وماقبلها من الدواعي على أنه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبنّ بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ أوالرسول عليه الصلاة والسلام على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أوطبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أو حال من الضمير بمعنى

يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ
أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞
وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ
ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ
فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۞ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا
۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۞ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۞ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۞
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ۞ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞

سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۞ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
۞ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞

مجاوز الطبق أومجاوزين له ﴿ فما لهم لايؤمنون ﴾ بيوم القيامة ﴿ واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ لايخضعون أو لايسجدون لتلاوته * لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قرأ ـ واسجد واقترب ـ فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتجّ به أبوحنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها الا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ أى بالقرآن ﴿ والله أعلم بما يوعون ﴾ بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ استهزاء بهم ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استثناء منقطع أومتصل والمراد من تاب وآمن منهم ﴿ لهم أجر غير ممنون ﴾ مقطوع أوممنون به عليهم * وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

(سورة البروج مكية * وآيها اثنتان وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء ذات البروج ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أومنازل القمر أوعظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أوأبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف أى وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما أوالمبالغة فى الكثرة كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أوالنبي عليه الصلاة والسلام وأمته أو أمته وسائر الأمم أوكل نبي وأمته أوالخالق والخلق أوعكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أوالملك الحفيظ والمكلف أويوم النحر أوعرفة والحجيج أويوم الجمعة والجمع فانه يشهد له أوكل يوم وأهله ﴿ قتل أصحاب الاخدود ﴾ قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة لعن أصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاحقوق * روى مرفوعا أن ملكا كان له ساحر فلما كبر ضمّ اليه غلاما ليعلمه وكان فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحبّ اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الأكمه والأبرص ويشفى من الأدواء وعمى جليس الملك فأبرأه فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربى فغضب فعذبه فدلّ على الغلام فعذبه فدلّ على الراهب فقدّه بالمنشار وأرسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا وأجلسه فى سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله ربّ هذا الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس برب الغلام فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت * وعن عليّ رضى الله تعالى عنه كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال انّ الله أحلّ نكاح الاخوات فلم يقبلوه فأمر باخاديد النار فطرح فيها من أبى * وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذونواس اليهودى من حمير فأحرق فى الأخاديد من لم يرتد ﴿ النار ﴾ بدل من الاخدود بدل الاشتمال ﴿ ذات الوقود ﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة مايرتفع به لهبها واللام فى الوقود للجنس

﴿ اذهم عليها ﴾ على حافة النار ﴿ قعود ﴾ قاعدون ﴿ وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما أمروا به أو يشهدون على مايفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ﴿ وماتقموا منهم ﴾ وماأنكروا ﴿ الاأن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ استثناء على طريقة قوله

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله ﴿ الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ﴾ للاشعار بما يستحق أن يؤمن به ويعبد ﴿ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ بلوهم بالاذي ﴿ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴾ بكفرهم ﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾ العذاب الزائد فى الاحراق بفتنهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ماروى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ﴾ اذ الدنيا ومافيها تصغر دونه ﴿ ان بطش ربك لشديد ﴾ مضاعف عنفه فان البطش أخذ بعنف ﴿ انه هو يبدئ ويعيد ﴾ يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة ﴿ وهو الغفور ﴾ لمن تاب ﴿ الودود ﴾ المحب لمن أطاع ﴿ ذو العرش ﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك ﴿ المجيد ﴾ العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائى صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته ﴿ فعال لما يريد ﴾ لايمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره ﴿ هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود ﴾ أبدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعني قد عرفت تكذيبهم للرسل وماحاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ماأصابهم ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ لايرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم أعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ لايفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعني وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى مافوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

﴿ سورة الطارق مكية * وآيها سبع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء والطارق ﴾ والكوكب البادي بالليل وهو فى الأصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه ﴿ وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾ المضىء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الافلاك والمراد الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه ﴿ ان كل نفس لما عليها ﴾ أى ان الشأن كل نفس لعليها ﴿ حافظ ﴾ رقيب فان هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾ لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلايملى على حافظه الامايسره فى عاقبته

اذ هم عليها قعود ۞ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ۞ وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ۞ الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ۞ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ۞ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ۞ ان بطش ربك لشديد ۞ انه هو يبدئ ويعيد ۞ وهو الغفور الودود ۞ ذو العرش المجيد ۞ فعال لما يريد ۞ هل أتاك حديث الجنود ۞ فرعون وثمود ۞ بل الذين كفروا فى تكذيب ۞ والله من ورائهم محيط ۞ بل هو قرآن مجيد ۞ فى لوح محفوظ ۞

سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ۞ وما أدراك ما الطارق ۞ النجم الثاقب ۞ ان كل نفس لما عليها حافظ ۞ فلينظر الانسان مم خلق ۞

خلق

﴿ خلق من ماء دافق ﴾ جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صعب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولوصح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلاشك أن الدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهو النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب ﴿ انه على رجعه لقادر ﴾ والضمير للخالق ويدل عليه خلق ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ تتعرف ويميز بين ماطاب من الضمائر وماخفى من الاعمال وماخبث منها وهو ظرف لرجعه ﴿ فماله ﴾ فما للانسان ﴿ من قوة ﴾ من منعة فى نفسه يمتنع بها ﴿ ولاناصر ﴾ يمنعه ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ ترجع في كل دورة الى الموضع الذى تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى أوبالان الله يرجعه وقتافوقتا أولما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب ﴿ والارض ذات الصداع ﴾ ماتتصدع عنه الارض من النبات أوالشق بالنبات والعيون ﴿ انه ﴾ ان القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ فاصل بين الحق والباطل ﴿ وماهو بالهزل ﴾ فانه جد كله ﴿ انهم ﴾ يعنى أهل مكة ﴿ يكيدون كيدا ﴾ فى ابطاله واطفاء نوره ﴿ وأكيد كيدا ﴾ وأقابلهم بكيد فى استدراجى لهم وانتقامى منهم من حيث لايحتسبون ﴿ فمهل الكافرين ﴾ فلاتشتغل بالانتقام منهم أولاتستعجل باهلاكهم ﴿ أمهلهم رويدا ﴾ امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

خلق من ماء دافق ۝ يخرج من بين الصلب والترائب ۝ إنه على رجعه لقادر ۝ يوم تبلى السرائر ۝ فما له من قوة ولا ناصر ۝ والسماء ذات الرجع ۝ والأرض ذات الصدع ۝ إنه لقول فصل ۝ وما هو بالهزل ۝ إنهم يكيدون كيدا ۝ وأكيد كيدا ۝ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ۝

سورة الاعلى مكية وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الأعلى ۝ الذي خلق فسوى ۝ والذي قدر فهدى ۝ والذي أخرج المرعى ۝ فجعله غثاء أحوى ۝ سنقرئك فلا تنسى ۝ إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ۝ ونيسرك لليسرى ۝ فذكر إن نفعت الذكرى ۝ سيذكر من يخشى ۝ ويتجنبها الأشقى ۝ الذي يصلى النار الكبرى ۝ ثم لا يموت فيها ولا يحيى ۝ قد أفلح من تزكى ۝ وذكر اسم ربه فصلى ۝

(سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح اسم ربك الاعلى ﴾ نزه اسمه عن الحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره الاعلى على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الاعلى * وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت ﴿ الذى خلق فسوى ﴾ خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له مابه يتأتى كماله ويتم معاشه ﴿ والذى قدر ﴾ أي قدر أجناس الاشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿ فهدى ﴾ فوجهه الى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ﴿ والذى أخرج المرعي ﴾ أنبت ماترعاه الدواب ﴿ فجعله ﴾ بعد خضرته ﴿ غثاء أحوى ﴾ يابسا أسود * وقيل أحوى حال من المرعي أى أخرجه أحوي أى أسود من شدة خضرته ﴿ سنقرئك ﴾ على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام أوسنجعلك قارئا بالهام القراءة ﴿ فلاتنسى ﴾ أصلا من قوة الحفظ مع أنك أمي ليكون ذلك آية أخري لك مع أن الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا ﴿ الاماشاء الله ﴾ نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة * لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل للنفى ﴿ انه يعلم الجهر ومايخفى ﴾ ماظهر من أحوالكم ومابطن أوجهرك بالقراءة مع جبريل عليه الصلاة والسلام وماداعك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من ابقاء وانساء ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى أوالتدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لانيسرلك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض ﴿ فذكر ﴾ بعد مااستتب لك الامر ﴿ ان نفعت الذكرى ﴾ لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية أولذم المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم أوللاشعار بان التذكير انما يجب اذاظن نفعه ولذلك أمر بالاعراض عمن تولى ﴿ سيذكر من يخشى ﴾ سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى بأن يتأمل فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ﴿ ويتجنبها ﴾ ويتجنب الذكرى ﴿ الاشقى ﴾ الكافر فانه أشقى من الفاسق أوالاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر ﴿ الذى يصلى النار الكبرى ﴾ نار جهنم فانه عليه الصلاة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم أومافى الدرك الاسفل منها ﴿ ثم لايموت فيها ﴾ فيستريح ﴿ ولايحيا ﴾ حياة تنفعه ﴿ قد أفلح من تزكي ﴾ تطهر من الكفر والمعصية أوتكثر من التقوي من الزكاة أوتطهر للصلاة أوأدى الزكاة ﴿ وذكر اسم ربه ﴾ بقلبه ولسانه ﴿ فصلى ﴾ كقوله أقم الصلاة لذكرى ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكي تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته

﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾ فلاتفعلون مايسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات أوعلى اضمار قل أوللكل فان السعى للدنيا أكثر فى الجملة وقرأ أبوعمرو بالياء ﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لاانقطاع له ﴿ ان هذا لفى الصحف الاولى ﴾ الاشارة الى ماسبق من قد أفلح فانه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ بدل من الصحف الاولى * قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

(سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * هل أتاك حديث الغاشية ﴾ الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة أوالنار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ ذليلة ﴿ عاملة ناصبة ﴾ تعمل ماتتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها أوعملت ونصبت فى أعمال لاتنفعها يومئذ ﴿ تصلى نارا ﴾ تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبوا بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة ﴿ حامية ﴾ متناهية فى الحر ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ بلغت اناها فى الحر ﴿ ليس لهم طعام الا من ضريع ﴾ يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم أوالمراد طعامهم ماتتحاماه الابل وتعافه لضره وعدم نفعه كما قال ﴿ لايسمن ولا يغنى من جوع ﴾ والمقصود من الطعام أحد الامرين ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ ذات بهجة أومتنعمة ﴿ لسعيها راضية ﴾ رضيت بعملها لما رأت ثوابه ﴿ فى جنة عالية ﴾ علية المحل أوالقدر ﴿ لاتسمع ﴾ يامخاطب أوالوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع ﴿ فيها لاغية ﴾ لغوا أوكلمة ذات لغو أونفسا تلغو فان كلام أهل الجنة الذكر والحكم ﴿ فيها عين جارية ﴾ يجرى ماؤها ولاينقطع والتنكير للتعظيم ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ رفيعة السمك أوالقدر ﴿ وأكواب ﴾ جمع كوب وهى آنية لاعروة لها ﴿ موضوعة ﴾ بين أيديهم ﴿ ونمارق ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿ مصفوفة ﴾ بعضها الى بعض ﴿ وزرابى ﴾ بسط فاخرة جمع زربية ﴿ مبثوثة ﴾ مبسوطة ﴿ أفلاينظرون ﴾ نظر اعتبار ﴿ الى الابل كيف خلقت ﴾ خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البوادى والمفاوز مع ما لها من منافع أخرى ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات وأكثرها صنعا ولانها أعجب ماعند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة ﴿ والى السماء كيف رفعت ﴾ بلاعمد ﴿ والى الجبال كيف نصبت ﴾ فهى راسخة لاتميل ﴿ والى الارض كيف سطحت ﴾ بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلاينظرون الى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلاينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال ﴿ فذكر انما أنت مذكر ﴾ فلاعليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ بمتسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام ﴿ الا من تولى وكفر ﴾ لكن من تولى وكفر ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من تولى وأصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول أنه قرئ ألا على التنبيه

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا * وَالْاٰخِرَةُ خَيْرٌ وَاَبْقٰى * اِنَّ هٰذَا لَفِى الصُّحُفِ الْاُولٰى * صُحُفِ اِبْرٰهِيمَ وَمُوسٰى *

سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ اَتٰيكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلٰى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقٰى مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ اِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِنْ جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَاَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ * اَفَلَا يَنْظُرُونَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَاِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ اِنَّمَا اَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ * اِلَّا مَنْ تَوَلّٰى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذَابَ الْاَكْبَرَ *

ران

﴿ان الينا ايابهم﴾ رجوعهم وقرئ بالتشديد على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أوفعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية * وآيها ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * والفجر﴾ أقسم بالصبح أو فلقه كقوله ـ والصبح اذا تنفس ـ أو بصلاته ﴿وليال عشر﴾ عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أوالنحر أوعشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام ﴿والشفع والوتر﴾ والاشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك أوالبروج والسيارات أوشفع الصلوات ووترها أويومى النحر وعرفة * وقد روى مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ماراه أظهر دلالة على التوحيد أومدخلا في الدين أومناسبة لما قبلهما أوأكثر منفعة موجبة للشكر وقرئ والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر ﴿والليل اذا يسر﴾ اذا يمضى كقوله ـ والليل اذ أدبر ـ والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أويسرى من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق ﴿هل فى ذلك﴾ القسم أوالمقسم به ﴿قسم﴾ حلف أو محلوف به ﴿لذى حجر﴾ يعتبره ويؤكد به مايريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لاينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ يعنى أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ﴿ارم﴾ عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط ارم أوأهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى أوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿ذات العماد﴾ ذات البناء الرفيع أوالقدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا * وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ صفة أخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة أوالبلدة ﴿وثمود الذين جابوا الصخر﴾ قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا ﴿بالواد﴾ وادي القرى ﴿وفرعون ذى الاوتاد﴾ لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا أولتعذيبه بالاوتاد ﴿الذين طغوا فى البلاد﴾ صفة المذكورين عاد وثمود وفرعون أوذم منصوب أومرفوع ﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ بالكفر والظلم ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾ ماخلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا اشعارا بانه القياس الى ما أعد لهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ﴿ان ربك لبالمرصاد﴾ المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب ﴿فأما الانسان﴾ متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعي لها فأما الانسان فلايهمه الا الدنيا ولذاتها ﴿اذا ما ابتلاه ربه﴾ اختبره بالغنى واليسر ﴿فأكرمه ونعمه﴾ بالجاه والمال ﴿فيقول ربي أكرمني﴾ فضلنى بما أعطانى وهو خبر المبتدا الذى هو الانسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربي أكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله ﴿وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾ اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه أى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه ﴿فيقول ربي أهانني﴾ لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله ﴿كلا﴾ مع ان قوله الاول مطابق لا كرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال به لايكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء فى الوصل والوقف * وعن أبي عمرو مثله ووافقه نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد ﴿بل لايكرمون اليتيم ولايحضون على طعام المسكين﴾ أى بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو أنهم لايكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولايحثون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولاتحاضون ﴿وتأكلون التراث﴾ الميراث وأصله وراث ﴿أكلا لما﴾ ذا لم أى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك

إن إلينا إيابهم ۝ ثم إن علينا حسابهم ۝

سورة الفجر مكية ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر ۝ وليال عشر ۝ والشفع والوتر ۝ والليل إذا
يسر ۝ هل في ذلك قسم لذي حجر ۝ ألم تر كيف فعل
ربك بعاد ۝ إرم ذات العماد ۝ التي لم يخلق مثلها
في البلاد ۝ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ۝
وفرعون ذي الأوتاد ۝ الذين طغوا في البلاد ۝
فأكثروا فيها الفساد ۝ فصب عليهم ربك
سوط عذاب ۝ إن ربك لبالمرصاد ۝ فأما الإنسان إذا
ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي
أكرمن ۝ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي أهانن ۝ كلا بل لا تكرمون اليتيم ۝ ولا تحاضون
على طعام المسكين ۝ وتأكلون التراث أكلا لما ۝

﴿ويحبون المال حبا جما﴾ كثيرا مع حرص وشره وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه ﴿اذا دكت الارض دكا دكا﴾ أى دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا ﴿وجاء ربك﴾ أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته ﴿والملك صفا صفا﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ كقوله تعالى ـ وبرزت الجحيم ـ وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا دكت الارض والعامل فيهما ﴿يتذكر الانسان﴾ أى يتذكر معاصيه أو يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها ﴿وأني له الذكري﴾ أى منفعة الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة ﴿يقول ياليتنى قدّمت لحياتي﴾ أى لحياتي هذه أو وقت حياتى فى الدنيا أعمالا صالحة وليس فى هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن شئ قد يتمني أن كان تمكنا منه ﴿فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقه أحد﴾ الهاء لله أى لايتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له أو للانسان أى لايعذب أحد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول ﴿ياأيتها النفس المطمئنة﴾ على ارادة القول وهي التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترق فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره أو الى الحق بحيث لايريبها شك أو الآمنة التى لايستفزها خوف ولاحزن وقد قرئ بهما ﴿ارجعى الى ربك﴾ الى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس أو بالبعث ﴿راضية﴾ بما أوتيت ﴿مرضية﴾ عند الله تعالى ﴿فادخلى في عبادى﴾ فى جملة عبادى الصالحين ﴿وادخلى جنتى﴾ معهم أو فى زمرة المقربين فتستضىء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة أو ادخلى فى أجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى أعددت لك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿سورة البلد مكية * وآيها عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم * لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ماتريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له عام الفتح ﴿ووالد﴾ عطف على هذا البلد والوالد آدم أو ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ﴿وما ولد﴾ ذريته أو محمد عليه الصلاة والسلام والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله أعلم بما وضعت ﴿لقد خلقنا الانسان فى كبد﴾ تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لايزال فى شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى ﴿أيحسب﴾ لبعضهم الذى كان يكابد منه أكثر أو يغتر بقوته كأبي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظى ويجذبه عشرة فينقطع ولاتزال قدماه أو لكل أحد منهم أو للانسان ﴿أن لن يقدر عليه أحد﴾ فينتقم منه ﴿يقول﴾ أى في ذلك الوقت ﴿أهلكت مالا لبدا﴾ كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعنى أن الله سبحانه وتعالى يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم بين ذلك بقوله ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولسانا﴾ يترجم به عن ضميره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها ﴿وهديناه النجدين﴾ طريقى الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أي فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى أمر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها بما فسرها به من الفك والاطعام في قوله

وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۞ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۞ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۞ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۞

سورة البلد مكية وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۞ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۞ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۞ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ۞ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۞ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۞ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞

﴿ وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ﴾ لما فيهما من مجاهدة النفس وتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لاتكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم وقوله ـ وما أدراك ما العقبة ـ اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ﴿ ثم كان من الذين آمنوا ﴾ عطفه على اقتحم أو فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به ﴿ وتواصوا ﴾ وأوصى بعضهم بعضا ﴿ بالصبر ﴾ على طاعة الله تعالى ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمة الله تعالى ﴿ أولئك أصحاب الميمنة ﴾ اليمين أو اليمن ﴿ والذين كفروا بآياتنا ﴾ بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿ هم أصحاب المشأمة ﴾ الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لايخفى ﴿ عليهم نار موصدة ﴾ مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته ❊ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله سبحانه وتعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

(سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وما أدراك ما العقبة ۞ فك رقبة ۞ أو إطعام في يوم
ذي مسغبة ۞ يتيما ذا مقربة ۞ أو مسكينا ذا متربة
۞ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة ۞ أولئك أصحاب الميمنة ۞ والذين كفروا
بآياتنا هم أصحاب المشأمة ۞ عليهم نار مؤصدة ۞

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها ۞ والقمر إذا تلاها ۞ والنهار إذا جلاها ۞
والليل إذا يغشاها ۞ والسماء وما بناها ۞ والأرض وما طحاها
۞ ونفس وما سواها ۞ فألهمها فجورها وتقواها ۞
قد أفلح من زكاها ۞ وقد خاب من دساها ۞ كذبت ثمود
بطغواها ۞ إذ انبعث أشقاها ۞ فقال لهم رسول الله
ناقة الله وسقياها ۞ فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم فسواها ۞ ولا يخاف عقباها ۞

﴿ والشمس وضحاها ﴾ وضوئها اذا أشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف ﴿ والقمر اذا تلاها ﴾ تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور ﴿ والنهار اذا جلاها ﴾ جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها ﴿ والليل اذا يغشاها ﴾ يغشى الشمس فيغطي ضوأها أو الآفاق أو الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين ﴿ والسماء وما بناها ﴾ ومن بناها وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله ﴿ والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ﴾ وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ بقوله وما سواها الا أن يضمر فيه اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالى ـ علمت نفس ـ أو للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما أو التمكين من الاتيان بهما ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ أنماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول كأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو أقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ بسبب طغيانها أو بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله تعالى ـ فأهلكوا بالطاغية ـ وأصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى ﴿ اذ انبعث ﴾ حين قام ظرف لكذبت أو طغوى ﴿ أشقاها ﴾ أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن مالأه على قتل الناقة فان أفعل التفضيل اذا أضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله ﴾ أى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها ﴿ وسقياها ﴾ وسقيها فلا تذودوها عنها ﴿ فكذبوه ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا ﴿ فعقروها فدمدم عليهم ربهم ﴾ فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم ﴿ بذنبهم ﴾ بسببه ﴿ فسواها ﴾ فسوى الدمدمة بينهم أو عليهم فلم يفلت منهم صغير ولا كبير أو ثمود بالاهلاك ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي عاقبة الدمدمة أو عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف ❊ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

﴿ سورة والليل مكية ＊ وآيها احدى وعشرون آية ﴾

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(والليل اذا يغشى) أى يغشى الشمس أو النهار أوكل مايواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين بطلوع الشمس (وما خلق الذّكر والانثى) والقادر الذي خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد أوآدم وحوّاء وقيل مامصدرية (انّ سعيكم لشتى) ان مساعيكم لأشتات مختلفة جمع شتيت (فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من أعطى الطاعة واتقى المعصية وصدّق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدّى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام (وأما من بخل) بما أمر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذّب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدّية الى العسر والشدّة كدخول النار (ومايغنى عنه ماله) نفى أواستفهام انكار (اذا تردّى) هلك تفعل من الردى أوتردى فى حفرة القبر أوقعر جهنم (انّ علينا للهدى) للارشاد الى الحق بموجب قضائنا أوبمقتضى حكمتنا أو انّ علينا طريقة الهدى كقوله سبحانه وتعالى – وعلى الله قصد السبيل – (وانّ لنا للآخرة والأولى) فنعطى فى الدارين مانشاء لمن نشاء أوثواب الهداية للمهتدين أو فلا يضرنا ترككم الاهتداء (فأنذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لايلزمها مقاسيا شدّتها (الا الأشقى) الا الكافرفان الفاسق وان دخلها لايلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله (الذى كذّب وتولى) أى كذب الحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها الأتقى الذي) اتقى الشرك والمعاصى فانه لايدخلها فضلا عن أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية لايجنبها ولايلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه في مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى أوحال من فاعله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد بايتائه مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) استثناء منقطع أومتصل عن محذوف مثل لايؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذى يرضيه ＊ والآيات نزلت فى أبي بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فأعتقهم ولذلك قيل المراد بالأشقى أبوجهل أوأمية بن خلف ＊ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى ۝ والنهار اذا تجلى ۝ وما خلق الذكر

والانثى ۝ ان سعيكم لشتى ۝ فاما من اعطى واتقى ۝ وصدق

بالحسنى ۝ فسنيسره لليسرى ۝ واما من بخل واستغنى ۝

وكذب بالحسنى ۝ فسنيسره للعسرى ۝ وما يغنى عنه ماله

اذا تردى ۝ ان علينا للهدى ۝ وان لنا للاخرة

والاولى ۝ فانذرتكم نارا تلظى ۝ لا يصليها الا

الاشقى ۝ الذى كذب وتولى ۝ وسيجنبها الاتقى ۝

الذى يؤتى ماله يتزكى ۝ وما لاحد عنده من نعمة تجزى

۝ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ۝ ولسوف يرضى ۝

سورة الضحى مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى

﴿ سورة والضحى مكية * وآيها احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والضحى ﴾ ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه أولان فيه كلم موسى عليه الصلاة والسلام ربه وألقى السحرة سجدا أوالنهار ويؤيده قوله تعالى — أن يأتيهم بأسنا ضحى — فى مقابلة بياتا ﴿ والليل اذا سجى ﴾ سكن أهله أوركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه وتقديم الليل فى السورة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ﴿ ماودّعك ربك ﴾ ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم ﴿ وما قلى ﴾ وما أبغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل * روى أن الوحى تأخر عنه أياما لتركه الاستثناء كما مرّ فى سورة الكهف أولزجره سائلا ملحا أولان جروا ميتا كان تحت سريره أولغيره فقال المشركون انّ محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردّا عليهم ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين أنه سبحانه وتعالى لايزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ماهو أعلى وأجلّ من ذلك في الآخرة أولنهاية أمرك خير من بدايته فانه صلى الله عليه وسلم لايزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وعد شامل لما أعطاه من كمال النفس وظهور الأمر واعلاء الدين ولما ادّخر له مما لايعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فانها لاتدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لامحالة وان تأخر لحكمة ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ تعديد لما أنعم عليه تنبيها على أنه كما أحسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني أو المصادفة ويتيما حال ﴿ ووجدك ضالا ﴾ عن علم الحكم والاحكام ﴿ فهدى ﴾ فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر * وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك أبوطالب الى الشام أوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك الى جدك فأزال ضلالك من عمك أوجدك ﴿ ووجدك عائلا ﴾ فقيرا ذا عيال ﴿ فأغنى ﴾ بما حصل لك من ربح التجارة ﴿ فأما اليتيم فلاتقهر ﴾ فلاتغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلاتكهر أى فلاتعبس فى وجهه ﴿ وأما السائل فلاتنهر ﴾ فلاتزجره ﴿ وأما بنعمة ربك فحدّث ﴾ فان التحدّث بها شكرها * وقيل المراد بالنعمة النبوّة والتحدّث بها تبليغها * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله سبحانه وتعالى له بعدد كل يتيم وسائل

﴿ سورة ألم نشرح مكية * وآيها ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا أو ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل أوبما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك * وقيل انه اشارة الى ماروى أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أويوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ عبأك الثقيل ﴿ الذى أنقض ظهرك ﴾ الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ماثقل عليه من فرطاته قبل البعثة أوجهله بالحكم والاحكام أوحيرته أوتلقى الوحى أوما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم أومن اصرارهم وتعدّيهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ بالنبوّة وغيرها وأىّ رفع مثل أن قرن اسمه باسمه تعالى في كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة ﴿ فانّ مع العسر ﴾ كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم ﴿ يسرا ﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلاتيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين ﴿ ان مع العسر يسرا ﴾ تكرير للتأكيد أواستئناف وعده بأن العسر متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرّب * وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلايتعدد سواء كان للعهد أو للجنس واليسر منكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد يغاير ما أريد بالأول ﴿ فاذا فرغت ﴾ من التبليغ ﴿ فانصب ﴾ فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدناك من النعم الآتية * وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة أوفاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدّعاء ﴿ والى ربك فارغب ﴾ بالسؤال ولاتسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرّج عنى

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلِ اِذَا سَجَى ۝ مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى ۝ وَلَلْاٰخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْاُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝ اَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاٰوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَاَغْنَى ۝ فَاَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَاَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَاَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سورة الانشراح مكية وهي ثماني آيات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝ اَلَّذِي اَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَاِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَاِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝ وَاِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝

سورة التين مكية وهي ثماني آيات

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

(سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم * والتين والزيتون) خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لافضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير النفع مع أنه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة أومسجدا دمشق وبيت المقدس أوالبلدان (وطور سينين) يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه الصلاة والسلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه (وهذا البلد الأمين) أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين أو المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان) يريد به الجنس (في أحسن تقويم) تعديل بأن خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه أسفل سافلين) بان جعلناه من أهل النار أوالى أسفل سافلين وهو النار * وقيل هو أرذل العمر فيكون قوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطعا (فلهم أجر غير ممنون) لاينقطع أولايمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له (فما يكذبك) أى فاى شئ يكذبك يامحمد دلالة أونطقا (بعد بالدين) بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل مابمعني من * وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعني فما الذي يحملك على هذا الكذب (أليس الله بأحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على مامر مرارا * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله العافية واليقين مادام حيا فاذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

(سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ باسم ربك) أى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالى أومستعينا به (الذى خلق) أى الذى له الخلق أوالذى خلق كل شئ ثم أفرد ماهو أشرف وأظهر صنعا وتدبيرا وأدل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال (خلق الانسان) أوالذى خلق الانسان فابهم أولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه على الانسان فى معنى الجمع ولما كان أول الواجبات معرفة الله سبحانه وتعالى نزل أولا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته (اقرأ) تكرير للمبالغة أوالاول مطلق والثاني للتبليغ أوفى الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ماأنا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد فى الكرم على كل كريم فانه سبحانه وتعالى ينعم بلاعوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذى علم بالقلم) أى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ أمر الانسان ومنتهاه اظهارا لما أنعم عليه من أن نقله من أخس المراتب الى أعلاها تقرير الربوبيته وتحقيقا لاكرميته وأشار أولا الى مايدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل عليها سمعا (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) أن رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) خطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) * نزلت في أبي جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة ونزلت ولفظ العبد وتنكيره المبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى (أرأيت ان كان على الهدى أوأمر بالتقوى) أرأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله (أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعني أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه أوآمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أوان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله * وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه سبحانه وتعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال ياكافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله سبحانه وتعالى أمرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل أولان نهى العبد اذا صلى يحتمل أن يكون لها ولغيرها وعامة أحوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (كلا) ردع للناهي (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتابته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ
بَعْدُ بِالدِّينِ ۝ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝

سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ
اسْتَغْنَىٰ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝
عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ۝ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ
يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝

ناصية

﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ فليدع ناديه ﴾ أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم * روى أن أبا جهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت ﴿ سندع الزبانية ﴾ ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع أوزبنى على النسب وأصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء ﴿ كلا ﴾ ردع أيضا للناهى ﴿ لاتطعه ﴾ أى اثبت أنت على طاعتك ﴿ واسجد ﴾ ودم على سجودك ﴿ واقترب ﴾ وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

﴿ سورة القدر مختلف فيها * وآيها خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * انا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾ الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان أسند نزوله اليه وعظم الوقت الذى أنزل فيه بقوله ﴿ وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها أوأنزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا ثم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة * وقيل المعنى أنزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاخير من رمضان

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝

سورة القدر مكية وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝

سورة البينة مدنية وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝

ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها أن يحيي من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أولتقدير الامور فيها لقوله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الالف اما للتكثير أولما روي أنه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة القدر هى خير من مدة ذلك الغازى ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم ﴾ بيان لماله فضلت على ألف شهر وتنزلهم الى الارض أوالى السماء الدنيا أوتقربهم الى المؤمنين ﴿ من كل أمر ﴾ من أجل كل أمر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان ﴿ سلام هى ﴾ ماهى الاسلامة أى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء أوماهى الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ أي وقت مطلعه أى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على أنه كالمرجع أواسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

(سورة لم يكن مختلف فيها * وآيها ثمان آيات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم * لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله سبحانه وتعالى ومن للتبيين ﴿ والمشركين ﴾ وعبدة الاصنام ﴿ منفكين ﴾ عما كانوا عليه من دينهم أوالوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ حتى تأتيهم البينة ﴾ الرسول عليه الصلاة والسلام أوالقرآن فانه مبين للحق أومعجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به ﴿ رسول من الله ﴾ بدل من البينة بنفسه أوبتقدير مضاف أومبتدأ ﴿ يتلو صحفا مطهرة ﴾ صفته أوخبره والرسول عليه الصلاة والسلام وان كان أميا لكنه لما تلا مثل مافي الصحف كان كالتالى لها * وقيل المراد جبريل عليه الصلاة والسلام وكون الصحف مطهرة ان الباطل لايأتى مافيها أوانها لايمسها الا المطهرون ﴿ فيها كتب قيمة ﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب ﴾ عما كانوا عليه بان آمن بعضهم أوتردد فى دينه أوعن وعدهم بالاصرار على الكفر ﴿ الامن بعد ماجاءتهم البينة ﴾ فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وافراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى

﴿ وما أمروا ﴾ أى فى كتبهم بما فيها ﴿ الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ لايشركون به ﴿ حنفاء ﴾ مائلين عن العقائد الزائغة ﴿ ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ﴾ ولكنهم حرفوا وعصوا ﴿ وذلك دين القيمة ﴾ دين الملة القيمة ﴿ ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها ﴾ أى يوم القيامة أوفي الحال لملابستهم ماوجب ذلك واشتراك الفريقين في [illegible] العذاب لايوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما ﴿ أولئك هم شر البرية ﴾ أي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل ﴿ ان الذين آمنوا [illegible] الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ﴾ فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان مامنحوا [illegible] ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد ﴿ رضى الله عنهم ﴾ استئناف [illegible] زيادة على جزائهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ لانه بلغهم أقصى أمانيهم ﴿ ذلك ﴾ أى المذكور من الجزاء والرضوان ﴿ لمن خشى ربه ﴾ فان الخشية ملاك الامر [illegible] على كل خير * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن الذين كفروا كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

(سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها ثمان آيات)

﴿ بسم [illegible] الرحمن الرحيم * اذا زلزلت الارض زلزالها ﴾ اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى أوالثانية أوالممكن لها أواللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحدث [illegible] فى الابنية فعلال الا فى المضاعف ﴿ وأخرجت الارض أثقالها ﴾ مافى جوفها من الدفائن أوالاموات جمع ثقل وهو متاع البيت ﴿ وقال الانسان مالها ﴾ [illegible] من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها ﴿ يومئذ [illegible] ﴾ تحدث الخلق بلسان الحال ﴿ أخبارها ﴾ مالاجله زلزالها واخراجها * وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث أواصل واذا منتصب بمضمر ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ أى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان أحدث فيها مادلت [illegible] كقوله من خواطتها بها ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها اذ يقال حدثته كذا [illegible] الآية مخصوصة بال[illegible] وعلى أصلها اذ لها فى ذلك تشف من العصاة ﴿ يومئذ يصدر [illegible] ﴾ [illegible] الله سبحانه وتعالى رجعهم من القبور الى الموقف ﴿ أشتاتا ﴾ متفرقين بحسب مراتبهم [illegible] آية [illegible] جزاء أعمالهم وقرئ بفتح الياء ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن [illegible] شرا يره ﴾ تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء [illegible] وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب * وقيل [illegible] بعدم الاحباط والمغفرة أومن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء ﴿ والعصر ﴾ [illegible] أوالذرة النملة الصغيرة أوالهباء * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة [illegible] الا [illegible] والارض أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

[illegible] خسر [illegible]

[illegible] الحق ﴾ [illegible]
[illegible] ى أوعلى ا[illegible]
[illegible] يحبس العمل
[illegible] الخسران
[illegible] كرما فا[illegible]
[illegible] صر

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۞ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۞ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۞

سورة الزلزال مدنية وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
۞ وَقَالَ الْإِنْسَٰنُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا
۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۞ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ
أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۞ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۞

﴿سورة والعاديات مختلف فيها* وآيها احدى عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعاديات ضبحا ﴾ أقسم سبحانه بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف أو بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات أوضبحا حال بمعنى ضابحة ﴿ فالموريات قدحا ﴾ فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى ﴿ فالمغيرات ﴾ يغير أهلها على العدو ﴿ صبحا ﴾ أى فى وقته ﴿ فأثرن ﴾ فهيجن ﴿ به ﴾ بذلك الوقت ﴿ نقعا ﴾ غبارا أوصياحا ﴿ فوسطن به ﴾ فتوسطن بذلك الوقت أوبالعدو أوبالنقع أى ملتبسات به ﴿ ... ﴾ من جموع الاعداء * روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضت أشهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل أن يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بأفكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ﴿ ان الانسان لربه لكنود ﴾ لكفور من كند النعمة كنودا أولعاص بلغة كندة أولبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم ﴿ وانه على ذلك ﴾ وان الانسان على كنوده ﴿ لشهيد ﴾ يشهد على نفسه لظهور أثره عليه أو ان الله سبحانه وتعالى على كنوده لشهيد فيكون وعيدا ﴿ وانه لحب الخير ﴾ المال من قوله سبحانه وتعالى ان ترك خيرا أى مالا ﴿ لشديد ﴾ لبخيل أولقوى مبالغ فيه ﴿ أفلا يعلم اذا بعثر ﴾ بعث ﴿ ما فى القبور ﴾ من الموتى وقرئ بحثر وبحث ﴿ وحصل ﴾ جمع محصلا فى الصحف أوميز ﴿ ما في الصدور ﴾ من خير أوشر وتخصيصه لأن ... ﴿ ان ربهم بهم يومئذ ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ لخبير ﴾ عالم بما أعلنوا وما أسروا فيجازيهم عليه وانما قال مانى قال بهم لاختلاف شأنهم في الحالين وقرئ أن وخبير بلا لام * النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

(سورة القارعة مكية* وآيها ثمان ...)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ القارعة ماالقارعة وماأدراك ماالقارعة ﴾ سبق بيانه فى الحاقة ﴿ يوم ... كالفراش المبثوث ﴾ في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب... عليه القارعة ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ كالصوف ذى الالوان ﴿ ا... ﴾ لتفرق أجزائها وتطايرها فى الجو ﴿ فاما من ثقلت موازينه ﴾ بان ترجحت حسناته ﴿ فهو فى عيشة ﴾ فى عيش ﴿ راضية ﴾ ذات رضا أومرضية ... موازينه ﴾ بان لم يكن له حسنة يعبأ بها أوترجحت سيآته على حسناته ﴿ ... فأواه النار المحرقة والهاوية من أسمائها ولذلك قال ﴿ وماأدراك ماهيه نار حامية ﴾ ... حمى * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة العاديات مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ۞ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۞ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۞ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ۞

سورة القارعة مكية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۞ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ۞

سورة التكاثر مكية وهي ثماني آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم) [illegible] وأصله [illegible] هو منقول من لهى اذا غفل (التكاثر) التباهي بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات [illegible] الى ذكر الموتى بزيارة المقابر * روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى أهلكنا [illegible] والاموات فكثرتهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو مايعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم [illegible] أعماركم فى طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى له [illegible] يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ماوراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الاول أو الاول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون [illegible] أيكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ماتستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ماأنذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائى بضم التاء (ثم لترونها) تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية اذا [illegible] أو المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) أى الرؤية التى هى [illegible] الله سبحانه [illegible] علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) الذى [illegible] منتصب [illegible] مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص [illegible] كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسئل عن شكره [illegible] الآية مخصوصة بالكفار * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

(سورة والعصر مكية وآيها ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها أو بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الناس لفى خسران فى مساعيهم وصرف أعمارهم [illegible] والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) [illegible] الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) [illegible] لا يصح انكاره من اعتقاد أو عمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى أو على [illegible] يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا أن يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ماعدا ماعد يؤدى الى خسر ونقص حظ أو تكرما فان الابهام فى جانب الخير كرم * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿ سورة الهمزة مكية * وآيها تسع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة [illegible] الا للمكثر المتعود وقرئ همزة لمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي أتى بالاضاحيك فيضحك [illegible] ويشتم [illegible] ونزولها في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذي جمع مالا) بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر [illegible] (وعدده) وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ وعدده على فك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) تركه خالدا [illegible] فأحبه كما يحب [illegible] خب المال أغفله عن الموت أو طول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بأن [illegible] المخلد هو السعي للآخرة (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) ليطرحن (في الحطمة) في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها (وما أدراك ما الحطمة) ما النار التي لها هذه الخاصية (نار الله) تفسير لها (الموقدة) أوقدها الله وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه (التي تطلع على الأفئدة) تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده [illegible] أولا نه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة (انها عليهم موصدة) مطبقة من أوصدت الباب اذا أطبقته * قال

تحن الى أجبال مكة ناقتي * ومن دونها أبواب صنعاء موصدة

وقرأ حفص وأبو عمرو وحمزة بالهمزة (في عمد ممددة) أي موثقين في أعمدة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين وقرئ [illegible] الميم مع ضم العين * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه [illegible] عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم

الجزء الثلاثون ٦٠٧

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝

سورة الفيل مكية وخمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝

سورة قريش مكية وأربع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝

(سورة الفيل مكية * وهي خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فانها من الارهاصات * اذ روي أنها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقصتها أن ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف الحاج اليها فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة أخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى جهة أخرى هرول فأرسل الله تعالى طيرا كل واحد في منقاره حجر وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ ألم تر جدا في اظهار أثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) في تعطيل الكعبة وتخريبها (في تضليل) في تضييع وابطال بأن دمرهم وعظم شأنها (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع أو اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير أو الاسجال وهو الارسال أو من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

(سورة قريش مكية * وآيها أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله ـ فليعبدوا رب هذا البيت ـ والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) أي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون أو بمحذوف مثل أعجبوا أو بما قبله كالتضمين في الشعر أي فجعلهم كعصف مأكول لئيلاف قريش ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير ياء بعد الهمزة (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع) أي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة أكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف أصحاب الفيل أو التخطف في بلدهم ومسايرهم أو الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لئيلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

(سورة الماعون مختلف فيها * وآيها سبع آيات)

(بسم الله الرّحمن الرّحيم)

(أرأيت) استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعلّ تصديرها بحرف الاستفهام سهل أمرها وأرأيتك بزيادة الكاف (الذى يكذّب بالدّين) بالجزاء أو الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) يدفعه دفعا عنيفا وهو أبو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه أو أبو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه أو الوليد بن المغيرة أو منافق بخيل وقرئ يدع أى يترك (ولا يحضّ) أهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) أى غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليهم (ويمنعون الماعون) الزكاة أو ما يتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام أحقّ بذلك ولذلك رتب عليها الويل أو للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤدّيا

(سورة الكوثر مكية * وآيها ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أعطيناك) وقرئ أنطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين * وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن العظيم (فصلّ لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله تعالى خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار أموال العرب وتصدّق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (انّ شانئك) ان من أبغضك لبغضه الله (هو الأبتر) الذى لاعقب له اذ لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذرّيتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لايدخل تحت الوصف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر العظيم

(سورة الكافرون مكية * وآيها ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم أنهم لايؤمنون * روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت (لا أعبد ماتعبدون) أى فيما يستقبل فان لا لاتدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لاتدخل الا على مضارع بمعنى الحال

سورة الماعون مكية وهي سبع آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَرَاَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۞ اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ اَلَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ ۞ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۞

سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اِنَّا اَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ اِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْاَبْتَرُ ۞

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا اَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا اَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞

ولا

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أى فيما يستقبل لانه فى قران لا أعبد ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أى فى الحال أو فيما سلف [illegible] ﴿ولا أنتم
فى وقت ما ما أنا عابده ويجوز أن يكونا تأكيدين على طريقة أبلغ وانما لم يقل ماعبدت ليطابق ماعبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل المبعث
حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال مادون من لأن المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولاتعبدون الحق أو للمطابقة وقيل انها مصدرية
والاخريان مصدريتان ﴿لكم دينكم﴾ الذى أنتم عليه لاتتركونه ﴿ولى دين﴾ دينى الذى أنا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا [illegible]
منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة * عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿سورة النصر مدنية * وآيها ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاء نصر الله﴾ اظهاره اياك على أعدائك ﴿والفتح﴾ وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل الى أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ﴿ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا﴾ جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على أن أرأيت بمعنى أبصرت أومفعول ثان على أنه بمعنى علمت ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فتعجب [illegible] الله مالم يخطر ببال أحد حامدا له أو فصل له حامدا على نعمه * روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أونزهه تعالى عما كانت الظلمة يقولون فيه حامدا له على أن صدق وعده أوفأثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿واستغفره﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك من الالتفات الى [illegible] وعنه عليه الصلاة والسلام انى لأستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره [illegible] وتقديم التسبيح على الحمد ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل مارأيت شيأ الا ورأيت الله قبله ﴿انه كان توابا﴾ لمن استغفره مذ خلق المكلفين والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس رضى الله عنه فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهى كقوله تعالى ـ اليوم أكملت لكم دينكم ـ أولأن الأمر بالاستغفار تنبيه على دنو الأجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء أعطى من الأجر كمن شهد مع محمد عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

﴿سورة تبت مكية * وآيها خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبت﴾ هلكت أوخسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك ﴿يدا أبى لهب﴾ نفسه كقوله تعالى ـ ولاتلقوا بأيديكم الى التهلكة ـ وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ـ ذات لهب ـ وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب ﴿وتب﴾ اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه انه قرئ وقد تب أوالأول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن عمل نفسه ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب أواستفهام انكار له ومحلها النصب ﴿وما كسب﴾ وكسبه أومكسوبه بماله من النتائج والأرباح والوجهة والاتباع أوعمله الذى ظن انه ينفعه أو ولده عتبة وقد افترسه أسد فى طريق الشام وقد أحدق به العير ومات أبولهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه ﴿سيصلى نارا ذات لهب﴾ اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه مايدل على انه لايؤمن لجواز أن يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا وسيصلى مشددا ﴿وامرأته﴾ عطف على المستتر فى سيصلى أومبتدأ وهى أم جميل أخت أبى سفيان ﴿حمالة الحطب﴾ يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه أوالنميمة فانها كانت توقد نار الخصومة أوحزمة الشوك أوالحسك فانها كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾ أى مما مسد أى فتل ومنه رجل ممسود الخلق أى مجدوله وهو ترشيح للمجاز أوتصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها أوبيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال أوالخبر وحبل مرتفع به * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لايجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة

وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝

سورة النصر مدنية وهى ثلث آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ۝

سورة اللهب مكية وهى خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝

سورة الإخلاص مكية وهى أربع آيات

(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها أربع آيات)

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو أو لما سئل عنه أي [illegible] أن قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات [illegible] منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة [illegible] المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه في قل يا أيها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول أو [illegible] وتبت معاتبة عمه فلا يناسب أن تكون منه وأما هذه فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه أخرى (الله الصمد) السيد المصمود اليه في الحوائج [illegible] وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير [illegible] لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى أو الدليل عليها (لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يخلف [illegible] ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر [illegible] (ولم يكن له كفوا أحد) أي ولم يكن أحد يكافئه أي يماثله من صاحبة أوغيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود [illegible] ويجوز أن يكون حالا من المستكن في كفوا [illegible] وخبرا و[illegible] ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفي أقسام الامثال [illegible] بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية [illegible] بالتخفيف [illegible] الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها [illegible] فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن [illegible] محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود [illegible] * وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل [illegible] وجبت قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد ۞ الله الصمد ۞ لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفوا أحد ۞

سورة الفلق مكية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق ۞ من شر ما خلق ۞ ومن شر غاسق إذا وقب ۞ ومن شر النفاثات في العقد ۞ ومن شر حاسد إذا حسد ۞

سورة الناس مدنية وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس ۞ ملك الناس ۞ إله الناس ۞ من شر الوسواس الخناس ۞ الذي يوسوس في صدور الناس ۞ من الجنة والناس ۞

هذا

(سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم * قل أعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها [illegible] ما يخرج من أصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك [illegible] به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر أن يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ به ما يخافه ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه تعالى لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ما خلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير [illegible] وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم (ومن شر غاسق) ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل وأصله الامتلاء يقال غسقت عينه اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعه (اذا وقب) دخل ظلامه في كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف (ومن شر النفاثات في العقد) ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه * لما روى أن يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان وأخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بموضع السحر فارسل عليا رضي الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لانهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين

(سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم * قل أعوذ) وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق عبادتهم (ملك الناس اله الناس) عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم أولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق أنه غني عن الكل وذات كل شئ له ومصارف أمره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة كما يتدرج

فى الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما [illegible]
﴿ من شر الوسواس ﴾ أى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله [illegible] ﴿ الخناس ﴾ الذى عادته أن يخنس أى يتأخر
اذا ذكر الانسان ربه ﴿ الذى يوسوس فى صدور الناس ﴾ اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات [illegible] ﴿ ولا أنتم ﴾
وأخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة أو النصب أو الرفع على الذم ﴿ من الجنة والناس ﴾ بيان للوسواس أو للذى أو [illegible]
من جهة الجنة والناس * وقيل بيان للناس على أن المراد به مايعم الثقلين وفيه تعسف الا أن يراد به الناسى كقوله تعالى يوم يدع الداع [illegible]
* عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تبارك وتعالى

قال المصنف رحمه الله تعالى وقد اتفق اتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوى على فرائد فوائد ذوى الالباب المشتمل على خلاصة أقوال أكابر [illegible] فى تفسير القرآن وتحقيق معانيه والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه مع الايجاز الخالى عن الاخلال والتلخيص العارى عن [illegible] وأسرار التأويل وأسأل الله تعالى أن يتمم نفعه للطلاب ولا يخلى سعى من يتعب فيه من الاجر والثواب ويختم كل [illegible] امرئ يؤمه بتمحيص دار السلام فى جوار العليين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهو سبحانه حقيق بأن يحقق رجاء الراجين تحقيق والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وأتباعهم أجمعين

دعاء ختم القرآن الجامع لأسماء السور القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم ربنا يا ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم * وتب علينا يامولانا انك أنت التواب الرحيم * واهدنا ووفقنا الى الحق العظيم * واعف عنا يا كريم واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين * اللهم صل [illegible] وجعلتها (فاتحة الكتاب) وبينت له الأحكام فى (البقرة) وفضلته على (آل عمران) وأحللت له ولنا (النساء) الكواعب الاتراب [illegible] (أعراف) الأمم وشهداء عليهم يوم الحساب وأحللت له (الأنفال) وقبلت (توبة * يونس) حين تاب وآثرته على (هود * ويوسف) بالشفاعة [illegible] أولى الالباب وحين كذبه قومه كأصحاب (الحجر) أمرته بالصبر فى (النحل) من غير ارتياب وصدقته فى (الاسراء) وآويته الى (كهف) [illegible] على جميع (الأنبياء) والأنجاب فياله من نبى بين أحكام (الحج * المؤمنين * بنور * الفرقان) كالذى أخبر (الشعراء) فكانوا (كالنمل) فى [illegible] عشش (العنكبوت) على غاره وستره منهم الكريم الوهاب وحارب العرب و (الروم) وأوتى حكمة (لقمان) وسجد (سجدة) الشكر عند هزيمة (الأحزاب * وسبا) [illegible] المشركين وكان (فاطرا) لقلوبهم نجى من اصطفى (يس) وأمده (الصافات * وصاد * زمر) الاعداء بتأييده (ذى الطول و * فصلت) منه يوم بدر الرقاب وكان أمر أصحابه (شورى) بينهم فأبطلوا (زخرف) الجاهلية و (دخان) الشرك وتركوا أهلها (جاثية) فى (أحقاف * القتال) والضراب وجاء (الفتح) المبين فكسر (حجرات) الكافرين [illegible] (قاف) أثره من الآل والأصحاب ونصر (بالذاريات) وفضل على صاحب (الطور) فى (النجم) شق (القمر * الرحمن) فكان غاية الاعجاز والاعجاب * وأيدته يامولانا فى (واقعة) بأس (الحديد) فقطع (المجادلة) قلوبهم وتركهم فى (حشر) الخزى والعذاب وأوقع (الامتحان) فى (صفهم) كل (جمعة) وأخزى (المنافقين) فى (التغابن) وتقطعت الأسباب ومن شريعته (الطلاق * والتحريم) مالك (الملك) من أمره بين الكاف و (النون) أخبر من على (الحاقة * وسئل) عن هول أهل المآب ولم يدع على قومه كـ (نوح) بل قال اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون كما فى سند صحيح ليس فيه كذاب وآمنت به (الجن) والانس ولقب (بالمزمل * والمدثر) والحاشر والعاقب لكل أواه أواب وأخبر عن أحوال (القيامة * للانسان * رسلات * النبأ) وجعل أرواح المكذبين فى (النازعات) حين (عبس) عليهم فـ (كورت) شمس كفرهم و (انفطرت) قلوبهم وباؤا بالعذاب (وويل للمطففين) عند انشقاق ذات (البروج * الطارق * الأعلى) الحجاب وظهر فى (غاشية) الكفر فطاب له فجر الصدق فى (البلد) فهدى الى (شمس) الايمان من كان فى (الليل) الكفر قد غاب ومن خصوصياته الوتر (والضحى * وشرحت) له الصدر وأقسمت (بالتين) انه أكمل المخلوقين من (علق) وخصصته بليلة (القدر) لتعظيم الأجر والثواب و (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) منه بل (زلزلهم * بالعاديات * والقارعة) ولم ينفعهم (التكاثر) فى (العصر) وعلو الأنساب وقطع كل (همزة) (الفيل) وكفار (قريش) ووعد مانع (الماعون) بسوء الانقلاب وأعطى صلى الله عليه وسلم نهر (الكوثر) وأيد على (الكافرين * بنصر * وتبت) أيديهم غاية التباب * ودعا الى كلمة (الاخلاص * لرب الفلق * والناس) فهدى من اتبعه الى الصواب الذى أنزلت عليه يامولانا فى محكم كتابك الناسخ لكل كتاب أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب * اللهم بلغ وأوصل مثل ثواب ماقرأناه ونور ماتلوناه بعد القبول مناهدية واصلة الى روح نبينا وشفيعنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأتباعه والى أرواح جميع أنبيائك ورسلك وأوليائك وعلمائك وصلحائك وأتباعهم وأهل طاعتك أجمعين * اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين * اللهم انصر خليفة المسلمين وانصر علماءه ووزراءه ووكلاءه وعساكره بالخير الى يوم الدين واكتب الصحة والسلامة والعافية علينا وعلى الحجاج والغزاة والمسافرين والمقيمين والحاضرين والغائبين فى برك وبحرك من أمة سيدنا محمد أجمعين وسلام على المرسلين وآلهم والحمد لله رب العالمين آمين

﴿ تم طبعه وتصحيحه بمعرفة لجنة من علماء الأزهر الشريف ومساعدة مصححى مطبعتنا الشهيرة الذكر برئاسة الاستاذ الشيخ ابراهيم بن حسن الانبابى ﴾

فهرست

النصف الثاني من تفسير البيضاوى

(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] بنت جحش)

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه [illegible]

[illegible] قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا [illegible] والطير مع داود عليه السلام

[illegible] منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد وما [illegible] موت سليمان عليه السلام وما [illegible]

[illegible] الالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق [illegible]

[illegible] رسول [illegible] بيان السجدة [illegible] الايناس أن تكون [illegible]

(تمت الفهرست)

... اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما ...
... الكسر كالزلزال والمراد ... الموسوس وسمى بفعله ... (ولا أنتم
... كر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات ...
... (من الجنة والناس) بيان للوسواس أو للذى أو ...
... الإيان ... الناس كقوله تعالى يوم يدع الداع ...

... المشتمل على خلاصة أقوال أكابر ...
... الشيخ العارى عن ...